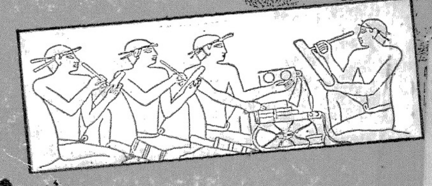
دراسات في
تاريخ الاعلام

الإعلام في مصر القديمة





د. محمود أدهم

دراسات فى
تاريخ الاعلام
(١)

الأعلام في مصر القديمة

د. محمود أدهم

رقم الايداع ٩٤٤٨ / ١٩٩٠

I.S.B. 977-00-0973-5

بسم الله الرحمن الرحيم

« لقد كان فى قصـــصهم عبرة لأولى الألبــاب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون »

صدق الله العظيم

سورة يوسف الآية ١١١

مقـــــدمة

قصـــة هـــذا الكتـــاب

أحمدك ربي وأشكرك ، وأتوب اليك وأستغفرك ، وأصـلي وأسلم على نبيك الاكرم ، محمد بن عبد الله ، وعلى آله وأصحابه ٠٠ ومن والاه ، صلاة وسلاما قائمين دائمين ٠٠وبعــد :

فهذا كتابنا الجديد ، الذى رأينا ــ والحمد لله وحده ــ أن نبتعد به **قليـــلا** ، عن موضوعات كتبنا السابقة ٠٠ سواء ما تناول منها « فن التحرير الصحفى » بجانبيه النظرى والتطبيقى ، أو ما تناول « فن المجـــلة » أو « الصحافة المصورة » أو « الابداع الاعلامى » ٠٠ وهى المجالات الأربعة التى تناولتها مؤلفاتنا الصادرة حتى الآن ٠٠ والتى سوف نضيف اليهـــا ماوسعتنا الاضافة ، وبالقدر الذى يتيحه لنا الجهد والصحة ٠٠ حتى تكتمل حلقاتها ، بعونه تعالى ، وتوفيقه جل جلاله ٠

أقول ، رأينا أن **نبتعد قليلا ٠٠ وليس كثيرا** ، لأن المتتبع لهذه المؤلفات السابقة ، يلاحظ عن كثب ، أن الحديث عن « **تاريخ الفنون الصحفية** » ٠٠ قائم على صفحاتها ، وأن العودة الى « الجذور » ٠٠ فى كل ما نكتب ، وأن تناول « الطلائع » و « المقدمات » التاريخية والفنية هو عمل نعطيه دائما قدرا كبيرا من اهتمامنا ، حتى أصبحنا ــ والفضل لله ــ ضمن من يعرف بهذا الأسلوب فى البحث ، وبتلك الطريقة فى التأليف والكتابة ، بل لقد صدر لنا كتابنا « هم والصحافة » ٠٠ يحمل وجهة نظر جديدة فى دراســـة تاريخ الصحافة ، باستقراء طابع العلاقة وطبيعة المواقف بين رجال الحكم ، ورجال صاحبة الجلالة ، وأتبعناه بكتابنا « عروش وأقلام » الذى أبت لوائح ونظم احدى دور النشر فى مصر الا أن يظل حبيس أدراجها المظلمة منذ ما يزيد على سبعة أعوام ٠٠ وهو يواصل تناول تاريخ الصحافة من هذه الزاوية أيضا ٠٠

٠٠ ومن هنا فالكتاب يبتعد قليلا وليس كثيرا عن كتاباتنا هذه كلها ٠٠ حتى وهو يتناول هذه الزاوية الدراسية الجديدة التى نحاول من خلالها أن **نجيب عن سؤال مهم وأساسى ومركب يقول : هل عرف أجدادنا « الاعلام »**

كما عرفوا غيره من الأنشطة ، فنية وعلمية ومعمارية وهندسية وأدبيـــة وفلكية ٠٠ الى آخر هذه القائمة الطويلة من معارفهم ؟٠٠ أم أنهم لم يعرفوا هذا اللون من ألوان النشاط الانسانى ؟ واذا كانوا قد عرفوه ٠٠ فمتى تم لهم ذلك ؛ وكيف ؟ والى أى حد ؟ وما الذى يؤيد هذه المعرفة ؟ ٠٠ ولماذا عرفوه أيضا ؟ الى غير ذلك كله واذا لم يكن أجدادنا القدماء ، قد عرفوا هذا النشاط ٠٠ فالى أى حد أيضا ؟ ولماذا ؟ وما الى ذلك كله ٠٠

واذا كان هذا هو السبب « **العلمى** » الأول الذى يقف من وراء القيام بالكتابة فى هذا الموضوع ، فان هناك ــ والحق يقال ــ عدة أسباب أخرى ، بعضها يتصل بشكل ما ، بهذا السبب « الأولى » نفسه وبعضها لا يتصل به ٠٠ ومن بين هذه وتلك :

● عدم الاهتمام المناسب أو الكافى بهذا الجانب القاعدى ــ من وجهات النظر التاريخية والاعلامية معا ــ بحثا ودراسة ٠٠

● اختلاف الباحثين فى حقل الاعلام حول هذا الموضوع ، وحيث نرى أنهم أنقسموا بشأنه الى عدة فئات ٠٠ **الأولى** : ترى أن ما قدمه أجدادنا لا يدخل دائرة الاعلام ٠٠ وأن الاعلام موضوع جديد تماما ٠٠ **والثانية** ، توافق على أستحياء مشيرة الى بعض الصور الاعلامية القديمة فى كلمات قليلة جدا ٠٠ والثالثة ، تسكت تماما ، ولا تشير الى هذا الموضوع من قريب أو بعيد ، وكأنها لا تريد أن تفتح على نفسها هذا الباب ٠٠ وانما تغلقـــه وتســـتريح ٠

● ثم ان معظم مجالات نشاط أجدادنا الأخرى قد شهدت العديد من البحوث ، وتناولتها الكثير من الدراسات العلمية الجادة ٠٠ عربية وأجنبية ، بل ان المكتبات زاخرة بالمؤلفات التى تتناول الطب والزراعة والتربية والفلك والصناعة والعمارة والحساب والفن والأدب والحياة اليومية ، والمجتمع فى مصر القديمة ، وحتى الرياضة عند هؤلاء ، تناولتها الدراسات العديدة من مصارعة الى كرة مضرب الى رفع الأثقال الى العدو الى التحطيب الى الصيد ، وغيرها وغيرها ٠٠

كل ذلك بينما ظل موضوع هذا الكتاب ، ينتظر مثل هذه النظرة الى الموضوعات العديدة السابقة وليس مجرد سطور وكلمات قلقة ، مترددة ،

تكتب على استحياء فى قلة نادرة من مداخل الدراسات الاعلامية عامة ، والصحافية خاصة ..

● ..ثم لأن هناك من الصور الكثيرة ، والشواهد العديدة ، التى تتصل بعدد من ألوان النشاط الفنى والأدبى والفكرى ، المصرية القديمة ما يجعلها تستحق وتستأهل :

— أن توضع فى دائرة الفروض العلمية تمهيدا لبحثها ودراستها وتحديد الموقف بشأنها من زاوية الاعلام .

— أن يتقدم الباحثون فى حقل الاعلام للكشف عنها من زاويتهم الخاصة ، وباستخدام مفاهيمهم ومقاييسهم .. فلعلها أقرب الى مادتهم العلمية ، من مواد أخرى كثيرة ، أو لعلها تتصل عن قرب ، بأكثر من مادة واحدة ، من بينها « **الاعلام** » على أى شكل من أشكاله .. فهل يترك الاعلاميون ذلك كله لغيرهم ؟ أم هل ينتظر أن ينوب عنهم هذا الغير ، فى بيان بعض مما لهم ؟ واذا لم يفعلها الاعلامى ، ترى من غيره سيفعلها ؟ وسيبذل جهده وعرقه من أجلها ؟

— أن توضع نتائج البحث وما يسفر عنه ، فى خدمة الدراسات الاعلامية عامة .. وبوصفها مما يتصل بالأصول القديمة ، لهذه الدراسات عندما تتضح مثلها ، وتكون دليلا علميا يعتد به .

● أن البحث فى هذا الموضوع وما يتصل به ، ويتفرع منه ، وينبثق عنه ، هو جانب مهم من جوانب دراسة **تاريخ الاعلام** ، وفصل أساسى فى معرفة قصته منذ النشأة الأولى ، بكل مايتصل بها من معالم وملامح وعوامل شدة وضعف وخصائص عديدة ، ومؤثرات كثيرة .. حتى وصل الى ماوصل اليه اليوم ، مما نراه فى حياتنا المعاصرة .

● .. ثم انه اذا كنا نقول — وكتابنا هذا يقدم تاريخ مصر القديمة من زاوية اعلامية — أن الاعلامى عامة ، والصحفى خاصة هو ذلك الرجل الذى يأخذ من كل بستان زهرة ، ومن كل محيط قطرة ، أو هو الذى يجمع بين معرفة مختلفة ومتشعبة وممتدة ، وثقافة عامة تتناول أساسيات العلوم

المختلفة ، فأى معرفة أفضل ، وثقافة أكثر وأشمل من تلك **المعارف التاريخية** العديدة ، التى تقدمها مثل هذه الدراسة ، التى تطيل النظر الى الماضى ، لتربط بينه وبين الحاضر ، والمستقبل فضلا عما يتصل بذلك كله من **جانب وطنى** وقومى لا سيما . وجميع سطورنا ترتبط بتاريخ مصر والشرق الأدنى القديم ، مهد الحضارات ، ومهبط النبوة ٠٠ وركيزة التوحيد ٠

● ٠٠ ثم ان « **البحث الاعـــلامى** » ينبغى أن يمتد الى جوانب وموضوعات أخرى **غير تقليدية وغير نمطية** ٠٠ و « التراث » هنا هو احدى صورها ، بما يضيف جديدا مفيدا الى « المكتبة الاعلامية » ومن ثم الى مكونات رجل اعلام المستقبل ٠

● اعجابى الشديد بمصر القديمة ، بكل ما يتصل بها من قصص وآثار وأبطال وصور ومشاهد ٠

● ٠٠ ومنذ بداية عملى الصحفى بـ « **اخبار اليوم** » ، لا أنكر أن موضوعا من الموضوعات قد جذب اهتمامى ، ومن ثم كانت تدور حوله أفكار تحقيقاتى الصحفية ، مثل تلك الموضوعات أو « الدراسات « التاريخية ، والتراثية ، والأثرية ، والسياحية بكل مايتصل بها من أحـــداث وأشخاص وقضايا ومشكلات أيضا ٠٠ وكنت أستند فى ذلك كله الى هذا « العشق » للتاريخ عامة ، والتاريخ القديم خاصة ، وتاريخ مصر على وجه التحديد ، وقد أيد ذلك ، وشد من أزره كثيرا ٠٠ عدة أمور من أهمها :

— عملى أكثر الوقت بمجلة « آخر ساعة » ، وهى مجلة « تحقيقات صحفية مصورة ، أولا ومن ثم فقد كانت تفرد الكثير من صفحاتها للتحقيقات والريبورتاجات والموضوعات والتقارير والقصص الاخبارية والدراســـات الصحفية المرتبطة بالتاريخ والآثار والسياحة ٠

— تردد كثير من رجال « الآثار » على هذه المجلة ، مما أعطى المزيد من فرص اللقاء بهم ، بل ان بعض هؤلاء قد مارس الكتابة بها ٠

— متابعتى المركزة عملا ثم دراسة بعد ذلك ، لعدد من أبرز المجلات المصورة العالمية ، لا سيما مجلات Picture Post-Look-Epoca-Life Paris Match وغيرها ، باهتماتها البالغة بالموضوعات والتحقيقات المصورة التى تتناول الآثار العالمية عامة ، والمصرية خاصة ٠٠ *

ـــ ثم ، وبعد ذلك وجدتنى مشدودا أيضا ، الى عدد من الدوريات العالمية ، ذات الاهتمام بمجال الآثار والتراث الانسانى ، ومن بينها على سبيل المثال لا الحصر : « **تراث الانسانية ـ اليونيسكو ـ الوثيقة ـ المتحف العربى ـ** Antique Month. — Mag. Antique — Ant. Journal وغيرها ، مما كان يقربنى الى هذه المجالات أكثر من ذى قبل ٠

ـــ رحلات عديدة ، ولأكثر من مرة كل عام ، الى معظم المناطق الأثرية ، والوقوف طويلا عند آثارها ، والاختلاط فى ظلالها بالسائحين والهواة والباحثين والمنقبين والمرممين والمصورين الأثريين وغير الأثريين ، وحتى خفراء الآثار ولصوصها ومهربيها ٠٠ والاستماع الى أحاديث هؤلاء بكل الشغف والاعجاب ٠٠

● وقد أسفر ذلك كله ـ فى واقع الأمر ـ عن عـــدة نتائج كان من بينها :

ـــ كتابة حوالى خمسين دراسة تاريخية صحفية وتحقيق وتقرير مصور ، وموضوع اخبارى عن موضوعات تاريخية وسياحية وأثرية ، نشر منها حوالى نصف هذا العدد على صفحات مجلة « آخر ساعة » منذ عام ١٩٦٥ حتى عام ١٩٧٥ ، بينما تأجل نشر النصف الثانى من هذا النتاج الصحفى ـ وهو النصف الأفضل فى رأيى ـ وذلك بفعل ظروف النشر ، أو فرض حظره على بعض الموضوعات التى تتناول الزعمـــاء الوطنيين ، أو لأسباب « مجهولة » ٠٠ ثم بفعل « فاعل » خلال نهاية هذه الفترة !!

ـــ تكوين « نواة » لمكتبة مراجع تاريخية عامة ، تاريخية مصرية قديمة خاصة ، تضم بين دفتيها عددا لابأس به ، من المصادر المهمة ، ونصف المهمة ، المتصلة بهذين الموضوعين ، العام ، والقديم ٠٠ وان كان بعض الأصدقاء قد استعار عددا من كتبها ولم يعده ٠

ـــ المزيد من الاهتمام والعناية بهذا الموضوع ـ موضوع التاريخ عامة ، وتاريخ مصر القديمة ، والحضارات القديمة فى مجموعها ٠٠ لا سيما حضارة وادى الرافدين ـ دجلة والفرات ـ والحضارة الفارسية والرومانية

والهندية والصينية . لكن من المؤكد أن اهتمامى بجوانب الحضارة المصرية كان أكثر ، وأعمق ، وأشمل أيضا ٠

● ٠٠ وعندما قمت باختيار « فن التحقيق الصحفى المصـــور » موضوعا لدراستى للماجستير ، وجدتنى مدفوعا بذلك كله ، أبحث عن « جذور » التحقيقات الصحفية ، فى تلك المواد العديدة التى خلفها لنـــا هؤلاء الأجداد ، حيث وجدت العديد من صورها ، أشرت اليه فى هذه الرسالة٠

● ٠٠ أعود بعد ذلك ، فى نقاط مركزة ، الى موضوع هذا الكتاب نفسه فأقول ، اننى أعلم صعوبة البحث فى موضوعه ، وصعوبة تناوله ذلك التناول العلمى الذى أرتضيه ، بل وصعوبة الخروج بنتائج علمية محددة ، ومع ذلك فقد كان على أن أجتهد ، فلو كان كل موضوع علمى سهلا ، لفقد ماقيه من متعة البحث ، والسهر والعـــرق ، ولما قيل أن العلمـــاء هم ورثة الأنبياء ٠٠ ولما ضرب بهم المثل فى الجد وكثرة الجهد المبذول ، والصبر على العمل ، والبذل ، والتضحية ، بأوقاتهم وأموالهم وصحتهم ٠٠ معا ٠

●● أما عن صعوبة البحث فى موضوعه ، فانها آتية من أكثر من زاوية من بينها ، ندرة الاهتمام به ، على المستوى الاعلامى من قبل ، فليست تحت يدنا دراسة سابقة متكاملة ، تتناول هذا الموضوع أو جزءا منه ، أو زاوية من زواياه ٠٠ ثم لأنه يتداخل بشكل واضح وأساسى ، مع علوم أخرى عديدة من بينها علم الآثار ، وعلم التاريخ ، والأدب والفن ، والعمارة ، وعلم اللغة ، وعلم الاجتماع نفسه بل ان احدى المشكلات الأساسية ، تكمن فى ذلك الفصل الذى ينبغى القيام به ، بين ما يعتبر عند الأدباء أدبا ، وعند المؤرخين تاريخا ، وعند الأثريين أثرا ، وعند الاعلاميين أعلاما ، وبعضها يجمع بين أكثر من صفة علمية واحدة ، وينتمى الى أكثر من علم واحد ٠٠ معا ، فاذا عرفنا أن النصوص التى لدينا كثيرة جدا ، وتجـــل الحصر ، لاضيفت صعوبة أخرى ، وذلك كله فضلا عن بعثرة هذه النصوص وتشتتها٠٠ وحيث لابد من الاعتراف بذلك القصور الناتج عن عدم معرفتى بالكتـــابة الهيروغليفية ، ولو كنت أعرفها لكانت المهمة أكثر سهولة ، لكننى أعترف هنا بفشلى فى تعلمها ، سوى كلمات قليلة شهيرة ، وربما كان للسن دوره فى ذلك ، فقد حاولت ذلك بعد أن تجاوزت الأربعين من العمر وبعد أن تشتت الفكر مع أمور عديدة تسبق أهميتها ٠٠ تعلم هذه الكتابة ٠٠

ولابد من الاعتراف هنا بصعوبة اختيار المنهج العلمى ، وعمل خطة هذه الدراسة ، وعموما ، فقد حاولت قدر الطاقة أن أقوم بعمل مزيج وظيفى بين مناهج البحث التاريخى والاعلامى والأدبى ٠٠ مستفيدا فى ذلك كله ، مما يقدمه علم الآثار ، وما قدمه الأثريون من نتائج لا سبيل الى انكارها . بل لا سبيل الى انكار أن كلماتى هذه تقوم عليها ، قبل أى شىء آخر ٠٠ وهل كنت أستطيع أن أقدم هذه السطور ، دون أن تكون نقطة البداية ، هى أبحاثهم وحفائرهم وتنقيبهم هنا وهناك ، حتى قدموا ما قدموه للانسانية كلها ؟

ومن هنا فاننى أقول ، أن البعض من رجال الآثار والتاريخ ، قد لا يرى فيه جديدا يذكر ، اللهم الا هذه الزاوية الاعلامية ، وما يتصل بها من معايير وأسس وقواعد انتقاء ، وما يستتبعها بالضرورة من نظرة مغايرة لما تعودوه ، الى أعمالهم ، ونتائجها ، والى مضمون « النصوص الأثرية » نفسها ٠٠

واذا كنت ــ بادىء ذى بدء ــ أعرف أننى سأواجه الهجوم من أكثر من جانب ، وستوجه الى السهام من أكثر من طرف ، لا سيما من جانب عدد من الأثريين والمؤرخين والفنانين والأدباء وعلماء الدين ، بل ورجال الاعلام أيضا ، فالبعض أكاد أسمعه يقول وماذا أتيت بجديد ؟ والبعض الآخر أكاد أسمعه يتهمنى بـ « شد » الحقائق التاريخية « من شعرها » وجذبها عنوة لتدخل دائرة الاعلام !! والبعض الآخر يصرح : ان هذا من الأدب القديم ، فكيف يكون الأدب اعلاما ؟ والبعض الثالث أرى أنه سيرمى بالقفاز فى وجهى، ويتهمنى بالدعوة الى « الفرعونية » ٠ أو على الأقل ، الدعوة الى القومية ٠٠ وحتى بعض الزملاء فى حقل الاعلام ، الذين سيرفضون ذلك ، وربما بكل الاصرار ، من منطلق أن الاعلام علم جديد ، وأنه لا توجد صحافة قبل المطبعة ٠٠ وما الى ذلك كله من أقوال ٠٠ ولهؤلاء أقول فى بساطة شديدة وبوضوح تام ٠٠

ــ أين هو البحث العلمى الجديد ، فكرة وموضوعا ودرسا ونتيجة ، الذى لم يوجه اليه أكثر من أصبع واحد من أصابع الاتهام ، خاصة فى عالمنا العربى الذى هو من أكثر عوالم الدنيا ، حبا فى الهجوم ، وادمانا للنقد ؟ ولو خلعنا عنا هذا الرداء المقيت ، وكان الهجوم والنقد من أجل

الأفضل والأحسن . من أجل التطور والتقدم ، لتغيرت صور عديدة من صور الحياة العلمية التى تسير عندنا سير السلحفاة ، أو تكاد تتوقف فى أحيان كثيرة ·· ومن ثم فاننى أرحب تماما بكل نقد يقول لى كيف وأين وفى أى الفكر والمواضع وفقنى الله وكيف أحرز توفيقا أكثر ؟ وكيف وأين وفى أى المواضع لم يحالفنى توفيق مماثل ، ولماذا ؟

— ومع اعترافى بأنه لا جديد بالنسبة لمعظم رجال الآثار والتاريخ ، غير هذه الزاوية الاعلامية ، وما يرتبط بها ، وما يتفرع عنها من مقاييس وخصائص ، فاننى أقول ان ما أقدم يعتبر جديدا على غيرهم بل على الكثرة من القراء والدارسين ، ومن المؤكد أن عددا كبيرا منهم سوف يقرأ ما كتبت من منطلق جديد ، ومن خلال هذه الزاوية نفسها ·· حتى هؤلاء الذين سبقت لهم قراءة بعض ما تناولت ، فى كتب التاريخ ·

— ثم اننى أسأل نفس السؤال الذى طرحته على صفحات كتابى « أدب الجاحظ - من زاوية صحفية » ·· ما الذى يمنع من أن يكون العمل الفكرى أدبا واعلاما ؟ · وبالطريقة نفسها أقول : ما الذى يمنع من أن يكون النص القديم ·· تاريخا وأدبا وأخبارا ؟ ·· بل اننا سوف نرى بعون الله أن بعض هذه النصوص المصرية القديمة ، هى الى الاخبار والمادة الاخبارية - وهى جوهر النشاط الاعلامى ولحمته وسداه أمس واليوم وغدا - أقرب منها الى النص التاريخى ، أو النص الأدبى ·

— ثم اننى لم أتدخل فى مجال لا يعنينى ، فبالاضافة الى أن التاريخ يعنى كل انسان متحضر وهو فى ذلك يعنى كل باحث ، فان تاريخ مصر القديمة يعنى العالم كله ، من نفس هذا المنطلق الانسانى ، ثم اننى باحث أولا ، ومن حقى أن أنهل من منابع العلم ، ومن محيطه اللانهائى ، ماوسعنى فى ذلك الجهد ، والعمر ، والظروف ، وتلك هى مسئوليتنا أمام الله ، ثم أمام الانسانية ، والتاريخ نفسه ·

— ثم اننى لست بدعا فى ذلك،فبصرف النظر عن الارتباطات القائمة، والكثيرة ، بين أعمال الأثريين والمؤرخين ، وأعمال الصحفيين ، والتى لا يستطيع منصف أن ينكرها ، فان تاريخ الصحافة العالمية يعرف الكثير من صور المؤرخين الصحفيين ، أو المؤرخين الذين كانت لهم كتاباتهم الصحفية

العديدة ·· وهذا هو « **هـ · ج · ويلز** » يقول على أثر تأليفه كتابه الأشهر (موجز تاريخ العالم) : اننى صحفى أولا ! ·· ثم اننى أسأل : من الذى يستطيع أن ينكر على عدد من المؤرخين ـ هؤلاء الذين كانوا يكتبون الحوادث يوما بيوم ـ صفتهم الصحفية ؟ ·· وأخص منهم بالذكر « **ابن اياس** » و « **عبد الرحمن الجبرتى** » ·· بل وهذا هو « **عبد القادر حمزة** » صاحب البلاغ يكتب مؤلفا فريدا فى تاريخ مصر القديمة ، والسياسى الصحفى المؤرخ « **أحمد حسين** » يكتب موسوعة تاريخ مصر ، بل لقد أسهم بعض باحثى التاريخ فى تقدم الدراسات الاعلامية كثيرا ، خاصة عندما تحولوا الى هذه النوعية من الدراسة ·· وأخص منهم بالذكر الأساتذة والدكاترة الأجلاء **ابراهيم عبده وحسنين عبد القادر** رحمهما الله **وخليل صابات وأحمد حسين الصاوى** ، **وسامى عزيز** ·· منحهم الله الصحة والعافية ··

ــ بل ان بين المؤرخين ورجال الآثار من تنم كتاباتهم عن حس اعلامى كبير ، ومتعدد الاهتمامات والجوانب ، ولعل فى مقدمة هؤلاء الأثرى الكبير « **سليم حسن** » وكذا « **محرم كمال** » الذين حفظت لهم الدوريات الثقافية العديد من المقالات التى كانت قمة فى براعة الفكرة ، وذكاء التناول ، ووضوح التعبير وسهولته ، بل اننى لا أبعد عن الواقع كثيرا عندما أقول أن مقالات الأخير بالذات والتى كانت تنشرها له مجلة « **الهـــلال** » فى الأربعينات تستحق أن تضاف الى هذه العوامل ، التى جذبتنى الى حب تاريخ الأجداد ثم ان هناك طريقة الكتابة النادرة المثال ، والأسلوب الذى قل أن يضاهيه أسلوب آخر » للأثرى « د· أحمد بدوى » ·· ذلك كله ، بينما زخرت مجلات العالم المهتمة بآثارنا ، بالموضوعات والدراسات والتحقيقات الصحفية العديدة والمصورة للكثير من علمائنا ، بينما فضل أحدهم أن يعمل بالصحافة تماما ، من منطلق عمله الأثرى ·· « **كمال الملاخ** » ·· وكان له فى ذلك أســـلوبه الصحفى الخاص الذى اشتهر به ·

·· ويطول بنا المقام أكثر من ذلك ، عند محاولتنا الاحاطة بكتابات هؤلاء ، وصور حسهم الاعلامى ، انطلاقا من ذلك الارتباط القائم بين التاريخ والأثر من جانب ، وبين الاعلام عامة ، والصحافة خاصة ، من جانب آخر ·· فحسبنا ما ذكرنا ، لكننا فى النهاية نشير الى نقطتين فقط ، نرى أن المجال هنا مناسب تماما لذكرهما :

● **أما أولاهما** ، فهى أن واحدة من أقدم الكتابات التاريخية عن

مصر القديمة ، والتى كتبها « أبو التاريخ » ·· هيرودوت ·· لم تكن نتيجة بحث أو تنقيب ـ بالمعنى المعروف ـ وانما اعتمد فى كتابة صورته المصرية على الوصف والمشاهدة والالتقاء بالناس فى الأسواق والكهنة فى المعابد وكان هؤلاء من أهم مصادر « أخباره » ·· فجاء عمله عملا اعلاميا صحفيا ، وتاريخيا معا ، بل ان تأريخه لم يسلم كثيرا من المبالغة فى المدح أو القدح·· تماما كما هو الحال بالنسبة لعدد من صحفيي هذه الأيام ، بل اننى عندما قرأت حديث « هيرودوت » عن مصر أكثر من مرة بكل ايجابياته وسلبياته لم أستطع الخلاص من طارق يلح على ذهنى ، يقول ان كتابه هذا ، هو تحقيق صحفى كبير ، من نوع تحقيقات الرحلات ، التى تكتب على أكثر من حلقة ، على صفحات مجلة أو جريدة أسبوعية ، أو يومية !! ·· أليس فى ذلك ما يؤكد الارتباط الكبير « والتاريخى » بين الجانبين ؟ ! وذلك فضلا عن أن اسم الكتاب الحقيقى هو : « تمحيص الأخبار » وأما الثانية فتتمثل فى أنه من خلال دراساتى المتعددة ، لأحد أبرز الفنون التحريرية الصحفية الحديثة « فن التحقيق الصحفى » تأكدت لى تلك الحقيقة التى تقول بأن الدراسات والتحقيقات الصحفية التى نشرتها الصـــحف والمجــلات المصرية ، عن الموضوعات التاريخية عامة ، والمتصـــلة بتاريخ مصر القديمة ، خاصـــة (الكشوف الجديدة ـ حال الآثار الآن ـ المدن الأثرية ـ المتاحف ـ المناسبات ـ الدراسات ـ السياحة ـ سرقة الآثار ··· الخ) كانت واحدة من أبرز المواد التى عنيت بنشرها هذه الوسائل ، ووجدت اقبالا كبيرا من جانب القراء ، ومن ثم لمعت أسماء عديدة ، ارتبطت بهذه الموضوعات قبل ارتباطها بغيرها أو الى جانب ارتباطها بهذا الغير ومن بينها على سبيل المثال لا الحصر :

« أحمد عبد الرحيم ـ محرر الوقائع المصرية ، بشارة تقلا ، محمد خالد ، عبد القادر حمزة ، محسن محمد ، مكرم محمد أحمد ، محمود مراد ، عزت السعدنى ، محمد العزب موسى ، وغيرهم كثير ··

·· وأكتفى بهذا القدر من الحديث عن هذا الجانب ، وأضيف فى نهاية هذا التقديم عدة نقاط أخرى ، أختصرها فى الآتى :

● أن صفحاتى القادمة ، تعنى فى زاوية من زواياها بداية تقديم « تفسير اعلامى » للتاريخ ، لا سيما عندما تضاف اليها ما يتصل بهذا الجانب عند الحضارات الأخرى ·· قديمة ووسيطة ، ومعاصرة ·

● وبذلك أقول ، أن هذا الكتاب سوف يستتبعه باذن الله ، ما يتناول الاعلام ، فى فكر الحضارات القديمة الأخرى ، وغيرها من الحضارات شرقية وغربية على حد سواء ٠

● أننى هنا استهدف أولا ، تلك الرسوم والنصـــوص والأقوال المصرية القديمة ، التى انتجت أو رسمت ، أو كتبت أو حفرت أو صورت بهدف احداث تأثير اعلامى اخبارى وما يستتبعه أو يتداخل معه أو يرتبط به من تأثير ارشادى وتوجيهى وتثقيفى ، لكننى لا استهدفما قصد به الى احداث تأثير فنى ، أو زخرفى ، أو عاطفى أو سحرى ، الا ما كان منها لغرض اعلامى ٠

● ومعنى ذلك أننى أبحث هنا عن « الاشارات » و « الادلة » و « الصور » و « الأثر » الاعلامى ومن ثم فان قاعدة الانطلاق الاساسية بالنسبة لى هى ما أسفرت عنه البحوث والتنقيبات والحفريات وما تسفر عنه ، بمعنى أن المجال مفتوح وفيه متسع لاضافات جديدة وعديدة تقوم على عمل وجهد رجال الآثار ٠

●بل ان المجال مفتوح ، بصفة عامة ، لجهـــد الأثريين والمؤرخين والاعلاميين معا ٠٠ لأن هذه الدراسة وان لم تكن كلمتى الأولى فى هذا الموضوع ـ بالنظر الى ما كتبته عنها سابقا ـ الا أنها ليست ولا يمكن أن تكون الكلمة الأخيرة فيه ، لى ، ولغيرى ، بل اننى أعرف تماما أنه ينقصها الكثير من التفاصيل ، ولكن مهما بذلنا من جهد فان الصورة ، سوف تظل ناقصة على الدوام ، وهى طبيعة البحث العلمى ، وحسبى أننى قمت برسم هذه الخطوط الرئيسية المتصلة بهذا الموضوع بالقدر الذى أتيح لى فى حدود هذا الكتاب ٠

● أننى تجاوزت كثيرا عن ذكر بعض التفصيلات المسهبة ، المتصلة بالعصور والاسماء وألوان النشاط المصرى القديم ، الا ما كان منها يساعد على فهم الصورة العامة التى تقوم عليها هذه الدراسة ، وهى ليست دراسة تاريخية أو أثرية ، وانما هى دراسة اعلامية بالدرجة الأولى ٠

ولعلى بذلك كله ، أكون قد وفقت فى وضع جزء من الاساس الحقيقى، والصحيح الذى ينبغى أن يقوم عليه « تاريخ الاعلام » ٠٠ بل لعلها اللبنة الأولى ، فى ذلك العلم الجديد ، الذى يمكن أن يسمى : « الاعلام التاريخى »٠٠ والى كتاب آخر باذن الله ورعايته ، والله من وراء القصد ، ولله الحمد والشكر من قبل ومن بعد ٠

دكتور محمود أدهم

البـــاب الأول

مفاهيم أســــاسية

الفصـــل الأول

التعـــريف بالاعـــلام

اللغـة والمصطلح العلمى

بعد هذه المقدمة المسهبة . والتى ذكرت فيها **قصتى مع هذا الكتاب** ، الذى يتناول جانبا من جوانب النشاط فى ما اصطلح على تسميته بـ « مصر القديمة » ·· بأسراتها ، وملوكها ، وحروبها ، وغزواتها ، وغزاتها ·· وفكرها ، واجتماعها ، واهتماماتها ، وجدها ، وهزلها ·· وما تطرقت فيه الى موضوعات عديدة لها انعكاساتها على هذا الجانب ، وارتباطها به بشكل أو بآخر ··

بعد هذه المقدمة نعود الى موضوعنا الأساسى ، ذلك الذى نحاول ـ من خلال الحقائق العلمية وحدها وما وسعتنا فى ذلك المحاولة ـ أن نجيب عن ذلك السؤال الذى طرحناه فى السطور السابقة ، والذى يقول : هل عرف هؤلاء الأجداد الذين « اصطلح » على تسميتهم بـ : « **قدماء المصريين** » **أو** « **الفراعنة** » **أو** « **أبناء النيل** » **أو** « **بناة الأهرام** » **أو** « **أتباع حور** » **أو** « **أبناء آمون** » ·· وغيرها من مسميات صحيحة كانت أم غير صحيحة ·· هل عرف هؤلاء ، هذا اللون من ألوان النشاط الفكر الاتصالى المطبـــوع أو المسموع أو المشاهد الذى نطلق عليه فى أيامنا هذه ، فى عالمنا هذا تعبير « الاعلام » أو « الاتصال » أو « الصحافة » بأنواعها الثلاثة · المقروءة أو المطبوعة ، والمسموعة والمشاهدة ؟ ··

واذا كانوا قد عرفوه ، فكيف ؟ والى أى حد ؟ وما هى أبرز صور ذلك ؟ واذا كان العكس هو الصحيح ، فالى أى حد أيضا ولماذا ؟

أولا ـ مدخل أســـاسى

·· ان المدخل الطبيعى للاجابة عن هذا السؤال « المركب » وما يمكن أن ينبثق عنه أو يتفرع من أسئلة أخرى ، تدور جميعها فى نفس الدائرة ،

ينبغى أن يمر أولا ، بمعرفتنا بالاعلام نفسه ، ماهيته ومفهومه ووسائله وأنواعه ودوره ووظيفته اذ كيف يمكننا أن نحكم فى النهاية ، بمعرفة أو عدم معرفة هؤلاء بهذا النشـاط الفكرى الفنى الابداعى التحريرى التصويرى المخطوط والمنطوق والمسموع والمشاهد ، دون أن نعرفه هو أولا ٠٠ ونحدد أهم معالمه ، ونتوقف عند أبرز صوره وأساليبه وخصائصه حتى وان تم ذلك كله ، فى عجالة ، أو فى عرض سريع ولكنه يناسب الهدف منه ، وكذا الهدف من هذه السطور فى مجموعها ؟

لكننا ، ولمزيد من الوضوح والدلالة ، قبل أن نقدم هذا التعريف ، فاننا نتوقف عند عدة نقاط منها :

— أن هناك عدة ألفاظ ومصطلحات يستخدمها المؤلفون والباحثون والدارسون اليوم وليس مصطلحا واحدا ، لعل من أبرزها تعبير « **الاتصال** Communication والذى يعود الى الأصل اللاتينى Communicate بما يعنيه من اذاعة أو اعلان أو نشر أو افشاء أو اعطاء ٠٠

— والبعض الآخر يركز على نوعين فقط من أنواع العملية الاتصالية، وهما « الاتصال الجمعى » و « الاتصال الجماهيرى » ٠

— والبعض الثالث يستخدم تركيبا مشتقا من هذا الأصل العـــربى الثلاثى نفسه والذى يشير الى هذه العمليات « الارتباطية » و « التبادلية » نفسها - وصل - ومن ثم فانه يفضل استخدام تعبير « **التواصل** » ٠٠ أو « الوصــــل » ٠

— والبعض الثالث يفضل استخدام تعبير « **الصحافة** » ٠٠ ومن ثم فجميع هذه الأشكال والصور الخاصة بالعملية الاتصالية أو الاعلامية ، تدخل الدائرة الصحفية الكبيرة ، دائرة الصحافة المسموعة والمخطوطة والمشاهدة (نستعرض بعض أوجه الايجاب والسلب فى ذلك بعد قليل) ٠

— لكننا - مع ذلك كله ، نفضل بالنسبة لكتابنا هذا ، وعلى صفحاتنا هذه ، نفضل استخدام التعبير « التقليدى » أو « الكلاسيكى » **تعبير الاعلام** ، وان كان ذلك لا يمنع عندنا من الافادة مما تعنيه هذه التعبيرات والمصطلحات

السابقة كلها حيث أن الاختلاف القائم بينها يعتبر بسيطا ، واهيا ، حيث تكاد تفصل بينها مجرد شعرة رقيقة ، بل ان مفاهيم وتعريفات هذه كلها ليتصل بعضها ببعض اتصالا شديدا ووثيقا ، ٠٠ أما لماذا نفضل استخدام تعبير « الاعلام » على الرغم من وجود هذه الألفاظ والمصطلحات الأخرى ، بما لها من دلالات لا يمكن تجاهلها ، بل الصحيح هو تحقيق ما يمكن تحقيقه من فائدة ، تنتج عن استخداماتها ، فاننا نقول :

— أننا لا نريد أن نخلط فى سطورنا هذه بين أكثر من مفهوم واحد ، ومن ثم نضطر الى التوقف أكثر من مرة لشرح هذا التعبير أو ذاك ، فضلا عما يمكن أن ينتج عن ذلك من تشتت للفكر ٠٠ بالنسبة للاطراف المعنية بكتابنا هذا ٠

— أنه وان كان تعبير « **الاتصال** » هو الأكثر وجودا على صفحات معظم الكتب الجديدة ، حتى أن بعض المؤلفين ، قد استخدم التعبير التقليدى « الاعلام » على غلافة وفى بعض سطور الطبعة الأولى من كتابه ، ثم عاد ليستبدل به تعبير « الاتصال » فى طبعته الثانية ٠٠ اذا كان ذلك هو السائد اليوم على صفحات هذه الكتب ، فان ذلك لا يمنع من القول أن هناك الكتب والصفحات الأخرى التى ما تزال تستخدم تعبير « الاعلام » ٠٠ بل لعل هذا هو التعبير السائد رسميا واداريا وفنيا على المستوى العربى ، فما تزال معظم الوزارات والادارات والأقسام هى وزارات وادارات وأقسام « اعلام » ٠

— والاسم تعوده القراء والناس جميعهم وأصبح أكثر وضوحا فى أذهانهم ، وله دلالاته القريبة منهم ، وليست له ظـــلاله التى يمكن أن يقع الخلاف عليها ٠٠

— لكننا اذا استخدمنا تعبير « **الاتصال** » ٠٠ على الرغم من جدته وصحته معا ، فانه تعبير غير مطروق على المستوى الفكرى العربى العادى ، واذا كانت أبرز الجهات « الرسمية » التى تقوم بهذا العمل هى الوزارات المعنية ، فاننا لم نسمع بعد عن وزارة عربية يقال لها « وزارة الاتصال » وان كانت هناك وزارة المواصلات ، أو وزارة الاتصالات ، فاذا تحدثنا مثلا عن وسائل الاعلام ، وقلنا أنها **وسائل الاتصال** ، لكان هذا التعبيـــر مثارا لظلال وانعكاسات عديدة ، فقد يفهم البعض أن المقصود بها ـ مثـــلا ـ

التليفون والبريد والتلكس والفاكسيميلى ـ ٠٠بل والسيارة والقاطرة والطائرة والباخرة . فجميعها وسائل مواصلات واتصالات معا ٠٠

ـ وقد يقول قائل ٠٠ ان الحل فى استخدام تعبير «**الاتصـــال الجماهيرى** » ٠٠ لكن هذا التعبير أيضا لا يضمن عدم وجود مثل هذه الظلال السابقة ٠٠ فالجمهور ما يزال تعبيرا غير محدد تحديدا كاملا ، واضحا تمام الوضوح ، كما أنه ـ من حيث الدلالة اللغوية ـ يعنى اتصال الجماهير ببعضها ، ومن ثم يتداخل مفهوم « الاتصال الجمعى » ٠٠ ثم هل اتصال رئيس الدولة بالشعب يعتبر اتصالا جماهيريا تماما ، وفى دقة شديدة . لمجرد أنه تم عن طريق هذه الوسائل ؟ ثم ٠٠ أليس الترام والمترو والقطار والأتوبيس هى وسائل « اتصال » جماهيرية أيضـــا ، تماما كما أنها « مواصلات » ٠ أى أن الاتصال أكثر شمولا ، وتنوعا وتعددا من جانبه الاعلامى فقط ٠

ـ وقد يقول قائل آخر ، ان الحل هو فى استخدام تعبير « **الاتصـال الاعـــلامى** » ، وذلك صحيح ، وأكثر صحة ـ فى رأينا ـ من التعبيـــرات السابقة « الاتصال ـ التواصل ـ الاتصال الجمعى ـ الاتصال الجماهيرى»٠٠ لكننا باستخدامه نعود الى استخدام تعبير « الاعلام » ٠٠ بل نخلط بين التعبيرين ، فى هذا المصطلح الثنائى ، وهو ما يعنى أن البعض لن يفهمه تماما ، كما أنه سيفكر مرة ومرة فى ذلك الذى يعنيه ، تماما كما أن الأذن لم تتعوده ٠٠ والا ، فما رأيكم فى أن نقترح ـ مثلا ـ تسمية وزارة الاعلام وزارة الاتصال الاعلامى » ؟ !!

ـ ثم ان الاعلام أكثر وضوحا ، وأقرب الى الفهم ، وهو ما تعوده الناس وألفوه وليس للفظ تداخلات أو ظلال الا مع لفظ « العلم » وهو تداخل صحيح تماما ، وصادق الدلالة أيضا ، كما سنرى باذن الله ٠٠

ـ أما عن مفهوم الاتصال ، فان هناك العديد من ألوان الاتصال البشرى ، بعضها يتناوله ويختص به علم « الاجتماع » وبعضه تختص به علوم أخرى عديدة لا تمت الى « العملية الاعلامية » بصلة قريبة أو بعيدة ٠

ـ وبالمثل يكون تعبير « التواصل » الذى يعتبر « فذلكة » و «تقعرا»

لأنه فى الأصل يعنى الاستمرار ، استمرار كل شىء وأى شىء ٠٠ اعلامى أو غير اعلامى ولعل أبرزه هنا تواصل الاجيال والعهود ، وما الى ذلك كله . بما يبعد به عن المجال الاعلامى بمعناه القريب ٠

٠٠ ومن أجل هذه الأسباب كلها ، رأينا استخدام تعبير أو مصطلح « الاعلام » ، لأنه الأفضل والأقرب الى طبيعة الوظيفة على الرغم من عدم رفضنا للتعبيرات والمصطلحات الأخرى، لا سيما تعبير« الاتصال الاعلامى»٠٠

وما دمنا قد اخترنا هذا التعبير ، لنتوقف اذن عنده من خلال وجهتى النظر اللغوية أولا ، والعلمية ثانيا ٠٠

ثانيا ـ من الزاوية اللغـوية

٠٠ بعد هذا المدخل القصير ، نتوقف هنا عندما لابد من التوقف عنده ، ونحن فى مجال تعريف الاعلام ، حتى يمكن لمثل هذه الوقفة أن تحملنا بعد ذلك ، الى الاجابة عن هذه الأسئلة « القياسية » التى طرحناها من قبل ، عن معرفة أو عدم معرفة أجدادنا بمثل هذا النشاط المتميز ، ضمن ما عرفه هؤلاء ، أو ما لم يعرفوه من ألوان النشاط المختلف والمتعدد ، نعم لابد من التوقف أولا ، وبادىء ذى بدء ، عند معنى تعبير « الاعلام » لغويا ٠٠ من خلال القاء نظرة الطائر ، على عدد من معاجم اللغة العربية ، لنرى ما الذى ذكرته مما يتصل بهذا اللفظ ، ثم نعلق على أقوالها بعد أن نضيف اليهـا أقوال الاعلاميين أنفسهم من خلال مفهومنا الخاص ، ومرئياتنا الخاصة أيضـــا ٠٠

● ان العلامة « **أحمد بن محمد بن على المقرى الفيومى** » صـاحب المعجم المسمى « **المصباح المنير** » ٠ يذكر فى كتاب العين ، العين مع اللام وما يثلثهما (علم) ٠٠ كلاما كثيرا نختار من بينه ، « العلم اليقين يقال علم يعلم اذا تيقن وجاء بمعنى المعرفة أيضـا كما جاءت بمعناه ضمن كل منهما معنى الآخر لاشتراكهما فى كون كل واحد مسبوقا بالجهل ، وفى التنزيل مما عرفوا من الحق أى علموا ـ وقد يضمن معنى شعر فتدخل الباء فيقال وعلمت به **وأعلمته الخبـــر وأعلمته به** وعلمته الفاتحة والصـــنعة وغير ذلك » (١) ٠

● ويذكر الامام « **محمد بن ابى بكر بن عبد القادر الرازى** » ٠٠ فى باب الميم فصل العين من « مختار الصحاح » قوله : « علم ـ وعلم الشىء بالكسر يعلمه علما : عرفه ورجل علامة أى عالم جـــدا والهاء للمبالغة **واستعلمه الخبر** وأعلمه اياه ـ ويقال أيضـــا **تعلم بمعنى اعلم** ٠٠ قـــال عمرو بن معد يكرب :

« **تعلم** أن خير الناس طرا قتيل بين أحجار الكلاب » (٢)

ويضيف الرازى قائلا : « قال ابن السكيت : تعلمت أن فلانا خارج : أى علمت ٠ قال واذا قيل لك اعلم أن زيدا خارج قلت قد علمت ٠٠ *الخ*»(٣)٠

● ويذكر العلامة « مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادى » فى فصل العين باب الميم من الجزء الرابع من « القاموس المحيط » ٠ قوله عن هذا المصدر أيضا : « علمه كسمعه علمـــا بالكسر عرفه ـ أعلمـــه اياه فتعلمه ـ الجميع علموه » (٤) ٠

● ٠٠ كذلك فان « **الشيخ أحمد رضا** » صاحب « **معجم متن اللغة**» يقول كلاما كثيرا يتصل بهذا المصدر الثلاثى نفسه ـ ع ل م ـ نختار من بينه : « علمه علما عرفه حق المعرفة ، وبه شعر / وعلم هو فى نفسه / علمه تعليما وعلاما صيره ذا علم وعرفه به / تعلم الأمر علمه : أتقنه / تعالم الشىء الناس علموه » (٥) ٠

● ٠٠ وأخيرا ـ وليس بآخر ـ نقدم قليلا من كثير يذكره العلامة « **جمال الدين بن منظور** » فى معجمه الكبير المسمى : « **لسان العرب** » ٠٠ ان من بين أقواله مما يتصل عن قريب بموضوعنا : « وعلمت الشىء أعلمه علما : عرفته ـ يقال تعلم فى موضع أعلم ، وفى حديث الدجال تعلموا أن ربكم ليس بأعور بمعنى اعلموا وكذلك الحديث الآخر تعلموا انه ليس يرى أحد منكم ربه حتى يموت بمعنى اعلموا ـ وعلم بالشىء شعر يقال ما علمت بخبر قدومه أى ما شعرت ويقال استعلم لى خبر فلان وأعلمنيه حتى أعلمه ، واستعلمنى الخبر فأعلمته اياه ، ويجوز أن تقول علمت الشىء بمعنى عرفته وخبرته وعلم الرجل خبره » (٦) ٠

٠٠ ثم ننتقل الى جانب آخر ، من جوانب هذه المفاهيم ٠٠

ثالثا ـ فى كتب الاعلام

.. واذا كانت هذه هى أقوال المعاجم العربية ، التى قام باعدادها هؤلاء الأئمة والعلماء عن هذا المصدر « علم » .. فما الذى يقوله المؤلفون فى حقل الاعلام نفسه المتعدد المجالات عن هذا اللفظ وما يعنيه ؟. وما مفهومه الذى يرون صحة دلالته عنهذا النشاط ؟طالما أن ذلك كله هو موضوع صفحاتنا القادمة .. انا نقدم هنا أهم وأبرز هذه الأقوال ، ولا أقول جميعا .. أن الاعلام عند علمائه وباحثيه من خلال أقوالهم ، قديمة أو جديدة ، مباشرة أو غير مباشرة هو :

(أ) فى المؤلفات العربية

● ففى كتابه الرائد : « فن العلاقات العامة والاعلام » .. ومن زاوية العلاقة بين هذين ، يرد ذكر أكثر من تعريف لموضوعنا ، من أهمها :

.. المقصود بالاعلام نشر الحقائق والاخبار والافكار والاراء بين جماهير الشركة أو الهيئة أو المؤسسة بوسائل الاعلام المختلفة كالصحافة والاذاعة والسينما والمحاضرات والندوات والمعارض والحفلات وغيرها » (٧)
.. ويقول فى موضع آخر يرتبط بفن العلاقات العامة وجماهير مؤسساتها على أى شكل من أشكالها ، « .. الاعلام هو تلك العملية التى يترتب عليها تأثير فعلى فى عقلية الفرد أو الجمهور ، ولا يمكن أن نطلق على ما ينشر من أخبار وصور وتعليقات وغيرها اعلاما ، الا اذا تحقق ركن احاطة الجماهير علما بمضمون الاعلام » (٨) .

● ..ومن خلال استعراضه لعدد من التعريفات المتنوعة للاعلام ، والتى أوردها عدد كبير من الباحثين ـ على حد قوله ـ وكذا بالنظر الى التطبيقات والتجارب الاعلامية المختلفة ، يخلص مؤلف آخر الى التعريف التالى للاعلام :

« الاعلام هو كافة أوجه النشاط الاتصالية التى تستهدف تزويد الجمهور بكافة الحقائق والاخبار الصحيحة والمعلومات السليمة عن القضايا والموضوعات والمشكلات وماجريات الأمور بطريقة موضوعية وبدون تحريف

بما يؤدى الى خلق أكبر درجة ممكنة من المعرفة والوعى والادراك والاحاطة الشاملة لدى فئات جمهور المتلقين للمادة الاعلامية بكافة الحقائق والمعلومات الموضوعية الصحيحة عن هذه القضايا والموضوعات وبما يسهم فى تنوير الرأى العام وتكوين الرأى الصائب لدى الجمهور فى الوقائع والموضوعات والمشكلات المثارة والمطروحة » (٩) ٠

● ويرى أحد الزملاء ممن عملوا فى حقل الاعلام بالجامعة العربية، أن الاعلام يعنى : « الالتزام بالتعبير الموضوعى عن الحقائق دون أى تحوير أو تغيير لتحقيق أى هدف خاص أو مصلحة ذاتية » (١٠) ٠

● وفى رأى أحد المؤلفين أن ما يقصد بالاعلام هو : « ٠٠ تلك العملية التى يترتب عليها نشر الاخبار والمعلومات الدقيقة التى ترتكز على الصدق والصراحة ومخاطبة عقول الجماهير وعواطفهم السامية والارتقاء بمستوى الرأى » (١١) ٠

(ب) مع بعض المؤلفات والتعريفات المعربة

٠٠ ، ثم ماذا ؟

ثم نمد أبصارنا كذلك الى عدد من المؤلفات الأجنبية المعربة ، انجليزية وفرنسية وأمريكية ومن ثم ، ولأن بعض هذه المؤلفات يستخدم تعبير « اعلام» الأكثر صحة من تعبير « الاتصال » فى رأينا ٠٠ وبعضها الآخر ، يستخدم هذا التعبير الأخير ، سواء أضاف اليه صفة « الجماهيرى » أو « الاعلامى » أم لم يضف ٠٠ من أجل ذلك فاننا نمر جوازا ، بالنوعين معا ، كما نشير على وجه التحديد الى الأقوال التى لا تذكر هذا التعبير ومعناه فقط وانمـــا ـ لاضافة ايجابية ـ تشير الى قصة معرفته واستخداماته ٠

● ٠٠ ففى مؤلفه الشهير : «**الاعـلام** » يقدم الفرنسى « **فرنان ترو** » عدة مرئيات لمفهوم هذا النشاط ، من أبرزها ما يرتبط بقصة استخدامه وذلك على النحو التالى : « لكلمة الاعلام حظوة فريدة من اللغة العادية حيث تشير بذات الوقت الى عمليتى استقاء المعلومات واعطائها » (١٢) ٠٠ ويقول فى سطور أخرى : « ولقد أدى مختلف استعمالات هذه الكلمة الى بعض

الغموض والى تناسى مصدرها ، وهذا المصدر ينطوى على فكرة الاخراج فى سبيل الاطلاع ، وهذا المعنى الاساسى مع مشتقاته يفسر ويسوغ استعمال كلمة اعلام للاشارة الى تقنيات النشر الكبرى والى الحرية أو النشاطات الاجتماعية الأســـاسية التى جعلت من هذه التقنيات وسائلها الرئيسية » . ومن ثم ، فانه يذكرنا بقصة استخدام هذا التعبير وتطور هذه اللفظة بتطور الوسائل .. حتى عرف لفظ « الاعلام » .. وذلك على النحو التالى : « كان لابد من ايجاد لفظة عامة تدل بذات الوقت على هذه الحاجة ـ الحاجة الملحة لابداء الرأى ـ هيجل ـ وعلى الوسائل الكفيلة بتلبيتها ـ حين أعطى اكتشاف المطبعة وتطورها نشر الافكار والمعارف وتلك الانطلاقة الثورية استعيرت من المطبعة الألفاظ التى تحدد حرية التعبير بوجه عام ، وقد ظهر هذا أولا فى أو أكبر دفاع عن حـــرية التعبيـــر الذى أطلقه ميلتون ســـنة ١٦٤٤ تحت عنوان : (**خطاب لمصلحة حرية الطباعة**) ثم استعمل تعبير (الطبع) المشتق من المطبعة للدلالة على كل وسائل النشر و (المطبوع) لكل ما ينشر»(١٣) .. وبعد أن يمر باستخدام تعبير الصحافة المطبوعة ثم ما أدت اليه الاكتشافات العلمية من أجهزة حديثة كالراديو والتليفزيون والسينما يعود فيقول : « كان لابد من لفظة جـــديدة لا تدل فقط على المطبـــوعات بل على مجمـــوعة تقنيـــات النشر الكبرى والمعضـــلات المبدئية التى يثيرها على الصـــعيد الاجتماعى وضعها واستعمالها ـ طال التردد وما يزال فى فرنسا حول اختيار هذه اللفظة ، فأكتفى بعضهم باستعارة الصيغة الأمريكية : (وسائل الجمهور) .. ونشأ مركز دراسات فى باريس بهذا الاسم ، لكن هذا التعبير أعوزه الوضوح » (١٤) .. ويضيف قائلا : « واستعملت أيضا صـــيغة (تقنيات النشر) التى أضيف اليها نعت (الجماعى) فيما بعد .. وقد نشأ معهد فى جامعة بروكسل يحمل هذا الاسم ، لكن هذا المصطلح لم يكن ليفى بالغاية . لأنه عبر عن الوجه المادى لوسائل الاعلام فهو لم يشر الى حرية النشر ، وكذلك كلمة (صحافة) التى تستعمل للدلالة على ممارسة هـــذه المهنة ، بينما كلمة (اعلام) تصلح تماما لجميع الاستعمالات موضـــوع البحث » (١٥) .. الى أن يقول فى النهاية : « .. وهكذا يدل الاعلام الجماعى على عملية نشر المعـــرفة أو الرأى بين الجمهور ، وكيفياتها فى أنســـب الأشـــكال » (١٦) .

● ويقترب من ذلك القول عـــدد من أســـاتذة الاعـــلام بالجامعات الأمريكية .. ومن بين كلماتهم على سبيل المثال لا الحصر :

·· فبعد حديثهم عن تركيز العمل الاعلامى فى الصحافة التى كان يمارسها المغامرون والجوالون ·· قبل أن يكتمل دور وسائل الاتصال الأخرى ·· يقول هؤلاء : « ·· الصحافة اذن كانت كلمة طيبة لوصف الوسائل فى تلك السنوات التى كانت فيها معظم الاتصالات تتم بواسطة المجلات ـ ثم جاءت ثورة الاتصال فى القرنين التاسع عشر والعشرين لتقدم السينما والراديو والتليفزيون ، فانضمت الى الوسائل المطبوعة لنشر الاخبار والافكار والامتاع ·· وبسبب طبيعتها الاليكترونية ، وكذلك بسبب تنوع طرقها فى اداء مهامها ، أصبحت كلمة الصحافة اصطلاحا مهجورا لا يعبر عن كل الوسائل » (١٧) ··· الى أن يقولوا ·· « أما اليوم فاننا نستطيع أن نتحدث عن وسائل الاتصال أو وسائل الاعلام ، وهما اصطلاحان أكثر دقة من اصطلاح الصحافة عندما نشير الى الوسائل الأخرى غير الصحف والمجلات ـ اصطلاح الاعلام يمكن تعريفه أحيانا بطريقتين : الاتصال عن طريق الوسائل والاتصال بالجماهير ، ومع ذلك فالاعلام لا يعنى الاتصال بكل شخص ، فالوسائل تنحو نحو اختيار جماهيرها كما أن الجماهير تختار من بين الوسائل ·· » (١٨) ·

● كذلك فقد وردت هذه المفاهيم كلها ، فى ثنايا المؤلفات المعربة ، أو الأجنبية ، من تلك التى استخدمت تعبير « الاتصال » ·· نذكرها أيضا على سبيل المثال لا الحصر ، حتى يمكننا أن نفيد منها فى دراستنا القادمة ، فى صفحاتنا القادمة باذن الله ، وعلى أساس أن المفاهيم متقاربة ، وأن الوسائل ، والأهداف والتوجهات والأساليب واحدة ، باستثناء بعض أوجه النقد التى سبق تقديمها ·· بالنسبة لهذا التعبير ·

ـــ « الاتصال هو النشاط الذى يستهدف تحقيق العمومية أو الذيوع أو الانتشار أو الشيوع أو المألوفية لفكرة أو موضوع أو منشأة أو قضية عن طريق انتقال المعلومات أو الافكار أو الآراء و الاتجاهات من شخص أو جماعة الى أشخاص أو جماعات ، باستخدام رموز ذات معنى واحد ومفهوم بنفس الدرجة لدى كل من الطرفين » (١٩) ·

ـــ « سواء همس زيد من النـاس فى أذن صديق أو صاح (حريق !) ·· أو ابتسم أو ظهر فى التليفزيون أو قرأ كتابا أو أبدى اعجابه بقطعة فنية أو أصغى الى اسطوانة ذات شروخ · فهناك عملية اتصال داخلية

فى الأمر ، ذلك لأن هناك رسالة قد قام المرسل بجمعها ثم نقلت وحـــرفت بوسيط أو وسيلة من وسائل الاتصال » (٢٠) ٠

ــــ ٠٠ و « **كارل هوفلاند** Carl Hovland » يعرف الاتصـــال بأنه « العملية التى ينقل الفرد ـ القائم بالاتصال ـ بمقتضياها منبهات (عادة رموز لغوية) لكى يعدل سلوك الأفراد الأخرين(مستقبلىالرسالة)٠٠»(٢١)٠

ــــ ٠٠ و « **تشارلز كولى** C.H. Cooley » يعــرف الاتصـــال بأنه « ذلك الميكانزم الذى من خلاله توجد العلاقات الانسانية وتنمو وتتطور الرموز العقلية بواسطة وسائل نشر هذه الرموز عبر المكان واستمراها عبر الزمان، وهى تتضمن تعبيرات الوجه والايماءات والاشـــارات ونغمات الصـــــوت والكلمات والطباعة والخطوط الحديدية والبرق والتليفون وكل التدابير التى تعمل بسرعة وكفاءة على قهر بعدى الزمان والمكان » (٢٢) ٠

(هـ) فى بعض المؤلفـــات الأجنبية

٠٠ وحتى تكتمل معالم هذه الجولة ، بأبعادها المختلفة ، ومن ثم يتحقق الغرض المنشود فى حدود « الدور الوظيفى » لهذه التعريفات كلها ، وصلتها بموضوع هذا الكتاب ، وكذا حتى نقدم مزيدا من الفكر حول هذا التعبير ، الاعلام ، أو الاتصال ، فاننا نختتم هذه النظرة التعريفية ، بمرور عابر على بعض المؤلفات الأجنبية من الشرق والغربلنتعرفعلى رؤيتها ورؤية أصحابها المباشرة وغير المباشرة بالنسبة لهذا التعبير أو ذاك ٠٠٠

ــــ ان أحد هذه المؤلفات يقول فيه صاحبه : « ان الوجود النامى للاتصال الجماهيرى ووسائله مثل التليفزيون والسينما والاذاعة والصحافة وغيرها قد أصـــــبح أحد المعالم المحددة للحيـــاة اليومية للعـــــديد من المجتمعات » (٢٣) ٠

ــــ ونقرأ فى أحد الكتبلبعض رواد دراسة الاتصال قولهم فى تعريف مركز : « فى تحديد بسيط ٠٠ ان الاتصال هو فن نقل المعلومات والافكار والمواقف من شخص الى شخص آخر » (٢٤) ٠

ــ ويقول أحد الذين يفضلون استخدام تعبير « **الصحافة** » بمعناه الشامل ، على النحو السابق توضيحه ، وكبديل لتعبير الاعلام ، أو الاتصال معا ٠٠ ، الصحافة ، هى ذلك الجانب من النشاط الاجتماعى الذى يعنى بنشر الأخبار والاراء الخاصة بمجتمع ما ، والصحافة بمعناها الحديث تنقسم الى خمسة أنواع من وسائل الاتصال الجماهيرى : الصحف اليومية والدوريات والاذاعة والتليفزيون والافلام والاعلانات » (٢٥) ٠

ــ وبالمثل يقول آخر عن معنى الاتصال الجماهيرى : « انه يعنى بالضرورة نشر المعلومات والافكار والتسلية بواسطة وسائل الاتصال ، وهذه الوسائل قد تكون جديدة مثل الراديو والتليفزيون والسينما والصحافة والنشرات والاعلانات ، أو تكون تقليدية مثل الرقص الشعبى ، والدراما (المسرح) ٠٠ والعرائس » (٢٦) ٠

٠٠ كافية هى هذه الجولة التى قمنا بها حتى الآن ٠ ٠وذلك من زاوية هذا الحشد من التعريفات كافية هى لاعطاء المثال ــ أو هكذا نراها ــ لكنها ليست كافية تماما لتقديم هذا المفهوم الذى نرجو تقديمه للاعلام ، المعنى ، والفن ، والعمل ، والدور أو الوظيفة ٠٠ والذى لابد من تقديمه ، بكل مايتصل به من زوايا ومجالات وأبعاد ٠٠ وبكل الوضوح أيضا ٠٠ قبل أن نقول كيف ؟ وما السبيل الى ذلك ؟ نتوقف عند بعض النقاط المهمة ، التى تتصل بهذه التعريفات السابقة ، والمتعددة أيضا ٠٠ والتى تجمع بين الشروح والملاحظات والنتائج ٠٠ وكذا بين بعض التعليقات التى لابد من تقديمها ــ فى هذا المجال ، لأهميتها بالنسبة له أيضا ٠٠

رابعا ــ تعـــريفات وأضـــواء

٠٠ نعم ، ان القاء عدد من الأضواء الشارحة والمفسرة على التعريفات السابقة فى مجموعها ، سواء منها ما تناول التعبير من زاوية لغوية ، أو من زا وية اجتماعية ، أو بالنسبة لهؤلاء الذين أشاروا الى طابع العمليـــة الاعلامية ، والى دورها وأهميتها ، أم أشاروا الى غير ذلك من جوانب ٠٠ يمكن من خلال مثل هذه الأضـــواء ان نضع يدنا على بعض النقاط الآتية والتى بتضافرها معا ، نكون قد قطعنا قدرا لا بأس به ٠٠ من الطريق الطويل

الوصل الى معرفة ماهية الاعلام ·· تمهيدا لتطبيق هذه المعرفة ، على جوانب النشاط المصرى القديم ··

١ ـ ·· ولعل أهم ما يلفت انظارنا فى تعريفات المعاجم العربية ، ذلك **التماثل القائم بين لفظى العلم بمعنى المعرفة هنا ، وبين لفظ الاعـــلام ··** والعلم هنا معناه العلم بالشىء أى المعرفة به وليس معناه العـلم بمفهومه القريب الى الأذهان ·· العلم الذى يتعلمه التلاميذ فى المدارس والطلاب فى الجامعات ، وان كان المدقق فى هذا المعنى ، يراه قريبا منه أيضا من زاوية أن العلم الذى يقدم فى المدارس هو فى معظمه « معلومات » ·· والمعلومات الجديدة على قارئها وسامعها ومشاهدها،هى جانب مهم من المادةالاعلامية ، لكن الهدف هنا مختلف كماأنه يتجه الى تحقيق معارف من نوع خاص ، أما الذى لا شك فى اختلافه مع هذا المفهوم ، فهو العلم بمعنى التعلم ·· العلم المهارى اليدوى أو الآلى التطبيقى التكنولوجى ··

التماثل قائم وشديد بين العلم بمعنى المعرفة ، وبين الاعلام ، وليس بمعنى العلم بمعنى ما يتعلم ·· ولعل ذلك يتفق مع نظرة الأوائل الى العلم فى مفهومه الشامل ·· بل لعل بيت « **زهير بن أبى سلمى** » ·· يوضح هذا المعنى عندما قال :

وأعلم علم اليـــوم والأمس قبـله ولكننى عن علم ما فى غد عمى

ومعنى ذلك أن ما يقدم للناس بقصد « العلم » به ·· مما لم يكونوا يعرفوه ·· هو من نوع الاعلام ·· ومن نفس جنسه ، سواء قدم فى العصور الغابرة والسحيقة ، أو قدم فى أيامنا هذه ··

٢ ـ ولعل ذلك يعنى أيضا ، تلك العناية الشديدة بالجانب الاخبارى ؛ ذلك لأنه اذا كانت هذه المعاجم وغيرها تكاد تجمع على أن مصدر « الاعلام » ·· الفعل الثلاثى علم ، بمعنى عرف شيئا كان يجهله ، فان هذا الشىء لابد أن يكون « **خبرا** » **على أى شكل من أشكاله** أو مادة تتصل به بطريقة أو بأخرى انه اعتراف « جوانى » وضمنى وغير مباشر باهمية « الاخبار » فى العملية « العلمية » ·· و « الاعلامية » معا ·· أى أن الاعلام هنا ، والعلم ، والمعرفة يمكن أن تضاف اليها تعبيرات أخرى ، وتكون صحيحة الدلالة أيضا ومن

بينيا « الابلاغ » وكذا « الاخبار » بكسر الألف الثانية ·· لا سيما على هذا الجانب الأول من العملية الاعلامية ·· حتى هؤلاء الذين يتوجهون بالنقد الى تعبير « الاعلام » لأنه يتضمن فى رأيهم هذا الجانب فقط جانب نشر أو بث أو تقديم المعلومات والاخبار ـ مثل **فرنان ترو** ـ نقـول لهم لا ·· لأن **اللفظ « الاعلام » يتسع مصطلحا ، وتطبيقا ، ليشمل تقـديم التوجيهات والتفسيرات ووجهات النظر والاراء المهمة** ، لأن رجل الاعلام هنا ، وحتى الناقد والكاتب والمعلق ·· بتقديمهم لها على أمواج الأثير ، أو على الأماكن المخصصة لذلك ـ الأعمدة الصحفية مثلا ـ انما يعلمهم بها ، وفى أحوال كثيرة يكون رأى الرجل المهم فى الموضوع المهم ، هو أهم أخبار الصفحة الأولى ·· ولعل ذلك هو ما دفعنا الى القول فى تعريفنا للخبر الصحفى أنه :

« وصف موضوعى دقيق تطلع به الصحيفة أو المجلة قراءها ·· ·· ·· على الوقائع والتفاصيل والاسباب والنتائج المتاحة والمتابعة لحدثحالى أو رأى أوموقف جديد أو متجدد ·· » (٢٧) وصحيح أن التفرقة واجبة بين الاخبار والآراء ، ولكن كثيرا ما تعتبر الآراء المهمة بمثابة أخبار ، بل وكثيرا ما تصنع المانشيتات نفسها ·· هى رأى لرجل مهم جدا ، رئيس دولة ، قائد عسكرى ، خبير عالمى ، وهى خبر أيضا !!·· ثم أليست هذه تتناول بالنقد أو التعليق أو الشرح من خلال وجهة النظر الخاصة ، خبرا من الاخبار الحالية والساخنة ؟

٣ ـ أى أن الاعلام لا يتم الا من خلال مادة ، وهذه المادة التى يعلم بها الآخرون ـ بضم الياء ـ ممن نتوجه اليهم بها تتمثـل فى الاخبـار والمعلومات ، والحقائق ، والآراء ، والأفكار والارقام والصور والرسـوم العادية والبيانية والتوضيحية ·· وغيرها مما سنذكره فى سطور قادمة باذن الله ، حيث تتوزع هذه على أطر جديدة ، وتأخذ أسماء ومصطلحات جديدة أيضا ، تتناسب والطابع الاعلامى العام ، وتعرف به ، وتكون علما عليه ·

٣ ـ ومادام الاعلام هو : « **كافة أوجه النشاط الاتصالية** » ·· ومادام الانسان قد ولد اجتماعيا بطبعه ·· فهو بطبعه كذلك ، قد ولد اتصاليا ·· أى أن الاعلام كان قائما ، منذ بدأ الانسان « يتصل بغيره » ·· ليعلم منه الكثير من أحوال قوته ولباسه وصيده ، بل وعن مجتمعه الصغير أيضا ،·· مما سنوضحه فى سطور قادمة ·· لكننا هنا نكتفى بالاشارة الى أن الاتصال،

وما يليه من « تعريف » او « اعلام » أو « ابلاغ » أو « اخبار » جميعها فى واقع الأمر ، تعتبر « ظواهر انسانية » صاحبت الانسان منذ وجوده على هذه الأرض ٠٠

٤ ـ أن الاجماع قائم تماما على أن الاعلام لابد وأن **يرتبط بالحقائق** وأن يتصف بالصدق وأن تكون مادته دقيقة ، صحيحة ، وثابتة ٠٠ فلا دعاية، ولا تلوين ، ولا تحريف ، ولا « تصنيع » ولا كذب ، ولا خداع ٠٠ وهو فى ذلك يختلف عن بعض أنماط الاتصال الاخر » ، ذات الأهداف والتوجهات المختلفة ٠٠ ولعله فى ذلك يأخذ كثيرا من هذا الذى يتصف به التعبير المتماثل معه « العلم » أو « المعرفة » ٠٠

٥ ـ وصحيح أن الاعلام يستهدف أيضا التأثير فى الجمهور ـ القارىء أو المستمع أو المشاهد ـ من أجل احراز النتائج المرجوة ، أو المستهدفة ، لكن طريقه الى ذلك ، هو المادة الصادقة والصحيحة والدقيقة ، على أى شكل من أشكالها ، أو نمط من أنماطها ، أو بأساليب انتاجها المختلفة ٠٠

٦ ـ ٠٠ واذا كان ذلك مما يزيد من اقتراب الاعلام من العلم ـ تعريفا ومفهوما ـ فان هنالك « خاصة » اعلامية أخرى تؤكد ذلك ، تلك هى ضرورة اختيار الوسيلة الاعلامية المناسبة واللغة المناسبة ، والوقت المناسب أيضا ٠٠ للجمهور المستهدف٠٠أن ذلك يؤكد موضوعية الاعلام ، وأهمية تعبيرهالواقعى عن نمطية الجماهير وأهدافها وطموحاتها ، وعن ميولها واتجاهاتها ، وعن أفراحها وأتراحها ٠٠ وحتى عن مشكلاتها التى تؤرقها وتقض مضاجعها ٠٠

ولكن كيف ؟ وما صورة ذلك كله ، فى وادى النيل ، منذ آلاف السنين ؟

الفصـــل الثانى

الاعـلام ٠٠ معالم أســاسية

٠٠ وحتى تكون نظرتنا الى الاعلام أكثر شمولا ، **وحتى نحيط بأبرز ملامحه ومعالمه** ، تلك التى سوف نقوم – بعون الله – بتطبيقها ، بشــكل أو بآخر ، على الواقع الفكرى السائد فى مصر القديمة ، وعلى هذا النشاط الذى قدمه أبناؤها ، والذى نضعه فى دائرة البحث ، حتى نقوم بذلك على وجه طيب ومفيد ، فانه يصبح من الضرورى أن نتوقف عند عدد من المعالم التى تزيد من صورة الاعلام وضوحا ، وفهما ٠٠ ان هذه كلها تشمل ما تتحدث عنه الكلمات والسطور والفقار الآتية ، تلك التى قبل أن نذكرها ، فاننا نتوقف عند عدد من الملاحظات المهمة من بينها :

– أننا نتحدث عن هذه النقاط **بتركيز شديد** ، وكعنوانات مفسرة وموضحة فقط ، لأن موضوعنا الأساسى ، هو ذلك الذى يتمثل فى النزول بها الى حيز التطبيق العملى فى مصر القديمة ٠

– أننا أبقينا بعض النقاط للحديث عنها فى مقدمة « **مجال التطبيق** » نفسه ، ومن ذلك مثلا الحديث عن دور الاعلام ، فقد أبقيناه ليكون بمثابة « مدخل » لتناول هذا الدور كما كان على أيام هؤلاء الأجداد ٠

– تماما كما سيكون تركيزنا على قواعد ، وركائز **العملية الاتصالية أو الاعلامية** ٠٠ تلك التى سوف تكون منطلقنا الى الصفحات التالية ، ومن هنا فنحن نقول :

العملية الاعـــلامية « الاتصـــالية »

٠٠ وصحيح أن هناك أكثر من « **انموذج** » لــــا يدور من عمليــات اعلامية واتصالية ، لكن ، لأن مجالنا هنا ليس مجال دراسة هذه العملية ، على اختلاف أنواعها ، فاننا سوف نركز على أنموذج واحد لعملية واحدة

فقط ، هى « العملية الاعلامية التقليدية » ٠٠ ذلك لأنها تكاد تكون ابسط العمليات ، وأكثرها سهولة ، كما أنها تستجيب أكثر من غيرها لمتطلبات التطبيق الذى ننشده ٠٠٠ وصحيح أننا سوف نمر خلال الصفحات القادمة ببعض معالم النماذج الأخرى ، لا سـيما « الأنموذج الوظيفى » وكـذا « الأنموذج اللغوى » ٠٠ عندما يكون ذلك بمثابة مطلب كتابى تفسيرى ، لكن قاعدة انطلاقنا الاساسية ، ستكون هى العملية الاتصالية التقليدية ٠٠ تلك التى تزخر كتب الاعلام والاتصال بالحديث عنها ، والتى تركزت فى تلك الفكرة التى ابتكرها أو اقترحها « هارولد لاسويل Harold Lasswell لتقوم على أدوات الاستفهام التى تمثـل اجاباتها « وصفا » أو « تقريرا » أو تحليلا لما يدور بين البشر من عمليات اتصـالية فـردية أو جمعية أو جماهيرية ، وعلى أى شكل من أشكالها أما أدوات الاستفهام أو الأسئلة (هى فى واقعها أربع من أدوات الاستفهام وسؤال واحد جوازا ومن الممكن أن تكون خمسا باعتبار أن الأخيرة مضمونها لماذا ؟) ٠

— من who ?

— يقول ماذا What ? ٠٠ او says what

— لمن to whom ?

— كيف How ?

— وبأى تأثير (لماذا ؟) Why or with what effect ?

كما يتصل بذلك أيضا ما يسمى بـ « رجع الصدى » أو « ترجيع الأثر » لأهميته فى تحقيق الرؤية النهائية لهذه العملية (*)٠

لكننا نضيف هنا ، هذه السطور ، المرتبطة بهذه العملية نفسها ٠٠

١ ـ المرسـل :

وكما نقول بأنه لا علم بغير علماء ، ولا كتب بدون مؤلفين ، ولا محصول

(*) فى اعتقادى أن فكرة هذه الاسئلة قد أخذها « هـ ٠ لاسويل » عن فكـرة الشقيقات الست التى تمثل أركان الخبر وهى : « ماذ ؟ من ؟ متى ؟ كيف ؟ اين ؟ لماذا» والتى أضفنا اليها الشقيقة الجديدة « كـم ؟ » ٠

بدون زراعيين ··· الخ ، فاننا نقول أيضا أنه لا رسالة ، بغير مرسل ·· بغير هذا العنصر الذى يقوم وحده أو مع غيره بالتفكير فى هذه الرسالة ، وتنفيذها بما يتوافر لديه من مهارات وامكانيات مناسبة ، ثم يقوم بارسالها على النحو والطريقة التى سوف نشير اليهما بعد قليل ·· وبصرف النظر عن المفهوم الدينى لهذه الكلمة فان هناك العشرات من « المرسلين » ·· من بينهم على سبيل المثال لا الحصر :

— مرسل « الخطابات » فى الاعلام الشخصى الفردى · ومثله مرسل « البرقية » العادية ، أو « التليكس » ·
— ناشر الصحيفة أو المجلة (صاحبها) ·
— الكاتب ·
— المندوب أو المحرر ·
— الوزير المختص (عن طريق أعوانه) ·· أو هو شخصيا (مخططا ومشرفا على التنفيذ) ·
— مؤلف المسرحية أو الفيلم ·
— مصور الصورة ·
— رسام الكارتون أو الكاريكاتير ·
— مؤلف « النشيد » ··

وهكذا يكون باستطاعةكل فرد منا ، أن يكون مرسلا لعملفردى شخصى أو مرسلا لعمل جماهيرى ، ان كان يعمل فى الحقل الاعلامى ·· حتى أكبر رأس فى البلاد ، الامبراطور أو الملك أو رئيس الجمهورية ، يصبحوا « مرسلين » الى شعوبهم عن طريق آخرين ، فى معظم الأحوال وبشخصياتهم، وذواتهم فى مناسبات وطنية أو قومية أو سياسية معينة ، كما قد ينيب بعض هؤلاء آخرين ، للقيام بدور « المرسل » فى مثل هذه المناسبات أو غيرها ·

ومن ثم يصبح من الواضح تماما ، بخصوص المرسل أو باستخدام التعبير العلمى « القائم بالاتصال » أو التعبير الصحفى « المحرر » ·· أو غيرهما ·· يصبح المرسل هنا :

— من المتخصصين فى هذا العمل ، ومن ثم يختلف المرسل باختلاف الرسالة شكلا ومضمونا ٠

— أو من الذين يقومون بتكليف غيرهم من أجل القيام بهذا الدور أو يأمرونهم بذلك العمل ٠

— من حقه استخدام الأدوات الخاصة . والوسائل الممكنة والمتاحة والمناسبة لنوع الرسالة وطبيعتها ، ووقتها والجمهور المستهدف ، ومن خلال التكلفة المقبولة أيضا ٠

— وقد يصبح المرسل أكثر من شخص ، من خلال عمل جماعى مشترك ، يقوم كل فيه بدوره ٠

— ويتوقف نجاح العملية كلها على أهميـــة وثقة المستقبلين به ، ودرجة تصديقهم له ٠

٢ ـ الرســـــالة :

ولعل هذه أكثر ما سوف يقابلنا بالنسبة للمجال التطبيقى لهذه النقاط كلها ٠٠ واذا كان أحد رجال الاعلام يقول أن الرســـــالة هى : « **مجموعة الأفكار والمعانى المراد توصيلها الى جمهور معين ، وهى مطبوعة أو مسموعة أو مرئية مسموعة** » (٢٨) ٠٠ فاننا نضيف هنـــا أنه ليس شرطا أن تكون الرسالة ، هى واحدة من هذه الأشكال أو الأنماط الاعلامية الثلاثة ٠٠ وانما الرسالة هى : « كل ما يرسل » ٠٠ لا سيما بهدف الاعلام عن فكـــرة أو معلومة أو خبر أو نظرية أو موقف أو رأى أو اتجاه أو نشاط من الانشطة التى تهم من تتوجه اليهم بل انه ليس شرطا أن تكون مطبـــوعة ، فهناك المخطوطات والمصورات والمحفورات ـ اذا صح التعبير ـ ٠٠ وحتى الصحف نفسها وهى المقصودة أولا بهذا التعبير ٠٠ ليس شرطا أن تكون الرسالة الصحفية مطبوعة فى جميع الأحوال ، والأزمنة ، والمواقع ٠٠ فهناك حتى الآن الرسائل الاعلامية المتواضعة ، أو الطموح ، التى تحملها صـــحف الحائط المدرسية أو التابعة لبعض الفصول ، أو الجمعيات أو الطـــلاب أو الأحياء أو الأقسام الجامعية ٠٠٠

٠٠ واذا كان ذلك يقترب من موضوعنا ، حيث كانت الرسالة الاعلامية المصرية القديمة رسالة « غير مطبوعة » ٠٠ وانما لها أساليب انتاجها الأخرى التى سوف نتناولها باذن الله ، فاننا هنا نمد أبصارنا الى أكثر من ذلك ، لنقول ان هذه الرسائل قد تكون :

« **خبرا ـ قصة اخبارية ـ موضوعا اخباريا ـ تقريرا اخباريا ـ تصريحا صحفيا ـ رأيا ـ حديثا صحفيا ـ حديثا اذاعيا ـ حديثا تليفزيونيا ـ أقصوصة ـ قصة قصيرة ـ قصيدة من الشعر الاعلامى ـ تحقيقا صحفيا أو اذاعيا أو تليفزيونيا ـ تعليقا ـ تفسيرا ـ ماجرية من الماجريات ـ صورة ـ رسما بيانيا أو توضيحيا ـ رسما كاريكاتوريا أو كارتونا ـ فيلما اخباريا ـ موضوعا تسجليا ـ اعلانا ـ تقريرا مصورا ـ نشرة أخبار كاملة ـ موجزا للانباء ـ فيلما تسجيليا ـ خطابا مذاعا أو مطبوعا ـ نشرة أخبارية مطبوعة ـ مقالا افتتاحيا ـ مقالا رئيسيا ـ مقالا تحليليا ـ مقالا عموديا خطبة ٠٠ الخ** » ٠٠ الى غير هذه كلها ٠٠ بشرط تحقيق الهدف الاعلامى ، بشكل من الاشكال ، وبطريقة من الطرق ، صراحة أو ضمنا ، بأسلوب مباشر أو غير مباشر أو هما معا ٠٠

ثم يصبح معنى ذلك كله :

ــ أن الرسالة تبدأ بجانب او بخطوة البحث عن فكرتها ٠

ــ ثم تبدأ خطوات الاعداد للتنفيذ ثم التنفيذ باستخدام الطرق والأساليب والامكانيات والمهارات الخاصة جمعا للمادة ، واستكمالا ومراجعة وتصويرا واخراجا ٠

ــ ثم البث أو التوزيع ٠٠ أو اتباع طرق « التوصيل » المعينة للجمهور المعين ، أو المحدد ، أو المستهدف ٠٠ وهو بعض من كل ، أو فريق كبير ، أو كل الجمهور ٠٠

ــ ثم يلى ذلك ، من ردود فعل ، ونتائج ، واثار متعددة ٠٠ على درجة من درجاتها ٠٠

ــ وبملاحظة التأثيرات العامة ، (الوقت ـ الحرب ـ الطوارىء ـ

توافر المادة ـ درجة المهارة ـ العوامل المعارضة أو المؤثرة سلبا ـ الحيز أو المساحة المتاحة ـ ٠٠٠الخ مما سنفرد له فقرة خاصة به لأهميته وجدارته٠

٣ ـ الوســـيلة :

ومعناها تلك « **الأدوات** » **أو** « **الأجهزة** » **أو** « **المعدات** » **أو** « **الآليات** » وما يتدخل أو يدخل ضمن تركيبها ، أو فى صناعتها من مواد أولية ، ثانوية ٠٠ منذ عرف الانسان ـ وهو كائن اتصالى ـ كيف يحفرها أو ينحتها أو ينقشها أو يصورها أو يطلقها أى ينفخ فيها أو يخطها أو يطبعها ٠٠٠ الخ ٠٠ وحتى استخدام ما يطلق عليه « تكنولوجيا الاتصال » والاجهزة والمعدات المرتبطة بها ٠٠

ومن زاوية أخرى نقول أن الوسائل هنا ٠٠ هى فى بساطة شديدة تلك « الوسائل » أو « **الجسور** » **أو** « **حاملات الرسائل** » **أو** « **موصلاتها** » ٠٠ التى تمتد بين المرسل من جهةوبين المستقبل من جهة أخرى ، لتنقل اليـــه الرسالة ، تحملها بطريقها وأساليبها المختلفة ٠٠ من أجل « توصيل » هذه الرسائل التى تزخر بها حياتنا ٠٠

ثم انها بهذا المعنى تمثل « **الاطار** » **أو** « **الوعاء** » الذى توجد به رسالتنا على أى شكل من أشكالها ليقوم بنقلها الى الاخرين ٠٠ وحيث نجد فى ذلك السبيل أكثر من تقسيم واحد من بينها ، أو من أهمها وأبرزها ، وذلك وفق مرئياتنا الخاصة ، القائمة على دراساتنا لهذا الجانب :

(أ) التقسيم الى وسائل فردية وجمعية وجماهيرية عامة ٠

(ب) التقسيم الى وسائل اعلام **رسمية أو غير رسمية** ، حكومية أو غير حكومية وهى معروفة ٠

(حـ) التقسيم الى وسائل **اتصالشفهية** أو كتابية أوطباعيةأو مصورة٠

(د) التقسيم الى **وسائل اتصال قديمة** (النـار والدخان والطبــول والنفخ فى الأبواق واستخدام الأضواء وعقد الحبال والنقوش على الحجـر والخشب وجذوع الأشجار والعظام وجلود الحيوانات والرقص الشــعبى

والتوقيعى ٠٠٠) ٠٠ ووسائل **حديثة كالصحافة** والاذاعة والتليفزيون والسينما والمسرح والفيديو والاعلانات بأنواعها ٠

(هـ) التقسيم الى وسائل اتصال أو اعلام عامة ومهتمة ومتخصصة ٠

(و) التقسيم الى وسائل تقليدية (وهى القديمة تقريبا) ٠٠ والبعض يضيف اليها الصحافة فيعتبرها هى الأخرى من الوسائل التقليدية ، وينظرون الى الكتاب والمسرح نفس النظرة أيضا ، وكذا وسائل غير تقليدية ٠٠ وهى نفسها الوسائل الحديثة ، وباضافة الجديد منها ، والمتطور ٠

على أننا قبل الانتقال الى عنصر آخر من عناصر هذه العملية الاتصالية الاعلامية ، انما نتوقف لنقدم عدة ملاحظات مهمة ، من بينها :

— أن من الثابت ، والمعروف ، والبديهى أن تكون لكل عصر وسائله أو وسائطه أو أوعيته الاتصالية الاعلامية ، تلك التى تكون انعكاسا لمعارفه وتجاربه ، وخبراته الموروثة ، أو المكتسبة كما تكون الوسيلة نفسها فى عصور كثيرة ، من تلك « المواد » الموجودة أمام ناظريه ، أو التى تزخر بها بيئته المحلية ، أو الأماكن التى يعيش بها قريبة أو بعيدة ، وقد يكتشف وجود عنصر من العناصر المهمة فى « صناعتها » أو « انتاجها » فيقوم باحضارها بطريقة من الطرق ٠

— ومعنى ذلك أن الوسائل أو الوسائط ٠٠ **تعكس صورة تقدم المجتمع**، وتلك المرحلة من المعرفة التى وصل اليها ، وما الذى يستطيع أفراده تقديمه ، شكلا ومضمونا ٠٠ ومن ثم يصح القول الشهير أن الصحافة — كممثلة لوسائل الاعلام هنا — هى مرآة الأمة ، وواجهتها ٠٠

— أننا نرى فى كثير من الأحيان ، ذلك التداخل « الوظيفى » ٠٠ بين الرسالة من جهة ، وبين الوسيلة من جهة أخرى ، ليس على سبيل العبارة الشهيرة التى قالها « **مارشال ماكلوهان** » من أن « **الوسيلة هى الرسالة** »(٢٩) ٠٠ والتى يقول عنها أحد علماء الاتصال أنها : « أشهر بيان قيل فى أى وقت عن وسائل الاتصال بالجماهير ٠٠ » (٣٠) وحيث كان الهدف منها : « ٠٠ يذكرنا بأن لكل وسيلة من وسائل الاتصال تأثيرا معينا على ما ينقل بواسطتها » (٣١) ٠٠ فذلك كله صحيح ، وان كنا نرى أيضا أن الرسائل

كثيرا ما تؤثر بدورها على هذه الوسائل نفسها بدليل القـــول الصحيح « أعطنى أفضل مجموعة من المحررين أقدم لك أفضل صحيفة » ·· أقول أن التداخل الوظيفى الذى نعنيه هنا هو تداخل من نوع آخر ·· تداخل منطقى « جوانى » ·· يقول أن « النمط الاتصالى أو الاعلامى » وهو فى حد ذاته رسالة ، الا أنه وسيلة أيضا ، شكل ، اطار ، وعاء فنى ، اختير بعناية ليحمل رسالة المحرر ، لتوضع كلماتها وصورها فى اطاره ، ومن ثم فهو رسالة ووسيلة أيضا من داخل الوسيلة الكبرى ··

نعم الخبر والقصة الاخبارية والحديث والتحقيق والتعليق والصورة والبرنامج ·· هى أطر وأوعية وأنماط فنية نعم ، لكنها أيضا وســـائل « جوانية » تعمل من خلال أو من باطن الصحافة بأنواعها الثلاثة ·

ـــ وبالمثل ، وبصرف النظر عن « الاتصال الذاتى » الذى يحدث بين الفرد ونفسه ، على المستوى الانسانى نجد أن من الممكن وجود نوع من « التلاحم » و « التكامل » و « المشاركة » بينها جميعها ·· ونعطى لذلك مثلا بسيطا ·· خطاب رئيس الوزراء بمناسبة من المناسبات ، هو خطاب فردى، يوجه الى جمع كبير من الناس ، ·· وهو يستخدم فى ذلك السبيل وسيلة جماهيرية ·· تماما كما أن هذه الرسالة المنقولة عن فرد واحـــد ، تأخذ ـ توزيعا وتسويقا واهتماما وأثرا ـ هذه الصفة الجماهيرية نفسها ··

كذلك ، فقد تكون الوسيلة الفردية هى التليفون ، لكنه ينتج بعد الاتصال بين المحرر وأكثر من شخصية حديث جماعة ·· ينشر فى صحيفة أو مجلة عامة فيأخذ صفة الجماهيرية ·

ـــ أن لكل وسيلة من هذه الوسائل ، قديمة أو جديدة ، تقليدية أو غير تقليدية ، عامة أو مهتمة أو متخصصة ·· ميزاتها ، وخصائصها التى تنفرد بها عن الأخرى ، وكذا لها طرقها وأساليبها فى « التوصيل » الذى يختلف عن الوسيلة الثانية والثالثة ·· وهكذا ··· ومن أجل ذلك يكون على « القائم بالاعلام » ·· أو « القائم بالاتصال » أن يختار الوسيلة الأفضل التى تحمل رسالة واحدة ، بتعدد أنواع هؤلاء ، وأماكنهم ، ومستويات تفكيرهم ، ومقدرتهم اللغوية ، ومستوياتهم الاقتصادية ، وما الى ذلك كله ، مما يجعلنا ننتقل الى هذا العنصر التالى ألا وهو :

٤ ـ المســـتقبل :

وواضح أن من يمثله هنا هو « الجمهور » ٠٠ جمهور مستقبلى الرسالة أو الذين يتلقونها بفئاتهم وأعمارهم ، ومواقعهم ومستوياتهم ودرجـــات تعليمهم وامكانياتهم المختلفة ٠٠ والذين من أجلهم ـ من أجل اعلامهم ـ نتم جميع هذه العمليات المختلفة ، وجميع هذه الجهود ، ومن ثم فلابد من مراعاة هذه الاختلافات القائمة كلها مما يؤثر على اختيـــار نوع الرســـــالة ، ومضمونها ، وما يحتويه هذا المضمون من مادة اخبارية أو معلوماتية أو توجيهية أو تفسيرية ٠٠ أو تعليمية أو اعلانية أو امتاعية أو تنموة ٠٠٠ وهكذا ، والى حد التأثير فى لغة الرسالة ، ودعمها بالمادة المصورة ٠٠ بل واختيار المحرر والمصور والمخرج الأمثل ، ويسبق ذلك كله ، وكما أشرنا من قبل اختيار نوع الوسيلة المناسبة ، كل ذلك حتى يمكننا الوصول الى هذا « المستقبل » فى التو واللحظة المناسبة ، وبالرسالة المناســـبة أيضا والا فلماذا نجهد أنفسنا كل هذا الجهد ، اذا لم يكن هو والوصول اليه بالكلمه والفقرة والرسم والصورة والبرنامج والخطبة والندوة والمؤتمر ٠٠ هدفنا النهـائى ؟

٥ ـ التـــأثير :

٠٠ أى الناتج الذى تصب فيه هذه المجهودات الاتصالية الاعلامية كلها، وما يمكن أن نتبينه أو أن نستنتجه أو نخلص اليه منها ، والذى تختلف درجته من وسيلة الى أخرى ، من مادة الى أخرى ، من مستقبل الى آخر ، الى ثالث والى رابع ٠٠ لكن ، على الرغم من ذلك كله ، فانه يمكن قياسه بالطرق العلمية المختلفة لنصل الى درجة تأثير هذه المجهودات كلها ، والمدى الذى أحدثته فى فكر جمهورها ، وما الذى يمكن اتباعه مستقبلا من أجل تأثير أكثر، وأشد عمقا ٠٠ وهكذا » ٠٠

الفصـل الثـالث

أطـر ومفاهيم أخـرى

كانت هذه هى أبرز المفاهيم المتصلة بموضوع الدراسة ، وكان ذلك أهم ما يتصل بها من معارف ، ذات علاقة وثيقة بالموضوع نفسه ·· رأينا أنه ينبغى التوقف عندها أكثر من وقفة قصيرة ، تعريفية ، تعتبر فى حد ذاتها المدخل الطبيعى لما يتبع ذلك من حديث ، وما يليه من تناول وكان تركيزنا بالدرجة الأولى على مفهومين أساسيين أولهما مفهوم « الاعلام » وثانيهما مفهوم « مصر القديمة » بكل ما يحيط بهما أو يتفرع عنهما من تفصيلات ، فى حدود ما تسمح به هذه الصفحات ، وما يتحمله موضوعها نفسه ·

لكن هذا التناول السابق نفسه ، وعلى الرغم من تلك الصفحات والفقرات والسطور العديدة التى شغلها يصبح ناقصا ، مبتورا ، غير مكتمل تمام الاكتمال ـ من وجهة نظرنا ·· ما لم يستتبع بعدد من النقاط المهمة ، التى تركز علىجوانببالذات ، تركيزا مباشرا ، وبالطريقة التعريفية نفسها·· بالربط المباشر والمركز أيضا ، بينها وبين موضوع هذا الكتاب ··

كذلك ، فانه لا يسعنا القول الا أن بعض هذه النقاط ، سوف نكتفى هنا بمجرد الاشارة السريعة اليه ·· حيث سنعيد تناوله فى سطور أخرى ، بطريقه تقدم مزيدا من الوضوح والفهم ·· تماما كما أن هذه السطور القادمة ، سـوف تتناول عـددا من الملاحظات المهمة ·· التى تعين على مزيد من الوضوح والفهم لهذه الدراسة فى مجموعها ·· ومن هنا فنحن نتوقف لنقول:

أولا ـ حول مفهوم « التاريخ »

·· واذا كانت دراستنا هذه هى**دراسة « تاريخية » أعلامية بالدرجة الأولى** ·· واذا كان المنهل الذى تغترف منه هذه الصـفحات والسـطور كلها هو منهل « تاريخى » ننظر اليه من زاوية اعلامية ، فانه وقد عرفنا ما هو الاعلام ؟ وماذا نعنى بمصر القديمة ؟ · يصبح من الأمور المهمة ، التى تستقيم وطبيعة هذه الدراسة نفسها أن نتوقف أولا ، وبادىء ذى بدء

خلال هذا البحث عن تحديد « وظيفى » لمعنى تعبير « التاريخ » ومفهومه ٠٠ وحيث لا يجب أن نمر بموضوعه دون هذا التحديد ، كما لا ينبغى أن ننظر اليه بعين السهولة . فنقول مثلا « ان التاريخ هو التاريخ » ٠٠ فنكون كمن عرف الماء ـ بعد الجهد ـ بالماء ٠٠ لا سيما ، وأن الاختلاف قائم على هذه المسألة حتى بين علمائه أنفسهم ، بل ان أحد هؤلاء يعترف فى مقدمة كتاب له يحمل اسم : « ماهو التاريخ ؟ » ٠٠ لاحظ اسم الكتاب ٠٠ نعم انه يقول : « خلال الأعوام الخمسة الماضية أجريت بحوث جدية كثيرة حول مسألة : ماهو التاريخ ؟ » (٣٢) ٠

وعموما ـ ودون أن يكون لنا أى تدخل ، بل نترك الموضوع لاصحابه ، تعالوا بنا نلقى نظرة عابرة ، على أكثر من مرجع من تلك التى تناولت هذا الموضوع ، بأسلوب مباشر أو غير مباشر :

● ٠٠ فالتاريخ هو عند أحد رجاله من المعاصرين : « **تعريف بالوقت** » (٣٣) ٠٠٠ ويضيف قائلا : « وقد اختلف العلماء فى أصل لفظ تاريخ ، فذهب البعض الى أنه لفظ عربى خالص ، وذهب اخرون الى أنه لفظ فارسى وأن العرب أخذوه عن الفرس والتاريخ على العموم يعنى : التوقيت » (٣٤) ٠

● ويقول العالم العربى **عبد الرحمن بن خلدون** فى « مقدمة » مقدمته ٠٠ « أما بعد فان فن التاريخ ٠٠٠ اذ هو فى ظاهره لايزيد على **اخبار عن الأيام** والدول والسوابق من القرون الأول » (٣٥) ٠٠ ويضيف فى موضع آخر ـ مدخل الكتاب الأول ـ قائلا : « ٠٠ اعلم أنه لما كانت حقيقة التاريخ أنه خبر عن الاجتماع الانسانى الذى هو عمران هذا العالم ـ التاريخ انما هو ذكر الاخبار الخاصة بعصر أو جيل » (٣٦) ٠

● ٠٠ ويقول أحد الموسوعيين :« التاريخ يقصد به **السجل المدون** لتطور المجتمعات الانسانية الذى يمثل أخبار الماضى وتجاربه » (٣٧) ٠

● وفى دراسة لنخبة من المتخصصين جاء هذا التعريف : « التاريخ هو قصة الحوادث الماضية مع أرجاعها الى أسبابها وربطها بنتائجها من جهة أخرى »(٣٨) ٠٠ ويضيف هؤلاء قولهم : « ويفرق كثير من العلماء

الألمان بين حوادث الماضى ويطلقون عليها لفظ Geschicte أى الحوادث الماضية ، وبين نظرة العلماء الى هذه الحوادث ورأيهم فيها وربطهم لها بعضها ببعض ويطلقــون على ذلك الربط وذلك التحليل اســـم Histoire أى التاريخ والقصة » (٣٩) ٠

● ويقول ـ كذلك ـ عدد من رجال علم الاجتماع تحت كلمة تاريخ : « دراسة الأحداث فى الماضى التاريخى للانسان أى منذ وجود الســجلات المدونة الى الوقت الحاضر ٠٠ ويقال أيضا أن التاريخ يهتم بدراسة حوادث فريدة وذات نوعية خاصة من أجل ذاتها فقط » (٤٠) ٠

٠٠ كذلك فاننا نطل اطلالة سريعة على ما جاء فى عدد من القواميس ودوائر المعارف والمراجع الأجنبية عن مفهوم التاريخ ٠٠ ان من بينها على سبيل المثال لا الحصر :

● ان احدى دوائر المعارف العملية السريعة تقدم هذا التعريف : « التاريخ فى تعريف مختصر هو قصص الماضى وأحداثه ، والكلمة تعود أصلا الى التعبير اليونانى القديم Istwor والذى يعنى نتائج الغزو أو آثار الحرب ٠٠ وعلى ذلك فان التاريخ لا ينحصر أو يتحدد فى معرفة حدث ، أو الاعتقاد فيه ، ولكن الى ما هو أكثر من ذلك ، عن طريق الاختبار والفحص والتحليل والتوضيح لاحداث الماضى ، وبخاصة ما يتصــل منها بالنشاط الانسانى » (٤١) ٠

● وتقول دائرة **المعارف البريطانية** باختصار شديد : « كلمة التاريخ تستخدم فى معنيين : الاحداث نفسها ، أو النتائج المترتبة عليها » (٤٢) ٠

● ونقرأ فى المعجم الفرنسى الشهير **لاروس** : « التاريخ هو ســجل **الحياة الانسانية** ، والكلمة تتجه الى المعارف والدروس التاريخية ، والمعرفة بالماضى ، وتاريخ شعب من الشعوب ، ويشمل دراسة فترة محدودة أو تاريخ مرحلة ، كما أن هناك تاريخ النبات الطبيعى وتاريخ الحيوان ٠٠ الخ» (٤٣) ٠

ونكتفى بهذا القدر من أقوال المراجع عن مفهوم « التاريخ » ٠٠ وننتقل الى مفهوم آخر ، يتصل بموضوعنا نفسه عن قرب ألا وهو :

ثانيا ـ حول مفهوم « الآثار »

.. فاذا كان « **تاريخ الاعلام** » وهو جزء مهم من تاريخ الانســـانية ، حيث يضع يدنا على ماضيه وحاضره وتطوراته وصناعه ، وأدواته وأساليبه وأطره وأنماطه .. اذا كان هذا التاريخ ، فى اطاره المصرى القديم .. هو موضوع دراستنا ، خلال هذه الصفحات ، فان « الآثار » بأنواعها .. هى مصادرنا الاولى والاساسية ، بما يتصل بها أو يتفرع عنها ، أو يتناولها .. الى هذه الصورة الاعلامية التى ننشد الوصول اليها .. ومن ثم .. فمن الطبيعى أن يكون مفهومها ، هو ذلك الذى نتوقف عنده خلال هذه السطور القليلة .. ترى ما الذى نعنيه ـ نحن وغيرنا ـ عندما نقول « الأثر » .. والآثار ؟

● أما المعاجم اللغوية العربية ، فتكاد تتفق على أن الأثر ، هو ما بقى أو تخلف من نشاط السابقين وأعمالهم ، وعمارتهم .. ومنه مثلا قول العلامة **أحمد بن محمد المقرى الفيومى** فى مصباحه المنير : « .. وأثر الدار بقيتها والجمع آثار مثل سبب وأسباب » (٤٤).. وعند الامام محمد بن أبى بكر الرازى فى مختار الصحاح . الأثر بفتحتين ما بقى من رســم الشىء وضربة السيف » » (٤٥) .. وعند مجد الدين **الفيروزابادى** فى قاموســـه المحيط : « الأثر بقية الشىء ج آثار ـ والآثار الأعلام » (٤٦) .

● .. وفى أحد الكتب التى صدرت حديثا نقرأ هذه الســـطور المختلفة ، التى تتصل اتصالا وثيقا بموضوعنا هذا ، بزواياه المختلفة أيضا :

— فعلم الآثار Archeology « وهو جزء لا يتجزأ من علم الانسان وعلم الانسان Anthropology ميدان يلتقى فيه كل من له اهتماما بالانسان » (٤٧) .

— والمؤلف السابق ينقل تقسيم ب ى. نيوبرى لعلم الانسان ، الى أربعة أقسام ثالثها : « علم الآثار الذى يسعى الى اكتشاف طبيعة ثقافات الانسان فى العصور القديمة » (٤٨) .

— وفى موضع آخر ينقل قول هـ. فرانكفورت الذى جاء فيه : « أن

علم الاثار كجزء من علم الانسان يهتم أولا وأخيرا بدراسة ثقافة الانسان القديم من تلك الجوانب من الثقافة التى فى الامكان التوصل الى معرفتها عبر الأزمان البعيدة ، وبالطبع فنسبة البعد أو القرب فى الزمن الذى يدرسه علم الآثار لها تأثير مباشر على نوع واختلاف المادة الثقافية التى يتوصل اليها العلم من خلال البحث » (٤٩) ٠

ـــ وبعد أن يشير فى موضع آخر من كتابه ، الى صعوبة تعريف علم الآثار « اركيولوجيا » ٠٠ والى غموض الكلمة اليونانية الدالة عليـــه Archaeology **والمكونة من مقطعين** Arche **بمعنى البدء بـ** Logos **بمعنى كلمة أو حديث** ٠٠ ينقل استفسارا لأحد العلماء يقول فيه : «فهل المقصود ـ يريد بهذاالتعبير المكونمن شقين ـ هو حديثمستمد من دراسة الماضى ، أو بداية الانسان أم كان المقصود من هذه الكلمة اليونانية دراسة عهود التاريخ البعيد أو التاريخ القديم بوجه عام » (٥٠) ٠

ـــ الى أن يقول نقلا عن فرانكفورت أيضا : « ان علم الآثار كما سبق أن ذكرنا فى جوهره قصة الانسان كما تظهرها الاشياء التى تخلفت عنه وهو بالدرجة الاولى البحث عن المعـــرفة ، وليس مجـــرد البحث عن الأشـــياء » (٥١) ٠

● ٠٠ وبعد استعراض لقصة انشاء الجمعيات الأثرية فى انجلترا وفرنسا ٠٠ يتحدث العلامة « محمد فريد وجدى » عن هذا الموضوع قائلا : « وقد تكون علم جديد نشأ من البحث فى هذه الاثريات يطلق عليه العلماء كلمة اركيولوجيا وهى مشتقة من كلمتين أركيو ومعنـــاها قديم ولوجوس ومعناها كلام أو خطاب » (٥٢) ٠

٠٠ وفى موضع آخر ينقل عن لاروس قوله مما يتصل بالآثار المصرية : « كان قصد المصريين الأقدمين من اقامة التماثيل وبناء الأهرام الأمور العبادية ـ أمور العبادة ـ أو تخليد ذكرى الحوادث » (٥٣) ٠

● ٠٠ ومن « دائرة معارف القرن العشرين » ٠٠ الى « **الموسوعه الأثرية العالمية** » ٠٠ حيث نقرأ قول المشرف عليها « **ليونارد كوتريل** » ٠٠ عن هذا الموضوع ٠٠ فبعد أن يتحدث عن أصل الكلمة ، وقصورها عن تصوير

واقع العلم ، لاتجاهها ـ أركيولوجيا ـ نحو البدايات فقط بينما العلم يعتنى بالنهايات أيضا يعود فيقول : « اذن فعلم الآثار هو فى جوهره قصة الانسان كما تظهرها الأشياء التى تخلفت عنه ، سواء كانت هذه الاشياء أدوات أو أسلحة أو مبانى أو مقابر أو بقايا انسان أو بقايا حيوان ، من الواضح أن النصوص المكتوبة على الحجر أو الطين أو ورق البردى مهمة هى الأخرى، غير أنها ظهرت فى تاريخ الانسان متأخرة نسبيا ، فى غضون الخمسة آلاف سنة الأخيرة » (٥٤) ٠

ثالثا ـ حول مفهوم الحضارة

ولأن « الاعلام » له هذا الطابع الثنائى الفريد ، بالنسبة لشعب من الشعوب ، فى وقت من الأوقات ، والذى يتمثل فى كونه (١) صـــورة من الصور ٠٠ أنموذجا من النماذج ، شريحة من الشرائح ، التى تبين مدى ما وصلت اليه هذه الحضارة من تقدم ، وتطور ، تماما ، مثل العلم والبناء والطب والفن والزراعة والأدب ٠٠ وما الى ذلك كله ٠٠ (٢) كما أنه فى نفس الوقت يعكس صور جانبه ، والجوانب الحضارية الأخرى ، ويقدمها ويشير اليها ، ويبرزها ، ويظهرها بما يتصل بها من ميادين وأسس وقواعد وتطورات ونتائج أيضا ٠٠

لأن الاعلام يقدم كل هذا ، فان معناه أن صلته قوية ، ورابطته قائمة ، بكل صور هذه الحضارة بما يتطلب منا أيضا ، وقفة عند هذا التعبير ، حتى يكتمل لنا هذا « الخماسى التعريفى » ٠٠ الاعلام ومصر القديمة والتاريخ والآثار والحضارة ٠٠

ترى ، ما الحضارة ؟ وماذا يقصد بهذا التعبير عند اطلاقه ؟

● ٠٠ اننا نبدأ أيضا بالتفسير اللغوى لمفهوم الكلمة ، من خلال المعاجم نفسها التى أوصلتنا الى التعريفات اللغوية للمفاهيم السابقة :

ـــ أن صاحب « **المصباح المنير** » يذكر فى الحاء مع الضاد ومـــا يثلثهما » ضمن ما يذكره من معــــان كثيرة لهذا اللفظ لا تهمنا كلهـــا : « ٠٠٠ والحضر بفتحتين خلاف البدو والنسبة اليه حضرى على لفظـــة ، وحضر أقام بالحضر ، والحضارة بفتح الحاء وكسرها سكون الحضر »(٥٥)٠

ـــ ·· وبالمثل يفعل صاحب : « **مختار الصحاح** » ·· فبعد أن يعدد ألوان استخدام اللفظ ، يقول : « ·· والحضر بفتحتين : خـــلاف البدو ـ والحاضر ضد البادى ، والحاضرة ضـــد البادية ـ والحضـــور ضـد الغيبة » (٥٦) ·

ـــ ·· ونختتم هذه الجولة ، بقول صاحب : « القاموس المحيط » والذى جاء فيه : « ·· والحضرة والحاضرة والحضارة ·· خلاف الباديه ، والحضارة الاقامة فى الحضر ـ والحاضر خلاف البادى والحى العظيم »(٥٧)·

● **كذلك فان من بين تعريفات الحضارة ، هذه الطائفة كلها :**

ـــ ·· ان أحد المؤلفين يقول : « ترجع كلمة الحضارة فى أصلها الى الحضر أى المدينة وتقابل المدر أى البادية أو القرية ·· والكلمة الأوربية للحضارة هى Civilisation مأخوذة من الأصل اللاتينى Civilis بمعنى متحضر » (٥٨) ·· ويضيف قائلا : « والمعروف أن المدينة أرقى من القرية لذلك فالمقصود من كلمة متحضر الشخص المتقدم على غيره فى أساليب الحياة ، ولما كان التحضر صفة جماعية Civitas دولة أو مجتمع ـ فان الشعب المتحضر هو المتقدم فى نظمه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية » (٥٩) ·

ـــ والحضارة أيضا هى ما عبر عنه مؤرخ معروف بقوله : « ان الحضارة بكل بساطة معناها بذل الجهد بوصفنا كائنات انسانية من أجل تكميل النوع الانسانى وتحقيق التقدم من أى نوع كان فى أحوال الانسانية وأحوال العالم الواقعى ، وهذا الموقف العقلى يتضمن اســـتعدادا مزدوجا فيجب أولا أن نكون متأهبين للعمل ايجابيا فى العالم والحياة ويجب ثانيا أن نكون أخلاقيين ـ انها التقدم الروحى والمادى للافراد والجماهير على الســـــواء » (٦٠) ·

ـــ والحضارة عند مؤرخ آخر هى : « نظام اجتماعى يعين الانسان على الزيادة من انتاجه الثقافى وانما تتألف من عناصر أربعـــة : الموارد الاقتصادية والنظم السياسية والتقاليد الخلقية ومتابعة العلوم والفنون ، وهى تبدأ حيث ينتهى الاضطراب والقلق لأنه اذا امن الانسان من الخوف

تحررت فى نفسه دوافع التطلع وعوامل الابداع والانشاء وبعدئذ لا تنفك الحـــوافز الطبيعية تستنهضـــه للمضى فى طريقه الى فهم الحيـــاة وازدهارها »(٦١) ٠

ـــ ٠٠ ويقول المؤرخ نفسه فى موضع آخر : « نظام اجتماعى يعين الانسان على الزيادة من انتاجه الثقافى » (٦٢) ٠

رابعا ـ هـذه المفـاهيم

مـاذا تعنى بالنسـبة لنـا ؟

٠٠ ومن المؤكد أنه ليس على سبيل « الترف الثقافى » ٠٠ كان ذلك التوقف من جانبنا ، عند هذه المفاهيم السابقة فى مجموعها ، ومن المؤكد أيضا ، أن التوقف لم يكن على سبيل الاسهاب فى التناول ، دون ضابط أو رابط ، أو حسيب أو رقيب . وانما كان ذلك للصلة القوية القائمة ، والجسور المتينة الموجودة ، بين هذه المفاهيم كلها من جانب ، وبين دراستنا هذه من جانب آخر تلك التى تحاول أن تحدد الموقف بين وجود صور اعلامية جديرة بالدراسة ، على كتاب مصر القديمة من عدم وجودها ، بين معـــرفة مصر القديمة بملوكها وامرائها وكهنتها وقادة حربها وسلمها وفكرها ٠٠ بهـذا النشاط المهم فى عالم اليوم . والذى ـ كما أشرنا ـ يأخذ اسم الاعلام ، أو اسم الاتصال ، أو أى اسم آخر يكون كامل الدلالة عليه ٠٠

لكن ٠٠ نرى ، ما الذى يمكن أن تتركه هذه الطائفة من التعبيرات ، والألفاظ ، ومفاهيمها المختلفة فى أذهاننا ، وما الذى تعنيه بالنسبة لنا ، أو بالنسبة لدراستنا هذه ، القائمة فوق هذه الصفحات ٠٠ انها ـ فى واقع الأمر ـ تعنى كثيرا ، لا سيما فى مجال الربط بين مادتها ، وبين موضوعنا ، ولعل من أبرز ما تعنيه :

١ ـ أننا نؤيد تماما الرأى الذى يقول **انه لا حاضر ولا مستقبل بغير ماض** ، حتى وان كان هو الماضى البعيد اذ أن الدراسة الصـــحيحة لتاريخ الاعلام ، ينبغى أن تبدأ به ، تماما كما نؤيد رأى عـــالم المصريات الأشـــهر ـ **فلندرز بترى** ـ فى مقولته التى جاء فيها أنه لا يمكن فهم أى عمل انسانى

- والاعلام احدها - الا باستقراء تاريخه ٠٠ وما دمنا نريد لتاريخ الاعلام أن تكون دراسته كاملة وشاملة ، جامعة ومانعة ٠٠ فان الخطوة الأولى تبدأ بهذه « الجـذور » نفسها ٠

٢ - أنه لم يكن باستطاعتنا القيام بهذه الدراسة ، ولا بالدراسات المماثلة ، دون الاعتماد الأساسى على جهد الرجال ، رجـال التـاريخ ، والجغرافية التاريخية ، والحضارة ، والآثار - معا - ونخص بالذكر ذلك الجهد الكبير الذى يقوم به هؤلاء ، ثم نتبعهم - كما يتبعهم غيرنا - ونتلمس فى كشوفهم هذه « النصوص الاعلامية » ٠٠ التى ترد بشكل أو بآخر ، ضمن النصوص العديدة المكتشفة (*) ٠

٣ - ٠٠ وبالمثل ، ان ما يعنيه تعبير التاريخ ، فى جانب من جوانبه ، ليؤيد نظرتنا ، حيث تصبح بعض النصـوص والمواد التاريخيـة المدونة والمسجلة ،وكذا بعض النقوش الأثرية ، متى وجدت ، من بين النصوص الاعلامية مادام مضمونها يقدم مادة معلوماتية جديدة ، أو اخبارية لم تكن معروفة ، أو ما يتصل بهما من امتدادات وفروع ، قد تجعل بعض هذه المواد تقف فى موقع « الجذور » بالنسبة لعدد من فنون التحرير الاعلامى عـامة ، الصحفى خاصة ٠٠ أى أنها تتجاوز الدور الاعلامى المعلوماتى الاخبارى ، الى محاولات بسيطة لأداء أدوار أخرى ، تعرفها وسائل الاعلام اليوم ٠

٤ - ٠٠ ومن ثم : ومتى وجدت هذه النقوش القديمة ، ومن بعـدها النصوص التى تلتها ، وكان وجودها علىدرجة كافية ومعقولة - عددا وكمية وكانت تحظى بمثل هذا المضمونالاعلامى ، حتى وان اختلط فىبعض الأحوال بغيره من المضامين الأدبية أو العلمية أو العسكرية أو الدينية - كما أشرنا الى ذلك من قبل - متى وجد مثلها ، **فانها لابد خاضعة او تقبل الخضوع للدراسة**

(*)نحن نمد أبصارنا الى أكثر من ذلك الجهد الذى تضمنه هذا الكتاب ، ومن ثم نوصى بقيام طالب أو أكثر من طلاب الدراسات العليا ، باختيار موضوعات تتصل بجانب الاعلام فى مصر القديمة ، أو أن يقوم بذلك أحد طلاب الدراسات العليا فى الآثار بعد دراسة اعلامية تمهيدية ، هنا لا يمكن تجاهل دراسة هؤلاء لعلوم : « النقوش Epigraphic — علم أوراق البردى - Papyralogie — علم قراءة الكتابات القديمة Palegraphic — الكتابة المصرية القديمة - الرسم » ٠٠

الاعلامية ، ويمكن تناولها من هذه الزاوية ، نعم يمكن اذن ـ وهو ما سنفعله فى الصفحات القادمة باذن الله ـ التوقف عند دراسة صاحب أو مصدر أو كاتب هذه النصوص ، أو القائم بها ، وكذا الوسيلة التى تحملها ، وخصائص كل وسيلة قديمة ، بالاضافة الى نوع هذه المادة وطابعها ـ والفائدة التى يمكن أن تكون قد تحققت من خلال وجودها ٠

٥ ـ ٠٠ وبالمثل ، **يصبح الاعلام وجها من وجوه الحضارة** ، تماما مثل غيره من وجوه النشاط الحضارى الذى يمثل المحصلة النهائية للفكر القومى وتطبيقاته فى ميدان من الميادين ، ثم فى الميادين المختلفة ، وما أسفر عنه هذا النشاط لشعب من الشعوب ، فى وقت من الأوقات ٠٠ غير أننا هنا نتوقف لنقول : أنه كان من المفروض أن نفرد عدة صفحات لهذا الجانب ، أو فى أسلوب آخر « **للاطار الحضارى** » على النحو الذى قدمناه من قبل ـ الأطر السابقة ـ لكننا ، ولأن دراستنا هذه ليست دراسة فى تاريخ مصر القديمة ولا فى علم الآثار ، ولا فى الحضارة ، ولسنا بمدعين ذلك ، كما أن هذه الألوان المختلفة من النشاط الحضارى ، يمكن التركيز عليها من خـــلال الدراسة الاعلامية نفسها ، والنقاط التى تتصل بالوانها عن قرب ، وكذا حتى لا يطول حبل الكلام الى أكثر من ذلك ٠٠ من هنا رأينا عدم تخصيص صفحات بعينها للتوقف عند صور الحضارة المصرية ، اكتفاء بما سبق ، وبما سيلحق من مادة « ضمنية » ٠٠ غير أننا والأمر كذلك ، لابد من أن نشير الى خاصة اعلامية فريدة ، لهذا الجانب من دراستنا ، تلك هى أن الاعلام ـ وهـــو مجالها ـ **يكون له بعده الثنائى ،فهو يمثل احدى صور هذه الحضارة نفسها ، وفى الوقت نفسه يقوم بدور المرآة التى تنعكس عليها الصور العديدة الأخرى** ٠٠ وياله من دور ٠

٦ ـ أن موضوعنا هذا ، يعتبر موضوعا اعلاميا جديرا بالدراســة والتتبع ، وأنه يخضع للدراسات الاعلامية، نظمها ، وأساليبها ومناهج البحث فيها ٠٠ كما يعتمد دراسة ومقارنة وتحليل النصوص الموجودة ، أى يقترب فى بعض زواياه من أستخدام بعض مناهج البحث التاريخى ، لا ســيما الاعتماد على الحوادث والآثار والوثائق ، والاعتماد على نقد النصوص ٠٠ والأصول التاريخية ٠٠ كما يحقق فائدة كبرى مما تكشف عنه التقنيات والحفريات لا سيما تلك التى تستخدم الوسائل الحديثة كالتصوير الجوى والكشف عن الآثار بالأشعة الكونية ، وما اليهما ٠

٧ ـ ٠٠ أى أنه اذا كان هناك أربعة رجال ، يقفون أمام قطعة محددة من الأرض ، تقول الدراسات الأولى ، والمسح الأثرى بالطرق الحديثة ، أنه يوجد بها قصر من قصور الملوك القدماء ، مطمورا فى الرمال ٠٠

ـــ **الأثرى** ، يقوم بعمل دراسته المبدئية ، من خلال « بعثة الحفر والتنقيب » ٠٠ من خلال الأجهزة والمعدات الحديثة ، والاستعانة بجهـــد الرجال ، من عامل حفر بسيط الى مهندس حتى يتم لهم وربما بعد سنوات عديدة الكشف عن هذا القصر ثم تسجيل أهم « مواصفاته » لا سيما النقوش التى عليه ومحتوياته وابراز قيمتها من وجهة النظر الأثرية ، بما فى ذلك ـ طبعا ـ تحديد زمنها وأصحابها وأهم ما دون فوقها

ـــ **والمهنـــدس** ـ المعمارى ـ يدرس بناء هذا القصر من وجهة النظر الفنية الانشائية ، ويحدد أهم خصائص عمارته وطرازها وقواعدها ، وجوانب الجمال فيها ٠٠ والخصائص الأخرى ٠

ـــ **المـؤرخ** ٠٠ يفيد من المعلومات التى يكشفها عالم الآثار ، فيدرس النصوص ويحققها ويقارن بينها ويحللها ، ثم يكشف لنا فى النهاية عن أهم النتائج المرتبطة ٠٠ خاصة من زاوية زمن الأحداث التى شهدها هذا القصر ، ولماذا حدثت ؟ وكيف حدثت ؟

ـــ **الاعـــــلامى** ٠٠ يستفيد من كل ما تقدم ، ولكن من زاوية وسائله وطرق تسجيله ونشره ، ويحاول أن يتبين نوع النصوص القائمة ، وصلتها بالعملية الاعلامية عامة ، وما اذا كان بعضها قد وضع فى قالب فنى تحريرى اعلامى ، ومدى صلته بالقوالب والأطر والأنماط الحديثة ، كما ينظر الى الوسائل المستخدمة ، جدران القصر ، وبعض اللوحات الداخليـــة ، والى الرسوم والنقوش والى طبيعة المضمون القائم بصفة عامة وصلته بالرأى العام وذلك القدر الذى يمكن أن يحتويه من « حس فنى اعلامى » ٠٠ يحاول أن يرده الى أسبابه ٠٠ كل ذلك من الزاوية الاعلامية البحتة ، ومن منظور اعلامى كامل ٠٠

أى أنه ـ والاعلام احدى صور وأنماط الحضارة المصرية القديمة ـ يحاول أن يفيد مما يقدمه الأثريون والمؤرخون ، من كشوف قائمة ، فى تحديد مدى ما يمكن أن يوجد بها مما يعتبر اعلاما بأنواعه وأطره والطابع العام له ٠

خامسا ـ مشـــكلات وحـلول

على أن آخر نقطة سوف نتوقف عندها خلال هذه السطور ، وقبـــل الانتقال الى جوهر مادتنا . بعد هذه الفصول والمباحث التاريخية ٠٠ آخر نقطة هى تلك التى نستعرض فيها عددا من المشكلات العلمية التى يمكن أن تنشأ ، خلال دراسة هذا الموضوع . واذا كنا قد أشرنا الى بعضها اشـارة عاجلة سريعة خلال سطور سابقة ، فاننا لم نشر الى كثرتها ٠٠ ولم نتوقف عندها ، بالقدر الذى هى جديرة به . والذى يقدم ردنا على مثل هذه المشكلات التى تثيرهاهذه الدراسة ٠٠ دراسة وجـود وواقع وصـــورة الاعلام فى مصر القـديمة ٠٠

١ ـ **أما أولى المشكلات العلمية** التى تثيرها هذه الدراسة فهى تلك التى تطرح نفسها من خلال هذا القول : ان الاعلام عامة ، والصحافة خاصـــة تعتمد على عنصر « **التعدد** » **أو** « **التعددية** » من خلال النسخ العـــديدة ، المئات والألوف والعشرات من الألوف ومئات الألوف والملايين من النسخ من الصحف والمجلات حتى أصبحت « التعددية » صفة من صفات الاعـــلام ، وخاصة من خصائصه ٠٠ والرد العلمى على ذلك ـ أو حل المشكلة ـ بسيط كل البساطة ٠٠ لأن الأصل فى التعدد هنا ، والغاية منه ، هو تعدد الجمهور ، والوصول الى أكبر قدر من قطاعاته ، لكن الرسالة هنا واحدة ، وان تعددت نسخها أو صورها ، فكل عدد من الأعداد ، أو نسخة من النسخ ، لا تحمل غير ما تحمله الأخرى ، أو الثالثة أو الرابعة ٠٠ بل ان من المستحيل عمل نسخة مختلفة من كل « مطبوع » ٠٠٠ مثلا ، لكل قارىء ٠٠ أى أن التعدد فى واقعه غير ملائم أصلا ، الا من زاوية الجمهور ٠٠ وحتى المادة الاذاعية أو التليفزيونية فهى واحدة لكن الجمهور « المتلقى » أو « المستقبل » هو المختلف ٠

ومن ثم ، فان المادة الاعلامية القديمة ـ فى حال وجودها ـ فهى توجد على نفس حال المادة الواحدة التى تطبع أو تثبت أو تصور ٠ أما جمهورها ، فانه هو المختلف عددا ونوعا وفكرا ٠٠ الخ ٠

ولعل أكثر ألوان الصحف الحديثة اقترابا منها ـ من حيث المـــادة المنقوشة أو المخطوطة أو التدوينية ـ هى الصـــحف الحائطية والجدرانية

الموجودة بالمدارس ، والجامعات والمصانع والأنديةهى نسخة واحدة ، توضع لتكون طوع أنظار العشرات أو المئات من القراء ··

ولذلك كله ـ وكجانب من جوانب خصائص هذه الوسائل القديمة التى سوف نذكرها باذن الله فى موضع قادم ـ فان أجدادنا قد اختاروا لها أهم وأبرز **المواقع** « **الجماهيرية** » الأماكن التى توجد بها التجمعات المهمة ، خاصة المعابد والقصور والميادين ·· شأنهم فى ذلك شأن المعلن الخبير الذى يحسن اختيار المواقع لوضع اعلاناته ذات المساحات المختلفة بها ·· وبذلك ·· ومن خلال هذه الجموع التى تتتابع عليها ·· يتحقق لها خاصية «التعدد» أو « التعددية » ·· فاذا أضفنا الى ذلك عنصر : « **الضخامة** » التى تجعل باستطاعة العشرات رؤيتها معا ، ومن أماكن وزوايا مختلفة ، لكان ذلك فى صالح« **تعدد الجمهور** » أيضا ·· ثم ان بعضها كان يتكرر فى مواقع أخرى قريبة أو بعيدة ، كما نعرف كذلك أن بعض « الصحف الأولى» الحجرية ·· كان يصنع منها مائة نسخة ، توزع على الجمهور المبرز والمهتم ، من الأمراء ، وكبار القادة ، ·· كما تكررت بعض الرسائل فى مقابر معينة . أى أن التعدد كان موجودا ، فى صورته الأولى والتى تعنى تعدد الجمهور ، وذلك فى معظم الأحيان ، كما أن هذا التعدد نفسه ، فى صورة تكرار النسخ التى تحمل رسالة اعلامية معا ، كان له وجوده فى أحيان أخرى وان كانت أقل كثيرا ، من الحالة الأولى ·· وصحيح أن هناك بعض الوحدات الفنية ، وعناصر الانتـــاج الفنى التى تكررت كثيرا ·· ولكـــن ذلك كان بســـبب فنى لا اعلامى ·

٢ ـ **وأما المشكلة العلمية الثانية** التى تثيرها هذه الدراسة ، فهى تلك التى تنبع من ذلك السؤال الذى يقول : **وهل كانت هناك صحافة قبل المطبعة** ، وهل كانت هناك اذاعة ، قبل تلك التى نعرفها ؟ وهل كانت هناك صـــحافة مصورة ، قبل المجلات المصورة والتليفزيون والســـينما ؟ الى غير هـــذه الأسئلة ـ التى نقول معها أننا لا نتفق مع أصحاب « المفهوم الضيق » الذين يرجعون نشأة الصحافة الى ما بعد المطبعة وبالتالى ، الفنون الأخرى الى مابعد هذه المستحدثات ، أو الوسائل ، ذلك لأننا نرى أن الانسان اعلامى بطبعه ، وأنه ولد اعلاميا ، والاعلام هو جانب من جوانب الفطرة ، التى خلقه الله عليها ، وهو مكمل لجانبه الاجتماعى ، ومن ثم ، فان صـــور الصحافة القائمة قبل المطبعة ، أو قبل اختراع المطبعة ـ منتصف القرن ١٥

الميلادى ـ هى صور عديدة ومتكررة ، وليس شرطا أن تكون هناك مطبعة ، وحبر ، وورق بصورته الحالية وانما **يكفى تحقق معنى الصحافة ، ووجود المضمون الصحفى** . وان اختلفت الوسائل والأطر والأنماط وفق مستوى عصر أو آخر ٠٠ ونحن نعرف ، انطلاقا من ذلك ، أن لكل عصر أوامره وتبليغاته وأخباره وأحداثه وحكمه ونواهيه وأمور اجتماعه ونشاطه المسجل ٠٠ والشفهى ، كما استخدمها العرب ـ لفظ الصحافة ـ بمعنى العهود والمواثيق والأحلاف المسجلة فى الصحف ٠٠ واذن فالنشاط المهم المسجل والمدون على صفحات مناسبة وبأساليب مناسبة ، كان يمثل صحافة العصر ، تماما كما كانت الاجتماعات والخطب ورواية القصص والاخبار تمثل جذور الاذاعة الضاربة فى أعماق البشرية ٠٠ ثم كيف يستطيع أى منا ، أن ينكر وجود « الصحافة المصورة » بعد أن يقوم بزيارة واحدة للمتحف المصرى ، أو للاقصر ، أو لمنطقة الأهرامات ، وغيرها وغيرها ؟ ٠٠ لم يبق الا أن تتحرك هذه الرسوم ولم يبق الا أن تنطق ، حتى لتصبح « الأم الأولى » لجميع ألوان الصحافة المصورة والمسموعة معا ٠٠ ومن الغريب أنهم حاولوا الايهام بحركتها ٠٠ وفى بعض المعابد حاولوا الايهام بأنها تنطق أيضا !!

ان لكل عصر صحافته(*)، واعلامه بطرقه ووسائله وأساليبه الخاصة، وما المطبعة ، على الرغم من أنها من أعظم المنجزات فى العالم بل لعلها ـ من وجهة نظرنا الخاصة ـ أعظم اختراع هدى الله الناس اليه ٠٠ الا أنها تعتبر **حلقة فى هذه السلسلة التاريخية العظيمة** التى بدأها الفنان المصرى

(*) لن نعيد تكرار ما قدمناه فى كتب سابقة لنا عن معنى « صحف » ٠٠ لكننا نعيد التذكير فقط بما سبق تقديمه فى عدد من كتبنا عن ورود اللفظ بالقرآن الكريم ثمانى مرات جمعا ، وذلك فى هذه المواضع الكريمة من كتاب الله :

(١) « وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه ٠٠ أولم تأتهم بينة ما فى الصحف الأولى » طه ١٣٣ ٠

(٢) « ٠٠ أم لم ينبأ بما فى صحف موسى » النجم ٣٦ ٠

(٣) « بل يريد كل امرىء منهم أن يؤتى صحفا منشرة » المدثر ٥٢ ٠

(٤) « ٠٠ فى صحف مكرمة » عبس ١٣ ٠

(٥) « ٠٠٠ واذا الصحف نشرت » التكوير ١٠ ٠

(٦ ـ ٧ ـ « ان هذا لفى الصحف الأولى ٠٠ صحف ابراهيم وموسى » الأعلى ١٨ / ١٩ ٠

(٨) « رسول من الله يتلو صحفا مطهرة » البينة ٢ ٠

برسومه ولوحاته ونقوشه ، والصانع المصرى بازميله وأدواته البدائية التى تعامل بها مع الحجر والطين والخشب والاردواز والعظام وجلود الحيونات وغيرها ٠٠ ولولا هذه الخطوات ما كانت المطبعة ، ولا كانت الاذاعة ولا كان التليفزيون ! ٠

٣ – **وأما المشكلة العلمية الثالثة** التى يمكن ان تثار فهى تلك التى تقول : لكن معظم الصور المعروفة عن قدماء المصريين **ان حضارتهم كانت حضاره تدوينيه ، وليست شفهية** ، بعكس الحضارة العربية قبل الاسلام ، فى معظم مناطق الجزيرة العربية ، باستثناء بعض اجزاء الجنوب والشمال الشرقى٠٠ كيف اذن يقال بوجود هذا الاعلام الشفهى . وهو كما نعلم ٠٠ اصل الاذاعه بأنواعها كما نعرفها اليوم ٠٠

واقول هنا ، وما فائدة البحث العلمى ، خاصة والاثريون والمنقبون يقدمون لنا الجديد دائما ، والحضارة المصرية – فى أجماع المؤرخين – لم تكتشف بعد اكتشافا كاملا ٠٠ ومن ثم فاننا سوف نتتبع وجود بعض المعطيات التى تقول بوجود هذا **الاعلام الشفهى** ، من عدمه ، لماذا اذن نسبق الاحداث ؟٠٠ وحتى اذا كان وجوده قليلا ، اذا قيس بما هو مدون ،فسوف نترك للحقائق العلمية وحدها تقرير ذلك ، ولن يقلل من شأن حضارتهم ان يقال – فى هذه الحالة – انها كانت تدوينية تماما ، أو بنسبة ٩٠٪ ، أو اقل من ذلك أو اكثر ٠٠ مادامت الحقائق العلمية وحدها التى تقول بذلك ٠٠ ثم اننا سنتوقف – باذن الله – عند أسباب غلبة هذا الطابع التدوينى ٠٠ من منظور علمى كامل ٠

٤ – **وأما المشكلة العلمية الرابعة** ، فهى تلك التى يمكن أن يقال بشأنها : لكن هذه المادة المتجمعة فوق الآثار المصرية من أهرامات وهياكل ومعابد ومقابر وجدران ومسلات وألواح وبرديات وغيرها **ليست حقا خالصا للاعلام ، بل هى مادة يمتلكها** الفن والعلم بكافة أنواعهما ، وشتى فروعها ، وأقـول :

— من الذى قال أنها حق خالص للاعلام ؟ انها للاعلام ، ولغير الاعـلام ٠

— فالاعلامى – بطرقه وأساليبه – يبحث عن مادته القائمة عليها ، يتتبعها هنا وهناك ، كما يفعل غيره بطرقهم وأساليبهم ٠

— ولا تنس ·· أن الاعلام يستخدم الفن أيضا ، فى جميع وسائله ، أمس واليوم وسوف يستخدمه غدا ، ودور الصحف ومحطات الانتاج تزخر بالفنانين ·· أحفاد هؤلاء الأوائل ·

— ثم ان الاعلام نفسه ، فى بعض وجوهه فن أيضا · وفى مجالاته العديدة متسع لاستخدام المواهب الفنية المتميزة ·· ليس فى مجال الكتابة أو التحرير فقط ، وانما الرسم والتصوير والاخراج وما اليها وما يتفرع عنها ·

— ·· ثم اذا كانت هذه المادة الموجودة فوق هــذه الجدران أو البردى ، تعتبر ملكا للعلم بمعناه المتسع **فان الاعلام علم أيضــا** ، وعلى الاعلاميين مهمة التقدم من أجل اكتشاف مالهم ، وثبته وتوثيقه ·

٥ — **وأما المشكلة العلمية الخامسة** ·· والتى رأينا — لأهميتها — أن نشير اليها فى مقدمة كتابنا ، فهى تلك التى تقول ، أن كثيرا مما سوف نشير اليه يعتبر أدبا ، لا اعلاما · وهنا أقول :

— أن بحثنا سوف يتناول أولا وبادىء ذى بدء كل نقش أو رسم أو كتابة يكون لها مضمونها الاعلامى ، الاخبارى ، التبليغى ·

— لكن المضمون الاعلامى يتسع أيضا ليشمل بعض المواد ذات المضمون التفسيرى ، والتثقيفى ، والتوضيحى ·· هذه اعلام ، وثقافة معا والفاصل هنا شعرة بسيطة لا تكاد تذكر بل هى عند البعض — ومنهم كاتب هذه السطور — فاصل وهمى — لا وجود له على الاطلاق ، فوسائل الاعلام أو الاتصال الجماهيرى ، هى وسائل تثقيف أيضا ، والثقافة هى جانب مهم جدا ، من وظيفتها المجتمعية ·

— ويبقى أيضا أن المضمون الاعــلامى له امتداداته التوجيهية والارشادية ، على أى شكل من الأشكال ·· وهنا يحدث الاتفاق بين الاعلام والأدب والتربية ، بمعنى ، أن المادة التوجيهية والارشادية ·· ومثلها فى ذلك الحكم والمواعظ وقواعد السلوك أدب واعلام وتربية ودين معا ·

— ثم ان هناك بعض المواد « الابداعية » الأخرى التى تكتســب

الصفة الاعلامية ، من اكثر من زاوية ٠٠ بما يجعلنا نقول فى النهاية . انه ادب واعلام معا ٠٠ وكما انها فى مجال الادب تعتبرا وليدا او طفلا غير مكتمل القوة ، فهى كذلك ، تمر بنفس الدور من زاوية الاعلام ، اما هذه الصفات المكتسبه . والتى تجعل منها ادبا واعلاما معا فمن بينها : « تناول حوادث وقعت بالفعل فى اسلوب ادبى ـ ابطالها حقيقيون يعيشون ويتحركون فى مجتمعهم ـ ثم اليست هناك صحافه ادبية ، وهى لون مهم من الوان الصحافه المهتمه ؟ ـ ثم عندما يكون كتابها من الممارسين لكتابة الألوان الصحفية الاخرى المعروفه . ٠٠ بل ربما يسفر البحث وراء بعض النصوص ، عن انها الى جانب الاعلام ، اقرب منها الى جانب الادب (*) ٠٠ حتى وان تناولها المؤرخون السابقون ، على انها من الادب ، ومنه فقط .

٦ ـ ٠٠ وأما المشكلة العلمية السادسة فهى تلك التى يمكن أن تثار متناوبه اكثر من امر يتصل بموضوع هذه الصفحات . وليس أمرا واحدا فقط ٠٠ وذلك على النحو التالى :

● فما نقول عنه انه اعلام يزخر بالمبالغات ، وبالأمور « المختلقة » والحوادث « الملفقة » .

● بل ويزخر بالأساطير أيضا ٠٠

● وهو فى بعض جوانبه ، دعـــاية ، وليس اعلاما ، كيف اذن يمكن الخلط بينهما ؟ ٠٠ على صفحات كتاب علمى ٠٠

لكن الرد يأتى سريعا ٠٠ كيف ؟

● فما يزخر بالمبالغات والأمور المختلقة والحوادث الملفقة ، ليس هو الاعلام المصرى القديم فقط ، وانما توجد مثل هذه « المثالب » فى اعلام اليوم أيضا ، ولا أعتقد أنها ستختفى فى اعلام الغد . كل ماهنالك أنها تختلف حجما وأسلوبا من اعلام بلد الى اعلام بلد آخر ، بالقدر الذى يستأهله شعب أو اخر أو ثالث وما يتبعه من احترام اعلامييه لعقلية أبنائه ، وذلك

(*) نلفت النظر هنا الى دراستنا « أدب الجاحظ من زاوية صحفية » والتى قدمت نتاجه الأدبى ، من منظور صحفى ، يضعه بين أوائل الصحفيين العرب ، الذين عرفهم التاريخ الاعلامى ، تماما كما أنه من أوائل الادباء ، أو أديب العربية الاكبر .

القدر من « الحرية » ٠٠ الذى يتمتع به ، قولا وفعلا وبذلك المستوى الفكرى العام . ودرجة وجود التفكير العلمى ٠٠ ومن ثم ، فاننا ننشد الكمال ، ان اردنا أن تكون هذه الجذور الاعلامية ، فى حال وجودها ، وهى هى التى تسير خطواتها الأولى على درب العمل الاعلامى ، ان نحن أردنا لها اعلاما يعتمد على الحقائق والصدق والدقة والموضوعية بنسبة ١٠٠٪ ٠٠ ومع ذلك فهناك ـ كما سنرى باذن الله ـ بعض الرسائل والنصوص والكتابات التى نزعم أن هذه الفضائل قد توافرت لها ، كاملة ، أو بدرجة كبيرة ٠٠ ومن ثم فنحن نكرر قول القائل : « من كان منكم بلا خطيئة ٠٠ **فليرمها بحجر** » ٠

ـــ وأما **الأســــاطير** ٠٠ فنحن نقول : لقد كان تسللها الى بعض النصوص الاعلامية يمثل أسلوبا وطابعا ٠٠ ومع ذلك ، فالاعلام الحديث ليس خلوا منها تماما فالصحف تنشر ، والاذاعات والأفـــلام التليفزيونية والسينمائية تقدم « لا سيما مجلات وبرامج الأطفال والطلائع والشباب » :

ـــ **قصص الخيــال العلمى** ٠

ـــ **اعادة صياغة لبعض الأساطير القديمة فى ثوب عصرى** ٠

ـــ **الأساطير نفسها** وكما هى معروفة ومدونه ومتوارثة ٠

ـــ التحقيقات الصحفية التى تفترض من وجود **كائنات أسـطورية** فى الفضاء والأعماق ٠٠

٠٠ ولعل نظرة الى أفلام الفضاء ، وأعماق المحيطات ، ومسلسلات الخوارق ، وألف ليلة وليلة ٠٠ لتؤكد هذا كله ٠٠ أن الأساطير ، والخوارق، والملاحم الخيالية ، ليست وقفا على الأدب القديم ، أو الاعلام القديم فقط ٠٠ ومن هنا فان دورنا هو فى الاشارة اليها ، والنظر اليهما من زاوية علمية ٠

● ٠٠ **وأما الدعاية** ، فدعونا أولا نقول ماهى ؟ ٠٠ ثم نسأل أنفسنا عن وجودها من عدمه على الصفحات ، وأمواج الأثير ، والشاشة الصغيرة ٠

ـــ ان أحد الباحثين يعرف الدعاية تعريفا شاملا ـ على حد قوله ـ ٠٠ جاء فيه : « الدعاية هى **الجهود الاتصالية المقصودة والمدبرة** التى يقوم بها الداعية مستهدفا نقل معلومات ونشر أفكار واتجاهات معينة ثم اعدادها

وصياغتها من حيث المضمون والشكل وطريقة العرض بأسلوب يؤدى الى احداث تأثير مقصود ومحسوب ومستهدف على معلومات فئـــات معينة من الجمهور وآرائهم واتجاهاتهم ومعتقداتهم وسلوكهم وذلك بغرض السيطرة على الرى العام والتحكم فى السلوك الاجتماعى للجماهير بما يخدم أهداف الداعية ، ودون ان يتنبه الجمهور الى الأسباب التى دفعته الى تبنى هذه الأفكار واعتناق هـــذه الآراء والاتجاهات والمعتقدات ودون أن يبحث عن الجوانب المنطقية لها » (٦٣) ٠

ــــ ويقول باحث آخر : « من بين عشرات التعـــاريف التى قدمها المهتمون بموضوع الدعاية نجد أنهم يتفقون على أن الدعاية هى فن التأثير والممارسة والسيطرة والالحاح والتغيير والترغيب أو الضمان لقبول وجهات النظر أو الآراء أو الأعمال أو السلوك » (٦٤) ٠

ــــ وينقل الباحث نفسه تعريف « نورمان جون باول » ٠٠ لموضوع هذه الكلمات والذى جاء فيه « الدعاية هى نشر الآراء ووجهات النظر التى تؤثر على الأفكار أو السلوك أو كلاهما معا » (٦٥) ٠٠

ــــ ويعقد أحد أساتذة الاعلام مقارنة بين عمل رجل الاعلام ، وعمل رجل الدعاية قائلا : « ان الاعلامى يحـــدد ويحلل وينفذ ويقترح اقتراحات واضحة ، أما الداعية فيعمم ويثير ويحرك الانفعالات والغرائز ويغدق فى الوعود والأحلام ، فالاعلام يقظة وتنوير أما الدعاية فهى خدعة وتحذير ، والاعلام يهدف الى الترقية والارتفاع بمستوى الرأى العام ، أما الدعاية فهى أنانية لا يهمها الا تحقيق أغراضـها وفقا للمبدأ القـــائل بأن الغاية تبرر الوســـيلة » (٦٦) ٠

٠٠ تلك هى الدعاية٠٠كما يعرفها المتخصصون والأقرب الى مادتها٠٠ وحيث نتوقف هنا لنقول :

ــــ أننا عندما نجد المادة التى تصدق عليها هـــذه الأقوال ، فلن يضيرنا فى شىء ، ولن يضير هذا البحث فى شىء ، من أن يشير اليها على أنهـا دعـــاية ٠

ــــ أن الاعلام هو معنى شامل ، ومفهوم متكامل يشملها ، بدليل أن

معظم المراجع التى تتحدث عن الاعلام ، يمتد حديثها الى الدعاية أيضا ، على أنها **نشاط يقوم به « اعلاميون »** أيضا ، ثم ان معظم وزارات الاعلام هى التى تقوم بعملية الدعاية خاصة فى جانبها السياسى ، وحتى فى جوانبها الأخرى فان الادارات المتخصصة أو المهتمة التى تقوم بها هى ادارات ذات صبغة اعلامية أولا ..

— ثم .. أليس للدعاية بأنواعها وأشكالها المختلفة ، وجودها المختلف قوة وأثرا ، فوق الكثير من الصفحات ، وعلى خرائط العـــديد من البرامج الاذاعية والتليفزيونية .. حتى ليكاد يخيل للباحث أن الكثير مما يقدم تتسلل اليه الدعاية بشكل أو بآخر ، بمقدار قد يكون قليلا جدا ، وقد يكثر ، وقد تستحيل المادة كلها ، مطبوعة أو مسموعة أو مرئية .. الى مادة دعائية فى بعض الاوقات .. والأمثلة على ذلك واضحة للعيان ، تستوى فى ذلك وسائل الاتصال الحكومية ، التى تقوم بالدعاية لكل عمل « رســمى » مهما كان صغيرا ، حيث يتم تصويره على أنه أبرز الأعمال ذات النتائج الباهرة فى نفس الوقت الذى تقوم به الوسائل المعارضة ، بعمل **الدعـــاية المضادة له** ، صغيرا كان أو كان كبيرا ، بينما تنظر نظرة مغايرة تماما ، لأعمال حزبها الذى تصور دعايتها أنها أعظم الأعمال ، وهكذا .

— بل ان كثيرا من وسائل الاعلام التى تصف نفسها بالاستقلال ، تقع فى مثل هذه الأخطاء أيضا بامعانها فى الدعاية للنظرة المحايدة والمستقلة، تلك التى قد تحجب عنها الرؤية الواضحة فى بعض الاوقات وان كانت هذه تعتبر خيرا من سابقتها ، وأقل منها فى مجالات هذه الدعاية .. ثم .. هل هناك استقلال حقيقى ، قائم ومتفاعل ودائم ، وهل هناك حيدة كاملة ، أو موضوعية تامة .. ترى ، من الذى يستطيع أن يقوم بذلك ؟ وأن يقـــدر عليه دائمــــا ؟

— ثم انها — الدعاية أيضا — قد تكون خاصة من خصائص هذا الاعلام القديم ، تستند الى العوامل العديدة التى تؤثر فيه ، ويتأثر بها ، ومن ثم فالنظرة اليها ترتبط بالنظرة اليه فى مجموعه ، وهو ما يحدث حتى الآن ، بالنسبة لاعلام عدد غير قليل من الدول لا سيما تلك التى نطلق عليها تعبير « الدول النامية » ..

واذن فهذه الدعاية فى حال وجودها ـ بأنواع هذا الوجود وبأنواعها أيضا ـ فى دائرة اعلام الاجداد ـ فى حال وجوده أيضا ـ لن تكون بدعا . ولن تكون العصور السابقة منفردة بها · بل أننى أذهب الى أبعد من ذلك لأقول . ان الدعاية القائمة حاليا ، يمكن أن تصبح امتدادا للقائمة سابقا ، ورثها الخلف عن السلف ، تماما كبعض العادات والتقاليد ، التى مازالت قائمة . كما عرفها هؤلاء الأجداد . مع اختلاف العصور . والوسائل · · ·

٧ ـ ·· **وأما المشكلة العلمية السابعة** ، والتى يمكن أن تثار ·· فهى تلك التى تقول ·· ولكن المادة التى كانت قائمة فوق آثار الأجداد ، حتى لو سلمنا بأن بعضها كان له طابعه الاعلامى ، فقد كان يطغى عليه طابع الاعلام الذى يسير فى اتجاه واحد ، **من القمة الى القاعـــدة ، من الملوك والامراء وكبار القادة الى الشعب** ، بينما نعرف أن الاعلام « الحقيقى » وكما يقول خبراؤه ، لابد وأن يسير فى الاتجاهين معا ، بدليل قولهم أن الاعلام الناجح تمثله « قناة ذات اتجاهين » ··

والرد على ذلك ، يشبه كثيرا ، الرد على مشكلة « الدعاية » بالنسبة للاعلام المصرى القديم ولكن كيف ؟ ·· نعم ، ان هذه النقاط جميعها يجب أن تؤخذ فى الاعتبار ونحن نناقش هذه المشكلة ·

● أنه لن يضيرنا فى شىء أن نذكر ذلك ، فى حال وجوده ·

● وأن هذه « الغلبة » الواضحة ، لاتجاه الاعلام من القمة الى القاعدة ـ فى حال وجودها ـ **فلن تكون قاصرة على الاعلام المصرى القديم** ، بل وعلى الاعلام المصرى فى فترات تاريخية عديدة ، بل وعلى اعلام عدد من شعوب « الشرق الأدنى » الأخرى ، قديمة وجديدة ، ولا أقول كلها ، بل أن وجود هذه القناة ذات الاتجاهين ، كان وجودا ضعيفا بصفة عامة ، ولم يظهر تماما ، الا فى عصور قليلة سابقة ، لا سيما عصر « الخلفاء الراشدين » ·· وصدر الاسلام ، وفى فترات متقطعة من العصرين الأموى والعباسى ·· ثم فى بعض فترات التاريخ الأوربى وهى على مشارف « العصور الحديثة » ·· ثم كان له وجوده القوى خلال هذا القرن ، فى عدد محدود من البلاد لا سيما الولايات المتحدة الأمريكية ، ودول غرب أوربا ، والدول الاسكندنافية ، وأخيرا فى عدد من الدول الآسيوية ، كاليابان والهند والصين بدرجات متواضعة ··

لكن الطابع العالم الغالب والمسيطر علىاعلامعظم الدول ـ لا سيما النامية ـ هو الطابع القناة ذات الاتجاه الواحد ، من القمة ، الى القاعدة ٠

● وحتى فى حال وجود ما يؤكد ذلك وبقوة أيضا ، من خـــلال « النصوص الاعلامية » التى يمكن أن تقدم الدليل عليها ٠٠ فان ذلك لن يفت فى عضدنا ، لأن ذلك :

ـــ لن يغير من كون هذه « نصوص اعلامية » ٠٠ أى كونه اعلاما ٠

ـــ يجعلنا نضعها فى مكانهاالصحيح ، بوصفها ـ تماما كالدعاية ـ خاصة من خصائص هذا الاعلام وظاهرة من ظواهره ، نتناولها فى الجانب المخصص لذلك (*) ٠

٨ ـ ٠٠ **وأما المشكلة العلمية الثامنة** التى يمكن أن تثار فهى تلك التى نقول ٠٠ لكن الاعلام يقدم لقارىء ومستمع ومشاهد اليوم أو الغد فقط ، لكن المادة الموجودة فوق الآثار المختلفة هى مادة تاريخية ، قصد بها اعلام الأجيال اللاحقة وليست الحالية٠٠فهى اذن مادة للتاريخ ، وليست للاعلام٠٠ وهنا نقول :

ـــ أنه اذا صح ذلك ، فسوف تكون حالة فريدة من حالات التاريخ الاعلامى جديرة بالدراسة والمتابعة العلمية ٠٠ التى تستمر ، وتسير بحذاء الكشوف الأثرية الجديدة ، لمن أراد أن يواصل هذا الطريق من الباحثين ٠

ـــ ولن يلغى ذلك كونها تاريخا واعلاما معا ، تاريخ عام قديم يعرف، واعلام خلال هذه العصور السحيقة ٠

ـــوأما اذا كانت اعلام لقراء الحاضر ـ اليوم والغد القريب ـ فقط ، فهى ليست بدعا فى ذلك ، الا من زاوية استخدام الوسائل الضخمة والعملاقة، انعكاسا لأفكارهم الخاصة ، ولفكرة « الخلود » على وجه التحديد ، ولنظرة

(*)كانت هناك صحف حكومية ، وصحف معارضة ، كما سوف نشير الى ذلك فى مواضع قادمة ٠

« التضخيم » عندهم٠٠ فاذا جاء باحث بعد ذلك ورأى فيها اعلاما ، فكثيرا ما كانت الصحافة مصدرا للتاريخ ، بل ان صحافة القرنين السابقين ١٨ ـ ١٩ ، هى من أبرز مصادر تاريخه وكذا ستكون ـ بعد وقت طال أم قصر ـ صحافة قرننا الحالى ٠ على الرغم من محاذير ذلك ، والمحاذير قائمة أيضا ، بالنسبة للمصادر التاريخية الأخرى ٠

ـــ أما اذا كانت قد كتبت من أجل قارىء ومشاهد اليوم والغـد القريب ، والبعيد ، والبعيد جدا ، وكان أصحابها من صادقى العزم فى ذلك ، ومن الحريصين على أن ينقلوا لعشرات الأجيال أخبارهم وأعمالهم ٠٠ فهى كذلك « ظاهرة » علمية جديرة بالتأمل ، والدراسة والمتابعة ٠

٠٠أى أنه فى جميع الأحوال ، وباستخدام كافة وجهات النظر ، من يقول أن الاعلام للحاضر القريب فقط ، أو للغد القريب أو البعيد ، أو لكل هذه الأوقات مجتمعة ٠٠

٩ ـ ٠ **وأما المشكلة العلمية التاسعة** ، فهى تلك التى تطرح نفسها من خلال سؤال يقول : لماذا نتحدث عن مصر أولا ؟٠٠ لــــماذا لم نتحدث عن الحضارات القديمة فى العالم كله ، وقد يكون هناك ما هو اقدم من الحضارة المصرية ٠٠ ومن ثم يكون من حقها أن نتحدث عنها تبعا لاسبقيتها ؟٠٠ وهنا أتوقف لأقول :

● أن من طبائع الأمور أن ابدأ بالقريب ، والقريب هنا هو مصر أولا ، ومن بعدها حضارات الشرق الأوسط والأدنى والشرق عامة ، ثم يأتى دور غيرها ٠

● ثم ان ابدأ ـ وهو من طبائع الأمور ايضا ـ بما تتوافر مادته العلمية أكثر من توافر مادة غيره ومن ثم يكون هو الأقرب الى تناول اليد والفكر والبحث عامة ٠

● ثم أننى لم الق بالا كثيرا ، ولا عناية مماثلة ، نحـو موضـوع اسبقية حضارة او أخرى لأننى أعتبره من زاوية دراستى هذه ، من قبيل

« الاســهاب » و « الترف » العلمى الذى يحملها فوق طاقتها ولا يقدم فائدة محققة بالنسبة لها :

● وذلك كله ، فى ضوء أن هذه النقطة ما تزال محل خلاف بين المؤرخين ، لا أريد أن أقحم نفسى فيه ، أو أن أحمل هذه الدراسة جزءا منه ، وحيث أن من المعروف أن هناك كثرة من المؤرخين ، فى مقدمتهم « ج· هـ· **بريستيد والبون سميث** » وغيرهما تقول بأسبقية الحضـــارة المصرية ، فى مقابل عدد آخر منهم فى مقدمتهم : « **شونيفرت وبول ديورانت** » وغيرهما ، يرى أن السبق كان للحضارة « سومر » بوادى الرافدين (*) ·· وآخرون يرون فى بعض الحضارات الشرقية الأخرى كالصينية والهندية واخرون يقولون بالفينيقية ، أو حضارة جزيرة العرب ، وما الى ذلك كله ·

● بل اننا هنا نكرر ما ذكره مرجع أساسى ، ومصدر مهم جدا ــ تاريخ الحضارات فى العالم مجلد (١) عندما جاءفيه قول أحـد العلماء : « ودون أن نقطع فى أمر أقدم الحضارات وأسبقها فى الترتيب الزمنى ··· لنبدأ بمصر » (٦٧) ·· ثم نتساءل :

● ألا يعنى ذلك أن الموضوع مايزال « معلقا » ؟

● وأن البت فيه صعب ·· حتى على صفحات هذا « السفر » الذى يتناول الحضارات فى العالم ؟

● ومع ذلك فان علينا ــ كباحثين ــ أن نتساءل : لكن ، على الرغم من قرار المؤلفين بعدم القطع بأسبقية حضارة من الحضارات ·· ألايعنى قرارهما بأن تكون البداية هى مصر ، أنهما يميلان الى اعتبارها ذات السبق ، والفضل والجدارة . وأن قرار البداية بحضارتها يعنى ذلك كله عمليا وان لم يفصحا عنه نظريا ؟ !

(*) يتبع « بول ديورانت » فى ذلك « شونيفرت » ·· لكنه يعود فيقول : « ·· مهما تكن الاصول التى استمدتها مصر من أرض دجلة والفرات ، فانها سرعان ما نمت واثمرت حضارة مصرية خالصة فذة هى بلاريب من أغنى الثقافات المعروفة فى التاريخ وأعلاها شأنا واعظمها قوة ، وهى مع ذلك من اكثرها رشاقة وجمالا ، حضارة اذا قيست اليها السومرية لم تكن الا بداية فجة ، بل ان حضارتى اليونان والرومان لا تفضلانها فى شىء » قصة الحضارة ، جـ ١٠ ص ٤٥ ·

● ومع ذلك . فعندنا من الأسباب التى تجعلنا نقول أن الحضارة المصرية فى مقدمة الحضارات العالمية التى عرفت هذا اللون من النتاج الفكرى الذى نطلق عليه تعبيرنا « الاعلام » أو « الاتصال الاعلامى » أو « الصحافة بأنواعها ·· بل ان هناك العديد من الفروض العلمية التى تسفر عنها نتائج الدراسة المبدئية أو الاستطلاعية ، التى تشير الى ذلك ·· ومن بينها مثلا :

ـــ لأنها كانت ـ فى معظمها حضارة تسجيلية تدوينية ·

ـــ تعدد وخصوبة الحياة المصرية وثراؤها مما شكل مضمونا ثريا يستحق الذكر والتسجيل ·

ـــ الرغبة المصرية الأصيلة والثابتة فى التقدم والتطور والحرص على تحقيق الفائدة من النتائج المحددة ·· حتى من الأجانب ، أو الغزوات أو الوافدين ·

ـــ الخاصة الابداعية للشعب المصرى ، شعب مفكر ومبدع فى جوانب عديدة ذات صلة قوية بالاعلام خاصة الأدب والفن والعمارة ·

ـــ النيل والاستقرار الى جانبه ، وحيث أن الطابع المستقر يتيح الوقت للتفكير والبحث والابداع ·

ـــ وجود الخام المناسب فى صناعة الكتابة والتسجيل كالحجر والفخار والاردواز والبردى وغيرها ·

ـــ وجود العديد من العناصر البشرية القادرة على القيام بالعملية الاعلامية ، فكرا واعداد وتنفيذا ·

ـــ التربة المصرية والمناخ المصرى الجاف والمناسب ، الذى ساعد على حفظ هذه « الاوعية الاعلامية » حتى اليوم وبعضها على حاله تماما(*) ··

(*) تخترق فكرى الان . وبشدة . وتقطع عليه الطريق ، أبيات الشاعر « أحمد شوقى » العديدة ، فى الاثار المصرية ومنها قصيدته فى « أنس الوجود » ·· والتى يقول فيها :

رب نقش كانما نفض الصانع اليدين بالأمس منه نفضا

صنعة تدهش العقول وفن كان اتقانه على القوم فرضا

— خاصة التفكير وراء كل شيء ، والبحث وراء مسبباته ، وعلله ونتائجه والتى أشار اليها هيرودوت ٠

— قوة ونفوذ الفراعنة،ورغبتهم فيتسجيل ذلك، وتعريف الجميعبه٠

— السبق بمعرفة الكتابة ، وجود أبجدية مصرية قديمة ،قبل الأبجدية الفينيقية نفسها ، والأخيرة أم الأبجدية الأوربية ٠٠ مما أتاح فرص التعبير والبيان كما لم يحدث - زمنيا - عند أية أمة أخرى ٠

العامل الدينى ، وقوته وأثره ٠٠

— الاقتراب الشديد ، بين العلم من جانب ، والاعلام من جانب آخر، وأجدادنا ، جعلوا للعلم مكانا مرموقا فى حياتهم ٠٠ فأنشأوا المدارس والمعاهد العامة والمتخصصة ، وكانللتفكير العلمى نصيبه الكبير مننشاطهم٠

ولعل بعض هذه الأسباب فقط - وليس جميعها - ليقف مؤيدا أن تكون البداية من هنا من الحضارة المصرية ٠٠ التى هى تراث الانسانية كلها ٠٠

٠٠ ولقد كانت هذه كلها ، من قبيل النتائج السريعة ، التى أسفرت عنها دراستنا الأولية ، أو الاستطلاعية لهذا الموضوع ٠٠

ثم مـاذا ؟

١٠ - ٠٠ وأخيرا ٠٠ وليس بآخر أيضا - **تأتى المشكلة العلمية العاشرة،** والتى تقول :هل يعنى ذلك أن أحدا من رجال التاريخ أو الآثار ، أو من المفكرين بشكل عام ٠٠ لم يتنبه الى ذلك الموضوع ، موضوع الوجود الاعلامى المصرى القديم ، منذ عرفت هذه الدراسات ، وعمرها الآن يزيد على قرنين للدراسات الأثرية ، وعشرات القرون للدراسات التاريخية ٠٠ وما يزيد على قرن كامل بالنسبة للدراسات الاعلامية ؟

ويالها من أقوال مهمة ، تجبرنا على التوقف لنقول بشأنها ؟

● صحيح أن الدراسات التاريخية عمرها عشرات القرون ، ومدارس

المؤرخين واتجاهاتهم معروفة لكن النظرة الاعلامية لم تكن موجودة ، بل كان ينظر الى كل ما هو نتاج فكرى ، على أنه ادب أو علم بمعناهما الشامل ٠٠ ومن ثم فان استخدام مصطلح « الاعلام » لم يكن معروفا أيضا ، بل كان يغطى عليه تماما مصطلح العلم مع أن الاعلام هو ـ كما أشرنا الى ذلك من قبل ـ **التعريف بما لم يكن معلوما ووضع الشخص موضع « العلم »** به ٠٠ أى اعلامه بما لم يكن معروفا من قبل ٠

● والدراسات الأثرية ، كانت ترى فيه مادة تاريخية سياسية أو ادبية أو علمية ، انطلاقا من النظرة نفسها ، فضلا عن أن اهتماماتها الأولى موزعة على جوانب البحث والتنقيب ٠

● والدراسات الاعلامية قمنا بتحديد موقفها فى مقدمة هذه الدراسة ، وهى بين غير مهتم أو مكتوث بذلك الجانب ، غير معترف به ، أو معترف على استحياء ، أو معترف كامل ، لكن هذه قلة ، وربما لا يملك بعضها الوسائل العلمية التى تقربه أو تعينه أو تساعد على المضى فى مثل هذه الدراسة لسبب من الأسباب ، من أبرزها وجود الاهتمامات والموضوعات الأخرى ٠٠ الى غير ذلك كله ٠٠

● ٠٠ ومع ذلك ، مع ذلك كله ، دعونا نقول ـ أيها الأصدقاء ـ أن كثيرا من الدراسات التاريخية والأثرية والاعلامية والفكرية عامة ـ معا ـ قد حفلت بالعديد من الاشارات التى تؤيد دعوانا ، وتقف فى جانبها ، ومع ذلك ، ـ للاسف الشديد ـ فانها لم تتعد مجرد اشارات بعضها ذكر على سبيل التشبيه بالوسائل الاعلامية الحديثة ـ خاصة الصحافة ـ لكنه كان تشبيها صادقا كل الصدق ، دالا كل الدلالة ٠٠

ومن هنا ، فان كلماتنا الأخيرة ، فى هذا الفصل هى فى لفت الأنظار الى أبرز ما جاء من هذه الاشارات ، الى وجود الاعلام المصرى القديم ، فى تلك الدراسات السابقة ، وحيث نختار عددا منها ، عربية وغير عربية اعلامية وتاريخية دلالتها الأولى أن هؤلاء قد « اعترفوا بوجود مثل هذا الجانب الاعلامى فى الصحف ٠٠ فى هذه العصور الغابرة ٠٠ بل اننا لا نبعد كثيرا عن الحقيقة عندما نعترف ، أنه بالاضافة الى اهتماماتها بدراسة تاريخ مصر

عامة . ومصر القديمة خاصة ، فأن مثل هذه الأقوال ، نعتبرها من معالم طريق هذه الدراسة ، تلك التى شجعتنا على خوضها ، وأحيت أملنا فى احتمالات الوصول الى نتائج علمية تتصل بهذا الموضوع ، ان من بينها مثلا (*) :

(أ) من أقوال مؤرخى الصحافة

١ — ·· ان أحد المبرزين من رجال الصحافة ، وبالذات فى كتابة المقال وفى الاهتمام بمصر القديمة أيضا يذكر فى محاضرة قيمة له هذا القول (**) ·· « نعود بالنظرة التاريخية الى مصر القديمة ، أى ما يقرب من خمسة آلاف سنة مضت ونسأل : هل عرفت مصر هذه الصحافة أم لم تعرفها ؟ والجواب على ذلك أنه اذا أريد بالصحافة الصورة التى نراها عليها اليوم ، وهى اصدار صحف دورية مطبوعة لتذيع على الناس الثقافة السياسية والعلمية فمصر القديمة لم تعرفها لسبب ظاهر هى أنها لم تعرف المطبعة والطباعة ، أما ان أريد بالصحافة معناها الأوسع ، وهى اذاعة التبليغات والأخبار فمن البديهى أن كانت لدى الحكومة تبليغات وأخبار يهمها أن تذيعها على الرعية ، كانت لديها مثلا الأوامر التى تصدرها كل يوم تريد أن تخضع لها رعيتها ، وكان لديها أخبار الانتصارات التى كان الملوك والقواد والمصريون يحرزونها شرقا وغربا وجنوبا وكان يهمها أن تقف الرعية عليها وأن تقيم الاحتفالات لها ·· فهذه الأوامر والاخبار ، كيف كانت تذيعها الحكومة ؟

كانت طريقة الاذاعة · ارسال رسل يحملون مكاتيب مكتوبة على ورق البردى الى كل اقليم ، وكان هؤلاء الرسل فى حركة دائمة ، وكانت لهم محطات معينة يتجهون اليها بما يحملون من الرسائل ، وكانت للملك جياد

(*) بعضها ذكر فى عدد من كتبنا السابقة ، كدليل على اهتمامنا بهذا الجانب ، قبل تاليف هذا الكتاب الذى بين أيدينا ·

(**) الباحث والكاتب النابه هو الاستاذ « عبد القادر حمزة باشا » ·· فى محاضرة له بعنوان : « الصحافة المصرية : نظرة تاريخية ، ونظرة تحليلية » ألقاها مساء ٣٠ مارس ١٩٣٦ بدار الجمعية الجغرافية فى الدورة الاولى للمحررين المصريين·

مخصصة لهم فى كل محطة من هذه المحطات • ومتى وصلت الرسالة الى حاكم الاقليم أذاع مابها على سكان اقليمه » (١٨) •

« تعليق : تشبه هذه البيان الذى تبعث به رئاسة الجمهورية أو الديوان الملكى أو الأميرى أو وزارة من الوزارات ليذاع بالراديو والتليفزيون وتنشره الصحف فى أقرب نشرة أو طبعة » •

٢ ـ •• وقد أشار مؤرخ آخر للصحافة الى جانب مغاير من هذا النشاط عندما تحدث عن « تحتمس الثالث » •• والوثيقة البردية التى تعود الى عهده والمحفوظة فى متحف اللوفر فى باريس ، والتى تؤكد وجود صحيفة رسمية : « تنطق بلسان حكومة مصر ويكتب فيها الوزير خماراه عدة مقالات تبين اتجاه الحكومة فى ذلك العصر » (٦٩) •• وذلك بالاضافة الى ما يذكره المؤرخ نفسه مما يتصل بـ : « ورقة تورينو البردية المشهورة التى تقول أن المصريين لم يقتصروا على معرفة الصحف الرسمية ، بل كانت لديهم صحف رأى وصحف معارضة تناولت بالنقد تصرفات الملك رمسيس الثالث كما كانت هناك جريدة القصر التى تقص فضائح المدينة وتروى الشائق عن النزهات الليلية والحفلات الساخرة والماجنة التى كان يقيمها فرعــون مصر على شاطىء بحيرة موريس » (٧٠) •• بل وأكثر من ذلك ، وكما يروى هـــذا المؤرخ نفسه ، أن هؤلاء قد عمدوا الى كتابة الاخبار فوق ألواح حجرية عند مداخل الأماكن المهمة •• « وكانت هذه الألواح تتغير كلما جد جـــديد من حادث أو نبأ » (٧١) •

« تعليق : لعلها من الاشارات الأولى الى وجود صـــحف معارضة ، مما يزعزع القول بأنه كان اعلاما يسير فى اتجاه واحد •• أو انه كان دعاية فقط ، كما أن الألواح المتغيرة تقف فى صف وجود لون من ألوان التعدد الذى أشرنا اليه » •

٣ ـ •• ونواصل الحديث من زاوية مؤرخى الصحافة ، لنجد مؤرخا آخر يقول فى هذا المجال أيضا : « ونقل الاخبار وتدوينها معروف من العصور القديمة حيث صاحبت الطرق الاخبارية الحياة المصرية منذ عهد الفراعنة الى دخول الفرنسين فى مصر ، وقد تغيرت الاساليب الاخبارية فى هـــذه الأجيال المتعاقبة فى أشكال وصور مختلفة ، فاستعمل الفراعنة معابدهم

والواحهم وأحجارهم لتدوين حيــاتهم وشـئون جماعاتهم وتصوير ظروف عصرهم بما فيـــه من النواحى التاريخيـــة والحــــربية والسياســـية والاجتماعية »(٧٢) ··· ويقول المؤرخ نفسه ـ د· ابراهيم عبده ـ فى موضع آخر ·· « ·· ثم مضت الحكومات المتتابعة على هذا النسج فأصبحت تدون جميع الحوادث والاخبار العامة على الأحجار والمقابر والمعابد لتعلن للناس ما خفى عليهم من سير الملوك وأخبارهم فى السلم والحرب واحتفظ بهذه الطريقة البطالسة والولاة الرومان وعمالهم فى الأقاليم المصرية » (٧٣) ·

(ب) من اقوال رجــال التاريخ والآثار

·· ثم ننتقل بسرعة ، الى عدد آخر من الأقوال ، لنوعية أخرى من الرجال ، حتى لا يتهمنا أحد بالاحتكام الى شهادة مؤرخى الصحافة فقط ، من اقربائنا وأنسبائنا فلا تكون لشهادتهم قوة شهادة الآخرين ، من « أهــــل التاريخ والآثار » ·· وحتى يكون الاحتكام من الزاويتين معا ، وكذا ·· حتى يقال « شهد شاهد من أهلها » ··

ان عددا من رجال التاريخ والآثار ، قد وردت مثل هذه التعبيرات السابقة ـ بشكل أو بآخر ـ ضمن كتاباتهم ، ومن بينها على سبيل المثال لا الحصر أيضا ومما يعتبر من معالم الطريق الى موضوعنا :

١ ـ ان أحد كبار المؤرخين يشير الى تلك المادة الاخبارية المدونة فوق جدران معبد الكرنك ، والتى أطلق عليها اسم « حوليات تحتمس الثالث » ·· يشير اليها قائلا أنها : « كانت فى الأصل مكتوبة على رق من الجلد كتقارير حربية يومية وأمر بنقشها على جدران ذلك المعبد » (٧٤) ·· ترى ألا تشبه هذه البيانات العسكرية اليومية ، التى تبعث بها قيادة المعركة للاذاعة فورا ، أو للنشر على صفحات العدد التالى ، أو الطبعات الخاصة التى تصدر بمناسبة الحرب ؟ وكلنا يتذكرها عندما يسترجع أحداث حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، أو حرب الخليج الايرانية العراقية عندما كانت قائمة على أشدها ·

٢ ـ ·· ويقول أحد دارسى الفن المصرى القديم : « ··· والى جانب فالآثار مصر من قيمة فنية ، فهى تكشف عن عقائد المصريين وأفكارهم وفيها

تتراءى طبيعتهم ومشاعرهم وتتمثل آدابهم وعاداتهم وفى صفحاتها تتردد أصداء حيواتهم السياسية والاجتماعية بما يجعلها سجلا حافلا ينطق بلسان واضح مبين » (٧٥) ·· ألا يعنى ذلك كله أن هذه الآثار كانت تقوم بدور الصحف ، مرآة حياتنا الحالية . بل ان المؤلف استخدم لفظ « الصفحات »·· بما يزيد من اقترابه من المعنى الصحفى بشدة ؟

٣ ـ ·· ويقترب من ذلك ما يذكره مؤرخ الحضارة العالمية ، عن أثر من هـــذه الآثار ·· يقول ول · ديورانت عن مسـلتى حتشبسـوت بالكرنك : « ·· وبالقرب من هذه الردهة مسلتان رفيعتان ، كلتاهما من حجر واحد ، متماثلتان أتم تماثل ، ومتساويتان فى الجمال والرشاقة تقومان كأنهمـــا عمودان من النور بين حطـــام التماثيل والهياكل وتذيعان بما عليهما من النقوش رسالة الملكة الفخور حتشبسوت الى العالم » (٧٦) ·· هناك رســالة تذاع ، وتقوم المسلتان باذاعتها ، منواقع ما تحملانه ، والمكان «الاستراتيجى» ·· الموجودتان به ، ليشاهدهما ـ حتى الآن ـ أكبر عدد من الناس ، ترى كم من البشر شاهدهما ، وتولى المرشدون السياحيون ، وعلماء الآثار شرح ما فوقهما لهم ، منذ قامتا ·· حتى الآن ؟

٤ ـ ·· وفى تعليق لأحد كبار رجال الآثار على قول لـ : « هيرودوت» ·· ينقله هذا الاخير عن كهنة مصر : « ·· وقالوا أيضا أن منا كان أول ملك لمصر من البشر » (٧٧) ·· يقول « د· أحمد بدوى » ·· بعد أن يشير الى ذكر أكثر من مؤرخ لذلك ·· « ·· ليس حتما علينا أن نأخذ بهذه الاخبار ، فنجعل منا أول حكام مصر من البشر ، كلا ، أنه لم يكن أول حكام مصر ، ولم تكن أسرته أول أسرة حكمت مصر ، وانما هناك أسر أخرى اضطلعت بحكم مصر قبل زمان منا وأسرته » (٧٨) ·· ويضيف قائلا وهو ما يعنينا هنا بالدرجة الأولى : « والى ذلك يشير ثبت بالرمو وهو أقدم جريدة تاريخيـــة تشير الى من حكموا مصر قبل ظهور منا وقبيله » (٧٩) ·· وهكذا يشير المؤرخ المعروف الى وجود جريدة ، ليست جريدة عامة أيضا ، وانمـــا متخصصة ، ومجال تخصصها هو التاريخ ·

٥ ـ ·· وللذين يقولون بعدم وجود الاعلام أصلا ، فما بالك بالاعلام الشفهى ·· نقدم هذا القول لأحد المهتمين بالأدب المصرى القديم : « وفرعون مصر كسائر ملوك الشرق قد ينزل به السأم الذى تصرفه القراءة ، وانمـــا

يجب أن **تقرأ عليه خطب بليغة وقصص مسلية** « وفى قصة الواحى يأمر الملك بأن يحجز فى المدينة هذا الواحى البليغ أطول مدة ممكنة ليجعله يتكلم كثيرا ويأمر الملك اذ ذاك بأن **يدون** كل ما يقوله كتابة حتى يمكنه أن **يستمع** اليه ـ فى الأصل حتى يمكننا ـ ٠٠ » (٨٠) يعلق الكاتب باضافة عبارة من عنده تقول على أثر ، حتى يمكننا أن نستمع اليه التى جاءت على لســـان الملك سنفرو : « **مثلما نسجل الخطب اليوم على أسطوانات** » (٨١) ٠٠ ثم يواصل الرواية قائلا : « وكتبت شفاعات الواحى على ملف بردى جديد ، كل شفاعة بما تحوى » (٨٢) ٠

ثم انه أليس مما يؤكد أفكارنا عن هذه الزاوية الاعلامية وجود بعض « الكتاب » مع كبار قادة الحرب المصرية ٠٠ يسجلون وقائعها ، وتفاصيلها ، حتى اذا عادوا نشروها على صفائح الحجر ؟ تماما كما لم يستبعد أكثر من مؤرخ وجود الرسامين والكتاب مع بعثة حتشبسوت الى بـــلاد بنت ، لتسجيل أحداثها رسما وخطا . والا ما كانت هذه الدقة فى ثبت تفاصيلها ٠٠ حتى قبل ذلك بعشرات القرون ، نجد من يقول عن رسوم حضارة نقادة الثانية « ٠٠ وبدأوا يعبرون على سطوحها ـ الفخارية ـ عن أساطيرهم وأخبارهم وأفكارهم تعبيرا أكثر صراحـــة ووضـــوحا من تعبيرات رســـوم الفخار القـــديمة » (٨٣) ٠ ٠

على أننا سوف نعود ـ بعون الله ـ الى ذلك مرة أخرى بعد الوقوف عند هذه المحطة التاريخية المهمة ٠٠

●● مصادر الباب الأول ومراجعه :

(١) أحمد بن حمد بن علي المقرى الفيومي : « المصباح المنير » ج ٢ ، ص ٥٨٣ ، ٥٨٤ .

(٢ ـ ٣) محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى : « مختار الصحاح » ص ٤٦٠ ، ٤٦١ .

(٤) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادى : « القاموس المحيط » ج ٤ ص ١٥٤ ، ١٥٥ .

(٥) الشيخ أحمد رضا : « معجم متن اللغة » ج ١٦ ص ١٩٤٠ .
(٦) العلامة جمال الدين بن منظور : « لسان العرب » ج ٥٢ ص ٤١٧ ، ٤١٨ .
(٧ ـ ٨)ابراهيم امام : « فن العلاقات العامة والاعلام » ص ١٨٦ ، ١٨٧ .
(٩) سمير محمد حسين : « الاعلام والاتصال بالجماهير والرأى العام » ص٢٢ .
(١٠) أحمد كامل : « الاعلام العربى المعاصر » ص ٤٠ .
(١١) السيد عليوه : « استراتيجية الاعلام العربى » ص ١٥٩ .
(١٢ ـ ١٦) محمود الغندور : « الاعلام » مترجم عن فرنان ترو ، ص ٥ ومابعدها
(١٧ ـ ١٨) ابراهيم امام : « وسائل الاعلام والمجتمع الحديث » مترجم عن و. ريفرز وآخرين ص ٢٩ ، ٣٠ .

(١٩) سمير محمد حسين : « الاعلام والاتصال بالجماهير والرأى العام » ص ٢١ ، نقلا عن : S.W. Dunn & A.M. Barban.

(٢٠) وديع فلسطين : « مقدمة الى وسائل الاتصال » مترجم عن ادوارد واكين ص ٢ .

(٢١) يوسف مرزوق : « مدخل الى علم الاتصال » ص ٢٢ نقلا عن ك. سيرينو ومورتنسن .

(٢٢) محمود عودة : « أساليب الاتصال والتغير الاجتماعى » ص ٧ ، نقلا عن . كولى .

(٢٣) David Chaney : "Process of Mass Com.", p. 1
(٢٤) Emery. E., Ault. Ph., Agee. W. : "Introduction to Mass Com.", p. 3.

(٢٥) B.N. Ahuja : "Theory and Practice of Journalism", p. 1.

(٢٦) D.S. Mehta : "Mass Com. and Journalism in India", p. XV.

(٢٧) محمود أدهم : « فن الخبر » ص ٤٨ ٠

(٢٨) سمير محمد حسين : « الاعلام والاتصال بالجماهير والرأى العام »ص٦٤٠

(٢٩ ـ ٣٠ ـ ٣١) وديع فلسطين : « مقدمة الى وسائل الاتصال » مترجم عن ا٠ واكين ص ٣٥ ٠

(٣٢) أحمد حمدى محمود : « ما هو التاريخ ؟ » مترجم عن « ادوارد كار » ص ٢٧ ٠

(٣٣ ـ ٣٤) شوقى الجمل : « علم التاريخ » ص ٨ ٠

(٣٥ ـ ٣٦) عبد الرحمن بن خلدون : « مقدمة بن خلدون لكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ٠٠٠ » ص ٧ ، ٣٣ ٠

(٣٧) أحمد عطية الله : « دائرة المعارف الحديثة » مجلد ١ ، جـ ١ ص ٤٥٤ ٠

(٣٨ ـ ٣٩) أحمد زكى بدوى : « معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية »ص١٠٩٠

(٤٠) عدد من المتخصصين : « قاموس علم الاجتماع » ص ٢٢٥ ٠

(٤١) A. Ridgway : "Everyman's Encyclop.", V. 7, p. 152.

(٤٢) Encyclop. Britannica. V. 12, p. 594.

(٤٣) Nouveau Larousse Universel, V. 1, p. 769.

(٤٤) أحمد بن على المقرى الفيومى : « المصباح المنير ، جـ ١ ص ٥ ٠

(٤٥) محمد بن أبى بكر عبد القادر الرازى : « مختار الصحاح » باب الراء فصل الالف ص ١٧١ ٠

(٤٦) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادى : « القاموس المحيط » جـ١ص٢٧٥٠

(٤٧ ـ ٥١) على حسن : « الموجز فى علم الاثار » من ص ٦ . الى ص ١٠ ٠

(٥٢ ـ ٥٣) محمدفر يد وجدى : « دائرة معارف القرن العشرين » ص ٦١ ،٦٣٠

(٥٤) محمد عبد القادر محمد . زكى اسكندر : « الموسوعة الأثرية العالمية » مترجم عن مجموعة من علماء الاثار ص ٢٥ ٠

(٥٥) أحمد بن على المقرى الفيومى : « المصباح المنير » جـ١ ص ١٩٢ ٠

(٥٦) محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى : « مختار الصحاح » باب الراء فصل الحاء ص ١٤٨ ٠

(٥٧) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادى : « القاموس المحيط » جـ ٢ ص ١٠ ، ١١ ·

(٥٨ـ٥٩) محمد على كمال الدين : « الشرق الاوسط فى موكب الحضارة ،ص٥ ·

(٦٠) عبد الرحمن بدوى : « فلسفة الحضارة » مترجم عن البرت شفيتسر . ص٥٠

(٦١ ـ ٦٢) زكى نجيب محمود : « قصة الحضارة » مترجم عن ول ديورانت جـ ١ ص ٣ ·

(٦٣) سمير محمد حسين : « الاعلام والاتصال بالجماهير والرأى العام » ص٢٤·

(٦٤ ـ ٦٥) السيد عليوه : « استراتيجية الاعلام العربى » ص ١٦ ·

(٦٦) ابراهيم امام : « فن العلاقات العامة والاعلام » ص ١٩١ ·

(٦٧) فريد داغر وفؤاد بوريحان : « تاريخ الحضارات فى العالم » مترجم عن أندريه ايمار وجانين أوبوايه ص ٣٩ ·

(٦٨) كمال مصطفى : « الصحافة والادب فى مائة يوم » من محاضرة للاستاذ عبد القادر حمزة باشا ·

(٦٩ ـ ٧٠ ـ ٧١) محمود نجيب أبو الليل : « الصحافة الفرنسية فى مصر » ص ٢ ، ص ١٣ ·

(٧٢ ـ ٧٣) ابراهيم عبده : « تاريخ الصحافة والطباعة فى مصر » ص ٤٨ ،٥٠ ·

(٧٤) أحمد فخرى : « الحضارة المصرية » مترجم عن « جون ويلسون »ص٣٠٠ ·

(٧٥) محمد أنور شكرى : « الفن المصرى القديم » من المقدمة ، ص ٣ ·

(٧٦) عبد الحميد العبادى : « قصة الحضارة » مترجم عن ول ديورانت · مجلد ١ ، جـ ٢ ، ص ٥٨ ·

(٧٧ ـ ٧٨ ـ ٧٩) محمد صقر خفاجه : « هردوت يتحدث عن مصر » ص ٧٢ ·

(٨٠ ـ ٨١ ـ ٨٢) على حافظ : « روايات وقصص مصرية من العصر الفرعونى » مترجم عن جوستاف لوفيفر ص ٢٢ ·

(٨٣) عبد العزيز صالح : « الشرق الادنى القديم » ص ٦٧ ·

البـــاب الثـانى

التعـــريف بمصر القـديمة

الباب الثانى (*)

التعريف بمصر القديمة

.. ولأن حديثنا فى كتابنا هذا .. يتجه بالدرجة الاولى ، الى تبين الواقع الذى كان قائما فى مصر القديمة ، بالنسبة لهذا النشاط الاتصالى الانسانى المتميز المسمى بالاعلام وتقديم صورة له ما أمكننا ذلك . وما وجدنا اليه سبيلا .. ولأن الطريق الى ذلك يمر بالركنين أو العمودين الأساسيين . الاعلام .. ومصر القديمة فاننا ، فى هذه السطور التعريفية ، وكما توقفنا عند الركن أو العمود الأول الذى يرتكز اليه هذا البناء ، وهو الاعلام .. فاننا نتوقف عند الركن الاخر .. بغية التعرف عليه ، بأهم وأبرز معالمه وملامحه وأحداثه وأفراحه وأتراحه ، وعاداته وتقاليده وجده ولعبه ومختلف ألوان النشاط السائد وصناعه ، نتوقف عند ذلك كله على سبيل التعريف بجوانب الحياة فى « مصر القديمة » طالما أن الاعلام هو « مرآة المجتمع » .. أو هو صورة صادقة للحياة بكل جوانبها وألوانها ..

(*)كان المصريون القدماء يسمون أرضهم « كيمة » اى الارض السمراء لخصوبتها، وأطلقوا عليها كذلك « تاوى » أى أرض الشمال وأرض الجنوب ـ الارضين ـ واذا كان الاسم الذى شاع فى اللغات القديمة ـ مصر ـ يتجه الى معان كثيرة من بينها المكان الحصين ، والبلد المتمدين ، واذا كان البعض يقول أن اسم Egypt فى اللغات الاجنبية أصله لفظ (آجبه) أو (آجبى) الاغريقى .. فان عددا من الكتب العربية القديمة يفسر الامر تفسيرا مخالفا حيث يذكر أن الاسم (مصر) يعود الى (بيصر) بن حام بن نوح الذى انفصل عن أرض بابل وغرب بأولاده مصر وفارق وماح وياح .. الى هذه الارض التى أوصى بها لابنه الاكبر (مصر) .. وكان لمصر أربعة أولاد هم قبط وأشمون واتريب وصا الذين اقتسموها من بعده ثم تجزأت مرة أخرى .. وقد ورد اللفظ ومشتقاته بالقرآن الكريم اكثر من مرة هى : (وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا ، يونس ٨٧ ـ وقال الذى اشتراه من مصر لامرأته اكرمى مثواه ، يوسف ٢ ـ وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين ، يوسف ٩٩ ـ ونادى فرعون فى قومه قال يا قوم أليس لى ملك مصر ، الزخرف ٥١ ـ اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم ، البقرة ٦١) .. وعموما فهناك كلام كثير هذا أبرزه عن تسمية مصر وأصل المصريين عند الكتاب القدماء .

لكننا بطبيعة الحال ، لن يمكننا التوقف عند كل كبيرة وصغيرة ، فى هذا البحر الزاخر . المسمى بحضارة وادى النيل ، فذلك **فوق طاقتنا وجهدنا وفوق طاقة هذه الدراســـة نفسها** ، بل فوق طاقة العشرات من العلمـــــاء والباحثين والدارسين ، الذين يتوافرون على هذا الموضوع بحثا ودرسا وتنقيبا وملاحقة ومتابعة ، بينما يجد الجديد من آن لآخر ، والذى يدهش الكون كله ٠

ومن ثم ولأننا نريد أن نقيم ـ فقط ـ صلة تعارف بين الاعلام ومصر القديمة من جانب ، وبين الدارسين والمهتمين من جانب آخر ، فاننا سوف نتحدث عن ذلك من خلال أطر أربعة زمنى وملكى وحدثى وحضارى عام ، تهدف فى النهاية ٠٠ الى تقديم صورة لا بأس بها ، وتحقيق النتائج العلمية المســـهتدفة ٠

الفصــل الأول

الاطار التاريخى الزمنى

٠٠٠٠ ولعل أول ما يعنينا ونحن نركز هنا على هذا الجانب التاريخى الزمنى ، هو أن نحدد ما الذى نعنيه بـ « **مصر القديمة** » ؟٠٠ تلك التى سوف نتناول « صورة » « وواقع » الاعلام بالنسبة لها من هذه الزاوية الزمنية ؟٠٠ ما هى المساحة التى شغلتها أو سلختها من عمر الحياة على الأرض ؟ وماهى السنوات والفترات والحقب التى يمكن أن تمثل الاطار الزمنى ٠٠ لبحثنا هذا والذى كان كل ما بداخله من أحداث ومن ألوان النشاط الفكرى والعلمى والعسكرى والصناعى والفنى يعود اليها ٠٠ الى « مصر القديمة » نفسها ؟

٠٠ ولعلنا لا نذهب بعيدا ٠٠ عندما نقدم لكلا منا هذا بسطور نرى فيها التمهيد الذهنى المناسب لما سوف يتلوها من كلمات ، تتصـل بهذا الاطـار الزمنى :

● فتحت عنوان : « **مصر أم الدنيا** » ٠٠ يكتب أحد المؤرخين : « فى البدء كانت مصر ٠٠ قبل الزمان ولدت ، وقبل التاريخ وجدت ٠٠ هنا بدأ كل شيء : الزراعة ، والعمارة ، والكتابة والورق والهندسة والقانون والنظام والحكومة ٠٠ هنا أيضا ولد الضمير واكتشف الانسان الروح من حيوان يجرى لينجو من خطر ، أو ليفترس ، أو ليأكل ، أو ليبحث عن أنثى ٠٠ تحول الى انسان يفكر ويتأمل ويرسم ويكتب ويحاسب نفسه » (١) ٠٠٠ وفى موضع آخر يقول : « قرون تجرى فى اثر قرون ، عوالم تولد ثم تموت ، ومصر هنا فى مكانها ، تبنى وتنشىء وتعمر وتكتب وترسم وتنشـــد وتصلى وتتألق وتتوهج وتخبو ، ثم تتألق وتتوهج ٠٠ حكاية جميلة ، من ألف فصل مضت، وألف فصل تأتى باذن الله » (٢) ٠

٠٠٠ ثم مـــاذا ؟

ان عشرات المراجع التى عدنا اليها ، ومع اختلافات بســيطة وغيــر أساسية تماما ، ولا يزيد مجالها الزمنى المختلف عليه كثيرا ٠٠ هذه المراجع

كلها ، وفى حدود هذا الاطار نفسه تكاد تجمع على عدد من النقاط التالية (*):

(أ) **أن بذور الحضارة المصرية الأولى** ، وجدت فى هذه المنطقة ، عند ملتقى آسيا وأفريقيا وأوربا ، منذ آلاف السنين فى ارتباط رائع بين البيئة الجغرافية وعواملها ، وبين كفاح المصرى القديم ٠٠ وحيث تفاعلت المؤثرات البيئية وأهمها الموقع الفريد والمناخ الملائم ونهر النيل بتكوينه الطبيعى وامتداده الطويل من الجنوب الى الشمال وخصوبة الأرض المجاورة لواديه ، وعظم مساحة الصحراء من حوله ـ تفاعل ذلك كله مع جهود الانسان الشاقة التى أسفرت منذ آلاف السنين أيضا عن أكثر من طابع واحد أهمها القـــدم ، والاستقرار والاستمرار . والعمل الدءوب ، كل ذلك جعل لمصر « تركيبة خاصة » ٠٠ نسيجا خاصا ارتداه المصريون وهم يخطون خطواتهم الاولى نحو المدنية (*) ٠٠

١ ـ واذا كان العلماء يقسمون حضارة الانسان الى عصور مختلفة هى:

(*) نلفت النظر هنا الى ما تذكره بعض المراجع من أن التواريخ الواردة هنا تقريبية٠٠فعلى سبيل المثال لا الحصر يقول د٠ سليمان حزين فى حديثه عن جيولوجيا حوض النيل : « ٠٠ ذكر الارقام والسنين فى الجيولوجيا أمر يعزف عنه الباحث الذى يتوخى الدقة العلمية » ٠٠ ويكرر ذلك د٠ سيد توفيق : « يعاف الباحث الذى يتوخى الدقة العلمية عن ذكر الارقام والسنين فى عصور ما قبل التاريخ ٠٠ ولكن الهدف من ذكر الارقام هنا للتقريب لا أكثر ـ كما يشير محمد بدران مترجم « قصة الحضارة » لول ديورانت الى قوله بأن كل التواريخ الواردة عن هذه الفترات ما عدا الاخير الخاص بعصر سايس أو صا الحجر تعتبر تواريخ تقريبية ٠٠ ومن ثم فبدورنا نشير الى ذلك أيضا . لا سيما فى العصور السابقة على عصر الاسرات والتى سيأتى ذكرها ٠

(*) من أجل ذلك ينقسم العلماء الى ثلاث فئات ٠٠ أولها علماء الجغرافيا ، والبيئة الذين يقولون أن مصر هى هبة النيل . والمؤثرات البيئية الاخرى وثانيها علماء التاريخ والاجتماع الذين يقولون أن مصر هبة المصريين بكفاحهم الشاق المديد للتغلب على طغيان النهر وقسوة المناخ فى العصور السحيقة وتكييف بيئتهم لصالحهم ومن ثم الاستقرار والزراعة والتشييد والابداع ٠٠ بدليل بعض القبائل الموجودة فى حوض النيل فى حالة تشبه ما كانوا عليه من القرون الاولى ، وفئة ثالثة تخلط بين الاتجاهين . فمصر هبة النيل والمصريين معا ٠٠ والاوفق أن يقال هبة الله أولا ٠٠ فمن الذى اختار لها هذا الموقع ؟ وأجرى بها النهر ومد انسانها بالعقل والفكر والهمه العمل المبدع وذكرها فى القرآن الكريم اكثر من أى بلد آخر ؟ ٠٠

١ ـ العصر الحجرى السحيق Archeolithic من مليون سنة الى ٦٠٠٫٠٠٠ ق٠م ٠

٢ ـ العصر الحجرى القديم Paleolithic من ٦٠٠٫٠٠٠ الى ١٠٫٠٠٠ ق٠م ٠

٣ ـ العصر الحجرى الوسيط (تقسيم جديد لا يوجد بالكتب القديمة) Mesolithic من ١٠٫٠٠٠ الى ٥٫٠٠٠ (البعض يقول ٥٫٠٠٠ فقط) ٠٠ ق٠م

٤ ـ العصر الحجرى الحديث Neolithic من ٥٠٠٠ الى ٣١٠٠ ق٠م (البعض يقول من ٥٥٠٠ الى ٢٥٠٠ ق٠م ٠٠

٠٠ وهذه الفترة تسمى بعصور ما قبل التاريخ ٠٠ ثم تحل فترات أخرى هى :

٥ ـ عصر النحاس من ٢٥٠٠ الى ٢٠٠٠ ق٠م
٦ ـ عصر البرونز من ٢٠٠٠ الى ١٥٠٠ ق٠م ٠
٧ ـ عصر الحديد من ١٥٠٠ ق٠م الى ١٧٠٠ الميلادية ٠

ثم عصور الصلب والبخار والكهرباء والذرة والفضاء ٠٠٠

٠٠ وكذا ٠٠ اذا كان بعض العلماء قد لجأ الى تقسيم آخر ـ لعله الأقرب الى طبيعة دراستنا هذه ـ وذلك بتقسيم العصور الحضارية السابقة، الى عصرين كبيرين هما :

١ ـ عصر ما قبل التاريخ Prehistoric
٢ ـ العصور التاريخية Historic

فانهم يتخذون من تاريخ معرفة الانسان للكتابة فاصلا بين العصرين ، مما يعنى اختلاف ذلك ، من بلد الى آخر ، من شعب الى آخر ، حسب « زمن » و « تاريخ » معرفته بالكتابة والتدوين ٠٠

اذا كان ذلك كله صحيحا ، وهو ما تجمع عليه معظم المراجع ، باستثناء هذه التواريخ التقريبية المختلف عليها ٠٠ فان معنى ذلك كله ، ان الاطار الزمنى التاريخى لبحثنا هذا ٠٠

● يستبعد منه أولا ما يتصل بالعصور الأخيرة (الفضاء والذرة والكهرباء والبخار والصلب وحوالى نصف الفترة الزمنية لعصر الحديد ٠٠) مع ملاحظة أن الترتيب هنا عكسى ، أو معكوس ٠٠

● يركز على ما يمكن أن يكون هنـــاك من « اشـــارات » أو « ارهاصات » اعلامية بدائية للغاية ، ساذجة كل السذاجة ، فطرية تماما من تلك التى يمكن أن توجد ـ أو لا توجد ـ فى أخريات العصر الحجرى الحديث ، وبالنظر الى أن مساحته الزمنية تشمل حوالى عشرين قرنا من الزمـــان ٠٠

حـ) لكن الأكثر اتفاقا مع دراستنا هذه ، مع موضوعنا هذا هوذلك التقسيم الثانى ، والذى يقسم هذه الأزمنة الى عصر ما قبل التاريخ ، من خلال هذا « المعلم » الحضارى الكبير « معرفة الكتابة » : ٠

هنا نجد خاصية فريدة ، تتصل بالتاريخ المصرى ، وذلك بتقسيمه الى :

١ ـ **عصر ما قبل الأسرات** ٠٠ وهو يقابل الحقب الأخيـــرة من عصر ما قبل التاريخ لا سيما ما اصطلح على تسميته بـ « العصر الحجرى الحديث» ٠٠ حتى حوالى ٣٢٠٠ ق٠م ٠

٢ ـ **عصر الأسرات** بتقسيماته المختلفة ، وهو يقابل العصور التاريخية التى سبقت الاشارة اليها ويستمر حتى حوالى ٣٣٢ ق٠م (انتهاء التاريخ الفرعونى بدخول الاسكندر الى مصر) ٠٠

(د) ٠٠ اننا نجد أكثر من تقسيم واحد ـ تتصل بهذا العصر الثانى ٠٠ نحاول أن نوفق بينها ومن ثم نجد أن المجال الزمنى لهذه الدراسة هو ذلك الذى نركزه فى ٠

●● ما يمكن أن يوجد من اشارات وارهاصات اعلامية ٠

في عصر ما قبل الاسرات المتأخر ٠
من حوالى ٣٧٠٠ ق٠م الى ٣٢٠٠ ق٠م ٠
(يطلق عليه آخرون : فجر التاريخ) ٠

●● بداية العصور التاريخية ، أو عصر الأسرات المبكـــر أو العصر العتيق أو الثنى :

من ٣٢٠٠ أو ٣١٠٠ ق٠م الى ٢٧٨٠ ق٠م أو ٢٨٨٠ ق٠م ٠

يشمل الأسرتين الأولى والثانية ٠٠ البعض يطلق عليـــه : العصر الطينى نسبة الى طينة ، التى ينتسب اليها الملك مينا) ٠

●● عصر الدولة القديمة ، أو عصر بناة الأهرام :

من حوالى ٢٧٠٠ ق٠م الى حوالى ٢٢٠٠ ق٠م (٢٢٨٠ ق٠م)

ويشمل الاسرات الثالثةوالرابعة والخامسة والسادسة وبعض المؤرخين يصل الى ما بعد السادسة بقليل كما أن (ول ديورانت) ٠٠ يجمع العصرين السابقين فى عصر واحد ، يشمل من الاسرة الاولى حتى السادسة ٠ ٠

●● عصر الانتقال الأول أو عهد الاقطاع الأول :

من حوالى ٢٢٠٠ ق٠م حوالى ٢٠٠٠ ، ٢٠٥٢ ق٠م ٠

الأسرات من السابعة حتى العاشرة يسميه البعض (عصر اللامركزية الأولى) ويسميه ول ديورانت (فترة الفوضى) ٠

●● عصر الدولة الوسطى :

من حوالى ٢٠٠٠ ق٠م الى حوالى ١٧٧٨ ق٠م ٠

يشمل الأسرتين الحادية والثانية عشرة البعض يجمع بينه وبين الفترة

التالية فى عصر واحد (جان يويوت فى موسوعة تاريخ العالم) وكذا (ول ديورانت الذى يضم اليه الاسرتين ١٣ - ١٤) ٠

●● عصر الانتقال أو الاقطاع الثانى :

(العصر المتوسط الثانى أو عصر اللامركزية الثانية) ٠

من ١٧٧٨ ق٠م الى ١٥٦٧ ق٠م تقريبا يشمل الأسرات ١٣ - ١٤ - ١٥ - ١٦ - ١٧ بما فى ذلك فترة حكم الهكسوس - يمثل فترة الانتقال من الدولة الوسطى الى الدولة الحديثة (البعض يفصل بين حكم الأسرتين ١٣ - ١٤ ، وبين حكم الهكسوس ، فيجعل الاخير فترة قائمة بذاتها ، والبعض يطلق على هذه الاخيرة عصر الفوضى ، أو عصر الاضطراب أو عصر الاحتلال الأول) ٠

●● عصر الدولة الحديثة أو عصر الامبراطورية :

من حوالى ١٥٧٠ ق٠م الى حوالى ١٠٨٠ ق٠م ٠
يشمل الأسرات من ١٨ الى ٢٠ ٠

●● عصر الانتقال الثالث أو العصر المتوسط الثالث :

(يجمع البعض بينه وبين العصر التالى له ويطلق عليه : العصور المتأخرة أو خواتيم العصور الفرعونية - من حوالى ١٠٨٥ ق٠م الى حوالى ٧١٥ ق٠م يشمل الأسرات ٢١ - ٢٢ - ٢٣ - ٢٤ (يطلق عليه ول ديورانت عصر الانقسام أو العواصم) ٠

●● العصر المتأخر :

من حوالى ٧٥١ ق٠م الى حوالى ٣٣٢ ق٠م يشمل الأسرات التالية من الأسرة ٢٥ حتى الأسرة ٣٠ ٠٠ (دخول الاسكندر الى مصر) ٠

ملاحظة : يوجد تداخل كبير بين العصرين السابقين سوف يتضح اكثر خلال الفقرة القادمة ٠٠ كما أن البعض يضم اليها بعد هذا العصر ٠

من المتأخر ما يسمى (عصر البطـــالة : الأسرة ٢١) وهـــو الذى ينتهى بالفتح الرومانى عام ٣١ ق٠م ٠

٠٠٠ ثم ماذا ؟ أننا نواصل هذا التعريف بمصر القديمة ٠ ولكن من زاوية أخرى هذه المرة غير هذه الزاوية الاطارية التاريخية الزمنية ٠ انها زاوية « الملوك » الذين حكموا مصر ٠ وأوقات حكمهم ، وازمانهم ٠٠ حتى نقطع شوطا أخر ، فى هذه الجولة التعريفية ، من خلال هذا الذى نطلق عليه : « الاطار الملكى » للدراسة ٠٠

الفصـــل الثـانى

الاطـــار الملكى

٠٠ وهو اطار مكمل للاطار السابق ، نقوم خلاله بالتعريف بأســماء ملوك مصر القديمة الذين حكموا أرض الأجداد خلال هذه العصور السابقة فى مجموعها ٠٠ وصحيح أن مصر عرفت العديد من العاملين البارزين من بينهم الأمراء والوزراء وحكام الأقاليم والقضاة والكهنة والكتاب وقادة الجند وغيرهم ، ممن سوف نمر ببعضهم فى سطور قادمة باذن الله ، لكننا نركز هنا على هؤلاء لعدة أسباب من بينها (*) :

— أن الملك كان محور الحياة السياسية والاجتماعية والعسكرية

— وأنه كان يعتبر أيضا « **الكاهن الأعظم** » أى أكبر رأس دينى فى البلاد ٠

— وأنه كان يعتبر الى جانب ذلك « **الكاتب الأول** » ٠٠ بما يعنيه ذلك بالنسبة لموضوعنا ٠

— وذلك كله الى جانب أنه « **القائد الاكبر** » ٠٠ للجيوش المتحاربة ٠

— وكانت أبرز أعمال المصريين القدماء ، هى تلك التى ترتبط بالقصر الملكى ، قبل غيره ، ثم تعود فترتبط بالملك فى مجالات كثيرة أخرى ٠٠

على أن من الطبيعى هنا أن نقول ، أن القائمة التى نقدمها فى السطور القادمة ، والتى عدنا فيها الى مصادر عديدة (*) حاولنا التوفيق بينها ، وبين شتاتها ، واختلاف بعضها عن البعض الاخر ٠٠ هذه القائمة نقدمها من هذه الزاوية التعريفية نفسها ، بمصر القديمة وعهودها وملوكها واحداثها وحضاراتها وأهم معالم ذلك كله ٠

بمعنى ٠٠ أنه ليس من المعقول أن يكون جميع هؤلاء الذين نذكر ،

(*) نعود الى تناول دور الملك الاعلامى باسهاب خلال المبحث الاول من الباب الثالث من هذا الكتاب باذن الله ٠

وما يكون قد فاتنا من أسماء ، أو ما يسفر عنه البحث والتنقيب بعد ذلك من أسماء جديدة تضاف الى هذه نفسها ٠ أوما يسفر عنه من وجـــود بعض الأسماء « الخيالية » أو « الأسطورية » وحيث يقوم الشك فى بعضها ، وفى بعض الأسماء الكبيرة أيضا ٠٠ حتى مينـا نفسه وحيث يقول عن ذلك أحد كبار المتخصصين : « بل نحن لا نكاد نعرف اذا كان مينا شخصية حقيقية أو أسطورة نشأت فيما بعد » (٣) ٠٠ ليس من المعقول أن يكون جميع هؤلاء من الاعلاميين بطبعهم وطبيعتهم أو أن يكونوا على درجة واحدة من الفهم للعمل الاعلامى . وممارسته والامر به ٠٠٠ وعلى كل فسوف نعود باذن الله ، الى هذه الأسماء فى موضع آخر ٠٠ كما نتناول الدور الملكى نفسه بالنقد فى آخر الكتـــاب ٠

قائمة بأسماء ملوك وحكام مصر المعروفين

أولا ـ عصر ما قبل الأسرات :

- الاتحاد الأول (من ؟) ٠
- أسماء عديدة لحكام الأقاليم أشهرهم الملك العقرب ٠

ثانيا ـ عصر الأسرات : (الاتحاد الثانى) :

(أ) عصر الأسرات المبكر أو العصر العتيق أو الثنى :

- **الأسرة الأولى :** ٣٢٠٠ أو ٣١٠٠ الى حوالى ٢٩٨٠ ق٠م (الملوك منا أو مينا أو نارمر ـ تى الأول : عحا ـ اتى الثانى : جر أوزر ـ اتى الثالث ـ خاستى ـ مربى با ـ ارى نتر ـ قاع سنى) ٠

- **الأسرة الثانية :** من ٢٩٨٠ ـ ٢٧٨٠ أو ٢٨٨٠ ق٠م (الملوك حوتب ـ نوب نفر ـ نى نتر ـ ونج : سنجم اب ـ برى اب سن ـ حتب نبوى اسف : خع سخموى) ٠٠ هناك من يقول أن عدد ملوك الأسرتين ١٨ ملكا حكموا ٤٢٠ عاما ويضيف الىأسماء الأسرةالأولى بعضالألقاب الأخرى أو يقدم أو يؤخر فيها ٠٠ وهكذا ٠

(ب) عصر الدولة القديمة أو عصر بناة الأهرام :

● **الأسرة الثالثة :** ٢٧٨٠ ـ ٢٦٨٠ ق٠م (زوسر الأول ـ زوسر الثانى ـ تتى ـ نب كاوو ـ حونى) ٠

● **الأسرة الرابعة :** ٢٦٨٠ ـ ٢٥٦٠ ق٠م (سنفرو ـ خوفو ـ جدف رع ـ خفرع ـ حورددف ـ باأفرع ـ منكاورع ـ شبسكاف ـ جدف بتاح)٠

● **الأسرة الخامسة :** ٢٥٦٠ ـ ٢٤٢٠ ق٠م (أو سركاف ـ ساحورع ـ نفراركارع ـ شبسكارع ـ نفرفرع ـ نىوسررع ـ منكاوحور ـ جدكارع: أسيسى ـ أوناس) ٠

● **الأسرة السادسة :** ٢٤٢٠ ـ ٢٢٨٠ أو ٢٢٠٠ ق٠م (تتى أو تيتى ـ أوسركارع ـ ببى الأول ـ مرنرع الأول ـ ببى الثانى ـ مرنرع الثانى ـ منكاورع : نت افرتى) ٠

(حـ) عصر الانتقال الأول أو الاقطاع الأول :

● **الأسرة السابعة :** ٢٢٠٠ ق٠م ـ سبعون ملكا حكموا سبعين يوما حسب رواية مانيتون (يعتقد أنهم ائتلاف من حكام الاقاليم حكم كل منهم يوما وا حدا على التوالى) ٠

● **الأسرة الثامنة :** ٢٢٨٠ ـ ٢٢٤٢ق٠م ـ هذا الترتيب لـ«هيز» بينما يقول جون يويوت أنه من المستحيل عمل ترتيب لملوكها عند تاليف كتابه وهم (نفر كارع الأصغر ـ نفر كارع نبى ـ جد كارع شماى ـ نفر كارع خندو ـ مرى أن حور ـ نفر كامين ـ نى كارع ـ نفر كارع تررو ـ نفر ـ كاحور ـ نفركارع ببى سنب ـ نفركامين عنو ـ قاكارع أبى ـ واج كارع ـ نفر كاحور نترى باوو ـ نفراركارع دمج اب تاوى) ٠

● **الأسرة التاسعة :** ٢٢٤٢ ـ ٢١٢٣ ق٠م ، بعض المؤرخين يجمع بين هذه الأسرة وبين الأسرة العاشرة ويطلق عليهما (أسرتا هيرا كليوبوليس) ٠٠ وهى تتكون من الملوك (اختوى الأول : خيتى الثانى ـ نفر كارع ـ ستوت ـ خيتى الثالث ـ مرى كارع ـ شد) ٠

● **الأسرة العاشرة :** ٢١٣٣ ـ ٢٠٠٠ أو ٢٠٥٢ ق٠م (مـــرى حتحور ـ نفر كارع اختوى الرابع : واح كارع ـ مرى كارع ـ اختـــوى الخامس : نب كارع) و٠٠ يذكر د٠ أحمد فخرى فى كتابه مصر الفرعونية أسماء عدد من الملوك الآخرين وهم : (اتى ـ ايمحوتب ـ سخم كارع ـ جسر نوب) ٠٠ ويضيف أنه لا يمكن التأكد تماما من مكان أى من هؤلاء فى أية أسرة من الأسرات الثلاث ٨ ـ ٩ ـ ١٠ ٠

(د) عصر الدولة الوسطى ـ الأسرتان ١١ ـ ١٢ من ٢٠٠٠ ـ ١٧٧٨ ق٠م والفترة الانتقالية الثانية :

● **الأسرة الحادية عشرة وحكمت من** ٢١٣٤ ـ ١٩٩١ ق٠م انيوتف الأول : سهرتاوى ـ انيوتيف الثانى : واحعنخ ـ انيوتفالثالث ـ مونتوحوتب الأول ـ مونتوحوتب الثانى ـ مونتوحوتب الثالث ـ سنوسرت واخرون ـ مونتوحوتب الرابع) ٠

● **الأسرة الثانية عشرة ١٩٩١ ـ ١٧٧٨ ق٠م** (امنحات الأول ـ سنوسرت الأول ـ امنمحات الثانى ـ سنوسرت الثانى ـ سنوسرت الثالث ـ امنمحات الثالث ـ امنمحات الرابع ـ سوبك نفور) ٠

( ) عصر الانتقال أو الاقطاع الثانى :

● **الأسرة الثالثة عشرة :** ١٧٧٨ ـ ١٦٢٥ ق٠م عاصمتها طيبـــة ويعرف من أسماء ملوكها حوالى ٦٠ ملكا من بينهم حسب قائمة هيز وفخرى (فى قول اخر ٤٠ ملكا فقط) ٠٠٠ هؤلاء أهم ملوكها ٠٠ (سوبك حتب الأول ـ امنمحات سنيف ـ وامنمحات سحتب اب رع ـ امنمحات سعنخ اب رع ـ سوبك حتب الثانى ـ حور ـ امنمحات سحعا كارع كاى ـ وحاف ـ سنوسرت الرابع ـ خنجر الأول ـ سمنخ كارع ـ نفر كارع ـ خنجر الثانى ـ سوبك حوتب الثالث ـ نفرحوتب خع سخم رع ـ سوبك حتب الرابع ـ سوبك حتب الخامس ـ ايع ابى ـ ايى ـ دودى مسى الأول ـ نب جدرع ـ نفر عنخ ـ رع ـ نفر خبررع ـ نب فاورع) ٠

● **الأسرة الرابعة عشرة :** ١٧٧٨ ـ ١٥٩٤ ق٠م وعدد ملوكها ٧٦ ملكا حكموا ١٨٤ سنة كما ذكر الأفريقى ذكـــرت برية تورين ٧٢ من أســـمائهم ٠

● **الأسرة الخامسة عشرة :** من الهكسوس (ملوك الرعاة) وحكمت من ١٦٥٠ حتى ١٥٧١ ق٠م وملوكها : (ششى ـ يعقوب ـ خيان ـ ابيبى الأول ـ أبيبى الثانى ـ خامودى) ٠

● **الأسرة السادسة عشرة :** من الهكسوس أيضا وحكمت من حوالى ١٦٧٠ الى ١٥٦٧ ـ ق٠م وأهم ملوكها (عنت هر ـ سمقن ـ خع أوسر رع ـ عاحتب رع ـ سخع ان رع ـ عامو ـ أبيبى الثالث) ٠

● **الأسرة السابعة عشرة :** ١٦٦٠ ـ ١٥٥٧ ق٠م وهم من ملوك الأسر الطيبية (رع حتب ـ انيوتيف الخامس ـ انيوتيف السادس ـ سبك ام سان الثانى ـ تحوتى ـ مونتوحتب الخامس ـ نب ارى ار أوت الأول ـ أوت الثانى نفر كارع ـ سمن نفردع ـ ساأوسرانرع ـ شدوا ست ـ انيوتيف السابع ـ سقنن رع تاعا الأول ـ سقنن رع تاعا الثانى ـ كاموس) ٠

(و) الدولة الحديثة أو عصر الامبراطورية :

● **الأسرة الثامنة عشرة :** ١٥٧٠ ـ ١٣٠٤ ق٠م (أحمس الأول ـ امنحوتت الثانى ـ تحتمس الأول ـ تحتمس الثانى ـ حتشبسوت ـ تحتمس الثالث ـ امنحوتب الثانى ـ تحتمس الرابع ـ امنحوتب الثالث ـ امنحوتب الرابع اخناتون ـ سمنخ كارع ـ توت عنخ آمون ـ آى ـ حورمحب) ٠

● **الأسرة التاسعة عشرة :** ١٣٠٤ ـ ١١٩٥ ق٠م (رمسيس الأول ـ سيتى الأول ـ رمسيس الثانى ـ منفتاح ـ آمون مسى سى ـ سيتى الثانى ـ تاوسرت ـ سى بتاح) ٠

● **الأسرة العشرون** ١١٩٥ ـ ١٠٨٠ ق٠م (ست نخت ـ رمسيس الثالث ـ رمسيس الرابع ـ رمسيس الخامس ـ رمسيس السادس ـ رمسيس السابع ـ رمسيس الثامن ـ رمسيس التاسع ـ رمسيس العاشر ـ رمسيس الحادى عشر) ٠

(ز) عصر الانتقال الثالث أو العصر المتوسط الثالث ـ المتأخر :

● **الأسرة الواحـــدة والعشرون :** ١٠٨٥ ـ حـــوالى ٩٥٠ ق٠م

(سمندس فى تانيس - حريحور فى طيبة - بسو سينيس فى تانيس - بينزم فى طيبة - أمن أوبت ثم سى أمون ثم بسو سينيس الثانى فى تانيس) .

● **الأسرة الثانيـــة والعشرون** وحكمت مـــن ٩٥٠ - ٧٢٠ ق.م شيشنق الأول - أو سركون الأول - تكلـــوت الأول - أوسركون الثـــانى - شاشانق الثانى - شاشانق الثالث - بامو - شاشنق الرابع) .

● **الأسرة الثالثة والعشرون** : وحكمت من ٨١٧ - ٧٣٠ ق.م فى تل بسطة وملوكها (بدى باست - شيشنق الخامس - أو سركون الثالث - تكلوت الثالث - أمون رود - أوسركون الرابع) .

● **الأسرة الرابعة والعشرون** وحكمت من ٧٣٠ الى ٧١٥ فى منطقة صا الحجر وملوكها : (تفناخت - بكوريس) .

(ح) العصر المتأخر : (يلاحظ التداخل الموجود) .

● **الأسرة الخامسة والعشرون** - الكوشـــية النوبية ٧٥١ ق.م (بعنخى . وبعض المراجع تبدأ من شباكا - شباكا - شتباكا - طهرقا - تانوت أمانى) .

● **الأسرة السادسة والعشرون** : ٦٦٠ - ٥٢٥ ق.م (بسمتيك الأول - نكاو - بسمتيك الثانى - بريس راح اب رع - أحمس الثـــانى أمـــازيس - بسمتيك الثالث) .

(ط) الحكم الفارسى :

● **الأسرة السابعة والعشرون** ٥٢٥ - ٤٠٤ ق.م (قمبيز - دارا الأول - كسركسيس - أرتخشاشا ارتكسركسيس - دارا الثانى) .

● **الأسرة الثامنة والعشرون** ٤٠٤ - ٣٩٨ ق.م . (أمونحر امير تايوس) .

● **الأسرة التاسعة والعشرون** ٣٩٨ - ٣٧٨ ق.م (نفرتيس الأول - هكر - بى ساموت - نفرتيس الثانى) .

● **الأسرة الثلاثون** ٣٧٨ الى ٣٤١ ق٠م (نخت نيف خبر كارع - تاخوس - نقطانبو) ٠

(ى) **الغزو الفارسى الثانى :** ٣٤١ - ٣٣٢ ق٠م وعند البعض الأسرة ٣١ (ارتخشاشا : أرتاجزر كسيس الثـــالث - أرسيس - دارا الثـالث - الاسكندر المقدونى) ٠

(ك) عصر البطالمة (بطليموس الأول - ١٢ حاكما باســم بطليموس - تداخل مع ٦ ملكات باسم كليوباترة - كليو باترة السابعة الشهيرة مع أخيها وزوجها بطليموس ١٣ - كليوباترة السابعة مع يوليويوس قيصر - الملكة نفسها مع بطليموس ١٤ - أيضا مع مارك انطونيو - اوكتافيوس يهزم م٠ انطونيو فى موقعة اكتيوم ٣١ ق٠م - انتحار كليوباترة السابعة - مصر ولاية رومانية ٣٠ ق٠م) ٠

الفصـــل الثـالث

الاطـــار الحـــدثى

أما الاطار التالى من هذه الاطر التعريفية ، فهو ذلك التى يتصـــل بالاحداث نفسها ٠٠ **بأهم ما وقع منها على أرض الكنانة** ٠٠ فلا أسرات ، ولا ملوك ، ولا امراء ، ولا شعب ، ولا أرض ولا وطن بغير أحداث واذا كنا ـ على سبيل اكتمال الجوانب المعرفية فى هذا الكتاب ـ قد قدمنا بعون الله تعريفا لكلمتى **التاريخ** ، **والآثار** معا ، لارتباطهما المنهجى بهذه الدراسة ، فاننا نكتفى الآن بتقديم **مختصر واف للاحداث المصرية** . تلك التى لها ارتباطها الشديد ، بوجود الاعلام من عدم وجوده ، على أية صورة من صوره أو أى شكل من أشكاله ٠٠

وسوف نحاول ـ قدر الطاقة ـ أن يكون ذلك على طـــريقة المختصر الوافى ، والمفيد ، الذى يقدم صورة لا بأس بها .من تلك التى يشملها هذا الاطار الحدثى ٠

أولا ـ ما قبـــل الأســـرات (*)

٠٠ واذا كانت معظم البحوث التى تناولت عصـــــور ما قبل التاريخ واحتمال أو عدم احتمال وجود « نشاط مصرى » يدل على قيام « وجود مصرى » فى هذه الاوقات ٠٠ اذا كانت فى جملتها قد أثبتت هذا النشاط المؤكد لهذا الوجود فى أماكن عديدة ، قبل ٤٠٠٠ عام ق٠م لا ســـيما فى حلوان والفيوم ومرمده بنى سلامة ـ حافة الدلتا الغربية ـ ثم فى ديرتاسا

(*) يقسم عدد من علماء المصريات من أبرزهم جاردنر وبرستيد وزيته والكسندر موربيه وما ير وغيرهم مراحل تطور الحياة السياسية فى مصر الى تسع مراحل تصب جميعها فى مصر المتحدة الوجهين . ولا يعنينا فى دراستنا هذه سوى تكوين التجمعات والقرى والمدن والدويلات التى اتحدت بعد ذلك ، كما أن المؤلفين يستخدمون أسماء مختلفة فى كثير من الاحوال للدلالة على هذه الوحدات وبعضهم يقول بوجود الاتحاد الاول قبل اتحاد مينا أو نارمر ٠

والبدارى بأسيوط ، ثم فى حضارتى نقادة الأولى والثانية بقنا ٠٠ وكذا فى المعادى وطرة وعين شمس وغيرها ٠ فان هذه التجمعات » الموغلة فى قدمها مضت فى الاتصال والتطور والانصهار حتى تحولت الى قرى ، عرفت نوعا من الاستقلال بكل معالمها المختلفة عن معالم القرى الأخـــرى ، تلك التى تطورت الى مدن مستقلة ثم الى أقاليم كاملة لها حدودها المعروفة ، ولها حكامها ورموزها ومعبوداتها وألقاب حكامها ٠٠ وتشبه فى كثير من أحوالها الدويلات العديدة التى مرت بنفس الأطوار حتى استقلت ٠٠

اكملت الوحدات الصغيرة اتصالها وأنصهارها ، وتجمع أغلبها فى دويلتين أو مملكتين احدا هما مملكة شرق الدلتا فى « عنجتى » أو « عنجة » وأخرى فى غر بالدلتا « حور » ٠٠ حيث تمكنت المملكة الأخيرة ـ ورمزها الصقر ـ من ضم الأولى اليها فتوحدت بذلك الدلتا كلها واتخذ حكامها من مدينة « سايس » أو « ساو » عاصمة لهم ، كما أتخذ ملكهم له تاجا أحمر اللون ٠٠ وقد مرت هذه أيضا بعدة مراحل لكنها ـ مملكة الشمال ـ استقرت فى النهاية فى مدينة « بوتو » بنفس الشعارات والتاج الأحمر ٠

وبالمثل حدث فى جنوب الوادى حيث أسفر تجمع الوحدات والقرى وأنصهارها فى مدن صغيرة عن مقاطعات أو دويلات سرعان ما اتحدت ، واتخذت أكثر من عاصمة من بينها « نوبت » فى قنا حتى « نخن » أو « نخب » واتخذ ملوكها التاج الأبيض وأنثى العقاب شعارا لهم ٠

وقد دام الاتصال بين المملكتين ، ومن الطبيعى أن يأخذ مرات عديدة شكل الحرب بينهما ، والتى تبادل خلالها ملوكها الانتصار ٠٠ (٩ ملوك لملكة الشمال فقط) ٠٠ حتى تم لملكة الصعيد انتصارا كبيرا ، ساهم فى قطع عدة خطوات فى سبيل الوحدة النهائية للوجهين ، على يد ملك يقال له « **العقرب** » (*) والذى يعتبر من أبرز ملـــوك عصر ماقبل الأسرات ، ليس

(*) يعرف باسم « الملك العقرب » لأن هنا اختلاف على نطق اسمه الحورى من جانب المؤرخين ، وكان يرمز اليه دائما برسم العقرب ، وعموما فهناك خلاف كبير على شخصيته ، وعلى أعماله ، فالبعض يقول أنه موحد الوجهين قبل (منا) وآخرون ينكرون ذلك وفئة ثالثة تقول أن العقرب هو نفسه مينا الذى وحد الوجهين ، وبينما يقول آخرون أن مينا هو نارمر ، (أى أن العقرب هو نفسه مينا ، هو نفسه نارمر) ٠٠

بمحاولاته التوحيدية فقط ، وانما بانتصاره على بدو الصحراء ، وبعدد من ألوان النشاط الزراعى ، والنشاط فى مجال الرى ٠

ثانيا - عهد الأسرات

(أ) فى عصر الأسرات المبكر

١ - الأسرة الأولى

واصل « مينا » أو « نارمر » أو « نعرمر » كفاح من سبقه من حكام المقاطعات والدويلات عامة ، وكفاح الملك « العقرب » خاصة . من أجل توحيد الوجهين ، فتم له ذلك وأسس فى مصر **أول أسرة تاريخية** معروفة . تلك التى يبدأ بها التاريخ المصرى ، أو عهد الأسرات وذلك فى حدود عام ٣٢٠٠ ق٠م ؛ وكانت أسرته تنتمى الى أقليم « تا أور » ، والذى أطلق عليه بعد ذلك اقليم « طينة » ٠٠ أو « ثنى » وقد عثر على قبره فى « ابيدوس » - العرابة المدفونة بالقرب من سوهاج - بينما وجدت أهم أثاره فى معبد نخن فى « الكوم الأحمر » ٠٠ وأما أهم أعماله بعد توحيد الوجهين فهو تشييد المدينة الجديدة فى موقع متوسط منهما والتى سماها « من - نفر » أى الميناء الجميلة ، أو الجدار الأبيض ، والتى أطلق عليها بعد ذلك اسم « منف » ٠٠ كما تصوره نقوشه وصلاياته وألواحه الاردوازية وهو يسير الى الحرب ، ويؤدب الأعداء ، وحوله جموع الأسرى ، وجثث الأعداء ، وذلك على النحو الذى سوف نتوقف عنده فى مكان أخر باذن الله ٠٠

وقد أوردت بعض القوائم أسماء عشرين ملكا حكموا بعده من نفس

=

تقول فئة أخرى من المؤرخين ، أن نارمر هو الذى أكمل الانتصار على الدلتا واستولى على ميناء آسيوى ٠٠

لكن المتابعة الدقيقة للمراجع العلمية . وكذا للنقوش المتصلة بالملك العقرب ، ولتاجه - تاج الجنوب فقط - تثبت أنه غير مينا ، وأنه قطع شوطا فى سبيل توحيد الوجهين لكنه لم يكن موحدهما وانما تم التوحيد النهائى على يد الملك « منا » أو « مينا » والذى هو نفسه « نارمر » موحد الوجهين والمتوج بتاجهما الواحد ، الأحمر والأبيض معا ٠

أسرته ، وأوردت قوائم أخرى أسماء أقل ٠٠ وكان اكثرها هى التى اقتصرت على أسماء سبعة ملوك فقط (انظر القائمة السابقة) كان من أبرزهـــم (عاجا أو اتى الأول ـ أو عحا) ٠٠ ـ حتى هذا شك البعض فى وجوده وقالوا أنه لقب من ألقاب مينا أو نارمر ـ ٠٠ وأبرزت آثاره حروبه ضـد الليبيين والنوبيين ٠ وتشييده لعدد من المعابد للمعبودة «نيت ـ صا الحجر» ٠٠ وهى على اسم زوجته ، ويقال أنه كان محبا للعلم والتأليف وله عدة كتب فى الطب ٠

وبعد (عحا) جاء « جر » أو « زر » أو « اتى الثانى » الذى ساهم بانتصاره على النوبيين بتأمين حدود مصر الجنوبية ٠٠ وبعده جاء « ادجو » أو « اتى الثالث » أو « وازيت » أو « جت » ٠٠ ـ اربعة أسماء لواحد ـ حيث واصل مسيرة سلفه فى تأمين حدود مصر ودروب الصحراء فانتشعت التجارة واستغلال المناجم فى عهده ٠٠

وبعده جاء « دن » أو « أوديمو » الذى حارب بدو الصحراء الشرقيين، ورسخ من الاحتفال بالعيد الثلاثينى ، وحيث واصل ابنه « عج ـ اب » أو غريب » نشاط والده الحربى والاجتماعى وأضاف اليه « أمره بعمل احصاء شامل فى البلاد كان يتكرر كل عامين » (٤) ٠٠ وبعده جاء « سمرخت » الذى بدأ فى عهده أفول هذه الأسرة الحاكمة الأولى فى مصر ، بسبب نزاع أهل البيت الواحد ، وتفككهم ، واعتداء بعضهم على حقوق بعض ، وطمعهم فيها ٠٠ حتى هو نفسه فقد بدأ عملا غير حميد ، عندما حطم بعض آثار سلفه ٠٠ وبعده جاء « قعى » أو « قارع » ٠٠ ليبدأ بعض الاصلاحات الادارية ، لكنه راح يعتدى هو الآخر ، على آثار « سمرخت » ٠٠ ودمر بعضها ٠٠ « والبادى أظلم » ٠

٢ ـ الأسرة الثـانية

غامضة هى الأسباب الحقيقية والمباشرة التى أدت الى انتهاء حكم الأسرة الأولى (*) ٠٠ الى الحد الذى جعل واحدا من كبار المؤرخين يقول :

(*) دون أن نقحم أنفسنا فيما ليس لنا ، فاننا نظن أن بعض الاحداث التى سادت فترة حكم سمرخت وقارع كانت من بين الاسباب التى أدت الى نهاية هذه =

« ونحن نجهل تماما الأسباب التى دعت الى تغيير هذه العائلة ، او الحوادث التى جرت فى أيام قارع وانتهت باعتلاء أسرة أخرى على العرش اذا كانت هناك حقيقة انتقال للملك من عائلة الى أخرى » (٥) .. الى أن يقول : « وفى الواقع لا نرى أى تغيير ولا نحس بأى أثر لانتقال فجائى » (٦) ..

المهم شهدت هذه الأسرة حكم عدد من الملوك على النحو السابق ثبته . ولكن يبدو أن بعض الخلافات الدينية التى كانت فى نهاية الأسرة السابقة خامدة تحت سطح الأحداث ، قد كشفت عن أنيابها . لا سيما بين « القادة ، من أتباع « حورس » ونظرائهم من أتباع « ست » فأدى ذلك بالبعض الآخر مثل الملكين حتب سخموى وخع سخموى الى اعلان ولائهما للمعبودين معا .. مما جعل أحد علماء المصريات يعبر عن ذلك قائلا : « كان وجها لاهوتيا للصراع الذى انخرطت فيه الفرق المختلفة » (٧) . الى أن يقول معبرا عن انهيار الأسرتين معا : « لقد أصيب النظام الملكى الفرعونى فى أثناء عهد ملوك طيبة بنوع من أمراض الطفولة .. تداعى كل ما كان متخلفا من عهد مينا من استقلال ذاتى اقليمى واقتصاد قبلى بفضل وجود حكومة مطلقة ساعية للمركزية ، غير أن أخضاع جموع السكان المشتغلين بالزراعة للحكم المحلى الأوتوقراطى لم يتم دون متاعب ، فقد ظل من الضرورى استخدام أساليب القمع ضد ثورات الدلتا فترة من الزمن » (٨) ولكن .. على الرغم من ذلك ، فاننا نستطيع أن نتتبع آثار بعض ألوان النشاط الخاصة بملوك هذه الأسرة ، ومن أبرزها على سبيل المثال تقديم المزيد من النظام الادارى ، وقيام « خع سخم » بعدة حملات لتأديب عصاة الشمال ، كما قام بطرد بدو ليبيا الى ما بعد الحدود المصرية ، تلك التى قام بتحصينها ..

=

الأسرة وأهمها مما أشرنا اليه الصراع العائلى ، والطمع الذى ساد بين أبناء البيت الواحد ، وتحطيم ومحو اثار الاباء خير شاهد على ذلك . كما كانت هناك مقدمات لصراع دينى قديم قائمة تحت السطح الخامد ، بين المعبودات المحلية ورموزها وخدمها ، ثم ما كان من آثار هذين السلبية فى تشجيع بعض محاولات أبناء الشمال للانفصال ، وحيث كانت تمثل نزيفا لجهد هذه الأسرة التى دخلت جيوشها أكثر من معركة لاخماد هذه المحاولات الانفصالية .. + الكلمات التالية عن الأسرة الثانية تؤكد وجود عدد من الأسباب الكامنة ، والمعروفة .

(ب) فى عهـد الدولة القـــديمة

٣ ـ الأسرة الثـــالثة

بعد أن شهدت البلاد سنوات من الاضطراب والتصدع ، جلس على عرشها ملك قوى هو « **زوسر** » أو «جسر » أو « **حورس ارى خت نتر** » ٠٠ مؤسس الأسرة الثالثة ، ويقال أنه ابن ووريث « **خع سخموى** » اخر ملوك الأسرة الثانية ، ويقال أنه ابنه من زوجته ٠٠ وهو الذى جعل مقر الحكم فى «منف » أو « ممفيس » أو « القلعة البيضاء » بعد أن كان سلفه يحجون اليها فقط ؛ وقد بنى مصطبة كبيرة من الطوب فى « بنى خلاف » قرب عرابة أبيدوس ، لكن أشهر أعماله هرم « سقارة المدرج » كما أرسل حملة لتأديب بدو سيناء الذين كانوا يهاجمون البعثات المصرية الباحثة عن كنوز مناجم هذه المنطقة ٠

واذا كان عهده قد شهد نماذج عديدة من المواهب الفذة والنادرة المثال لامام الكتاب والمهندسين والفلكيين ونابغة الطب والحكمة « ايمحوتب » ٠٠ مما أسهم فى ازدهار هذا العهد ، فقد كان خلفاؤه أقل منه نشاطا وأولهم ابنه « **سخم نخت** » الذى مات قبل أن يتم بناء هرمه الشبيه بهرم والده ، كما تتابع بعده عدد آخر من الملوك أهمهم « نب كاورع » مشيد الهرم المعروف باسمه ٠٠ وأما آخر ملوك هذه الأسرة فهو « **حو** » أو « **دونى** » ومعناه : « **الضارب** » ٠٠ وقد قام ببناء هرم فى ميدوم (*) ٠

٤ ـ الأسرة الرابعة

« عروس » الأسرات المصرية دون جدال ٠٠ أسرة الحلقات المتصـــلة المشيدة ، من بناة الأهرام والتى واصلت هذه « الوثبة الحضارية » التى قامت بها الأسرة السابقة ٠٠

أما أول ملوكها فهو « **ســـنفرو** » الذى حكم ٢٤ سنة ، والذى يقال

(*) فى هذه النقطة أيضا يقع بعض الخلاف فهناك من يقول أنه أتم بناء الهرم القائم فى ميدوم والمعروف باسم « هرم سنفرو » فى عهده ، وهناك من يقول أنه بدأ بناءه ولكنه مات دون أن يتمه ، فأكمله بعد ذلك سنفرو ٠٠ وعرف باسم الاخير ونحن نميل الى هذا الرأى ٠٠ كما أن البعض يقول بأن سنفرو هو زوج ابنة حونى ٠

انه هو الذى أكمل هرم صهره « حونى » حيث كان متزوجا من الأميـــرة « حتب حرس » ـ وبعض المؤرخين يقول ان سنفرو هو آخر ملوك الأسرة الثالثة ٠٠ لكن الكثرة منهم تعود به الى الاسرة الرابعة . فهو مؤسسها . الذى كان له أكثر من نشاط معمارى عرف به . وخلد اسمه أبرزه « قبره الملكى » ٠٠ المعروف باسم هرم دهشور القبلى . كما أقيم له هرم آخـر بالقرب منه ٠٠ وهما يعتبران « المدرسة الرئيسية » التى تعلم فيها المصريون تجربة بناء الأهرام ٠ وكذا « معبد الوادى . كما قامت المدينتان الكبيرتان ميدوم ودهشور٠٠«وهما فىالأصلقصرانمن قصوره خلععليهما اسمه»(٩)٠٠ وبالاضافة الى ذلك فهناك حملته الشهيرة الى بلاد النوبة لاعادة الأمن الى حدود مصر : وكذلك تأديبه لبدو الشرق . كما أن له حملاته التجارية التى أحضرت أخشاب الأرز من لبنان وبعثاته التعدينية لاستغلال مناجم النحاس والفيروز فى سيناء . كما كان عهده عهد نشاط ورخاء دائمين ٠٠

ثم تلاه على عرش البلاد أحد أشهر ملوك مصر بل العالم قاطبة ٠٠ أنه « خوفو » أو « كيوبيس » أو « كيبس » ٠٠ بن سنفرو من زوجته الأولى والشهيرة « حتب حرس » أى أنه سليل بيت ملكى أصـــيل وكان عهده ـ ٢٣ سنة ـ من أزهى عهود التاريخ المصرى . فقد توفر له من الامكانيات المادية . واستتباب الأمن والخبرة المعمارية التى ورثها عن عهد أبيه ما أمكنه من بناء أكبر آثار أهل الأرض المبنية بالحجارة وأكثرها خلودا ٠٠

ومن المعروف أنه اتخذ له عاصمة جديدة . أسفل قاعدة هرمه بشمال منف . فى موقع الجيزة الآن ٠٠ غير ان حاكم البلاد التالى . وابن خوفو نفسه المعروف باسم « جدف ـ رع » (*) قد ترك الجيزة . وتوجه للاقامة فى أبى رواش . وبدأ بناء هرمه بها . ولكنه لم يكتمل تماما ٠٠ وبعد اختفائه تولى الحكم ابن آخر لخوفو . هو « خفرع » أو « خفرن » ٠٠ وهو أول ملك اسمه يقرن بالمعبود « رع » وأهم أعماله بناء الهرم المعروف باسمه . والذى أقامه مهندسه على هضبة مرتفعة ليعوض نقص ارتفاعه عن ارتفاع هرم

(*) كان المفروض أن يتولى الملك بعد خوفو ابنه « كاوعب » ٠٠ لكن « جدف ـ رع » وهو أخ له من زوجة أخرى لخوفو يقال أنها ليبية ٠٠ تآمر عليه وقتله . مما أغضب أفراد الأسرة . حتى اختفى بعد ٨ سنوات من حكمه ٠

أبيه (الأول ١٤٦ مترا ، والثانى ٥ر١٤٢ مترا) ‥ كما تتمثل ذروة فن النحت فى عهده فى تمثال أبى الهول وهو « منحوت كله فى صخر الجبل ويرمز الى الملك وليس وجهه الا صورة لوجه خفرع وعلى رأسه لباس الرأس الملكى المعروف باسم غس » (١٠) ‥ كما أن جسمه جسم أسد ٠

وقد تولى بعد خفرع ولمدتين قصيرتين اثنان من اخوته : **جدف حور وباوف رع** ‥ اولهما يقال أنه كان مشهورا بحكمته وله مقبرة فى الجيزة ، والثانى لا يعرف عنه الا اشتراكه فى الحكم مع أخيه ، من خلال حالة من حالات « الصراع العائلى » ‥ حيث يتبعان للجناح المعارض ‥ حتى جاء « منقرع » أو منكاورع » الذى أعاد الهدوء العائلى ، وطمأن الناس ، بعد أن كانوا يشعرون بشىء من الظلم فى عهد كل من خوفو وخفرع ـ هكذا قال الكهنة لهيرودوت ـ ومن ثم فقد أقبل الناس على بناء هرمه ومعبده ، لكنه لم يتمكن من اتمام ذلك ‥ حتى أتمه ا بنه شبسكاف(ارتفاعه ٥ر٦٦ مترا) ‥ الذى لم يقم ببناء هرم ‥ وانما قام ببناء مقبرته على شكل تابوت جنائزى كبير ، مصطبة فرعون » ‥ كما قوى بعد عهده نفوذ الملكة « خنتى كاوس » ابنة منقرع ، والتى تنسج حولها الاساطير العديدة ٠

وعموما ، فقد أسفر تطاحن أفراد البيت الملكى ، ومن بعده صدام شبسكاف بكهنة رع (*) عن أزمة سياسية ودينية كبيرة ، لا شك أنها عجلت بنهاية هذه الأسرة ‥ أسرة البناة العظام ٠

٥ ـ الأسرة الخامسة

استبد كهنة « رع » بالبلاد ، بعد أن نجحوا ـ بالاضافة الى أسباب

(*) ينقسم المؤرخون ورجال الآثار فى هذا الموضوع أيضا الى قسمين ، البعض يقول أن عدم وجود لفظ « رع » فى اسم شبسكاف وعدم بنائه هرما لهو دليل صده عن عبادة رع ، بعد أن قاسى الكثير من كهنته ، بل ويستخدم بعضهم لفظ « ثورته » على هؤلاء ، أو « عدائه » لهم ‥ والبعض الآخر يرجع عدم بنائه هرما الى قلة الموارد المالية ، كما أن صدوده عن كهنة رع لم يمنع اتخاذه معبودا بل انه ظل يحتفظ باسمه (سارع) ‥ أى ابن رع (فى الجانب الاول سليم حسن وأحمد فخرى وجان يويوت وغيرهم) ‥ وفى الجانب الثانى (عبد العزيز صالح) ٠

أخرى — فى القضاء على الأسرة الرابعة ·· ومن ثم كان أول ملوك هذه الأسرة « **أوسركاف** » مقربا من هؤلاء الكهنة ، كما كان عليه أن يبدى اهتمامه بهم ، فكان أول من بنى معبدا فى منطقة « أبوصير » كما بنى هـــرما فى سقارة ·· ومد ملكه الى جنادل النيل . وخلفه « **ساحورع** » الذى بنى هرما ومعبدا كما أرسل حملة تجارية الى الساحل الفينيقى ، وأخرى الى الساحل الصومالى (بلاد بنت) لاحضار البخور وأخشاب المعابد . ويعزون اليـه خروج مصر من عزلتها بعد عهد الاضطراب العائلى والدينى ··

وقد تولى بعده أخوه « **نفر اركارع** » وكان طيبا متدينا ، أعطى — ربما على الرغم منه — امتيازاتكثيرة للكهنة وخدام المعابد، وقد بدأ بناءهرم ومعبد للشمس ، لكنه مات قبل اتمامهما ·· وقد جاء بعـــده ملكان من خاملى الذكر والأثر ، أولهما « **شبسس كارع** » وثانيهما « **نفرف رع** » أعقبهما ملك نشيط ، بناء ، وعسكرى ، هو « **نى وسررع** » الذى حكم مدة ٣٢ عاما ، نجح خلالها فى أن يتم بناء مجموعته الهرمية — الهرم ومعبد الشمس ومقابر الوزراء والزوجات — كما كانت له عدة حملات عسكرية فى الشمال الشرقى والغرب ··

ومن بعده حكم « منكاوحور » الذى لم يكتشـــف هرمه أو ما يبرزه حضاريا حتى الآن غير خبر حملته الى سيناء على عكس خلفه «**جد — كارع — أسيسى** » الذى حكم ١٨ سنة قام خلالها بتأمين حدود مصر الشرقية والجنوبية واستغل المناجم والمحاجر ·· وقد كشف عن هرمين ومعبدين له ولزوجته،وقد عاش فى عهده الرحالة الرائد « **حرخوف** » ·· واستمرت رحلاته عن بعده . كما أنه العهد الذى شهد الابداع الفكرى للحكيم الاشهر « **بتاح حتب** » ·· صاحب المواعظ الجليلة التى عاشت حتى اليوم ··

وقد خلفه أفضل ملوك هذه الأسرة ، وأكثرهم شهرة وهو : « أوناس »·· الذى أحدث تغييرا فى كتابة « **نصوص الاهرام** » فجعلها داخلية ، مما أمدنا بالكثير عن عقائد المصريين القدماء ، كما بنى هرمه المعروف باسمه فى سقارة والذى حفظ بعض أساليب العمارة كما شق الطرق المغايرة لما سبق شقه ، والتى كانت تحفة فى الجمال والهندسة (يعتبر البعض أنه مؤسس الأسرة السادسة ، لكن هؤلاء قلة) ·

٦ ـ الأسرة الســـادسة

٠٠ ومقرها « منف » ايضا . واول ملوكها هو : « **تيتى** » أو « **تتى** » ،٠٠ ويقال انه كان زوجا للاميرة « **ابوة** » أو « ابوت » ابنة « أوناس » ٠٠ ومن ثم وجد طريقة « الشرعى » الى كرسى العرش ، وفى عهده ـ ١٢ سنة ـ قويت شوكة حكام الاقاليم ، فصاروا يلقبون بالأمراء العظام ، كما ازداد نفوذ كبار الموظفين ومن اهم اعماله ارساله الحملات لتأمين حدود مصر وشيد هرما فى سقارة ، لم يترك اللصوص فيه شيئا الا تلك النصوص من « متون الأهرام » الموجودة على حجرة الدفن ، وقد قتل بمعرفة حراسه ٠٠ وقد خلفه « **أوسركارع** » الذى لم يعـــرف عنه شىء ، ولم يكتشـف ـ حتى الآن ـ شىء يدل عليه وعلى فترة حكمه القصيرة ، التى نازعه الحكم فيها « **ببيى الأول** » أحد مشاهير ملوك مصر ٠٠ بماذا ؟ بقضائه على الفتن الدينية، وباعادته لعلاقات مصر بجيرانها ، كما ارسل حملات الى الشمال الشرقى والجنوب (فينيقيا وفلسطين والنوبة) ٠٠ وبنى هرما فى سقارة وله عدة تماثيل جميلة ، وقد حكم البلاد ٢٥ سنة ، وعند اخرين ٥٠ سنة ٠٠ كما أصهر الى أسرة قوية من ابيدوس « **زواجا سياسيا** » ٠٠ وبعض المؤرخين يقول انه كان ابنا للملك **تيتى** من زوجته الثانية ، وفى عهده قام الرحـــالة « **ونى** » برحلاته ٠٠ التى تحدثت عنها لوحته الشهيرة ٠٠ وقد أنجب ببيى الاول . من زوجته الأبيدوسية ابنه « **مرنرع** » الذى تولى الحكم صغيرا ـ ١٠ سنوات ـ ومات وهو صغير أيضا ٠٠ كما أنجبت له أيضا « نفركارع » أو « **ببيى الثانى**» ٠٠ واحدا من أصغر من جلس على عرش مصر القديمة ـ ٦ سنوات ـ **وأطول ملوك وحكام التاريخ حكما** (٩٤ ـ أو ٩٥ ـ أو ٩٦ سنة : اتفاق على أن مدة بقائه فى الحكم ليست أقل من ٩٤ سنة) ٠٠ وأهم أعماله حملاته العسكرية والتجارية والتعدينية خاصة فى جنوب مصر تحت امرة حـــكام الفنتين ، وأبرزهم « **حر ـ خوف** » ٠

وفى عهد ببيى أيضا ازدادت سلطة حكام وأمراء الأقاليم ، وكثرت امتيازات الموظفين ، وسلخوا كثيرا من أملاك البلاد ، وازدادت الأعباء على الحكومة ، وصب ذلك كله فوق رأس البسطاء من أبناء الشعب ، خاصة الفلاحين ، فاشتدت قبضة الموظفين ، وازداد فسادهم مما أدى الى قيام ثورة عاتية فى البلاد ، على كل مظاهر الظلم والفساد ٠٠ ثم حكم « مرن ـ ان ـ رع » الثانى ، وبقى فى الحكم سنة واحدة ، وبعده حكمت « **نيت اقرت ـ نيتوكريس** » وبقيت فى الحكم عامين ، حتى ماتت ، ويقـــال قتلت ، ويقال

انتحرت ٠٠ لكن ذلك كله ـ فساد الأيام الاخيرة واضطرابها ـ كان يعنى فى مجمله حلول النهاية ٠٠ بالنسبة للاسرة السادسة ، وللدولة القديمة كلها ٠٠

(جـ) فى عصر الانتقال الأول أو الافطاع الاول

٧ ـ الأسرة الســـابعة

وصلت مصر الى درجة يرثى لها من الفوضى والاضطراب السياسى فى أواخر أيام الأسرة السادسة ، وامتد ذلك حتى الأسرة الســـابعة ، ملوك ضعاف ، سلطة مركزية واهية ، الأمراء العظام فى الجنوب يكونون أسرات وملكيات حاكمة صغيرة ، تفتت وحدة البلاد ، حدود البلاد المفتوحة والفوضى القائمة تغرى الطامعين من بدو الشرق ، مانيتون المؤرخ يذكر قيام سبعين ملكا بالحكم لمدة سبعين يوما (*) ٠٠ وعموما فان مدة بقاء هذه الأسرة والأمر كذلك لم تتعد العام « عام ٢٢٨٠ » وذلك عند أكثر المؤرخين ٠

٨ ـ الأسرة الثامنـــة

٠٠ وبعض المؤرخين يجمع على أن هذا العام السابق نفسه قد شهد أيضا الاسرة الجديدة ، ليس فى منف هذه المرة وانما فى أكثر من مكان ، حتى تم الاســـتقرار فى « هيراكليوبوليس أو اهناسيا » وحيث تتابع عليها بعض الملوك ، تختلف المصادر بشأن أعدادهم كثيرا ، بل وبشأن ترتيبهم فهم عند مانيتون ١٨ ملكا ، وفى ثبت ابيدوس ١٧ فقط ، وفى بردية تورين ٨ ملوك ، وعموما فقد كان مجموع سنى حكم هؤلاء ٣٨ سنة فقط ، ومن الطبيعى والأمر فوضى ، والاضطراب سائد ، أن يسود أيضا الفقر الحضارى، والاقتصادى والفنى ، فلم تخلف لنا هذه الأسرة ، أو تلك السابقة عليها شيئا يذكر ٠٠ سواء فى اهناسيا ، أو المدن الأخرى التى استقر ملوكها بها قبلها ٠

(*) ينفرد المؤرخ مانيتون بهذا المعلومة ـ سبعين ملكا فى سبعين يوما ـ ويبدو أن هؤلاء كانوا من حكام الاقاليم والمدن المصرية الذين كونوا مجلسا استشاريا ، أو مجلس حكم ، بحيث يتولى كل يوم أحد هؤلاء ادارة الجلسة ، ومن ثم ادارة شئون البلاد ٠ هذا اذا صحت المعلومة أو الحكاية من أساسها ٠٠ والله أعلم ٠

٩ - الأسرة التاسـعة

فى اهناسيا (الخضراء) أيضا ، بين الفيوم وبنى سويف وبالقرب منهما ٠٠ وتختلف المصادر القديمة فى تحديد عدد ملوكها ، من ٤ الى ١٣ ملكا - لكن المصادر قديمة وجديدة تتفق على أن أول ملوكها ومؤسسها هو « **مريب رع** » أو « **خيتى** » أو « **أختوى** » الأول ، ويقال أنه كان قاسيا فى بداية حكمه ، جبارا فى تعامله مع أعدائه ، ومع أكثر من حوله ، وقد حكم مدة ٢٢ سنة ، وانتهى أمره باصابته بالجنون - كمعظم الطغاة - ثم انتهت حياته بأنياب تمساح نيلى ، **أما خلفاؤه واح كارع : خيتى الثانى ثم نفـر كارع ، نب كاورع أو خيتى الثالث** ، فيقال أنهم فعلوا ما فى وسعهم من أجل نهضة مصر ، على الرغم من المشكلات التى آثارها أمراء طيبة الأقوياء تارة (الأناتفة) ٠٠ وأمراء منف تارة أخرى ، كما تم فى عهد الاخير اخضاع الدلتا ووادى النطرون لنفوذ اهناسيا ، كما أمن حدود البلاد من الجهة الشرقية والشمالية الشرقية (القنطرة) ٠

١٠ - الأسرة العاشـرة

٠٠ وهى امتداد للاسرة السابقة ، كما أن أسماء ملوكها تتشابه كثيرا وهذه الاسماء ، وكان أولهم « **مرى حتحور وثانيهم** » **نفر كارع** » **وثالثهم** « **خيتى الرابع** » ٠٠ **واح كارع** ، ثم جاء بعده « **مرى كارع** » ، **ثم** « **خيتى الخامس** » ٠٠ هؤلاء هم أهم ملوكها ، على الرغم من اختلاف المصادر أيضا ، وقد أستمرت فى عهدهم الحروب الداخلية ، خاصـة بينهم وبين الأناتفة ، ودارت عدة معارك مع هؤلاء (أمراء طيبة) ٠٠ وكان النصر فيها فى النهاية **اخيتى** الرابع على معاصره الطيبى ٠٠ مما شجعه على تطهير الدلتا من البدو والأموريين ، مستغلا كراهية المصريين لهم ٠ ٠كما أنه فى نهاية عهده كتب تجاربه العديدة فى ميادين الحرب والسياسة وآراءه فى الدين : « وجعلها على هيئة التعاليم ونصح ولده وولى عهده مريكارع بأن يأخذ بأفضلها ويتجنب مواطن الزلل فيها » (١١) ٠ كما أنشأ بعض النقاط الحصينة عنـد حافة الصحراء ، وجعل فيها الرجال الاشداء للسكن والزراعة والدفاع معا ، كما ظهرت فى عهده قصة « الفلاح الفصيح » التى سيرد ذكرها فى موضعه باذن الله ٠

(د) فى عصر الدولة الوسـطى

١١ ـ الأسرة الحادية عشرة

٠٠ انهكت الخلافات والحروب بين أجزاء مصر الثلاثة الجنوب الطامح المتطلع الى الحكم الوحدوى . والشمال الدلتوى المثخن بجـــراح البدو . والوسط الحاكم فى شدة ، والذى هدم مقدسات الجنوب وداس قبوره ٠٠ انهكت هذه كلها دولة اهناسيا ، ومن ثم وبين مشاعر المهلنة والاستعداد والترقب ، قويت شوكة الجنوب الطامح حيث جعل « الاناتفة » انتد الاول والثانى والثالث والرابع منطيبة الاقصر عاصمة لهم ، يشيدون بشرقها عمارتهم ومعابدهم ـ لآمون خاصة ـ وفى الجبل الغربى مقابرهم ٠٠ وان تسمى بلسم « مونتو » راعى حروبهم !! ٠٠ ومن ثم تمكن أحدهما ـ الخاص فى القائمة السابقة ـ واسمه « **مونتو حوتب نب حيت رع** » ٠٠ ومدة حكمه ٥١ سنة ، تمكن من توحيد الاجزاء أو الاقاليم الثلاثة حوالى عام ٢٠٥٢ ق٠م ، كما طرد الآسيويين من الدلتا ، وأعاد فتح النوبة مرة أخرى ، ومن ثم استحق هذه « العمارة » التى تقف شاهدة على قوته ، وانجازاته ، كما استحق أن يكون ـ تاريخيا ـ رأس الدولة الوسطى ٠٠ وكان عهده من ازهى العهود اقتصادا وكشفا وتنظيما ٠

وقد تولى الحكم بعده ابنه « **مونتوحتب الثالث : سعنخ كارع** » فكان عهد سلام واستقرار على أثر حروب والده التى شارك هو فيها ، كما اتبع سياسة أبيه فى تعمير البلاد والكشف والاهتمام بالمناجم والمحاجر ، خلال سنوات حكمه ـ ١٢ سنة ـ تلك التى خلفه فيها « **سنوسرت** » الذى لا نعرف عنى شيئا كثيرا سوى بقائه على العرش فترة قصيرة ، أعقبتها فترة اضطراب حكم فيها أكثر من شخص ، كان أخرهم « **مونتوحتب الرابع : نب تاوى** » الذى أظهر فى عامى حكمه نشاطا لا بأس به فى مجال البعثات التجــــارية الجنوبية والتى كانت احداها بقيادة وزيره « امنمحات »٠٠ ومعه عشرة آلاف من الجنود ٠٠ لاحضار الاحجار اللازمة للقصر الملكى والمعابد المختلفة ٠٠ ليعود هذا من رحلته ، ويقفز على الحكم ٠٠ مؤسسا أسرة جديدة ، وعهدا جديدا كا نمن أكثر عهود مصر القديمة ازدهارا ٠

١٢ ـ الأسرة الثانية عشــرة

اسسها « **امنمحت الاول** » أو «**امنمحات** » أو « **سحتب اب رع** »

الذى ورد اسمه فى السطور السابقة كوزير بارز من وزراء مونتوحتب الرابع
.. ذلك الذى نجح فى اخضاع حكام الاقاليم ، بالحرب أو بالمداهنة ، ثم بدأ
فى تنظيم أمور البلاد الداخلية وقضى على الفتن والاضطرابات ورسم الحدود
بين كل بلد . كما مد نفوذه حتى دنقلة بالسودان جنوبا ، وقام بدعم تحصينات
الحدود الشرقية والشمالية الشرقية (*) .. بل وفى مناطق من حدود الدلتا
الغربية . وعلى الرغم من اهتمامه بطيبة ، الا أنه نقل عاصـــمته الى
« اللشت » بالفيوم لتكون فى موقع متوسط من البلاد ، الا أن اصلاحاته شملت
البلاد كلها ، لا سيما اصلاحاته الزراعية .. كما نهضت الفنون فى عهـــده
نهضة كبيرة ، ظهرت فى رسوم المقابر العديدة ، والتى من بينها - رسوم
قبر حتوم حتب - رسم القبيلة الكنعانية يتقدمهم زعيمهم بلحاهم الكثيفة ،
والتى يقول بعض المؤرخين أنها تصور مقدم « ابراهيم » عليه السلام الى مصر
فى عهده ، بينما يقول أخرون أن مقدم « أبو الانبياء » كان على عهد امنمحعت
الثانى .. وقد حكم بعد قتله طمعا فى عرشه ابنه « **سنوسرت الأول** » فتابع
سياسة أبيه وعنى عناية بارزة بمحاجر الجنوب والصحراء النوبية ، كما
شيد هرما له جوار هرم أبيه فى اللشت .. (جواره حيا وميتا حيث كان
شريكا فى الحكم مع أبيه لعدة سنوات) .. وخلفه « **امنمحعت الثانى** » ..
الذى نعم بالرخاء والرفاهية والاستقرار ، بما تحقق خلال عهد والده وجده ،
وكذلك كان عهد خلفه « **سنوسرت الثانى : خع خبر رع** » ، الذى أضاف الى
ميراثه مشروعات الرى الكبرى بالفيوم ، وتشييد هرمه بها ، كما فعل جده الاكبر
مع والده عندما أشركه فى الحكم ، وكما فعل والده معه ، فقد تنازل هو
عن الحكم لابنه « **سنوسرت الثالث : خع كارع** » الذى كان من أبرز ملوك
مصر الذين أخضعوا حكام الأقاليم تماما ، وجردهم من امتيازاتهم والقابهم ،
ولو لم يكن على درجة كبيرة من القوة ، لما فعلها ، كما كانت له أعمال
حربية ناجحة فى فلسطين والنوبة .. وقد واصل سياسة أجداده فأشرك معه
فى الحكم ابنه « **امنمحعت الثالث** » ذلك الذى بقى فى الحكم ٤٩ سنة ..
أحسن خلالها استثمار ما ورثه من استقرار ورخاء ورفاهية ، ومن ثم تفرغ

(*) يقال أنه أول من بنى حائطا دفاعيا فى التاريخ ، وهو ذلك الحائط المكون سلسلة قوية من التحصينات والذى أقامه على حدود مصر الشرقية وعرف بـ « حائط الأمير » ولعل فكرة الحوائط والخطوط الدفاعية بما فيها « ماجينو - بارليف » لعلها الشكل الجديد لهذا الحائط الامنمحاتى الدفاعى القديم .

للبناء والتشييد ،فأكمل اهتمام أبائه باقليم الفيوم . شقا للترع . واقامة للجسور وتشييدا للقناطر . وأقام معبدين كبيرين فى مدينة ماضى وعلى أطراف الفيوم الحالية . كما أقام هرمه الطينى عند « هوارة » والى الشرق منه معبده الشهير « قصر التيه » أو « اللابيرانت » الذى حيكت حوله الاساطير العديدة (*) . كما أنه صاحب مشروع البحيرة التى تحمل اسم « **بحيـــرة موريس** » ··

وقد حكم بعده ابنه امنمحعت الرابع : **ما عت خرو رع** » . وبعده حكمت اخته « **سوبك نفرو** » ·· وكانت فترة حكمها قصيرة . ولم يبـــديا نشاطا ملحوظا ، بل ارتفعت فى عهدهما مرة أخرى نزعات الحكام الاستقلالية وبدأت ريح الاطماع القادمة من خارج البلاد تهب مرة اخرى ·· كرد فعل لحكم قصير ضعيف متخاذل ·

(هـ) عصر الانتقال أو الاقطاع الثانى

١٣ ــ الأسرة الثالثة عشرة

انتهى حكم الأسرة السابعة نهاية غامضة كما رأينا ، وكما حدث سابقا أكثر من مرة ، وقامت الأسرة الثالثة عشرة على يد أول ملوكها « **سوبك حتب الأول : سخم رع أوتاى** » وحيث كانت مصر فى عهده تمتد حتى الشــــلال الثانى جنوبا ·· ومن بعده استمر الحكم فى أبنائه وورثته بطريقة طبيعية لعدة ملوك ــ يقال أربعة ــ حتى قويت النزعات الاستقلالية مرة أخرى ، ووقع

(*) كان « امنمحعت الثالث » من أكثر الملوك الذين تحدث عنهم هيرودوت عند ذكر حديث رحلته المصرية ، وما رواه عن الكهنة . وان كان قد تحدث عنه باسم « موريس » ، فلا فراعنة فى الزمن الذى حدده ولا فى غيره بهذا الاسم ، الا انه يذكر جانبا من أعماله لا سيما (مر ــ ور) أى البحيرة العظمى . خاصة وأن اسمه ــ امنمحعت ٣ ــ قد ورد عند الاغريق (مارس ــ لامارس) ·· كما أنه يقول عن اللابيرانت « شيدوا اللابيرانت الذى يقع وراء بحيرة موريس بقليل وعلى قرب من المدينة المسماة مدينة التماسيح ولقد رأيته بنفسى وهو عمل يعجز عن وصفه بيان ــ لو قدر لامرىء أن يجمع معرضا لما شيده اليونانيون لبدت أقل عملا منه بشأنه ما تطلبه من نفقات ومن عمل شاق···ولكن البيرانت يفوق الاهرام أيضا » محمد صقر خفاجه : هيرودوت يتحدث عن مصر » ص ٢٧٨ ·

الاضطراب ، وطمع كثيرون فى العرش ، واستخدم بعض حكام الاقاليم والوزراء الاسماء الملكية ، ومن ثم اختلط الحابل بالنابل ، وتولى الحكم الكثير من الملوك ، اختلفت معظم المصادر القديمة فى بيان أعدادهم لكثرتهم(*) - مالا يقل عن ٥٠ ملكا فى ١٥٢ سنة هى فترة حكم الأسرة بأكملها - وصحيح أن هذه الأسرة قد اتخذت من « طيبة » عاصمة لها ، لكن معبوداتها واثارها وأسماءها وألقابها تقطع بتواصل المسيرة ، بينها وبين الأسرة السابقة ، بل واستمر هذا الوضع الى الأسرة التالية لها ٠٠

٠٠ واذا كانت قصر مدة حكم بعض هؤلاء ، تعكس الاوضاع الداخلية المتردية ، وصراع الملوك والحكام ، فان القبائل الآسيوية التى كانت تقف على باب مصر مترصدة ، وجدت أن الفرصة متاحة كما لم يحدث من قبل - والملوك فى شغل دائم بصراعهم واطالة مدة حكمهم - ومن ثم بدأ تسللهم فى جماعات محدودة ، لم تلبث أن تضاعفت أعدادها ، وصنعت لها فى الدلتا أكثر من رأس جسر ، سرعان ما دعمته والتفت من حوله حتى أصبحت نقاط ارتكاز قوية ومدعمة بالرجال والخيول وأساليب الحرب الجديدة ٠٠ كانت هذه نهاية الأسرة الثالثة عشرة ، وبداية النفوذ الهكسوسى بمصر الذى تحول الى أشهر احتلال فى تاريخها ٠

١٤ - الأسرة الرابعة عشرة

٠٠ وهى لا تختلف كثيرا عن الأسرة السابقة فى جانبى الصراع على الحكم ، وكثرة الملوك الذين قدر « مانيتون عددهم بـ ٧٦ ملكا ، حكموا من مدينة « سخا » بالدلتا وتذكر برديه تورين أسماء ٢١ منهم ولم يشر اليهم ثبت الكرنك واستطاعوا أن يحافظوا خلال مدة حكمهم على استقلال الأجزاء التابعة لهم ، فى مواجهة الزحف الهكسوسى الذى كان يسرع خطاه للسيطرة

(*) أحصى مانيتون ٦٠ ملكا وذكر أسماءهم ، وقالت بردية تورين أنهم ما بين خمسين وستين ملكا أوردت منهم أسماء أربعين ملكا فقط ، وأغرب من ذلك أن د٠ أحمد فخرى يورد القائمة التى اختارها هيز والمسجلة بها أسماء ستين ملكا ، لكنه يستخدم تعبير (يعرف من أسماء ملوكها) ٠٠ أى أن هناك شك فى وجود أسماء أخرى لا تعرف أو لم تعرف بعد (رجاء العودة الى القوائم الملكية السابقة) ٠

على أنحاء البلاد ٠٠ ويقولون أن هذه الأسرة الشمالية بدات فى نفس الوقت الذى بدأت فيه الأسرة السابقة الجنوبية التى كانت بعيـــدة عن الزحف الهكسوسى ، غير أن أثار هذه الأسرة لم تكتشف بعد ٠٠ ان كانت هناك اثار تستحق الذكر ٠

١٥ ـ الأسرة الخامسة عشرة

فى ظل ضعف ملوك الأسرة السابقة نجح الهكسوس ـ ملوك الرعاة ـ فى الاستيلاء على الحكم فى البلاد وهم من أصل مختلف عليه بين المؤرخين ، وتشير أحدث الآراء الى أنهم ليسوا من شعب أسيوى واحد ، وانما من أصول متعددة ٠٠ أما نفس الكلمة « هكسوس » فهى تحريف لكلمة مصرية قديمة هى « حقاخا سوت » أى حاكم البلاد الأجنبية ، كما أطلق على زعماء القبائل البدوية الشرقية ٠٠ ويقال كذلك ضمن ما يقال أن هجراتهم الأولى الى مصر كانت للتجارة فقط ، فقد كانوا يحضرون اليها منتجات البلاد الأخرى الخام، ثم يعودون بها مصنعة بعد أن يتم تشكيلها بيد المهارة المصرية ٠ ولكنهم كانوا ينظرون الى الربح التجارى بعين والى الاستقرار بمصر بالاخرى ٠٠ وهم وفدوا من أماكن آسيوية عديدة عن طريق فلسطين ، وربما استقرت بعض مقدماتهم بها لمدة من الوقت » ٠٠ « فلما ضغط عليهم غيرهم هاجروا الى وادى النيل » (١٢) ٠٠ المهم أنهم غزوا البلاد واحتفظوا بنظمهم وعاداتهم العسكرية ، وارتكبوا الكثير من أعمال الفساد وهدم الدور والمعابد وتحطيم الآثار ٠٠ لكنهم « لم يملكوا الا أن يتأثروا بالحضارة الفرعونية » (١٣) ٠٠ وقد اتخذوا من « **أواريس** » عاصمة لهم ، وكان أول ملوكهم « **ساليتس** » (*) مؤسس الأسرة ١٥ غير المصرية (سلاطيس) ٠٠ ـ بعض المراجع يذكر أنه حكم ثلاثة أعوام فقط بينما يمدها البعض الى ١٩ سنة ـ ثم أعقبه **يعقوب هر** ، **فخيان فابيبى الأول ثم ابيبى الثانى فخا مودى** » ٠٠ ويقال أن بعض هؤلاء قد اقاموا عددا من الابنية على الطراز الفرعونى ، كما انتحلوا بعض أسماء وصفات ملوك مصر ٠٠ لكن التاريخ لم يحتفظ لنا بذلك العمل المبهر الذى يبقى تخليدا لذكرهم ٠٠ ومن ثم فالمادة العلمية عن هذه الأسرة والأسرة

(*) يلاحظ اختلاف الاسماء باختلاف المصادر ولغاتها ، وهو ما أشرنا اليه سابقا ٠

التالية لها غير دقيقة تماما ، فضلا عن قلتها ، باستثناء أعظـــم ملوكهم « خيان » الذى وجدت بعض الآثار والجعارين التى تحمل اسمه فى مصر وسورية وفلسطين ، وتمثال لأسد يحمل اسمه فى بغداد ٠

١٦ ـ الأسرة السادسة عشرة

٠٠ وهى أسرة هكسوسية كذلك ، حكمت من العاصمة « أواريس » ايضا ، وأبرز ملوكها **عنت حر** ، **ومن بعـده سمقن ثم خـــع أو ســـر رع** ، **وعاحوتب رع وشحع ان رع وعامو ثم ابيبى الثالث** ٠٠ وتقول بعض المصادر انهم أكثر من ذلك ، وربما أضعاف هذا العدد ، وهؤلاء أيضا كانوا من خاملى الذكر ، ولم يفعلوا شيئا أكثر من دعم حكمهم وتقوية عاصمتهم ، وتجميلها ، بل انهم من أجل هذا الغرض الاخير ، راحوا ينتزعون بعض التماثيل المصرية، من البلاد المختلفة ، ويضعونها فى شوارعها ومعابدها ، بعد أن يضعوا عليها « خراطيشهم » الخاصة ٠٠ التى توحى بأنها من صنعهم أو صنع أتباعهم ٠٠ وأعوانهم ٠٠ وعموما ٠٠ فان عهد هؤلاء كان يشهد بداية اتجاه المقاومة المصرية لهم نحو مرحلة جديدة ، لا سيما فى طيبة ، وبعض جهات الشمال ٠

١٧ ـ الأسرة السـابعة عشرة

٠٠ تزك ملوك الرعاة ـ الهكسوس ـ بعض الأمراء حكاما على بلادهم، ويقال أن ذلك مقابل الولاء للمحتل ، ودفع الجزية ، وكان اكثر هؤلاء فى صعيد مصر عامة ، وطيبة خاصة ٠٠ بينما من المؤكد أن أمراء طيبة كانوا يعتزمون شيئا أخر ٠٠ ويتحينون الفرص لتنفيذه ، ومن ثم فقـــد كانوا يواصلون تقوية أنفسهم ، واقامة جسور العلاقات الطيبة مع غيرهم من أمراء الصعيد ، بل وأكثر من ذلك فقد واصلوا ممارسة التقاليد المصرية القديمة كأكثر من أى مكان اخر فى البلاد ، وأقاموا بعض الأهرامات الصغيرة فى منطقة « ذراع أبو النجا » بالأقصر ، بل وساروا على نفس منهاج فراعنة الدولة الوسطى فى الحكم وما يتفرع عنه ٠٠

٠٠ واذن ، فقد كان هناك حكم هكسوسى كامل فى اكثر مناطق الدلتا ، يحكم من « أواريس » قدرته المصادر بـ « ٤٣ **ملكا هكسوسيا** » ٠٠ بينما كان هناك حكم هكسوسى مضعضع ، مستمر فى الضعف فى صعيد مصر ،

مما أعطى الفرصة لحكام طيبة ، للعمل على تقوية أنفسهم والاستعداد ليوم التحرير ·· وحيث بدأت المناوشات بين أمراء طيبة المتحالفين مع أمراء الأقاليم المصرية المجاورة ، والذين أحسوا بقوتهم فلم يترددوا فى اعتبار أنفسهم ملوكا – على عكس ما كان سابقا – بدأت المناوشات بينهم وبين العدو القائم فى الشمال ·· هكذا حدث فى عهد ملوك هذه الأسرة لا سيما المتأخرين منهم ·· حتى بدأ الصدام الكبير فى عهد ملك طيبة الخامس عشر من حكم هذه الأسرة : « سقنن رع » ·· بعد أن علم « أبوفيس » الهكسوسى بزيادة قوة مملكة طيبة ، فأراد التحرش بملكها وأمرائها (*) ، فكانت الاشتباكات العنيفة التى انتهت بمقتل الملك المصرى فى ساحة القتال ، وإن كانت قد أججت نار المقاومة . كما لم يحدث من قبل ·· حيث اتحدت الأمة تحت قيادة ابنه « كامس » · ·ووضع الأمراء أيديهم فى يده ، ومن ثم واصل الحرب ، وهزم الهكسوس عند « هرموبوليس » ثم حرر « منف » ·· كما هزم تحالف ملك النوبة مع ملك الهكسوس ، وبدأ يستعد للهجوم الكبير على أواريس نفسها ، لكن المنية عاجلته . فتولى بعده أخوه « أحمس الأول » الذى واصل المهمة بنجاح عظيم ، فطارد الهكسوس وحاصر عاصمتهم حتى سقطت، وبدأ انسحابهم الكبير ، حيث تعقبهم أحمس حتى « شاروهين » فى فلسطين ثم عاد الى طيبة ، فاتخذها عاصمة للبلاد ، وبذلك تأسست الاسرة ١٨ ·

(*) تحكى احدى البرديات التى كتبت فى عصر لاحق – عصر الرعامسة – أى بعد وقوع الاحداث بحوالى أربعة قرون ، كيف أن الملك الهكسوسى « أبوفيس » أرسل وفدا يريد التحرش بملك طيبة ، وتحديه قبل أن يكمل استعداده ، فابتكر لذلك قصة تقول – كذبا – أن أفراس النهر الموجودة فى بحيرة طيبة تضيح ليل نهار وأن صياحها يعكر صفو ملك الهكسوس نهارا ، ويحول بينه وبين النوم ليلا ، وعلى سقنن رع أن يمنع ذلك والا تعرض للهجوم عليه ، وفى ترجمة أخرى أنه دعاه الى أن يترك أفراس النهر فى هدوء بدلا من اصطيادها وقتلها كما يفعل سقنن رع ، لان هذا الحيوان كان معبودا عند الهكسوس ، وسواء كانت الترجمة الاولى هى الصحيحة أم كانت الثانية ، فالواضح أنها اكاذيب مختلقة الهدف منها وجود مبرر للهجوم على ملك طيبة ، قبل أن يكمل استعداده للحرب ، وان كان بعض المؤرخين يلقى بظلال من الشك على قصة مقتله فى ساحة القتال ·

(و) الدولة الحـــديثة

١٨ ـ الأسرة الثامنة عشرة

٠٠ وهى من أبرز الأسرات فى تاريخ مصر ٠٠ أسرة الملوك « المحررين» لمصر ، وأولهم مؤسسها « أحمس الأول » ٠٠ صاحب الفضل الاول فى هذا العمل الخالد ، وبطل حرب الاستقلال ، وصحيح أن بعض المؤرخين يضعه هو وابنه ثانى ملوك هذه الأسرة ٠٠ ضمن ملوك الأسرة السابقة ، على أساس أن أحمس الأول ليس ابنا لسقننرع واخا لكامس٠٠ لكن التقسيم الاكثر صحة وقبولا ، هو ذلك الذى يرتبط بالجانب الزمنى الحدثى ، وليس بتتابع الأبناء والاقارب ، ومن الذى يستطيع أن يقول أن استقلال مصر كان حدثا عاديا ؟ ٠ ٠انه ـ بكل المقاييس ـ حدث ضخم ، يستحق أن يكون بداية لأسرة جديدة ٠٠ المهم ٠٠ قضى أحمس الأول فى الحكم ٢٤ عاما ، قضاها بعـد هزيمته للهكسوس فى القضاء على التمرد فى الجنوب ، وعلى محـــاولات الثورة التى قام بها بعض الأمراء ـ يبدو أن يدا هكسوســـية كانت من ورائها أو أنهم كانوا من المستفيدين من الاحتلال للاسف الشديد ، وربما من الحاقدين على امير طيبة السابق ، الملك محرر مصر الحالى ٠٠ وما أكثر الوان الحقد التاريخيـــة المصرية على الميرزين وعلى المتميزين بمواهبهم ونجاحهم ـ كما قام بطل الاستقلال بتعمير البلاد ، وبعض المعابد فى طيبة وأبيدوس ، وعمل على الاهتمام بالزراعة المصرية ، كما أعيد فى عهده فتح المحاجر التى أغلقت فى المناخ المضطرب السابق ، كما حظيت جدته « تترى ـ شرى » ثم أمه « اعح حوتب » وأخيرا زوجته « أحمس نفرتارى » بتقديره وحب الشعب المصرى كله ، وكان لثلاثتهن ـ خاصة الأم ـ دور كبير فى اذكاء روح الحرب التحريرية ٠ وقد مات أحمس الاول وعمره حوالى ٤١ ـ ٤٢ سنة ٠٠ قام فيها بكل هذه الأعمال الباهرة ، حربا وسلما ٠٠ وخلفه على عرش مصر ابنه « **امنحوتب الأول** » ٠٠ تساعده فى ذلك ـ لصغره ـ أمه أحمس نفرتارى ، وقد ظل فى الحكم احدى وعشرين سنة ، قضاها فى العمل على استتباب الأمن فى أطراف مصر الجنوبية والشرقية ، ثم واصلت جيوشه زحفها شمالا وشرقا فوصلت فلسطين وسوريا ونهر الفرات ٠٠ وهو أول ملك يفصل بين قبره وبين معبده الجنائزى ، فالقبر للدفن والمعبد للعبادة ، وقد مات دون أن يترك ولدا ، فخلفه على عرش مصر ، أحد أمراء البيت المالك بعد فترة اضطراب قصيرة الأجل ، ذلك هو « **تحتمس الأول** » الذى

تزوج من «احمس امنحوتب» ابنة الملك السابق - ويقال انها اخته فاصبح وجوده على عرش البلاد « مشروعا » ٠٠ ومن ثم بدأ « تفقده » لأحوال الحدود الجنوبية ، حيث وصل الى أخر حدود « دنقلة » وجعل عليها حاكما قويا حيث بدأ الالتحام النوبى السودانى المصرى ٠٠ المستمر حتى اليوم ، كما واصل زحفه الآسيوى حتى وصل الى نهر الفرات ، كذلك قام بكثيـر من النشاط المعمارى فى الكرنك . وسجل أخبار حروبه وانتصاراته وأحداث عهده - ٣٠ **سنة** ٠٠

لكن يشاء الله ألا يكون للملك السابق من يخلفه من الذكور من زوجته هذه الشرعية، التى ولدت له وحيدتها « **حتشبسوت** » ٠٠ بينما كان له عدة أبناء ذكورا من زوجاته الأخريات ، أكبرهم « تحتمس » ٠٠ ابن زوجتـه « **موت نفرت** » ٠٠ فزوجه والده باخته **حتشبسوت** . وصار الملك الرابع فى سلسلة ملوك هذه الأسرة ، يحكم باسم : « **تحتمس الثـانى : عا - خبر - ان - رع** » حيث دب الخلاف بين الملكة ، القوية الشخصية ، الممتلئة طموحا وفكرا متجددا ، والراغبة فى الاستئثار بالملك ، وبين الملك الذى كان - بالنسبه لزوجته - ضعيف الشخصية ، غير طموح ٠٠ مما انعكس على الواقـع المصرى فى الداخل وعلى الحدود ، فانقسم موظفو القصر الى حـزبين ، أحدهما يشايع الملكة ، والآخر يتبع الملك ، كذلك قامت عدة ثورات فى شمالى السودان وانفصل بعض الامراء الجنوبيين ، وقامت ثورة أخرى فى سوريا وقطع البدو طريق القوافل الشرقى ٠٠ الا أن تحتمس انتصر على هؤلاء جميعا ، مما أسهم فى زيادة اعتلال صحته ، بينما كان نفوذ زوجته يقوى بالداخل حتى توفى الرجل بعد ٥ سنوات من الحكم - البعض يقول ١٦ سنة وآخرون ٢٠ سنة - وبموته بدأت فترة صراع مرير بين « حتشبسوت » التى كانت تدبر أمر البلاد ، وبين « تحتمس الثالث » ابن الملك السابق ، من زوجة أخرى ليست ملكية والذى تزوجها ليصير حكمه شرعيا ، بينما كان الزوج الجديد ، دونها مرتبة ، وأصغر منها سنا - يقال أيضا أنه ابن اختها !!- والبعض يقول أنها لم تتزوجه، وانما زوجته من احدى ابنتيها الوحيدتين من تحتمس الثانى واسمها أيضا « حاتشبسوت » المهم أنها جعلت نفسها وصية عليه ، حتى جمعت الانصار حولها وقامت بتنحية الملك الصغير جانبا - يقال أدخلته المعبد ليعتكف فيه - وانفردت هى بحكم البلاد ثمانية عشر عاما ، تزيت فيها بزى الرجال ، وأقامت المعابد ، وأرسلت البعثات التجارية الشهيرة كما حكمت بالاشتراك مع « تحتمس الثالث » اربعة أعوام ٠٠ حتى كبر الغلام،

واختفت هى من الساحة ، بعد أن تنكرت لعدد من مؤيديها أبرزهم «سنموت» المهندس الذى قام ببناء معبد الدير البحرى لها ٠٠

اختفت من الساحة بطريقة غير معروفة حتى الآن ، ليحكم بعدها الغلام الذى كبر وأصبح فتى قويا طموحا وقائدا عسكريا فذا «تحتمس الثالث» الذى استمر يحكم بعدها مدة ثلاثين عاما ٠٠ كانت كلها سنوات مجد وازدهار لا سيما انتصاره على الآسيويين بزعامة أمير قادش فى معركة « مجدو » ٠ ٠والتى قيل عنها : « ٠٠ وبكل المعايير تعتبر الحملات الحربية التى قام بها تحتمس الثالث والنصر الذى حققه فى موقعة مجدو Megido وعبور نهر الفرات ليفتح بلاد ميتانى Metanni قمة للاستراتيجية الحربية تحدث لأول مرة فى تاريخ العالم القديم » (١٤) ٠٠ وقيامه بسبع عشرة حملة. رصدت وقائعها على جدران المعابد المختلفة لا سيما الكرنك ، كما كان يمارس القتال بنفسه مع جنوده ، وقد ترك حكام البلاد المفتوحة على امرتها نظير دفع الجزية لمصر ، واحضار أبنائهم للتعلم بها ٠٠

وقد تولى بعده ابنه « امنحتب الثانى » ٠٠ الذى قام بعدة حملات لاخماد نار الفتنة فى الولايات الثائرة ، حتى دان له ذلك ، على النحو الذى تصوره الاثار المختلفة ، لا سيما اثار مقبرته بوادى الملوك ، واضافاته الى الكرنك ، كما تذكر هذه الاثار عنايته الكبيرة بالالعاب الرياضية ٠

وخلفه على عرش مصر أحد أبنائه « تحتمس الرابع » ويبدو أنه اغتصب حقا ليس له ، ممن كان عليه الدور ، فابتدع قصة تقول أن المعبود « حور ام اخت » قد أتاه فى المنام وأخبره أن العرش من حقه كما تقرب للمعبود «رع» وكهنته ، ليكون فى جانب مخالف لاخوته ــ ومنهم من كان أحق منه بالعرش ــ الذين يعبدون « أمون » ٠٠ وقد قام هو الآخر بعدة أعمال عسكرية ، فأخضع أمراء آسيا الثائرين ، وتحالف مع ملك ميتانى وتزوج ابنته ، وصادق بابل ، لعمل « حلف » فى مواجهة قوة الحيثيين المتزايدة ، والتى كانت تهدد سلطان مصر فى سوريا وفلسطين ، كما أخمد ثورة النوبيين ٠ كل ذلك خلال تسع سنوات فقط قضاها فى حكم البلاد ، ومات فى عمر الزهور : « ٢٦ سنة » فقط ! وخلفه على عرش البلاد الملك « **امنحتب الثالث : عا ــ خبرو ــ رع** الذى قضى فى الحكم ٣٦ سنة ، كانت فى بدايتها سنوات رخاء ورفاهية ، ثم بداية ضعف ملحوظ ، نجم عنه ازدياد نفوذ زوجته الملكة « **تى** » ٠٠وباستثناء

التمرد النوبى الذى اخضعه ، فان امراء آسيا كانوا على صلات وديةقوية به·

·· وقد تولى بعده « **امنحتب الرابع : اخناتون ، نفر خبرورع** » وأحد أشهر ملوك التاريخ عامة ومصر الفرعونية خاصة . ليس بتوحيد الوجهين على طريقة « نارمر » ، أو بطرد الهكسوس على طريقة « أحمس » أو بانشاء الامبراطورية على طريقة « تحتمس الثالث » · ·ولكن من زاوية أخرى تماما. هى الزاوية الدينية هذه المرة ، لا سيما دعوته الى نبذ اختلاف المعبودات وتعددها ، وانهاء دور كل معبودتها··واحلال المعبود القديم ــ بفكرته القديمة فى هليوبوليس ــ آتون والمعبر عنه بقرص الشمس وتجديد عبادته ،واعتباره « المعبود الوحيد » ·· حتى على حساب « آمون » نفسه ، وكهنته ، وان تعرض لغضبهم الذى كان يخشاه أعظم الملوك !! ·· ثم صوره على شكل قرص الشمس تخرج منه الاشعة ، « منتهية بأيد بشرية تحمل كل يد منها العلامة الهيروغليفية الدالة على الحياة وهى تكاد تلامس أنف الملك أو أعضاء عائلته المكونة من زوجته نفرتيتى وبناته الاميرات » (١٥) ·· وانتقل بفكره وأسرته وبلاطه وكهنته الى العاصمة الدينية الجديدة « أخيتاتون » أو « أفق آتون » ، كما قام بطمس ما يتصل بالالهة القديمة عامة وآمون خاصة من على الدور والمعابد ، وشرع فى دعم ديانته الجديدة الموحدة للمعبودات بالمعابد والتماثيل والأناشيد التى عقد المؤرخون صلات كثيرة بينها وبين « مزامير داود » ··

وكان من نتيجة هذه الاتجاهات كلها ، والتى انشغل بها الملك تماما . قيام الثورات الخارجية العديدة والوان التمرد ، ولم يخرج « اخناتون » عن اهتماماته تحذيرات ولاته ، وصراخ حلفائه ، بل وانفصلت فعلا أجزاء كثيرة من آسيا ، مما ضاعف من غضب الشعب الذى لم يكن قد فهم الديانة الجديدة بعد حق الفهم ، كما أن كهنة رع كانوا يعملون فى الخفاء والجهر معا ، مما أدى الى وقوع ثورة وطنية ودينية ضده ، انتهت بعزله بعد ١٧ سنة من الحكم بل وأصبحوا يصبون عليه اللعنات جزاء انكار معبوداتهم القديمة ، وضياع الامبراطورية ··

·· ومن ثم فقد كان من الطبيعى . وقد تلاه على العرش زوج ابنتـــه واسمه « سمنخ كارع » كان من الطبيعى والثورة على ديانة آتون محتدمة ، الا نجد باسمه عبارة « آتون » ·· بل وأن يترك الاقامة فى المدينة الدينية الجديدة ، ويعود أدراجه الى طيبة ·· مقر المعبود القديم « رع » لكنه لم

يستمر فى الحكم طويلا ، فقد مات بعد ثلاثة أعوام فقط ،وخلفه أخـــوه الأصغر ٠٠ أحد أشهر ملوك العالم « **توت عنخ آمون** » زوج ابنة أخـرى لاخناتون ونفرتيتى والذى استقر له الأمر فى طيبة ، ونشطت حركة البناء فى عهده كما قام « حور محب » قائده الشـــــهير بحملة لتأديب عصاة آسـيا ومات دون أن يتجاوز العشرين من عمره ، ودون أن يكون له ابن ٠٠ فحكم بعده أحد مستشاريه ومربييه وحكمائه «آى» لمدة لم تزد عن أربعة أعوام ٠٠ أتبعه القائد « حورمحب » ، ابن الشعب ، الذى تدرج فى المناصب حتى وجد نفسه يرتفع الى أعلاها ويصبح « فرعونا » مرموقا ٠٠ يضع الشعب فيه أمله لينقذه من الفتن الداخلية التى اكتوى بنارها كثيرا ، ومن الاطماع الخارجية أيضا ، فوجه عنايته أولا نحو الاصلاح الداخلى ، كما تدل على ذلك الآثار العديدة ، وعموما فقد نجح نجاحا بعيدا خلال سنوات حكمه ـ ٣٠ سنة ـ فى أن يعيد الهدوء والاستقرار ، وتنظيم البلاد ، مما دعم جبهتها الداخلية تماما ٠٠ تلك التى يستند اليها كل عمل خارجى ناجح ٠٠ فهل كان ذلك هو ما حدث ؟

١٩ ـ الأسرة التاســـعة عشرة

٠٠ نعم نجح « **حورمحب** » فى أن يعيد الأمن والهدوء والاســـتقرار والثقة الى البلاد ، وكان يعاونه فى ذلك كله أحد زملائه من طبقة العسكريين القدامى ، يقال له : « رمسيس : رع مس سو ـ من بحتى رع » ومعه ابنه « سيتى » ٠٠ حيث انتقل عرش البلاد الى **رمسيس الأول** ٠٠ بعد أن عينه حور محب وزيرا أول ـ ويقال وليا للعهد ٠٠وقد حكم الرجل ـ العجوز ـ فترة قصيرة جدا ، لم تصل الى عامين ، لكنها كانت لاظهار حسن سياسته ، كما بدأ ـ اظهارا لمقدرته وتقربا من كهنة آمون ـ بناء بهو الأعمدة الكبير فى الكرنك ومعبد آخر فى منف وثالث فى النوبة ٠٠ كما افسح لابنه الطريق الى ولاية العهد ، ثم الكرسى الملكى ذاته ٠٠ وهكذا بدأ حكم واحد من السلسلة الذهبية فى تاريخ مصر « **سيتى الأول** ، **من ماعت رع** (*) ، ذلك الذى أبلى

(*) يختلف المؤرخون بالنسبة لهذه النقطة ايضا ، فالبعض يقول أن مؤسس هذه الاسرة هو « حورمحب » والبعض الاخر يرى أنه آخر ملوك الاسرة السابقة ، والبعض الثالث يرى أنه اخر السابقة ومؤسس اللاحقة ، والبعض الرابع يرى أن مؤسسها هو رمسيس الاول ، والبعض الخامس يرى أن مؤسسها الحقيقى هو سيتى الاول نفسه ، اذ كان حكم والده امتدادا لحكم حورمحب ، وهكذا ٠

خير بلاء ، فى جميع الميادين التى خاضها ٠٠ ففى ميدان الحرب ، فقــد زحف على آسيا وأعاد تمهيد طريق سيناء ، وقام بترميم قلاعه وهزم بنو « الشاسو » وبلغ حدود كنعان ـ غربى فلسطين وسوريا ـ واستولى على سهل مجدو وعبر نهر الأردن وأقام نصبا لانتصاره ثم استولى على جنوبى لبنان حيث جاءه حكام جميع هذه المناطق والاخرى المجاورة لها يعلنون ولاءهم ٠٠ ولم يكد يرجع الى مصر ـ طيبة ـ حتى بدأ حملة جديدة أدب فيها بدو الغرب الذين كانوا قد استولوا على بعض مدن غرب الدلتا ، ثم عاد من جديد الى آسيا لمواجهة جيوش الحيثيين فاستولى على مدينة قادش وتوقفت الحرب بينهما بابرام معاهدة ودية (هدنة) ٠٠ كما أعاد الهدوء الى حدود البلاد الجنوبية ٠

٠٠ وفى ميدان **الأمن الداخلى** نجح فى أن يؤكده فى البلاد كلها وأن يدعم ما بدأه حور محب ورمسيس الاول ، **أما فى ميدان البناء والتشييد** ، فقد بز من سبقه ، باستثناء القليل منهم ، فقد سجل حروبه على جدران الكرنك وأكمل بناء وأصلح سلسلة المعابد التى بدأ بناءها حورمحب ، وبنى معبده فى « القرنة » وأكمل بهو الأعمدة بالكرنك ، كما شيد معبدا جميــلا بالعرابة المدفونة نقش على جدرانه قائمة بأسماء ملوك مصر الأقدمين الذى سبقوه الى حكم البلاد ـ ثبت أبيدوس ـ كما استخرج الذهب من مناجم النوبة ، ويقال كذلك أنه حفر قنا توصل بين البحرين الأحمر والأبيض كما وجدت بعض آثاره فى النوبة وشمالى السودان ، كل ذلك فى فترة حكم لم تزد على ١٢ سنة !!

وبعد أن مات أكبر أبنائه فى حياته ، آلت ولاية عهده الى ولده الثانى « **رمسيس : أو سرماعت رع** » الذى أصبح بعد وفاة والده مليكا للبلاد ، وأى ملك ،بل انه ـ والحق يقال ـ رأس هذه السلســلة الملكية المصرية الذهبية ، وربما كان أكثر ملوك التاريخ شهرة ٠٠ وحيث حكم البلاد فترة طويلة كانت من أزهى عصور التاريخ المصرى ، حربا وتعميــرا وأمنــا ورفاهية ٠٠ ففى البدء أمر بانهاء جميع العمائر والمعابد والقلاع التى كان أبوه قد بدأ تشييدها ، كما واصل استغلال مناجم البلاد ، الشرقية والجنوبية، وبعد أن اطمئن الى ذلك ، وفى السنة الرابعة لحكمه ، بدأ يرنو الى دعم حدود البلاد ، فقام برحلة « تفقدية » الى آسيا ، حيث اكتشف أن ملوك

« خيتا » يحرضون البدو على العصيان ، فأدرك أن ذلك يعنى خرق المعاهدة التى وقعوها مع والده ، ومن ثم عاد الى مصر ، حيث أعلن تعبئة جيوشه ، ونقل عاصمة البلاد لتكون بالدلتا . بالقرب من ميادين الحرب ، كل ذلك بينما « موتلى » ملك خيتا ، يجمع الجيوش من أماكن عديدة من بلاد الفرات وآسيا الصغرى وجزر بحر ايجه ، وبدو الصحراء المرتزقة ثم يتحصن فى « قادش » ٠٠ بينما سار رمسيس الثانى اليه متبعا الطريق القديم فى أربعة جيوش . وكان على رأس جيش آمون ، حيث قام بتضليله جاسوسان من بدو الشاسو « فلسطين » فتفرقت عنه جيوشه ، حيث فاجأها الأعداء بهجوم قوى أثار الذعر والاضطراب بين صفوف جيش رع بل وجيشه هو نفسه - آمون - وتخلى عنه أكثر رجاله ، لكنه صمد بشجاعة منقطعة النظير - كما تقول النقوش - حتى تشجع الجيش وعاد الى الالتحام بالعدو ، ثم جاءت النجدة ممثلة فى بعض كتائب شباب فلسطين (*) الذين يخدمون بالجيش المصرى ، تحت امرة الضباط المصريين مما سبب تغييرا حاسما فى سير المعركة ٠٠ وفى اليوم التالى اشتركت الجيوش المصرية كلها فى القتال وحققوا انتصارا كبيرا فطلب العدو العفو وقبل رسله الأرض بين قدمى رمسيس ، ورجاه ملك خيتا العفو والصفح وأبرمت معاهدة جديدة اتفق فيها الطرفان على احترام الحدود بينهما (هكذا تقول المصادر المصرية ٠٠ بينما تقول المصادر الخيتية أن النصر كان لملك خيتا) ٠٠ ويبدو أن الانتصار المصرى لم يكن كاملا عليهم ، ولم يتمكن رمسيس من كسر شوكتهم تماما فى هذه المعركةبالذات،بدليل المعاهدة المكتوبة ، وأن رمسيس لم يستول على قادش ، كما أن فلسطين نفسها ثارت عليه بعد ذلك ، بينما جاءه - رمسيس - عددا من الملوك يعلنون ولاءهم دون قتال ، الى جانب بعض المبالغة فى تصوير انتصاره فى قادش ٠٠٠ وهو مالا تؤيده نتائج المعركة ٠

٠٠ بعدها عاد رمسيس مرة أخرى الى الحرب ، وأخمـــد ثورة فى فلسطين ، وهزم الحيثيين فى حملة « العام الثامن » بعد أن حدث نزاع بين ملكهم ، فأعطاهم درسا قاسيا ، انتهى مرة أخرى بتوقيع معاهدة صلح ، ثم

(*) الى جانب السيوش المصرية الاربعة التى قادها رمسيس الثانى ، كانت هناك بعض الوحدات التى تكونت من بعض الاسرى ومن الاموريين الذين تم تجنيدهم فى فلسـطين ٠

برغبة من الحيثيين فى أن يتفرغوا لمقاومة قوافل الغزاة على حـدودهم - آشـور - ومن ثم فى تقوية صلاتهم بمصر حيث جاء « خاتوسـيلى » الى مصر ومعه ابنته التى زوجها لرمسيس ، واقيمت الاحتفالات الكبيرة بهذه المناسبة وكل ذلك مدون على جدران **الكرنك والرمسيوم** ٠٠ **وابى سنبل** لكن المتاعب حلت على دولة خيتا من كل جانب ، النزاع العائلى المتجدد. والهجرات الهندو أوربية القادمة من الشرق ، والتى جعلت هذه المملكة فى خبر كان بل وراحت تهدد مصر نفسها مما استدعى أن يقوم رمسيس بتجهيز عدد من الحصون القوية على حدود البلاد ٠ ٠كل ذلك وعمره يزيد على الثمانين عاما ، وله من الاولاد ٣٢ ولدا - برستيد - من زوجاته الثلاث « **نفرتارى** » و « **ايريس نفر** » **ثم الاخيرة الحيثية** » ٠٠ الى ان توفاه الله وقـد تجاوز التسعين عاما حكم البلاد فيها سبعا وستين سنة ٠٠ وحقق فيها ما لم يحققه غيره من الملوك شهرة ٠٠ (نشر أخيرا أن الابحاث الجارية أثبتت أنه مات وعمره ٥٥ عاما فقط مما يغير كثيرا من المفاهيم) ٠

وقد خلفه على حكم البلاد ابنـه « **منفتاح** ، **أو مرنبتاح : با ان رع** » والذى قام بعدة حملات عسكرية ، حيث أخمد ثورة سوريا وفلسطين وهزم القبائل الليبية المتحالفة مع بعض الهجرات الشمالية ، ويقال أنه فرعون موسى أو فرعون « الخروج » - فقد وردت فى آثاره - وهى كثيرة - أول اشارة الى بنى اسرائيل وآخرها أيضا ٠ حيث كتب على حجـر جرانيتى : « **لقد أبيدت اسرائيل واستؤصلت وأصبحت فلسطين أرملة ضعيفة لمصر** (*)

(*) ربما تكون هذه واحدة من أبرز موضوعات الخلاف المحتدم بين المؤرخين ، فالبعض يستند الى هذا القول ، والى بعض حساباتهم التاريخية الخاصة التى يخلص منها الى أن « مرنبتاح » هو فرعون موسى المذكور فى القرآن الكريم ، والبعض الاخر ينفى ذلك ويقول أن الخروج تم قبل عهده بوقت طويل فى أيام الهكسوس ، أو زمن أحمس فى أيام الاسرة ١٨ ، بل ان عددا اخر يرى أن فرعون الخروج هو تحتمس الثالث ، والبعض الرابع يرى أنه ابنه امنحوتب الثانى والبعض الخامس يرى أنه امنحوتب الثالث ٠ والبعض السادس يرى أنه كان على اثر ثورة اخناتون الدينية ، والبعض السابع يرى أنه كان على عهد رمسيس الثانى ، اذ ليس من المعقول أن يصل موسى الى قصر مرنبتاح طفلا ثم يعود الى مصر نبيا فى زمنه أيضا ، وكل الفترة التى قضاها مرنبتاح فى الحكم ١٠ سنوات ، كما أنه مات ودفن بقبره فى طيبة ولم يبق فى قاع البحر الاحمر ، وهناك رأى جديد يقول باننا لا نعرف كيف مات ومن ثم فلابد =

وهو معروف بولعه بالبناء ، والسطو على آثار غيره ، حتى هذا الحجر الجرانيتى الذى وجدت عليه الاشارة الى بنى اسرائيل ، كان أحد الشواهد الموجودة فى معبد لامنحتب الثالث ، أمر بهدمه واستخدام أحجاره وتماثيله فى بناء معبد جديد له ، حيث كتب على واجهته الأخرى نشيد انتصاره على الليبين الذى وردت به الاشارة !

وقد بدأت به حالة البلاد فى التدهور ، وحكم بعده « **أمون مس : أمون موسى ، من مى رع** » الذى يبدو انه كان مغتصبا للملك على حساب بعض مستحقيه ٠٠حيث لا تشير أغلب المصادر الى طريقة وصوله الى الحكم . لكن يبدو أن ذلك قد ألب عليه أحد القادة من ذوى التاريخ المعروف بحملاته الجنوبية ، حيث انتزع منه الحكم ، ليستمر فيه هو الآخر مدة ستة أعوام . خلعه بعدها عن العرش الملك الشرعى ، سليل الفراعنة « **سيتى الثانى** » الذى حافظ على نفوذ مصر فى الشمال والجنوب ، وتمكن من تشييد بعض الآثار فى مختلف الأماكن ، وقبر له فى طيبة ، وقد توفى على أثر حكم قصير دام ستة أعوام فقط وقد تولى بعده ابنه الطفل « **رمسيس سى بتاح** » فى فترة صعبة للغاية ، مما أعطى الفرصة لظهور نفوذ لاثنين . أولهما السورى الذى استوطن مصر حتى صار « الخازن الاكبر » للدولة واسمه « **باى** » ٠٠ الذى تمكن من فرض وصايته على الملك الصغير ٠٠ حتى أنه لقب بـ « **ارسو** » أى معلمه أو الذى رباه ٠٠ حتى يقال أنه كان الحاكم فعلا ، بل وذكرت بعض المراجع أن « **ارسو** » كان هو الجالس على عرش مصر ، وأنه حكم البلاد بقسوة ، وأعملت قبيلته ـ السورية ـ السلب والنهب ، كل ذلك تحت سمع وبصر زوجة سيتى « **تاوسرت** » التى يبدو أنها لم تكن أما لسى بتاح ، بل كان

من تصديق القصص الدينية التى تقول بأنه ـ مرنبتاح ـ مات غريقا أى مات جسده ثم أخرجوه من قاع البحر مصداقا لقوله تعالى : « فاليوم ننجيك ببدنك » ٠٠ كما أن هناك دليل آخر يقوى من حجة أصحاب هذا الرأى ٠٠ ذلك هو أن الابحاث الجديدة التى أجريت على مومياء مرنبتاح قد أظهرت اختلافا بينها وبين مومياوات الملوك الآخرين المحفوظة بالمتحف المصرى ، حيث بدا نسيجها اكثر تحللا ، وأنه به آثار « تكلس » علل بتراكم الاملاح على جسده ، فهل كان ذلك بفعل غرقه وبقائه فترة ما فى الماء المالح ؟ قبل انتشاله ودفنه فى مقبرته ؟ ٠٠ الواقع أن الاراء تظهر من آن لآخر ويبدو أن هذا الموضوع فى طريقه الى الحسم ، لكنه لم يحسم بعد بنسبة ١٠٠٪ ٠٠ والله أعـــلم ٠

من زوجة أخرى ، حتى اذا مات هذا الحاكم الصغير ، وجدتها « **تاوسرت** » فرصة لها ، وطمحت فى حكم البلاد ، ووسط الفوضى الضاربة بين الأمراء المتنازعين ، يبدو أنها تمكنت فعلا من ذلك ، بينما اشتد الصراع الدموى على الحكم ، الذى تمكن من الوصول اليـه احـــد حكام الأقاليم ويدعى « **ست نخت** » ٠٠ ترى هل يفلح فى انقاذ البلاد من الفوضى ، والفساد ؟

٢٠ ـ الأسرة العشـــرون

٠٠ لم يعمر « **ستنخت** » فى الحكم أكثر من ثلاثة أعوام ٠٠ وحتى هذه أيضا فقد كان يشرك معه ـ وهو الرجل المسن ـ ويترك الأمور لتنفيذ ابنه « **رمسيس** » الذى يقال أنه كان المدير الحقيقى لأمر البلاد ٠٠ ومن ثم فان كثرة من المؤرخين تعتبره المؤسس الحقيقى لهذه الأسرة ٠٠ انه « **رمسيس الثالث** » آخر هذه السلسلة من ملوك الدولة الحديثة ، والذى حكم البـــلاد اثنين وثلاثين عاما ٠ بدأها بالمزيد من تأمين الجبهة الداخلية ، وبناء عدد من المعابد ، حتى اذا انتهى من ذلك ، بدأت حروبه الخارجية التى كان من أهمها حرب العام الخامس فى مواجهة الليبيين ومساعديهم من شعوب البحر، هؤلاء الذين هاجموا حدود البلاد وواصلوا زحفهم نحو الدلتا ، حيث قابلهم بالقرب من وادى النطرون فهزمهم شر هزيمة ، وفى العام الثامن من حكمه وقعت أكبر معاركه ، والتى أثبت فيها أنه قائد عسكرى ماهر ، وكان ذلك عندما عاودت الشعوب الهندو ـ أوربية زحفها على منطقة الشرق الأدنى ، فاجتاحوا ممالك كثيرةو قضوا على مدن بأكملها منها بلاد خيتا وقدى وقبرص وقرقميش ٠٠ كما اندفعوا نحو غزو سوريا وفلســــطين وكان الدور على مصر ، حيث أعد لهم الملك حملة برية وبحرية كبيرة هزمتهم شر هزيمة ، وانقذت البلاد منهم ومن خطرهم الذى لا يقل عن خطر الهكسوس ، حيث كانوا يمثلون عدة شعوب يهجمون كالجراد ، بكل قضهم وقضيضهم ، وبكل ما يملكونه ومعهم النساء والأطفال ، يكتسحون أمامهم الأخضر واليابس ٠٠

لكن أحد فروع هؤلاء ـ **الماشوش** ـ وبالتحالف مع ليبيا وقيـــادة ابن زعيمها ـ **مششر** ـ عادوا مرة أخرى من الغرب ، فتصــــدت لهم الجيوش المصرية ، وهزمتهم شر هزيمة وتبعتهم حتى قضت عليهم تماما ، بينما وقع ابن الزعيم الليبى فى الأسر ٠٠ وبذلك كسرت شوكتهم تماما ٠

اطمئن رمسيس الثالث الى تأمين حدود مصر الغربية ، وبعـد فترة من

الهدوء والاستعداد - معا - رأى ان يعيد تأمين الحدود الشرقية ، وأن يستعيد فى نفس الوقت ما يمكنه استعادته من أملاك مصر الآسيوية ، حيث نجح فى حصار خمس مدن كبيرة ، حتى أسقطها ، ووصل فى زحفه هذا حتى الفرات (هذا ما تقوله كتاباته التى دونها عن حملاته على جـــدران معبـــده فى مدينة هابو) ..

لكنه فى نهاية حكمه - وبعد أن كبر ســـنه - كان كثير الاســـتعانة بالأجانب ، والجنود والمرتزقة ، ويبدو أن ميزانية البلاد لم تكن قادرة تماما على تحمل أعباء هذه الحروب المتتالية ، مما أثر على اقتصاديات البلاد فى عهده ، وبينما كان الملك ، والعديد من الأمراء والمستشارين الأجانب والكهنة ينعمون بخير البلاد ويعيشون فى عز وأبهة ، كان الشعب يعانى الفقر ، بل وقامت الاضطرابات ومحاولات الانفصال عن الحكم المركـــزى ، بل وبدأت المؤامرات تدبر ضد الملك العجوز شخصيا ، حتى انتهى الأمر الى مقتله ، بمعرفه احدى زوجاته حتى يفسح الطريق لابنها « بنتئور » « أو بنتارع » وذلك بدلا من ابن ضرتها الذى عين وليا للعهد (*) . وقد اكتشفت المؤامرة ، وقدم هذا وأمه (تتى) الى المحكمـــة ، ومعهما بعض الموظفين الأجانب الضالعين فى المؤامرة ، وبعض القضاة ورجال الشرطة الذين أنحازوا الى المتآمرين ، وقد حكم على الأمير « بنتئور » وثلاثة من المتآمرين بالاعدام . وعموما فيحمد لرمسيس الثالث ، أنه قبل سنوات ضعفه لم يفرط فى شـــبر من أرض مصر ، كما خاض أول معركة بحرية كبيرة مسجلة فى تاريخ العالم ، وأوقف خطر الزحف الهندوأوربى على بلاد الشرق القديم عامة ومصر خاصة ، بعد أن قضى على ممالك كثيرة فى وقت قصير ، كما أرسل البعوث التجارية الى بلاد الساحل الصومالى التى جاء حكامها يقدمون الولاء له كما اقام معبدا صغيرا للمعبود آمون داخل الكرنك .

(*) بعض المراجع يذكر أصحابها أن رمسيس ٣ قتل فى هذه المؤامرة ، والبعض الثانى يذكر أنه جرح فقط ، وأنه هو الذى أشرف على محاكمة المتآمرين وأرسل خطابا الى قضاتهم يطالبهم بتطبيق العدل ، والبعض الثالث يقول أنه مات بعد ارسال هذا الخطاب وفى أثناء المحاكمة ، متأثرا بجراحه ، وأن الذى أشرف على إستكمالها هو رمسيس الرابع . وعموما فقد كانت هذه بداية النهاية بالنسبة له ، ولهذه الاسرة ، وللدولة الحديثة كلها .

وعموما فقد سارت أحوال البلاد من بعده من سيىء الى أسوأ ، حيث حكم بعده بعض الملوك الذين تسموا باسمه من رمسيس الرابع حتى الحادى عشر ٠٠ فالفساد تزداد صـــورته . والأجانب والجنـــود المرتزقة فظائعهم مستمرة ، والشعب قلق . مضطرب ، جائع ، والامراء ضالعون فى الفساد. وكهنة آمون يلعبون بهؤلاء الملوك . ويسيرونهم وفق هواهم . بينما يزداد ثراؤهم لازدياد ريع الأوقاف المخصصـــــة لهم ولمعابدهم ٠٠ ولأن مناجم الذهب تتبع معابد آمون ٠٠ بينما بدا نفوذ مصر الخارجى فى التضعضع ، ولم يعد يتبعها غير فلسطين والنوبة ثم الأخيرة فقط ٠٠ ثم وبعد أن خطط كهنة آمون لذلك ، أصبح هؤلاء هم أصحاب الحل والربط ٠٠ مما مهد الطريق لكبيرهم « حريحور » ٠٠ لكى يصبح ملكا على مصر ، بعد أن جمع كـــل السلطات المهمة فى يده ، خاصة منصب مدير الخزانة وقائد الجيش « ٠٠ نراه فى مبدأ الأمر يذكر اسم الملك باحترام على النقوش ثم نراه يضع اسمه الى جانب اسم مولاه وبعد ذلك نراه يقدم اسمه على اسم الملك نفسه وينتهى الأمر بأن نراه وحده يحمل تاج الوجهين القبلى والبحرى فوق جبينه ويتسمى بألقاب الفراعنة » (١٦) ٠٠ كان ذلك يعنى ليس مغيب أسرة فقط ، وانما مغيب عصر دولة بأكملها ، هو عصر الدولة الحديثة ٠

(ز) العصـــر المتـــأخر

عصر الانتقال الثالث وأيام الاضمحلال

٢١ ـ الأسرة الحادية والعشرون

أسفرت الأحداث السابقة فى مجموعها عن نهاية الأسرة العشرين ، وبعدها وجد وضع جديد لم تعهده مصر منذ فترة طويلة ٠٠ فقد انقسمت البلاد الى الجزء الشمالى ـ الدلتا ـ وعاصمته « بر رعمسيس » أو « تانيس » فى شرقه ، ويحكمه أحد الأمراء واسمه « نس بانب جدة » ٠٠ أو « سمندس » كما ذكرته المصادر القديمة ٠٠ والذى تزوج من الاميرة الملكية « تانت آمون » ومن ثم أصبح ملكا شرعيا ٠٠كل ذلك بينما هناك القسم الجنوبى ـ الصعيد ـ وعاصمته طيبة ، ويحكمه « حريحور » ٠٠ ويقـــال أنهما لم يشـــتبكا مع بعضهما وآثرا السلامة ، على أن يتمتع كل منهما بامتيازاته الخاصـــة : الشمالى بالاشراف على تجارة مصر الخارجية مع شعوب الشرق والشمال والغرب ، والجنوبى بما يرد الى معابد آمون من الأرض الزراعية الموقوفة

عليها ، وذهب النوبة ، ومعادن المناجم الجنوبية الأخرى ، ومخصصات الكهنـــة ٠٠

ثم مات « حريحور » العجوز ، وخلفه ابنه « **بعنخى** » الذى لم يكن ميالا الى الملك كأبيه ، ومن ثم آثر أن يحتفظ لنفسه باللقب الدينى المرموق : « كبير كهنة أمون » ٠٠ بل واعترف بأحقية البيت الشمالى المالك ، فى حكم البلاد والجلوس على العرش ٠٠ ومن ثم مضت سياسة المسالمة الى طريقها المعهود ، بل زاوجا بينهما فى عهد خليفته سمندس « **بسو سينيس الأول** » ٠٠ فتزوج بينزم أكبر أبناء بعنخى الجنوبى من ابنة هذا الاخير الشمالى بل وأستمرت هذه الزيجات وقتا ، من أجل « تحقيق الوفاق مع سلطات طيبة الدينية ، ومن أجل تزكية امتداد نفوذهم فيها » (١٧) ٠٠ وقد تتابع على حكم الشمال ورئاسة الكهنة فى الجنوب عديدون ٠٠ ففى الشمال **امناوبت** وسى أمون **وبسو سينيس الثانى، وفى الجنوب بينزم ، وماساهرتا ومنخبررع،** والاخير أعلن نفسه ملكا كما فعل أبوه وجده الاكبر « **بينزم وحريحور** » (*)٠

وبذلك انتهى هذا العهد المضطرب الذى تدهورت فيه أحـوال مصر ، بسبب هذا التقسيم بين السلطتين الزمنية السياسية والكهنوتية الدينيـــة ، وعمل كل على تفضيل أتباعه ، فتدهورت أحوال البلاد لا سيما السياسية والاقتصادية ، ولا يحمد لهؤلاء الا ترميم بعض المعابد القديمة ، ونقل أماكن وجود مومياوات الملوك والملكات السابقين والسابقات ، ودفنها فى مواقع جديدة سرية ، بعيدة عن الأيدى والسلب والنهب ، حتى بدأ اكتشاف هذه المواقع الجديدة ، فى نهاية القرن التاسع عشر ، بعد أن عرف مكانها بواسطة أهالى القرنة خاصة عائلة « عبد الرسول » الذين كانوا قد سبقوا اليها وبدأ تسريبهم لآثارها وهى الآثار التى عرفت باسم « **خبيئة الدير البحـــرى** » ٠٠ والتى وجد بها معظم المومياوات الموجودة الآن فى المتحف المصرى !!

٢٢ ـ الأسرة الثانية والعشرون

٠٠ واذا كانت عهود مصر كلها ـ لا سيما عهد الرعامسة ـ قد عرفت الكثير من هجرات الشعوب اليها ، على نحو ما عرفته الشعوب الأخرى ،

(*) يرى بعض المؤرخين أن « بسوسينيس الثانى » هو نفسه الكاهن الاكبر « منخبررع » بعد أن أعلن نفسه ملكا واتخذ له هذا الاسم ٠

فان احدى الهجرات الهندواوربية التى سبقت الاشارة اليها كانت قد استقرت فى عدد من بلاد البحر الأبيض ، ومنها ليبيا ، ومن هذه الاخيرة تسلل هؤلاء الى مصر وتكاثرت اعدادهم وحاولوا الاستقرار فى الدلتا ، حيث وقع على حكام مصر عبء صد غزواتهم ٠ لكن عددا من هؤلاء خاصة « الماشوش » جاءوا الى مصر مرة أخرى ، بعضهم عن طريق التسلل اليها ، وبعضهم للعمل فى البلاط الملكى وبلاط بعض الحكام وكجند مرتزقة ، بل واتخذ بعض الملوك منهم حرسه الخاص ، حيث سهل هؤلاء لأهلهم الحضور الى مصر ، وبمرور الوقت ازدادت أعدادهم ، واصبحوا يمثلون قوة اجنبية فى المجتمع المصرى ، وزاد من ذلك هذه المراكز الحساسة التى تبوأها بعضهم ، واتجاههم - ككل أقلية أخرى وكعادتهم فى بلادهم - الى العيش فى شبه « محميات » عسكرية أو « قرى » أو « أحياء » خاصة بهم ، جعلوا على راسها من ينظم أمورهم ٠٠ مثل « شيشنق » أحد هؤلاء الليبيين الذين حضر أجدادهم الى مصر واستوطنوا الواحات البحرية أو وادى النطرون ، ومع طول الاقامة اكتسبوا العادات المصرية ، وتمصر أحد أفرادها واصبح أحد كهنة معبود اهناسيا ، وبقى المنصب عائليا ، حتى تولاه شيشنق ، كما أصبح رئيسا للحامية الليبية فى المنطقة ، وبينما مات ابنه « نمرود » ودفنه فى أبيدوس ، نجد أن حفيده - واسمه شيشنق أيضا - كان طموحا ، فمد سلطانه حتى أصبحت « تل بسطة » مركزا له ، حتى اذا توفى الملك « بسوسينيس الثانى » استولى هو على العرش فى تانيس لكنه لم يقف موقف العداء من عائلته ، بل تقرب اليها، وأكرم ذكراه ، وزوج ولى عهده « أوسركون » من ابنة هذا الملك « ماعت - كا - رع » ٠٠

وبذلك اصبح « شيشنق الأول » ملكا على الشمال ، فماذا عن جنوب الوادى ؟ وما موقف كهنة آمون اصحاب الحل والربط هناك ؟ ٠ ٠ان هؤلاء - خوفا على نفوذهم وذهبهم ومخصصاتهم - لم يرحبوا به ، بل سرعان ما حدث الصدام بينهم ، فقبض على من طالته يده منهم ونفاهم الى الواحات الخارجة ، وأما من لم تطله يده فقد فر الى السودان واستقر فى مدينة «نبتا» حيث اسسوا هناك أسرة ملكية ، أما هو فقد عين ابنه « اوبوت » رئيسا لكهنة آمون ، حتى يكون هذا المنصب الدينى « فى عباءته » ايضا ٠٠ ومن ثم أستقر الحكم شمالا وجنوبا ، فرنا ببصره الى الخارج ، حيث أخضع فلسطين واستولى على كنوز داود وسليمان ، وخطب حكام فينيقيا - لبنان - وده ، ومن الثروة التى استولى عليها ، اقام بعض العمائر الكبيرة ، من اهمها قاعته

فى الكرنك ، كما أعاد تخطيط مقره « تل بسطة » كما أهتم بتحسين الواحات اهتماما بالغـا .

وعندما مات بعد حكم دام ٢٢ سنة ، خلفه على عرش البـــلاد ابنه « **أسركون الأول** » الذى مر ذكره . وقد حظى بعيش ناعم ، وثراء كبير نتيجة جهود والده ، انعكس على البلاد كلها ، الا أنه كان يخاف الخلافات العائلية، ومن فقد أسرع فجعل من ابنه ـ شيشنق أيضا ـ على عرش كهنة طيبة ، الذى مهد لتعيين ابنه « حور ـ سا ـ ايسى » فى مكانه بعد وفاته ، كمـــا وضعا اسميهما فى خانات ملكية ، كل ذلك بينما جدهما « أسركون الأول » يحكم البلاد حتى اذا توفى هذا الأخير احتفظ « حورسا ايسى » بمنصبه الملكى فى عهد «**تاكلوت الأول**» لكن الأمر لم يخل من نزاع بينهما « الحاكم الشمالى السياسى التنفيذى والحاكم الجنوبى الدينى أو كبير الكهنة» .وقد تصاعدت حدة هذا الخلاف فى سنوات حكم تاكلوت الأخيرة مما أدى الى انتشار الفوضى فى البلاد .. حتى اذا توفى هذا الاخير وخلفه «**اسركون الثانى**» لمدة ١٥ سنة، اعترف لكبير الكهنة فى طيبة بحقه فى حمل لقب فرعون بالاشتراك معه .. وقـــد أشرك معه ابنه **شيشنق الثانى** فى الحكم ، لكنه مات فى حياة أبيه ، فأشرك معه بعده ابنه **تاكلوت الثانى** الذى أسرع بتعيين ابنه « **اسركون** » كاهنا فى طيبة ، مما سبب اعتراض الكثير من الكهنة ، فقامت خصومات عديدة ، تطورت الى نزاع بين الكهنة ، مما نتج عنه ذلك الارتفاع فى حدة الفوضى والذى استمر حتى أمام « **شيشنق الثالث** » ، ومن بعده « **شيشنق الرابع** » .. حيث لا توجد أحداث كبيرة تذكر بحكمها ، غير هذه « الفوضى الليبية » .. وعدة علاقات باهتة مع عدد من بلاد الشرق والغرب ، وبعض النقوش الجميلة فى مقابر هؤلاء ، من ملوك وكهنة معا ، لكن يبـــدو أنه كان لابد من أسرة جديدة ، تنبع من وسط هذه الفوضى ، خاصة بعد انقسام البلاد التام ، الى شمالى وجنوبى ، وقوة نفوذ حكام الأقاليم ، وديكتاتورية الكهنة ـ اذا صح التعبير ـ والركود الاقتصادى والفوضى الضاربة فى كل مكان ..

٢٣ ـ الأسرة الثالثة والعشرون (*)

وهى من الأسرات الليبية أيضا ، تلك التى حكمت معظم فتراتها فى

(*) هناك تداخل كبير فى اسماء ملوكها مع أسماء ملوك الاسرة السابقة ، وكهنة طيبة لا سيما وأن بعض هؤلاء ـ الكهنة ـ كتبوا أسماءهم فى خانات ملكية على النحو السابق الذكر .

ظلال الفوضى ، والصراع بين السلطة المدنية أو الدنيوية والدينية ، ووسط الفوضى ، خاف حكام الأقاليم على مواقعهم ، فتسابقوا نحو دعم قوتهـم ومراكزهم حتى لا تكون أقاليمهم نهبا للاخرين.وقد رأى أحدهم « **بدبست أو با** ــ دى ــ **بست** » أن يستمر فى تقوية نفسه ·· ثم كانت خطوته التالية هى تكوين عائلة مالكة جديدة ·· ولماذا لا ؟ ·· وهكذا تكونت هذه الأسرة فى « بوبسطه » أو « تل بسطه » ·· كل ذلك بينما هنا ملك آخر فى « صا الحجر » ·· مما آثار النزاع بينهما ، لا سيما عندما مد « بدبست » نفوذه حتى كهنة طيبة ، بينما بقى كهنة منف على ولائهم للاسرة المالكة القديمة ــ شيشنق الثالث والرابع ــ ·· ويقولون أن النزاع تطور الى حرب بينهما ، لكنها لم تكن مؤثرة ولم تستمر طويلا ، بل حل مكانها « التعايش » ·· كل ذلك بينما هناك الأمراء الأقوياء فى الأقاليم والذين لم تمتد اليهم ايدى هذا الملك أو ذلك (٣ أنظمة حكم معا : بدبست وشيشنق وحكام الاقاليم الأقوياء) ·· وقد تتابعت من جراء ذلك أسماء عديدة لبعض الملوك والكهنة معا من أبرزهم « أوبوت » و « شيشنق الخامس » و « أوسركون الثالث » و « تكلوت الثالث » و « أمون رود » و « أسركون الرابع وقد تكون هناك أسماء أخرى ، لكنها بصفة عامة ، فترة مضطربة ، قلقة ، وغامضة ، والمصادر القائمة حتى الآن، لا تقدم المعلومات الكافية عن هؤلاء ، ولا ترتيبهم الصحيح، ولا ابرز اعمالهم، أن كان هناك مثلها ·· ولعل أبرز ما حدث هو ترميم بعضهم للمعابد ، خاصة أسركون الثالث على أثر الفيضان العظيم الذى هددها كما أن هذا الاخير قام بانقلاب خطير عندما عين ابنته « **شب ان أوبت** » لتكون كاهنة كبرى ، أو « زوجة أمون الالهية » ·· حيث تبعتها أخـريات ، حتى وجدنا نفوذهن ــ زوجات أمون ــ يغطى كثيرا على نفوذ كبار الكهنة أنفسهم لفترة طويلة من الوقت ·

٢٤ ــ الأسرة الرابعة والعشرون

·· لم يكن حكام الاقاليم ينطلقون فى سعيهم لتقوية انفسهم من فراغ ، وانما طمعا فى ملك مصر ، حتى اذا توفى « شيشنق الخامس » أعلن أكثر من حاكم ــ أمير ــ استقلاله ، وادعى الملك ، لا سيما من الذين كانت لهم صلات نسب بالأسرة المالكة السابقة ، وكان من أبرز هؤلاء بنتف فى **اهناسيا ونمرود فى الأشمونين وتاف ــ نخب** فى صاالحجر ، وكان أقواهم الاخير ، رأس هذه الأسرة الذى أسس بيتا مالكا جديدا ، وكان طمـوحه يذكر بالملوك

السابقين ، مما دفعه الى القيام بمحاولة جادة من جانبه لاعادة وحدة البلاد، فبدأ باخضاع غرب الدلتا ، ثم الدلتا كلها ٠٠ وعند بدأ الاتجاه نحو الجنوب، بدأ الصدام مع جيوش « **نباتا** » بقيادة « **بعنخي** » ٠٠ على النحو الذى سيأتى شرحه ٠٠ وفى هذه الاثناء مات « تافت » ٠٠ وتولى بعده **ابنه** « **بكوريس : او باك ان رنف** » ٠٠ وبعض المؤرخين يقولون أن هذا الأخير هو مؤسس الأسرة ٢٤ وليس ولده _ ٠٠ المهم قضى « **بعنخي** » على آمال الأب والابن معا ليس فى اعادة وحدة البلاد،وانما فى استمرار الحكم فى هذه الأسرة٠٠التىلم تخلف لنا الكثير لنعرفه الا شذرات قليلة ، تقول بأن الاخيـــر كان مشرعا كبيرا ، وأنه قام بتنقيح القانون والسهر على الأمن والحق لكن هناك بعض الأقوال التى لم تتأكد صحتها والتى تقول بأنه على الرغم من ذلك فقد كانت نهايته مؤلمة للغاية عندما قام « شباكا » الذى سيرد ذكره ، باحراقه حيا !!

(ح) العصر المتـأخر « زمنيا »

٢٥ _ الأسرة الخامســة والعشرون (*)

وبداية نقول ، أنه اذا كان بعض العلماء يطلق على هذا العصر تعبيره « العصر المتأخر » ٠٠ فان هذا التعبير الأخير لا يتجه ناحيـــــة التأخـــر الحضارى ، أو السياسى ، وانما الزمنى فقط ، باقترابه من نهـــاية عصر الأسرات فى تاريخ مصر ٠٠ هذه واحدة ٠٠

هذا وبينما غلب على الحقبة الزمنية السابقة _ الأسرات ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ _ طابع الحكم الليبى نجد أن الأمر هنا يختلف ، ولعلنا نعيد التذكير بأن سلطة هؤلاء _ من الليبيين _ كانت كثيرا ما تقصر عن حـكم طيبة ، ومـا بعدها من مناطق جنوبية ، وكان أهم من ذلك الصدام الذى وقع بين كهنة آمون من جانب وبين « شيشنق الأول » من جانب آخر ، مما أدى الى فرار من لم تطله يده منهم الى السودان على النحو السابق الذكر _ الأسرة ٢٢ _ ثم ما تجمع منهم بعد ذلك من الفارين من « تاكلوت ٢ » و « أسركون ٣» ٠٠ تجمع هؤلاء بالاضافة الى عدد آخر كان قد سبقهم الى أقصى جنوب الوادى

(*) يلاحظ التداخل الموجود بين هذه الاسرة والاسرة السابقة وذلك من حيث زمن حكمهما ٠

حيث كانت مناجم الذهب والمعادن الأخرى الموقوفة على معابد آمون ٠٠ فى منطقة يقال لها جبل « برقل »٠ تلك التى تحولت الى مركز لعبادة آمون رع منذ الأسرة ١٨ واعتبرتها نصوص الدولة الحديثة منطقة طاهرة لا سيما فى تلك المدينة « نباتا » التى تقوم عند سفحه . ومن ثم فقد كان لها أهمية دينية كبرى ، وأهمية تجارية أيضا « الذهب - المعادن الأخرى - قوافل وحملات البحث عن المناجم - المحاجر - مركزا لتجارة الجنوب - دخـــل الأعياد الدينية - ما حمله بعض الكهنة معهم من ثروة المعابد الى موقعهم الجديد » ٠٠

٠٠ واذن فقد كانوا أقوياء . وكانوا يتجهون دائما بفكرهم واحلامهم الى الشمال ، ويعتبرون أنهم أصحاب « الحق المقدس » فى حكم طيبة ٠ ذلك الذى لم يتنازلوا عنه - معنويا - فى يوم من الأيام ، بل كانوا يرنون بأبصارهم الى حكم مصر كلها : الشمال والجنوب (**) ٠

٠٠ المهم ، كان أول ملوك هذه الأسرة « ألارا Alara : **حكم حوالى ٨٠٠ ق٠م** » الذى لا نعرف عنه الكثير حتى الآن ، أكثـــر من نشر « الاحساس بالقوة » ٠٠ بين أسرته ، حتى اذا خلفه ابنه « **كاشتا** ، حوالى ٧٨٠ ق٠م » ٠٠ ومع ورود الأنباء بالتفكك المصرى ، والاستمرار فى تعاظم قوتهم ، كان الاتجاه نحو « الأم الشمالية » مصر عامة وطيبة خاصة . قد بلغ مداه ، بل ويقال أنه بدأ فعلا بفرض احدى أميراتهم واسمها «**امينيرديس** »٠٠ لتكون شريكة ووريثة لكاهنة طيبة « **شابينوتب الاولى** » ٠٠ كما اتبع ذلك عدة معاهدات تقضى بمساعدة كهنة طيبة فى مواجهة أواخر الملوك الليبيين٠٠ حتى اذا تولى ولده « **بعنخى** » لم يقنع بذلك ، بل رأى أن يتجاوزه الى الواقع العملى نفسه ٠٠ لكن الفرص كانت تعوزه ، حتى اذا ظهرت أحلام « **تاف - نخت : الأسرة ٢٤** » فى اعادة توحيد البلاد تحت امرته ، واتجاهه نحو غزو الصعيد ، على النحو السابق ذكره ، بل وعمل « تحالف » أو « ائتلاف » مع الحكام الاخرين ، وتهديده لطيبة - حليفة كوش : نباتا - وجد بعنخى

(**) ما ذكرناه هنا عن أصل هذه الاسرة ، هو الذى تقول به أغلب المراجع ، لكن هناك المراجع الاخرى التى تقول بغير ذلك ، وبأن هذه الاسرة ذات أصول نوبية خالصة بدليل الملامح وبعض العادات والتقاليد ، وهى المراجع التالية أهمية وعددا للسابقة . وهناك طائفة ثالثة تقول أنها ذات أصول ليبية ، وهى نظرية ضعيفة ٠

أن الفرصة قد جاءته ـ يقال أن كاهن طيبة الاكبر أرسل يستنجد به ويخيفه من تقدم تافت نخت نحو الصعيد ـ مما جعله يرسل على وجه السرعة جيشا الى مصر ، تمكن من هزيمة جيش الشمال ، كما طارد قوة أخـــرى بحرية شمالية ، وهزمها بالقرب من اهناسيا ، حيث تمكن « نمرود » ملك الأشمونين وحليف « تاف ـ نخت » من الهرب مع بعض رجاله ، ولجأ الى مدينته وقام بتحصينها ، فلم يتمكن جيش الجنوب من دخولها ، وعندما علم « بعنخى » بذلك ، سار اليها بنفسه وشدد الحصار عليها حتى سقطت بعد أن أوشك أهلها على الموت جوعا ‥ ثم واصل زحفه ، فاستسلم له بعض حكام الاقاليم حتى وصل الى منف وحاصرها ، حتى سقطت بعد صمود كبير ، وتوجه هو الى معبد بتاح حيث اعترف به كهنته ملكا ‥ وبعد ذلك دانت له المـــدن المصرية الأخرى وتوافد حكامها عليه يعلنون الولاء ، وهو ما فعله فى النهاية « تاف ـ نخت » نفسه ٠ بعد أن رأى أنه لا فائدة ترجى من استمرار القتال ، بينما تخلى عنه الجميع ، وكان آخر من قدم الولاء حاكم الفيوم ، وحاكم أطفيح ، وبذلك أصبح « **بعنخى** » سيد مصر والسودان ، ‥ وعموما فلابد من الاعتراف بالذكاء الخارق لهذا الرجل ، الى جانب عبقريته العسكرية ، لا سيما فى أمور حصار المدن ، وكل هذا تغلفه غلافة دينية كان لها أثرها المعنوى الكبير فى كسب معاركه ٠

أنهى بعنخى دوره ، وترك الأمراء يحكمون اماراتهم باسمه ، بما فيهم « تاف ـ نخت ـ » نفسه ، الذى أعاده توطيد سلطانه وحاول ومن بعده ابنه « بكوريس : باك ان رنف » مساعدة أهالى سورية وفلسطين فى مواجهة قوة آشور ‥ فتحالف الأول مع « هوشع » ملك اسرائيل ، وأمده الثانى بجيش غير أن الآشوريين هزموا الجيشين معا ، كما هزموا الجيش الثانى الذى أرسله بكوريس مرة أخرى عند رفح ، مما جعله ينغلق على نفسه فى مصر ويتفرغ للجلوس للقضاء بين الناس ، حتى عاد « **شابا كا** » أو « **شاباكو** » ابن بعنخى لاستعادة مصر ، حيث يقال أنه أسره وأمر باحراقه ـ حوالى ٧١٤ ق٠م ـ على النحو الذى سبق ذكره حسب رواية « مانيتون » ‥

ولا يهمنا كثيرا ذلك الاختلاف بين المؤرخين على مؤسس هذه الاسرة وهل هو « بعنخى » أو ابنه « **شاباكا** » ‥ فالأهم من ذلك عودة الاخير الى اعادة مصر الى دائرة « كوش » ، وبداية سياسة المودة مع الآشوريين والتى قابلها « **سرجون الثانى** » بمثلها وقيامه بعمل بعض المعابد للمعبود « آمون » ،

وترميم معبد بتاح بمنف وعندما توفى بعد حكم دام ١٦ سنة . خلفه على عرش « نبتا - كوش »٠٠ أخوه « شاباتاكا » (*) ٠٠ فكان عهده عهد هــــدوء وسكينة ، ٠٠فأطلت فتن أمراء الدلتا برأسها مرة أخرى . فى وقت غير مناسب حيث كان الآشوريون يقومون بنشاطهم ، وحيث وصلت جيوشهم الى الحدود المصرية أكثر من مرة ٠٠ وعموما . فقد كان يصـاحب هذا الملك الاخير أخ شاب ، له ولع بالحرب والحياة العســـكرية ٠٠ حتى اذا توفى شاباتاكا بعد اثنتى عشرة سنة من الحكم خلفه هذا « المحارب » واســـمه « طهرقا » أو « طهارقة » والذى كان عليه أن يواجه الزحف الآشورى٠٠ومن ثم وعلى أثر الانتهاء من بعض العمائر الداخلية ، ترك طيبة . وانتقل للاقامة فى صان الحجر ليكون على مقربة من الحدود الشرقية ، حيث النشــــاط الآشورى ، كل ذلك بينما كان يواصل دعم الثورة فى فلسطين وصور ضد هؤلاء . حتى يستنزف قوتهم ٠٠ مما حدا بملكهم « أسرحدون » الذى خلف « سنحريب » (*) على عرش نينوى بعد وفاة الاخير مقتولا بيد أبنائه عام ٦٨١ ق٠م ، حدا به الى أن يتحول الى مصر ليقطع دابر مساعدتها للثائرين فى فلسطين ، وينتقم لهزيمة والده ، ويكسر شوكة مصر المتحدية لآشــور ، وينعم بذهبها وخيراتها ٠٠ حيث تمكن الملك الآشورى فعلا من الزحف الى مصر وحصار منف والاستيلاء عليها وعلى معابدها الهائلة ، بل ووقعت فى يده أسرة طهارقة نفسها ٠٠

لكن على الرغم من اعتراف معظم الامراء بسيادة أسرحدون ، الا أن طهارقة كان يواصل الاستعداد فى جنوب مصر ، حتى اذا تم له ما أراد ، زحف على « منف » وهزم الحامية الآشورية ، وأسرع « أسرحدون » عائدا الى مصر مع جيش كبير لكنه مات فى الطريق ، فعاد جيشه من حيث أتى ،

(*) بعض المصادر تقول أنه كان ابنا لشباتاكا ، والبعض الاخر تقول أنه وخليفته « طهارقا » من أبناء اخوته ٠

(*) سبق أن قرر سنجريب غزو فلسطين فأرسل شاباتا جيشا بقيادة طهارقة لمساعدتهم ، لكن أورشليم لم تستسلم فحول سنجريب جيشه لمهاجمة مصر ، حيث وقعت معجزة تفشى الطاعون فى جنوده مما جعله يفر مع فلول جيشه عائدا الى بلاده، على النحو الذى تصوره التوراة دينيا ، وحكاه هيردوت دراميا (الجرذان التى أكلت آلات الحرب الاشورية) ٠

ليعود « **أشوربانيبال** » أحد أبطال الحرب المعدودين فى التاريخ ، على رأس جيش كبير ، ليستولى على منف ، ويفر طهارقة الى طيبة مرة أخرى ·· ويتبعه الآشوريون ، حيث وقعت طيبة فى قبضته بعد دفاع من « **منتوحات** » أميرها ·· وأما أمراء الدلتا الذين ثاروا على المهاجمين وعلى رأسهم « **نكاو ـ نيخاو** » ·· فانهم أرسلوهم الى نينوى العاصمة الآشورية ·· على النحو الذى سيأتى ذكره فى سطور قادمة باذن الله ·

وخلف « طهارقة » على حكم « نبتا ـ كوش » وعلى صعيد مصر أيضا ابن أخيه « **تانوت ـ أمانى** » الذى زحف من الجنوب فى اتجاه طيبة ، فاستقبل استقبالا رائعا ، ثم واصل المسير،وهزم أمراء الدلتا الموالين للاشوريين،وفتح منف ثم جاءت الأنباء بوصول جيش آشورى ، فهرب عائدا الى طيبة ، فاتبعه الآشوريون ، حيث ذاقت العاصمة الجنوبية وأهلها الدمار والهلاك ·· فقام أميرها « **منتوحات** » بجهد كبير لاصلاح ما تهدم ، وقنع ملوك كوش ببقائهم فى « نباتا » عاصمتهم ، تاركين أمر بقية البلاد ، للاقدار نفسها ·

٢٦ ـ الأسرة السادسة والعشرون

« اذا كانت كثرة من المؤرخين تعتبر أن الأسرة السابقة ـ ٢٥ ـ هى هى بداية عصر « اليقظة » أو « النهضة » ·· فان عددا اخر من هؤلاء يعتبر أن البداية الحقيقية تتمثل فى الأسرة الحالية ـ ٢٦ ـ وليست السابقة ، اذ لم يكن من المقبول أن يستمر « الظلام الاشورى » حتى وان كان ملوك نبتا كوش من النوبيين ·· قد عادوا ادراجهم وتركوا أمر مصر ، الى جانب ما حل بطيبة من دمار واضمحلال ·· ، كل ذلك بينما العالم كله يغلى ، خلال هذه الفترة من تاريخ البشرية ، يغلى بالحروب بين بابل وآشور ، وبالدور الهندى المتأثر بحضارة بلاد الرافدين ، وبمولد الحضارة « الجينية » وما استتبعها من ظهور « بوذا » وبالحضارة الاغريقية التى شبت عن الطوق وبدت وهى تريد أن تلعب دورا وياله من دور ··

·· وبعد أن أخذ « آشور بانيبال » معه الى نينوى بعض الأمراء ، لا سيما « **نخاو** » رأى أنه بحاجة الى أمراء مصريين يساندونه فأعادهم الى مصر « موفورى الكرامة » ·· لكن « نخاو » قتل فى حربه مع « تانوت » بينما فر من وجهه الى سوريا ابنه « **بسماتيك** » ·· ثم عندما انتصر الآشوريون ودمروا طيبة ، أعادوا بسميتك ليتقلد منصب أبيه « حاكم سايس » ·· غير أن

هذا الأخير ، مدفوعا بكراهية المصريين الشديدة للاشوريين الذين خربوا بلادهم ونهبوا ثروتها ، كان عليه أن يتصدى لهم ٠٠ وكانت الخطوة الأولى فى ذلك هى فى ضمان ولاء حكام المدن الأخرى ، خاصة مدن الدلتا حيث كانت هذه مقسمة الى مدن على رأس كل منها أمير مصرى ٠٠ كرغبـــة الآشوريين وحتى يكون ذلك مجالا للنزاع القائم والمستمر بين الامراء والذين يشغلهم عن التفكير فى طرد هؤلاء والعمل على استقلال البلاد ٠٠ وقد فكر « بسماتيك » فى اللجوء الى الخيار الدينى » عن طريق الكهنة . بأن ينال اعترافهم به ملكا على جميع البلاد المصرية ٠ ٠ولكن يبدو انه فشل فى ذلك ، واجتمع عليه الامراء وقرروا نفيه الى المستنقعات (*) حيث عاش هناك ، حتى أرسل من يتحدث مع كهنة معبد ليتو فى مدينة « بوتو » ٠٠ فعاد الرسول يقول له أن انتقامه سوف يحل بالملوك الذين أبعدوه عند ظهور البرونزيين ٠ وفعلا ٠٠ على حد رواية هيرودوت : « داخله شك كبير فى مجىء رجال برونزيين لمساعدته ٠ ٠ولكن بعد مضى وقت غير طويل شاء القضاء المحتوم أن يطوح الى مصر بنفر من الأيونيين والكاريين ــ القراصنة الذين أصبحوا فيما بعد جنوده المرتزقة ــ كانوا قد أبحروا بغية السلب ، ولما نزلوا الى البر مدرعين بالبرونز ، ذهب أحد المصريين فأبلغ أبسماتيك أن رجالا برونزيين قد وصلوا من البحر وأنهم ينهبون الأرض المنزرعة فأدرك أن النبوءة قـــد تحققت ، وعمل على مصادقتهم واغرائهم بوعود سخية لينضموا اليه ، فلما أقنعهم خلع الملوك ــ الذين أبعدوه ــ بمساعدة هؤلاء المرتزقة والمصريين الذين رغبوا فى تأييده (١٨) » ٠٠ ذلك هو ما رواه « هردوت » أبو التاريخ ٠٠ أما

(*) يقص علينا هيرودوت حكاية طريفة عن هذا الموضوع ٠٠ حيث يروى أن مصر كان يحكمها ١٢ ملكا ، وكالعادة ذهبوا الى معبد هيفا يستوس فى اخر أيام أحد الاعياد ليقربوا قربانا مشتركا ، حيث أحضر لهم الكاهن الاكبر الاوانى الذهبية التى اعتادوا استخدامها فى سكب القربان ، لكنه أخطأ العدد فأحضر ١١ آنية فقط ، وكان بسماتيك يقف فى اخرهم . فاضطر الى نزع خوذته البرونزية واستخدمها فى سكب القربان ، وكانوا جميعا يلبسون خوذات ، لكن الاخرين فكروا فى فعلة ابسماتيك، وتذكروا كلمات نقلها الكهنة عن معبوداتهم ، تقول بأن الذى يسكب منهم القربان من اناء برونزى سيكون وحده ملك مصر ، عندئذ خاف منه هؤلاء ، وأبعدوه الى المستنقعات وجردوه من أملاكه ، ولولا تأكدهم من حسن نيته لكان لهم معه شأن اخر ٠٠ انظر : « محمد صقر خفاجه : هيردوت يتحدث عن مصر ، » ص ٢٨٤ ٠

المصادر التاريخية الأخرى ، فتقول أنه استعان بصـــديقه القائد « جيجى Gyges مغتصب عرش « ليديا » الذى أرسل له جنـــوده المرتزقة المدربين على القتال ليعاونه فى المهمتين ، الانتصار على الملوك ـ حــكام الأقاليم ـ الذين نفوه الى المستنقعات ، ومعاونته فى حربه مع الآشوريين الذين كانوا يهددون مملكة ليديا أيضا ، وبوصفهم العدو المشترك ٠٠

وفعلا ، بعد أن تمكن من هزيمة حكام الاقاليم ، قام بطرد الحاميـــة الاشورية فى مصر ، وتابع زحفه من ورائها حتى مدينة أسدود فى فلسطين ، التى تحصن بها الآشوريون هؤلاء الذين كانت دولتهم فى شغل شاغل بما يدور من حرب بينها وبين البابليين ، حتى أنه ـ ابسماتيك نفسه ـ أرسل بعد ذلك قوة عسكرية تعاونهم ٠٠ لكن ذلك لم يحل دون هزيمتهم ، وســـقوط عاصمتهم نينوى عام ٦١٢ ق٠م ، تحت ضربات الاعداء خاصة البابليين ، والميديين ، فانهتت بذلك « الحقبة الآشورية » فى التاريخ ٠٠ أما بسمتيك نفسه ، فانه توفى عام ٦٠٩ ق٠م ، بعد أن حكم البلاد ٥٤ سنة ، استعادت مصر خلالها مكانتها ودورها ، ونفوذها فى الشمال والشرق والغرب كمـا اعترفت طيبة به ملكا وقام باصلاحات ادارية عديدة ، كما أنشأ المعابد ورمم القديم منها ، وشجع التجارة خاصة مع بلاد الاغريق ، ومن ثم ، ومن خلال حضور تجار الاغريق اليها ٠ ومن خلال انشائه لجيش وأسطول كبيرين معتمدا على المرتزقة ٠٠ بدأت العناصر الخارجية التجارية والعسكرية تؤثر تأثيرا مباشرا على مجريات الأمور فى مصر ، لا سيما وقد أخذوا مكان المصريين والنوبيين معا ، مما كان له ردود أفعال كبيرة ، على الواقع السياسى والفكرى والتجارى فى مصر كلها ، بل والشرق الأوسط كله ٠

وقد تولى بعده ابنه « نكاو ـ نخاو الثانى » ، وبمجرد توليه أراد أن يلفت نظر الاطراف الاسيوية المتصارعة الى قوة مصر ، فدخل فى سلسلة من الحروب ، بدأها بهزيمة « يوشيا » ملك يهودا ، وحليف بابل وقتله ، وقبض جنود نكاو على ابنه ، وعين أخا اخر مكانه ، كما واصل اخضاع باقى المدن السورية حتى وصل الفرات ، فاعترضه ملك بابل « نبوخذ نصر » حيث نشبت معركة كبيرة بينهما عند « قرقميش » كانت الغلبة فيها للملك البابلى ، لكنه لم يستطع دخول مصر ، فعاد الى بلاده ، ثم بعد عدة ثورات فلسطينية حاول أن يخترق حدود مصر ـ المحركة لهذه الثورات ـ لكنه عاد مرة أخرى

بخفى حنين ، بعد أن فقد الكثير من جنوده ٠٠ وكانت لنكاو بعض الأنشطة المتميزة ، لعل من أهمها بناء أسطول قام بدورة حول الساحل الافريقى . أستمرت مدة ثلاثة أعوام ، مستعينا فى ذلك بملاحين من فينيقيا (الصديقة) ٠٠ كما أحيا مشروع توصيل البحرين الأبيض والاحمر بعمل قناة تربط بينهما لتمكن سفنه من استمرار اجتيازها للبحرين - وهو مشروع قديم موجود من قبل - وفعلا بعد نشاط كبير راح ضحيته عشرات الألوف من المصريين جاءت نبوءة « بوتو » بترك العمل فى هذه القناة لأنها ليست فى صالح مصر . ولن يستفيد منها غير الدول الاخرى !! ٠ ٠وقد أتم « دارا الثالث » الفارسى ما بدأ به نكاو الثانى ، من شق هذه القناة ٠

وبعد أن مات « نكاو الثانى » تولى عرش البلاد ثالث ملوك هـــذه الأسرة « بسماتيك الثانى » فقام بعدة أصلاحات فى ميادين البناء والتعمير ، كما أصلح المعابد ورممها ٠ وقام برحلة ودية الى فينيقيا . لكنه عاد منها على وجه السرعة . فقد تحركت نباتا - كوش » مرة أخرى ، فأسرع بارسال جيش سحق قواتهم فى شمالى دنقلة ، وفى عهده أيضا استمرت التجارة الاغريقية فى الازدهار كما كثر عدد الجنود من الاغريق وأصبحت لهم ثلاث محميات فى مصر ، فى كل منها جيش اغريقى ، كما كثرت اعداد « الجالية » اليونانية كما لم يحدث من قبل ٠

وبعد أن مات على أثر حكم دام سبع سنوات فقط ، خلفه على عرش مصر ابنه « ابريس : واح اب رع » الذى سير بعض الحملات البرية والبحرية، لم تكن ذات نتائج مؤثرة ، بل كان المناخ العام مناخ هدوء ، ومن ثم انطلق يقيم القصور والمعابد والمسلات ٠٠ لكن كثرة العناصر الخارجية - خاصة اليونانية - فى وظائف الادارة والجيش ٠٠ وهو ما ورثه عهده ، وما أضاف اليه أيضا ، خاصة العنصر اليهودى الفار من وجه « نبوخذ نصر » بعد تدميره أورشليم ٠٠ أنتج ذلك كله غضبا مكتوما فى صدور المصريين سرعان ماتفجر، لا سيما بعد أن أرسل الليبيون يستنجدون به لحمايتهم من تدفق اليونانيين على بلادهم واقتطاع مساحات كبيرة من أرضهم مما اضطره الى ارسال جيش لمعاونتهم ٠٠ ولم يكن من المعقول - وجيشه معظمه من اليونانيين أن يرسل هؤلاء لحرب أبناء جلدتهم ، فأرسل لهم جيشا من المصريين ، مما اعتبره هؤلاء نوعا من النفى والابعاد لهم ، خاصة عندما وقعوا فى كمين بسبب خيانة

اليونانيين ، فأوشك يوتانيو ليبيا على ابادته ، عندئذ انفجر الغضب المكبوت فى مصر ضد العناصر الاجنبية ، كما أعلن من نجا من الكمين من أفراد الجيش عصياتهم . فأرسل لهم ابريس أحــد قواده من المصريين « أحمس : أمازيس » لتهدئة الجنود المصريين العاصين على أرض ليبيا ، لكن هذا الأخير انضم للجنود العاصين وأعلن الثورة على ابريس ، فنادى به الجنود ملكا والتفوا حوله مؤلفين جيشا وطنيا ٠٠ وهنا ساق ابريس له جيشا يونانيا ـ التقى به أمازيس والجيش المصرى الزاحف على مصر فحدثت معركة بين الطرفين عند مدينة منف هزم فيها ابريس وجيشه اليونانى واسر هو نفسه ، الا أن أحمس أحسن معاملته وأشركه معه فى الحكم وظل الحال على ذلك لفترة ، على غير رغبة الجنود المصريين الذين صحت توقعاتهم ، فقد عاد ابريس الى الاستعانة بفلول اليونانيين فى البلاد ، للهجوم على جيش أحمس الذى أكرمه ، حيث دارت معركة كان النصر فيها مرة أخرى لأحمس ورفاقه ، بل ومات ابريس خلالها ، فأكرم الملك المصرى رفاته ودفنها « دفنة ملكيــة تليق بها » (*) ٠

واصل أحمس أمازيس تهدئة ثورة المصريين ضد اليونانيين ، لأنه يدرك مدى حاجته اليهم وسط التطلعات الآسيوية البابلية والفارسية لغزو مصر ، كما أن ذلك كان من شأنه الاضرار بالعلاقات السياسية والتجارية النامية بين البلدين وهنا عمد الى الحكمة السياسية ، فأبعد العناصر اليونانيــــة عن المحميات ، وجمعهم وتجارهم فى مدينة « نوكراتيس » التى تحولت الى مركز يونانى كبير ، حتى اذا تم له ذلك سعى الى تأمين حدود البلاد الشرقيــة والغربية ، كما هاجم فلسطين واحتل أسطوله جزيرة قبرص وحالف ملك ليديا وصالح « قورنية » وتزوج أميرة منها ٠ كل ذلك خوفا من الآسيويين لكنه مات قبل أن يشهد الخطر الجديد الزاحف على مصر بعد ٤٣ سنة من الحـــكم ٠

(*) هذا ما تذكره المصادر التاريخية الحديثة ، لكن هيرودوت يذكر أن المصرين لاموا أحمس أمازيس على معاملته الكريمة له ، وهو الذى فعل بهم كل ما فعله بمعرفة اليونانيين . فما كان منه الا أن سلمه لهم فقاموا بدورهم بقتله خنقا ثم دفنوه فى مقبرة آبائه ، ويعلق د٠ أحمد بدوى على ذلك ، بأن هذا النوع من القتل لم يكن معروفا فى مصر ، وانما كان فى ذلك متأثرا بالروايات الفارسية للقصة ، وعموما فهى المرة الثانية التى يلصق بها هيرودوت هذه التهمة بالمصريين ٠

مات أحمس ، وخلفه على حكم البلاد « بسماتيك الثالث » ٠٠ بينما كانت قوة « ميديا » على أثر حروب « قورش الاكبر » قد بلغت منتهاها،واكتسحت أمامها معظم ممالك غربى آسيا ، حتى مات قورش حوالى عام ٥٣٠ ق٠م ، أى قبل موت أحمس بنحو خمسة أعوام ٠٠ ليخلفه على حكم « امبراطورية ميديا» الفارسية ابنه « قمبيز » الذى أراد أن يتم ما بدأه أبوه ، فى الغزو ، فأخضع باقى دويلات آسيا الصغرى والجزر اليونانية ٠٠ ومن ثم بدأ يوجه جهوده الى غزو مصر ، حيث كان « بسماتيك الثالث » قد استعد له ، لكن جيش قمبيز هزم التحالف المصرى اليونانى عند « تل الفرما »٠٠ فارتد هؤلاء الى منف ، حيث تبعهم جيش قمبيز ، واضطرهم الى التسليم ، وقد قبض الملك الفارسى على بسمتيك ٣ لكنه أكرمه وأحسن معاملته ، ثم أطلق سراحه الى أن اكتشف أنه يعد العدة لحربه مرة أخرى ، ويثير المصريين عليه فأعاد القبض عليه ، وانتهى الأمر بانتحاره واحتلال قمبيز لبقية مدن مصر ، بما فى ذلك طيبة ، وبمحاولته الفاشلة للزحف على واحة سيوة لهدم معبد آمون هناك ، حيث يقال أن جنوده قد هلكوا ودفنتهم الرمال المتحركة ، وهنـــاك أقوال أخرى عديدة حول خيانة بعض العناصر اليونانية لجيش بسماتيك ٣ ، واطلاع قمبيز على نقاط ضعف الحدود المصرية ، وحول كراهيته لامون ، والعجل أبيس ٠٠ كما أن هناك بعض الاقوال الحديثة التى تقول بغير ذلك وبأن قمبيز قد احترم المعتقدات المصرية ٠

(ط) الحـكم الفارسى

٢٧ ـ الأسرة السابعة والعشرون

٠٠ ابتلعت رمال الصحراء حملة قمبيز الى معبد آمون فى ســـيوه فتحققت ـ مرة أخرى ـ نبوءة كهنة هذا المعبد ، وأما جيشه الثانى الذى واصل

(*) تقول بعض المصادر أن أحد قادة جيش أحمس من اليونانيين قد هرب الى فارس واتصل بقمبيز وأخذ يغريه بمهاجمة مصر ، ورسم خطة الهجوم ، بل ويقولون أن الجيش الفارسى الذى حارب المصريين واليونانيين فى « تل الفرما » كان بقيادة هذا اليونانى نفسه ٠٠ كما أن بعض المراجع الاخرى تقول أن بسماتيك ٣ لم يتآمر على قمبيز ، وانما الاخير الذى ادعى ذلك للتخلص منه ٠

زحفه جنوبى طيبة ، فقد التقى بجيوش « نباتا ـ كوش » بعد أن خارت قواه فهزمه هؤلاء شر هزيمة٠٠ أما قمبيز فقد بقى بحكممصر « مؤسسا بذلكالأسرة ٢٧ الفارسية ، ثم غادرها بعد أن ترك « اريانوس » فى منف حاكما عليها ، وقفل عائدا الى بلاده ، حيث توفى ـ فى سورية ـ وهو فى طريقه اليهـا وعندما علم الليبيون بوفاته قامت ثورة ، فأرسل الوالى الفارسى حمـــلة لاخمادها ، لكن الليبيين هزموها ، ومات قائدها عند عودته الى مصر ، ٠٠ عندئذ أرسل « دارا » بن قمبيز الذى استولى على الحكم فى فارس بعد وفاة أبيه ٠٠ يطلب أحد أمراء الاسطول المصرى ٠٠ ليقدم له النصح ٠٠ وكان كله يدور حول أهمية مراعاة حكام الفرس للعدالة ، واحترام معبودات المصريين وتخفيف قبضتهم على البلاد ٠٠ وهو ما فعله دارا عندما وصل الى مصر ليكون الملك الفارسى الثانى الجالس على عرشها ٠٠ عرش الأسرة ٢٧ ٠

كان أول ما حرص عليه هو تحسين صورة « الفارسى القبيح الوجه ش التى رسخت فى أذهان المصريين من جراء حكم والده « قمبيز » ونائبـــه « اريانوس » ٠٠٠ومن ثم فقد أبدى عناية كبيرة بنشر العدل ، وأصدر تشريعا على غرار تشريع « حمورابى » ٠٠ كما استكمل بناء معبد الخارجة الكبير وقدم القرابين للمعبودات المصرية ، كما أمر باتمام القناة التى كان قد بدأ شقها فى عهد « نخاو ٢ » وذلك حتى يضمن لبلاده استمرار الدخل التجارى بدلا من اليونانيين بل انه كان يعد العدة للحرب مع اليونان ، القوة الغربية، فبنى لذلك أسطولا كبيرا ، لكن الفرس هزموا عام ٤٩٠ ق٠م فى موقعـــة « ماراتون » ٠٠ ولولاها لتغير تاريخ هذه الفترة ٠ مما دعاه الى أن يبدأ فى بناء قوة أخرى ، أخذت الكثير من وقته وجهده ، مما دعا المصريون الى الثورة ضده ـ خاصة ارسال الجزية الى فارس ـ حيث توفى وهو يعـــد العدة لمواجهتها ٠٠ بعد حكم لمصر دام ٣٦ عاما ٠٠ وعندما تولى بعده ابنه « اكسركسيس » قام باخماد الثورة ، بل والثورة الاخـــــرى التى قام بها يهود بيت المقدس ، بل وأسرف جنوده فى القسوة والعنف على الثائرين ٠٠ بينما كانت الضربات توجه لجيوشه فى حربه مع اليونان ، حتى تم اغتياله وتولى بعد ابنه المسمى « ارتاكسركيس » وهو شاب صغير ـ ١٨ سنة ـ بعد أن تخطى أخاه الاكبر ويقال تمكن من القضاء عليه ٠٠ حيث قامت فى السنة الرابعة من حكمه ثورة شعبية مصرية كبيرة بقيـــادة أميرين (ايناروس وأميرتى) مصريين ،استطاعا الحصول على معونة اليونان ، فأرسلت لهما

معونة بحرية ، حيث تمكنت مع الجيش المصرى من الانتصار على القوة الفارسية الكبيرة التى قرت بقيتها للاحتماء بمنف ، فحاصرها المصريون واليونانيون ، حتى وصلتها النجدات ، فلم يستطيعا اسقاطها ، كما مات أحد الأميرين . وظل الاخر يحارب قدر الطاقة ، بمساعدة من اليونانيين أو بدون مساعدة حتى عام ٤٤٩ ق٠م عندما عقد الصلح بين فارس وأثينا . وتعين « دارا الثانى » ملكا على مصر ، فحاول استرضاء المصرين بكل الطرق الممكنة ، لكن الثورة على الاحتلال الفارسى ، كانت أكبر من كل محاولات الترضية ، بل لقد أخذت الثورة نفسها شكل حرب تحريرية كبرى عام ٤١٠ ، لم تتوقف نارها ، الا بتحرير مصر من ربقة هذا الاحتلال ٠٠ على النحو الذى سيرد ذكره باذن الله ٠

٢٨ ـ الأسرة الثامنة والعشرون

٠٠ توجهت الثورة أولا ضد اليهود الذين وفدوا الى البلاد بكثرة ، وتركزوا فى حاميات منف وهرموبوليس وجـــــزر الفنتين ، وكانوا دائمى المساعدة للفرس المكروهين أصلا كما كونوا جماعة ارســـتقراطية عاملت المصرين بانفة ، ولم تقدم الاحترام الواجب لمعبوداتهم ٠٠ اندفعت الثورة المصرية أولا الى يهود الفنتين فهدمت معبدهم ، وانتشرت الثورة بعد ذلك فى البلاد كلها مدة ستة أعوام ، حتى تحررت مصر ، وتم طرد الفرس منها ، وكان قائد هذه الثورة « آمون حر » الذى أعتلى عرش البلاد ، وأسس الاسرة ٢٨ ، فى « ساس » وأصبح ملكها الوحيد أيضا ، ولما هدأت البلاد ، عاد المصريون يعاملون من بقى فى البلاد من اليهود معاملة حسنة ، وتركوهم يعيشون فى مواقعهم وسمحوا لهم باقامة نشاطهم الدينى ٠٠ لكننا ـ للاسف الشديد ـ لا نعلم كثيرا حتى الآن عن حكم هذا الملك آمون حر ، الذى استمر ست سنوات فقط ، من عام التحرير ٤٠٤ ، حتى عام ٣٩٨ ق٠م ٠

٢٩ ـ الأسرة التاسعة والعشرون

ومؤسسها هو « نفرتيس : نايف عاو رود » ٠٠ ولا يعرف على وجه التحديد من هو ، وما علاقته بالملك السابق « أمرتى : آمون حر » ٠٠٠ لكن سياسته وأعماله تؤيد وتدعم ما بدأه هذا الاخير ، وكأنهما ينبعان من معين واحد ، مما يؤيد الرأى الذى يقول باحتمال كـــونه زميلا له ، فى كفاحه

التحريرى ضد الفرس (*) ، ويقال أنه تعاون مع « **أسبرطة** » فى حربها مع **فارس** ، فأرسل اليهم مئونة كبيرة من القمح ، ومعدات تكفى لصنع مائة سفينة حربية ذات الطوابق الثلاثة ٠٠ لكن « كوندى » قائد الأسطول الفارسى حطم هذه السفن ، كذلك انتهز هذا الملك فرصة انشغال هذين بالحــرب ، وتقدم نحو الحدود السورية وأقام عدة مراكز دفاعية ، لكن توقف الحرب بينهما ـ بسبب البرد ـ جعله يعود هو الآخر ليمارس اهتمامه باصلاح الداخل تاركا الحرب لمن يخوضها ٠٠ وعندما مات خلفه على الحــكم «**اخوريس : هكر** » (**) الذى لم يدع الحرب لاصحابها ٠٠ وانما تحالف مع أثينا ـ وليس مع اسبرطة هذه المرة ـ ضد الفرس وبذل فى معاونتها فى حربها معهــم الكثير من خيرات مصر ، كما تحالف مع ملك قبرص ليأمن نشاطهم البحرى ضد شواطىء مصر الشمالية ، ومن أجل ذلك اســتطاع أن يصــد هجوما فارسيا على مصر ، وأما عن نشاطه الآخر ، فقد كان فى ميدان التجارة مع فلسطين وفينيقيا ، كما أن له بعض الاثار فى الكرنك والكاب ومدينة هابو ٠٠ وعندما مات ـ ويشك فى أنه مات ميتة غير طبيعية ـ خلفه « **بسموتيس : بى ساموت** » لفترة قصيرة من الوقت ، تلاه بعدها على العرش « **نفرتيس الثانى** » الذى حكم أربعة شهور فقط ، كانت هى نهاية هذه الاسرة ٠٠

٣٠ ـ الأسرة الثــلاثون

فى أيام آمون حر الأخيرة ، ومن بعدها أيام نفرتيس ظهر على مسرح أحداث حرب التحرير بعض القادة من بينهم « **تاخوس** » ٠٠ الذى أخذ عنه قوته وشجاعته ابنه « **نخت ـ نبف** » ومن ثم فانه لم يكن بعيدا عن الاحداث الاخيرة ٠٠ لا سيما مسألة الاضطراب والقلق التى سادت البلاد ، ومن ثم

(*) يرى أ٠ د٠ « أحمد فخرى » أن « نفرتيس » ربما يكون أحد زملاء « آمون‌حر» فى قيادة ثورة التحرير ، بينما ترى مصادر أخرى أنه حارب آمون حر ، وهزمه وأسره، فانفتح الطريق أمامه الى ملك مصر ، وتأسيس هذه الاسرة الجديدة ٠

(**) بعض المصادر تقول أن بينهما ـ نفرتيس وهكر ملك اخر هو « بسموتيس » الذى حكم قبل هكر فترة قصيرة من الوقت ، لا يعرف عن نشاطه فيها أى شىء ! لان هكر ازال اسمه من الخراطيش الموجودة على الاثار ، لكن البحث أثبت أن « بسموتيس» هو التالى لهكر ، وليس السابق عليه ، كما يقال أن بينهما اخر هو : « موتيس » الذى حكم لعدة شهور ٠

فقد تمكن من انزال « نفرتيس الثانى » عن عرشه ·· ليعلن نفسه ملكا ، وزعيما لهذه الطائفة من المصريين الذين ضاقوا ذرعا بالوجود اليونانى فى البلاد ، لا سيما وقد أظهر هؤلاء كثيرا من التلون أثنـــاء نزاع مصر مع الفرس · وهكذا تكونت هذه الأسرة وكان أول ملوكها هو « **نخت ـ نبف : نختنبو أو نقطانبو : خبر كارع** » من مدينة سمنود ·· وبمجرد ولايته الحكم كان عليه أن يواجه الفرس الذين أرادوا الانتقام من مصر . فانتهـــز الملك الفارسى « **ارتكساركسيس** » فرصة سحب اثينا لمرتزقة الأغريق ورئيســـهم « خابرياس » ـ فيما يشبه المؤامرة ـ وجرد جيشا من ٢٠٠ر٠٠٠ جندى ، بالاضافة الى ٢٠ر٠٠٠ مرتزق يونانى حاقد . وقد وصل هذا الجيش الى مصر وتوغل فى الدلتا ، غير أن « **نختنبو** (١) » تمكن من طرده لا سيما بعد أن تعرض الغزاه الى التقهقر ·· ولم يحاولوا العودة مرة ثانية فى عهده ، مما جعله يتجه ببصره نحو تطوير البلاد ، فى ظلال من الأمن والسكينة ، فاهتم بالتجارة الخارجية ، وأقام بعض المعابد فى مختلف أرجاء البلاد ، وأستأنف البعثات الى المناجم والمحاجر وفى عهده الآمن ، بدأ الســـياح يترددون على مصر ، وكان من أبرزهم من الاغريق « **افلاطون الفيلســـوف وكريسبوس الطبيب وبودوكسوس الفلكى** » ··

ولكن بينما كان الملك ينظر بعين شك الى الاغريق . ويخشاهم ، كان ابنه « **جدحر : تيوس : تاخوس** » ـ والذى اشترك معه فى الحكم فى سنواته الأخيرة ـ كان يرى غير ما يراه الأب ، ومن ثم ، وبعد وفاته ، فان جدحر أسرع بالتحالف مع أسبرطة ، وتاليف جيش واسطول كبيرين من الاغريق المرتزقة ، تكلف المبالغ الطائلة ، التى كانت على حساب الشعب ـ الضرائب ـ والكهنة معا ، بل وعاد فاستولى على كثير من كنوز المعابد المصرية ، ليسبك منها عملة تكفى لدفع مرتبات جيش لم يسبق تكوين مثله منذ ايام الدولة الحديثة (*) ·· تقدم به لنزال الفرس ، وأوشك أن يعيد ممتلكات مصر الآسيوية ، لولا خيانة أخيه ، الذى تحالف مع ابنه ، فرجع هذا الاخير ومعه جنوده وترك اباه كما أرسلت أثينا تطلب عودة بعض جنـــودها المرتزقة وقائدهم ، فوجد جدحر نفسه فى موقف صعب ، فتصالح مع عدوه الذى

(*) تكاد مصادر الدراسات المختلفة تجمع على أن هذا الجيش كان يتكون من : « ٨٠ الف جندى مصرى وليبى وعشرة آلاف يونانى ، والف اسبرطى وأسطول مكون من ٢٠٠ سفينة ذات الثلاثة صفوف من المجاديف » ·

أرسله الى مصر ليكون حاكما تابعا له ، لكنه مات فى طريق عودته اليها ٠٠ ولم يدرك ولده القائم على عرش الخيانة « **تختنبو : نقطانبو الثانى** » الذى واجه فتنة كبيرة قام بها أمير منديس الذى انتهز فرصة الشقاق القائم بين الملك المخلوع وابنه المتوج ، لكن الاخير وبمساعدة المرتزقة الاسبرطيين أيضا تمكن من اخماد هذه الفتنة وبعدها نعمت البلاد بالهـــدوء فترة من الوقت ــ ١٦ سنة ــ قام خلالها ببناء عدد من المعابد ٠٠ لكن الملك الفارسى لم يكن قد غفل عن مصر تماما ، اذ سرعان ما بدأ الهجوم الأول على الدلتا ، حتى اذا فشل ، وتمكن نختنبو ، من رده على أعقـــابه ، بينما ثارت « فينيقيا » فشغلته عن اعادة الهجوم قبل أن يستعد له جيدا ، وهو ما حدث بعد عدة سنوات من الهجوم الأول : هاجم « ارتاكسر كسيس : أوخوس » مصر هذه المرة بجيش قوامه ٣٠٠ر٠٠٠ جندى وأسطول من ٣٠٠ سفينة ، بينمالم يكن **نختنبو ٢ قد استعد تماما لمثل هذا الحشد** على نحو مماثل فاحتل العدو معظم مدن الدلتا ، ثم منف ، فتقهقر المصريون والليبيون الى الصـــعيد ، حيث استطاع « نختنبو ٢ » أن يظل هناك كملك لمدة عامين اخرين ، ما دعا الفرس الى ارسال حملة تعزيزات ، واصلت زحفها عام ٣٤١ ق٠م حتى الصعيد ، وأتمت الاستيلا عليه ، فخضعت بذلك البلاد كلها مرة أخرى للحكم الفارسى ٠ الذى قام بكثير من أعمال الانتقام من المصريين ، فدمر بعض أسوار المدن وحطم أهم ما فى المعابد ونهب كنوزها وقام بعدد من المذابح وعاد الى بلاده مشبعا بكراهية المصريين ٠٠

٠٠ وعموما ، فان فترة الاحتلال أو الحكم الفارسى الثانى لم تطل غير ١٠ ــ ١١ سنة ــ عند بعض المؤرخين تمثل الأسرة ٣١ ــ حيث بقى **ارتاجزر كسيس : أو خوس** فى البلاد رثيما يتم ارضاء شهوة الانتقام عنده ، وارواء غليله وحقده من دمهم ، ثم ترك عليها واليا فارسيا وقفل عائدا الى بابل ، حيث مات ميتة بشعة ، بمعرفة العبد الخصى « باخوس » الذى دس له ألسم فى طعامه ٠٠ فتعين بعده ابنه الصغير « **أرسيس** » حيث لحق بأبيه مسموما كذلك ــ ويقال أن ذلك تم بمعرفة باخوس أيضا !! ــ كل ذلك بينما لم تخمد الثورة عليهم فى طول البلاد وعرضها ٠٠ ومن ذلك مثلا ٠٠ تلك الثورة التى قام بها « **خباش : خباشا** » وهو أحد أمراء الدلتا ، الذى سيطر على جانب منها على الرغم من الحاميات الفارسية ، وأعلى نفسه ملكا واعترف به كهنة منف وبعض أجزاء من الصعيد فرعونا على مصر ، وعثر فى معبد السرابيوم

على تابوت مؤرخ فى العام الثانى من حكمه - كما رأى مصريون اخر أن يسيروا فى طريق مخالف من طرق المقاومة ٠٠ بواسطة الاستعانة بقوة الاغريق المتعاظمة ٠٠ وفعلها بعضهم ٠٠ فبينما تولى « دارا الثالث » الفارسى حكم بلاده التابعة لها مصر . وبينما كان الفرس يحبونه لطيبته ٠٠ الا أنه لم يكن الرجل المناسب الذى يستطيع أن يأخذ بيد بلد « عجوز » انهكته الحروب متسع الأرجاء جدا . وفى ظل خلافات داخلية ونظم وأساليب عسكرية قديمة ٠٠ كل ذلك بينما « الاسكندر المقدونى » ماض فى طريقه لهزيمة هذه الدولة التى عاملت بلاده أسوأ معاملة ٠٠ بروح وثابة ، وتربية فذة وموهبة عسكرية نادرة ٠٠ تمكن بهـا من هزيمة الفرس فى « اسـوس » نوفمبر ٣٣٣ ق٠م ، وكان أن ذهب اليه - ويقال اشترك معه فى حربه - طبيب مقاتل مصرى من اهناسيا اسمه « سماتاوى تاف نخن » الذى أطلع الاسكندر على مدى معاناة المصريين من الحكم الفارسى البغيض . وقيامهم بالثورة ضده ، ورغبتهم فى مساعدته ٠٠ حيث صادف ذلك هوى عند القائد المقدونى ، الذى رأى أن يحرم فارس من أهم أملاكها - الشام ومصر والهلال الخصيب - حتى يحرمها من أهم مواردها ، ومن السواحل الشامية والمصرية ومن ثم يوجه لها الضربة القوية ، وقد أمن ظهره ٠٠ وهكذا مضى فى طريقه نحو مصر ، ولم يقاومه المصريون نكاية فى الفارسيين ، مما اضطر الوالى الفارسى الى التسليم وترك مقاليد مصر للاسكندر الذى دخلها عام ٣٣٣ فى ثوب منقذها من الفرس ،حيث سلك الطريق الدعائى الصحيح ، فاحترم معبوداتها وكهنتها وسافر لتقديم فروض الطاعة الى معبد آمون فى سيوه ، وادعى البنوة له ، واستلهم وحيه فاعترف الكهنة به وبشروه بالانتصار على الفرس، وأيدوا أسطورة بنوته لآمون الذى تقمصت روحه « نقطابنو الثانى » ذلك الذى خفى أمره ، لكنه - حسب الأسطورة - نزح الى مقدونيا ، حيث شغف حبا بملكتها « أولمبياس » وانجب منها الاسكندر !! ٠٠ ثم أخذ الرجل بمبدأ الاصلاح فى البلاد ، واختيار الميناء الجديد على أرض قـرية « راقودة » لانشاء المدينة التى سميت باسمه ٠ ودخلت البلاد طورا جديدا من أطوار حياتها ٠٠

ونكتفى بهذا القدر وننتقل الي موضوع آخر ٠٠

●● مراجع الباب الثانى :

(١ ـ ٢) حسين مؤنس : « مصر ورسالتها » ص ٥ ، ٦ ٠

(٣) نخبة من العلماء : « تاريخ الحضارة المصرية : العصر الفرعونى » المجلد الاول ، من دراسة للدكتور عبد المنعم أبو بكر ٠

(٤) أحمد فخرى : « مصر الفرعونية » ص ٨١ ٠

(٥ ـ ٦) المصدر السابق ، ص ٨٢ ٠

(٧ ـ ٨) سعد زهران : « مصر الفرعونية » مترجم عن « جان يويوت » ص ٣٤ ٠

(٩) أحمد بدوى : « فى موكب الشمس » ج ١ ص ١٤٦ ٠

(١٠) أحمد فخرى : « الاهرامات المصرية » ص ٢٣١ ٠

(١١) عبد العزيز صالح : « الشرق الادنى القديم » ج ١ ص ١٥٥ ٠

(١٢) أحمد فخرى : « مصر الفرعونية » ص ٢٤٦ ٠

(١٣) سعد زهران : « مصر الفرعونية » مترجم عن « جان يويوت » ص ١٠١ ٠

(١٤) أحمد قدرى : « المؤسسة العسكرية المصرية فى عهد الامبراطورية » ص١٤ ٠

(١٥) أحمد قدرى : « الديانة المصرية القديمة » مترجم عن : ياروسلاف تشرنى ، ص ٨٤ ٠

(١٦) أحمد فخرى : « مصر الفرعونية » ص ٢٨٥ ٠

(١٧) عبد العزيز صالح : « الشرق الأدنى القديم ، ج ١ ص ٢٦٢ ٠

(١٨) محمد صقر خفاجه : « هردوت يتحدث » مترجم عن هيردوت ص٢٨٥،٢٨٦

البـــاب الثــالث

مــن ؟

القـــائمون بالاتصـــال

القـــائمون بالاتصــــال

٠٠ وكما أشرنا الى ذلك من قبل ، فاننا على الرغم من اقتناعنا بأن الأنموذج الاعلامى ، أو الاتصالى القاعدى ـ أنموذج هارولد لاسول ـ لا يقدم وحده كل شىء عن جوانب هذه العملية ـ العملية الاعلامية ـ الا أنه يصلح لكى نتخذ من بعض معالمه اطارا ، أو نعتمدها لشرح جوانب هذه العملية ، لا سيما وهو ـ على الأقل ـ أفضل المتاح أمامنا وأكثر سهولة خاصة مما يتصل بجوانب الشرح وزواياها المختلفة ، الخاصـــة بهذه العملية ، وذلك بصرف النظر عن عدم اكتماله ، أو عدم شموله ، لجميع الزوايا التى ينبغى أن تتصل بهذه العملية ، على الأقل ، من وجهة نظرنا الخاصة ٠٠

نحن هنا ، نختار أسلوب تطبيق أهم وأبرز قواعد وأركان هـــذا الأنموذج ، على ما كان من هذه « الظواهر » و « الاشارات » و « الملامح » و « المعالم » المصرية القديمة ٠٠ ونبدأ من العنصر الأول « المرسل » ٠٠ من هذا الذى تجيب عليه أداة الاستفهام : من ? Who ولكن كيف ؟

مدخـل الى القائم بالاتصــال

٠٠ نعم ، لابد من التوقف هنا عند العنصر البشرى ، أساس العملية الاعلامية الاتصالية ، ولبها المحرك ، وصميمها الذى تقوم عليه ، ومحورها الذى تدور حوله ٠٠ أو « الدينامو » أو « المولد » لقوتها كلها ٠٠ انه أيضا « القائم بالاتصال » ٠٠ وهو كذلك ، « المرسل » الذى تحدثنا عنه من قبل٠٠ الا أنه بالنسبة للحديث عن هذا العنصر البشرى ـ أهم العناصر على الاطلاق ـ بالنسبة للاطار الاعلامى لمصر القديمة ٠٠ فلابد ـ بادىء ذى بدء ـ من أن نمر فى طريقنا اليه ٠ ٠ وفى سبيلنا الى التوقف عنده ٠٠ بهذه النقاط الارتكازية كلها ٠٠

(١) انه لابد أولا من الاعتراف بصعوبة التوقف عند هـــذا العنصر البشرى ، توقفا كاملا ، وكذا صعوبة تحديده بدقة ٠٠ بل لعل ذلك من أكثر الجوانب التى قابلتنا صعوبة ، خلال دراستنا هذه ، وما ذلك الا :

ـــ لطول فترة الدراسة ذاتها « حوالى ٤ آلاف سنة » مما يجعلنا

نتوقف عند أهم هذه العناصر البشرية ، على هذا المدى الطويل ، وما تخلله من أحداث عظام ٠ وحوادث جسام سياسية وعسكرية ودينية وثقافية وأدبية وفنية ومجتمعية واعلامية ٠

ــ لأنه كان لكل فترة رجالها ، وفكرها ، وأساليبها وأنماطهــا الاتصالية المختلفة باختلاف العوامل العديدة المؤثرة على مجريات الأمور بها٠

ــ للاختلاف العام بين أعمال القائمين بالاتصال ، ومادمنا نتناول هؤلاء بشكل عام ، ومادامت هذه الدراسة تتصل بالاعلام المصرى القديم كله ، دون أن تؤثر جانبا منه على جانب آخر ، أو تركز على جانب دون جانب أو على مرسل دون آخر أو ما شابه ذلك كله فانه لابد من تقديم هؤلاء جميعا من العاملين فى حقل الاتصال ، وما أكثرهم ، وما أصعب المهمة فى نفس الوقت ٠

ــ ٠٠ وكذا للاختلاف القائم بين اعلامى وثان وثالث ، تبعا لمجال كل ، والحقل الذى يعمل به ، وميدان نشاطه أو موقع اختصاصه (عام ــ عسكرى ــ دينى ــ فنى ــ تربوى) ٠٠ أى أن الصعوبة هنا تكمن فى تنوع مجالات الاعلام المصرى القديم ذاتها ، وتعددها ، بما نطلق عليه الآن : الاعلام المهتم ، أو المتخصص ٠

ــ كذلك فان هناك نقطة أخرى تشكل صعوبة بالغة ، تلك هى أن الأعمال الاتصالية وفى معظم الأحوال كانت تنتسب الى الفرعون ذاته ٠٠ بينما كان يختفى من القائمين بالاتصال أى شخص أخر ٠٠ اللهم الا قليلا ، ومن ثم فاننا لم نعرف معظم هؤلاء ، أو كثرة منهم ، على الرغم من الدور الكبير الذى كانوا يقومون به ٠

ــ كذلك ، فان « **الكاتب المجهول** » أو « **القائم بالاتصــــال غير المعروف** » كان يمثل ظاهرة مصرية قديمة ، منتشرة وواضحة كل الوضوح٠٠ ليس من أجل سواد عيون أو قوة ، أو ديكتاتورية أو تسلط الفرعون فقط ، وانما لأسباب أخرى ٠٠ يبدو أنها كانت تتركز فى « تقاليد الاعــــلام » أو « التقاليد الفنية » فى مجموعها فى أوقات عديدة ٠٠ مما شكل صعوبة أخرى، فى تتبع هؤلاء ، ومعرفة حقيقتهم فى أحوال عديدة ٠

— كذلك ، فان هؤلاء كانوا يختلفون ليس فقط باختلاف مضمون الرسالة ، ومجالها ، وذلك القدر من اهتمامها او تلك الدرجة من تخصصها ٠٠ وانما باختلاف نوعها نفسه ، ونقصد به هنا المادة التى صنعت منها ، والشكل الذى ظهرت عليه ٠٠ وهكذا تماما كما يحدث الاختلاف الآن بين محرر الاخبار الصحفية ، والاذاعية ، والمصورة ، وبين مخرجى هذه المواد وغيرها ٠٠

— وأما آخرة الصعوبات التى قابلتنا ٠٠ فهى تلك التى تنبثق عن واقع « الكاتب » المصرى القديم ٠٠ حيث كانت الصعوبة تتمثل فى التفرقة الصحيحة بين « **الكاتب** » **الرسمى** ، **مثل كاتب المحكمة والشهر العقارى** عندنا — مثلا — **وبين الكاتب** « **المدير الادارى** » ٠٠ **وبين الكاتب** « **الوزير** »٠٠ **وبين الكاتب الاعلامى المبدع** ٠٠ فالكل كاتب . بلأن كل متعلم تقريبا كان يطلق عليه هذا اللقب ، وبعضهم كان يجمع بين أكثر من نوع واحـــد من الكتاب ، كما أن بعض الكتاب كان يجمع بين أعرق مناصب الدولة ٠٠ كما سنشير الى ذلك فى موضعه باذن الله ٠

٠٠ واذا كانت الصفحات القادمة فى مجموعها سوف تشير بالتفصيل — باذن الله — الى ما يتصل بهذه الجوانب كلها ٠٠ بأسلوب مباشر أو غير مباشر ٠٠ فاننا ننتقل الى النقطة الأخرى المتصلة بهذا المدخل ٠٠ ألا وهى التى تتمثل فى :

(ب) ذلك الوضع الاعلامى الذى ينبغى التوقف عنده ، واتخاذهقاعدة أساسية للحديث عن هذا العنصر الأول من عناصر العملية الاعلامية الاتصالية القديمة ٠٠ وأعنى به هنا ما يتصل بأنواع القائمين بالاتصال وحيث نجد أن مصر القديمة قد حفلت بكل هؤلاء ، من الذين يمكن تقسيمهم الى هذه الأقسام الى هؤلاء بأنواعهم المتعددة ومن يتبعهم :

- **الآمرون بالاتصـــال** ٠
- **المخططون** ٠
- **المشرفون على التنفيذ** ٠
- **المنفـــذون** ٠٠

٠٠ ولكل وظائفه ، وأعماله ، وخصائصه ودرجة أهميته ونوع اهتمامه

وقربه أو بعده عن العملية الاعلامية ٠٠ ولكل فكره ، وتعبيره ، وأنماط هذا التعبير وأشكاله وأساليبه أيضا ٠٠ وقد يقوم أحد هؤلاء بأكثر من وظيفة واحدة معا ، وقد تقوم قلة نادرة منهم بهذه الوظائف فى مجموعها ، وقد يذوب بعض هذه الوظائف فى بعضها الآخر ٠٠ مما يتطلب مثل هذه الوقفة التى لابد منها ٠

الفصـــل الأول

الملك والاعـــلام

المبحث الأول : الملوك ودورهم

المرسلون ٠٠ الآمرون الأوائل بالاتصال ، بالاعلام عن انفسهم والتعريف بأعمالهم ، والدعاية لعهودهم ، هؤلاء الـــذين أشرنا اليهم فى الصفحات السابقة ، من زاوية تاريخية ، وسياسية ويأتى دورهم للاشارة اليهم من زاوية اعلامية ، وحيث لابد من التوقف أولا عند عدة نقاط أساسية تتمثل فى:

(أ) اعـــلام القمة :

اننا لابد أولا ، من أن نعترف ، بأن الاعلام بطبعه وطبيعته ، يكون أقرب الى أعمال القمة ، أعمـــال الملوك والاباطرة والســـلاطين ورؤســـاء الجمهوريات والحكام والأمراء ٠٠ خاصة قبل وصول البشرية الى هـــذه العصور الحديثة ٠٠ نعم كان الاعلام ــ ومايزال فى بعض وجوهه ــ اعلام السلطة والنفوذ ، والقوة والثراء ٠٠ اعـــلام من يملك أن يعرف بنفســه وبأعماله ، فاذا لم يقم هو بذلك قام غيره بهذا التعريف ممن يليه فى ســلم الحكم أو الادارة من أصحاب الحل والربط ٠٠ يعلمون عنه ، وعنهم ، لكن عنه أولا ويبتكرون الطرق العديدة الى ذلك ، ويبذلون فى ســبيله الجهـــد والفــكر والمـــال ٠٠

أما الشخص العادى ــ خاصة بلغة هذه القرون : المواطن العادى ، فعم يعلم ؟ ولماذا يعرف الناس اسمه ٠٠ ولا أقول الناس من حوله ٠٠ وانّما الجماهير ذاتها ٠٠ وما الذى « يرسله » لهم ؟

اننا نقرأ مثلا قول القائل « **قبل الأسرة الأولى عثر على أسماء مدونة لملوك حكموا قبل مينا** » (١) ٠٠ فهل كان يمكن أن تكون هذه الأسماء لغير الملوك « المحليين » أو « حكام الاقاليم » ٠٠ قبل توحيد الوجهين ؟ ٠٠ حتى اذا عثر على أسماء العاديين من الناس ، فلن يكون لذلك أهميته التاريخية

أو الاعلامية ، الا من خلال العثور على هذا الكشف نفسه ٠٠ وقد يعثر على اسم واحد لشخص مهم لكنه يعدل مئات وربما ألوف الأسماء العادية الأخرى ٠٠ أنه الاعلام٠٠صناعة القمم والمعرف بها ومؤيدها ومؤكد وجودها٠٠الخ٠

والا ما كان هناك « المشاهير » ٠٠ فى جميع جوانب الشهرة ٠٠ وما كان هناك المئات من « خاملى الذكر » فى مقابل كل شهير واحد ٠٠

(ب) عن سلطة الملوك :

٠٠ ومنذ عهد «**الملك العقرب** » ٠٠ كان من الواضح أن أهم الأعمال هى التى يقوم بها الملك الحاكم - المبجل - نصف الاله ٠٠ عسكرية ومدنية على السواء (القيادة فى ميدان الحرب والاشراف على شق الترع والقيام ببداية حفرها) ٠٠ ومنذ أيام الأسرة الأولى وفى عهدها ٠٠ وضحت سلطة الملوك « اللانهائية » ٠٠ فكانت هناك ادارة لحكم الجنوب ، وأخرى لحكم الشمال يرأس كل منهما وزير ، لكن فوق هذين - وفوق الجميع أيضا - يوجد سلطان واحد هو سلطان فرعون ٠٠ « رب الوحدة وراعيها ، حاكم القطرين وصاحب التاجين الذى يدير الأمور من قصره الكبير بما فيه خير الجميع وبما يحقق الصالح العام » (٢) ٠٠ وقد استمر الحال على ما هو عليه بالنسبة لقوة الفراعنة ، وتسيير دفة الحكم والبلاد بأسرها ، خلال الدولة القديمة ، وظلت البلاد تحت قبضتهم قوية متماسكة طـــوال أيام الأسرتين الثالثة والرابعة - انظر قائمة ملوكهما السابقة - واستمر الوضع المستقر لسنوات طويلة من حكم الأسرة الخامسة أيضا ٠٠ حيث أضيف « الجانب المقدس » كاملا الى النفوذ السياسى والمدنى ٠٠ متمثلا فى كهنة اله الشمس « رع » الذين نجح كبيرهم « **أوسركاف** » فى اعتلاء عرش البلاد ٠٠ مما قوى تماما من سلطات الملك باضافة هذه السلطة الدينية كما لم يحدث من قبل ، والتى صاحبت الفراعنة ، وحرص هؤلاء عليها ، وعلى هذا « الانتساب الالهى » حتى آخر عهدنا بهم ٠٠ فكان الملك هو الحاكم والآمر والناهى ٠٠ هو القائد الأعلى ، هو الفنان الأول ، هو كاتب كتاب الاله وهو أيضا (ابن الاله) ٠٠ **بل انه الاله نفسه - أستغفر الله - صاحب الحكم المطلق دنيويا ودينيا** ، وذلك بعد أن كان منذ الأسرة الأولى وكما يسميه مانيتون « نصف الاله » فقط ٠٠

وصحيح أنه مرت بالبلاد سنوات عدم استقرار وضعف ـ الأسرات ٦ ، ٧ ، ٨ ـ ٩ ـ ١٠ ـ مما ادى الى تفككها ، وانفلات زمام الحكم من يد فرعون ، وانتشار الفوضى وتلاشى السلطات المركزية ، ولكن من الصحيح أيضا ، أن على أثر مثل هذه الفترات ٠٠ كانت سلطة الفرعون تعود فتبرز من جديد على يد بعض الأمراء ، ليكون الطابع الغالب ، على نفوذ الفراعنة ونشاطهم أنهم كانوا من الأقوياء ، مرهوبى الجانب ، الذين يحكمون أستنادا الى حق الهى ٠٠ **وكانت أهم معالم « العمل الملكى » هى :**

ـــ رعاية مصالح الآلهة ونشر دياناتها واقامة معابدها فى طـول البلاد وعرضـــها ٠

ـــ الاشراف على رعاية الأمراء من أبنائه الملكيين وغير الملكيين وتربيتهم التربية الملكية المناسبة بمعرفة المربين والمعلمين والكتاب والكهنة ٠

ـــ قيادة الجيوش لتأمين حدود البلاد وكبح جماح أعدائها وضربهم فى عقر دورهم ٠

ـــ الاشراف على البعثات العديدة التى تخـــرج اما للتجارة أو لاحضار المعادن والأخشاب والرخام من المناجم والمحاجر والمواد الأخـــرى اللازمة للصناعة عامة ، وللمعابد الدينية خاصة ٠

ـــ تعيين حكام الأقاليم وقادة الجيوش والوزراء والكتاب والقضاة وعزلهم حين الحاجة الى ذلك ٠

ـــ اقامة الحصون والقلاع لتأمين حدود البــلاد وما يتصل بذلك من تأمين الطرق اليها وحفر الآبار بالقرب منها ٠

ـــ الاشراف على عقد العهود والمواثيق واقامة العلاقات الطيبة مع الشعوب المجاورة ٠

ـــ الاشراف على عمل المشروعات الزراعية والاقتصادية التى تزيد من دخل البلاد ، وكذا الاشراف على نظـام جباية الضرائب وشـــق الترع واقامة الجســور ٠

ـــ الاشراف ـ عن طريق الوزراء وكبار الكتاب والموظفين ـ على

أعمال الحكم والادارة بما فى ذلك أعمال القصور الملكية وخزائن بيت المال والدور والقصــور ٠

ـــ رعاية وصيانة مدافن ومقابر الملوك السابقين عليه وتجـــديد ذكرهم ٠

ـــ الاشراف على ثبت وتسجيل أعماله هذه كلها ، لا سيما الدينية والعسكرية والاقتصادية ٠٠

(حـ) الاعــلام الملكى : لمــاذا ؟

٠٠ وكما كان يجمع معظم ملوك مصر بين أكثر الخيوط فى أيديهم ، على النحو الذى أوضحناه خلال السطور السابقة وكان من أهمها الخيط السياسى (المدنى) ٠٠ والخيط الدينى (الالهى) ٠٠ والخيط العسكرى ٠٠ الى جانب الخيوط الأخرى ، بأسلوب مباشر ، أو غير مباشر ، بشكل مطلق ، فردى فى أغلب الأوقات وعن طريق الوزراء والأمراء وحكام الأقاليم والكهنة فى أوقات قليلة ٠٠ وحيث يبرز دور الفن والأدب ، والبناء والتشييد المؤيد لهذه السلطات كلها ٠٠ ومن ثم دور الاعلام ، المعرف بهذه الأمور ، المبشر بها ، المعلن عن نفوذ وسلطات وقوة وثراء وتدين وسيطرة وتواد وتراحم وانسانية الملك ٠٠ وحيث يمكننا أن نزعم ٠٠ أن ملوك مصر القديمة ٠٠ قد عرفوا ــ الا القليل منهم ــ العمل الاعلامى ، بشكل من الأشكال ، ومارسوه بطريقة من الطرق ٠٠ وكانت لهم فى ميدانه جهودهم التى لا يمكن انكارها وأن هذه المعرفة ، وتلك الممارسة ، وهذه المجهودات ، كانت لها دوافعها العديدة والمقنعة فى نفس الوقت وأســـبابها « القوية » ، و « التاريخية » والسلطوية ٠٠ وغيرها ٠٠

ومن هنا ، وقبل الوقوف على صور هذه المعرفة ، وألوان هذه الممارسة، الى جانب عدة نقاط أخرى ينبغى التوقف عندها فى هــذا المجال ــ الملك والاعلام ــ فاننا نتوقف أولا عند هذه الدوافع والأسباب ٠٠ عند الاجابة عن سؤال مهم يقول :

٠٠ لماذا عرف معظم ملوك مصر العمل الاعلامى ، ومارسوه بشكل أو بأخر وحرصوا عليه ، وكانت لهم فيه مجهودات واضحة ؟ ٠٠ وان اختلفت

مستويات هذه المعرفة من ملك لثان لثالث ولرابع مما ســوف نناقشــه فى موضع آخر باذن الله ··· ان هناك العديد من الدوافع والأسباب ، وراء هذه المعرفة ·· ومن أبرزها وأهمها أيضا ·· هذه كلها :

١ ـ لأن العمل الاعلامى يعتبر مكملا للاعمال الملكية فى مجموعها . متما لها ، مثبتا ومؤكدا وموثقا ومشيرا الى أن هــذه الأعمـــال الدينية العسكرية السياسية المجتمعية التنموية ·· كلها قد تمت بمعرفته ، وفى عهده ومن ثم يعتبر الاعلام عنها بمثابة الخطوة الأخيرة للتعريف بها ، والتوقيع فى نهايتها بامضاء الملك ·· الذى كان حريصا على ذلك ·· وكأن الملك كان يعرف تماما ـ مع اختلاف فى مستوى هذه المعرفة بين ملك وآخر ـ أن ما يذكره من هذه الأعمـــال هو مرآتها بل مرآة عصره كله ، بمـــا فيـــه من نشاط متعدد ·

٢ ـ لأن الملك كانت فى يده السلطة ، والصولجان ، والنفوذ ، ومن ثم الأمر بالقيام بهذا العمل الاعلامى وتجميع كـل من يتصـــل به ، وبتقنياته وأساليبه المختلفة ، لكى يقوموا بتقديم هذه الصورة عنه ، وعن عصره ، من مهندسين وفنانين ونحاتين ونقاشين ومصورين ·· ومن اليهم ، مما ستذكرهم الصفحات القادمة باذن الله ··

٣ ـ وبالمثل لأنه يملك من الثراء ، ما يمكنه من جلب ما يلزم هــذه الوسيلة أو تلك من وسائل الاتصال ، ومن الانفاق على العمل الاعلامى ، ودفع الأجور اللازمة لكل مشترك فى اقامته ، ونحن نعرف أن العمل الاعلامى فى كل زمان ومكان ·· له جانبه المادى المهم الذى لا تتم الأعمال الاعلامية الكبرى ـ كغيرها من الأعمال ـ بدونه ·

٤ ـ لأنه يعرف أن هذا العمل من جانبه ، معناه أنه لا يقدم لشـــعبه فى حاضره وحده شهادة نشاطه ، ودليل قوته ، ووثيقة تقدم عهـــده معماريا وهندسيا وفنيا ـ وجميعها استغلت خدمة للعمل الاعلامى ـ وانما يقدم ذلك الى الحاضر ، والمستقبل معا ، القريب والبعيد ·· أى أنه يقدم ما يعرف الأجيال والعصور والحقب الكاملة بكل هذه الأعمـــال ·· ويزيد من ذلك أهمية ، عندما نضعه فى اطار الرغبـــة فى « الخـــلود » التى كان الملوك يحرصون عليها كل الحرص ، مما سنتوقف عنده فى موضع آخر باذن الله ، وربما يكون ذلك هو ما عنته مؤلفة فى المصريات عندما تساءلت فى كتاب

مبسط لها : « ٠٠ ولكن كيف يمكننا أن نعلم بأحداث الحيـــاة اليومية عند هؤلاء الناس الذين عاشوا في تلك الأزمان البعيدة ؟ » (٣) ٠٠٠ تقصد بذلك بدون مثل هذه التسجيلات التي قدمت لنا المعرفة عنهم ، وحققت لهم « خلود الذكر » ٠٠ في الوقت نفسه ٠

٥ ـ كذلك فان الملك كان يعرف أن معنى قيامه ـ بواســـطة أعـوانه ومخططيه ومنفذيه ـ بمثل هذه الأعمال ، في جانبها الديني المهم ، في تشييد المعابد وما يتصل بها من أعمدة ومسلات ، وما عليها من رسوم ونقـــوش دينية ٠٠ معنى قيامه بها ، يعنى قيامه بواجباته الدينية ، التي ترفع من قدره في نظر شعبه ، انه الملك المتدين ، الذي يحترم « الآلهة » ٠٠ ويحرص على تقديم فروض الولاء والطاعة لها ٠٠ بالاضافة الى ما يعنيه ذلك من اظهار اتجاهاته الدينية ، مما يرفع من قدره في نظر قوة مؤثرة كبرى ٠٠ الكهنة انفسهم ٠٠ وأخيرا ان ذلك يؤكد أنه « ابن الاله » ٠٠ ثم « الاله » نفسه ٠

٦ ـ وبعض الملوك كان يقوم بعمل المعابد ، والهياكل والجدران ، من أجل تخليد ذكر الملوك السابقين عامة وأبائه خاصة ٠٠ وحيث كان ذلك يعني :

ـــ تخليد ذكر الملكيات السابقة عامة ٠

ـــ حتى يفعل ذلك غيره بالنسبة له ٠

ـــ كمزيد من التودد والتقرب الى الشعب حيث يبدو أمامه محافظا على مجد وتراث الأجداد ٠

ـــ ربط شعبه بنسب هؤلاء وتوضيح مسرى الدم الملكي في عروقه ٠

ـــ كجانب ديني ٠٠ لأن هؤلاء الملوك الأجداد الذين حـــرص على الحفاظ على ذكراهم خاصة في « مسارد الملوك » ٠٠ كانوا ـ حسب المعتقد المصري ـ قد ورثوا الحكم عن الالهة ٠٠ أي أنه هو الآخر يستند في حكمه الى ذلك المعتقد ٠

٧ ـ كجانب من استعراض قوته ، وارهاب أعدائه في الداخل والخارج ٠٠ انه الفرعون القوي الذي يستطيع أن يفعل كل ذلك ٠٠ أن يقيم كل هذه الهياكل والدور والقصور والمعابد التي تمثل عندنا « وسائل أو وسائط أو أدوات اتصال » ٠٠ وياله من « استعراض تاريخي » ٠

٨ ـ استمرارا لفكرة « **الايمان بالبعث** » ٠٠ والخلود ، وتأكيدا لهذه الفكرة ، وشاهدا على حفاظه عليها ٠

٩ ـ **جانب تسجيلى بحت** ٠٠ حيث يريد الملك أن يسجل أعماله ، كبيرة وصغيرة ، فى المجالات المختلفة ، حتى يمكن الاحتفاظ بها الى أطول فترة ممكنة ، ووضعها أمام الناس والاجيال والتاريخ نفسه ، كما هى ، وعلى حالها من الوضوح ، والبروز ، والانتشار ٠

١٠ ـ كذلك ، فان فى وجود مثل هذه الأعمال الاعلامية على اختلافها ما يؤكد على أن عهد هذا الفرعون أو ذاك كان يسوده الأمن ، وحسن النظام، والرفاهية ، والوحدة الاقليمية ٠

١١ ـ ٠٠ وهو دليل أكيد ، وصادق على **رقى العلوم** خاصة الهندسية والمعمارية ، والآداب ، والفنون بأنواعها ،وأساليبها المختلفة ٠٠ بل ودليل على توافر الخبرات الفنية العديدة ، والعاملة فى صدق ، والمبدعة والمبتكرة٠

١٢ ـ وهو ـ العمل الاعلامى ـ دليل أكيد على عدة أمور أخرى تتصل بفرعون أو آخر ، من بينها :

ـــ فهمه للعمل الاعلامى وأهميته ٠

ـــ ذكاؤه الخاص ، والاجتماعى ، والاتصالى ٠

ـــ حب الشعب له ، واخلاصه ووفائه لقائده (بعضها أقامه موظفوه وأتباعه حبا فيه) ٠

ـــ حسن استخدامه لسلطاته ، وتوظيفه للامكانيات القائمة ، والمتاحة ٠

١٣ ـ ٠٠ وقد وجدت كذلك أن بعض الملوك الذين اهتموا بالاعلام عن وجودهم ، وعن فترة حكمهم ، قد اهتموا به ، الى جانب عدد كبير من الأسباب السابقة ، لسبب مخالف وجدوه مهما ، بل هو مهم فعلا٠٠وان كانت هذه الأهمية تختلف من ملك لآخر ، بل تكاد تمثل الوجه الآخر من الصورة :

ـــ فبينما نجد أن هناك بعض الملوك الذين اهتموا بهذا النشاط ضمن

أسباب أخرى عديدة ، قد حرصوا على بيان أنهم من الملوك أبناء الملوك، وأحفاد الملوك أيضا ، أى أن الدم الملكى يجرى فى عروقهم تماما ، وحتى « الجد السابع » كما نقول ٠٠

ـــ نجد أن البعض الآخر ، لم يكن من هؤلاء ، وانما كان من طبقة أخرى . هى فى أغلب الأحوال الكهنة ، أو قادة الجند ، لكنه حتى يكون منصبه مشروعا ، فانه كان يسرع بالزواج من احدى أميرات البيت المالك ، **فيبرر بذلك وجوده على العرش** ، ومن ثم يصبح مقبولا فى نظر الشعب ، وقد يسعى الى تزويج أخ له ٠ أو ابن له من أميرة أخرى ، كمزيد من التبرير ٠٠ وهنا يكون حرصه بالغا على ثبت ذلك فوق الجدران والأعمدة ٠٠ وما اليهما ٠٠ أى « يعلم الشعب والحاضر والمستقبل » ٠٠ بانه لـم ينتزع ملك مصر عنوة ٠٠ وانما عن طريق عمل مشروع ٠٠ هو انتسابه أو مصاهرته للبيت الملكى ٠

المبحث الثانى

مســتويات الاعــلام الملكى

٠٠ ومع ذلك كله . فان **هذه المعرفة لم تكن واحدة فى جميع الأحوال ، وبالنسبة لجميع هؤلاء** ، بل انه ليمكننا من خلال استقراء صفحات التاريخ المصرى القديم ، وتطبيق المعايير والمقاييس الاعلامية الصــــحيحة ، وليس النظر الى جانب حجم الآثار المتخلفة فقط ، أو ضخامتها وحـــدها ، أو « شهرة » الفرعون ، أو الآخر ـ وعلى الرغم من أن ذلك لابد من وضعه فى الحسبان ـ أقول ، من خلال تطبيق المقاييس الاعلامية التى تستطيع أن تحكم بتوافر خصائص ومقومات « الاعلامى » ٠٠ أن نقسم ملوك مصر ، بالنسبة لموقفهم الاعلامى أو من هذا العمل معرفة وفهما وحرصا وتوظيفا واستثمارا للنتائج الى هذه الأقسام أو المجموعات الملكية نفسها التى نفضل قبل تناولها وشرحها والقاء الضوء عليها ، أن نقدمها فى هذا الجدول حتى تسهل المقارنة بين مجموعة وأخرى ٠٠

مستويات الاعلام الملكى

المجموعة الأولى ٧٥٪ فاكثر	المجموعةالتانية من ٥٠٪الى٧٥٪	المجموعة الثالثة من٢٥٪الى٥٠٪	المجموعة الرابعه اقل من ٢٥٪
العقرب : بى (قبل الأسرات)	اتى ٢ (حبر) ــ خاستى دن ــ	بى ١ واجيت (أسرة ١) ٠	مربى باعزريب ــ ارىنترسمرخت
نارمر (منا) ــ اتى ١ (عحا)	قاع سنى (أسرة ١) ٠	حـوتب (حتب ســـخموى) ٠٠	(أ٠ ١٠) ٠
اسرة (١) ٠	برى اب سن (أسرة ٢) ٠	(أسرة ٢) ٠	حتب نبوى امف (أ٠ ٢) ٠
زوسر ١ (أسرة ٣) ٠	منقرع (أسرة ٤) ٠	ســـخم خت ــ خـــورس خع با	سانخت ــ نب كاورع (أسرة ٣)
سنفرو ــ خوفو ــ خفرع (أسرة٤)	ساحورح ــ نفراركارع ــ جدكارع	(أسرة ٣) ٠	شبسكارع ــ نفرف رع (أ٠ ٥)
أوناس (أسرة ٥) ٠	أسيس (أسرة ٥) ٠	حورددف شبسكاف (أسرة ٤) ٠	نفركارع نبى (أ٠ ١٠) ٠
منتوحتب (أسرة ١١) ٠	ببيى ١ (أسرة ٦) ٠	أوسركاف ــ نى وسررع(أسرة٥)٠	انيوتيف٣ ــ منتوحتب١ (أ٠ ١١)
سنوسرت ١ ــ امنمحات ٣ (أسرة	اختوى ٤ (أسرة ١٠) ٠	مرى ان رع١ ــ ببيى٢ (أسرة٦)٠	امنمحات ٤ (أ٠ ١٢) ٠
١٢) ٠	انيوتيف٢ــ منتوحتب٣ (أسرة١١)	اختوى ١ (أسرة ٩) ٠	سعنخ تاوى ــ خـــع كم رع ــ
أحمس ــ حتشبسوت ــ تحتمس ٣	امنمحات١ ــ سنوسرت٣ (أسرة١٢)	اختوى ٥ (أسرة ١٠) ٠	سواج ان رع ــ ندسى (أ٠ ١٣)
امنحتب٢ ــ تحتمس٤ ــ اخناتون	امنحوتب١ــ تحتمس١ــامنحتب٣ــ	انيوتيف١ ــ منتوحتب٤(أسرة١١)	ابيبى ــ ابيبى ٢ (أ٠ ١٥) ٠
(أسرة ١٨) ٠	توت عنخ آمـــون ــ حورمحـب	امنمحات٢ ــ سنوسرت ٢ ــ سوبك	آى (أ٠ ١٨) ٠
سيتى ١ ــ رمسيس ٢ (أسرة١٩)	(أسرة ١٨) ٠	نفرو (أسرة ١٢) ٠	تاوسرت ــ رمسيس سى بتـــاح
رمسيس ٣ (أسرة ٢٠) ٠	رمسيس ١ (أسرة ١٩) ٠	خنجر ــ حوراواب (أسرة ١٣)٠	(أسرة ١٩) ٠
شيشنق ١ (أسرة ٢٢) ٠	أوسركـــون ٢ ــ شـــيشـنق ٣	خيان سا او سنرع (أسرة١٥)٠	رمسيس٧ ــ رم٨ ــ رم٩ ــ رم١٠
الاسكندر المقدونى ٠	(أسرة ٢٢) ٠	سقننرع ــ كاموس(أسرة١٧) ٠	(أسرة ٢٠) ٠
	بعنخى (أسرة ٢٥) ٠	تحتمس ٢ ــ سمنخ كارع(أ١٨٠)٠	بسوسينيس ٣ (أسرة ٢١) ٠

			المجموعة الرابعة
	بسمتيك ١ ـ نكاو ٢ (أسرة٢٦)٠ دارا الثالث ٠	منفتاح ـ سيتى ٢ (أسرة ١٩)٠ رمسيس٤ـ رمسيس٥ـ رمسيس٦ رمسيس ١١ (أسرة ٢٠) ٠ سمندس ـ حريحور ـ بسوسينيس بينزم ـ أمنأم ابت ـ سيامون ـ بسونيس ٢ (أ٠ ٢١) ٠ أوسركون ١ ـ تاكليوت ٢ ـ شيشنق ٤ (أ٠ ٢٢) ٠ بادوباست ـ أوسركون ٣ (أ٠٢٣) تف نخت ـ بكوريس باك ان رنف (أ٠ ٢٤) ٠ شاباكا ـ شبتكو ـ طهرقا ـتانوت أمانى (أ٠ ٢٥) ٠ بسمتيك ٢ ـ أحمس ٢ أمازيس (أ ٠ ٢٦) ٠ اكوريس هكر (أ٠ ٢٩) ٠ نخت نبف ـ نختنبو٢ (أ٠ ٣٠) بطليموس ١ ـ بطليموس ٤ ـ كليوباترة ٧	تاكليوت١ ـ شيشنق٢ (أسرة٢٢) تاكليوت٣ـ رودآمون ـ أوسركون٤ شيشنق ٥ (أسرة ٢٣) ٠ واح اب رع ـ بسمتك ٣ (أ٠ ٢٦) آمون حر (أ٠ ٢٨) ٠ نفتيس ١ (أسرة ٢٩) ٠ جدحر (أسرة ٣٠) ٠ ارتاجزر كسيس أرسيس ٠ البطالمة (٢ ـ ٣ ـ ٥ ـ ٩ ـ ١٣)

مستويات اعلامية واضــواء عليها :

٠٠ وقبل أن نتحدث تفصيلا عن هذه المستويات الاعلامية الأربعة ، والتى تمثل مواقف ملوك مصر القديمة من الاعلام ، ودرجة معرفتهم به ، وتوظيفهم له ٠٠ نقدم هذه الاضافات الشارحة فى مجموعها :

ـــ أننا نذكر هنا أبرز الملوك فقط ، وليس كل الملوك ، كما نشير الى غير المصريين أيضا ممن كانت لهم آثارهم الاعلامية ٠٠

ـــ أن الزاوية المهمة التى تعتبر مقياسنا الأول هنا ، والذى كان اعتمادنا عليه قبل غيره ، هى الزاوية الاعلامية ، بكل ما يتصل بها ، وان امتدت الى جوانب أخرى ، فان ذلك يعتبـــر امتدادا له مبرراته ودوافعـــه الاعلامية أيضا ٠٠

ـــ أنها تخضع كذلك ، لرؤيتنا الذاتية ، ووجهة نظرنا الخاصة فى ما قدمه هؤلاء من آثار باقية ٠

ـــ أن المجموعة الأولى هى تلك التى نرى ونعتقد ونزعم أيضا أن ملوكها قد عرفوا العمل الاعلامى ومارسوه ووظفوه بنسبة تزيد على ٧٥٪ ، وأن المجموعة الثانية تمثل من عرفه من الملوك ومارسه بنسبة تتراوح بين ٥٠٪ و ٧٥٪ ، والثالثة بنسبة تتراوح من ٢٥٪ الى ٥٠٪ ، والرابعة لأقل مـــن ٢٥٪ ٠

ـــ ولكن ٠٠ حتى هذه المجموعات أيضا ، فان بعض الملوك التابعين لها ٠ لمجموعة أو لأخرى منها ، لم يكونوا على درجة واحدة تماما ، فمثلا بالنسبة للمجموعة الأولى كان هناك من عرف ووظف الاعلام بدرجة ٧٦٪ مثلا ، وهناك من عرفه منهم بدرجة ٩٠٪ ٠٠ وبالنسبة للمجموعة الأخيرة هناك من عرفه بنسبة ٥٪ فقط أو ١٠٪ فقط ٠٠

ـــ ومع ذلك كله ، فاننا نقول ما يردده علماء الآثار ، من أن الصورة دائما تظل ناقصة ، وأن علينا أن ننتظر ، ننتظر ماذا ؟ ٠٠ ننتظر نتائج اليوم والغد ، فلربما دفعت بأحد هؤلاء من مستوى الى آخر أكثر ارتفاعا ، أو

قدمت لنا ملكا جديدا ، لا نعرف عنه شيئا يكون أكثر من غيره معرفة بالعمل الاعلامى ، وتوظيفا له ٠٠

١ ـ المجمـــوعة الأولى

٠٠ وهى تلك التى نزعم بأن ملوكها ، والمنتسبين اليها من فراعنة مصر قد عرفوا العمل الاعلامى ومارسوه عن فهم طيب بامتداداته ، وفروعه ، وأنماطه وأساليبه المختلفة والى درجة تثير عجب الباحث الاعلامى ، بل ان بعض هؤلاء كان يحظى ـ كما تدل على ذلك آثاره ـ **بحس اعلامى متميز من زاوية اختيار الوسيلة ، والموقع ، والمناسبة وبعضهم أضاف اليها حسن اختيار القالب أو النمط الفنى المعبر** ٠٠ والأسلوب المـــلائم لمقتضى الحـــال « الاعلامى الاخبارى هنا » ٠٠ والى الدرجة التى لابد من الاعتراف بسبقها وجدارتها ، وبأنها كانت تنطلق من فكر اعلامى فريد ، يقوم على أساس من موهبة جديرة بالاحترام والتقدير ٠٠ حتى بمقاييسنا الحالية ٠٠

●● وقد يقول قائل ٠٠ ولكن من أدرانا بأن هـــذه الأعمال التى تعرف لأصحاب هذه المجموعة ، من بنات أفكارهم الخاصة ، وليست من بنات أفكار وزرائهم وكتابهم ؟

ويأتى الرد سهلا ٠٠ ومن عدة زوايا أيضا :

ـــ لأن هؤلاء كانت لهم ألوان نشاطهم الفريدة والمتميزة فى المجالات الأخرى مما يجعل العمل الاعلامى الناجح متوقعا منهم ، ومقبولا أيضا ٠

ـــ ولأن أحداث فترة حكمهم تؤيد هذا التمييز فى الفكر العام والفكر الاعلامى جزء منه ٠

ـــ لأن لبعضهم ـ ولا أقول كلهم ـ مجالات نشاطه الأخرى التى عرف بها ، والتى جاءت قريبة جدا من المجال الاعلامى لا ســـيما النشاط العسكرى والفنى والأدبى ٠

ـــ لأن وزراءهم وكتابهم كانوا يأتمرون بأمرهم فى معظم الأحوال، ومنطق الأمور يقول أن أمثال هؤلاء الملوك ، لو لم يوافقوا على قيام هذه

الأعمال ، لرفضوا ذلك ، ولما أصبحت قائمة شاهدة للعيان على موافقتهم على اقامتها ..

— ولماذا نستبعد أن يكون بعضها من أفكاره الملوك الخاصة ، لاسيما وأن تربيتهم ، منذ ولادتهم وفى فترة النشأة الأولى ، ومرورا بفترة الصبا . كانت تربية ملكية فريدة تتيح بذر بذور مثل هذه المواهب كلها ، فى نفس وصدر وفكر الأمير الصغير .. حتى اذا كبر ، كبرت هذه معه ، وصاحبته فى سنوات حـــكمه ؟

— ان من الثابت فعلا والأمر كذلك ، أن الملوك ـ من هذه الطائفة أو المجموعة ـ كانت تتمتع بقوى تتفوق بها على كثيرين غيرها .. وكثيرا ما جمع بعضهم بين القوة الجسدية والروحية والفكرية فى آن واحد.. مما أتاح له أن يفعل الكثير ، وأن يحقق شهرة واسعة .. لم يتح لغيره تحقيقها.

— ثم ان الملك يطبع من حوله بطابعه ، وتترك أفكاره ومواقفه ، ومواهبه أيضا ، بصماتها على فترة حكمه كلها ، بمن فيها وما فيها ، ومن الطبيعى أن يمتد تأثيره أولا الى القريبين منه .

— ولو لم يعرف هؤلاء ، أن الملك راض تماما عن مثل هذه الأعمال، لما أقدموا عليها ، وتفننوا فيها (هل يعقل أن يكون زوسر غير راض عن اقامة ايمحوتب لهرمه ، وأنه بناءه قد تم على غير رغبته مثلا ؟) (*) .

— ثم ان منطق الأمور نفسها ، والطبيعة البشرية ذاتها ، تقول أنه كان مشجعا على قيام مثل هذه الأعمال كلها ، ومنها العمل الاعلامى ، الذى يعرف به الحاضر ، والمستقبل ، وهل هناك من يرفض ، والملوك مهما قال أتباعهم عنهم ، أو قالوا هم أنفسهم .. بشر أولا .

(*) قدمنا العلاقة بين زوسر ووزيره الاشهر « ايمحوتب » على سبيل المثال ، ولكننا فى بحثنا عن موضوع آخر عدنا لنقرأ قول عالم المصريات (د. أحمد فخرى) . مما يعتبر تأييدا لكلامنا عن مقدرة بعض الملوك عامة ، والمثال هنا بزوسر نفسه أيضا، عدنا لنقرأ قوله : « لو لم يكن زوسر عظيما واسع التفكير لما تمكن ايمحوتب من تحقيق كل ما حققه) .. أنظر أحمد فخرى ، مصر الفرعونية ، ص ٩٥ .

— ثم انه كان هناك ما يكتب ، كان هناك المضمون الحالى الاخبارى أو التوجيهى أو الارشادى أو غيره من المضامين ، كان هناك ما يقال ، مما يستحق ويستأهل التسجيل والثبت والنشر والذيوع والاشادة أيضا ٠٠

●● **لكن السؤال الأهم هو ذلك الذى يقول : بم تفوق هؤلاء على غيرهم ؟ وما أهم معالم هذا التفوق ؟** ٠٠ أو فى أسلوب آخر ٠٠ لماذا كان هؤلاء بالذات ضمن هذه المجموعة الأولى التى نقول أن ملوكها قد فهموا الاعلام أكثر من غيرهم ، ووظفوه ، ومارسوه بدرجة تؤهلهم لأن يكونوا دون غيرهم ، فى هذا الموقع المتميز ؟ ٠٠

واذا كنا قد أشرنا فى السطور القليلة السابقة ، الى عدد من أسباب حصولهم على هذه المكانة ، والى جانب من دواعى وضعهم فى هذه الدرجة فاننا نضيف هنا ، هذه الاسباب والدواعى العديدة الأخرى ومنها :

— أن أكثر هؤلاء قد طغى حرصهم على التعريف بأنفسهم وأعمالهم المتنوعة خاصة الدينية والعسكرية على ما عداه من أنشطة أخرى مدنية الطـــابع ٠

— وأنهم كانوا أكثر من غيرهم حرصـــا على الاهتمام بالكتاب والفنانين وما يستتبع ذلك من أعمال شديدة الصلة بهذين ٠

— أن المعالم الاعلامية العديدة التى تركها هؤلاء ، تؤكد هذا السبق الذى تميزوا به ، وذلك من حيث الكثرة ، والتنوع ، والوضع فى الأماكـن المهمة ، والافادة من الفرص المتاحة ، ومن المناسبات الدورية بالاضافة الى ما استخدموه من عوامل « لفت الانظار » واستقطاب الفكر الى آثارهم ٠

— أن المضمون الاعلامى نفسه كان أكثر وضوحا ، وأشد بروزا عند هؤلاء ، أكثر مما هو عند غيرهم ٠٠ بما يؤيد وجود الحس الاعـــلامى والدعائى المتميز لديهم وبدرجة تفضل وجودهما عند أصحاب المجموعات التـــالية ٠

— بل وصل الأمر عند بعضهم ، الى حرصهم الشديد على أن يعرف الناس كل شىء عنهم وعن نسبهم وولادتهم ثم أعمالهم المختلفة ، وبدرجة قد تتفوق علي ما قاموا به على أرض الواقع الفعلى نفسه من أعمال ٠

ـــ وصحيح أن بعضهم كان على غير هذه الدرجة المتميزة أو لم يقدم لنا من الأعمال ما يوازى عددا من الملوك الاخرين ــ **الملك العقرب مثلا** ــ على الرغم من وضعنا له فى هذه القائمة ٠٠ لكن قدم عهده والفترة الزمنية التى عاشها يشفعان له ويؤيدان وضعه فى المجموعة الأولى على الرغم من القليل الذى قدمه ٠٠ وهو ما يصدق بدرجة أخرى على الملكين التاليين فى هذا الجدول ٠٠ « نارمر ــ وعحا » ٠٠ لقد كان وضعهم فى هذه المجموعة ليس بسبب حسهم الاعلامى فقط أو توظيفهم للعمل الاعلامى وحده ، وانما فى ضوء الفترة التى وجدوا بها ٠٠ مما ارتفع بهم وبأعمالهم القليلة ــ وان كانت كبيرة الأثر ــ الى مصاف الملوك من أعضاء هذه المجموعة الأولى ٠٠ ولو لم يترك « مينا ــ نامر » سوى لوحه المعروف باسمه ، والذى يعود الى عام ٣٢٠٠ ق٠م ، لكانت له مثل هذه المنزلة الاعلامية الرفيعة ٠

بل ان بعضهم بما قدمه ، وما أبداه من حس اعلامى ودعائى ، ليصلح لأن يكون موضوعا للدرس بكليات أو معاهد ومدارس الاتصال والصحافة المختلفة ٠٠ حيث يفيد الطلاب منها كثيرا ، تماما كما تدرس بعض أعمالهم العسكرية فى المعاهد المتخصصة٠٠وأخص من هؤلاء بالذكر ــ من الاعلاميين ــ **« ز وسر ــ خوفو ــ أوناس ــ مونتو حتب الثانى ــ امنمحات الثالث ــ أحمس الأول ــ حتشبسوت ــ تحتمس الثالث ــ اخناتون ــ رمسيس الثالث »** (*) ٠

ـــ على أنه كان لاعلام هؤلاء بعض الجوانب « السلبية » ٠٠ على الواقع الاعلامى كله مما سنتناوله فى موضعه باذن الله ٠ ٠من خلال وجهة نظر محايدة تماما ٠

٢ ــ المجمـــوعة الثـــانية

٠٠ وهى التى عرف أفرادها ــ من الملوك ــ الاعـــلام ، وخبروه ،

(*) كان من المفروض أن نتوقف عند هؤلاء ، أو عند بعضهم لبيان ما قدموه من أعمال لها طابع اعلامى ، لكننا رأينا أن ذلك هو ما ســـوف يقدم بشكل أو بآخر ويتناوله الحديث خلال صفحات قادمة وعديدة ، ومن ثم وحتى لا يحدث بعض التكرار، وحتى لا يطول حبل الكلام أكثر من ذلك ، فاننا قررنا الاكتفاء بالاشارات العديدة ، القادمة باذن الله ٠

ووظفوه ، وكانت لهم فيه بعض الجهود والاعمال الطيبة ، التى تؤهلهم لأن تضعهم فى تلك المجموعة التالية وصحيح أن بعضهم له من الآثار ما قد يتفوق به على عدد من الذين وردت أسماؤهم فى المجموعة السابقة الأولى ، المتميزة ، ولكن المسألة ليست مسألة آثار فقط ، وانما هو حاصل ضرب :

الفترة الزمنية + الهدف الاعلامى + الحس الاعـــلامى المبتكر + وجود ما يقال ··

ومن ثم فاننا نستطيع أن نقول أن هؤلاء فى مجموعهم ، قياسا الى أعضاء المجموعات الأخرى :

—كانوا أقل درجة من أصحاب المجموعة السابقة فهما للاعـــــلام وتوظيفا له ·

— وأكثر درجة بالنسبة لأصحاب المجموعة التالية ·· الثالثة ·

— وهم أيضا الذين تتراوح معرفتهم بالاعلام ، واستخدامه والحرص عليه الى ما بين ٥٠٪ و ٧٥٪ ·

— كذلك فاننا نلاحظ أن بعضا مما سبب وجودهم فى هذه المجموعة وليست المجموعة السابقة ، أن عددا منهم لم يكن الهدف الاعلامى واضحا كل الوضوح عندهم ، وأن البعض لم يكن الاعلام من مبتكراته الخاصة ، وانما جاءت أعمالهم ذات الطابع الاعلامى أعمالا « تقليدية » · ·والتقليدية هنا ليست بمعناها الشائع الاستخدام ·· كعمل روتينى متكرر ، وهو ما ينطبق على بعض ملوك المجموعة الثالثة ، وانما بمعنى تقليد ملك من الملوك أو بعض الملوك السابقين عليه ، ومحاكاة أعمالهم ، دون وضوح معالم الابتكار والتجديد ، شكلا ومضمونا ، وهى المعالم التى كانت احدى ركائز التفوق عند أفراد المجموعة السابقة ··

— وصحيح أننا لا ننفى صفة التقليد أو المحاكاة بالنسبة لأفراد المجموعة الأولى نفيا كاملا ، فالبعض منهم كان مقلدا ، ومع ذلك ، فأنت تحس أن هناك هذه الزاوية الجديدة ، اللمحة المبتكرة ، فى أعمالهم الانشائية والفنية عامة ، وما يحتفظ منها ببعض الملامح الاعلامية خاصة ·

ـــ لكن ليس معنى ذلك أن أعمال هؤلاء ، خاصة من ذات الطابع الاعلامى قد خلت من ملامح الابتكار فهى موجودة ، ولكن بنسبة أقل من وجودها عند سابقيهم ، نعم ، انها موجودة بنسبة طيبة ·· ومعقـولة ·· صالحة للبحث والدرس أيضا ·

ـــ وربما كان خير مثال لملوك هذه المجموعة الثانية الملك « منكاو ـ رع ـ منقرع) ··· فهو : سياسيا بدأت فى أيامه قوة ملوك الأسرة الرابعة فى الضعف ·· ومن حيث « الرموز » المعمارية والانشـــائية والاعــلامية والدعائية ـ معا ـ نجد أنها أقل مستوى مما قدمه خوفو وخفرع (معبد الوادى والمعبد الجنائزى ومجموعات التماثيل ونقوشها) ·· وأما أكبر هذه الرموز ـ الهرم الثالث ـ فانه يعتبر مثالا لـ : « التقليدية » ·· بالمعنى الذى أشرنا اليه من قبل ·· بل انه وكما يقول أحد رجال الآثار : « ·· بالرغم من أن منكاورع حكم أكثر من واحد وعشرين عاما ـ وربما امتد حكمه الى ثمانية وعشرين عاما ، فانه لم يستطع أن يتم تشييد هرمه الصـــغير أو معبده الجنائزى أو معبد الوادى الخاص به وقد قام ابنه شبسكاف بذلك الواجب » (٤) ·· كل ذلك ، مقابل ما عرف عن الرموز الاعلامية لخوفو ، ولخفرع ، ليس فقط من ناحية ضخامة البناء ودلالاته الدعائية ، ولكن الفكر الجديدة ، والنقوش المتصلة بالاعلامين الدينى والدنيـــوى ، وحتى بعض وجوه الاعلام الشفهى التى جرت وقائعها فى عصريهما ·· وقد يقول قائل : ألم يكن خفرع مقلدا ؟ وأقول ولكنه أحسن التصرف ونفذ من زاوية جديدة ·· وأضاف الجديد ، ومن ذلك مثلا :

ـــ أن مجموعته الهرمية كانتأكمل المجموعات فى « جبانة الجيزة » بل وأكمل من مجموعة خوفو نفسه ·

(*) لا أميل كثيرا الى اعتبار أن السبب هو نفسه الذى ذكره الكهنة لهيرودت عن ظلم كل من خوفو وخفرع للشعب وارهاقهما لخزانة البلاد من أجل بناء هرميهما ومقابر موظفيهما ·· أو حكاية « السخرة » ·· فلا شك أن هناك جوانب من الفائدة التى عادت على العاملين الذين كانوا يعانون من البطالة وقت الفيضان كما أنه لو كان الامر صحيحا لاتم خفرع هرمه الصغير ، ببساطة وفن معا ، ولكن ذلك لم يحدث ·· وحتى معبد الوادى فقد كان أكثره مشيدا من الطوب اللبن ·· فهل هو التقشف من بعد الاسراف ؟ ·· أعتقد أن فى الامر بعضا من قلة الاهتمام بالجانب الاعلامىوالدعائى·

ـــ أن هرمه أو أكبر رموزه الانشائية والاعلامية والدعائية لا يقل ارتفاعه كثيرا عن هرم أبيه امعانا فى لفت الانظار ووجود الجانب الدعائى ٠

ـــ وأكثر من ذلك . فقد شيده على ربوة عالية ، مما يجعله يظهره وكأنه أكثر ارتفاعا من هرم خوفو على سبيل لفت الانظار اليه ، وتحقيق الهدف الدعائى نفسه ٠

ـــ كما ظهرت النقوش العديدة الدينية والدنيوية عليه وعلى المعبدين (الجنائزى والوادى) ٠

ـــ وعلى بعض أعمدة هذين المعبدين ظهرت النقـــوش والكتابات العديدة المتصلة بهذا الملك ، وبعدد من السابقين ٠

ـــ وتقدم الفن « التعبيرى » فى عهده ، وهو فن واقعى شديد الصلة بالجانب الاعلامى ، وأبرزه ما كان متصلا بالصور والرسوم ونحت التماثيل المختلفـــة ٠

ـــ ثم استغلال الصخرة « الناتئة » التى كانت تشـوه المكان ، وتحويلها الى تمثال « أبى الهول » رأس خفرع وجسم أسد ، والجمع بين القوة والعقـــل ، بكل ما يعنـــيه ذلك من فهم للجانب الاعـــلامى ، حتى الرمزى منه ٠٠

٠٠ ومن أجل هذه وغيرها ، استحق « خفرع » أن يكون بين ملوك المجموعة الأولى ، واستحق « منقرع » أن يكون بين ملوك المجموعة الثانية ٠٠ بل ربما كان فى مؤخرة هؤلاء (*) ٠

٢ ـ المجموعة الثـــالثة

وهى الخاصة بالملوك من أصحاب « **المستوى الثالث** » من مستويات

(*) أوشكت فى بعض الاوقات أن أضع « منكاورع » بين ملوك المجموعة الثالثة لتواضع وجوده الاعلامى ، بينما كان أمامه تراث كبير يمكنه أن يفيد منه وأن يضيف اليه ٠ ولكن يبدو أن المناخ لم يساعده على ذلك تماما ، وأنه هو نفسه لم يكن باستطاعته ذلك ، ولم يكن يقدر عليه أيضا ، بنفس الدرجة التى استطاعها وقدر عليها خوفو ، ومن بعده خفرع ، وهكذا ، ومن ثم كان أن جاء فى ذيل المجموعة الثانية ٠

المعرفة بالاعلام ، والفهم له ، واصطناع أساليبه المختلفة ٠٠ أى أنهم أقبل درجة من أصحاب المجموعة الثانية أو المستوى الثانى ، وكذا أقل درجتين من أصحاب المجموعة الأولى ، أو المستوى الأول ٠٠ وحيث تبتعد المسافة بين كل مجموعة وأخرى ٠٠ وفى أسلوب آخر ، وباستخدام نسب المعرفة المئوية ، نجد أن هؤلاء هم الذين تتراوح نسبة معرفتهم وممارساتهم الاعلامية بين ٢٥ ٪ و ٥٠٪ ٠٠ أى أن البعض منهم على درجة لا بأس بها من هذه المعرفة ٠٠ ثم تواصل الدرجة أنخفاضها عند البعض الاخر تدريجيا حتى لتصبح متواضعة عند البعض الآخر ، ٣٠٪ الى ٣٥٪ مثلا ٠٠ ثم شديدة التواضع بحيث تكاد تقف عن قرب كامل من المجموعة الرابعة ، تلك التى هى أقل المجموعات معرفة بالاعلام ، وممارسة له ٠٠

أما أبرز مظاهر اعلام هذه المجموعة ، والتى كانت السبب فى وضعها فى هذا الجانب ، وليس فى مجموعة أكثر تقدما ٠٠ فهى :

ـــ أن من الواضح أن هؤلاء ـ بسبب ظروفهم والمناخ القائم حولهم ولطبيعتهم أيضا ـ لم يحاولوا أن يضعوا العمل الاعلامى فى فكرهم بشكل كامل ، ولم يحاولوا أن يقدموا فى سبيله ما يستحق من عناية ، ومن ثم كانت النتيجة من جنس العمل ٠

ـــ ومن هنا ، فانه لم يوجد ذلك العمل الاعلامى البارز الذى يمكننا أن نستند اليه وأن نعطى صاحبه هذه الدرجة المرتفعة التى كانت كفيلة بنقله من هذه المجموعة ، الى الثانية أو الاولى ، أقول لم يوجد ، الا : بصفة نادرة، ونادرة جدا ، بل تكاد تكون شاذة والشاذ هنا لا حكم عليه ، بل ان ذلك ليمتد الى جوانب عديدة تتصل بأهم معالم العملية الاعلامية ككل ، وبجانبى الشكل والمضمون فى المحل الأول ٠

ـــ بل لقد أسفر ذلك عن قلة وجود « الرمـــوز » و « الصـــور » و « الاشارات » و « الملامح » المتصلة بواقع الاعلام عند هؤلاء ، من أفراد المجموعة الثالثة ٠٠ حيث لا ترى ـ اللهم الا قليلا جدا ـ أثرا ملحوظا لملك ، أو أمير ، أو وزير ، أو قائد على هذا المستوى الاعلامى ٠

ـــ وحتى عندما كانت هذه الرموز والصور الاشـــارات والملامح الاعلامية توجد ، فقد كان وجودا غير واضح تماما ، كعهدنا بها عند أصحاب

المجموعتين السابقتين ، وكان وجودا قلقا ٠٠ مترددا ٠

ــ بل ان معظم هذه الرموز ، كانت تتم بصورة تقليدية ، روتينية ، رتيبة ــ ما يتم خلال الاعياد مثلا ــ دون تجديد أو ابتكار ، أو ظهور ما يلمح الى وجود موهبة اعلامية ، جديرة بالتوقف عندها ، نعم ، كان أكثرها تقليديا، ومقلدا ٠٠ فى نفس الوقت ٠٠

ــ وحتى هذه الأعمال القليلة التى أظهرت درجة عالية من الفن ٠٠ فاننا نجدها « **للعرض الفنى الجمالى** » فقط ، بينما خلت أو كـادت ، من المضمون الاعلامى ، الاخبارى ، أو التفسيرى ، وذلك فى معظم الأحوال والصور أيضا ٠

ــ ومن الملاحظ كذلك ، أن أصحاب هذه المجموعة ، اما أنهم قد وجدوا فى فترة قلق واضطراب سياسى أو دينى ، مما انعكس على واقعهم وحياتهم ، واما أنهم كانوا من الملوك الضعاف سياسيا ، وأما الفئة الثالثة ، فهم الملوك من غير المصريين ، فى أغلب الأحوال ، وليس كلها حيث كان من بين ملوك المجموعتين الأولى والثانية بعض الملوك « المتمصرين » ٠٠ لكن أعمالهم أهلتهم لهذه المكانة الرفيعة ، فى دنيا الاعـلام القديم (شيشنق وبعنخى) مثلا ٠

ــ أو لأنهم حكموا وقتا قليلا ، ومن ثم فان فترة حكمهم القصيرة ، لم تتح لهم الفرصة كاملة ، لاظهار مدى ما يتمتع به أحدهم ، أو الآخر من حس اعلامى ، اللهم الا قليلا ، فكان موقعه ضمن ملوك هذه المجموعة الثالثة٠

لكننا بعد ذلك نقول ، أن هؤلاء ، كانوا ــ مع ذلك كله ــ أصحاب درجة ما من درجات المعرفة بهذا النشاط الفكرى ، الابداعى ، الفنى ، المتميز ، وأحيانا درجة لا بأس بها أيضا ٠٠ على الأقل ، أكثر مما عرفه أفراد المجموعة التالية ، تلك التى نتحدث عنهم بقولنا :

٤ ــ المجموعة الرابعـة

٠٠ وهى آخر المجموعات فى هذا الترتيب ، بمعنى أن ملوكها كانوا أقل مستوى من زاوية المعرفة ، « بالاعلام »٠٠ لا تزيد عن ٢٥٪ ٠٠وحتى هذه

الدرجة من ٢٠٪ الى ٢٥٪ ، لم تصل اليها غير قلة قليلة منهم ٠٠ بحيث أنه لا يوجد من ورائهم الا هذه الطائفة التى نزعم بأنها لم تعرف الاعلام على شكل من أشكاله التى تجعلنا نضعهم ضمن مجموعة من المجموعات ، أو على الأقل هذا ما نعرفه عنهم حتى الآن ومن ثم فانهم فى المرتبة صفر ٠٠ ان كان لابد من وضعهم فى موقع ما ٠٠

لكن أصحاب هذه المجموعة « الرابعة » قد عرفوا الاعلام ، على درجة من درجاته ، وتعاملوا مع بعض أنماطه وأساليبه ٠٠ لكن هذه المعرفة وهذا التعـــامل :

ـــ كان قليلا جدا ، وغير ملحوظ شكلا ومضمونا ٠

ـــ وقد حفل ـ فى حالة وجوده وعلى الرغم من قلته ـ بمعظم جوانب الضعف التى شهدها اعلام المجموعات الثلاث السابقة ٠

ـــ وكانت مستوياته ، متواضعة ، بل شديدة التواضع فى أحيان كثيـــرة ٠٠

فاذا عدنا نسأل عن أسباب ذلك ، لوجدنا أنها أسباب معقولة ، ومقبولة معا ، وتتصل عن قرب بالمؤثرات « العكسية » أو « السلبية » التى يمكن أن تصيب اعلام بلد من البلاد ، فى وقت من الأوقات ، وأبرزها على وجه التحديد:

ـــ أن بعض هؤلاء لم يعمر فى الحكم طويلا ٠٠ والى درجة ملحوظة٠

ـــ وأن بعضهم الآخر كان من الأمراء ، أو حكام الأقاليم الذين أعلنوا استقلالهم فى فترات الفوضى والاضطراب ، ومن ثم فقد جاء حكمه استغلالا لظروف سائدة ، وليس عن قوة حقيقية (اغتصاب للعرش) ٠

ـــ وأن بعضهم الثالث كان من غير أبناء مصر ، ومن ثم فقد كانت له اهتماماته الأخرى غير المرتبطة بالاعلام عن عهده ، أو تسجيل انتصاراته، أو حدبه على من سبقه من الملوك ، أو التقرب الى الالهة المصرية من زاوية الاعلام الدينى ٠٠ أقول بعضهم فقط ، لأننا شهدنا غير هؤلاء من غير أبناء مصر ، وقد اهتموا أيضـا بهذا الجانب ، وكان بعضـــــهم من المذكـــورين بالمجموعة الأولى نفسها فقط ٠٠ لكن أغلب الحكام من غير المصريين كان من بين أعضاء هذه القائمة أو المجموعة الأخيرة ذات المستوى المتواضع اعـــلاميا ٠

ــــ أو لأننا لا نعرف غير القليل ·· على الأقل حتى الآن ·· ومن ثم فمن أين لنا أن نعرف أنهم فهموا الاعلام ، وخبروه ومارسوه ·· أكثر مما نعرف عنهم بصفة عامة ، وعن اعلامهم ـ وهو مادة كتابنا هذا ـ بصفة خاصـــة ؟

ــــ ثم ان بعض هؤلاء قد حدث اختلاف كبير عليه ·· فهل هو صاحب هذا الأثر أو الرمز الاعلامى ، أم أنه لأحد غيره ؟ ·· وهو جانب من جوانب ضعف الاعلام الملكى عامة ، وهذه الفئة من أصحاب هذا المستوى خاصة ·

ــــ بل ان هناك من يشك فى وجوده أصلا من بين هؤلاء ، أو يختلط وجوده بوجود غيره ، أو يتكرر اسمه من آن لآخر ، من عصر الى عصر ، دون الاتفاق على زمن هذا الوجود نفسه ، بالنسبة لعدد غير قليل من رجال الآثار أنفسهم ، وهم مصادرنا الأولى بأعمالهم المختلفة ونتائجها ·· بل انه فى بعض الأحيان ، وجدت الآثار الاعلامية ·· وحتى على الرغم من تواضعها ، فان أسماء أصحابها قد طمست بفعل فاعل ، أو كتب فوقها غيرها ، أو لأن كتاب النصوص الاعلامية ، والعامة كانوا يعتبرون أن أصحابها من غير المحبوبين أو من غير المصريين أو من مغتصبى العرش ··

وهكذا تتعدد أسباب هذه الدرجة من « **الفقر الاعلامى** » وأحيانا « **الفقر المدقع** » ·· وحيث يصدق هذا الكلام فى معظمه على هؤلاء قبل غيرهم ·

ــــ معظم ملوك الأسرات السابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة ·

ــــ بعض حكام الأسرة الحادية عشرة من الذين أعلنوا استقلالهم عن ملوك اهناسيا ·

ــــ ملوك الهكسوس ·

ــــ بعض حكام الأقاليم الذين نصبوا أنفسهم فى هـــذه الوظائف ، أو فى منصب الملك نفسه دون وجه حق ·

ونكتفى بهذا القدر من تناول « الاعلام الملكى » وننتقل الى العناصر البشرية التى تمثل القسم الثانى ، من مخططين ومشرفين على تنفيذ برامج الاعلام والدعاية فى مصر القديمة ، من أجل الملوك ، ومن أجل أنفسهم ·· ومن أجل الاعلام ذاته ·· انهم :

الفصــل الثــانى

المخططون والمشــــرفون

المبحث الأول : الأمراء الملكيون

(أ) من الأمير ·· ومــــاذا يفعل ؟

● ونقصد بالأمير هنا ابن الملك ·· ابن الفرعون ، سواء كان هذا الأخير أحد فراعنة عصر الأسرات المبكر أو العتيق ، أو كان أحد فراعنة عصر الدولة القديمة أو عصر الانتقال أو الدولة الوسطى أو الانتقال الثانى أو الدولة الحديثة ·· وهكذا ·· حتى أمراء آخــر الأسرات المصرية ، أو المتمصرة أو غير المصرية ··

● انه ابن الملك ، من زوجته الملكية ، أو أبنائه ـ الأمــــراء ـ من زوجاته الملكيات ، وما أكثرهن ! بل وفى بعض الأحيان ابنه من احـــدى زوجاته ، أو من زوجاته غير الملكيات ··

● وقد يكون ـ وهو هنا أرفعهم قدرا ـ ابنه من زوجته الملكية ، وهى فى نفس الوقت اخته ، أى أنها هى نفســـها كانت أميـــرة ، قبل أن تصبح ملكة ··

● وقد يكون أخا أصغر لهذا الملك الحاكم ·· ينتظر دوره فى الحكم ما لم يرزق الله شقيقه ـ وربما زوجته شقيقته ـ بأمير يخلفه ·

● وغالبا يكون هو أكبر الابناء ·· بينما الاخوة ـ الأمراء ـ الاخر ينتظرون دورهم ··

● وقد يتفرق الاخوة ، الأمراء ، بين العمل فى خدمة الملك ، بالقرب تماما منه ، وقد يتوزع بعضهم على جوانب العمل المهمة فى ادارة البلاد ، فيتخذ بعضهم السلك العسكرى فى قيادة جيــوش البلاد ، أو الســـلك الدبلوماسى ·· فيرتحل من مكان لآخر دعما لعلاقات شقيقه أو والده بالدول

المجاورة أو يكون على امرة بعثاته الاستكشافية بحثا واســــتغلالا لمناجم الصحراء جنوبا وشرقا وغربا ، أو السلك الدينى فيصبح أحد كهنة الالهة الكبار ، الذين ترتفع أسهمهم فى وقته ، أو قد يعمل بادارة الأقاليم خاصة المهم منها . فيكون حاكما عليها ، أو قد يكون هو الوزير الأول ، أو الكاتب الأول (بعد الفرعون الذى هو كاتب كتاب الاله ·· على نحو ما نقول الآن عن رئيس الدولة أنه القائد الأعلى للقوات المسلحة) ·

● وطبيعى أن ذلك ليس شرطا ·· لأن هؤلاء لم يكونوا فى جميع الأحوال من الأمراء ·· ولكن عددا كبيرا من الأمراء « الملكيين » ·· من ذوى الدم الأزرق ، الفرعونى الأصيل ، قد تولوا أمثال هذه الوظائف وغيرها ·

● وقد يجمع بين لقب « امير » ومنصب « الوزير » و « الكاتب » ·· معا لكن ليس شرطا ــ كما أسلفنا ــ أن يكون كل وزير أميرا ، أو كـــل أمير وزيرا ·

● وقد يوجد فى وقت واحد ·· فى « معية » أو « بلاط » أحد الفراعنة ، هذا الوزير النشط ، وذلك الكاتب المرموق ·· وفى نفس الوقت يوجد الأمير المبرز ــ اعلاميا فى المحل الأول ــ أو هندسيا انشائيا ، أو فنيا ، ·· فيكون ذلك من حسن حظ الملك الأب ، أو الشقيق ، بل لقد وجد من الأمراء من يمكنه الجمع ــ انطلاقا من تربيته المثالية منذ ولادته حتى يشب ــ وجد من يجمع بين أكثر من موهبة واحدة ·· هندسية ، وفنية ، وأدبية ، واعلامية ، وبعضهم أضاف اليها الموهبة العسكرية ··

● ·· وهؤلاء ·· هؤلاء بالذات ، هم الذين استمروا على الطريق فبنوا وشادوا وغزوا وعمروا واسكتشفوا ،وانتشروا··وكان لابد من الاعلام عن ذلك كله ، والتعريف به ، وهو ما أبقى على ذكرهم حتى الآن ·· بل لقد كان ذلك مصاحبا فى احيان كثيرة ــ الجانب الاعلامى ــ لاشتراكهم الفعلى فى الحـــكم ·

(ب) ·· فى تكوين الأميــر

·· وعن هذه النقطة الأخيرة بالذات ــ تربية الأمير وتعليمه ومكوناته

الشخصية ـ نقوم بالقاء نظرة الطائر ٠٠ اذ لا يمكن أن نغفل ذلك ، عند حديثنا عن معرفته بالاعلام ، واستعداده لممارسته ذلك أن من الثابت وجود نوع متقدم جدا ، من التربية الخاصة ، والتثقيف ، والتعليم ـ كان يأخذ مكانه فى القصور الملكية استنادا الى منهاج خاص ، وسياســة خاصــة وواضحة ، فى تكوين : (أهم طلاب مدرسة القصر) ٠

— الأمراء الصــغار ٠
— أبناء الوزراء ٠
— أبناء رجال البلاط الملكى وكبار موظفى وموظفات القصر ٠
— أبناء المقربين من القصر وحاشية الملك والملكة ٠
— أبناء بعض حكام الأقاليم من ذوى الصلة الشديدة بالقصر ٠
— أبناء بعض حكام الدول المجاورة التى لها علاقات مع مصر (فى عصور التوسع الخارجى) ٠
— أو الذين يأخذهم الفرعون بعد هزيمة بلادهم ليتعلموا بمصر ٠

٠٠ وقد وضح ذلك تماما منذ عهد الدولة القديمة ، وصحيح ـ كما يقول عدد من رجال الآثار ـ أن أحدا من ملوك هذه الدولة أو أمرائها لم يشر تماما الى كيفية تعليمه وتثقيفه ٠٠ ولكن ، هل يعقل أن يكون اهتمام الملوك بتربية أبناء هذه الطوائف فى قصورهم ، هذا النوع من التربيــة « التكاملية » الفريدة التى تأخذ من كل علم بقدر طيب ، ويحرم منها أبناؤهم ، ٠٠ وفى ذلك يقول أحد الخبراء فى رسالة علمية من طراز متميز : « ٠٠ ومع ذلك فهناك أكثر من سبب يدعو الى ترجيح أخذهم من العلم والثقافة بنصيب مقبول فهناك أولا ثقافة أبناء الخاصة الذين اشتركوا معهم فى تربيتهم ، ومن المعقول ألا يقل اهتمام الفراعنة بتثقيف أبنائهم عن اهتمامهم بتثقيف أبناء غيرهم ان لم يكن يزيد » (٥) ٠

(هـ) ٠٠ زوايــــا مهمة

٠٠ على أننا ، وحتى لا يطول حبل الكلام عن هذه النقطة أكثر من ذلك فاننا نركز المادة القادمة عن هذه التربية الأميرية ، وصلتها بالاعلام ، أو على وجه التحديد ، بتكوين الحس الاعلامى عند بعض الأمراء ـ الملوك لاحقا ـ فى هذه الزوايا :

● فمثلا نجد ان فى تعاليم « اختوى الرابع » الى ابنه « **مريكارع** » ما يؤكد بذر الحاسة الاعلامية عنده فى الاستشهاد بالوقائع ، والتأسيس القوى عليها ·· اضافة الى بعض التوجيهات المرتبطة بحسن استخدام الكلمة. ووضعها فى المكان الصحيح ، والتنبيه الى أثرها · ·وهكذا ·· بل نراه كذلك يريد تعويده استخدام الكلمة المأثورة والمثل السائر · ·من ذلك ما يقوله هذا الملك « **خيتى ـ أو اختوى الرابع : واج كارع** » من ملوك الأسرة العاشرة:

ـــ فهو ينصحه بالثقافة العامة ويركز على قراءة ما خلفه الأجداد من كتب الحكمة ·

ـــ ويستشهد بأبرز القصص المعروفة « هلاك البشرية » ويستخلص منها النتائج التى يقدمها له ·

ـــ ويقتبس له الأقوال العديدة من الكتب القديمة « الروح تأتى الى المكان الذى عرفته ولا تضل طريقها ولا يجدى معها السحر » ·· محذرا من سفك الدماء بغير مبرر ، : مقدمة الدار تشيع الرهبة فيما وراء الدار »·

ـــ ويدعوه الى قول الحق والشدة فى ذلك : « قل الحق فى بيتك يخشك عظماء الأرض » ·

ـــ وفى حسن استخدام الكلمة : « تفنن فى الحديث تسد ـ سلاح المرء لسانه ـ قد يكون الكلام اللبق أكثر فاعلية من أى عراك » ··

ـــ ويشير الى بعض الحوادث التى وقعت فى عهده ·· حتى تكون لها دلالتها وتعود تحليلها واستكناه نتائجها ، فهو يقول عن غارات البدو القادمة من الشرق : « انه لا يستقر فى مكان واحد ولكن ساقية صنعتا لكى يتجول ويسير بعيدا ـ أنه لا يحدد يوما للقتال ـ انه كاللص الذى يعمل فى عصابة » ·· وكذا ضاربا المثل بنفسه : « لقد حدثت نكبة فى عهدى ·· لقد تحطمت مناطق اقليم ثنى ، حدث ذلك حقا بسبب ما فعلت ، ولكنى لم أعلم به الا بعد حدوثه ·· انظر لقد جوزيت على ما اقترفت » ·

ـــ ويوجهه التوجيه الدينى الأمثل حين يقول : « ان الله هو الذى خلق أنفاس الحياة لخياشيمهم ـ أنه خلق النباتات والحيوانات والطيـــور

والانسان ليقتاتوا منها - انه يقبل أخلاق الرجل المستقيم الضمير اكثر مما يقبل الثور الذى يقدمه الشرير قربانا له » ٠٠

٠٠ ويالها من نصائح تربوية عالية ٠٠ ويالها من ملامح تبذر البذرة الاعلامية التوجيهية والارشادية ، وتغذيها ، وتنميها ٠٠

● ونلاحظ كذلكأن من بين ألقاب الأمراء ، بعض ذلكالذى يشير الى قيام هؤلاء بأدوار الدعاية والعلاقات العامة والاعلام ، منذ نعومة أظفارهم٠٠ ومن بين هذه على سبيل المثال لا الحصر ، هذه الألقاب كلها : « المشرف على فنانى (الاله) العظيم - كبير الفنانين فىالدارين - المشرف علىالكتاب - المطلع على سر كتابة دار الأقوال المقدسة - المتقدم فى حفلات القصر - مراقب الختم - رئيس كتبة الملك - ٠٠٠ الخ » (*) ٠

● ونلاحظ كذلك أنمن بين ألقاب الأمراء ، بعض ذلكالذى يشير الى قيام هؤلاء بأدوار الدعاية والعلاقات العامة والاعلام ، منذ نعومة أظفارهم٠٠ ٠٠ بالنسبة للامراء أولا ٠٠ كان اتجاههم الى الخروج بهم الى ميادين تعليمية أخرى ٠٠ ، بالاضافة الى هذه القصور نفسها وكأنها « جامعات » أو « معاهد » تدريبية ، يجرى فيها « صقل » مواهبهم النامية ، و « تطوير » مرئياتهم ، وجعلها أكثر اقترابا من الواقع العلمى نفسه وكانت هذه الجامعات والمعاهد تتمثل فى المعابد وساحات التدريب والاسطبلات الملكية فى طيبة والكاب وأبيدوس ومنف ٠٠ حيث يتخرج فيها الأمير وقد حذق عدة أشياء ، أو تخصصات ، وليس تخصصا واحدا ٠٠ كان أبرزها بالطبع « الفروسية - الرماية - الكتابة - الكهانة - العدو - الصيد - التجديف » ٠٠ وحيث يذكرنا ذلك **بمعالم تكوين « الاعلامى » عامة ، والصحفى خاصة** ٠٠ وحيث كانت الخطوة التالية هى النزول الى الساحة العملية نفسها ٠٠ ساحة الحكم فى مساعدة أبيه ، وساحة الحرب مع الجيوش ، وساحة الاكتشافات التعدينية،وساحة الحفلاتوالمناسباتواقامةالمعابد والهياكل والجدرانوالمسلات

(*) يلاحظ أنه تلقب بهذه الالقاب نفسها بعض تلاميذ مدارس القصور الاخرين مثل أبناء الوزراء وكبار الكهنة وحكام الاقاليم خاصة من هؤلاء الذين كانوا يبدون تميزا على غيرهم يؤهلهم لحملها ، أو من الواعدين بذلك ٠

وما عليها من « رسائل اعلامية » ·· وتدل على ذلك كله ، وفرة المناظر التى تصور الأمراء فى مثل هذه الأحوال كلها ·· لا سيما اشتراكهم فى الحروب (أبناء الرعامسة) ··

● على أننا نختتم هذه الزوايا بالاشارة الى عدد من الامراء ، الذين أبدوا حسا اعلاميا حدثنا التاريخ عنه ، سواء تقلد هؤلاء منصب الملك بعد ذلك ، أم لم يتقلدوه ، وبقوا على حالهم فى مساعدة والدهم أو أخيهم أو ابن عمهم الملك · ·ان من بين هؤلاء ، منذ بداية عصر الأسرات ، حتى نهايته وعلى سبيل المثال لا الحصر ·· هؤلاء جميعا :

ــ « **حم ايون** » ·· أحد أبناء الملك سنفرو ، توجد مقبرته بهضبة الأهرام ، وكان من أبرز المشرفين على تشييد الهرم الأكبر (الأسرة الرابعة)·

ــ « **كاوعب** » أكبر أبناء خوفو ·· يقال أنه من أبرز من حمل لقب « الكاتب » ويبدو أنه أشرف فى وقت من الأوقات على كتابة « نصوص الهرم الأكبر » ·· دبر أخوه « جدف رع » أمر قتله ليتولى العرش بدلا منه · (الأسرة الرابعة) ·

ــ « **حورددف** » ابن خوفو أيضا ، تولى الحكم بعد خفرع ، له كتابات كثيرة فى الحكمة والوصايا يمكن اعتبارها من وجهة النظر الاعلامية ·· أصلا من أصول فن المقال الصحفى ، (الأسرة الرابعة أيضا) ·

ــ « **نفر ار كارع** » شقيق الملك « ساحورع » ·· والذى أشرف فى وقت من الأوقات على تنفيذ عدد من أعمال شقيقه وهو أمير ، لا سيما هرمه ومعبديه ، وعلى وجه الخصوص النقوش الحربية الموجودة على جدران الأخيرين (الأسرة الخامسة) ·

ــ « **نب تبى نفر** » أحد أبناء الملك انيوتف الثانى ·· وحيث كانت له اسهاماته العديدة فى التعريف بوالده الملك ، كما أشرف على كتابة العديد من لوحاته (الأسرة الحادية عشرة) ·

ــ « **سنوسرت** » ابن امنمحات الأول الذى له فضل الاشارة الى معظم أعمال أبيه على حدود البلاد خلال أعماله الحربية العديدة التى قام بها فى حياة أبيه نفسه (الأسرة ١٢) ·

— « **خعمواس** » ابن رمسيس الثانى ، وأحد المبرزين فى الاعلام الدينى ، والبحث الدينى ، لا سيما ما كان يتم داخل المعابد الكبـــرى من حفلات (مظهر دينى اعلامى) وأناشيد وتراتيل وأدعيه ٠

— « **رمسيس الرابع** » ٠٠ عندما كان أميرا ، وكان مبرزا فى جوانب البحث والاطلاع ، وما قدمه من فكر شمولى غذى به اعلام عهده فرفع من قيمة مضـــمونه ٠

المبحث الثــانى

كبـــار الموظفين

٠٠ حتى نصل الى هذه الطائفة الأخيرة من طوائف الامرين بالاتصال من المهتمين به على درجة من الدرجات ، والحريصين عليه ٠٠ وحيث يكون مفتاح تناولنا لكل ذلك ، هو ذلك المدخل الذى يقول :

● أن هؤلاء فى الواقع لم يكونوا طائفة واحدة ، وانما **ثلاث طوائف أساسية :** الوزراء ، وحكام الأقاليم ، وأنواع أخرى من كبار الموظفين ٠٠

● وقد يرى البعض أن هناك ذلك العنصر الرابع من هؤلاء ، والذى يمثله « كهنة المعابد » ٠٠ أو على وجه التحديد : كبارهم ، لكنا نفضل أن نؤجل الحديث عنهم ٠٠ كبارا وغير كبار ، عند تناولنا للاعلام الدينى ٠

● ٠٠ وهذه الطوائف الثلاث ، على اختلاف أعمالها وأهميتها ، وأدوارها ومواقعها ، يجمع بينها فى الواقع بعض الملامح التى من بينها على سبيل المثال لا الحصر :

— أن معظمهم كان من أبناء مدارس القصور فى عصور الدولة القديمة والوسطى والحديثة ٠٠ وأن ما كان يجد من أمور فى التربية والتعليم والبحث ٠٠ كان يطبق بالنسبة لهم ٠

— أن معظمهم أيضا ، كان من أبناء رجال البلاط الملكى والمقربين منه ، أو أبناء الوزراء الحاليين أو السابقين ، أو حكام الاقاليم ، خاصة الأقوياء منهم ، أو من قاموا بأداء خدمات جليلة لفرعون من الفراعنة ٠

ــ أن تربيتهم كانت فى كثير من الأحوال تسير بحذاء تربية أبناء الملوك أنفسهم من الأمراء ٠

ــ أن المبرزين منهم كانوا يختارون لأداء أعمال مهمة ، وهم فى مطلع شبابهم ٠٠

ــ ان أكثرهم يعتبر أمرا بالاتصال ، ومنفذا « مشرفا على التنفيذ » فى أن واحد ٠٠ فهو نائب عن الملك فى الأمر باعداد وتنفيذ العمل الاعلامى أو ذلك الذى يتضمن جانبا اعلاميا ، وقد يكون العمل نفسه من « بنات أفكاره» ٠٠من ابداعه الفكرى والفنى والاعلامى الخاص ٠٠ ثم ها هو يقـــــوم بالاشراف على تنفيذه ، نيابة عن مليكه ٠٠ وليقدمه له فى أكمل صورة وأتمها (خاصة الوزراء) ٠

ــ لكن هناك **الجانب الآخر لنشاطه الاعلامى** ـ اضافة الى مجالات نشاطه الأخرى المتعددة الادارية ، والاقتصادية والعسكرية والكشفية ٠٠ خاصة الوزراء حكام الأقاليم ـ ٠٠ أقول هناك الجانب الآخر لنشـــــاطه الاعلامى ٠٠ وهو ليس خاصا بالملك هذه المرة ، وانما خاص به هو شخصيا ٠٠ بالوزير ، أو حاكم الأقليم ، أو الموظـــف الكبير ـ **وحيث أثرى هؤلاء الاعلام المصرى القديم بأكثر الصور والمشاهد القائمة ٠٠ والتى تتحدث عن معظم جوانب النشاط فى هذه الفترات ، وتعلم به ، وتعرف بألوانه ، وتعلن عن أفاقه الرحبة ٠٠**

ولعل ذلك كله يكون جديرا بهذه الوقفة عند اعلام هؤلاء ٠٠

أولا ــ الوزراء

●● جانب عـــام

٠٠ أهم الشخصيات التالية للملك فى معظم الأحوال وأعمها ، وقد ترتفع منزلته فوق منزلة بعض الأمراء ٠٠ وقد يكون هو نفسه ابنا للملك ، أى أمير ووزير معا ، وقد يكون أخا له يجرى فى عروقه الدم الملكى وقد يكون هو أخا لزوجة الملك ، أو أحد أبناء عمومته ٠٠ كما قد يكون أحد أبناء كبار رجال البلاط ، أو الحاشية الملكية ، أو قادة الجند ٠٠ لكنه فى جميع

الأحوال ، يعتبر علما مهما من أعلام عصر هذا الملك أو ذاك ٠٠ بالاضافة الى أنه ـ وفى الوقت نفسه :

١ ـ رئيسا للحكومة المركزية بعد فرعون ٠

٢ ـ نائبا للملك وعضدا له ، وساعدا أيمن (خاصة منذ الأسرة الخامسة بعد اتساع عملهم ونقل بعض سلطات الملوك اليهم) ٠

٣ ـ مشرفا على النظام الادارى للبلاد (بعضهم تولاه بالوراثة بعد وفاة أبيه الوزير وبموافقة الفرعون) ٠

٤ ـ مشرفا على تطبيق القانون وأحوال القضاء والأمن الداخلى والحاميات الخارجية ٠

٥ ـ مشرفا على أهم المرافق التابعة للقصر الملكى (المخازن ـ السجلات ـ الاسطبلات ـ مدارس البلاط) ٠

٦ ـ مشرفا على جباية الأموال (الضرائب ـ شون الغلال ـ الخزائن)٠

٧ ـ مشرفا على اقامة العمائر الملكية والحفلات والمهرجانات والأعياد المختلفة ٠

٨ ـ مشرفا على التعريف بفترة حكم الملك ، ودعمها ، والنطق باسمها ، والدعاية لرموزها ٠

٠٠ واذا كانت الوظائف الخامسة والسابعة والثامنة ٠٠ هى أهم ما يعنينا فى هذا المجال ـ لصلتها الشديد بالاعلام ، فاننا نقول أن الملك ـ الحاكم الفعلى وصاحب السلطة المطلقة ـ كان عليه أن يحسن اختيار وزيره، بل لقد تعدد الوزراء منذ عهد الدولة الحديثة ، لأن المهمة كانت أكبر من أن يقوم بها وزير واحد ٠٠ نعم ، كانت مهمة متعددة الجوانب ٠٠ ادارية وسياسية وأمنية وقضائية ، واقتصادية واستشارية وتشييدية واعلامية فى أن واحد ٠٠ وقبل أن ننتقل الى هذا الجانب الأخير ٠٠ الاتصالى الاعلامى ٠٠ فاننا ننقل طرفا مما قدمه أحد علماء الآثار والمصريات عن هذا الدور نفسه ، الادارى السياسى القضائى الأمنى وحيث يرسم « **أ٠د٠ عبدالمنعم أبو بكر** » صورة لعمله نختصرها فى الآتى : « يقابل الوزير صباح كل يوم المشرف على بيت المال الذى يقدم تقريره اليومى ، وبعد ذلك يأخذ الاذن منه

بابتداء نشاطه اليومى فى مكان عمله فتفتح بأمره المخازن والادارات - ينتظر من الموظفين المحليين تقريرا أول كل فصل من فصول السنة وتقريرا شهريا عن سير الأعمال بل عن الأمور المنتظرة حتى يمكن بدوره أن يطلع الملك أولا بأول على حالة الدولة - يبلغ عن ارتفاع منسوب النيل دائما حتى يتسنى تقرير ما يمكن أن يوزع من الأراضى التى تصل اليها المياه ، وبالتالى كمية الضرائب التى ستفرض وموعدها - يشرف على تلقى هذه الضرائب الأخرى المفروضة على الوظائف والتى كانت اما تدفع عينية واما بالذهب والفضة - اشرافه على تلقى جزى الاقطار الخارجية التابعة لمصر - يشرف على نواحى القضاء فى الدول القديمة والوسطى والحديثة - ترفع اليه الشكاوى مكتوبة ثم يبدأ مناقشتها مستعينا بالقوانين المكتوبة فى ملفـــات ومن حوله يجلس مستشاروه والموظفون المتصلون بنواحى القضاء - يبلغ أولا بكل ما يحدث فى البلاد - تسجل فى قاعته وثائق الدولة والوصايا - تضم قاعته أيضا نسخا من وثائق الأقاليم وسجلات الملكية وحدود الأراضى والعقود والتركات - الاشراف على الشرطة والحرس - تنظيم أمور الحاميات الموجـــودة فى البلاد التابعة لمصر - مقابلة الملك كل صباح لعرض أحوال البلاد وسير العمل الحكومى ٠٠ الخ » (٦) ٠

● ● الوزير والاعـــلام ٠٠ لمـــاذا ؟

٠٠ وقبل أن نتوقف عند عـــدد من الوزراء الذين فهموا الاعـــلام . وخططوا له . ونفذوه أكثر من غيرهم ، وكذا قبل أن نشير الى أبرز ما قدمه هؤلاء من صور ومشاهد تدل على هذا الفهم ، وتلك الممارسة ٠٠ نتوقف عند سؤال مهم يقول : لماذا كان اهتمام الوزير فى مصر القديمة بهذا الجانب من جوانب النشاط الانسانى ؟ ٠٠

وسرعان ماتتتابع الأسباب وراء بعضها ، وحيث يمكن تقسيمها هنا الى عاملين أساسيين ، أولهما « وظيفى » أو « ادارى » والثانى « شـــخصى » ونفسر هذا الكلام فنقول :

١ - **أما عن الجانب الوظيفى أو الادارى** : فقـــد كان امتدادا لدور الوزير الطبيعى والثابت والذى أخذ يزيد باستمرار ومن آن لآخر ٠٠ حتى

بلغ مداه فى الدولة الحديثة ، لا سيما فى عهد خلفاء رمسيس الثالث ومن ثم فقد كان من بين المهام الأساسية المعقودة على الوزير بصفة عامة ، من تلك التى تتصل بهذا الجانب موضوع كتابنا ، ولا أقول كلها هذه المهام :

— الاشراف على ورود التقارير الادارية من حكام الأقاليم (لهـــا جانبها الاخبارى وهى تشبه كثيرا ما فعله محمد على بعد ذلك بأكثر من ألفى عام وحتى ٤ آلاف عام ·· من تجميع ونشر هذه التقارير التى عرفت باسم جورنال الخديو) ·

— الاشراف على الاعداد لاجتماعات الملك برجال البلاط والحاشية والقادة والكهنة والكتاب للتعريف بالحالة فى البلاد واذاعة ونشر أوامره بين الناس (**أصل من أصول اللقاءات الاعلامية عامة والمؤتمرات الصحفية خاصــــة**) ·

— النيابة عن الملك فى القيام بوظيفة « **كاتب كتاب الاله** »·· وصلتها القوية بنقوش أو متون الأهرام ، ونقوش التوابيت والمقابر والكتابات الدينية (**الاعلام الدينى**) ·

— الاشراف على ثبت أهم الأعمال الواقعة فى البــلاد ، من أول المواليد والوفيات ، وحتى حالة النيل ، والمحاصيل ، والحالة على الحدود فى « ادارة السجلات الملكية » ·· وتحقيق الفـــائدة مما يتجمع فيها من معلومات مهمة ، فى مسائل عديدة بعضها له جانبه التخطيطى والاعـــلامى (**أصل من أصول الأرشيف الاعلامى، وأقسام المعلومات الصحفية ومراكزها**) ·

— تنظيم الاعداد ، والاشراف على تنفيذ الاحتفالات المهمة (السدة — وفاء النيل — الثلاثينى — التتويج — الربيع أو الاله سوكر) ·· وغيرها ، وحيث كانت هذه **تعتبر من بين المناسبات والأطر الاعلامية** ·

— الاشراف على عمليات بناء وتشييد بعض الآثار من تلك التى حملت **مضمونا اعلاميا** ·· الى جانب المضمون الدينى ، أو السياسى ، ومن ثم اعتبرت عند هذا البحث بمثابة « **أوعية** » **اعلامية عامة ، اخبارية خاصة** ·· مما سيأتى بيانه فى كلمات أخرى باذن الله ·

ــ ٠٠ وبعضهم كان مهندسا مرموقا ، أو فنانا يشهد له بالبراعة ٠٠ ومن ثم فقد اسهم بعلمه وابداعه فى « اخراج » هذه الاوعية الاعلامية الأثرية ٠٠ مواقعها وأحجامها وطرق عرضها وعرض مادتها ٠٠ وغيرها ، مما يمكن أن يعتبر من الأصول الأولى لفن الاخراج الصحفى ، القائم على ذلك الخليط أو المزيج الفنى بين المعارف الهندسية والفنية التشكيلية وبين أهمية عرض المادة التحريرية والمصورة والاعلانية ٠

ــ وبعضهم كانت له جهوده الابتكارية فى **تحرير نص الرسالة الاعلامية** الموجهة باسم الملك ٠٠ الى الاجيال الحالية ، والى أجيال المستقبل، وهى الرسائل التى وصل بعضها الينا ، وسوف يصل الى غيرنا ، كما سوف تكشف الابحاث والحفريات عن رسائل أخرى ٠٠

ــ وكان من مهام الوزير أيضا ، استقبال البعثات الأجنبية ، وتعريفها بأحوال مصر وأخبارها ، وكذا النيابة عن الملك فى استعراض البعثات التى تتأهب للخروج الى البلاد الأجنبية فى حالة عدم حضور الملك لها ، أو فى حالة حضوره ٠٠ حيث يشترك فى تقديم الرسائل التى يحملها هؤلاء الى حكام البلاد المجاورة ٠٠ ومن ثم فقد كانت مثيلات هذه الصور من جذور « **الاعلام الخارجى** » أو الاعلام المصرى الدولى ٠٠ فى نطاق علاقات مصر بجاراتها ٠٠

ــ كما أن بعضهم قد قام بنفسه بقيادة البعثات لتاديب البدو ، أو الكشف عن المناجم والمحاجر واستغلالها ٠٠ وخلال هذه الأعمال لم ينس الدور الاعلامى ، فقام بحفر الرسائل وتثبيت اللوحات ، على الصخور ، أو فى الطريق أو عند بعض المراكز المهمة التى تشير الى قيامه ــ بأمر من الملك ــ بعمل ذلك كله ، وقد تشير الى الملك وحده ٠٠

تلك هى أبرز الأعمال العشرة المتصلة بهذا الجانب الوظيفى الادارى ٠٠ من زاوية اعلامية ٠٠

٢ ــ « **أما عن الجانب الشخصى** : فمن ذا الذى يستطيع أن ينكر أن الوزير فى مصر القديمة عامة ؟ :

— كان له فى معظم الأحوال فكره وعلمه ومواهبه (بعضهم ألهه المصريون والشعوب الأخرى) ٠

— وأن معظمها كان يصب فى معارفه الفنية والكتابية والسياسية والدينية والعسكرية ٠ وهى المعارف المؤهلة قبل غيرها للعمل الاعلامى فهما وتخطيطا واعدادا وتنفيذا ٠

— وأن معظم هؤلاء كانوا من درجة « **الكتاب** » ٠٠ بل أبرز الكتاب وأكثرهم أهمية ٠٠ علما بأننا لا نقصد هنا لقب « **الكاتب** » بمعناه الدارج فى مصر القديمة (الرمز لكل من تعلم ويعرف القراءة والكتابة ٠٠ خاصة الكتابة الوظيفية للحسابات وما اليها) ٠٠ وانما الكاتب المحرر المبتكر ٠٠ كاتب النصوص الابداعية و الاخبارية المختلفة ٠

— بل انه كان يفوق غيره فى هذه المواهب كلها ، والنزول بها الى حيز التطبيق العملى ٠٠

— فاذا أضفنا الى ذلك كله ، أن معظمهم كانت له سلطات واسعة بل وكان لهم أعوانهم ومن بين هؤلاء الأعوان ٠٠ الفنان والكاتب والكاهن الخاص ٠

— وأن بعضهم — من زاوية بشرية — كان يحاول اما تقليد الملك ، أو الأمراء ، أو عن احساس منه بأنه ليس بأقل من هؤلاء ٠٠ أو لأنه يقوم بالاشراف على هذه الأعمال لهم ، فلم لا يكون له هو الآخر مثلها ؟ ٠٠

— واذا أضفنا الى ذلك أيضا ، أن بعضهم كان من أفراد البيت المالك نفسه ، ومن ثم فقد كان يشعر أن من حقه أن يعرف الجماهير والأجيال بنفسه وبأعماله ، بل وربما كان اسمه يقع ضمن المرشحين للحكم ، أو كان هو يطمع فى ذلك ، خاصة فى حالة وجود فرعون ضعيف أو كبير السن ٠٠

٠٠ فى جميع هذه الأحوال ، وغيرها ،كان الوزير — كاتجاه شخصى من جانبه — ٠٠ وكلما سنحت الفرصة لذلك ، بعد استئذان الملك وبموافقته الخاصة أحيانا ، ومن وراء ظهره فى أحيان أخرى ، وفى الأقاليم فى أحيان ثالثة كان الوزير يسرع ببناء أثر ما ٠٠ لا سيما مقبرته ، التى يضمنها كل

كل شيء عنه ، وربما عن عصره ، كما وجدنا ذلك أيضا ، على جـــدران المعابد ، وفى لفائف البردى ، وعلى اللوحات المختلفة وغيرها ، حيث قامت هذه « الأوعية » بتقديم الكثير من الجوانب الاعلامية عامة ، والاخبــارية خاصـــة ٠

●● ٠٠ أمثلة ونماذج (الوزراء من زاوية اعلامية)

لا نترك الحديث عن الوزير والاعلام ، كآمر وقائم به وممارس لحساب الملك فى معظم الأحيان ، ولحساب نفسه أحيانا ، دون الوقوف على عدد من هؤلاء ، وأعمالهم المبرزة ، التى تبرر هذا الكلام من جانبنا ، وتحدد أهم « منجزاته » العامة ، وما تعنيه من الزاوية الاعلامية ٠٠ ان من بين هؤلاء وعلى سبيل المثال لا الحصر : « **حما كا ـ كاجمنى ـ ايمحتب ـ واش بتاح ـ رع ورر ـ شبسسرع ـ بتـــاح حتب ـ كابرس ـ زاو ـ امنمحـــات ـ رخمى رع ـ أوسر ـ أمون أم ابت** ـ ٠٠٠ » ٠٠ الى غير هؤلاء جميعا ٠٠ وحيث نتوقف عند عدد منهم ٠٠ نقدمه من هذه الزاوية الاعلامية نفسها ، انهـــم :

● « **ايمحوتب** » ٠٠ أشهر وزراء مصر ، وأكثرهم نبوغا وشمولية ـ يقولون أيضا أنه أشهر وزراء العالم ـ ارتبط اسمه كاملا بالملك « **زوسر** » من الأسرة الثالثة ٠٠ تميز بعدة مواهب ، فقد كان مهندسا معماريا مجددا ومبتكرا من الطراز الأول ، وفنانا انشائيا ومثالا نادرا وكبيرا لكهنة الشمس وطبيبا بارعا له مؤلفاته الطبية ، وحكيما مرموقا له مؤلفاته فى هذا المجال٠٠ أما من وجهة النظر الاعلامية ٠٠ فقد كان :

ـــ **داعية من الطراز الأول** ٠٠ يدل على ذلك اختياره لشكل الهرم ـ رمز خلود الملك ـ ووضعه لتصميمه ليكون : « أفخم من أى قبر شـــيد قبل ذلك لأى ملك قبله » (٧) ٠٠٠ « ان سيده زوسر اله معبود من شعبه فيجب أن يمتاز قبره عن غيره ، ويجب أن يرتفع ويعلو » (٨) ٠

● ٠٠ **مخرجا ماهرا للرمز الدعائى والاعلامى** : وذلك أنه وفى حدود هذا الهرم أيضا :

ـــ رأى أن يكون البناء بكتل من الحجر لأول مرة بدلا من الطوب اللبن (التجديد) ٠

— قام بكساء الجدران الخارجية بأحجار جيرية من النوع الأبيض الممتاز (الجاذبية) ٠

— لم يقتنع بأن يكون البناء مجرد مصطبة واحدة وانما « عدل فى تصميمه وفكر فى شىء جديد »(٩)٠٠كان هو هذه الدرجات الست أو المصاطب الست ، بدلا من الدرجة الواحدة التى كانت تمثل قبور الملوك السابقين على مليكه (الفكر الجديد — الاختلاف — الجاذبية) ٠

● ٠٠**مخططا ماهرا لتنفيذ الأنماط الاعـــلامية** : وذلك أنه بعد أن أحاط هذا الرمز الاعلامى الكبير — أكبر الرموز الاعلامية لزوسر — بسور كبير من الحجر الجيرى ارتفاعه عشرة أمتار شيد داخله مبان عديدة لم ينس أن يكون من بينها « قاعة للاحتفالات الكبرى » ٠٠ المتصلة بالأعياد ٠٠ الى جانب المعابد الخاصة بمثل هذه المناسبات الدينية والسياسية والاعلامية٠

● اقباله بحماس شديد على الكتابة ٠٠ وهو ما أشار اليه المؤرخ المصرى « مانيتون » ٠٠

٠٠ ولعل ذلك كله هو ما دعا الكتاب المصريون فى الدولة الحديثة الى اعتباره اماما وحاميا لهم ، ٠٠ « وقبل أن يخطوا كلمة واحدة فى قراطيس البردى كانوا يريقون بعض قطرات الماء من آنية قربانا له » (١٠) ٠٠ ولعل ذلك كله أيضا هو ما دعا المصرى الى ذكر اسمه واسم مليكه معا ، بل دعا هذا الملك — لأول مرة — الى ذكر اسم وزيره ومستشاره على تماثيله ٠٠ حتى والوزير يضرب المثل فى انكار الذات ٠٠ على الأقل حتى الآن ، حيث كان كل ما قدمه ٠٠ من أجل مليكه فقط !!

ونكتفى بهذا القدر من الحديث عن « امحوتب » من زاوية اعلامية وننتقل الى آخر هو :

● « **بتاح حوتب** » واحد من رواد الكتابات التربوية ، أو كتاب ٠٠ التعاليم » ٠٠ الحكم ، والمواعظ الحسنة ، والارشادات الخلقية والعملية٠٠ عاصر الفرعون « جد كارع سيسى » من الأسرة الخامسة ، لكن شهرته طغت على شهرة هذا الفرعون نفسه ، وعلى عديد من الفراعنة الآخرين ٠٠ عن

طريق هذه الكتابات نفسها التى خلدته الى اليوم ، والتى كانت فى معظمها نصائح فى آداب المعاملة والسلوك نصح ولده بها ، والتى اتجه معظمها الى « **الوسطية** » فى معاملاته ، ونبذ التطرف فى علاقات الناس بعضهم ببعض ، وفى مطالب العقل والبدن ، ومعاملات الزملاء والرؤساء ، واختيار مواضع الاقدام والاحجام ، والكلام والصمت ٠٠ وما الى ذلك كله ٠

أما الزاوية الاعلامية التى ننظر الى هذه الكتابات منها فهى :

ـــ أنها تعتبر من وجهة نظرنا لونا من « الأدب الصحفى » بل فى مقدمة هذا اللون المعروف بواقعيته وبلاغته ومخاطبته للجميع وتوجهه اليهم٠

ـــ وأنها ـ فى زعمنا ـ تقدم تصورا ماهرا لأساليب اقامة « **العلاقات العامة** » الطيبة ٠٠ بالآخرين ٠٠ بل لماذا لا نقول أنها ـ فيما نعلم ـ تقدم أول دستور لهذه العلاقات فى التاريخ ٠٠ العلاقات الداخلية بين أفراد الأسرة هنا ، والخارجية ، بالزملاء والرؤساء وغيرهم ، على اختلاف مستوياتهم(*)٠

ـــ ثم هى تقدم ما ينم عن فهم كامل أبداه هذا الحكيم الاعلامى المصرى القديم ٠٠ لبعض جوانب الاتصال ، لا سيما فى الأسس التى ينبغى أن تقوم عليها علاقات رجل الاعلام بمصادره ، وكذا سلوكه أثناء الاجتماعات والمؤتمرات واجراء المقابلات الاعلامية المهمة ٠٠ ومنها على سبيل المثال لا الحصر : (اعلم أن الاصغاء للضعيف والمكروب فضيلة يمتاز بها الاخيار على الأشرار ـ ان التعرف بأعظم الناس نفحة من نفحات الله ـ من الجهل أن تتكلم فى موضوعات شتى فى أن واحد ـ الانسان يعادى من يعطل عليه أعماله ـ لا تعجب بعلمك لأن العلم بحر لا يصل الى آخر أى متبحر مهما خاض فيه وسبح ـ اصغ لكلام غيرك فان السكوت من ذهب ـ احذر من تحريف الحقيقة ـ لا تخبر أحدا بما صرح به له غيرك ـ ليكن كلامك دائما سديدا مفيدا) ٠٠

(*) لعلنا لا نبعد كثيرا عن مجال هذا البحث عندما نوجه الدعوة الى تدريس أمثال هذه « السلوكيات » بأقسام الاعلام عامة ، وشعب العلاقات العامة خاصة ٠٠ وبهذه المناسبة نذكر بذلك المنهاج الذى كان يدرس سابقا ، تحت اسم « أخلاقيات الاعلام » ٠٠ وحيث لابد من تأكيده ودعمه بمثل هذه الكتابات كلها ، قديمة وحديثة ٠٠

٠٠ولعل ذلك كله ، كان وراء أسباب اعتبارنا لها ـ نصائح بتاح حتب من « جذور » فن المقال الصحفى (١١) ، كما كانت وراء اطلاق أحد كبار علماء المصريات ـ ج٠هـ٠ برستيد ـ عليـــه وعلى أمثاله لقب : « **المفكـــر الاجتماعى** » ٠٠ أليست هذه أبرز خصائص كتاب المقالات الصحفية عامة ، والقصيرة خاصة ، على صفحات جرائدنا ومجلاتنا فى عالم اليوم ؟

● « **رع موسى** » ٠٠ أحد كبار وزراء الأسرة الثامنة عشرة ٠٠ بقى فترة طويلة فى منصبه وامتد به العمر من أيام وزارته فى عهد امنحوتب الثالث ، حتى عهد اخناتون ٠٠ وقد أتاح له ذلك ، بالاضافة الى وجوده على قمة الأحداث ، وحسه الاعلامى ، أن يكون ـ كما ظهر من مقبرته واثاره عامة ـ واحدا من رواد الكتابات التسجيلية ٠٠ التى تعتبر أصلا من أصول فن « التقرير » الصحفى المصور ٠٠ بأنواعه المتعددة والتى نعرف أن من أبرزها : المقابلات والتحقيقات والتقارير المصورة والماجريات الصحفية ٠٠ وما يقابلها من فنون مشابهة مسموعة ومشاهدة ٠٠ وذلك بالاضافة الى وجود بعض معالم الأصل الاخبارى ٠٠٠ هكذا وجدناه يرصد موضوعات اهتماماته ونشاطه كمسئول كبير ٠٠ ومن بينها على سبيل المثال لا الحصر :

- حفلات الاستقبال التى تقام لممثلى البعثات الأجنبية ٠
- الجلسات والاجتماعات المشتركة ٠
- المآدب الكبرى وما يدور خلالها ٠
- التقارير المصورة عن تقاليد الجنازات والدفن ٠

كذلك فقد تميزت رسوم وكتابات وخطوط مقبرته ـ وتطلق عليه بعض الكتب اسم « راموزه » ٠٠ بالدقة والجمال والبساطة وقوة التعبير والرقة ، كمعظم آثار الدولة الحديثة ٠٠ لكن أهم زاوية اعلامية هنا ، بعد هـــذه « التناولات » التسجيلية ، هى أن موضوعاتها نفسها ـ كصورة من صور المعاصرة المتأثرة بأحداث العصر ٠٠ قد نزلت من برجها الملكى الذى كان الاهتمام به مقدما على غيره فى مقابر الأمراء والوزراء السابقين ٠٠ الى مثال هذه الموضوعات التسجيلية لجوانب الحياة المهمة ٠٠ رسمية وغير رسمية ٠٠ ولبعض صور الحياة الواقعية فى دنيا الناس ، وليس عـــالم الملوك وحدهم ٠

ثم ماذا ؟ ومن ؟

ثانيا - حكام الأقاليم

● .. وكما يحدث عندنا الآن ، فقد كان يوجد بمصر القديمة ذلك « **الوجه الآخر** » للنظام الادارى فى البلاد ، والمخالف لوجه العاصمة .. أو الوجه « المركزى » بفراعنته وأمرائه ووزرائه وقادته وكهنته وكتابه ، انه وجه « الأقاليم » التى بلغ عددها ٤٢ اقليما ، كانت بدورها تحتاج الى عدد مماثل من « الرؤساء » أو « الحكام » **لتصريف أمور كل اقليم منها** ، بما يتبعه من وحدات صغيرة ، وأرض، وممتلكات، وطرق ، ومزارع ومناجم ومعابد وادارات ، وما اليها ومن ثم فقد كان حاكم الاقليم يمثل السلطة المركزية فى موقعه ويقوم بأعمال عديدة من بينها « تمثيل سلطة الفرعون - حضور الحفلات والاستقبالات والاجتماعات المهمة - الاشراف على الزراعة والرى - حفر الترع - اقامة الجسور - رئاسة المحاكم - جمع الضرائب - البعثات التى تخرج من الاقليم - أعمال الكشوف فى المناطق المجاورة - الاشراف على حالة الأمن - المساهمة فى تكوين جيش فرعون - الحرب والدفاع عن الحدود» .

ومن ثم فقد كانت وظائفهم مرموقة تماما ، وكانت بين أيديهم ثروات ضخمة ، كما تمتعوا بسلطات عديدة .. كانت تختلف من دولة الى أخرى ، من ملك الى آخر ، فعندما يكون الحكم المركزى قويا ، مرهوب الجانب ، ساهرا يقظا - كان نفوذ هؤلاء محدودا ، ويدور فى الأطر المرسومة بدقة ، بل كان الملوك ينقلونهم ويعزلونهم ، ويقومون بتولية غيرهم بعد فترة من الوقت .. حتى لا يستوطن الحاكم فى اقليمه ، وتكون له « عصبة » به تؤثر تأثيرا سلبيا على أعماله ، وعلى الصالح العام .. والعكس صحيح عندما تصبح السلطة المركزية ضعيفة ، متكاسلة ، متخاذلة .. فان هؤلاء كانوا يستغلون ذلك كله ، فيقيمون العصبيات ، ويرفضون أوامر النقل والعزل ، ويزيدون من سلطاتهم ونفوذهم ، وتقوية ارتباطهم بأقاليمهم ، ومن ثرائهم وثراء أعوانهم وأقاربهم ، فى نفس الوقت الذى يبتعدون فيه عن الملك ويقللون ارتباطهم بالعاصمة ، بل ويعلنون عن تعيين أبنائهم كخلفاء لهم .. بل وراحوا يحيطون أنفسهم بمختلف مظاهر الملوك لا سيما تلك التى تتصل ببناء المعابد والمقابر الخاصة .. ومضوا فى حرصهم على مظاهر الاستقلال الكامل منذ نهاية الأسرة السادسة ، مما تسبب فى تفكك وحدة البلاد وانتشار الفوضى بينما راح هؤلاء يكونون ملكيات صغيرة .. كما

استمرت هذه الحالة من الشد والجذب ، وقوة نفوذ حكام الاقاليم خاصة حكام جنوب الوادى أو « الأقاليم الجنوبية » حتى الدولة الوسطى ·· لكن هؤلاء عادوا فى نهايتها الى لعبة السيطرة ، والاستقلال وتمزيق وحـــدة البلاد (الأسرة ١٣ ـ ١٤ ـ ١٥) مما أدى الى احتلال الهكسوس لمصر على النحو السابق بيانه ·· حتى قام ملوك الدولة الحديثة بقوتهم المعروفة ·· باعادة سلطة ونفوذ الملك « المركزى » والحكومة المركزية ، مما أدى الى كبح جماح هؤلاء » ·· وتحجيم نفوذهم ، ليعودوا ـ مرة اخـــرى ـ الى سطح الأحداث بعد أن ضعفت هيبة فرعون ، على أثر أحداث ثورة «اخناتون» وعدم عنايته بتقوية الجيش وارهاب الأعداء ·· مما أسفر فى النهاية عن تفكك الامبراطورية ·· وتعريض البلاد لمواقف حرجة داخليا ، وعلى الحدود. انتهت بالغزو الأجنبى ··

● ·· لكن وعلى الرغم من ذلك كله ، فمن المؤكد انه كان من بين هؤلاء العشرات ممن لم يكن الحكم مطلبهم الأول ، أو كانت السلطة هدفا لذاته ، فاستغلوا الظروف المتاحة للوصول اليها لاغراءاتها العديدة فقط ، وانما منهم من قام بمهام منصبه على خير وجه وأتمه ، بل ومنهم الأقوياء الذين أخلصوا لبلادهم ، وكانوا الأوفياء لمناصبهم ، ولها ، بل والابطال الذين دافعوا عن استقلالها ، بالنفس والولد ·· وصفحات التاريخ تزخر بهم ، وبأعمالهم الفذة ·

● ·· نعم ، وكان من بينهم من فهم الاعلام ، وأدرك دوره ، ومن ثم حاول أن يضرب على وتره ، ومنهم من ضرب فعلا على هذا الوتر ، وان اختلفت درجات اتقانه لهذا العزف ، قبل أن نقول كيف ؟ وما هى شواهد ذلك ؟ ومن هم الذين أجادوا هذه « المعزوفة الاعلامية » من حكام الأقاليم ·· أكثر مما أجادها غيرهم ؟ ·· نتوقف قليلا عند « الدوافع الاعلامية » ·· عند حكام الأقاليم ··

●● لكننا ـ بداية ـ نقول أن هذه الدوافع أو الأســـباب يمكن تقسيمها الى نوعين كبيرين :

١ ـ اما أولهما فهى أسباب ودوافع عامة متوقعة ممن هم فى مثـــل

مناصبهم ٠٠ بل انها أسباب متكررة بمعنى انه سبقت ملاحظتها عند الملوك والأمراء والوزراء ٠٠ ومن أبرزها هنا :

— أن الاعلام فى هذه الاوقات كان فى أعمه وأغلبه أقـــرب الى **أعمال القمة** ٠٠ وقد كان حكام الأقاليم من أصحاب هذا الموقع المهم ٠٠ وهذه المكانة البارزة ٠٠ مرة فى أقاليمهم ٠٠ ومرة بالقرب من موقع الملك نفســه ٠٠ وهذه القيادات الثلاث السابقة ٠٠ بل ان بعضهم ـ فى اهناسيا وطيبة ومنف وأبيدوس ـ كان أقوى من صاحب القمة المركزية نفسه فى وقت من الأوقات ٠٠ لماذا اذن لا يعلم عن مليكه مرة وعن نفسه أخرى ؟

— وهذا الموقع نفسه وكونهم من « أهل القمة » كان يحتم عليهم القيام بمسئوليات عديدة ٠٠ سياسية وادارية وقضائية ودينية واقتصادية وزراعية وضرائبية وعسكرية فاذا قام أحدهم بأداء هذه كلها كان عليه أن يعلم **بذلك ٠٠ وأن يعلن عن قيـــامه بهذه المسئوليات** ، لكى تصـــل الى الملك والجماهير كلها ٠

— وحتى اذا لم يكن قد قام بها على الوجه الأكمل ٠٠ فانه كان يعلم عما قام به ، ويبالغ فى الاعلام به حتى يتعدى هذا الاعلام ٠٠ الى الدعاية ٠٠ وربما لأعمال لم يقم بها على نفس الدرجة التى يصورها اعلامه ٠

— ثم انه كانت لديه سلطاته ٠٠ وكان لديه العـــديد من **الفنانين والكتاب المحليين** ٠٠ وكانت لديه مصادر ثرائه العديدة ٠٠ ، وكما سبق أن أشرنا ،كان عنده مايعلم عنه اعلاما دقيقا وصادقا أو مشربا وملونا ببعض ألوان الدعاية ٠ ٠ولماذا لا ٠٠ وأمامه الأمثلة العديدة من الملوك أنفسهم ، الذين بالغ وزراؤهم ، ومساعدوهم ، وفنانوهم وكتابهم وكهنتهم فى الدعاية لهم ؟

٠٠ أى أنه هناك ما يقال ، ومن يقول ، وهناك الوسائل المتعددة ، والتى يسهل الحصول عليها وهناك الأساليب الفنية ٠٠٠ ما الذى ينتظر اذن لكى يكون الاعلام فى خدمته ؟

— ثم ٠٠ ومن بين هذه الدوافع المتوقعة كذلك ، أن يسهم من خلال امكانية اقليمه المادية والفنية والبشرية ٠٠ فى الاعلام عن عهد الملك الذى عينه ، وأيده ، وأبقاه فى موضعه ٠٠ تماما كما يفعل غيره من حكام الاقاليم

الأخرى ٠٠ باقامة المعابد والهياكل واللوحات المختلفة التى تشير الى نشاط « الملك الاله » ٠٠ بمختلف الطرق والأساليب ٠٠ وبذلك كله ينال الحكام رضاء الملوك وربما يأمنون شرهم أيضا ٠٠ فى حال قوتهم ٠٠

٠٠ الى غير هذه كلها من أسباب ودوافع متوقعة ومتكررة أيضا ٠

٢ ـ لكن هناك كذلك الأسباب الأخرى العديدة ٠ التى تتصل باعلامه هو عن نفسه فى معظم صورها ٠ ٠وبدوافعه « الخاصة » و « الذاتية » ٠٠ ومن بينها :

ـــ أن الاعلام عن أعماله يعتبر خير دعاية على أن فترة حكمه قد سادها الأمن ، وحسن النظام **وتشجيع الفنانين والكتاب** ٠٠ وحب هؤلاء ، بل الشعب كله ـ شعب الاقليم هنا ـ لحاكمه ٠

ـــ وأنه يفيده حق الفائدة عند قيام **منافسة ما** ، **بينه وبين حاكم اقليم آخر ، أو أكثر من اقليم آخر** ٠٠ فتلك أعماله شاهدة عليه ، وعلى نشاطه ٠٠ أو كما قال القائل : « تلك آثارنا تدل علينا » ٠٠ وكثيرا ما قامت مثل هذه المنافسة ، واحتدمت بين حكام الاقاليم القوية المتجاورة ٠

ـــ أنه اشعار للجميع مسئولين وغير مسئولين ، بقوته ونفوذه ٠ وثرائه ٠٠ معا ٠٠ مما يفيده ، ويسند ظهره ، فى حالة **وجود تطلعات** خاصة ، الى الانفصال عن الحكومة المركزية ، انه اعلام ، وبلاغ بالقوة ، وتعريف بامكانياته الهائلة ٠٠ وتهديد للاخرين ٠٠ معا ٠٠ مما يشعر الاخرين ـ عن طريق هذا **الاستعراض للقوة** ـ بأنه ليس بأقل من الملك الجالس على عرش البلاد ، ومن ثم ، فان من حقه أن يكون ملكا ٠٠ طالما **امتلك كل هذه** الرموز التى يعلن عنها ٠٠

ـــ ثم انه كان عليه الاعلام عن « **طابع** » **اقليمه** ، **بمن عليه** ، **وما عليه** ، بامكانياته ، ومعبوداته وأعياده المحلية ، وزراعته وكذا بتراثه ، وأهميته ، وبمهندسيه ومبدعيه وفنانيه وكتابه ٠٠ والا ، فمن الذى يعلم بذلك كله ؟

ـــ ثم ٠٠ انه يريد ٠ ٠هو نفسه شخصيا أن يعلن عن ولائه لمعبودات الاقليم ، والمعبودات الأخرى المركزية ، وعن حبه للحكمة ، وتقديره

للفن ، واهتمامه بالكتاب ، ورعايته للعلم ، وكل ذلك ، لابد أن ينتقل الى جماهير الحاضر والمستقبل ٠٠

ــ جانب « **تقليدى** » ٠٠ بمعنى التقليد والمحاكاة ٠٠ فحاكم الاقليم، يريد تقليد الملك ، أو الأمير ، أو الحاكم السابق ، أو الحاكم المجاور ٠٠ وكل ذلك يدور فى اطار « الحضارة التسجيلية » ٠٠ التى تشجع على مثل هذا التقليد ، تقليد ما هو قائم ٠٠ بصوره المتعدده ٠٠ ومحاكاتها ٠٠ تمهيدا للتفوق عليها ٠٠

ثم ماذا يضا ؟

● ٠٠ على أنه ، وكما حدث بالنسبة للملوك ، وللامراء ، وللوزراء ٠٠ فان هؤلاء لم يكونوا على درجة واحدة فى :

ــ معرفتهم بالعملية الاعلامية وفهمهم لها ٠
ــ اقتناعهم بها ٠
ــ توظيفهم لها ٠٠
ــ العمل على حصاد واستثمار نتائجها ٠٠

٠ وانما كانت هناك **مستويات مختلفة** منهم ٠٠ نركز هنـــا ، على المستوى الأول فقط ، ممن فهموا الاعلام ، وبذلوا جهدهم فى سبيله ، وتم لهم حصاد نتائجه ٠٠ أكثر من غيرهم ، من الحكام الاخرين ، ان من أبرز هؤلاء والذين نركز هنا على اعلامهم الشخصى فقط :

١ ـ « **عنخ تيفى** » ٠٠ ونترك أحد علماء الآثار يتحدث عنه ـ الأسرة ١٠ قائلا : « كان عنخ تيفى صاحب مقبرة المعلا حاكما للاقاليم الجنوبية الثلاثة : الفنتين وادفو وارمنت ـ يفتخر بسطوته وقوة جنوده الذين كانوا يذيعون الذعر اذا خرجوا للحرب ، ويتحدث عن المجاعة التى فتكت بالصعيد ولم ينج منها غير اقليمه لأنه سبـــاعد الناس وكان يوزع عليهم الحبوب ، وحمى الضعفاء من الاقوياء حتى مرت تلك المحنة بسلام » (١٢) ٠

٢ ـ « **ونى** » صاحب النشاط الاعلامى الواضح ، مذكرات ، وتقارير رحلات وماجريات وأحاديث ٠٠ ظهرت على آثاره المختلفة خاصة لوحته التى

وجدت بقبره فى أبيدوس ، وحيث تقلد المناصب العديدة خلال الأسرة السادسة: فى عهد الملكين « تتى » و « بيبى الأول » كان أخرها حاكم الوجـــه القبلى وجميعها تؤكد حسه الاعلامى ٠٠ مما سنتوقف عنده فى مواضع عديدة قـــادمة ٠

٣ ـ « **حرخوف** » ٠٠ لا يذكر « ونى » ٠٠ الا ويذكر معه « حرخوف » ٠٠ حاكم « الفنتين » والرحالة المصرى القديم الاشهر ، برحلاته الأربع ذائعة الصيت ، وحيث حكى لنا قصة حياته على واجهة قبره فى أسوان ثم رحلاته التى حرص على تسجيلها لنجد فيها زادا اعلاميا معقولا ، مشيرا فى الوقت نفسه الى هذه الدرجة من الحس الاعلامى المتميز فهى ـ كما سنرى وكما أشرنا الى ذلك فى كتبنا السابقة ـ تعتبر من الجذور الأولى للاحـــاديث الصحفية ، وتقارير الرحلات ، معا ، كما سيرد فى موضعه باذن الله ٠

٤ ـ « **سبنى الأول** » ٠٠ كان مشرفا (حاكما) على الوجه القبلى أيضا ولا يختلف كثيرا عن السابقين ، وان لم يحظ بمثل شهرتم وهو ابن الوزير « مخو » ٠٠ وقد عاصر أيام الأسرة السادسة أيضا ، وأبدى حسا اعلاميا من مستوى طيب ، تفوق به على كثيرين ، من بينهم والده نفسه وقد تجلى ذلك فى « النقوش التقريرية والتسجيلية » بمقبرته بجنوبى أسوان ، والتى تتصل بمقبرة والده ، وأشهرها لوحة صيده الملونة ، كما أن هناك بعض الاخبار التى راح يسردها على لوحاته ٠٠ كخبر وفاة أبيه ، وذهابه لاحضاره من بلاد « نجسى » ، ورسائله للملك « بيبى ٢ » ٠

٥ ـ « انيوتيف الأول » ٠٠ أو انتف أو سهرتاوى ٠٠ كما يطلق عليه البعض ، وذلك عندما كان حاكما على اقليم طيبة ، وقبل أن يعلن نفسه ملكا، مؤسسا للاسرة الحادية عشرة ـ فى مواجهة حكام اهناسيا الذين استقلوا بها وأعلنوا أنفسهم ملوكا للاسرة العاشرة ـ حيث أبدى حسا اعلامياً يجعله فى مقدمة هؤلاء ، كما تجلى فى عدد من الرموز من مثل قبره ، فى شمالى طيبة ، ومثل لوحته الشهيرة ٠

٦ ـ « **خيتى** » **أو اختوى** ، أمير أسيوط خلال حكم الأسرة ١١ فى طيبة ١٠ فى اهناسيا ، ذلك الذى ترك لنا على جدران مقبرته وفى بعض لوحاته عدة رموز واشارات تدل على حس اعلامى طيب ، من زاوية الترجمة الذاتية

ومن زاوية الاعلام العسكرى (التخطيط للحرب ـ اســتدعاء الجنــود ـ تدريبهم ـ اعداد الرماة ... الخ) الى جانب الكثير عن تربيته الملكية ـ التعريف بالأسطول الذى أعده) (*) ·

٧ ـ « نف اب » ابن اختوى ·· والذى تلاه فى حكم أســيوط من قبل الاهناسيين أيضا ، وحيث كان اعلامه الجدرانى ـ جدار المقبرة هنا ـ امتدادا لاعلام والده ، وعلى شاكلته أيضا ، ومن نفس المعين وان كان ـ على غير ما فعل أبوه ـ قد تحدث عن معاركه التى خاضها مع أعداء ملك اهناسيا، ويذكر أن قائد جيش طيبة قد وقع فى الماء ، وتفرقت سفنه ، وتحقق له الانتصار ، ويبدو أنه لم يكن الانتصار النهائى ، أو كان انتصارا مرحليا ، أو لم يكن صحيحا على الاطلاق ، بدليل أن الغلبة فى النهاية كانت للاناتفة من حكام طيبة (انيوتيف الثانى) ·· لكننا على الرغم من ذلك كله نعترف له بجانب الحس الاعلامى ، والمقدرة الدعائية معا ·

٨ ـ « **سيرنبوة الأول** » ·· أحد حكام الجنوب فى عهــد سنوسرت الأول ·· والذى اتضح لنا تمتعه بحس اعلامى طيب من خلال جدران مقبرته الصخرية الاسوانية الشمالية ·· تلكالتى سجل عليها سيرته الذاتية ، وصوره وأبرز أعماله وبعض اهتمامه واهتمامات الفترة التى عاشها الى جلنب التعريف بأسرته زوجته وأولاده وحامل أقواسه وكلبه ·· الى جانب بعض ألوان النشاط الأخرى مثل الصيد وتسجيل المحاصيل بمعرفة الكتب وصنع الجعة والنسيج ·· كما يروى كثيرا عن صــلته بالملك ، وامتداح الأخير له ·· وما الى ذلك كله ·

ثالثا ـ موظفــون مبرزون

● ·· وباستثناء الوضع الخاص للملوك على اختلافهم ، ويتبعهم فى ذلك الأمراء من أبنائهم ، فان القمة المصرية القديمة ، وكما اتســعت

(*) يبدو أن ذلك لم يتعد دور الاعداد للحرب فقط ، والذى ركز عليه خيتى ، أو أنه لم يشأ أن يذكر لنا ما هو أكثر أهمية من الاعداد للحرب ، وقائع الحرب نفسها، حيث كانت الغلبة فى النهاية لامراء طيبة على أمراء اهناسيا الذين كان يمثلهم خيتى فى حكم أسيوط التابعة فى ذلك الحين لاقليم اهناسيا !!

للوزراء وحكام الاقاليم ، فقد اتسعت كذلك لاخرين ، يمكننا أن نطلق عليهم تعبير : « كبار الموظفين » ‥ أو « كبار الشخصيات » ‥ ولم يكن هؤلاء من طبقة واحدة أو طائفة واحدة أو أسرة واحدة ‥ وانما كانت الدائرة تتسع باستمرار لكى تتضمن الجديد من الشخصيات التى تبعت هذه النوعية تلك التى كان من أهم أفرادها :

— موظفو البلاط الملكى ·

— كبار قادة الجيوش ·

— كبار موظفى القصر الملكى لا سيما (المدراء للادارات المختلفة ــ الكاتب الادارى : شس ــ بعض المعلمين ــ المهندسون » ·

— حاشية الملك (الأصدقاء ــ الندماء ــ زملاء الدراسة فى مدرسة القصر ــ زملاء رحلات الصيد والرياضة) ·

— الكاتب بالمعنى الفكرى والأدبى والابداعى والفنى ·

— بعض حكام الأقاليم أنفسهم ‥ فقد كانوا « حكاما للاقاليم » وفى نفس الوقت من كبار الموظفين ‥

● ‥وقبل أن نقدم صورة اعلامهم ‥ أو على وجه التحديد ، **موقفهم من هذا النشاط الفكرى الفنى الانسانى المتميز ــ نلفت النظر الى :**

— أما حكام الأقاليم فقد تناولنا « وضعهم الاعلامى » بالقدر الذى يسمح به هذا البحث ·

— وأما كبار القادة ، فاننا سوف نتطرق الى وضعهم الاعلامى ‥ عند حديثنا عن « الاعلام العسكرى » ·

— وبالمثل ، وكما أشرنا الى ذلك من قبل ، فان الحديث عن الكهنة والاعلام ، سوف يكون مكانه المناسب ، هو : « الاعلام الدينى »‥

‥ وهكذا نقترب من اعلام هؤلاء شيئا فشيئا ، ومن ثم نضيف الى هذه المعلومات الأساسية عنهم ، والتى تعتبر الطريق الطبيعى الى التعريف باعلامهم :

— أن عددا من هؤلاء كان يرأس ادارات مهمة داخل القصر نفسه ومن بينها : « ادارة الهيئات الملكية ــ الورش الملكية ــ ادارة هبات الملك « برحرى وجب » ــ ادارة الاشغال ــ ادارة الوثائق الملكية ــ ‥‥ الخ » ·

— وصحيح أن معظم هذه الادارات كانت تابعة الى الوزراء ، لا سيما الوزير الأول ، الذى يرفع أعمالها الى الملك ، لكن من الصحيح أيضا أن عددا كبيرا من هؤلاء كان له وضعه الخاص ، وكيانه الخاص أيضا ، ومن ثم ، فقد كان على قدر طيب من النفوذ ، ومن الثراء معا ، مما جعله يتطلع الى التعريف بنفسه وبأعماله ·· بعد التعريف بأعمال الملك طبعا ··

— على أن أبرز هؤلاء ، وان كانوا من بينهم أيضا ، الذين يختارهم الملك بدقة ، وتتوافر فيهم صفات ومواهب خاصة للقيام ببعض المهام الخاصة والمهمة (بعثات تجارية — حملات عسكرية محدودة — مفاوضات مع جيران مصر — رسل الى الدول الصـــديقة — بعثات الى المناجم — الاشراف على بعض عمليات البناء والتشييد ··· الخ) ·· ومن ثم ، وبالاضافة الى النفوذ والثراء ، فقد كان هناك ما يقال، مما يخص الملك ، والعمل المهم ، والشخصية نفســـها ··

● ·· أما الأسباب التى جعلتهم يبحثون عن موقع قدم على الساحة الاعلامية ، أو ينشدون فهما للاعلام وتوظيفا له ، فهى أسباب عـــديدة ، بعضها لا يختلف كثيرا عن تلك الاسباب السابقة ، التى دفعت بالوزراء والحكام الى الاعلام عن ملوكهم ، وعنهم شخصيا ، والدعاية لأعمالهم ·· كما كانت هناك بعض هذه الأسباب ، المقدمة على غيرها ، بالنسبة الى هؤلاء، وكذا بعض الأسباب « الخاصة » ·· وهذين الأخيرين · ·من مثل : « دوافع مقدمة على غيرها ، وأخرى خاصة » ·

١ — أن الاعلام عن أعمالهم ، وعنهم شخصيا يتيح لهم أن يكونوا فى الصفوف الاولى دائما ، ومن ثم يكون هؤلاء ممن يجتذبون الأضـــواء ·· وأنظار الكبار ، لا سيما الملك والأمراء والوزراء ·· بينما يجعل غيرهم ·· يعيش فى الظل ·

٢ — ومعنى ذلك أنهم يضمنون البقاء فى وظائفهم المرموقة ·· ومراتبهم المميـــزة ·

٣ — بل ويضمن بعضهم الترقية الى وظائف أخرى ، أهم وأرفع ·

٤ — ومن ثم فهم يرشحون قبل غيرهم ، لهذه المناصب المهمة ، بل

وأكثر أهمية من ذلك لرئاسة البعثات الملكية متعددة الغايات والاغراض ، مما يزيد فى تسليط الأضواء عليهم ، ويقدم لهم الفرص الكبرى لخـــدمة مليكهم ومعبوداتهم ··

٥ ـ وهذا بدوره يدفع الى مزيد من ثقة الملوك والامراء والوزراء بهم . مما يزيد من فرص الاستعانة بهم ·· ويدفع الى مزيد من النشاط ، والمناصب والأضـــواء ·

٦ ـ ثم هناك أيضا جانب « التقليد » و « المحاكاة » لبعضهم البعض . لا سيما بين زملاء الادارة الواحدة ، فى القصور أو غيرها ·

● ·· لابد من الاعتراف بأن اعلام هؤلاء كان يتميز بأســاليب وأنماط خاصة ، جعلت له أهمية خاصة ، فنية ، وتاريخية معا ·· نجمل الحديث عنهما فى هذه السطور المركزة ··

● ·· أما عن الأهمية التاريخية ، لاعلام هؤلاء ، فحسبنا أن نقول هنا ·· أن الاعلامهم ، كانت له زواياه المختلفة :

ـــ فهو من جهة يعتبر من أبرز ألوان الاعلام المصرى القديم التى قدمت لنا هذه الفنون كلها ، والتى تمثل ـ الى جانب اعلام بعض الحكام والوزراء ـ ·· « السيرة الذاتية والترجمة الخاصة » ، وهى كما نعرف ·· فن أدبى وصحفى معا ، وتعتبر أصلا من أصول المقابلات الاعلامية ، وشكلا من أشكالها ·

ـــ وهو من زاوية أخرى يعتبر أكبر المصادر التى تعرفنا بالاعمال والمناصـــب والادارات المختلفـــة ، وطبيعة ، ونوع عمـــل أبرز هـــذه الوظائف ··

ـــ كما تقدم لنا الدليل الحى ، والشاهد الملموس و « التاريخى » على هذه الألوان من المهام الخاصة التى أوكلت الى هؤلاء ، وطبيعة كل منها ·

ـــ ثم ·· ان من أهم ما تقدمه رموز اعلامهم ، وأدواته و « أوعيتهم» الاتصالية والدعائية هذه الألوان المتعددة من « الاعلام المهتم » وكذا «الاعلام المتخصص » ·· من خلال الحديث المتصل عن أعمالهم المتعددة والكثيرة ··

سواء الأصلية ، أو التى أوكلت اليهم ، أو ألقيت على عاتقهم ـ بمعرفة الملوك أو الأمراء أو الوزراء ـ مسئولية القيام بها ٠٠

● وأما عن الأهمية الفنية ٠٠ مستوى هذه الأعمال نفسها ، وتلك الدرجة من الفن التى جاءت عليها ٠ ووسائل ذلك ، الى جانب اخراجها ٠٠ فان أحدا لا يستطيع أن ينكر ، أن هذه الأوعية المختلفة ، من جدران وأعمدة، وهياكل ، ولوحات وبرديات ، قد وصلت ـ خاصة فى عصر الدولة الحديثة ـ الى درجة عالية جدا ، من المستوى الفنى ، نقشا وحفرا بارزا أو غائرا وكتابة وتلوينا ونحتا ٠٠ وما الى ذلك كله ٠٠ لا سيما تلك التى تتصل بـ :

ـــ مناظر ورسوم الحياة اليومية ٠
ـــ ما يتصل بالعادات والتقاليد المصرية القديمة خاصة الزيجات الجديدة والمواليد والوفيات ٠
ـــ ما يتصل بالحياة الأخرى ٠
ـــ ما يتصل بالعلاقات مع الأقطار المجاورة ٠٠
ـــ وأحيانا ما يتصل بالحياة داخل القصور الملكية والمعابد وما اليها ٠

كل ذلك ، بالتعبير القوى ، الواضح ، المبتكر ، الجميل ، الذى عاش حتى الآن ٠٠ بخطوطه وألوانه وقبلها بمضمونه نفسه الذى بذل من أجل بقائه والحفاظ عليه ووصوله الى جماهير المستقبلين كل هذا الجهد ، والفن ، انها ابرز أشكال وصور « نقوش الأفراد » وكذا اعلامهم فى مصر القديمة ٠

● ٠٠ وهكذا كان الحال بالنسبة للعديد من أمثال هذه الصور التى خلفها لنا ، هؤلاء جميعا ، وغيرهم ، من كبار موظفى مصر القديمة بعهودها المختلفة ، ومن بينهم على سبيل المثال لا الحصر :

هذه الأسماء العديدة كلها : « **نحسى رع ـ كا أم حست ـ نى عنخخنوم ـ حما كا ـ نفر ماعت ـ تى ـ محجى ـ سنوحى ـ امونزح ـ حوى ـ وجاحررسنت ـ مكت رع ـ سنموت ـ مين ـ مننا ـ بايرى ـ متن ـ امن اخت ـ أوسر ـ نخت ـ خع ـ بن أمـــون ـ خنم ام حب ـ أوسرحات ـ نفرحتب** ٠٠٠ » وغيرهم ٠٠ **وحيث نتوقف هنا عند ثلاثة منهم ، نقدمهم على** سبيل المثال لا الحصر :

١ ـ « **نحسى رع** » ·· أحد كبار الموظفين فى عهد الملك « زوسر » مؤسس الأسرة الثالثة ·· حيث نرى اللوحات الخشبية العديدة ، التى تعرف به وبألقابه ، كما تصوره يحمل رموز الشرف والعصا ، وأدوات الكتابة ، كما أوضحت ألوان الطعام المختلفة التى كان يحبها ، بالاضافة الى معلومات عديدة عن عصره ، وعن مليكه ، وعن أسرته ، وأبرز أعماله ·

٢ ـ **تى** » ·· أحد كبار الموظفين فى عهد « نى وسررع » أحـــد ملوك الأسرة الخامسة ، وأبرز رموز اعلامه ما وجد فى مقبرته بسقارة ، والتى تؤكد حسه الاعلامى ، الى جانب كونه أحد أبرز المهندسين المعماريين المصريين ـ مديرا للاعمال بالاهرامات ـ ولذلك فقد أجاد على جدران مقبرته تسجيل :

ـــ المناظر التى تتصل بعمليات الزراعة والحصاد ورعى الاغنام ·

ـــ المناظر التى تتصل ببعض صناعات البيئة الزراعية (الألبان ـ تربية الطيور الداجنة ـ الجعة) ·

ـــ المناظر التى تتصل بمعظم الصناعات « الفنية » ·· نحت ـ رسم نقش ·· وغيرها ·

ـــ المناظر التى تتصل ببعض الصناعات الأخرى السائدة كالصناعات الخشبية والفخارية والجلدية ·

ـــ مناظر صيد البر والبحر (الأسماك ـ البط ـ فرس النهـــر ـ استخدام كلاب الصيد السلوقية) ·

ـــ بعض عادات المصريين فى الافراح والأحـــزان والمشـــاجرات والمناسبات المختلفة ··

ولذلك فقد كانت جدران ولوحات مقبرته من أكبر مصادرنا عن هذه الأعمال كلها ، ومن هنا حرص على زيارتها الكثير من الباحثين ·· خاصة فى مجال الحياة اليومية ، وحيث تقدمها لهم واضحة تماما ، وملـــونة ، وبالحفر البارز على الحجر الجيرى ·· ولازالت مقبرته من أجمـــل مقابر اشراف الأسرة الخامسة فى سقارة واغناها واروعها فى النقوش من حيث الدقة والحيوية ··· الخ » (١٣) ·

١ ـ « سنموت » ٠٠ من أبرز أسماء كبار الموظفين المصريين ، انه المهندس المبتكر ، والاعلامى النابه ، والفنان الفذ سنموت « المحبوب من الملكة حتشبسوت ومعضدها الأول الذى قام ببناء معبدها فى الدير البحرى وأقام مسلتيها بالكرنك » (١٤) ٠٠ ونظرة واحدة الى هذه الانشاءات وما عليها من رموز اعلامية كافية للحكم بحسه الاعلامى والدعائى الخطير ، ونحسب أنه كان من وراء هذه النقوش الاعلامية العديدة لا سيما قصة ولادتها ، وتقارير رحلتها البحرية الى بلاد « بونت » ٠٠ بل كان من وراء اعتبارنا لحتشبسوت من الملوك والملكات أصحاب المستوى الاعلامى الأول ٠ كونها من أبرز الشخصيات الحاكمة المصرية ، عناية بالاعلام والدعاية ، على مدى التاريخ المصرى كله ، ولا يتقدمها فى ذلك الا قلة نادرة للغاية ، لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة ، بل لعل هؤلاء لم يتقدموا حتشبسوت الا باعلامهم العسكرى ، بينما هى لم تقم بأية حملات حربية مهمة وكبيرة لكى تخبر بها ، ولو فعلت لكانت أبرز ملكة أو حاكمة فى تاريخ مصر وربما فى تاريخ الشرق كله فى مجال الاعلام ٠٠ الذى كان يقف من ورائه هذا المحب النابغة معا ٠٠ ولولا أن تحوتمس الثالث » أزال اسمها من كل أثر كما حطم مقابر أتباعها وازال أسماءهم وعلى الاخص صفيها ومعلم بناتها ومهندسها سنموت ٠٠ ولولا أنها ـ على نحو ما ذكرنا ـ لم تقم بحملات عسكرية مهمة ٠٠ لكان لها من الاعلام ، شأن وأى شأن ، ولكانت قد استحقت هى ومهندسها ، دراسة خاصة ٠

لكن ٠٠ وعلى الرغم من ذلك كله ، فان البقايا القليلة من مناظر مقبرة هذا الرجل ـ رقم ١٧ بالحوزة العليا بالاقصر ـ تقدم لنا بالاضافة الى أعماله من أجل محبوبته ومليكته ٠٠ صورة أخرى لحسه الاعلامى الطيب ، وحضوره الاتصالى الذى لا سبيل الى أنكاره ونخص منها بالذكر تلك المادة المنقوشة والمكتوبة كلها : « وفود ورسل البلاد الشمالية وهم يحملون هداياهم ـ كتابات الممر الداخلى التى تقدم فكرة عنه ، وعن أعماله » (*) ٠

(*) يقول جيمس بيكى ، أن سنموت كان يستشعر الخطر القادم بسبب مساندته القوية للملكة ومن ثم فقد غطى هذه الكتابات بعد نقشها بالجص ، الذى نقشت فوقه كتابات أخرى أقل أهمية ، حتى أتلف أعداؤه هذه الكتابات الظاهرية ، اكتفوا بها ، ولم يفطنوا الى ما تحتها من كتابات أخرى ٠ ٠ لكن الحيلة لم تنطل عليهم ، فقد محى اسمه من على هذه الكتابات التى كانت مستترة ايضا ٠

الفصـــل الثـالث

المنفـــذون

٠٠ وأعنى بهم هؤلاء الذين كانوا يقومون بالعمل فكرا فى أحيـــان كثيرة ، وباستقراء ما كان يريده الملوك والأمراء والوزراء والحكام وكبار الموظفين ، وعن طريق الفهم الكامل لخطط وأهداف هؤلاء من جانب ،ولعملهم الخاص من جانب آخر ، يقومون بالعمل فكرا ، واعدادا وتنفيذا ، ثم خروجا على الناس ، الجماهير ، جماهير الحاضر والمستقبل القريب أو البعيد ، من خلال عدة خطوات أو أعمال ، بها تتم العملية الاعلامية ، التى تستخذ منها اطارا علميا لهذه الصفحات ٠

٠٠ وصحيح وكما ألمحنا لذلك فى سطور سابقة ، وكما سنلمح ايضا أن بعض أفراد الفئات السابقة ، كان اعلاميا بطبعه فكرا وتخطيطا واشرافا ٠٠ وصحيح أيضا أن معظمهم ـ حتى الملوك ـ كان يشارك بأداء دور اعلامى ما ، فى المناسبات والعروض والمهرجانات المهمة ٠٠ لكن من الصحيح أيضا أن معظم الأعمال ـ خاصة اليدوى منها ـ كان يترك لأصحاب المقدرة الفنية، والخبرة المهارية ، من هذه الفئة أو الطائفة الأخيرة ٠٠

ومعنى ذلك أنهم ، يمثلون أيضا ، مع الفئات السابقة ، الاجابة عن السـؤال : من Who ? وأن بهم يكتمل عقد هؤلاء « المرسـلون » ٠٠ وحيث يمثلون طائفة « العاملين » ، أو « الشغيلة » بمختلف تخصصات أعمالهم ، واهتماماتهم ، ومستوياتهم ٠٠

لكن من المؤكد أن هؤلاء ، لم يكونوا على درجة واحدة من المستوى الوظيفى ، أو الشهرة ، أو العائد ، أوالمنزلة ، أو التحلى بالصفات والمواهب الكامنة ، أو المقدرة الفنية أو المهارية ، أو القدرة الجسدية على بعض الأعمال ٠٠ وما الى ذلك كله ٠٠

ومن هنا ، وبصرف النظر عن أن بعض « المهندسين » كانت لهم صلتهم

الوثيقة بأعمال هؤلاء ، تماما كما هم الآن بالنسبة للكثير والمهم من جوانب العمل الاعلامى الفنى والصناعى « الطباعة - الارســـــال - الاســتقبال - الصوت - الأضواء - الأقمار الصناعية - الألوان ··· الخ » ·· بصرف النظر عن هؤلاء واتصالهم بالجوانب الهندسية المعمارية فى حقل الاعلام المصرى القديم ·· فاننا نرى أن نقسم هذا النوع الاخير من المنفذين الى فرعين مختلفين ، فكرا وعملا وتطبيقا وان كان عمل كل منهما يكمل عمـــل الآخر ، ويتمه ·· على أرض الواقع التطبيقى نفسه ··

المبحث الأول

الكـــاتب المصـــرى

·· من أبرز « الشخصيات » المصرية على الاطلاق ، فى هذه الأوقات مجال حديثنا ، والتى لعبت دورا حضاريا أساسيا ، قد لا يعدله دور آخر ، باستثناء دور الكهنة ، ودور المهندسين ، ودور قادة الجند ، وأدوار عدد من كبار الموظفين الآخرين ، وغيرهم من « أبناء الشعب » ·· وليس الفراعنة أو الأمراء ·

بل ان دور بعض الكتاب ، ليسمو حضاريا ، فكرا وعملا وابداعا ، على ما قدمه هؤلاء ، لا سيما اذا نظرنا من زوايا معرفة الكتابة ، والتقويم والحساب والاحصاء والتعاليم الأخلاقية ·· بل والاطر الأدبية والاعلامية المختلفة ·· وغيرها ، اذ يبقى منه للتاريخ والمسيرة الانسانية هذه كلها ··

وذلك كله دون أن نتجاهل أن بعض هؤلاء الذين قاموا بأداء الادوار الحضارية المختلفة هذا البعض كان فى مرحلة من مراحل حياته ، وربما حتى تقلده لأرفع المناصب وأهمها ·· كان كاتبا ·· وباب اجادة الكتابة - كما سنرى - هو الذى قدم له ولغيره أفضل الفرص ·· انه الجد الأول ، والأكبر ، والتاريخى والأصيل ، لكل من يمسك قلما يكتسب به رزقه ويقيم عليه حياته من خلال « اصطناع » الكتابة ، وتعاطيها ، من خلال الفكر العامل والنامى والعقل المنظم ، والحس المبدع والمعبر ·· فى شكل من اشـــكال الرسالة الاعلامية الاخبارية ، أو التفسيرية ، أو التوجيهية أو التثقيفية ، أو التعليمية ، أو التنموية أو الممتعة والمؤنسة ، أو بعض هذه ، أو أكثرها ، أو كلها معا ··

(أ) **حول المعنى المتعدد للكاتب :** ولعل فى هذه المقدمة ، ما يشير الى أن حديثنا هنا يركز على الكاتب بمعناه القريب من أذهان القراء عامة ، والاعلاميين والادباء منهم خاصة ٠ ذلك لأن لقب « الكاتب » الذى سوف نتوقف قليلا لنبين أهميته ومنزلته ٠٠ لم يكن قاصرا على الكاتبين المبتكرين ، من أجداد الأدباء الكتاب والمحررين وحدهم ، وانما ، والى جانب هؤلاء ، كان يطلق على فئات كثيرة ، بعضها عن حق ، وبعضها رأى أن يتخذه له ، ليكون ضمن ألقابه « الرفيعة » ، والتى تجلب له احتراما كبيرا ، وتقديرا وفيرا ٠٠ نعم الى جانب صاحبنا « كاتب الرسالة الاعلامية أو القطعة الأدبية » فاننا نجد :

ـــ الذين تعطيهم أعمالهم لقب « الكتاب » ٠٠ انطلاقا من قيامهم بهذا الدور الوظيفى نفسه أو الاشراف على من يقوم عليه ومن بين مهامه (الاشراف على جمع المحاصيل الزراعية ـ الاشراف على خزنها ـ الاشراف على توزيعها ـ الاشراف على المخازن الملكية ـ مخازن حكام الاقاليم ـ جوانب التعداد العام ـ المواليد والوفيات ـ أعمال الاحصاء والتسجيل الأخرى ـ مراقبة الكتبة الصغار ـ التفتيش على بعض الجوانب الادارية ـ شق الطرق وحفر الترع والجسور ـ مراقبة أعمال بيت المال ـ مراقبة أعمال البعثات ـ تسجيل الوثائق الخاصة بالأملاك وعمليات التبادل والبيع والشراء ـ فرض الضرائب أو الاعفاء منها) ٠٠ انه « الكاتب الادارى » ٠٠ الذى نطلق عليه حتى اليوم ، وعلى سبيل التفخيم (*) « الباشكاتب » ٠٠ انه ٠٠ باختصار شديد ٠٠ من يشغل وظيفة كتابية ما ٠

ـــ ويضاف الى هؤلاء أيضا بعض كبار المعلمين فى مدارس القصور، وغيرها ٠

ـــ والملك نفسه كان يطلق عليه فى أوقات كثيرة ، بل فى معظم فترات التاريخ المصرى ، وضمن ما أطلق عليه من ألقاب مهمة لقب« كاتب كتاب الاله » وكان هو نفسه شديد الحرص على ذلك ٠

(*) ويطلقها البعض أحيانا على أصغر الكاتبين أو الموظفين ، سعيا وراء تحقيق مصلحته التى جاء من أجلها ٠

ـــ كذلك فقد تلقب **معظم حكام الأقاليم** بهذا اللقب وحرصوا على ذلك من ناحية لأن من المهام الموكلة اليهم الاشراف على الشئون الادارية ، وكتابة التقارير عنها ، ومن ناحية ثانية لأهمية هذا اللقب ، وما يعنيه بالنسبة لصاحبه فى الاعراف المصرية القديمة ٠

ـــ ومعظم الوزراء ٠٠ تلقبوا أيضا بهذا اللقب ، سواء كان ذلك عن حق ، أو عن غير حق ٠

ـــ حتى الاطباء ، أطلق بعضهم على نفسه هذا اللقب !!

ـــ وعدد كبير من الكهنة ، على رأسهم « الكاهن العظيم » ٠٠ كانوا يلقبون بالكتبة ، كما كان كتبة المعابد المشرفين على الاوقاف الخاصة بهـا ـ وهى ثروة كبرى ـ كان هؤلاء من الكهنة الكتبة ٠٠ ، وذلك بالاضافة الى أن أقدم أصحاب تماثيل الكتاب ، كانوا كتبة وكهنة ، ٠ ٠

٠٠ وهكذا ، فأينما ذهبت فى مصر القديمة ، وجدت جوارك ، أو حولك، أو عن يمينك أو عن يسارك كاتبا من الكاتبين من هذا النوع ، أو ذاك ٠٠ حتى أصبح اللقب يطلق على المثقف بشكل عام ، بل وأكثر من ذلك أصبح يطلق على كل من يجيد القراءة والكتابة والحساب ، وحيث لاحظ أحد كبار الباحثين أنه منذ أوائل عصر الدولة القديمة « لا تكاد تخلو نقوش مقبرة أو مناظرها من شخصية تتخذ ضمن ألقابها لقـــب الكاتب ، أو ما يدور حوله » (١٥) ٠٠ كما لاحظ « دريوتون » ٠٠ أنه يعنى لقبا للمتعلم أو المؤهل عـــــامة ٠

(ب) حول منزلة الكاتب : لماذا يحرص الجميع ـ كما لاحظنا ـ على أن يطلقوا على أنفسهم هذا اللقب ٠٠ حتى أننا لا نذهب بعيدا عندما نقول ، أن عددا كبيرا من أصحاب المهن المتميزة ، والتخصصات العلمية ، من بينهم قادة العسكر والقضاة والاطباء وغيرهم ، قد فعلوا ذلك ؟ بل والتقى هؤلاء وغيرهم من الوزراء وحكام الأقاليم والكهنة ، مع بعض أبناء الطبقة الوسطى، وصغار العاملين ، فى الحرص على هذا اللقب المرموق نفسه ٠٠ ، بل وأكثر من ذلك ، ومنذ أيام الدولة القديمة أيضا وكما يقول الباحث السابق نفسه : « ٠٠ ظل أحد الأوضاع الأثيرة لتماثيل الكبراء ما يمثلهم فى سمة الكتاب وفى جلسة التربع التى كانوا يتخذونها ، وأقدم المعروف من هذه التماثيل

ما يمثل كاوعب أكبر أبناء خوفو ، وأبناء أخيه جدف رع ثم كان من أشهر العظماء الذين مثلوا عليها فى العصور التالية القديمــة امنحوتب بن حابو وحور محب من عصور الدولة الحديثة » (١٦) ٠٠ ان لذلك كله ـ فى واقع الأمر ـ عدة أسباب ، من أهمها :

ــــ لأن الشعب المصرى بطبعه وطبيعته ومنذ عرف الحروف الهجائية منذ أواخر الألف الرابع قبل الميلاد ٠ وهو شديد الانجذاب للكتابة شديد الولع بها ، يعتبرها فضيلة كبرى ، ومن ثم فان الكاتب بمعناه الشامل ـ من يعرفها ويجيدها ـ يناله الكثير من ذلك ٠

ــــ ارتباط الكتابة عند آل فرعون بالعقائد الدينية التى كان الشعب يقبل عليها اقبالا شديدا ، ومن ثم أضيف هذا السبب القوى كدافع لتعلمها واجادتها من جهة ، وكسبب آخر من أسباب تكريم وتمجيد الكتاب من جهة أخرى ٠٠ ذلك أن المعبودة « سشات » أى الكاتبة ، كانت هى أول من علم الناس الحساب وعملياته المختلفة ٠٠ والمعبود « **توت** » أو « **تحوتى** » هو رب العلم ، والمعرفة ويرجعون اليه الفضـــــل فى تعليمهم الكتابة ، والخط ، والتعبير ، وكل ما يتصل بهذه الأمور ، واذن فالكتابة عبادة أيضا ، والكاتب يعنى الرجل شديد التدين ، اضافة الى فضائله الأخرى ٠

ــــ بل وأسهمت عبادة « **أوزيريس** » رب الآخرة ، فى اسباغ جانب من هذا الفضل على الكتاب ، فاذا كان الكاتب المثقف يحظى فى الاخـــرة بالاقتراب من « توت » ٠٠ فعلى العكس من ذلك ، ان أوزير ـ رب الآخرة ـ يصب جام غضبه على من لم يتعلم الكتابة ، ويهدد بعقابه الأميين الذين لا يحسنون القراءة أو الكتابة ٠

ــــ لأن الانخراط فى سلك العمل الحكومى المتاح أمام الكاتب كان يعفى الانسان من الضرا ئب ، ومن طغيان الرؤساء ٠

ــــ لأن النظام الادارى المصرى المتشعب ، والممتـــد الى أقصى الأقاليم الجنوبية ، وأحيانا الى الشرق والغرب وكذا التوسع المصرى فى أوقات كثيرة ، كل ذلك كان يتطلب عددا كبيرا من الموظفين ، ممن كان عليهم أن يجيدوا أعمال الكتابة ٠٠ وما يتصل بها ، كما أن الكاتب ـ بالمعنى العام ـ

لم تكن فرص العمل العادى وحدها متاحة أمامه ، وانما كانت الكتابة تفتح له أبواب الترقى فى مناصب الدولة ، وكذا الانخراط فى سجل العاملين بالقصور والضياع والاعمال الملكية الأخرى ، وحتى فرصة الانخراط فى سجل الجيش ، والبعثات ، ومجالسة الملوك والأمراء ومسامرتهم للذين يظهرون منهم نبوغا اضافيا ، فى مجال من المجالات ، بل ان فرص الترقى كانت مفتوحة أمامهم ، لكى يكونون من بينهم قادة البعثات التجارية والدبلوماسية ، والمعارك ، وحكام الاقاليم والوزراء أيضا ·· ومعنى ذلك أن الترشيح للمناصب الكبرى ، كان يشمل الكتاب فى أحوال كثيرة ·

ـــ وكان حمل لوحة الكتابة بمحبرتها وأقلامها ، من دلائل الشرف ، والمجد ، عند قدماء المصريين ومن ثم فقد وجدنا عددا من الفراعنة والامراء وحكام الاقاليم ، بل والعاديين من الافراد ، وهم يحرصون على تصوير أنفسهم فى هذا الوضع ، أو فى وضع الكاتب الجالس القرفصاء ، أو فى أى وضع آخر يوحى بأن صاحب القصر ، أو المقبرة ، أو اللوحة أو التمثال ، كان كاتبا ـ ويا له من شرف كبير !!

ونكتفى بهذا القدر من الاشارة الى أعمال هؤلاء ، على أن نعود الى أبرز أعمال الكاتب « بمعناه الاتصالى الاعلامى » بعد قليل ، ونختتم هذه الاطلالة من جانبنا على منزلة الكاتب ، بعدد من الاقوال التى تشير اليها ـ الى عمله ومنزلته ـ وذلك على سبيل المثال لا الحصر ، فهى كم كثير تعرفه مراجع علوم المصريات ··

● **لقد قالوا مثلا : « كل عظيم كاتب ـ الكاتب ينظم مصائر كل فرد ـ الكتابة عندى أعز من ملك مصر » ·**

● وتحدث **سبك حتب لابنه آنى** منفرا له من الأعمال الأخرى ، محببا له الكتب والكتابة : « لقد رأيت الحداد يعمل عند فوهة الفرن وأصابعه متيبسة ومتجعدة مثل جلد التمساح ورائحته أنتن من رائحة فضلات السمك والرجل الذى يحسن استعمال الأزميل يشقى أكثر من ذلك الذى يحفر لأن حقله الخشب وفأسه المعدن ، وحين يحل الليل ويطلق سراحه يعمل على ضوء السراج أكثر مما تطيق ذراعا ··· » (١٧) الى أن قال له : « ايتنى

استطيع أن اجعلك تحب الكتب اكثر من أمك ·· ليتنى اســـتطيع أن أريك جمالهـــا (١٨) (*) ·

(د) **الكاتب ·· زاوية اعلامية** : واذا كانت معظم المهام والأعمـال السابقة تتناول الكاتب بمعناه المتعدد ، أو حتى الثنـــائى فقط ·· الكاتب الحكومى ، والكاتب المبدع ، فاننا نركز هنا على هذا الكاتب الأخير ، الأقرب الى موضوع هذه الصفحات ، لفظا وعملا ·· معا ، انهم « خلاصة » هذه الطائفة السابقة ، من الذين يبدون حسا كتابيا انشائيا ، تعبيريا ، اعلاميا ، يجعلهم ، أو يجعل أحدهم يتفوق على أقرانه فى هذا الســـبيل ، من الذين يبرزون على أقرانهم من الموظفين والكتاب الآخرين بخصائصهم الفريدة ، وملكاتهم العديدة ، ومن ثم يلفتون اليهم الأنظار بما يقدمونه ، ويمضون فى طريقهم نحو قمة الهرم الادارى ، حتى وان بدأ الواحد منهم كغيره ·· من السفح ·· وحيث تجده يشق طريقه ، فينتدب الى العمل بالقصر ، أو الى رئاسة بعثة من البعثات ، أو يعهد اليه بتربية أبناء الفرعون أو أبناء أحد حكام الأقاليم ، أو يصدر اليه المرسوم الملكى بالاشتراك فى حملة حربية ، أو للذهاب الى المناجم الجنوبية ، أو يلتحق بخدمة أمير اقليمى مبرز ، أو يرأس فرعا من فروع الادارة الحكومية المهمة ، أو يشرف على شق الطرق ، والقنوات ، واقامة المعابد والمقابر ·

وخلال كل ذلك تتجلى مواهبه الكتابية ، فى مجالات التربية والتعليم والحكمة والتوجيه والارشاد والاشادة بمقدرة من يعمل فى خدمتهم ، وتعداد فضائلهم ، وكتابة أخبار البعثة ، وذكريات الرحلة ، ووقائع المعركة وتفاصيل تأديب البدو ، أو غيرهم وتعداد مناقب الأمير الذى كلفه بالاشراف على بناء مقبرته ، وفى تمجيد ذكر الاله ··

كل ما يوكل اليه من أعمال تتحول الى مادة من الكتابة الاخبارية ، أو

(*) لعل هذه النظرة الى العمل اليدوى وتفضيل العمل الفكرى الكتابى الرسمى الحكومى ، هى التى ظلت تصاحبنا حتى اليوم ، حيث يفضل معظم المصريين الوقوف فى طابور أصحاب الشهادات الطويل ، والمرتبات القليلة ، عن التعليم المهنى ، أو العمل اليدوى ، مما جعل من أصحابه عملة صعبة تأخذ الكثير فى مقابل ما تقدم ·

التفسيرية ، أو التوجيهية أو التثقيفية ، أو النثرية الأدبية ، كما تتحول عند بعضهم الى أناشيد دينية أو عاطفية ، أو الى شعر أو حوار مسرحى ، أو غيرها ، تدون بعد ذلك على الواجهات والجدران واللوحات والأعمدة والمسلات وعلى أوراق البردى ، والجلد والخشب وغيرها ٠

انها قصة الموهبة حين تتفجر وسط الأعمال العادية أو غير العادية ، والعقلية الكتابية الحقيقية ، حين ترصد بالفكر والوعى ، كل ما يحيط بها ، وتسجله ٠٠ بينما لا يفعل الآخرون ذلك ، وهم من الكتاب أيضا ، لكنه الفارق بين الكاتب الرسمى العمومى الادارى ، وزميله الذى يبدى هذا الحس ، فتوكل اليه مثل هذه الأعمال ٠٠

وليس من المعقول أن تكون مثل هذه الأقوال السابقة وغيرها ٠٠ وليس من المعقول أن يحرص الملوك والأمراء وحكام الأقاليم والنبلاء ، على أن يضاف الى ألقابهم العديدة لقب « الكاتب » بمعناه الادارى ، الذى يجمع ويطرح ويحسب ويقف على رأس الحاصدين أو الخازنين ، وانما – فى رأيى – أن حرصهم يتجه الى لقب الكاتب من زاويته التى تتصل بموضوع هذه الصفحات ٠٠ الكاتب بمعناه الاتصالى الاعلامى الأدبى معا ، الكاتب الموهوب ، المبدع ، المثقف ، المبتكر ، المعبر عن الفرعون ، وعن نفسه ، وعن الافكار المهمة ، والمستحدثة فى وقتها ، والسابقة لأوانها ٠٠

(د) ألوان من الكتاب (*) : نعم ، لم يكن من المعقول الا أن تتجه أمثال هذه الأقوال وأن يقصد بأصحاب هذه المنزلة السامية ، والدرجة « الوظيفية» الرفيعة ، غير هؤلاء الكاتبين بمعناهم الاتصالى ، وحيث نرى أنه كان من أبرزهم ، من قاموا بهذه الأعمال الكتابية فى مجموعها ، ما أشرنا اليه منها فى كلمات سابقة ، وما لم نشر :

١ – الكاتب الذى يعتبر « **سكرتيرا اتصاليا** » أو « **مديرا للعلاقات** » أو

(*) هذه المحاولة من جانبنا لتصنيف الكتاب من غير الاداريين والحسابيين لعلها الاولى من نوعها ، وقد اعتمدنا فيها على الدراسة المتكاملة والمدققة والتحليلية المقارنة لانواع الكتابات المصرية وعموما ، فان السطور القادمة سوف تضيف اليها المزيد من الشـواهد ٠

الدعاية أو « **متحدثا باسم الشخصيات الكبرى** » من فراعنة وأمراء وحكام ووزراء وحكام أقاليم ونبلاء ٠٠ ولعل هؤلاء هم من أبرز كتاب الرســـالة الاعلامية القديمة ، التى أخذت الأشكال المختلفة ، ووجدناها تحمل المضامين المختلفة أيضا ، كما حملتها الوسائل المتعددة الحجرية والاردوازية والطينية والجلدية والخشبية والبردية ، مما سنشير اليه فى حينه باذن الله ٠

٢ ـ **الكاتب الذى يعمل معلما ومربيا بمدارس القصور الملكية** ، ولأبناء الطبقات العليا « وعلية القوم وبعض أبناء الجاليات الأجنبية الذين حرص بعض الفراعنة على أن يتعلموا ببلادنا لأسباب سياسية ٠٠ وهؤلاء كانوا من أبرز من نطق بالحكمة ، وادب الكلمة الحلوة ، والعبارة المأثورة والمؤثرة ويعزى الى هؤلاء قبل غيرهم ذلك النتاج من « الأدب التوجيهى » أو « أدب الحكمة والموعظة » وكذا « كتابات التعاليم » ٠٠ وهى ذات صلة قوية بالخطابة ـ وهى فن اعلامى شفهى ـ من جهة ، وكذا بالمقالات عامة ، والمقالات الموقعة القصيرة ، ومقالات التجربة الذاتية خاصة ٠

٣ ـ **الكتاب العسكريون** : وهم فضلا عن قيامهم بممارسة مهام التعليم فى مدارس العسكر ـ لا سيما فى عهد الدولة الحديثة أو عهد الامبراطورية ، وعن قيادتهم بعض الحملات الصغرى لتأديب العصاة على الحدود ، فقــد كان هؤلاء هم الذين صحبهم بعض الفراعنة لاسيما التحامسة والرعامسة ، معهم الى ميادين القتال ، لتسجيل المعارك بأقلامهم ، حتى اذا عادوا قاموا بالاشراف على نقشها على الحجر ، على واجهات المعابد وأعمدتها ومسلاتها ومقاصيرهم ، ويعود اليهم كل ما يعرف من أخبار الحرب ، انهم « المراسلون الحربيون الأوائل » ٠٠ وهل فى ذلك شك ؟ كما أن دورهم كان كبيرا فى تحرير المعاهدات والأحلاف العسكرية ونصوصها المختلفة ٠

٤ ـ **الكتاب الرســـميون** : وهم ممن كانوا يعملون فى خدمة بعض الادارات الملكية الهامة ، وادارات حكام الاقاليم ، وقد كانت مهمتهم رصد أهم الأحداث المتصلة بمجال أعمالهم ، وهى ذات طبيعة رسمية اتصــالية ، اعلامية ، اخبارية ، تبليغية ، تتصل برصد وتسجيل وابلاغ الأوامر والقرارات والأحكام الملكية ٠٠ كما أن من بينهم من تولى رئاسة دار مراسلات فرعون ودار الوثائق الملكية ، وغيرهما ٠٠ ومن ثم برز بعضهم فى هذا المجال ، واعتمد عليهم كثيرا فى معرفة أحوال القصور ، كما أن من بينهم من كان

يختار لبعض المهام الخاصة ، وعند عودته ، كان يكتب عنها ، وعن اختيار الملك له ، وعن « مغامرته » أحيانا ، حتى قيامه بالمهمة الملقاة على عاتقه ، ولعل هؤلاء كانوا الأقرب الى تولى مهمة « الوزير الكاتب » فى أحوال كثيرة، كما أنهم كانوا من أبرز من قام بتدوين قصص حياتهم ، وترجمتهم الذاتية ، على جدران مقابرهم ، حيث قدموا لنا الكثير والمهم ·

٥ ـ **الكاتب القضائى :** ·· كان الملك هو القانون ، وهو القاضى العادل الذى يتمتع بالصفة « الالهية » ·· الا أنه وكما يقول أحد علماء المصريات : « لم يكن يمارس القضاء بنفسه بل كان الوزير هو أكبر القضاة ولقبه فى هذه الناحية هو دائما : الوزير كبير القضاة » ·· لكن هؤلاء بدورهم كانوا يعتمدون على عدد اخر من العاملين ، أبرزهم ذلك الموظف الذى يجيد الكتابة السريعة ، والتعبير عن المواقف المختلفة ، ورصد وتسجيل مختلف جوانب القضية المنظورة ومناقشات الأطراف المعنية ، ويعنى بوضع الأحكام الصادرة فى دائرة الأهمية ، وفضلا عن اجادة ذلك ، فقد كان عليه أن يعرف القوانين وطرق تطبيقها ، ومتابعة تنفيذها وتسجيل ذلك كله ، وعن طـــريق هؤلاء وصلت الينا تفاصيل المحاكمات المختلفة التى تعتبر اصلا من أصول كتابة « الماجريات القضائية » ·

٦ ـ **الكاتب الكاهن :** واذا كنا قد أشرنا فى كلمات ســـابقة ، الى أنه حتى بالنسبة لبعض كهنة معابد الآلهة ·· فقد حرص هؤلاء على أن يتخذوا لهم لقب الكاتب ، ضمن ما اتخذوه من ألقاب أخرى ، ذات صفات ومدلولات دينية ، فقد راح هؤلاء يكونون طبقة مهمة جدا من الكتاب « المتخصصين » فى تقديم النتاج الدينى وحده ، من طقوس وأدعية وترتيلات ، ونصوص خاصة بالمعبودات المختلفة ، ونصوص خاصة بما أطلقوا عليه « الكتب المقدسة » ، كما كان من بينهم الكبار جدا ، المرموقين للغاية ، وعلى رأسهم كاتب كتاب الآلهة ، « وهم بذلك يطلقون القوة الخلاقة الرهيبة التى تحملها الكلمة »(٢٠)· وبالاضافة الى ذلك كله فقد كان هؤلاء من أكبر مبتكرى ووارثى ومروجى القصص والأساطير التى تدور حول الهتهم وأحقيتها وجـــدارتها ، كمـــا لا يمكننا أن نغفل أن بعض الأساطير الكبرى التى أصبحت لها أهميتها الدينية والاخلاقية والأدبية ، كانت من ابتكار واضافات هؤلاء ، كما برزوا أيضـــا فى جانب الدعاية المؤثرة جدا لمعبوداتهم ، والملوك الذين يتبعونهم ، بالكلمة،

والخطاب ، والأسطورة ، وبالمثل فانه لا يمكننا تجاهل أن بعض اشــكال الانتاج المسرحى الدينى الموغلة فى قدمها ، كانت من بنات أفكارهم ، بل وكانوا يقومون بصياغة الحوار ، وأداء الأدوار أيضا كما سنرى بعد ذلك باذن الله (*) ·

٧ - **الكتاب المتخصصون** : وبصرف النظر عن أن بعض هذه الفئات السابقة ، يمكن اعتبارهم من بين الكتاب المهتمين بموضـــوعات معينة - والاهتمام درجة من درجات التخصص - فقد عرفت وسائل وأنماط الاتصال المصرية القديمة لاسيما الجدرانية والبردية ·· عددا غير قليل من الكتاب اصحاب التخصص الدقيق ، وتمثل هؤلاء - كما تقول هذه الشواهد - فى عدد منهم على وجه التحديد ، وان كان من بينهم الكثير من مجهولى الاسم ·· نعم لقد اتصلت كتاباتهم بهذه المجالات كلها : « الرياضيات - الفلك - الطب وما يتصل بالصحة العامة والجراحة وما اليهما - الصـيدلة والعقاقير - الزراعة - الرياضة » ·· وهكذا وجدنا عندنا كما طيبا من المواد العلمية المتخصصة ، والتى تولى كتابتها هؤلاء ·· من الأجداد الأوائل للمحررين العلميين ومقدمى البرامج المهتمة والمتخصصة ·· مما سوف يكون لنا معه وقفة أخرى ، باذن الله ··

٨ - **كتـاب اخـر** : ولأن طريق تعلم الكتابة كان مفتوحا أمام الجميع، ولأن اجادتها لم تكن احتكارا لمصرى دون اخر ، فقد وجدنا أن هناك البعض الآخر ، من المتعلمين ، ومن الموظفين فى غير الأعمال الكتابية ، ومع ذلك فقد كانت لهم اهتماماتهم ، وأبدى بعضهم نبوغا كبيرا لا سيما فى مجالات كتابة بعض الحوادث المهمة ، ووصف بعض الأعمـــال البارزة ، والحكم والوصايا ، وغيرها ، بينما لم يعرف عنهم غير أسمائهم فقط ، دون مناصبهم أو وظائفهم ، وذلك باستثناء من كتب منهم ترجمته الذاتية ، أو قصة حياته، أو طرفا من أعماله ·

(هـ) **من نعرف من الكتاب** : وعند البحث عن أسماء الكتاب ، للتعرف

(*) فى المبحث الاخير ، من الفصل الاخير من الباب الخامس من هذا الكتاب باذن الله ، وهو بعنوان : « ما موقفهم من المسرح » ·

التاريخى والاعلامى والثقافى عليهم ، وحتى تكتمل بذلك هـــذه الزاوية ، بالقدر الذى يسمح به هذا الكتاب ، فاننا وجدنا أننا أمام ثلاثة أنواع ، أو أقسام منهم :

● **القسم الأول ، ويمثله المجهولون من الكتاب** ، وهم فى الواقع الأكبر عددا من أصحاب أى قسم آخر ، لاسيما هؤلاء الذين ظهروا وأبدعوا فى عصرى الدولة القديمة ، وبناة الأهـــرام باستثناء قلة منهم ، حتى أن تمثال الكاتب الشهير الموجود بالمتحف المصرى هو لكاتب من هذه الطائفة المجهولة لطبيعة أعمالهم الاعلامية الخاصة ، غير المرتبطة بملك من الملوك، أو أمير من الأمراء ٠٠ أو كبير من الكبار ، ممن كانوا يريدون أن يكون أحدهم وحده فى الضوء ، وحده هو الذى يركز عليه ، وحده هو البطل ، أما الكاتب والفنان فهما يقومان بعملهما نظير أجر ، ومن ثم فلا أهميـة لذكرهما ، وما أكثر أمثال هؤلاء الكتاب غير المعروفين ، على مدى تاريخ مصر القديمة ٠

● **القسم الثانى ، ويمثله من تلقب بلقب الكـــاتب ، من الملـــوك والوزراء ، والحكام** ، وبعضهم ذكر من قبل ، سواء قام بالكتابة فعلا ، وعرف ما كتبه ، أو قام بالكتابة ولم نعرف بعد ما الذى كتب ، أو أراد أن يتخذ هذا اللقب زيادة فى شرف تكريمه ٠٠ ومن أبرز هؤلاء بدون ترتيب تاريخى ممن ذكرنا منهم فى كلمات سابقة ، وممن لم نذكر: « زوسر – حم ايون – أوناس – ايمحوتب – اختوى – منتوحتب – كاوعب – سنوسرت١ – أمنمحات ١ – امنمحات ٣ – حورمحب – حسى رع – حورددف – نفرى – خنوم حتب – تحتمس١ – تحتمس ٣ – امنحتب ٣ – اخناتون – سيتى ١ – رمسيس ٢ – خعمواس – انحرور – سمندس – حريحور – أى – بينزم – شـــاباكا – أمازيس – أحمس بن ابانا – أحمس بن نخبت – سيرنبوة – كايرسو – خع خبر رع سنب » الخ ٠

● **القسم الثالث ، ويمثله أشهر الكاتبين بمصر القديمة** الذين نعرف اليوم أسماءهم والذين تقلد بعضهم المناصب المهمـــة ، أو كلف بالبعثات الشهيرة ، أو كان كاتبا حرا ، أو قام بعمل أو قدم انتاجا اعلاميا يعرف به وله ٠٠ حتى وان كانت له زاويته الأدبية ، أو قدم فى اطار أدبى ، له زاويته الاتصالية الاعلامية ، ان من أبرز هؤلاء « سنن رع – نى نفر كابتاح – مين –

خاماراه - بايرى - نب آمون - حورى بن وننفر - بنتاروت - امن مائة - باكنبتاح - متن - حرخوف - بى نخت - أمن اخت - كاوسر - محو - ارى عا - باكنخنسو - نفرحتب - نخست - ثانونى - أمن واح سو - تحوت نفر - نفر سنفرو - بس ان أموت - ناى - عنخ شاشنقى - ونى - رع ورر - ايبى - عنحو - مروركا - دبحن - ايونو - باى - مرى ماعت - تحوت موزا - مرى كارع - نب كاوى - بتزيس - ابوور - سحتب اب رع - امنمحات الكاهن - أحمس الوزير - نفررحو - ستكا - كاايروخوفو - ثاى أوتو - رع موزا - باشيران بتاح ٠٠ الخ ، الى غير هؤلاء جميعا ، وبملاحظة أن بعضهم ورد اسمه فى مواضع سابقة ، لثنائية أدوارهم أو قيامهم بأكثر من دور واحد كما أن بعضهم الآخر كان من الكهنة الكتاب ٠

المبحث الثـانى

الفنـــانون ٠٠ ومن تبعهم

واذا كنا - بعون الله تعالى - سوف نفرد صفحات خاصة نتحدث فيها عن الفن المصرى القديم ونتبع فى ذلك تطوره التاريخى ، فاننا - حتى تكتمل جوانب حديثنا عن القائم بالاتصال فى مصر القديمة - نتوقف خلال السطور القادمة عند هذا العنصر البشرى المهم ، والمبرز ، والذى لولاه ، ما كانت هذه الصفحات الحجرية والاردوازية والخشبية والجلدية والبردية ، بما عليها من خطوط معبرة ، ورسوم دقيقة ، ونقوش رائعة ، وزخارف مبتكرة ، وألوان تعكس المقدرة الفنية ، بل لما كانت هذه الصور والمشاهد والتماثيل التى نالت اعجاب العالم قديمه ووسيطه وحديثه ، بما وصلت اليه فى معظم فترات التاريخ المصرى ، من مستوى فنى متميز ، قل أن قدمت مثله حضارة أخرى ٠٠

ذلك هو الفنان المصرى ، أحد أركان وقواعد الشـــخصية المصرية ، والجناح الآخر لطائر الاتصال ، الى جانب زميله الكاتب الذى يمثل الجناح الأول ٠٠ والذى لولا براعته ومقدرته وصبره وجلده ، هو ومســـاعدوه ومعاونوه من العاملين بالحقل الفنى ، لما كانت هذه الصفحات كلها ، قد وصلت الينا ، وهى على هذا المستوى الفنى المبهر ، رسما ونقشا ونحتا واخراجا ، بل وربما لم يكن هناك مثلها على الاطلاق ٠٠

ومن ثم ، فالفنان المصرى عندنا ٠٠ هو أحد عناصر العملية الاتصالية المهمة ، هو أحد القائمين بالاتصال ــ من خلال ريشته وأحباره وألوانه وخطوطه وأزميله وقواطع أحجاره ٠ ٠الخ ـ هو المخرج الماهر ، للرسالة الاعلامية ، حين وجودها ، على أى شكل من أشكالها ٠٠ ومن هنا ، فنحن نفرد له هذا الحديث ، الذى نفرق فيـــه بين نوعين مهمين من الفنانين ، ألا وهما ٠

أولا ــ الفنانون المبــدعون

انهم الفئة الأولى ، المهمة ، المفكرة ، الموهوبة ، المبتكرة ، والمبدعة ، التى قدمت لنا نتاجها المتميز ، منذ العصر الحجرى القديم ، ومرورا بالوسيط والحديث ، ثم خلال العصور التاريخية المختلفة حيث بدأ فناننا عمله بالفطرة الكامنة فى نفسه ، والتى أضاف لها مع الأيام رصيدا طيبا من المعرفة بعناصر عمله ، ومن خلال الممارسات العديدة ، والتجارب الكثيرة ، حتى أصبح لهذا العمل تقاليده الثابتة أحيانا ، والتى تغيرت فى أحيان أخرى ، من واقع التجربة الحية ، والاحتكاك بالآخرين ، والمؤثرات الدينيـــة والسياســـية الكبرى ٠٠ قبل غيرها ٠٠ ممـــا يدعونا الى الوقوف على بعض مـــلامح شخصيته ، وأبرز ما يتصل به :

● نعم ، بدأ الفنان المصرى ــ الرسام هنا ــ عمله بالفطرة منذ عهد الفنانين الاوائل فى حضارة « دير تاسا » ثم حضارة « البدارى » ٠ وحضارة « نقادة » الأولى ٠٠ ويتضح ذلك من الرسوم الفخارية العديدة ، بل وحاول التجديد فى ذلك ، من آن لآخر ، فى نقله لما حوله من انسان وحيوان وطبيعة٠٠ وله جهود لا بأس بها فى تصوير حركة الانسان المتصـــلة بالرقص الدينى وطقوسه ، والرقص الدنيوى ، وحركة الحيوان أيضا ، كل ذلك بالفطرة التى تجعلك تحس أن داخل كل مصرى يعيش الفنان ، ويختار المشاهد ويرسمها٠٠ كما قدم فنان «مرمدة بنى سلامة والبدارى » بعض التماثيل الصلصالية والخشبية والعاجية التى ترتكز الى القطرة أيضا وتقف شاهدة على حس فنى لا بأس به ٠ ٠لكن مستوى الانتاج عامة ، رسما ونقشا ونحتا ، أخذ يتقدم تقدما كبيرا ٠ ٠فى العصرين الطينى ، وعصر بناة الأهرام ، وذلك بسبب التطور « العقلى » نفسه ، وبداية تراكم الخبرات الفنية المكتسبة عن الحقب

السابقة ، بالاضافة الى العامل الدينى وأثره الهام ، وما اتصل بكثرة أعداد الفنانين ومن تبعهم انعكاســـا لأهمية الفن والعمـــارة ، فى عصر بنـــاة الأهرام خاصـــة ٠

● ومنذ عصر بناة الأهرام أيضا ، بدأ الفنان المصرى يعرف طريقه الى التخصص وذلك من خلال التمرس بالفنون الثلاثة السائدة الأساسية : الرسم أو التصوير ، والنقش والنحت ٠٠ ومن ثم أصبحت هناك تقاليد مرعية تتبعها كل فئة فى تناولها لرسوم أو نقوش أو النحت الخاص بالأشخاص ، أو الحيوانات أو المناظر الطبيعية أو الجنائزية ـ كما حاولت كل فئة من هذه الفئات الحفاظ على تقاليدها ، من جهة ، ومن جهة أخرى تطوير خاماتها وتحسينها ، ثم تطوير أساليبها الفنية بما يتناسب مع الأهمية المتجـــددة لأعمالها واتساع نطاق هذه الأعمال ، بارتباطها بالمعتقدات الدينية النامية بسرعة ، وبفن العمارة المتقدم ، عمارة الأهرام والمعابد ، والقصور ، وحتى القبور أيضا (*) ٠٠

● ويبدو أن هذه التقاليد الفنية كانت صعبة ، شديدة من جهة ، تتطلب تدريبا شاقا على جوانب العمل ، خاصة فى حقل النحت ، وبالنسبة لتعلم المهارات الأساسية فى التعامل مع أنواع المادة الخام المختلفة ، وفى مجال اعداد اللوحات للرسم عليها ، وصناعة الألوان المختلفة ٠٠٠ ومن ثم، فقد رأى هؤلاء ـ من جهة ثانية ـ أن يقتصر تعليمها على أفراد بعينهم يمثلون تلاميذ « ورشة الرسام أو « مصنع » النحات ٠٠ بما فيهما من أعمـــال متعددة ولقد كان من الطبيعى أن يصبح فى مقدمة هؤلاء التلاميذ ، أبناء واخوة الفنان الكبير نفسه ثم بعض من يظهر من غير هؤلاء رغبة قوية ، ونبوغا فى العمل بمثل هذه الميادين ، التى اعتبرها بعض كبارهم « مهنة خاصة » ٠٠ أو « حرفة لها تقاليدها وأسرارها » التى لا ينبغى أن يعرفها أى فرد ولا كل فرد ، كما يحدث فى بعض الصناعات والمهن الآن ـ الصـــياغة والمشغولات الفضية ومنتجات خان الخليلى والطباعة والتصوير أحيانا ، والعمارة والنجارة وغيرها ٠

(*) لا يدخل فى حديثنا فنان الصناعات الصغيرة الذهبية والفضية والنحاسية ، والحلى المختلفة ، وانما الرسام والمصور والنحات والنقاش لدورهم الاعلامى ٠

● ويبدو كذلك أنه لم يكن يسمح للفنان الشاب بالقيام بعمل من الأعمال الفنية قبل سنوات من قيامه بهذا التدريب أو ان شئت فقل « التلميذه الفنيـة » والتى يتلقى فيها الدروس الخاصة بالأسس الفنيـة والأصـول والقواعد العامة الموروثة لاسيما فى رسم المبرزين من الرجال ، والجهة التى يصورهم منها ، ووضع المرأة والابناء ، والاشخاص الأقل رتبة ، وأصول أوضاع أجزاء الجسم المختلفة ، ونقش الكلمات المهمـة ، وتقاليد رسـم وتصوير ونحت مناظر الصيد والقنص والحياة اليومية ، وهى تختلف عن المناظر الدينية ، والجنائزية وأصول التعامل مع ما يزيد على أربعين نوعا من الحجر ، والحديد والنحاس والبرونز والفخـار ٠٠ الى جانب أسس وقواعد الرسم البارز أو الغائر ، فى موضوعاته المختلفة ٠٠ بينما كان عليه أن يتقن بداية ، كتابة الحروف الهيروغليفية ، وهى رسم أيضا ، سابق على معرفة المصرى بالكتابة ٠٠ وذلك كله فضلا عن الأسس والقواعد الخاصة الأخرى ، والتى اختلفت من عصر الى عصر ، من فن الى فن آخر ، ومع ذلك ، فقد كان عليه أن يعرفها ، وأن يتقنها أيضا ٠

● ٠٠ حتى اذا تأكد « أستاذه » من مقدرته ، وأن باستطاعته القيام بالعمل ، أعطاه الاذن بذلك ، وسمح له أن يخرج الى الحياة الرحبة الفسيحة ، والى مجالات العمل الفنى المختلفة ، يحصل على قوته ، وقوت أسرته مما تنتجه يده وفكره وفنه ٠٠ وليكون خير أنموذج للصناع من الطبقة الوسطى ، أو أصحاب الحرف ، وذلك فى معظم الأحوال وأعمها ٠٠ أى أن معظمهم لم يكن يهدف الى مجد شخصى ، أو يبغى شهرة واسعة ، أو أن يكون نجما فى السماء المصرية ، بل كان يعمل فى أغلب الأوقات بمنطق صاحب الحرفة الذى يؤدى واجبه نحوها ونحو الزبون فقط ٠٠ وربما من أجل ذلك فان المعروفين منهم ، قلة نادرة ، فهم لم يوقعوا بأسمائهم فى أغلب الأحوال وأعمها ، ولم يضعوا - اللهم الا نادرا - صورا أو تماثيل لهم ٠٠ واذا كنا نقول أن أكثر طائفة الكتاب المبدعين كانوا من المجهولين ، ولم يعرف الا القليل منهم على مدى تاريخ مصر القديمة ، فقد كان الوضع نفسه سائدا ، وأكثر منه بالنسبة لهؤلاء ، كان عليهم أن يعملوا فى خدمة الملك أو الأمير أو المعبد أو حاكم الاقليم أو صاحب المقبرة أو القصر دون نظر الى شهرة ، أو مجد ، ماداموا يقومون بأعمالهم خير قيام ٠٠ ومن هنا فقد شبههم بعض المؤرخين بفنانى العصور الوسطى « الغامضين » الذين كانوا يعملون داخل الكنائس

والقصور لعدة شهور ، يقدمون خلالها التحف الخالدة ، دون أن نعـــرف الا القليل منهم ، وعنهم أيضا ٠

● ٠٠ وكما يحدث حتى الآن فى كثير من البلاد ، وعند كثير من الشعوب ، فقد كان هؤلاء يتجمعون فى أحياء خاصة ، وأماكن خاصـــة « بالفنانين » ومن تبعهم ، حفاظا على تقاليدهم ، وحتى يسهل التعرف عليهم واستدعاء بعضهم للعمل ، وحتى عندما كانت جماعة منهم تعمل فى انشاء معبد كبير ، أو أثر مهم ، فانهم كانوا يتجمعون حول بعضهم ، من أبناء الطائفة ٠٠ وقد يستقر هؤلاء فى هذا المكان فيتحول بذلك الى حى سكنى خاص بهم شبيها بما أصبح عليه الحال بعد ذلك فى مدينة القاهرة وغيرها من مدن مصر ، والخارج أيضا (*) ٠

● لكن من المؤكد ، أنه عن الرغم من الطابع الحرفى المســـيطر ، والقائم على التقاليد الصارمة أحيانا فقد كان هذا « الحرفى » المصرى ، فنانا بالدرجة الأولى ، وما كان لهذه التقاليد أن تحد من موهبته أو أن تكبل قدرته على الابتكار ، أو أن تقيد حركته التعبيرية ٠٠ وخطوطه وألوانه ، وحتى أزميله وهو يضرب الصخر ، فقد نجح بذكاء مصرى تاريخى أن يختار من هذه التقاليد ما يناسب العصر نفسه ، وأدواته وامكانياته الخاصة ٠٠ فهو لم يهملها تماما ولم يلقها خلف ظهره دائما ، وانما نجح فى تطـــويعها ، وبلغ بعضهم ـ خاصة من المصورين ـ حدا كبيرا فى ذلك ، عندما واتتهم الفرصة ٠٠ وأصدق دليل على ذلك هذا الانتاج المتعدد المتنوع بمستوياته المتقدمة جدا ٠ ٠وهو فى جملته يتحدث عن انتاج الفنان ، والفنان الأصيل ، والحر معا ٠ ٠وليس عن انتاج حرفى الفن ، أو صانعه الذى يعمل بدافع الكسب والكسب وحده ٠

● واستمرارا لهذه الروح الفنانة ، قبل المهنية ـ وجدنا الاتجاهات الفنية العديدة ، التى توشك أن تكون بمثابة مدارس فنية كاملة ، فى أقاليم مصر الكبرى ، فكانت هناك مدرسة طيبة ، الشابة القوية العنيفة المتحررة ،

(*) مثل أحياء وشوارع النحاسين والصنادقية والقربية والنجارين والخيامية والدابغ والفواخير وغيرها ٠

ومدرسة منف التقليدية المحافظة أيضا ، ومدرسة بنى حسن الوظيفية المتحركة ومدرسة تل العمارنة الثائرة على القديم القريبة من الواقعيـــة أحيانا ، شاعرية الخطوط والألوان والملامح وغيرها ممالا يمكن تجاهله بالنسبة لتاريخ الفن ٠٠ فى العالم كله ٠

● أما أكثر الذين عرفنا أسماءهم من هؤلاء ٠٠ فهم : « ست كا ـ نفرماعت ـ حوى ـ آرتى سن ـ نب آمون ـ ابوكى ـ تحوت ـ قن ـ جدموت ايوف عنخ ـ نفررنبت ـ نحم عواى ـ سنا ـ نحت تحوت ـ ابوى ـ ماحو ـ حورى ـ حاى ـ معى ـ نب سنى ـ مننا ٠٠ الخ » من الرسامين والنحاتين والنقاشـين (*) ٠

ثانيا ـ أعمـــال أخرى ترتبط بالفن

٠٠ أن السطور القليلة السابقة ـ الفقرة أولا ـ ترتبط بالفنانين قبل غيرهم ، من رسامين ومصورين ونحاتين ، ونقاشين وخطاطين ومزركشين وملونين ٠٠ لكن العمل الفنى فى مصر القديمة شأنه فى ذلك شأن أى عمل فنى آخر ، قد يحتاج الى عدد من المعدين ، والصناع ، والمساعدين وغيرهم من ذوى الأعمال المهمة جدا ، ولولاهم ما كانت اللوحة ، أو المسلة ، أو الصفحة البردية ، أو التمثال ، لا سيما تلك التى ترتبط بالرسالة الاعلامية ، على أى شكل من أشكالها ٠٠

٠٠ فصحيح أن بعض اللوحات الصغيرة ، خاصة المصـــنوعة من الخشب ، أو الطين ، قد لا تحتاج الى جهد كبير من أجل اعدادها ، أو اعداد سطحها للكتابة أو الرسم أو النقش فوقه ٠ ولكن ماذا عن قطع الأحجار من الجبال وبعضها قطعة واحدة من أجل عمل المسلة أو العمود ، ماذا عن الحفر فوق ألوان الحجر المختلفة ؟ ماذا عن نقل الخام الى موقع العمل ؟ ماذا عن اعداد السطح ، وحفره أو اعداد الألوان ؟ الى غير هذه كلها ٠٠ حتى صناعة التمثال الصغير ، أو اعداد ورق البردى للرســم أو الكتابة

(*) بعضهم خاصة من النحاتين أو المثالين ، كان يعمل أيضا فى صياغة الذهب والفضة ، وصناعة الحلى الخاصة بالملوك والامراء والاثرياء ٠

فوقه ٠٠ كانت هذه عملية شاقة ، يقوم بها أحيانا شـــخص واحد ، وفى أحيان أخرى فريق عمل من ثلاثة أو أكثر ، وفى أحيـــان ثالثة ، عشرات الأشخاص ٠٠ الذين نذكر من بينهم على سبيل المثال لا الحصر هؤلاء :

- ناقلو الرمـــال ٠
- النجـــارون ٠
- حفار الخشـــب ٠
- معدو مســطحات الجدران للرسم ٠
- قاطعو الأحجار (عمال محاجر) ٠
- صـــانعو الألوان ٠
- صائغ المعادن (لعيون التماثيل) ٠
- الملونون والمزركشـــون ٠
- معدو المسطحات الأخرى الحجرية والخشبية للرسم ٠
- صناع ومعدو ورق البردى ٠

لكنهم ـ فى أغلب الأحيان ، كانوا يعملون تحت امـــرة الكـــاتب أو الرسام ، حتى نحاتو اللوحات الحجرية فى القصور والمعابد والمقابر ، كانوا يخضعون لهما ، وينفذون أوامرهما ، لاسيما الرسام الذى كان يعمل أيضا مخرجا للوحة يوضح أماكن الكتابة والرسم ويحدد الخطوط والملامح ثم يأتى بعده النحاتون والملونون والمزركشون ومن اليهم ٠ بل منذ بداية العمل ، كان قاطعو الأحجار يلتزمون بأوامرهم الخاصة بنوعه وطبيعته والمساحة المطلوبة ، وما الى ذلك كله ، باستثناء ناحتى التماثيل الكبار ، من المشاهير الذين كانوا يقومون بالعمل كله بمساعدة من تلاميذهم فقط ، فى ورشهم الخاصـــة ٠

القائمـــون بالاتصـــال

اضـــافات ٠٠ وملاحظـــات

تلك هى صورة **تقريبية** ٠٠ لواقع الرابطة التى كانت قائمة فى مصر القديمة بعهودها ، وعصورها ، بين هؤلاء من أصـــحاب القسمين الأول والثانى ، من الآمرين بالاتصال والدعاية ، والقائمين على أمورها ، أو من

كبار المخططين لها ، والمنفذين على ساحتها ٠ أقول صورة تقريبية ، بالقدر الذى تقدمه لنا هذه الرموز ، والدلالات والاشارات الاعـــلامية الاتصالية المختلفة ، ما هو قائم منها ، وما يمكن أن يستجد على طريق البحث الأثرى ٠٠

لكننا ، وقبل الانتقال الى موضوع آخر ، هو « أنواع الاعلام المصرى القديم » ٠٠ نحب أن نتوقف هنا ، عند عدد من الاضافات والملاحظات ونقاط الضوء العديدة التى تتصل بالسطور السابقة عن قرب وتسهم فى وضوح صورتها ، بما يتصل بها من خطوط وألوان مختلفة انها :

١ ـ أن **أبرز هؤلاء فى جانب الاعلام ، هم الملوك** بطبيعة الحال ، لاسيما من هذا المستوى الأول الذى أشرنا اليه ، وما يليه من مستويات أخـــرى ، الثانى فالثالث فالرابع ٠ لكن ذلك لا يمنع من القول ، بأن عددا من الأمراء والوزراء والحكام والموظفين المبرزين ، كانوا يقفون فى كثير من الأحيان ، وراء هذا المستوى المرموق لملوكهم ٠٠ اعلاميا ودعائيا ، بنفس الدرجة التى كان عليها هؤلاء فهما لأهمية هذا العمل ، وأمرا بقيامه ، وتشجيعا له ٠

٢ ـ أن أغلب أعضاء هذا القسم الثانى ، لاسيما من كبار الموظفين ، كانوا يقومون بدور اعلامى مزدوج ٠٠ أو ثنائى الاتجاه ٠٠

ــــ أما أولهما ، فهو دوره من أجل التخطيط للاعلام الملكى والاشراف على تنفيذه ، وهو دور قام به خير قيام وأحســــنه ، لكنه ـ وكما تفترض التقاليد ـ كان يعمل من وراء ستار ، كان بطلا مجهـــولا ٠٠ اختفى وراء بطولات مليكه المعلن عنها ٠ ورضى هو بالقليل ٠ فالمهم هنا ، هو رضاء مليكه عنه ، وحرصه على نوال مديحه ٠٠ كيف لا وهو الملك الرمز والسلطة الأولى ؟ ٠٠ وذلك باستثناء قلة نادرة منهم ٠٠ فى مقدمتهم « امنحوتب » و « بتاح » ٠٠ ممن سمح لهم بكتابة اسمائهم ٠٠ لكن الأكثرية ، بقيت مجهولة ، بالنسبة لاعلام ملوكهم ٠

ــــ وأما الدور الثانى : فهو الذى كان يعلم فيه عن نفسه وأعماله ، وأكثر صور ذلك كما أشرنا اليها : على جدران مقبرته ، ولوحاتها وتوابيتها وأعمدتها ، وعلى قاعدة تمثال أو آخر له ، وعلى بعض اللوحات التى تركتها البعثة التى كان يقوم برئاستها ، أو على أثر فى معبد دينى ، أو على صفحة

بردية تحكى بعض الذى تم فى عهده ٠٠ وحتى هذه الأخيرة ، فقد كان اسمه يرد « عرضا » ٠٠ وفى ثنايا حديثه عن مليكه ٠٠ لتبقى المقابر بنقوشـــها ورسومها ، هى أهم ما خلفوه لنا ، من صور اعلامية ٠

٣ ـ كذلك فانه من الملاحظ أن أكثر أفراد هذا القسم الثانى ، من كبار الموظفين ، أو من المخططين للاعلام ، المشرفين على تنفيذه كانوا من هذه الفئات قبل غيرها :

ــ من حكام الأقاليم لاسيما الأقاليم الجنوبية ، قبل غيرها ٠

ــ ومن الأسر التى شهدت سطوة ونفوذ هؤلاء ، قبل غيرها من الأسر ، لاسيما الأسر « ٥ ـ ٦ ـ ١٠ ـ ١١ ـ ١٢ » ٠٠ وبعضهم أعلن استقلاله وتولى الملك فعلا ٠

ــ من الوزراء المبدعين فى مجالات الابداع المختلفة ، لاســيما الانشائية والفنية والأدبية ، وما انبثق عن ذلك كله ، من ابداع اتصالى اعــلامى ٠

ــ كذلك فقد كان لكبار الموظفين من رجال المهام الخاصة دورهم . وهى مهام عسكرية وكشفية وسياسية واعلامية معا ٠٠

٤ ـ بل وبعضهم أيضا ، كان يزيد على هذه ومضة من ومضات الكاتب المهم ، أو المتخصص فى فرع من فـــروع الاهتمام أو التخصـــص المختلفة « **أمنحوتب ـ بتاح ـ سنموت ـ ونامون ٠٠ الخ** » ٠٠ وكانت اهتماماتهم وتخصصاتهم بالتدريج : هندسية وطبية وتربوية ومعمارية وفنية وعسكرية٠٠

٠٠ ومعنى ذلك ، أنه كان من بينهم من جمع فى شخص واحد ، بين الوزير والكاتب ، أو بين الوزير ورجل التربية ، أو بين الموظف الكبيـــر المستكشف والكاتب ، أو بين الكاتب والقائد ، وهكذا ٠

٥ ـ وبعض الكتاب كان موظفا اداريا وكاتبا معا ٠ أىأنه كان كاتبا بالمعنيين ، الرسمى الادارى ، والكاتب المبدع ، أو بمعناه الاتصالى ، لكننا نلاحظ هنا أنه حتى فى هذه الحالة ، فقد كان عمله يقترب من العمل الابداعى ٠٠ كان مثلا يعمل مثل : « رع موزا » كاتبا فى مكان الحق أو « نب آمون »

كاتب وطبيب الملك أو « تاى » كاتب المراسلات الملكية ، أو « نفرحتب » رئيس كتبة آمون أو « تحوت نفر » الكاتب الملكى ‥ وغيرهم ٠

٦ ـ وبعضهم كان كاتبا وفنانا شاملا فى نفس الوقت ‥ لكنهم قلة نادرة ، عرفت ببعض انتاجها البديع فكرا ورسما ‥ وكان من بينهـــم : « اوسر ـ نفرحتب ـ حوى ـ أوسرحات ـ أمن واح سو ـ نفررنبت ـ بس ان موت ـ خعى » ‥

●● مراجع الباب الثالث :

(١) نخبة من العلماء : « تاريخ الحضارة المصرية : العصر الفرعونى » ص ٧١ ، من مقال للدكتور مصطفى عامر ٠

(٢) المصدر السابق ، ص ٩٥ ، من مقال للدكتور محمد جمال الدين مختار ٠

(٣) أحمد محمد عيسى : « التنقيبعنالماضى » مترجم عن استيلة فريدمان ،ص١٠٠

(٤) أحمد فخرى : « مصر الفرعونية » ص ١٢٣ ٠

(٥) عبد العزيز صالح : « التربية والتعليم فى مصر القديمة » ص ٢١١ ٠

(٦) نخبة من العلماء : « تاريخ الحضارة المصرية : العصر الفرعونى » ص ١٢٥ من مقال للدكتور عبد المنعم أبو بكر ٠

(٧ ـ ٨ ـ ٩) أحمد فخرى : « مصر الفرعونية » ص ٩١ ٠

(١٠) أحمد فخرى : « الاهرامات المصرية » ص ٤٥ ٠

(١١) رجاء العودة الى كتابنا : « المقال الصحفى » ص ١٧ ـ ١٨ ٠

(١٢) أحمد فخرى : « مصر الفرعونية » ص ١٦٩ ، نقلا عن Vandier

(١٣) سيد توفيق : « تاريخ الفن فى الشرق الادنى القديم : مصر والعراق،ص١٩٥٠

(١٤) لبيب حبشى وشفيق فريد : « الاثار المصرية فى وادى النيل » مترجم عن ج٠ بيكى ٠ جـ ٣ ص ٢٩٥ ٠

(١٥ ـ ١٦) عبد العزيز صالح : « التربية والتعليم فى مصر القديمة » ص ١٢٧ ، ١٢٨ ٠

(١٧ ـ ١٨) نجيب ميخائيل ابراهيم : « الحياة اليومية فى مصر القديمة » مترجم عن الن شورتر ص ١٠٧ ٠

(١٩) نخبة من العلماء : « تاريخ الحضارة المصرية : العصر الفرعونى » ص ١١٦ من مقال بقلم : د٠ عبد المنعم أبو بكر ٠

(٢٠) سعد زهران : « مصر الفرعونية » مترجم عن ج ٠ يويوت ص ٥٥ ٠

الباب الرابع

ماذا قالوا ؟

الاعلام المصرى القديم

« موضوعات وأنواع »

مـاذا قـالوا ؟

ألوان من الاعـلام المصرى القديم

●● ·· واذا كان حديثنا السابق قد تركز فى معظمه على جانب « **المرسل** »··أو وفق الأنموذج الاتصالى المقترح من جانب « **هارولد لاسويل**» ·· ذلك الجانب الذى يتمثل فى أداة الاستفهام ·· من ؟ ·· والذى رأينا أن نتبعه فى خطواتنا هذه ، وان كنا سنتبعه بتصرف علمى وظيفى مناسب ·· وحيث تناولنا أهم وأبرز من قام بهذا الدور الاتصالى الاعلامى ·· من ملوك وأمراء ووزراء وحكام ومدراء ·· ومن اليهم ·· من القيادات الاعلامية الاتصالية فى مصر القديمة ·· فان حديثنا خلال هذه الصفحات والسطور ، هو ذلك الذى سوف نتناول فيه ـ تبعا للخطوط العريضة لهذا الانموذج نفسه ما يتصل بجانب اعلامهم ، كما رأيناه وتابعناه وقرأناه ·· أو فى أسلوب آخر سوف يتناول « ماذا قالوا ؟ » ·· تلك التى تترجم الى هذه « **الرسائل** » الاعلامية التى وجهها هؤلاء ·· على اختلافهم وتعددهم ·· وعلى اختلاف رسائلهم هذه ، وتعددها أيضا ··

حديثنا السابق تناول من ؟
وحديثنا الحالى يتناول : يقول ماذا ؟
أى الرسالة نفسها ·· وعنها نقول :

●● أن الرسالة هنا ، **تعنى كثيرا** ، ولكن لعل أول ما تعنيه ، أنها تلك الأشكال المتباينة ، والرموز المختلفة ، شفهية ، أو تدوينية ، صوتية أو تسجيلية ، والتى يبعث بها « **يرسلها** » القائم بالاتصال ، الآمر به ، المخطط له ، المشرف على تنفيذه ·· بواسطة وسيلة معينة ، اداة أو أخرى أو ثالثة من الأدوات المناسبة ، والمتيسرة ، والقريبة من متناول اليد ، أو حتى التى لا يحصل عليها الا بشق الانفس ، ومن خلال الرحلات والبعثات والكشوف وبعد اعداد فنى معين ، بحيث تحمل هذه « ما يراد ارساله » ·· من حروف وكلمات ، ونقوش ورسوم ، وخطوط والوان هى مكوناتها ·· التى تحمل

الفكر القائم والمضمون الذى تمثله ·· والذى أمر أو طلب القيام به أحد هؤلاء ، من المجموعة السابقة ·· وخطط له وأشرف على التنفيذ ، ليقوم غيره بارسالها كأسلوب عمل ، بعد اعدادها الاعداد المناسب ، وتحريرها التحرير المناسب أيضا ··

لكننا ·· فى جميع الأحوال ، نستطيع أن نقول أنها تعنى « المضمون » وأن هذا المضمون هو الذى يحدد نوعها ، كما يحدد القائمين على تنفيذها كما يحدد الوسيلة المثلى التى سوف تحملها الى من يهمهم أمرها ، أو يريد المرسل أن تصل اليهم ·· فى سهولة ، ويسر ·· وحيث يمكننا انطلاقا من واقع هذا المضمون نفسه أن نتوقف لنحدد أنواع هذه الرسائل ، التى عرفها الاعلام المصرى القديم ·· فى أوقاته وعهوده المختلفة ··

●● ان نظرة على ما وصل الينا من مادة اعلامية ·· من خلال الوسائل والمصادر المختلفة ·· مثل هذه النظرة يمكن أن تقدم لنا هـــذه المادة ، فى صورة أكثر من تقسيم واحد من أهمها :

١ ــ **التقسيم الى اعلام رسمى ، واعلام غير رسمى :** الأول يتمثل فى اعلام كبار المسئولين ، وأوامرهم وتوجيهاتهم الى غيرهم ، لاسيما من خلال صفاتهم الرسمية ، المتصلة بمناصبهم العليا ، والمتوجهة الى غيرهم من أفراد الشعب ·· والثانى يتمثل ليس فى الأوامر والتبليغات والتوجيهات ، وانما فى ذلك الذى يتصل بتقديم صورة عامة للحياة المصرية القديمة وألوان النشاط المختلفة المتصلة بها ، والمتمثلة فى اجتماع الناس وعلاقاتهم ببعضهم البعض واهتماماتهم العائلية والفنية والدينية والرياضية والحياتية الأخرى

٢ ــ **التقسيم الى اعلام شفهى ، وآخر تسجيلى أو تدوينى :** الأول يتمثل فى ألوان الاعلام والحكم والترتيلات والنصوص المسرحية ، والتبليغات التى كانت تقدم شفاهة ــ وهل أصل الاذاعة الأول ــ ولكنه قليل ، وغير واضح ، اذا قيس بالثانى ، التدوينى ، التسجيلى ·· الا فى أوقات بعينها ، نعم ، كان الاعلام المصرى القديم تسجيليا فى معظمه ، أو على الأقل ، هـــذا ما اتضح لنا حتى الآن ·

٣ ــ **التقسيم الى اعلام ملكى · وآخر غير ملكى :** ·· يمكن أيضا تقسيم الاعلام المصرى القديم الى نوعين كبيرين احدهما ملكى ، عرفنا بعضا منه ،

ويتصل به كل ما كان يقدم من صور اعلامية ، ودعائية من أجل الملك ·· بمعرفة الأمراء أو الوزراء أو حكام الأقاليم أو كبار الموظفين أو غير هؤلاء . ولعله يكاد يكون القسم الاكبر ، من تاريخ هذا الاعلام ·· والقسم الثانى ، هو الاعلام غير الملكى ·· اعلام هؤلاء ، وغيرهم من أجل ذواتهم وأنفسهم وصور نشاطهم المختلفة ·· والتعريف بذلك كله ·

٤ ـ **التقسيم الى اعلام دينى ، واعلام دنيوى** : ·· ومثل الاعلام الملكى وسيطرته ، وقوته ، يوجد أيضا الاعلام الدينى الذى يكاد يكون قاسما مشتركا بين أكثر هذه التقسيمات السابقة واللاحقة ، حيث تشكل المادة الدينيـــة المتنوعة ، وجودا يتراوح ما بين الوجود القوى جدا ، وحتى مجرد الوجود ، المتسلل الى السطور ، كل ذلك فى مواجهة اعلام دنيوى ، لا بأس به ، وتعددت كذلك صوره وأشكاله وأنماطه ·

٥ ـ **التقسيم الى اعلام الموت ، واعلام الحياة** : أنتج ايمان المصرى القديم بفكرة الخلود عالما قائما بذاته ، فى مواجهة عالم الاحياء ، وكان لهذا العالم الأول طقوسه وعاداته وتقاليده ، ورموزه وصوره المتعددة التى تشابكت مع مختلف صور النشاط الأخرى ومن ثم كان الاعلام عن هـــذا العالم ، والتعريف به متصلا بشكل أو بآخر مع ألوان الاعلام الأخـــرى ، لاسيما الدينى والملكى ·· فى مواجهة اعلام الاحياء ، وصوره ونماذجه ··

٦ ـ **التقسيم الى اعلام عام ، واعلام مهتم واعلام متخصص** : اعلام للجميع ، واعلام له مجالاته وتوجهاته المهمة ، واعلام للقلة المتخصصة ، وهو التقسيم الموضوعى الثلاثى الذى سوف نتبعه ، والذى نرى أنه أفضل ما يقدم لنا صورة طيبة ، عن هذا النشاط الاعلامى المصرى القديم · (تقسيم المحتـــوى) ·

وصحيح أنه يمكن ملاحظة عدة تقسيمات أخرى (*) ، تحيط دائرتها

(*) يمكن كذلك التقسيم الى اعلام حجرى ، وطينى ، وهرمى وجدرانى ، والى اعلام اخبارى وثقافى وفنى وتوجيهى ـ وهو ما يقترب من التقسيم الذى سنتحدث عنه ـ والى اعلام أدبى وعلمى وعملى ·· والى اعلام محلى واعلام مركزى واعلام خارجى ·· والى اعلام الصفوة واعلام الجماهير ·· وهكذا تتعدد الاقسام فحسبنا منها ما ذكرنا ·

بهذا الاعلام نفسه لكننا نرى ، أن هذه هى أهم وأبرز أقسام اعلام الاجداد ٠٠ ومن ثم فنحن نتوقف عند كل فرع من هذه الفروع النوعية ٠٠ ترى ، ما الذى يمكن أن نقوله عنها ؟ وما هى أبرز ملامح كل نوع منها ؟ وأهم خصائصه ؟ من خلال القائم والموجود ، من صوره نفسها ؟ ذلك ما تقدمه الصـــفحات التالية باذن الله ٠

الفصل الأول

الاعـــلام العـــام

« الاهتمام العـــام »

الشكل الأول من أشكال الاعلام المصرى القديم ، الذى يمكننا أن نضع أيدينا عليه . من خلال وسائل النشر والذيوع والدعاية السائدة ، بما عليها من صور ومشاهد ، وما تحمل من أنماط وفنون ، وما تقدمه هذه كلها ، من رسائل اتصالية ودعائية مختلفة ، بمعرفة أصـــحابها أو الآمرين بها ، وباستخدام وتوظيف لخبرات المشاركين فى اعدادها ، والمنفذين لها ، على درجة من الدرجات ٠٠ أو على مستوى من المستويات ٠٠ وحيث نتوقفـلنقول:

أولا ـ الاعلام العام ، ماذا تعنى به ؟

٠٠ وقبل أن نقدم هذه الصور والمشاهد التى تمثل هذا الجانب نتوقف أولا عندما نعنيه بتعبير « الاعلام العام » ٠٠

● أما عن الشق الأول من هذا التعبير : « **الاعلام** » فقد توقفنا عنده أكثر منمرة ، ومن ثم فلا حاجة بنا الى العودة اليه ٠

● وأما عن الشق الثانى فان ما يعنيه **هنا** :

ـــ من زاوية **اصـــطلاحية** ٠٠ يعنى تلك الدرجة الأولى من درجات تصنيفات المعارف البشرية ٠٠ حيث تبدأ بهذه «**العمومية**»٠٠ عمومية المعرفة، والعلوم ، أو العلم العام هنا ، والتى تليها درجة « الاهتمام » الخاص ٠٠ للمهتمين فقط بجانب من الجوانب المعرفية ، والمعنيين به بدرجة مقبـــولة ومتوسطة ، ثم تلى هذه الدرجة ، درجة « التخصص » والتخصص الدقيق أيضا ، لهؤلاء الذين يبلغ اهتمامهم به مداه ، وعنايتهم غايتها ، ويوقفون نشاطهم كله ، على جانب من هذه الجوانب المعرفية ، ويتبعون فى سبيل ذلك قواعد البحث والدرس العلمى الخاصة بهذا الجانب ٠

ـــ فاذا قلنا ٠٠ من زاوية **اهتمامية** ، فالاعلام العام هنا ، هـــو

اعلام الاهتمام العام ·· للكل ، للكافة للجماهير فى مجموعها ·· وذلك فى مواجهة أو فى مقابل « الاهتمام الخاص » ·· وكذا « الاهتمام الدقيق » ·· أو التخصص بعينه ·

— فاذا قلنا ·· من زاوية لغوية · ·فان معظم المراجع تكاد تجمع على أن « العامة ·· خلاف الخاصة » · ·وعلى سبيل المثال لا الحصر نقرأ فى بعضـــها :

« عم المطر وغيره عموما من باب قعد فهو عام والعامة خلاف الخاصة والجمع عوام » (١) ·

« ·· والعامة ضد الخاصة ، وعم الشىء يعم بالضم أى شمل الجماعة، يقال عمهم بالعطية » (٢) ·

— أى ان الاعلام العام فى النهاية هو الاعلام الذى يتوجه به الآمرون ويخطط لتنفيذه المخططون ويشرف على تنفيذه المشرفون وينفذه المنفذون من كتاب وفنانين وصناع ·· من أجل التوجه الى الجهور كله ، بجميع فئاته ومستوياته وطبقاته ·· انه اعلام للناس جميعا ، لكل من يمكن أن تقع عينه على الرسالة ·· على أى شكل من أشكالها ··

● **ولعل ذلك يعنى :**

— أن موضوعاته ينبغى أن تكون فى المستوى الأول من الاهمية ، بالنسبة لجميع الفئات ·

— أنه بالاضافة الى توجهه أولا الى « عامة الناس » أو كلهم ·· ومن ثم الاستحواذ على اهتمام هؤلاء أولا ·· فان المستويات الأخرى المهتمة والمتخصصة ·· تعنى به أيضا ، مع اختلاف فى درجة عنايتها به ، وتفاوت فى الاقبال عليه ·

— فاذا نظرنا اليه من زاوية جماهيرية بحتة ·· لجاز لنا أن نقول أنه اعلام « الشعب » كله ·· بجميع طبقاته وفئاته ومستوياته ، بينما الاعلام المهتم ، يكاد يكون أقرب الى اعلام الموظفين والمتعلمين عموما ، أما الاعلام المتخصص فهو اعلام « الصفوة » ·· المفكرة والباحثة والدارسة ··

ـــ لكن ذلك لا يمنع ايضا من ان يكون « جمهور » هذا الاعلام الأول، من غالبية الناس الذين يعنون به أكثر من غيـــرهم ٠٠ لا يعنى أن هؤلاء لايمدون أبصارهم تجاه ألوان الاعلام الأخرى ، خاصـــة المهتمة ، أو ذات الاهتمام الخاص ، وعلى وجه التحديد بعض أنواعها ذات الصلة الكبيرة بحياة وموت وعبادة ونشاط معظم الفئات والطبقات والمستويات الاجتماعية فى مصر ٠٠ وانما كان لجمهور هذا الاعلام العام ، اهتمامه الذى لا ينكر ببعض جوانب الاعلام المهتم ٠٠ وربما على نفس درجة جمهور هذا النوع الأخير من الاعلام ــ المهتم ــ بالاعلام العام ٠

ـــ لكن المسألة تختلف ــ حتما ــ بالنسبة للاعلام المتخصص ، ففى الوقت الذى نجد فيه عناية لابد من قيامها بين جمهور هذا النوع الاخير من الاعلام ، بمادة الاعلام العام ورسائله ومضامينها من واقع أنه اعلام جميع الفئات ٠٠ والطبقات والمستويات المصرية القديمة تماما كما هو الآن ، فانه يندر ويصعب أيضا وجود أو قيام نوع من الاهتمام الذى يبديه جمهور الاعلام العام ، بالنوع الثالث ٠٠ اعلام الخاصة ، والصفوة العلمية والمفكرة ٠٠

ثانيا ــ الاعلام العام ، أنواع عديدة :

٠٠ وكما أشرنا ٠٠ فان كل نوع من هذه الأنواع والاشكال والأنماط والأطر الاعلامية ليس واحـدا ، وانما تنقسم بدورها الى عدة أقسام ، أو تتفرع الى عدة فروع لابد للدارس المتابع من الوقوف عليها ، ٠٠ ومن ثم فاننا نبدأ بهذه الفروع المتصلة بموضوع حديثنا خلال هذه السطور ٠٠ الاعلام العام ٠٠ ترى ، بعد أن عرفنا ماهيته ، وألمحنا الى نوعية جمهوره ٠٠ ما أقسامه وفروعه ؟ ٠ تلك التى تمثل من زاوية أخرى ، رسالته نفسها أو « ماذا قيل ؟ » اننا نستطيع القول بأن أبرز هذه الأنواع هى :

١ ــ المادة الاعلامية المتصلة بالاحداث المهمة :

وهى مادة اخبارية وتقريرية فى معظمها (خبر صغير ــ متوسط ــ كبير أو مركب ــ تقارير اخبارية ــ موضوعات وقصص اخبـــارية) ٠٠ وبمراعاة طبيعة هذه الفترات ، وما يتصل بمستويات هذه المواد المختلفة والمتباينة ، والنقص الذى لابد من قيامه ان نحن حاولنا عقد المقارنة بينها

وبين ما نعرفه حاليا منها ٠٠ وبصفتها من « الجذور » الضارية فى أعماق الفكر الانسانى عامة ٠٠ الاتصالى الاعلامى خاصة ، ودون تجاهل من جانبنا لبعض ألوانها القليلة من تلك المتميزة بدرجة فنية تكاد تقترب بها مما ينشر أو يذاع ٠٠ فى وقتنا الحالى ٠٠ وكذا من خلال المتابعة لهذا النوع الأول ـ والذى سنتناوله من زاوية فنية فى موضعه باذن الله ـ نقول أن هذا النوع الأول ، بأنماطه وفنونه التحريرية الاخبـــارية فى معظمها ٠٠ كانت أبرز موضوعاته هى تلك التى تدور حول مثل هذه الأحداث ، قبل غيرها ، وأكثر من غيرها أيضا :

« أخبار الملك « وزوجته أو زوجاته والأمراء والأميرات ـ أخبار رحلات الملك ونزهته ورياضته وصيده ـ أخبار الوزراء لاسيما الوزير الأول ـ أخبار الحاشية الملكية ورجال البلاط الملكى ونسائه ـ العلاقات بين القصر الملكى والحكومة المركزية من جانب ، وحكومات الأقاليم وحكامها من جانب آخـر ـ أخبار سير العمل الحكومى ـ أخبار القصر الملكى والادارات التابعة له ـ أخبار البعثات التى تخرج طلبا للمناجم والمحاجر والمعادن والأخشاب داخل البلاد وخارجها ـ أخبار القادة والكتاب والكهنة ـ أخبار الفنانين والمهندسين والكتاب الرسميين ـ أخبار القضاء والقضاة وجباة الضرائب ـ أخبـــار اقامة معابد المعبودات المختلفة ـ أخبار العلاقات مع الدول المجـــاورة ـ الوفود الاجنبية ـ الزيارات الملكية وغير الملكية المهمة ـ أخبار النيل لاسيما فيضانه وارتفاعه أو انخفاضه ـ أخبار المجاعات والاوبئة ـ الاعتداء خاصة على حياة المتهمين ـ السرقات خاصة من المقابر ومخازن الغلال ٠٠الخ»٠

٢ ـ المادة الاعلامية الخاصة بالحياة اليومية ٠٠ وهى تنقسم الى عدة أقسام ٠٠ اهمها :

ــ المادة الخاصة بالحياة اليومية لكبار الموظفين (من غير المهتمة أو المتخصصة)٠

ــ المادة الخاصة بالمجتمع المصرى القديم وعاداته وتقاليده ومثله ٠

ــ المادة الخاصة بالشعب والمهن والعمال والصناع والجنود والكتبة والفنانين والفلاحين والرعاة وطابع حياتهم اليومية ٠

ــ المادة الخاصة بالأسرة المصرية القديمة وأفرادها والعـــلاقات بينهم وبملابسها وأثاثها وطعامها وشرابها ولهوها وقضاء أوقات فراغها٠٠

٠٠ وهى ايضا المنتشرة فى صورة مادة اخبارية وتسجيلية ، تتوجه الى العامة ، الى كل جماهير وسائلها ٠

٣ ـ المادة الاعلامية الخاصة بالسيرة ، أو الترجمة الذاتية :

٠٠ وحيث ثبت لنا أنها كانت تمثل رسائل اعلامية متميزة ، لاسيما تلك التى أطلق عليها علماء الآثار تعبيرهم : « نقوش رواية حياة الأفراد » (٣)٠٠ خاصة فى الدولة القديمة ، وامتداد ذلك الى بعض العصور والحقب التاريخية الأولى ، وحيث تقدم لنا هذه النقوش أو السير أو الترجمات قدرا من المعرفة الاعلامية ، اختلف باختلاف أهمية هؤلاء ، ووظائفهم التى تقلدوها ، وحياتهم وما بها من تجارب ، ودروس وعبر ومغامرات أيضا ، لكنها ـ فى جميع الأحوال كانت تقدم مثل هذا القدر الاعلامى ، القليل ، أو المتوسط ، أو المتميز ٠٠ ونظرة واحدة الى كتابات ، أو ما كتب عن : « **ونى ـ حرخوف ـ بى نخت ـ سير نبوة ـ سنوهى ـ أحمس بن أبانا ـ أحمد بن بتنخبت ـ دتشبسوت ـ أمون أم حب ـ أمونزح ـ امنحتب الثانى ـ حورمحب ـ دوى ـ وجادررسنت** » وغيرهم ، من ملوك وملكات وأمراء ووزراء ٠٠ لتؤكد وجود هذا الجانب الاعلام العام ، بأنماطه وأساليبه المتعددة ٠

٤ ـ المادة الاعلامية الخاصة **برفع الشكاوى وازالتها واجراء المحاكمات** ـ بأنواعها ـ وما يتصل بذلك كله من احراز العدل ، وأستتباب الأمن ، وما يتخلله من بحث ، وتحقيق لهذه الشكاوى ، ومشاركة للأطراف المعنية ، المختلفة ٠٠ لا سيما الطرف القضائى ٠٠ بما يشبه فى هذه الأيام نشاط أبواب البريد والشكاوى ونشر التقارير والقصص والموضوعات الاخبارية وكذا الماجريات القضائية المهمة ٠٠ وحيث حفظت وسائل وأوعية النشر والاعلام المصرية القديمة الكثير من هذه الصور التى تجمع بين الاعلام العام من جهة ، وبين استخدام رسائل القراء ، وألوان التقارير والماجريات القضائية من جانب آخر ومنها :

ـ المادة التى تتضمن شكاوى الطبقات الفقيرة من كبار الموظفين ٠

ـ المادة التى تتضمن شكاوى سكان الحدود من غارات البدو وبعض جيران مصر ٠

ـــ المادة التى تتضمن شكاوى بعض حكام الاقاليم وممثلى الملك من سوء الحالة فى مواقعهم ٠

ـــ المادة التى تتضمن محاكمات المتآمرين على الملك ٠

ـــ المادة التى تتضمن محاكمـــات المتآمرين على بعض الأمـــراء والأميرات وكبار الموظفين ٠

ـــ المادة التى تتضمن محاكمات لصوص المقابر ٠

ـــ المادة التى تتناول محاكمات المرتشين ومستغلى النفوذ ٠

الى غير هذه كلها ، لا سيما تلك التى تصور أو تصف أو تخبر بمثيلات هذه الجرائم ومحاكماتها (*) ٠٠ والتى تشابكت ـ كعادة المادة الاعلامية المصرية القديمة ـ مع الأدب تارة ، ومع المعتقد تارة أخرى ، ومع الأسطورة تارة ثالثة ، ٠٠ وحيث يمكننا أن نشير هنا الى بعضها لحين العودة الى وضعها ضمن اطارها الاعلامى الكامل ٠٠ ان من أبرزها : « الاعتداء على اخناتون ـ محاولة اغتيال رمسيس الثالث ـ محاكمات سرقات المقابر ـ شكاوى الفلاح الفصيح ـ قضية بن عنقة المرتشى ـ محاكمة حعبى ور رئيس عصابة سرقة مقبرة سوبك أم ساف ـ مؤامرة الحريم فى بلاط بيبى الأول ـ مؤامرة مقتل جدف رع » ٠

٥ ـ **الرحـــلات** ٠٠ ونؤجـــل تناولها الى صفحات قادمة باذن الله (الرحلة كنمط اعلامى غير تقليدى) ٠

٦ ـ **المناسبات المهمة** : وأبرزها الأعياد والاحتفـــالات والمناســـبات الأخرى ، وقد تناولناها ـ عرضا ـ فى سطور سابقة ولاحقة كثيرة ، كما نفرد لها فقرة خاصة كنمط اعلامى غير تقليدى ، خلال صفحات أخرى قادمة باذن الله ٠٠

ثالثا ـ اضافات وملاحظات :

٠٠ كانت هذه مجموعة من أبرز صور وأشكال وأنواع « الاعلام العام»

(*) رجاء العودة الى الفصل الثالث من الباب الاول من كتابنا السـابق : « ماجريات الصحف » ٠٠ وهو فصل بعنوان : « قصة الماجرى » ٠ ٠

كما عرفتها الحضارة المصرية القديمة وكانت هذه أبرز موضوعاتها ،والأسماء المتصلة بها ، من آمرين ومخططين ومشرفين ٠٠ لكننا قبل الانتقال الى القسم الاخر من أنواع الاعلام ٠٠ الاعلام المهتم ٠٠ نتوقف قليلا لنضيف هذه الطائفة المركزة ، من نقاط النظام والملاحظات ٠٠ معا ، ومن أبرزها هنا :

● أن السطور السابقة فى مجموعها قد تناولت عددا من أبرز هذه الصور والأشكال ، ولا أقول جميعها أو جميع المهم منها ، لأن ذلك يكون فوق حدود هذا البحث ، والمساحة المتاحة له ، بل وفوق طاقته أيضا ٠

● لكننى أضيف هنا ، أن الأمثلة هنا صادقة الدلالة على المجموع أو الكل ، واضحة ، وشهيرة أيضا ٠

● وقد يثور هنا سؤال مهم يقول : لماذا هى عامة ؟ أو لماذا نقول أنها تقف ضمن حدود « الاعلام العام » وليس المهتم ، أو المتخصص الدقيق مثلا ؟ ٠٠ وهنا نقول ، أنها تابعة للاعلام العام ، تبعية تامة ، لعدد من الأسباب التى لا تخفى على عين خبير ومن بينها :

ــ أنها تشبه فى كثير من معالمها وملامحها ، المادة العامة التى تنشرها الصحف والمجلات التى تتجلى فى مادتها : « عمومية النشر » والتى تصدر لجميع القراء ٠٠ فى بلد معين ، وزمان محدد ٠

ــ أنها فى معظمها كانت مادة اخبارية أو تسجيلية ، وهما من خصائص الاعلام العام أولا وقبل غيره ٠

ــ يؤكد ذلك أن موضوعاتها من تلك التى تجتذب اليها أنظـــار الجميع ، وتلفت انتباههم بشدة ، بل وتحظى على متابعتهم ٠٠ حتى اليوم ٠

ــ كذلك فان فى تنوعها الكبير ، ما يفسر من جانب آخر ، وجود هذه « العمومية » حيث تهتم بها معظم مستويات الجمهور القارىء أو المستمع ٠٠ انطلاقا من هذا التنوع نفسه وارتكازا اليه أيضا ٠ حيث يندر وجود ذلك المتابع الذى لا تجذبه اليها مثل هذه الموضوعات المتنوعة ٠

● على أنه لابد من الاشارة كذلك ، الى أن بعض التداخل والتشابك

يحدث بين عدد من فروعها ، أو « فروع الفروع » ٠٠ وبين عدد من الأنواع الأخرى ، لاسيما المهتمة ٠٠ ومثال ذلك أخبار المعابد الدينية يمكن اعتبارها من باب الاعلام العام ، والدينى المهتم ، وربما اعتبر بعضها من تلك المادة التى تقف بالقرب الشديد من الاعلام الدينى المتخصص أيضاً ٠٠ لكن المعول هنا هو القــــارىء نفسه ، ذلك الذى ينظر اليها بمنظار يختلف عن منظار غيره ، ومن خلال رؤية مخالفة ٠٠ استنادا الى الفئة التى ينتمى اليها ، والى مستواه نفسه ، ودرجة معرفته بمادة مثل هذه الاخبار ٠

● ومعنى ذلك أن الخلاف قائم ، وواضح ، وبين أيضا ، بين هذه المواد التى سبقت الاشارة اليها ٠٠ من جهة ، وبين المواد الأخرى ، التى تتبع النوعين التاليين ٠٠ حتى اذا كان الموضوع واحدا ، فلكل فكره وأساليب تحريره ومواقع وجوده ٠٠ وجماهيره قبل هذه كلها ٠٠

٠٠ ونكرر ، أن صفحات قادمة باذن الله ، سوف تتناول طرق ووسائل التعبير عن هذه الموضوعات كلها ، والأنماط الفنية والتحريرية التى استخدمت فى كتابة رسالتها ٠٠

ونكتفى بهذا القدر من الحديث عن الاعلام العام وننتقل الى نوع آخر ٠٠ ربما أكثر أهمية من النوع السابق ٠٠ ألا وهو ٠٠ الاعلام المهتم ، أو اعلام « التخصص العام » ٠٠

بصوره ومشاهده وموضوعاته وصناعه ٠

الفصـــل الثــانى

الاعلام المهتم « الاهتمام الخاص »

« مدخـــل »

.. وهذا لون آخر من ألوان الاعلام المصرى القديم ، أو قسم كبير من اقسامه التى لا تقل أهمية ولا ذيوعا وانتشارا ، ولا بروزا ، من القسم السابق ، أو القسم اللاحق ـ المتخصص ـ ومن ثم ، فان اهتمام القائمين بالاتصال فى مصر القديمة ، به لم يكن أقل من اهتمامهم باللون أو بالقسم السابق ، ان لم يزد فى بعض الأحوال ، بل فى كثير منها .. قبل أن نقول كيف ؟ ولماذا ؟ نتوقف أولا لنعرف ماهية « الاعلام المهتم » ..

الاعلام المهتم .. ماذا يعنى ؟

.. وكما قلنا عند حديثنا الذى تناولته السطور السابقة عن « الاعلام العام » .. من أن التعبير يتكون من شقين .. أولهما : **الاعلام** ، وعرفنا ماهيته وما يعنيه مصطلحه خلال الصفحات السابقة ـ الباب الأول من هذا الكتاب ـ نكرر هنا هذا القول أيضا ، وحيث يبقى عندنا الشق الثانى الذى يعنيه لفظ « الاهتمام » .. من حيث هو .. وسنتـــوف نتناوله على ثلاث مستويات :

● **المستوى الأول .. العام الوظيفى** ، باســتخدامه الدارج على الألسنة . وفيه يقول الانسان أنا أهتم بكذا وكيت ، أى أن ما أهتم به يأخذ قدرا من وقتى وجهدى وعنايتى ، وأكون أكثر التفاتا اليه ، بما يتصل به من ملامح ومعالم ومن ثم تجذبنى اليه مفرداته وخصائصه لأسباب عديدة ، بعضها يرجع الى اقترابه منى .. من فكرى ومعتقدى ومصالحى ، وبعضها يرجع الى شخصيا ، لأننى أفضل هذا اللون ، أكثر من غيره وأفهمه ويجـد أستجابة فى نفسى .. وتنعكس هذه كلها فى بحثى عنه ، وسعيى من ورائه .. لكننى أفعل ذلك كله ، وغيرى لا يفعله على نفس الدرجة .

● **المستوى الثاني ‥ العلمي الشائع** ‥ وهو ذلك الذى يقـــوم على أن الاهتمام يعنى :

ـــ أنه غير **التخصص الدقيق** ‥

ـــ وان كانت موضوعاتهما من الممكن أن تكون واحدة ، بمعنى أنه يمكن تناولها من زاويتى الاعلام والعلم معا ·

ـــ لكنه لا يرتفع هنا ، بمستوياته المختلفة الى درجـــة التخصص الكامل أو الدقيق ·

ـــ ‥ أى أننى قد أكون مهتما بمادة من مواد هذا الاهتمام الخاص، بموضوع من موضوعاته ، أو بأكثر من موضوع واحد ، ومع ذلك فقد أكون أيضا من المتخصصين فيه ، وقد لا أكون ·

ـــ أى أن المادة هنا لا تتوجه الىجمهور بعينه ، القارىء أو المستمع أو المشاهد ، وانما تكون مطروحة أمام الجميع ، طوع أيديهم وأبصارهم وأفهامهم ، لكن اهتمام هؤلاء بها ، لن يكون على درجة واحدة ‥ وانما سيختلف اقبالهم عليها من شخص لآخر ، لثالث ولرابع ‥ **وهكذا**·

ـــ أما هؤلاء الذين سوف يهتمون بها أولا ‥ فلاسباب تعود اليها واليهم معا ، وتدور جميعها داخل دائرة اهتمامهم ·

ـــ أى أنه كذلك « اهتمام خاص » ‥

ـــ ‥ وبالمثل هو أيضا « تخصص عام » ‥ يجمع بين تخصص المادة المقدمة ، وعمومية ذيوعها وانتشارها ، وطرحها للجميع ·

ان المادة هنا ، ليست عامة على النحو السابق ، وليست خاصـــة أو متخصصة على النحو اللاحق ‥ يؤكد ذلك ، أن موضوعاتها ، وأفكارها ، وان كتابها وأســـاليب كتابتها تكون مـــن طابع مختلف ، هو ذلك الذى يقف فى منتصف المســـافة بين العمومية ، والخصـــوصية ، فى الفكـــر والتعبير واللغة ‥ معا ·

● ‥**وأما المستوى الثالث ، فهو اللغوى** ، الذى يركز على معنى الاهتمام ‥ من الأصل الثلاثى « هم » ‥ وحيث نجد عندنا :

● ما يقوله صاحب « المصباح المنير » من أن : « الهمة بالكسر أول العزم وقد تطلق على العزم القوى فيقال له همة عاليه ، والهم بالفتح أول العزيمة أيضا قال ابن فارس الهم ما هممت به - واهمنى الأمر أقلقنى واهتم الرجل بالأمر قام به » (٤) ٠

● ما يقوله صاحب : « مختار الصحاح » من أن : « ٠٠٠ ويقال همك ما أهمك ، والمهم الأمر الشديد ، والهمة واحدة الهمم ، يقال فلان بعيد الهمة بكسر الهاء وفتحها ، وهم بالشيء أراده ٠٠٠ الخ » (٥) ٠

● أى أن الاعلام المهتم هنا ، أو اعلام التخصص العـــام ، أو الاهتمام الخاص ، وبعد كل هذهالجولة كلها ، وبالمقارنة بالاعلام العام٠يعنى نشر الحقائق والأخبار والافكـــار والآراء والتوجيهـــات والأوامر وألوان النشاط المتصلة بموضوعات لها أهميتها الحالية والمستمرة نشرا يتفوق فى طرقه وأساليبه على ما يقوم منها لعامة الجمهور ، بحيث تجتذب اليها فئات أكثر عناية بموضوعاتها وأهدافها ، من تلك التى تحرص على متابعتها فى أطر ومضامين مناسبة ، وتقنيات فنية وتحريرية تتميز بتوجهها الى هـــذا الجمهور الذى يقف وسطا بين العام والخاص ٠

المبحث الأول

أنواع من الاعــلام المهتم

٠٠ ومعنى ذلك أيضا ، أن هذا القسم الثانى من أقسام الاعـــلام ، بمستواه الأكثر ارتفاعا من الاعلام العام ، وباقترابه أكثر من القسم الثالث، المتخصص ، العلمى الكامل ٠٠ وبمضمونه الأكثر ثراء ، وخصوبة ، مما يجعل من غير السهل على القارىء العام ، أو علىكل قارىء عام،أن يلتفت اليه ، وأن يبحث عنه، وأن يتابعه فوق الصفحات أو مشافهة ، أو تصويرا أو رسما أو نقشا ٠٠ لأنه ببساطة قد « لا يهمه » ٠٠ أى لا توفر له رسالته ، مضمونا ، ومستوى ، ما يجعله يقبل عليه ، أو « يعزم على متابعته » ٠٠ كما يقول المعنى اللغوى ، معنى ذلك كله ، أن من الطبيعى والأمر كذلك ، ألا يكون هذا النوع متمثلا فى موضوع واحد ، أو مادة واحدة ، وانما ينقسم بدوره الى عدة أنواع فرعية صغيرة ، من متابعتنا لمادتها ، فى أوعية نشرها

المصرية القديمة ، وعلى الصفحات الحجرية والطينية والبردية وغيرها نجد أنها كثيرة ، وأن من غير المعقول أن نقف عندها كلها ، والا لاستغرق ذلك أضعاف صفحات هذا الكتاب ٠٠ ومن ثم فاننا نفضل أن نشير الى بعضها العادى ، اشارة سريعة أو فى عجالة ، ثم نتوقف عند نوعين منها لنقدم ما يلائم الغرض من هذا الكتـــاب ، وحجمه مما يتصـــل بها ٠٠ ومن ثم فنحن نقول ٠٠

● **أما ما نقدمه فى اشارات سريعة من الاعلام المهتم ٠٠ أو اعلام الاهتمام الخاص ، فهما :**

(أ) **الاعلام التربوى :** ولا نقصده هنا بمعناه الضيق ، والمتصل بأمور التربية والتعليم وحدها ، أو ما يتصـــل بالعمليـــة التربوية أو التعليمية وحدهما ، وانما نحن ننظر اليه نظرة أكثر اتساعا ، أى باضافة جوانب الاعلام التوجيهى ، والارشادى ، والاخلاقى ٠٠ ككل ٠٠ مع أهمية الفصل بين هذه وبين الاعلام الدينى ، الذى سيكون له وقفة أخرى مخالفة باذن الله٠

ان الاعلام التربوى يعنى هذا الكم المتخلف من تراث مصر القديمة الذى يشير ويعلم ويبرز ألوان النشاط المتصل بالمدارس على اختلاف أنواعها وبالدراسة فيها ، والنشاط الآخر غير المتصل بالدراسة ، أو اللاصفى ، أو غير المنهجى ، الى جانب ما يتصل بتربية البنين والبنات فى مجال الأسرة ، وما يرتبط بذلك كله من أخبار وتقارير وأقوال وتعاليم وحكم وأقوال مأثورة وقصص تربوية تهدف الى وجود المواطن المصرى الصالح ٠ ٠وتربية النشء على المثل والأخلاق الحميدة وحيث نجد عندنا الكثير من الصور والمشاهد، التى من بينها على سبيل المثال لا الحصر ، ومما حملته وسائل النشر القديمة المختلفة لا سيما البرديات ، والكتب والواح الاردواز وكراســـات المدارس وغيرها مما يمكن اعتباره من بين أوعية هذا الاعلام المهتم :

« تعاليم أيمحتب التى تعتبر أول دستور أخلاقى فى العالم ـ تعاليم بتاح حتب ـ أقوال ومأثورات كاجمنى حكيم الدولة القديمة ـ وصايا وحكم أنى حكيم الدولة الحديثة ـ القواعد التربوية للمربى الكاتب مين معـــلم امندوتب الثانى ـ عنخ شاشنقى حكيم العصور المتأخرة » وغيرهم ٠٠

أما عن أهم خصائص هذا الاعلام وأبرز معالمه فى عجالة أيضاً فهى:

١ - أن القائمين عليه كانوا فى أكثر الأحوال من هذه الفئـــات : « المعلمون - الكتاب » ٠

٢ - الكهنة - بعض الوزراء » ٠

٣ - ومن الملوك أنفسهم أحيانا لا سيما (زوسر - خيتى - حورمحب)

٤ - لكنهم كانوا يمثلون دائما وفى أغلب الأحوال دور القيادة الفكرية، وبعضهم عبد ، بل ان بعضهم عبد فى عصور متأخرة جدا ٠

٥ - وقد استعان هؤلاء فى كثير من الأحوال ، بالقصة ، وبالأسطورة، كما صاغ بعضهم تعاليمه فى صورة شعرية ٠٠ ومعنى ذلك أن هذا النوع من الاعلام ، كان أقرب أنواع الاعلام المصرى القديم الى الأدب ، بل ولمـــاذا لا نقول أنه فى احيان كثيرة ، كان يتخذ الاطار الادبى ، كشكل خاص به ، يقوم من خلاله بصياغة تعاليمه ، ومأثوراته ، وعبره أيضا ٠

٦ - بل اننا هنا نتوقف كثيرا عند قول أحد المهتمين بهذه الأنماط الأدبية المصرية القديمة ، والتى أطلقنا عليها « الاعلام فى أطر أدبية » (*)٠٠ حيث يقول هذا المهتم عن قصتى سنوحى وكوارث أونامون أنهما « ليســـتا الا سردا مرتبا لأحداث وقعت فعلا ٠٠ فهى قصص ذات أصل تاريخى أو ان شئت حكايات واقعية محمله ٠٠ وقد اسميتها روايات لعدم امكانى ايجاد تعبير أصـــدق » ٠٠ وهما غير خاليتين من بعض جوانب الحكمة ، تلك التى ظهرت بشكل أكثر وضوحا فى أنماط أدبية مصرية قديمة أخرى مثـــل قصص وروايات : « الواحى - النبوءة - قصة الأخوين - الصدق والكذب - خوفو والسحرة » ٠٠

٧ - على أننا فى النهاية نشير الى ذلك الارتباط القائم بين هذه المادة التربوية الأخلاقية التوجيهية وبين شكل من أشكال الاتصال المهمة من زاوية، وبين نمط أو فن تحريرى قياسى من زاوية أخرى ٠٠ انه ارتباط تاريخى ، وفنى وتحريرى معا ٠ ٠ولكن كيف ؟

(*) محمود أدهم : « محاضرات فى تاريخ الاعلام » محاضرات مطبـــوعة على الاستنسيل القيت بعدة جامعات عربية ٠٠ والمهتم هنا هو جوستاف لوفيفر فى كتابه الشهير : « روايات وقصص مصرية من العصر الفرعونى » ٠

ـــ أما هذا الشكل المهم من أشكال الاتصال ، فهو « المجلة » ٠٠ ذلك أننا لا حظنا فى دراسة سابقة لنا ، أن هذا اللون من الاعلام التربوى الاخلاقى التوجيهى ، القائم على أساس من تقديم الحكم والنصائح والتجارب والعبر هو أصل من أصول هذا الفن ، وكان يمثل بالنسبة للمجلات الأولى، القاسم المشترك ، الذى تتناوله وتكاد تدور حوله مادتها التحريرية ٠٠ تلك التى «تجلى » الحقائق والاخبار ٠٠ وتقدمها جلية وواضحة ٠٠ كان هذا دور المجلة قديما ، وهو دورها حتى الآن ، على مختلف صورها وأشكالها٠٠

ـــ وأما هذا النمط أو الفن التحــــريرى الذى تعتبر هذه المـــادة الاعلامية التربوية القديمة من مقدماته وأصوله وطلائعه « التاريخية » فهو فن المقال الصحفى بشكل عام ، وتلك المقالات الشارحة والمفسرة والتوجيهية والارشادية بشكل خاص ، الى جانب تلك التى تدعو الى اتخـــاذ المواقف المهمة والقيام بالأعمال الايجابية ، والدفاع عن الحق والعدل ، والخيــــر والسلام ٠٠ وهكذا مما سوف نشير اليه فى مواضع كثيرة ٠٠

٠٠ وننتقل الى لون اعلامى قديم ومهتم آخر ٠٠ الا وهو ٠٠

(ب) الاعلام الرياضى : لم تكن حياة المصرى جادة كلها ٠٠ فصحيح أنه كان من بينهم الجندى الشجاع ، ورجل الدين الجاد ، والصانع الماهر ، والعالم المفكر ، والكاتب الموهوب ، والعامل النشيط ، والفلاح والبنـــاء والنقاش والنجار والحداد ٠٠ ومن اليهم ، ممن عرقوا وأنتجوا ، وأبدعوا وتفوقوا ٠٠ كل ذلك صحيح ، ولكن الى جانب ذلك كله ، فقد كانوا يعرفون الرياضة ، ويعترفون بها ، وبفضلها على الاجساد والعقول ، ومن ثم لم يكن أجدادنا يضيعون فرصة مواتية ، الا وقضوها فى ظلال من الرياضة التى مارسوها وأفادوا منها ٠٠ ومن ثم تحدثوا عنهـــا وعرفوا بهـــا وبفوائدها ، وطرق ووسائل ممارستها وما يتصل بذلك كله ، وكأنها كانت شيئا ضروريا للغاية ، فى حياتهم ، يستوى فى ذلك الملوك والأمراء وكبار الموظفين أو عامة الشعب ٠٠

أما أبرز أنواع الرياضة التى تحدثت أوعيتهم الاتصالية عن معرفتهم بها فكانت هى : « صيد البر للوحش والضوارى ـ صيد البحر للاسماك والبط والتماسيح وفرس النهر ـ رياضة القوارب النيلية ـ التجـــديف ـ

السباحة ـ العدو ـ المصارعة ـ سباق العربات التى تجرها الخيول ـ رفع الأثقال ـ الرماية بالرمح والسهم ـ الصيد بالكلاب ـ لعب الكرة بما يشبه التنس ـ القفز ـ الرقص التوقيعى ـ ٠٠ شد الحبل ـ الجمباز ـ مصارعة الثيران » الخ ٠

٠٠ على أن هذه الألوان كلها ، قد حفلت بمثل هذه الملامح الاعلامية المتعـــددة :

ـــ انها كانت من أبرز ما تحدثت عنه نصوص رواية حياة الأفراد، تلك التى تمت بصلة قوية الى الأحاديث الصحفية من جانب ومقال الاعترافات من جانب آخر ٠

ـــ أنها أقدم النصوص التى تذكر أهمية الرياضة وتهـدف الى التوعية بفائدتها ٠٠ من تلك التى عرفها الاعلام الانســانى عـامة ٠

ـــ أنها سجلت أيضا ـ لا سيما فى مقابر بنى حسن ومقبرة بتاح حتب ومروكا بســقارة ـ بعض المعلومات التى تتصـــل بأهمية التدريب ، والحرص على العناية به ٠

ـــ وكذلك فقد تطرقت أحيانا الى بعض أساليب التشجيع وطـرق تأكيد المنافسة الشريفة فى هذا الميدان ٠

ـــ أنها قد تميزت فى أحوال كثيرة ، بمصاحبة المـــادة المنقوشة والمصورة لها ، والملونة أيضا ، التى تشرح الحركات المختلفة وتوضحها ، وبذلك اقتربت من الاعلام الشمولى ، لا سيما فى مقابر « بنى حسن » ٠٠ وبعض الوزراء ٠

ـــ كما كانت هذه المشاهد الرياضية نفسها قمة فى الاخراج ٠٠ ومساعدة المشاهد على تتبع تفاصيلها ٠٠ بارزة وملونة ومصــــورة ، أو ذات لونين لتسهل التفرقة بين المتبارين ٠٠ وهكذا ٠

٠٠ ونكتفى بذلك وننتقـــل الى اللونين المهتمين الآخـــرين ٠٠ حيث لتحدث عنهما بأسهاب ٠٠ الا وهما :

المبحث الثـانى

الاعــــلام الدينى

لا نبعد كثيرا عن الواقع الموجود فوق الصــــفحات ، وفى الأوعيـــة المصرية القديمة بل وفى مجالات الكلمة الشافهة ، غير المدونة أو المسجلة ٠٠ لا نبعد كثيرا عن هذا الواقع ، عندما نقول أن هذا النوع الأول ، من أنواع الاعلام المهتم ، أو اعلام الاهتمام ، أو اعلام التخصص العام كان هو **أهـم الأنواع ، وأبرزها** ومن ثم من أكثرها لفتا للانظار ، وعنــــاية به من جانب جميع أطراف « العملية الاعلامية » ٠٠ لا سيما الآمر بالاتصال ، والمخطط له ، والمشرف على التنفيذ ٠٠ ثم الجمهور ٠٠ والمتأثر نفسه ٠٠

بل لعلنا نقول هنا ٠٠ أن هذا الاهتمام « **المطلق** » به ٠٠ جعلنا نفكر مرة ومرة ،قبل وضعه فى دائرة الاعلام المهتم ٠٠ لا ســــيما من زاويـــة جماهيره ٠٠ حيث ينفرد هذا النوع من أنواع الاعلام المصرى بخصائص عديدة تجعله يكاد يجمع بين الاعلام العام ، من زاوية استقطاب أنظار جميع المستويات والفئات والطبقات ٠٠ وبين الاعلام المهتم ، أو اعـــــلام التخصص العام انطلاقا من زوايا تركيزه على هذا الجانب الدينى المعتقدى ٠٠ من خلال التناول المهتم لافكاره والتركيز عليها بأنماط وأطر أكثر ارتفاعا فى مضمونها ، وطرق تعبيرها ، وأساليبها من تلك التى يقدمها لجمهوره ٠٠ الاعلام العام التقليدى بأنواعه التى أشرنا الى ابرزها وأهمها خلال السطور الســـابقة ٠٠

قبل أن نقول كيف ؟ ولماذا ؟ نتوقف أولا عند ماهية الاعلام الدينى ، وما الذى نقصده بقولنا هذا ؟

●● فى ماهيته ومعناه :

ان « الاعلام الدينى » الذى يتجه اليه هذا المصطلح يعنى فى بساطة شديدة:

● الكم المتخلف من تراث مصر القديمة ، الشفهى أو الحركى التعبيرى أو الرمزى أو التسجيلى الموجود فوق الاوعية والوسائل الاتصالية ، حجرية أو طينية أو اردوازية أو جدرانية أو هرمية أو مصطبية أو حائطية أو عمودية

أو مسلاتية أو خشبية أو بردية أو جلدية ، المذاع أو المسجل والمنشور بمعرفة الملوك (أبناء الالهة) وعلية القوم والكهنة والذى يتصل عن قرب بالتعريف بالمعتقدات الدينية المصرية ، والأسس التى تقوم عليها ، ونشر ما يتصل بأمور الخير والشر والحياة والموت ، والثواب والعقاب والبعث والخلود وبيان الأمور التى تخص المعبودات المختلفة وما يرتبط بها من قصص وأساطير وما يدور حولها من عجائب وغرائب وما يجرى داخل معابدها وفى ساحاتها من طقوس ومناسك ، وأدعية وأناشيد ، وما يقام لها من رموز وتماثيل ونقوش وتعاويذ ، بهدف اقناع الناس بها وحثهم على التقرب منها وتقديم القرابين من أجلها والاكثار من أتباعها وتفضيل معبود منها على آخر واظهار احترام الجماهير لها ، بما يتصل بها من رموز مختلفة ، وتخويف الناس من تجاهلها أو عدم الانصياع لتعليماتها وأوامرها ، كما قد يكون فى شكل مهرجانات واحتفالات ومسيرات وعروض دينية خاصة لها رموزها وطقوسها وشعائرها ٠

● **أو فى أسلوب آخر ٠ ٠ان الاعلام الدينى المصرى القديم ٠٠ هو :**

— المادة الشفهية أو التدوينية أو التعبيرية الحركية ، أو الرمزية٠

— الموجودة فوق الآثار المختلفة ، وعلى الجدران والتوابيت وأوراق البردى والأوانى ٠

— والتى تعرف الناس بمعبود معين أو أكثر من معبود واحد وتدعوهم الى عبادتها ٠

— بما يشمله ذلك من تقديم القرابين واقامة الطقوس وترديد الدعوات وترتيل الادعية والاناشيد ٠

— واقامة المهرجانات والاحتفالات والمسيرات والاعياد الدينية ٠

— والتى تبرز افضليته على غيره ٠

— كما توضح معالم الخير والشر والحياة والموتوالثواب والعقاب

— وتحث الناس على العمل الصالح وتوجههم نحوه ٠

— والمذاعة أو المسجلة بمعرفة الكهنة ٠

— أو المطروحة فى المناسبات الدينية الخاصة بالمعبودات المختلفة٠

— وبتأييد من الملوك والأمراء وكبار رجال الدولة أو الاقليم ٠:

●● صـــور من أهميته :

نعم .. كان للاعلام الدينى أهميته الكبرى ، فى حيـــاة المصريين ، بجميع طبقاتهم الاجتماعية ، ومستوياتهم الفكـــرية .. من الملك ومرورا بالأمراء والوزراء وحكام الأقاليم وكبار الموظفين ، وحتى المصرى العادى فى حياته الروتينية والرتيبة .. الى الحد الذى جعله محط اهتمام أنظار هؤلاء ، وقبلهم ، الكهنة والكتاب والفنانون من نحاتين ورسامين ونقاشين وملونين ومن اليهم .. ومن هنا ، وقبل أن نتحدث عن أنواع هذا الاعلام ، ونقدم بعض صوره المهمة ، فاننا نتوقف أولا عند بعض جوانب أهميتـــه ، وسيطرته وغلبته أيضا ، ان من هذه الصور على سبيل المثال لا الحصر :

ـــ ما تؤكد جميع الآثار المتخلفة ، من أن أهم وأبرز جوانب الحياة المصرية السياسية ، كان لها ارتباطها الدينى القوى .. وحتى بعض جوانب الحياة العسكرية ، فقد ثبت أن عددا من كبار قادة العســـكر ، كانوا من الكهنة أيضا ، الذين صعدوا سلم الترقى الكهنوتى والعسكرى معا .. ومن ثم ، واذا كنا نقول أن الاعلام هو المرآة التى تعكس صور هذه الأهمية ، فقد استحق أن يكون كذلك ، اعلام مصر القديمة أيضا .

ـــ .. وحتى الكتاب المبرزين فى تاريخ مصر القديمة ، منذ عرفت الكتابة ، وممن ذكرنا بعض أسمائهم ولم نذكر البعض الآخر .. أبرز هؤلاء ـ وصلتهم بالاعلام أساسية ـ كانوا من الكهنة أيضا ، أو من المتصلين بأعمالهم بطريقة من الطرق .. يؤكد ذلك أن أقدم تماثيل الكتاب الموجودة ، تقدمهم فى صورة كهنة وكتبه معا .

ـــ أن عددا كبيرا من علماء المصريات ، من رأيهم أن معظم الآثار التى خلفها أجدادنا ـ والتى نرى أنها كانت آثارا ووسائل وأوعية اتصالية بل وصفحات حجرية معا ـ هذه كلها يرى هذا البعض أنها أنشئت من أجل أغراض دينية أولا ، وقبل غيرها من الأغراض الأخرى .

ـــ أن هذه الصور والمشاهد والأنماط وألوان التعبير الشفهى أو الحركى أو الرمزى أو المنقوش كان لها قدمها ، الممتد ، والموغل منذ ماقبل عصر الأسرات نفسها ، منذ حياة المجتمعات القبلية الأولية التى سبقت عصر

الأسرات ، بل وكما تقول « **متون الأهرام** » التى دونت أيام الأسرة الخامسة، كان الصراع بين معبودات هذه القبائل يحتد مما كان له أثره على غـــزو بعصها لبعض ، وكذا توحيد بعضها فى مواجهة البعض الاخر ، قبل اتحاد الوجهين على يد مينا أو نارمر نفسه ٠

ـــ واذا كانت معظم الصور والمشاهد المتخلفة ، منذ بداية عصر الأسرات لتؤكد أن الملك كان على رأس السلطة الدينية ، كابن للاله (*) ٠٠ ولكنه بعد اتحاد المدن وكبر مساحة الدولة ، كان يتنازل عن بعض سلطاته الدينية للكهنة ، فان ذلك يقدم صورة أخرى من صور أهمية هذا الاعلام ٠٠ انه اعلام دينى ، معتقدى ، وسياسى ملكى أيضا ، مما كان يعنى وجـــود الأسباب القوية لذيوع الاعلام الدينى وانتشاره فضلاً عن أن القيام به ، كان يتم بموافقة الملوك ومباركتهم أيضا ، بل وبتشجيع كبير من بعضهم ، وكان ذلك مما يدعم حكمه ، ويشد من أزره ٠

ـــ واذا كنا نقول فى أمثالنا الشعبية أن الناس على دين ملوكهم ، فا نذلك ما يمكن القول بأنه كان يصدق أيضا على هذه الفترات ، ليس فقط من زاوية ارتفاع أسهم ، وقوة ونفوذ المعبود الذى يتبع عبادته الملك الحالى، ومن ثم انتشار عبادته بين أفراد شعبه ، وما يؤدى اليه ذلك من اهتمام بديهى بكهنته ومعابده وحفلاته وطقوسه ورموزه كلها ٠ ٠وجميعها لها جانبهـــا الاعلامى ، وانما وبالاضافة الى ذلك كله ، فقد كان الناس ـ الجماهير هنا ـ على دين ملوكهم من زاوية اعلامية ، حيث ثبت أن العاديين من الناس كانوا يحاولون تقليد ملوكهم فى الاهتمام بالمشاركة فى اقامة هذه الأنماط الدعائية والاعلامية ، الخاصة بالمعبودات ، لا سيما بعد الدولة القديمة ٠٠

ونكتفى بهذا القدر وننتقل الى الوجه الاخر لعملة الاهمية ٠٠ ذلك هو الذى نتناوله من خلال الاجابة عن سؤال يقول :

(*) نحن نكتب ذلك ، كحقائق علمية فقط ، ثبتت صحتها ، ولكن لا تعنى كتابتها أو استخدام مثل هذه التعبيرات موافقتنا عليها بحال من الاحوال ، ان هو الا تقرير لواقع مصرى قديم كان موجودا ، ونحن نسجله هنا من الزاوية العلمية فقط ، كما سجله العشرات غيرنا وقبلنا وكما سيسجله المئات من بعدنا ٠

●● هذه الأهمية لـــاذا ؟

٠٠ واذا كنا خلال حديثنا السابق ـ صور الأهمية ـ قد اقتربنا اقترابا شديدا من بيان بعض أسباب هذا الاهتمام الكبير بالاعلام الدينى المصرى القديم ٠ ٠فاننا نواصل تقديم عدد من الاسباب الأخرى تلك التى تتمثل فى هذه كلها ٠٠ على سبيل المثال لا الحصر أيضا :

ـــ أنه قد ثبت بما لا يدع مجالا للشك ، أهمية الـــدين كعنصر أساسى من عناصر الحياة المصرية القديمة ، بكل فتراتها ، حتى أن كل ألوان النشاط المصرى المهم ، كانت تنطلق بشكل أو باخر من هذا المنطلق الدينى نفسه ، وكل التفسيرات للظواهر والاحداث المؤثرة ، كان المصرى القديم يفسرها تفسيرا دينيا فى البداية ٠٠ ومن ثم ، فقد كان لابد أن يرتبط اعلامه بهذا الدين أو ذاك ، تعريفا وتثقيفا وتفسيرا ودفاعا ، فضلا عن أهمية نشر واذاعة ما يتصل بدين أو آخر ، من رموز واشارات مختلفة ٠

ـــ واذا كنا قد أشرنا فى الســطور الســابقة الى أن الملك كان « صاحب الحق الأول » دينيا ٠٠ ومن ثم صاحب اعلامه ٠٠ فاننا نضيف الى ذلك أن تمتع الفراعنة بذلك القدر الكبير من السيادة الروحيـــة على رعاياهم وبوصفهم أبناء للالهة أيضا ، جعل هؤلاء يتجهون نحو ابراز ذلك فنا ودعاية واعلاما ٠٠ كانوا يهدفون الى تذكير الناس بعدة أمور ، نما خلالها وتعاظم الدور الاعلامى وهى ، أنهم قمة أهل الدين ، وورثة الأرباب والموكول اليهم وظيفيا الاشراف على كل ما يتصل بالمعبـــودات المختلفة ، وان تنازلوا فى بعض الأحيان عنها الى الكهنة ٠٠ ومن ثم فقد استحبوا لانفسهم الاعلام بذلك كله ، وهو ما يدخل فى دائرة الاعلام الدينى ٠

ـــ أن أقوى وأهم المدن المصرية ، كانت تتخذ قوتها ليس من طابعها السياسى فقط ، وانما من طابعها الدينى ، كمقر للمعبودات القوية ، ومعابدها ورموزها ، بل كانت هذه الصفة تغلب عليها دائما ، وربما تســبق أهميتها السياسية نفسها كما حدث بالنسبة لعقائد مدن مثل « عين شمس ـ منف ـ الأشمونين ـ طيبة » وغيرها ٠٠ وبالتالى ، كانت أهم معالم هذه المعبودات، وما يتصل بها من صور وملامح ومشاهد اعلامية مما يعتبر « علما » على هذه هذه المدن ، أو « معارض » قائمة ، لهذا النوع من الاعلام بأطره وأنماطه

كانت توجد تحت سمع وبصر أهلها ، والذين يتوافدون عليها للزيارة والتبرك مما ضاعف الاهتمام بالجانب الدعائى والاعلامى معا ، ومما كان ينتقل بدوره الى مدن أخرى عديدة ، بل والى نقل هذه الصور من الاهتمام ، لتكون للمعبودات الاقليمية الصغرى ، بل ومعبودات المدن والقرى نفسها ٠

— كذلك فقد أدت عقيدتهم فى « البعث » و « الخلود » ٠٠ وهى عقيدة دينية أيضا ، الى ذلك الاهتمام بمقابرهم - مقر حياتهم الباقية أو بيوت الأبدية كما كانوا يطلقون عليها - ومن ثم فقد دونوا فوقها كل مايتصل بصاحب المقبرة وحياته وعمله على النحو الذى ألمحنا اليه من قبل ، ولكن أهم من ذلك كله ، ومما دونوه ، ما يتصل بعلاقته بالآلهة وارتباطه بهم ، وبجوانب الطقوس الدينية المرتبطة بميلاده وحياته ووفاته وابرز ما حدث خلال ذلك ، مما قدم لنا زادا اعلاميا كبيرا عن هذه الموضوعات الدينية ، تعريفا وشرحا وتفسيرا ٠٠ ومن هنا تفوقت مقابرهم على بيوتهم مقر سكناهم ٠٠ ليس من زاوية العمارة أو النقش فقط ، وانما من الزاوية الاعلامية عامة ، الدينية خاصة ٠٠

— ومن جهة أخرى ، فان من الثابت تاريخيا أن تقسيم مصر منذ عهد الأسرات لم يكن تقسيما اداريا فقط ، وانما كان تقسيما دينيا أيضا ، وعندما نقول أنه كان تقسيما دينيا ، فاننا نعنى بذلك ، أن كل اقليم ، وكل مدينة كان لها معبودها ، وما يتبعه من أعلام - بفتح الألف - ورموز وشارات وأعياد ومهرجانات واحتفالات ٠٠ ومن ثم ما يتبعه من طرق التعريف به والدعاية له ، بل كانت هذه المظاهر نفسها من بين صور وأشكال اعلامه ، تلك التى راحت تنافس مظاهر وصور وأشكال اعلام المعبودات الأخرى التابعة للاقاليم المختلفة ٠٠ أى أن وجود الجانب الاعلامى ، على شكل من الاشكال ، كان هو « اضعف الايمان » ٠٠ وأقل القليل ، أو أقل مما هو قائم بالفعل ٠

— ٠٠ واذا كنا قد شهدنا الجماهير العريضة وهى تشارك فى بعض المظاهر الاعلامية الدينية ولا تقنع بدور المتفرج ، واذا كان التدين هو « فضيلة » مصرية تاريخية ، بالنسبة لعامة الشعب ، فقد كانت هناك الطبقات الأخرى العديدة ، خاصة من كبار القادة والوزراء وحكام الأقاليم والكتاب والأثرياء ، بل والكهنة ، وهؤلاء جميعا وبدرجات متفاوتة ، ووفق نفوذ

وامكانيات كل المادية كانوا يريدون اثبات تدينهم ، والاعـــلام عن ذلك ، والمشاركة فى مواكب المعابد والمعبودات ، ومن ثم أضيفت هذه المشاركة الى ألوان الاعلام الدينى السائدة ، وبأنواعها أيضا ٠

ـــ ٠٠ وهناك سبب فنى لهذا الاهتمام بالاعلام الدينى عامة ، يمكن أن يعبر عنه بالقبول الذى أبداه الفن المصرى ، نقشه ونحته وعمارته وخطوطه وألوانه ، ليكون « معبرا » ماهرا ، عن هذا الاعلام ، حيث بدت صلاحية هذه الوسائل الفنية كلها ، وهى الوجه الآخر للاعلام ، وأداة من أدواته المهمة ، من أجل تسجيل هذه المعتقدات كلها ، بما يتصل بها من رموز وطقوس وشعائر ٠٠ وكان نجاح الفن المصرى فى ذلك ، بدرجة منقطعة النظير ، وربما تفوق درجة نجاحه فى تسجيل الحوادث المهمة الأخرى ٠٠ سياسية وعســكرية وأسرية ورياضية وغيرها ٠٠

ـــ كذلك، ومما ارتبط بعقيدة « البعث » أو « الخلود » ما جعل الاعلام عنها يستمر على نطاق واسع ، خاصة بعد الأسرات الأولى ، عندما أخذ المصرى العادى يعتقد بأن الحياة الأخرى ليست من حق الفراعنـــة أو الأمراء أو حكام الأقاليم أو الكهنة فقط وانما هى حق له أيضا ، فمضى يقبل على شعائرها ويشير اليها ويرددها على مقابر العاديين من الناس ، مما دفع بهذا الاعلام عدة خطوات الى الأمام أو على حد تعبير أحد كبار علماء المصريات : « ٠٠ ولذلك لما صارت سعادة الآخرة حقا مشاعا لجميع المتوفين سارع عامة الشعب الى التعلق بهذا الامتياز الجديد الذى يجعل لهم حق التمتع بذلك المصير السماوى الفخم الذى كان من زمن بعيد موقوفا على الفرعون فقط فأقبلوا على تلك الشعائر الجنازية وواصلوا القيام بالمحافظة على طقوسها » (٦) ٠

٠٠ الى آخر هذه الأسباب كلها ٠

● ● فى اتجاه أنواعه :

٠٠ واذا كان موضوع الديانة المصرية القديمة يعتبر واحدا من أصعب موضوعات التاريخ المصرى عامة ، ان لم يكن أصعبها على الاطلاق ٠٠ أو هكذا نزعم ، فان الاقتراب الشديد من هذا الموضوع ، والمتابعة العلميـــة

الدقيقة له ، من خلال هذا الكم التراثى الدينى الاعلامى الذى مازال يكشف عنه ٠٠ يمكننا ذلك من وضع أيدينا على حقيقة تقول أن الاعلام عنه ٠٠ عن كل هذا النشاط الدينى الكبيـــر ، المتعدد الأنواع والمعبودات والمعتقـــدات والتوجهات والطقوس ٠٠ كان اعلاما له صوره العديدة ، ومشاهده المختلفة، وانماطه المتباينة والتى قبل أن نتوقف عندها ، فاننا بادىء ذى بدء ٠٠ ننبه الى عدد من الأمور التى تنير الطريق اليها وتوضح بعض دروبه الوعرة ، ومسالكه الصعبة٠٠ انها :

ـــ أن ما نقدمه هنا هو مجرد اشارات مسهبة ورؤوس موضوعات عديدة ، وليس تناولا تفصيليا ، لأن التناول المفصل لهذه الجوانب يحتاج الى أضعاف مساحة هذا الكتاب ومن ثم فانه يخرج عن مجال فكرته العامة ٠٠ وهى الفكرة التى كانت وراء كتابنا هذا ، الذى يركز على موضـــوعات الاعلام المصرى القديم ، تركيزا عاما ٠٠ يمهد لما يمكن أن يتبعه من كتب ، لنا أو لغيرنا ٠

ـــ لكن ليس معنى ذلك بالطبع أن يكون تناول مثل هذه الموضوعات ومنها الاعلام الدينى مبتسرا أو قشريا أو مشوها ٠٠ وانما الاختصار والتركيز غير المخل ، وفى حدود المنهج العلمى أيضا ٠

ـــ أن من الملاحظ أن هذه الأنواع ، ترتبط كثيرا بالاعلام الملكى ٠٠ وذلك انطلاقا من ذلك الارتباط الشديد ٠٠ والذى صاحب تاريخ مصر القديمة كلها ، بين الموضوعين السياسى من جانب والدينى من جانب آخر ٠٠ وفى ذلك يقول أحد المؤلفين وهو يتحدث عن هذه الرابطة القوية ، وذلك على أثر حديثه عن أعمال الملك الدنيوية أو السياسية : « ٠٠ ثم هو من ولد الآلهة ، يرعى شئون آبائه ويتلقى منها لقاء ذلك ، السلطة التى يسود بها على الأرض لتوكيد النظام الذى وضعته الآلهة ، ولضمان استمرار ذلك الانسجام أصبح من الواجب ما يأتى :

أولا : أن وجود الآلهة هو الدافع المحرك فى هذا العالم ، والملك هو المسئول عن اقامة العبادة ٠

ثانيا : الحرص على تكامل عناصر الكون بحسب ما وضع لها من نظام ، ومن هنا يتضح دور الملك التشريعى والقانونى ٠٠ » (٧) ٠

ويضيف قائلا : « .. وهكذا أصبح واجب ملك مصر الأساسى من أول عهد الفراعنة الى آخر أيام أباطرة الرومان الوثنيين .. أى فى مدى يبلغ ٣٥٠٠ سنة .. مزدوجا : الحرص على النظام الدنيوى العـــام ، وعلى الشعائر الدينية وذلك بسن القوانين للناس » (٨) .

— ومعنى ذلك أيضا .. وبالاضافة الى ارتباط الاعـــلام الدينى بالاعلام السياسى عامة حتى قبل نشأة الحكم وتوحيد الوجهين فى مصر منذ أيام المدن الصغيرة التى كان لكل منها حاكمها ومعبودها ، ومنــــذ أيام « الاتحاد الأول » الذى سبق أيام الاتحاد الثانى .. على يد نارمر .. معنى ذلك كله قيام هذا الارتباط القوى والمتطـــور بمرور الوقت ، بين الدين ، والقانون ، والعسكرية ، والأدب .. ومن ثم ارتباط الاعلام الدينى فى زاوية من زواياه ، وركن منأركانه بالاعلام المهتم والمتخصصبهذه الموضوعاتكلها.

— انه كان من الممكن تقسيم هذه الأنواع الاعلامية الدينية المصرية القديمة الى هذه الأطر الثلاثة ، الاعلام الشفهى لما كان يلقى من حكم ومواعظ وأوامر وتبليغاتوما كان يردد من أدعيه وأناشيد وشعائر والاعلام الفنى .. المتصل بالتعبير بالرقص والموسيقىوالعروض الدينية المختلفة ،لاسيما ماكان يقام منها خلال الاعياد الدينيةومهرجاناتها وحفلاتها ومواكبها وبعضهايعتبر أصلا لفن المسرح، وهو فن اعلامى فى بعض أشكاله وأنماطه .. ثم الاعلام التسجيلى أو التدوينى .. الذى يعرف بالأديان والمعبـــودات وطقوســـها وشعائرها عن طريقة « الكتابة المقدسة » .. أقول ، كان من الممكن ذلك ، لكننى وجدت أن فى التقسيم الموضوعى ، ما يحقق فائدة أكثر ، دون تجاهل كامل لمـــا يتصل بهذه الأنواع السابقة التى هى بدورها ، أقرب الى حديث الوسائل .. والأدوات ، من حديث الأنواع ..

— اننى لم أتجاهل اعلام الكهنة ، « ومنهم واليهم » .. لكننى انطلاقا من طابعه ، وما أحيط به من أسرار ، وما ضرب حوله من أسيجة ، رأيت أن أضعه ضمن حديثى عن « الاعلام المتخصص » .. فلعل ذلك هو موقعـــه الأساسى ، الأقرب اليه ، والى مادته .

.. أردت أن يكون ذلك كله ، شعاع ضوء علىهذه الأنواع،تلكالتى من

أهمها هذه كلها ٠ ٠والتى نقدمها على سبيل المثال لا الحصر ، مما يتناسب مع طابع هذا الكتاب « العام » ٠

●● أنواع الاعلام الدينى :

٠٠ نعم ، تعددت صور ومشاهد الاعلام الدينى واختلفت مظاهرها ، وكثرت معالمها ، تبعا لكثرة المعبودات والمعتقدات وقوتها ٠ ودرجة الايمان بها شدة أو ضعفا ، وولاء الملوك والحكام والقادة لها ، ونفوذ وسطوة أقاليمها وكهنتها وأتباعها ، وكانت هذه هى أبرزها :

١ ـ اعلام المعبودات المحلية :

من أقدم هذه الأنواع التى عرفها التاريخ المصرى القديم ، ومن أكبرها أثرا على مسار هذا التاريخ خاصة فى جانبه المتصل بالتجمعات البشرية المصرية المتطورة منذ عهد ما قبل الأسرات والذى تفرع عن المظاهر الأولية الساذجة والتى كانت واضحة منذ عهد نقادة الوسيط لا سيما فى صورة ما وجد على الأوانى المزخرفة التى تحمل رسوما يعتقد أنها لقوارب زود كل منها بقمرات على سطحها تعلوها الأعمدة التى تحمل بعض الأشكال الحيوانية ، وعلى منتصف كل عمود يوجد شريطان ربطا يخفقان مع الهواء ، والتى يفسرها بعض العلماء (*) بأنها كانت ترفع رموز آلهتها المحلية فوق صاريتها اشارة الى المدينة أو الميناء المحلى الذى تنتمى اليه»(٩) ٠٠ وبالمثل كانت هناك رموز المعبودات الأخرى العديدة ، التابعة للاقاليم الأخرى ، والتى ترفع على أعمدتها ، أو فوق ألويتها ، أو أعلامها ، والتى صاحبت الاحتكاك والتفاعل والانصهار الاقليمى ، وكما كان لكل مقاطعة منها عاصمة ومنطقة نفوذ تشمل عدة قرى أو مدن صغيرة ، تابعة لها ، فكذلك الأمر بين هذه المعبودات المحلية ، لكل مقاطعة معبودها الكبير ، صاحب الايثار والنفوذ ، ولكل مدينة أو قرية معبودها الخاص ٠ ومن ثم فقد كان من الطبيعى، أن يرتفع شأن بعض هذه المعبودات،وأن يمتد نفوذها الى أقاليم أخرى ، بينما يضعف البعض الآخر ، أو يختفى من الوجود كلية ٠٠

(*) فى مقدمتهم أدولف ارمان وياروسلاف تشرنى وغيرهما ٠

كما أشارت الى ذلك « متون الأهرام » ·· وقد استمر بقاء هذه المعبودات ، لكل اقليم معبوده ، ولكل مدينة ولكل قرية حتى نهاية التاريخ الفرعونى ·· وكان من بينها على سبيل المثال لا الحصر :

● من أقاليم مصر العليا ومعبوداتها :

رقم الاقليم	اسمه القديم	الموقع الحالى	المعبـــود
١	تاسـتى	أســـوان	خنوم وساتت وعنقت وحورس
٣	نخــن	الكاب ـ الكوم الأحمر	نخبت وحورس
٥	نتروى	قفـــط	مـــين
٩	منـــو	اخميـــم	مين وحورس
١٥	أونـــو	الأشمونين	تحـــوت
١٩	وابـــو	البهنســـا	حرشــف
٢٢	منتـــوت	أطفيـــح	حتحور وسبك

● من أقاليم مصر السفلى ومعبوداتها :

رقم الاقليم	اسمه القديم	الموقع الحالى	المعبـــود
٢	ايـــوع	أوســـيم	حـــورس
٥	نيت ـ محت	صـــا الحجر	نيت
٦	جوخاســو	ســـخا	آمون رع
١٣	حقاعنج	عين شمس	رع وآتوم وتحوت
١٥	تحـــوت	دمنهور	حورس وتحوت
١٨	امتى خنتى	تل بســطة	باستت وآمون رع

٢ ـ اعلام المعبودات الكبرى :

·· وبينما اختفت بعض المعبودات الصغرى الســـابقة من الوجود ، واندمج بعضها الآخر فى بعض واستقر بعضها الثالث على حاله المتواضع من القوة والنفوذ ، برموزه المختلفة نجد أن البعض الرابع من هذه المعبودات قد نما ، وكبر ، لاسيما من المعبودات الخاصة بعاصمة الاقليم نفســـه ·· مما أدى الى أن يحاول كهنة المعبودات المختفية ، أو التى أصاب ديانتهـــا الوهن ·· دمج هذه فى المعبودات الكبرى ، أو البحث عن صلة « قرابة » أو « انتساب » لها بطريقة من الطرق ·· كل ذلك بينما ظهرت الى الوجود ·· مع مسيرة الزمن معبودات أخرى عبرت عن « **قوى الطبيعة** » أو « **قوى عالمية** » ·· تضاءلت أمامها ·· فكرا ، وفلسفة ، وقوة ، وســـيطرة على العقول ،

المعبودات القديمة المحلية ، بصورها الاولى ، تلك البدائية ، غير المكتملة النضج ٠٠ ومن ثم فقد أطلق عليها تعبير : « المعبودات الكبرى » أو « المعبودات العالمية » ٠٠ هذه التى ظهرت فى صورة انسانية ، أو حيوانية ، أو هما معا ٠٠ مثلما حدث بالنسبة للمعبودات السابقة ـ المحلية ـ فى عهد الدولة القديمة ٠

من خلال ذلك كله ، نشأ نوع من الاعلام الجديد ، المرتبط بهذه المعبودات الكبرى ، العالمية ، الطبيعية الجديدة ، والتى كان من ورائها :

- مسيرة التطور الحادث نفسها وازدياد الصور والمدركات والمشاهد المصرية ٠
- وحدة الوجهين وما يعنيه ذلك وما يتلوه من اتساع أفق الحياة المصرية ككل ٠
- اندماج وتزاوج معبودات الأقاليم القوية وميلاد معبودات جديدة
- التأمل فى مظاهر الكون والطبيعة لا سيما ما جاء منه بمعرفة الكهنة ٠

أقول ، نشأ هذا النوع الجديد من الاعلام ، الذى قبل أن نتحدث عن ملامحه نذكر طرفا من هذه المعبودات نفسها ، وما تعنيه ، وأهم ما يتصل بها ٠٠ ان من أبرزها على سبيل المثال لا الحصر ، هذه كلها : « **١٠ فقط من المعبودات الكبرى الجديدة أو المتجددة أو المندمجة** » :

(**آمون**) وهو أبرز المعبودات المصرية وأهمها ، أطلق عليه « ملك « ملك الآلة » و « رب الأرباب » ومقر عبادته وأصلها اقليم طيبة ، ومنها انتشر فى مصر كلها خاصة فى عهد الدولة الحديثة ، حيث كان معبود الدولة الرسمى ، وقد اندمج مع كبار الآلة الأخرى فأصبح (آمون ـ رع) و(أمون ـ خنوم) و (أمون ـ مين) ٠٠ أغلب الصور الممثلة له جاءت على شكل كبش ذى تاج طويل وقرنين عموديين ، كما ظهر كذلك على صورة رجل فوق رأسه تاج تعلوه ريشتان ، كما اتخذ شكل الاله (مين) فى كثير من الأحيان ، وأمون معناه (الاله الخفى) ٠

(رع) أهم المعبودات المصرية القديمة على الاطلاق ، اعتبر « خالقا »

للعالم (*) يأخذ هيئة الانسان ، اعتبر الملك متجسدا منه (ابن الاله رع) ٠٠ وأضيف اسمه الى أسماء الملوك لفترة طويلة جــدا ، مركــز عبادته فى هليوبولس (أون ــ عين شمس) أصبح المعبود الرسمى للبلاد منذ الأسرة الرابعة ، واندمج مع أمون بعد ذلك فأصبحا (آمون رع) ٠

(**أوزوريس**) اله الآخرة ، وحامى الموتى ووالد (حورس) الذى قتله أخوه اله الشر (ست) ، ومن ثم أصبح حاكما لعالم الموتى ، ظهر أولا فى مدينة سمنو بالدلتا ، ثم أصبحت أبيدوس أو العرابة المدفونة أهم مراكز عبادته يمثل على هيئة رجل بدون تحديد لأعضاء جسمه ٠

(**خنوم**) الذى خلق الدنيا بمساعدة (بتاح) وقد عبــد منذ بداية الأسرات فى أقصى جنوب الوادى : أسوان والشلال وحول جزيرة الفنتين ٠٠ يرمز اليه بكبش ، وقد اندمج مع آمون فصارا (أمون ــ خنوم) ٠٠ يكون مع زوجتيه (ساتت وعنقت) ثالوث الجنوب ٠

(**بتاح**) ٠٠ أو فتاح ٠٠ معبود منف الكبير ٠٠ والذى ساعد المعبود (خنوم) فى خلق العالم ، يتخذ شكل انسان ، ادمج منذ عصر مبكــر مع المعبودين (أبيس وسكر) ٠٠ هو كذلك رب كل الصــناعات والفنون ٠

(**ايزيس**) ٠٠ أخت أوزيريس وزوجه وأم (حورس) الحانية ، تمثل كامرأة تحمل علامة العرش على رأسها ٠٠ ويرمز اليها أحيانا برأس الصقر، وأحيانا تلبس تاجا من قرنين بينهما قرص الشمس ، كما أخــذت بعض الأشكال والمظاهر الأخرى ٠

(**حورس**) اله السماء ، صور على هيئة الصقر ، وكان دائما رمزا للملك حيا أو ميتا وهو ابن أوزوريس وايزيس الذى دخل فى صراع كبير مع عمه اله الشر (ست) الذى أغتصب العرش من أمه وله مظاهر عديدة ٠

(*) مرة أخرى ، نشير ونؤكد على الاشارة باننا نثبت هنا جانبا علميــا ، ومعلومات منقولة من اخرين ، من زاوية علمية بحتة ، وليس معنى ذلك ، اننا أو أن من تحدثوا عن مثل هذه الامور ، واستخدموا نفس الالفاظ نوافق عليها ، أو نقر الاجداد على هذه المعتقدات ، أو هذه الافكار كلها أو ما شابهها ٠

(آتون) قرص الشمس الذى بشر بعبادته ودعا اليها امنحتب الرابع (اخناتون) ·· وعد ذلك ثورة دينية وأول دعوة الى التوحيد الكامل فى مصر القديمة ـ الدولة الحديثة ـ مثل أولا برأس صقر ثم بقرص للشمس تخرج منه الأشعة التى تنتهى بيد آدمية تمسك بعلامة الحياة ·

(أتوم) ·· أى التام أو الكامل ، الذى يعتقد المصريون أنه خلق نفسه بنفسه ، على قمة التل الأزلى أى أنه خالق العالم ، اندمج مع المعبود رع وأصبحا (أتوم رع) ·

(نوت) الهة السماء والضوء ، تمثل كامرأة منحنيـــة على الأرض (جب) زوجها وشقيقها ، وهى أم لاوزوريس وايزيس وست ونفتيس ، ترسم داخل التوابيت بريشة فى يديها وبجناحين ·

·· وكذلك كان هناك الآلهة والمعبودات العديدة العالمية الكبرى الأخرى (أبيس رمز القوة الجسدية والنسل ـ نو اله الماء ـ حبى أو حابى رمز النيل ـ خونسو اله القمر ـ أنوبيس الذى يقود الموتى الى العالم الأسـفل ويصور برأس ابن آوى ـ موت أم الالهة وزوجة آمون ـ هاتور ربة الحب ويرمز اليها برأس بقرة ـ بس اله النوم والاحلام ويصور كقزم له تاج من ريش ـ معات الهة الحق ولها ريشة نعامة فوق رأسها ـ ست اله الشر ـ سبك اله الماء ويرمز اليه بالتمساح ـ أش معبود الصحراء الغربية ويسمى أحيانا سيد ليبيا ويظهر على هيئة انسانية أو برأس صقر وفى صور غريبة أخرى ـ أنو بيس حارس الجبانة صور على هيئة كلب يربض على قاعدة ـ تحوتى اله القمر رسول الآلهة ورب الكتابة ـ جب اله الأرض مثل على هيئة رجل تزوج من أخته نوت الهة السماء) ·· وغيرها ، وغيرها ·

٣ ـ اعلام المذاهب الدينية :

·· وهو ذلك النوع من الاعلام الذى اشرنا فى السطور السابقة الى ارتباطه الشديد باعلام المعبودات المختلفة ، المحلية والعالمية ، ونشير هنا الى ارتباطه الأشد بعقائد المصريين من أبناء المدن الدينية الكبرى ،والخاصة بأصل العالم ونشأته وتكوينه ، أى بتلك الافكار الفلسفية الدينية المتشابكة

مع الفكر العلمى أحيانا ، والتى كانت من الموروثات القديمة ، ووضع الكهنة معا ، والتى كان من أهمها على الاطلاق هذه المذاهب :

●● عن المذاهب المرتبطة بقصة الخلق :

٠٠ اننا فى البداية نشير الى هذه المذاهب نفسها ، وأهم الأفكار التى تستند اليها ، فى هذه العجالة ومن ثم نقول ٠٠

ان العقل المصرى المتأمل فى هـــذه الأوقات الســحيقة ، فى خلق السماوات والأرض ، المفكر فى اختلاف الليل والنهار ، ووجود الشمس والقمر والنيل وفيضانه وغيرها من مظاهر قدرة الخالق سبحانه وتعالى ٠٠ هذا العقل المتأمل والمفكر ، وبتأثير من الكهنة ، بدأ يعتقد بوجود لحظـــة أزلية ، قبلها لم تكن هناك أرض ولا سماء ولا آلهـــة ولا بشر ولا مياه ٠٠ حتى كانت هذه اللحظة بمثابة « بدء للخليقة » ٠٠ أو « نشأة للعالم » ٠٠ المحسوس والمرئى ٠٠ والتى اختلف الناس ـ بتأثير من الكهنة ـ حولها ، وأسفر هذا الاختلاف عن نشأة عدد من المذاهب أو « النظريات » ٠٠ التى كان لكل منها وجهة نظره ، وموقفه ، ومن ثم اعلامه المعرف بهذا المذهب المؤيد له ، والمدافع عنه ، وكان أبرزها :

● **مذهب عين شمس (هليوبوليس)** ٠٠ أقدم العواصم الدينية ، وأبرزها ، ويقوم مذهبها الدينى على أساس أن العالم كان فى الأصل فضاء أزليا على هيئة كتلة سائلة أو محيط مظلم (نو أو نون) ٠٠ حيث كان يقيم الاله الأول (أتوم) الذى خلق الدنيا ونظمها ٠٠ حين ظهـــــر متمثلا فى الشمس من وسط هذا المحيط المظلم على كل من صنعه هو بقوته هو لأنه (الموجود بذاته) ٠٠ انه « رع » أو أتوم رع أو رع أتوم ٠٠ الرئيس الاكبر لجميع المعبودات ، وله من الذرية عند أهل هليوبوليس ثمانية (شو) ويمثل الهواء و (تفنوت) ويمثل الرطوبة ٠٠ وبدورهما أنجبا (جب) رب الأرض وكذا (نوت) ربة السماء ٠٠ وقد أثمر زواجهما عن ميــــلاد (أوزيريس وايزيس وست ونفتيس) ٠٠ أوزير رمز النيل وايزيس للتربة المخصـــبة ، وست ونفتيس للاراضى المجدبة والوحوش الضارية والشر ٠

● **مذهب الأشمونين (احدى مدن أسيوط القديمة ٠٠ أو هرموبوليس)**

٠٠ ويرى اصحاب هذا المذهب ان اله الشمس لا أثر له فى أصل الكون وبداية الخلق ، بل انه هو نفسه ـ على عكس ما يقول المذهب السابق ـ اله «مخلق» ٠٠ أوجده جماعة من الآلهة ٠ ٠بعد أن كان لا شيء يوجد فى البداية سوى اللاوجود أو الفوضى ٠٠ جاء هؤلاء الآلهة الأوائل بخواصهم الأربع ويمثل كل منها زوجين من المعبودات ٠٠ ذكرا وأنثى ٠٠ « الخاصية الأولى هى العمق العظيم ويجسدها نون ونوت ثم اللانهاية ويجسدها حوح وحوحت ثم الظلام المخيم ويجسده كوك وكاوكت ثم اللارؤية آمون وآمنت»(٢٤)٠٠وهى الآلهة الثمانية الأزلية التى أطلق اسـمها على المدينة بالمصرية القـديمة (خمون : مدينة الثمانية) ٠٠ لكن ٠٠ ما الذى أوجد هذه الآلهة كلها ؟ لقد خرجت جميعها من فم الاله الأزلى (نون) أو (نحوت) أو (هرمس)٠٠ الذى يمثل بالطائر ابيس ، أو القرد والذىصار بعد ذلكمن الآلهة الثانوية٠٠ على الرغم من أنه « اله الكتابة » ومخترع الحساب والطب والحكمة !!

● **مذهب مدينة منف :** تلك التى ركزت ـ أو ركز أهلها وكهنتها ـ منذ القدم على عبادة « بتاح » أو فتاح ٠٠ حيث فكرة الخلق ، وبدء العالم ، تبدأ فى القلب ، أو فى العقل ٠٠ ذلك الذى استقرت فيه الكلمة المقدسة ، ثم نطق بها اللسان ٠٠ ومن الكلمة أيضا خرج الطعام والمؤن ، وخلق الانسان بمشاعره وتصرفاته وأفعاله الطيبة التى توجد الحب ، أو بمشاعره وأفعاله الشريرة التى تنبت البغض والكراهية ٠٠ ومن ثم ، فان كل شيء يبدأ بالقلب أو العقل واللسان فلهما السيطرة على كل الأعضاء ، وهما موجودان فى كل البشر والمخلوقات ٠٠ ومنهما جميع الحواس الأخرى ٠٠ وما الآلهة الأخرى الا اللسان والقلب والأسنان والشفاة لذلك المعبود المنفى (بتاح)٠٠ الذى صوروه على شكل انسان قائم حليق شعر الرأس وفى يده صولجان به ثلاث علامات تشير الى القوة والحياة والخلود ، كما أنه واضع النظام للعالم ، رب العدالة ٠٠ الذى لا تشهده الأعين ٠٠

وقد حدث بعد ذلك ، أن أتخذ أهالى منف عبادة أخرى ، جمعوا بينها وبين عبادة « بتاح » ألا وهى عبادة « العجل أبيس » ٠٠ ذلك الذى يمثل حياة فتاح الجديدة ٠٠ « واعتقدوا أن روح فتاح قد حلت فى هـذا العجل وكلما مات عجل تقمصت روح فتاح فى عجل آخر فهى قابلة للحلول فى جسم آخر ثم غيره على هذه الكيفية » (١٠) ٠

● ● عن المعتقدات والمذاهب الأخرى :

كانت هذه المذاهب الثلاثة ، تمثل أهم ما ارتبطت به عقائد المصريين القدماء على امتداد تاريخهم ٠٠ وحتى دخول المسيحية الى مصر ، باستثناء فترات قليلة من هذا التاريخ من تلك التى قويت وتدعمت فيها بعض العقائد الأخرى ، من غير المرتبطة بقصة الخلق والوجود على النحو السـابق ، والذى أحدث هذا الاختلاف والأحزاب والشيع الدينية ٠٠ أو من تلك التى اتحدت فيها آلهة الفرس والاغريق مع المعبودات المصرية ٠٠ وما الى ذلك كله ، ومن ثم ، فان الاشارة الى بعضها « المصرى تماما » ٠٠ وقبل التوقف عند أهم الملامح الاعلامية لهذه المذاهب هى اشارة واجبة ٠٠ ومن ثم فاننا نختار ثلاثة مذاهب أو معتقدات منها أيضا ٠٠ انها :

● **مذهب عبادة البشر** (*) : مذهـب دينى مصرى قديم ، ذاع وانتشر فى أوقات عديدة ، وهو يقوم على تلك الفلسفة الدينية التى تقول بأن الآلهة ـ وهى خالقة البشر ـ عندما قامت بخلق بعضهم فانها ميزت هذا البعض النادر منهم للغاية بعدد من صفاتها وأعطتهم قبسـا من نورها ، ونفحتهم بعض الذى تنفرد به وتختصومن ثم فانه لم يكن من المستحيل ، أن يصبح هؤلاء من المعبودات بعد مماتهم !! ٠٠ كما أنه من الطبيعى أيضا أن يصبح الملوك ٠٠ وهم أبرز هؤلاء كما أنهم « أبنـاء الآلهة » ٠٠ من الطبيعى أن يصبح الملوك « آلهة » فى حال حياتهم أو مماتهم ٠٠ معا ٠٠ ومن ثم واذا كان معظم الملوك قد اعتبروا من بين هؤلاء ٠٠ فان الطائفة الأولى من هؤلاء الذين منحتهم الآلهة بعض خصائصها ٠ ٠ومن ثم كانت لهم أفكارهم السباقة ، ومواهبهم النادرة ، والذين عبدوا بعد وفاتهم ، بل اندمجوا فى بعض الآلهة المصرية ، والأجنبية معا ٠٠ كان أبرز هؤلاء على وجه التحديد وممن أشرنا اليهم اشارات عابرة ، خلال سطور سابقة من هذا الكتـاب :

ـ « **كاجمنى** » حكيم الدولة القديمة المعروف ٠ ٠والمدفون فى مقبرة قرب منف ٠٠

(*)هناك بعض الطوائف الجديدة فى الولايات المتحدة الامريكية من تلك التى تقول بعبادة بعض ملوك مصر القديمة وتفد على مصر من آن لآخر لممارسة طقوسها لا سيما (زوسر ـ توت عنخ آمون ـ اخناتون) ٠

— « ازى » أحد وزراء الدولة القديمة أيضا والمدفون فى ادفـــو والذى وجه أتباعه صلواتهم اليه لفترة من الوقت ٠

— « ايمحوتب » وزير الملك زوسر ، الحكيم المهنـــدس الطبيـــب الاعلامى ٠٠ اله الطب والكتـــابة عند المصريين والاغـــريق معا ، والذى مر ذكره كثيرا ٠٠

الى غير هؤلاء ٠٠

● **ديانة آتون** : والتى نتجت عن تلك « الحـــركة » أو « الثورة الدينية » التى كانت موجهة ضد عبادة « آمون » اله طيبة ، بكل ما يتصل بها من مظاهر وطقوس وشعائر ورموز ومعابد وكهنة أيضا ٠٠ والتى كان من ورائها وبطلها «**امنحتب الرابع ــ اخناتون**»٠٠ منملوكالدولة الحديثة ــ عصر الامبراطورية٠٠والذى حكم من حوالى ١٣٧٠الى١٣٤٩ ق٠م٠٠اختلف الناس والمؤرخون عليه ، على مدى تاريخ مصر كلها ، فبينما اعتبره كهنة آمون ملحدا خارجا على الدين واعتبره بعض المؤرخين « مارقا » نجـــد أن الأكثرية تنظر اليه كرافع أول لراية التوحيد (*) ٠ ٠وحيث نقرأ هنــــا سطورا متنوعة عنه ، مما يتناول هذه الثورة التى قام بها ، فلعلها تفيد فى معرض تناوله ، ان من بينها مثلا :

● ما يقوله أحد كبار المؤرخين ــ ول ديورانت ــ عنه وعن جانب من دوافع ثورته : « ٠ ٠كان شاعرا شاءت الأقدار أن تجعل منه ملكا ٠٠٠ لم يكد يتولى حتى ثار على دين آمون وعلى الأساليب التى يتبعها كهنته٠٠ فقد كان فى الهيكل العظيم بالكرنك طائفة كبيرة من النساء يتخذن سرارى لآمون فى الظاهر وليستمتع بهن الكهنة فى الحقيقة ٠ ٠وكان الملك الشاب فى حياته الخاصة مثالا للطهر والأمانة ، فلم يرضه هذا العهر المقدس ، وكانت رائحة دم الكبش الذى يقدم قربانا لآمون كريهة نتنة فى خياشمه ، كما كان ابخار الكهنة فى السحر والرقى واستخدامهم نبوءات آمون للضـــغط على الأفكار باسم الدين ، ولنشر الفساد السياسى ، مما تعافه نفسه ٠٠ فثار على ذلك كله ثورة عنيفة » (١١) ٠

(*) لا يستبعد بعض الذين درسوا حياة هذا الرجل وفكره وآثاره وأناشيده أن يكون أحد أنبياء الله الذين لم يرد ذكرهم فى القرآن الكريم أو الكتب السماوية الاخرى،

● ما يذكره أحد علماء المصريات الغنى عن التعريف ـ د٠ أحمد فخرى ـ عن بعض قواعد هذه العقيدة والتى من بينها : (باختصار) (١٢)٠

ـــ الاستناد الى الحقيقة ـ ماعت ـ فهى الاساس الذى ارتكزت عليه ديانة اخناتون ، فقد طلبت من الناس أن يجعلوها نصب أعينهم وأن يسموا الاشياء بأسمائها ولا يلتجئوا الى النفاق والمداهنة ٠٠

ـــ كره اخناتون تصوير آلهة على صورة من الصور سـواء أكانت انسانية أو حيوانية ، وجعله فقط قرص الشمس التى تعطى أشعته الحياة للناس أجمعين ٠

ـــ كان اتون هو الاله الواحد الذى لا شريك له ولكن مثل هذا التعبير كان يطلق على عدد من قليل من الآلهة ومنها آمون ، ولهذا لم يكن جديدا على الديانة المصرية، لكن الجديد هو تحريم عبادة آلهة أخرى فى الوقت نفسه٠

ـــ لم تكن ديانة آتون لمصر وحدها بل للعالم كله٠٠بمن فيه ومافيه٠

ـــ اخناتون هو الرسول وهو الواسطة بين أتون والنـــاس على الرغم من وجود الكهنة الذين يقدمون الطقوس والشعائر المختلفة ٠

ـــ لم يتخذ أتون زوجة له ، ولم يكن للنساء شأن به أو فى كهنوته٠

ـــ ٠٠ وأخيرا يقول : « اذا دققنا فى فحص ديانة أتون لوجدنا أنها أول محاولة للاتجاه نحو التوحيد ونحو التخلص من عبادة آلهة متعددة فى وقت واحد ولكنها لم تصل الى الكمال الذى وصلت اليه الديانات السماوية فيما بعد » (١٣) ٠٠ ويضيف قائلا ٠٠ « ليس هناك شك فى أن أناشـــيد اخناتون لآلهة كانت ذات أثر مباشر على المزامير ٠٠ وأن المزمور ١٠٤ يكاد يكون منقولا عن النشيد الكبير وليس من قبيل توارد الخواطر » (١٤) ٠

● ٠٠ ويقول أحد علماء المصريات من الغربيين ، ومن كبار هؤلاء ـ ج٠ هـ٠ **برستيد** ـ ٠٠ عن هذا الملك أيضـــا : « من المهم أن نلاحـــظ أن اخناتون كان رسولا لكل من عالمى الطبيعة والحياة الانسانية ٠٠ فكان مثله فى ذلك مثل عيسى استقى دروسه من سوسن الحقل وطيور الهواء وسحب السماء من جهة ومن المجتمع الانسانى الذى يحيط به من جهة أخرى»(١٥)٠٠

٠٠ وعموما ، وان كنا سنشير الى جانب الاعلام فى هذه الديانة بعد قليل ــ باذن الله ــ فاننا نكتفى هنا بالقول ، أن الديانة الجديدة كان لهــا اعلامها المبرز ، والمتميز والفريد ، تعريفا ونشرا وذيوعا ودفاعا وهجوما ٠٠ الى الدرجة التى استحق معها « اخناتون » أن يكون **اعلاميا من الطراز الأول ، وداعية يشار اليه بالبنان ، له فكره ، وتخطيطه وأساليبه الجديدة تماما** ، والمغايرة لصور ومشاهد اعلام غيره ٠٠ لكن تلك قصة أخــرى ، سوف يكون لنا معها وقفة أخرى ٠٠ على هذا الطريق نفسه ٠

٤ ــ ما يتصل بالحياة الآخرة ومحاكمة الموتى :

اعتقاد المصرى القديم بالحياة بعد الموت « الحياة الآخرة » اعتقاد موغل فى قدمه ، بل انه يعود فى رأى معظم علماء المصريات الى أقدم عصور ما قبل التاريخ تدل على ذلك مظاهر عديدة كان من بينها ، ومما له صلة بالاعلام برموزه الموغلة فى القدم :

ــ محاولات حفظ جثث الميت القديمة جدا ٠

ــ ما كان يدفن معه من بعض ضروريات الحياة الدنيا ٠

ــ بعض الفخاريات التى وجدت بالمقابر وعليها رموز تشير الى ذلك

ــ الشعائر التى ثبت أنها كانت تقام له ٠

٠٠وقد استمر هذا الاعتقاد قائما طوال فترات التاريخ المصرى ٠٠ بل وازداد رسوخه فى الاذهان كأثر للعبادات والمعبودات المختلفة ، التى دعمت من الوازع الدينى عامة ، ومن فكرة الخلود ، والحياة بعد الموت خاصة ٠٠ ومن ثم كان الاعلام عن مراحل ، وخطوات هذا الاستعداد للحياة الثانية ٠٠ حياة القبر ، الذى يمكن أن يكون نعيما ، كما يمكن أيضا أن يكون جحيما ٠٠ وكان من أبرز هذه المراحل أو الخطوات التى تم التعريف بها ، والاعلام عنها من أجل الترغيب والترحيب معا هذه كلها ٠

ــ الاهتمام ببناء القبر المناسب للشخصية المناسبة ٠٠ ونعنى هنا الزاوية الاعلامية أولا ٠٠ بما يجرى تدوينه من كتابات تعريفية ، تشير الى صاحب القبر أولا ، ثم من كتابات دينية تتصل بهذه الفكرة، فكرة الخلود ، بدلالاتها المختلفة ٠

ــ الاشارة الى أن الانسان يتألف من جملة أجزاء ٠٠ فالروح تغادر الجسد لحظة الموت ثم تطير بعيدا على هيئة طائر (البا) ٠٠ ثم اضيف اليهما (الكا) ٠٠ الجسم الثانى للانسان برسم ذراعين مرفوعين٠٠ كما أن هناك أيضا (خو) أى النور ـ البعض يقول أن البا والخو أو الآخ واحدة ـ كذلك هناك (أب) أى القلب ، وكذا (من) أى الاسم برسم حلقة مستطيلة وهو الذى يخلد ذكر المتوفى ويحييه وكذا (خايبيت) أى الخيال وأخيرا (ساهو) أى القوت ٠٠ ولكل وظيفته ، ودوره فى هذه الحياة الأخرى وعلى سبيل المثال فان « با » ٠٠ للروح أو النفس الممثلة على شكل طير ٠٠ هى أساس حياة الجسد أما « كا» أى الجسم الثانى فهو مكون من مادة الطف من المادة الجسدية وغير محسوس وهو صورة الشخص ذاته على هيئته وشكله ٠٠ وهكذا ٠

ــ ما اتصل بمحاكمة الروح بعد الموت ٠٠ حيث تمثل الروح أمام محكمة « أوزوريس » لمحاسبة الانسان عما فعل فى حياته الأولى ٠٠ حيث توجد « قاعة الحق » ٠٠ ولكن على الروح أولا أن تعرف الاسماء السحرية للابوابوالتى بدونها لن تفتحأبواب القاعة٠٠أماالقاعة نفسها فنشأ فيها الاله أوزيريس جالسا فوق عرشه فى ناموسقائم فىصدر القاعة،وأمامهأحفادهأبناء حوريس وآلهة أركان العالم الأربعة وخلفه كل من المعبودين ايزيس ونفتيس ٠٠وقد اصطف على طول أحد جوانب القاعة الآلهة التسعة (تاسوع عين شمس) يرأسهم اله الشمس وهم الذين ينطقون بعد ذلك بالحكم ٠٠ وفى مناظر أخرى ، يوجد معهم اثنان وأربعون قاضيا بعضـــهم برؤوس بشرية وبعضهم برؤوس حيوانية ، وعلى رأس كل منهم ريشة نعامة رمزا للمعبودة (ماعت) التى تمثل الحق والاستقامة والعدل ٠٠ وفى يد كل منهم سـيف لتنفيذ الحكم فى المذنب كما أن من بين وظائفهم ملاحظة عملية (الميزان) ٠

ــ ما يتصل بمرافعة الميت عن نفسه ٠٠ حيث يدافع الميـت عن أفعاله الدنيا ويسرد حسناته التى قدمها ٠٠ حتى يتقدم منه المعبود (أنوبيس) ويقوده داخل القاعه ليقف مرة أخرى أمام كل قاض على حدة ، ويكرر دفاعه عن نفسه بشكل مختصر ٠

ــ ما يتصل بعملية الميزان حيث تجلس المعبودة « ماعت » فى كفته

اليمنى ، ويوضع قلب المتوفى رمزا لاعماله فى كفته اليسرى ٠٠ وهو العضو المنوط بتأدية الشهادة عليه ، فاذا كان المتوفى صادقا فى دفاعه استقام لسان الميزان ٠٠ وقد اختص بمراقبة الميزان المعبودان حوريس برأس الصـــقر وأنوبيس برأس ابن آوى ، أما قاضى الاحالة فهو المعبود « تحوت » برأس الطائر أبيس حاملا بيديه سجلا فيه اعمال الميت ، فيدون فيه نتيجة الحكم ٠

ـــ وأخيرا بعد اتضاح الموقف ينطق (أوزيريس) ٠٠ بالحـــكم النهائى ، الذى يكون فى صـــالح الميت « فليخرج فائزا من قاعة العـــدل وليذهب حيثما شاء ولتفتح له أبواب الجنة ولتزفه جميع الآلة اليها٠٠الخ»٠ أو يكون بادانته : « اذهب عنى أيها الشرير الى الجحيم لتلاقى أشد العذاب وأمر النكال ٠٠ وأنتم يازبانية جهنم اسحبوه على وجهـــه الى الجحيم ، واقطعوا رأسه على خشبة العاد ومزقوا جسمه كل ممزق وألقوه فى أتون النـــار » ٠٠

٥ ـ معتقدات وأنشطة أخرى كان لها جانبها الاعلامى :

٠٠ ولأن كتابنا هذا لا يتناول مصر القديمة ، بمن فيها وما فيها ، الا عن طريق رؤوس موضوعاتها وصلتها بذلك النشاط الاتصالى الاعلامى، ومن ثم ، فهو لا يركز على جانب بعينه من جوانب الحضارةالمصرية، الا من خلال هذه الزاوية الاعلامية أيضا ٠ ٠من هنا ، فان صفحاتنا الاخيرة لا تقدم جانبا دينيا متخصصا ، وليس باستطاعتها ذلك ، الا من خلال هذه الرؤية الاتصالية نفسها ٠٠ ومن ثم ، واذا كنا قد قدمنا هذه المادة السابقة عن الديانة المصرية القديمة بمعبوداتها ورموزها وصلواتها وأدعيتها ٠٠ فاننا نجمع فى هذه الفقرة ، ما نرى أهمية فى تقديمه من ألوان المعتقدات والأنشطة الدينية الأخرى ، من تلك التى كان لها بعدها الاعلامى ، وصورها ومشاهدها وأنماطها الاتصالية ٠٠ سواء ارتبطت بالكلمات السابقة ، على نحو ما ، أم لم ترتبط بها ٠٠ وبذلك نكون ـ من وجهة نظرنا ـ قد أعطينا للجانب الدينى حقه ، من هذه الرؤية الاعلامية ، فى حدود التناول العام لهذا الكتاب ، للحياة المصرية القديمة بأبرز ما فيها ، وفى حدود المساحة المتاحة أيضا ٠٠

ولعل هذه الكلماتنفسها تكونبمثابة اعتذار عن هذا التركيز الشديد،

الذى نجمع فيه بين أكثر من معتقد ، وأكثر من نشاط واحد ، لم يكن من المستطاع تجاهلها ، أو تناولها باسهاب ، على صورة من الصور ٠٠ أن أهم هذه المعتقدات والأنشطة الدينية الأخرى، مما كانت لها زاويتها الاعلامية٠ أو من تلك التى اعتمدت الاعلام عنها ٠ ووظفته فى خدمتها ٠٠ هذه كلها :

● **المادة الاعلامية الخاصة بالشعائر الجنائزية :** وهى غير المواد السابقة فى مجموعها ٠٠ وهى التى تتصل هنا بذلك « الاحتفال » بتشييع جنازة الميت ٠٠ بعد أن تحضره الوفاة ويجرى تحنيطه واستنادا الى طبقته الاجتماعية ، ابتداء من « اعلان الوفاة » وتعريف الأهل والاصدقاء بذلك٠٠ وحتى وصول موكب الجنازة الى المقبرة ٠٠ أقول كان ذلك أحد مظاهـــر الاعلام الدينى الخاص بعقيدة الموت والحياة ، وكان يتراوح ما بين الجنازة العادية الرمزية الصغيرة ، ذات المراسم والطقوس والشعائر المتواضعة ، وحتى جنازات الملوك ٠٠ وحيث كان لها ما يناسب أصحابها من أبهـــة وعظمة ٠٠ لا سيما خلال رحلة عبور « زوارق الآخرة » النيل الى الغرب ٠٠ فزورق يحمل تابوت الميت وآخر لأحشائه وثالث لتماثيله ورابع لحمل الاثاث الجنائزى وأهل المتوفى ٠٠ ثم بعد الوصول من مشاهد وطقوس ورقصات دينية تعبيرية تتم بمعرفة الكهنة والراقصين ٠٠ وما يتصل بذلك من مشهد « فتح الفم وفتح العينين » ٠٠ وما اليها ٠

● **المادة الاعلامية الخاصة بالترغيب فى الجنة :** تلك التى يفوز بها الميت الطاهر النقى بما فيها من نعيم دائم ، وسعادة قائمة ٠٠ وقـد وردت كثيرا فى أوعيتهم الاعلامية المتنوعة ، على الرغم من اختلافهم فى تحديد أماكنها ٠٠ على الأرض أو تحتها أو خلف الجبل الغربى أو فى احدى جزر البحر البعيدة ٠٠ لكنهم فى عهد الدولة القديمة ، جعلوا للملوك جنـة خاصة بهم ٠٠ فهم مع الآلهة الذين يرأسهم رع أوآمون رع ٠٠ وانتهى الأمر بأن أصبحت الجنة للجميع ، لأن الجميع من « أبناء الآلهة » !!

● **المادة الاعلامية الخاصة بالأعياد الدينية :** تمثل الأعياد الدينية الكثيرة ، واحدة من أبرز صور النشاط الدينى والاعلامى الكبير ، معا ، فى مصر القديمة ٠٠حيث كانت تحفل بالعديد من الصور والمشاهد التى تقف على قمة « اعلام المناسبات « ذلك الوجه البارز من وجوه الاعلامى الانسانى، قديمه وحديثه ومعاصره ٠٠ وقد أحســـن الآمرون بالاعـــلام والمخططون

والمنفذون انتهاز فرصها ، وتكرار مناسباتها ، من أجل تحقيق الهـــدف الاعلامى المنشود ، والذى ينتهى دائما الى التعريف بمعبود ما ، وبعبادته ، وأفضـــليته ، وجدارته ، وما يتصـــل بذلك كله من طقـــوس ورموز وشعائر ٠٠ تنتهى دائما بتحقيق السعادة والخير ، جـــزاء عبادته ، أو العكس ٠٠ وكان من أهم هذه الأعياد الدينيـــة ، تلك الكثرة التى أقيمت للأموات ، والمعبودات المحلية ، والعالمية ، معا ، بحيث كانت تتم يوميا ٠٠ أو بصفة يومية ، فى موقع ما ،وفىمكانما على أرضمصر٠٠ أقول كان من أهمها أعيـــاد الآلهة : « **حور ـ سوكر ـ مين ـ زد ـ سيشات ـ سد ـ أبت ـ الخ** » ٠٠ كذلك فقد كانت هناك بعض الأعياد الأخرى التى تجرى فيها المسيرات الملكية « المقدسة » ٠٠ أو « مواكب الآلهة » ٠٠ كذلك الذى كان يتم عن طريق الكباش بين معبدى الكرنك والأقصر ، وكـــذا عنـــد مسيرات بعض المعبودات لزيارة بعضـــها البعض ٠

معتقدات ، وصــور اعلامية

كانت هذه السطورهى أبرز مايمكن قولهمن مادة تتصلبالديانةالمصرية القديمة ، فكرا واعتقادا وطقوسا وشعائر وأناشيد وأدعية ، ويبقى بعد ذلك، وبعد أن ألمحنا فى هذه السطور السابقة نفسها ، الىعدد منالظلالالاعلامية التى تعكسها هذه كلها ٠٠ يبقى أن نتوقف عند أبرز ما يتصل بها من زاوية الاعلام الدينى نفسه ، وما يرتبط بهذه الصور والمشاهد الدينية المتعددة ، من جوانب اعلامية ٠

● فمن **أهم الملامح الاعلامية لمعبودات الاقاليم** : سواء ما كان منها يعود الى عصر ماقبل الأسرات ، أو ما استمر بعده ، أو نشأ فى « العصور التاريخية » فاننا نقول هنا :

ـــ فلا بد من الاشارة أولا ، بأن رموز هذه المعبودات القديمة ، تدخل ضمن ما أطلقنا عليه فى دراسة سابقة لنا عن تاريخ الاعلام ٠٠ مرحلة « الاعلام الرمزى » المرتبط بتلك الأساليب البدائية ، فى العيش والحياة ، فى المجتمعات الانسانية القديمة ٠٠ القائمة فى هذه الأوقات ٠٠

ـــ والشعار هنا المعتمد على هذا الرمز التصويرى ، اما أن يكون

رســـما مبسطا لحيوان أو لنبات أو لطائر أو لجماد ·· لحيوان يخافه ويرهبه أو لطائر يعجب بمقدرته على التحليق أو الصيد أو لنبات ينمو حوله ويأكله أو لأنه دائم الخضرة أو لبعض الاشياء المادية المرتبطة بالمعبودات

— وهو يرفعه على العمود أو السوارى على النحو الذى يذكر بالاعلام عامة ، وأعلام فرق وألوية وكتائب الجيوش ، وأعلام المحافظات والطرق الصوفية ·

— ومثل الشعارات ، والميداليات والعلامات التجارية العديدة التى نشهدها فى عالم اليوم ·

— وقد يضاف اليها بعض الأشرطة ، أو الريش الملون ، أو أجزاء من جلود الحيوانات على سبيل « رسمها » أو « تعليمها » انطـــلاقا من محاولات لفت الانظار اليها خاصة فى المناسبات المهمة ·

— وقد ظهرت هذه كلها للاشارة الى الآلهة والتعريف بها فوق عدة « وسائل » و « أوعية » اعلامية فى مقدمتها الأوانى الفخارية وبعض قطع الأحجار واللوحات الخشبية والحلى ورؤوس الدبابيس والصلايات·· التى وجدت بالمقابر المختلفة ، خاصة تلك التابعة للعصور الأولى ·· عصر ما قبل الأسرات وعصر الأسرات المبكر أو العصر العتيق وعصر الدولة القـــديمة ·

—ولعل من أقدم الآثار المهمة التى ظهرت عليها هـــذه الشعارات والأعمدة والصوارى التى ترفع فوقها معبودات الأقاليم الجزء الثانى ، من الوجه الثانى من لوح نارمر ·

·· واذا كان لنا أن نضيف هنا من شىء فهو أن الهدف القائم فى أكثر الأحوال كان هو التعريف بهذه المعبـــودات والحث على احترامها وكذا ارتباطها بأقاليمها والعمل على أن يعلم أبناء الأقاليم الأخرى ذلك ، كل ذلك بالرمز القائم على النقش أو الرمز التصويرى ·· خاصة فى هذه الفترات الأولى ، التى تعنى – كما أشرنا سابقا – أنها تدخل ضـــمن ما أطلقنا عليه « مرحلة الاعلام الرمزى » ·· وهو هنا رمز بالنقش والصورة أولا ··

ليتحول بعد ذلك الى « أبجدية مصورة » ·· تزيد من أهداف الرسالة ، ومن وسيلة التعبير عنها أيضا ··

·· ومع ذلك كله ، فلابد من الاعتراف أن هذه كانت أيضا الصور والمشاهد الغالبة على الاعلام المصرى القديم·· خلال هذه الفترات بصفة عامة ، ليس من أجل قوة هذا العامل الدينى نفسه فقط ، وانما لأسباب عديدة أخرى من بينها أن هذه كانت امكانيات المصرى القديم ، وربما أقصى ما كان يمكن أن يصل اليه فكره من مدركات ،جمعها كلها ووجها نحو ابتكار هذه الشعائر « المرمزة » أو الموضحة بالرمز ·· تلك التى تطورت بعد ذلك الى أشكال أكثر تطورا ·· لكن الرمز بقى شعارا قائما عليها ·· وربما بقى شعارا لبعض ألوان النشاط الانسانى ·· حتى اليوم حيث تحاصرنا الرموز والشعارات فى كل مكان ·

● أهم الملامح الاعلامية للمعبودات الكبرى :

كانت المعبودات الكبرى المصرية هى معبودات القوى الطبيعية الجديدة التى لم تعرف من قبل ، خلال ما قبل عهد الأسرات أو فى عهدها المبكر ·· أو تلك التى عرفت وأستمرت قوية فى حد ذاتها أو المتحدة مع غيرها من المعبودات المحلية ، أو الكبرى الجديدة ·· ولكن ماذا عن أبرز ملامح أعلامها بما يتصل به من أشكال وأنماط ومضامين ؟

١ ـ اننا ـ بادىء ذى بدء ـ نقول أن الملامح الاعـــلامية السـابقة ، والخاصة بالمعبودات الصغرى أو معبودات الأقاليم ·· لم تختف تماما ، الا بالنسبة للمعبودات التى لم يعد لها وجود من أى نوع ، وأما الآلهة أو المعبودات الجديدة ·· هذه لم يكن اعلامها برموزه وملامحه ·· قد اختفى ، وانما نما بنموها وامتد بامتدادها ، وتطور بتطورها ، حتىأصبحوبالاضافة الى اعلام المعبودات الكبرى الجديدة ·· **أضبحا يشكلان معا عددا من أبرز وأهم صور ومشاهد الاعلام الدينى ·· التى عرفتها مصر القديمة ·**

٢ ـ ·· كذلك ، وفى مجال المقارنة بالنوع السابق أيضا ، فان من أهم ما نشير اليه ، أن جوانب كثيرة من هذا الاعلام ـ المعبودات الصغرى المحلية ـ كان يعبر عنها حتى عهد الأسرات المبكر ، تعبيرا يغلب عليه الطابع

الرمزى المحسوس ، ثم بدأ التعبير عنه بالنقش والرسم ، وأخيرا بالكتابة ٠٠ أما بالنسبة لاعلام قوى الطبيعة والمعبودات الكبرى ، فان الطابع الغالب تماما عليه هو طابع التعبير بالكتابة الهيروغليفية فى معظم الأحوال ، تلك التى اعتبرت « كتابة مقدسة » تتصل بهذه المعبودات ومعابدها وطقوسها وكهنتها أولا ٠٠ وصحيح أن الرمز والنقش والرسم الرمزى لم تترك مكانها تماما ، وانما بقيت كذلك الى جانب هذه ، خاصة عندما كان الأمر يرتبط بالمعبودات المحلية الباقية وحدها ، أو المندمجة فى المعبودات الكبرى ، ولكن الغلبة كانت للنص الدينى المكتوب ، وما يرتبط به من جوانب اعلامية (*) ٠

٣ ـ على أننا نلاحظ هنا أن هذه الاشارات والنصوص الاعلامية الخاصة بالمعبودات الكبرى قد راحت ترتبط بشدة بأنواع الاعلام الدينى الأخرى لا سيما ومما سنتحدث عنه باذن الله فى السطور القليلة القادمة :

- اعلام المذاهب الدينية ٠
- اعلام الأعياد والمناسبات والحفلات الدينية ٠

وذلك بالاضافة الى تناول المسائل المهمة ونصف المهمة ، بل والعادية أيضا ، من تلك الخاصة بهذه الآلهة نفسها ، على أى نوع من أنواعها ، أو شكل من أشكالها ، أو رمز من رموزها ٠

٤ ـ ٠٠ ولقد أسفر ذلك ـ فى واقع الأمر عن وضع فريد ، لهذا النوع من الاعلام الدينى ، بحيث يمكن القول ، أنه كان « اعلاما مركبا » ٠٠ أو « اعلاما كاملا » ٠٠ لا ينقصه شىء اللهم الا قليلا ، مما يتصل بالأساليب والتقنيات المستحدثة ، لتصبح المسافة قريبة ، وأحيانا قريبة جدا ، فى بعض الأحوال ، بين هذه الصور والمشاهد الاعلامية ، الخاصة بمعبودات قوى الطبيعة ، أو المعبودات الكبرى ٠٠ وبين اعلامنا المعاصر ٠٠

● من زاوية الشكل ٠٠ الذى نتمثله هنا فى الوسائل والاوعية الاعلامية ٠٠ لنقول أنه :

(*) لنا وقفة قادمة باذن الله عندالكتابة المصرية القديمة كأداة للتعبير الاعلامى٠

ـــ استخدمت من أجله **معظم الوسائل والاوعية المتاحة** : فى مثل هذه الأوقات ، لا سيما هذه كلها ، ومنها ما هو مستحدث مبتكر من أجل أحد المعبودات الكبرى ··

(الصلايات ـ الأختام الاسطوانية ـ الرفع فوق الأعمدة والصوارى ـ الأقمشة الملونة ـ الريش الملون ـ الملابس الغــــربية ـ قطع الاحجار ـ التماثيل وقواعدها ـ الجعارين ـ ألواح الاردواز ـ المصــــاطب ـ أبواب المقابر الوهمية ـ التوابيت ـ بعض الصناديق الخاصة بالمعابد أو المقابر ـ جدران المقابر ـ المعابد بأقسامها المختلفة ـ الأهرامات ـ البردى ـ الرق ـ المســلات ـ الأعمدة ـ لوحات القبــــور ـ الأهرامات ـ اللخاف ـ القطع الخشبية ـ الخزف) ··

ـــ ·· كذلك واستكمالا لزاوية الشكل فاننا ننوه بمثل هذه الأمور كلها ·· (استخدام أخر ما وصل اليه فن العمارة فى بناء بعض هــــذه الوسائل على يد عباقرة المهندسين ـ اختيار أفضل الأماكن والمواقع لهـــا ـ اختيار أنسب الاشكال للاغراض المختلفة منها ـ ارتباط الفن المصرى القديم بها ، واجادته التعبير عن أفكارها نقشا ورسما وتلوينا ونحتا وتعبيرا عاما ـ استخدام عناصر الجمال بكفاءة منقطعة النظير ـ أقصى استخدام ممكن لملكات التصوير وتوظيفها فى خدمة هذه المعبودات ومعتقداتها كلها)·

وهكذا صاحب تعدد هذه الرسائل والأوعية وتنوعها ، أقصى قدر ممكن من « الاخراج الفنى » المتكامل ، والذى ســــاهم فى لفت أنظار أبناء هذه الأوقات ، والعصور المتعاقبة اليها ، والى ما تحمله من وسائل عديدة ·

● ومن زاوية المضمون : وحيث نجد أنه لا محل للمقــارنة بين ما ظهر من مضامين صريحة قليلة ، من تلك المتصلة باعلام المعبودات المحلية، وبين مضامين الرسائل الخاصة بالمعبودات الكبرى ·· وحيث يمكننا أن نقول باختصار شديد أن هذه المضامين تناولت بشكل عام هــــذه الأمور والموضوعات كلها :

ـــ التعريف بالمعبودات لا سيما من زوايا ، أســـمائها وانتســابها الى المعبودات الأخرى ، ودورها ووظيفتها بالنسبة للكون كله أو للاقليم أو للحياة أو الممات ·

— التعريف بما يقام لها من صلوات وطقوس وشعائر ٠

— استخدام قوة التأثير الأدبى ، وايحاء الكلمة القوية المعبرة لا سيما باستخدام بعض الاناشيد والأدعية الجماعية التى كان يقوم بها الكهنة ، أو بعضهم من المنشدين والمرتلين ٠

— وفى كثير من الأحيان اســـتخدام الكلمة المنغمة بمصـــاحبة الموسيقى ، وصحيح أنه لم تصلنا تسجيلات موسيقية لهذه التراتيل الدينية التى كانت تجرى فى معابد المعبودات الكبرى ، لكن كتاباتهم وصورهم ورسومهم ، تؤكد وجود مثل هذه التراتيل التى تصاحبها ألحان « موسيقى المعـــابد » ٠٠

— كذلك فقد تعددت بالنسبة لهذا النوع من أنواع الاعلام الدينى ألوان « المضمون » ٠٠ لا سيما من حيث « الفكر » التى تكمن من ورائه ، والموضوعات التى تتناولها ٠٠ والتى ركزت فى معظم الأحوال على : (أحقية كل معبود فى العبادة — فى أن ينال حب واحترام وتقدير وتبجيل أتباعه — فضله على الناس — أفضليته وأسبقيته وجدارته على غيره من المعبودات — انتسابه الى قوى الطبيعة — تمثيله للقوى الكبرى العالمية — صـــلات الود والقربى بينه وبين غيره من المعبودات الكبرى — أبوته للملوك — اضفاء صفاته ومواهبه المبدعة على بعض الملوك أو بعض التابعين — أصـــالته وقدمه — صلات القربى القائمة بينه وبين المعبودات القديمة جدا كدليل أصالته — ارتباطه القوى باقليمه — وفى نفس الوقت انتشار أتباعه فى اقاليم أخرى كثيرة — الاشارة الى الطقوس والشعائر والأناشيد والأدعية والتراتيل الخاصة به — وظائفه الأساسية لا سيما فى موضـــوعات الخلق والنشأة وتكوين الحياة ان كان للمعبود ارتباطه بها — التعريف بافضليته على الاقليم وأهله — التعريف بالمعجزاتالتى يقدمها — التعريف بألوان السحر الخاصة به — القصص والأساطير المتصلة بميلاده وارتباطاته — الرحلات والزيارات التى قام ويقوم بها للمعبودات الأخرى — المهرجانات والاعياد الخاصة به وما يدور فيها) ٠٠ الى غير هذه كلها من أفكار وموضوعات تمثل مضمون المادة التى حملتها الاوعية الاتصالية ، الخاصة بهذا المعبود الكبير أو ذاك ٠

● أهم الملامح الاعلامية للمعتقدات الأخرى :

•• ونجمع فى هذه الفقرة ، بين أهم المظاهر الاعلامية الخاصة بعدد من المعبودات والمعتقدات المصرية القديمة ، من تلك التى أشرنا اليها خلال الفقرات السابقة لاسيما (المذاهب المرتبطة بقصة الخلق - عبادة البشر - ديانة أتون - الحياة الأخرى - الشعائر الجنائزية - الاعياد الدينية) ••

ترى ما الذى يمكن قوله عن « الوجه الاعلامى » لهذه المعتقدات كلها؟•

••• وبادىء ذى بدء نقول ، أن الصور والرموز والممارسات والمشاهد والأساليب الاعلامية السابقة ، بل وتضاف اليها أيضا معظم الانماط والاوعية الاتصالية التى عرفها النوع الأول من الديانة - المعبودات القديمة المحلية - •• ثم النوع الثانى - المعبودات الكبرى - •• كل ذلك ، من زاويتى الشكل والمضمون معا » ••

لكن ذلك لا يعنى ، أن هذه الملامح والزوايا الاعلامية الخاصة بالمعتقدات الأخرى ، كانت تكرارا للفكر الاعلامى الدينى السابق ، أو كانت نسخة أخرى منه ، وانما ، والى جانب هذه الصور والمشاهد الزوايا والملامح القديمة ، وجدنا هناك القديم المطور ، والمستمر ، والمتجدد ، كما وجدنا هناك الاضافات الجديدة العديدة ، والتى تشير الى فكر اعلامى فذ ، تماما كما كان هناك الجديد المغاير لكل ما سبق ، والذى أنتجه هذا الفكر المبدع والمبتكر ، شكلا ومضمونا •• وكان من أبرز هذه كلها ، القديمة المستمرة والمتطورة ، أو الجديدة المبتكرة هذه كلها على سبيل المثال لا الحصر :

١ - فعن اعلام المذاهب الدينية المرتبطة بقصة الخلق تقول أن أبرز ما اتصل به من مظاهر وزوايا واتجاهات اعلامية ، مستمرة ومتجددة وجديدة، هى تلك التى تمثلت فى هذه كلها على سبيل المثال لا الحصر :

ــــ فصحيح أن هذه المذاهب تقوم على أساس فلســـفى صعب ، لكن من الملاحظ أن كهنة كل مذهب من المذاهب ، قد بذلوا جهدا كبيرا من أجل اعلام جميع الطبقات المصرية بها ، لا سيما « عامة الشعب » •• ومن ثم فقد كانت رسائلهم التى تحمل التعريف بها وأخبار معبوداتها رسائل

اعلامية عامة ، بالمعنى الذى يتجه اليه هذا التعبير ، وان كانت تمت بصلة قوية . أو تقع ضمن اطار « الاعلام المهتم » ·· وهو هنا الاعلام الدينى ·

ـــ انه على الرغم من كونه « اعلاما دينيا » ·· الا أن مضمون معظم رسائله يربط بينه وبين السياسة فى مواضع كثيرة ، بل يربط بينه وبين السلطة أيضا ، مما يؤكد عدم انفصال اعلام المذاهب الدينية ، عن الاعلام السياسى ·· وواضح أن ذلك أيضا كان بفعل الكهنة ، لأنه يجعلهم من أصحاب النفوذ المشاركين فى لعبة السياسة أيضا ·· ومن ثم ، فقد راحوا يشعلون المنافسة بين الآلهة الكونية ، ومدنها الدينية ، لكى يصب ذلك كله فى دعم لنفوذهم واقرار بحقوقهم ·· حتى عند الملوك أنفسهم ·

ـــ أن تكون ـ لا سيما فى مذهب عين شـــمس ـ ذات مفاهيم ورموز سهلة وواضحة وبسيطة شأن كل رسالة اعلامية يراد لها أن تعرف وتفهم وتؤدى دورها · ·ومن ثم فقد وضعت فى صورة انسانية محسوسة ·· حيث ظهر (نون) اله الشمس وسط الفضاء الازلى على تل من صنعه هو (الموجود بذاته) ··

ـــ ·· وكان لابد كذلك من الرمز الجديد المخالف لما سبق ، اللافت للنظر بالدرجة المطلوبة ، والذى يصلح فى نفس الوقت شكلا وارتفاعا ، لأن يرى من بعد بعيد ، وأن تكون له قاعدته « مواصفاتــه » الأخرى ، التى تصلح لحمل الرسالة ، بما عليها من مادة تتصل بهذه العقيدة ·· ومن ثم وفى عين شمس أيضـا ـ فان قاعدة الانطلاق هى تلك التى تقول أن اله الشمس عندما ظهر على التل الأزلى فانه وقف على حجر هرمى الشكل (بنين) ·· ومن ثم أصبح هذا الشكل رمزا مقدسا يبنى الملوك مقابرهم على هيئته ، « وكذلك كان يعمل له قاعدة وتوضع أمام مقابر الدولة القديمة ، ثم أمام المعابد فى الدولتين الوسطى والحديثة اشارة الى تمجيد الاله رع »(١٦)·

ـــ بل كانت هذه الفكرة نفسها هى المتمثلة فى طرف المسلة العلوى الهرمى ·· وهو الجزء المقدس من المسلة ·· أما الجزء الأسفل فهو القاعدة وحسب ، ومن ثم دخلت المسلات كأوعية نشر عظيمة الأهمية ـ حاملات للرسالة ـ على النحو الذى سوف يأتى شرحه باذن الله ـ وذلك من بعد الأهرام والمصاطب والجدران وغيرها ··

٢ ـ ·· وأما عن الجانب الاعـــلامى فى عقيدة « عبادة البشر » ··
فاننا نقول :

ـــ أنه جانب اعلامى قديم يعود الى ما قبل الأسرات ، لكنه تطور بعد ذلك تطورا كبيرا ، بفضل عبادة الملوك « أبناء الآلهة أنفسهم » ··

ـــ لكن ليس معنى ذلك ـ كما عرفنا ـ أنه كان وقفا على عبادة الملوك فقط ، وانما كانت هناك « الالهة » من غير الملوك ·· من البشر الذين أبدوا تميزا ملحوظا وعبقريات خارقة ··

ـــ وقد أسفر ذلك عن وجود نوعين من الاهتمامات الاعلامية الأول منهما ، ملكى دينى سياسى عقائدى فى آن واحد ، والثانى يغلب عليه الطابع البشرى ويتجه بادىء ذى بدء الى استبيان وتلمس والاشارة الى والتعريف بتلك الخصائص التى من أجلها رفع الناس هذا الانسان أو ذاك ، ممن ذكرنا سابقا ، وممن لم نذكر الى مصاف الآلهة ··

ـــ كما أسفر ذلك أيضا ، عن وجود أشكال وأطر ووسائل اتصالية عديدة من حاملات الرسالة خاصة بالآلهة البشر من الملوك ، حتى أننا نستطيع أن نقول أن معظمها قد استخدم فى ذلك الغرض لا سيما وحسب التطور التاريخى ، وفى حدود رؤيتنا الخاصة أيضا : « الصلايات ـ الدبابيس ـ ألواح الاردواز ـ المصاطب ـ الأهرامات ـ جـــدران المعـــابد وحوائط المقصورات الخاصة بها ـ أعمدة المعابد ـ قواعد التماثيل ـ أعياد التتويج»·

كل ذلك ، بينما لم توجد رموز عبادة الآلهة البشر من غير الملوك ، الا بصفة نادرة فى بعض هذه الاوعية أو الوسائل ، بينما وجدناها بكثرة مدونة ومسجلة ومنقوشة فوق « جدران المقابر ـ أبواب المقابر الوهمية ـ لوحات القبور ـ بعض البرديات ـ التماثيل وقواعدها » ·

ـــ أما آخر ما نشير اليه مما يتصل بالزاوية الاعلامية فى عقيدة « عبادة البشر » ·· فى هذه العجالة ·· فهو تأثر جانب مهم من جوانب الكتابة الهيروغليفية بهذا المذهب ·· وذلك منذ استخدم الصقر « حورس » ·· المتوحد مع الملك الجالس على العرش ـ ابن حورس ـ فى هذه الكتابة

للتعبير عن معنى الاله أو المعبود ، ومن ثم اســتخدمت بعض أشــكال المعبودات البشرية الأخرى ، ضمن هذه الكتابة ٠٠ دون التخلى عن اسماء المعبودات الأخرى التى تكتب فى صور حيوانية ٠٠ ثم حدث الامتزاج بينهما ٠٠ بين الفكرتين ، ومن ثم وجدت بالنقوش المختلفة المعبودات التى تجمع بين رأس الحيوان ، وجسم الانسان ، والتى تم المزج بينهما بطريقة فنية ماهرة ٠٠ وذلك مثل : « **حورس : جســد انسان ورأس صقر ــ أنوبيس : جسد انسان ورأس ابن آوى** » ٠٠ وحتى الآلهة البشرية الأخرى التى كانت تظهر على هيئة بشرية كاملة كان يضاف اليها رمزا حيوانيا فى مقدمة الرأس أو فوقها أو ضمن ما ترتديه ٠ ٠وهكذا مما كان له تأثيره على الكتابة المصرية ، والفن المصرى ٠ تعبيرا ورسما ورمزا معا ٠

٣ ــ وعن الجانب الاعلامى فى عقيدة أو ديانة « أتون » نتوقف لنقول بعد أن قدمنا تعريفا بهذه الديانة خلال الصفحات السابقة :

● ٠٠ فمن الملاحظ أنه على الرغم من قصر الفترة الزمنيـــة التى عاشتها دعوة التوحيد « الآتونية » أو « الاخناتونية » ٠٠ الا أنها ومن زاوية اعلامها وخلال مالا يزيد على ١٧ سنة فقط نجدها قد بدأت بداية قوية جدا، لفتت اليها الانظار بشدة ، ولوت اليها أعناق جميع الطبقات ، على اختلافها، من مؤيد ومعارض ، شأن جميع البدايات الاعلامية والدعائية القوية أو كما يقول التعبير الآن ٠٠ لقد « شدت جميع الأضواء اليها » ٠٠ من الديانات الأخرى عامة ، ومن عبادة « آمون » ٠٠ ورموزه وطيبته وكهنته خاصة ٠٠ انتهى بها الأمر ، الى أن « سحبت » البساط من أسفل هؤلاء جميعا ، ولو الى حين فترة من الزمن ٠

● واذا كان من أبرز سمات هذه الدعوة ، تجددها الخصب النامى ــ ولا أقول أنها كانت جديدة تماما ٠٠ لأن التوحيد ــ كعقيدة دينية ــ كانت « تراود أذهان المفكرين المصريين من حين الى حين ، وقد بدأت معهم على صورة الايمان بوحدة الخالق ثم انتقلوا بها الى الاعتقاد بوحدة الربوبية وأرهصوا بعدها بما يشبه عقائد الحلول والتشبيه ، ثم انتهوا أخيرا الى الايمان بوحدة المعبود » (١٧) ٠٠ فان ما أريد الاشارة اليه هنا بالذات هى هذه الافكار الاعلامية الجديدة أو المتجددة ، والتى صاحبت هـــذه الدعوة وكان من بينها على سبيل المثال لا الحصر :

ـــ فكرة عمل « اختراق كامل » ٠٠ يبادر بالهجوم على أبرز معاقل آمون« طيبة » ٠٠ أبرز قلاعها « الآمونية » ٠٠ فى الكرنك نفسه ٠٠ وذلك بتشييده معبدا باسم « آتون » فى الكرنك أعلن منه أن العبادة ينبغى أن تتجه الى « الوالد آتون الحى » ٠٠٠ فقد كانت هذه فى الواقع ، استمرارا للبداية الاعلامية القوية ، كما كان معناها القاء القفاز فى وجه ديانة آمون وكهنته ٠٠ على أرضه نفســها ٠٠ مما ساعد فى لفت الانظار بشدة الى هذه الديانة الجديدة ، أو المتجددة ٠

ـــ كذلك فقد كان فى اختيار هذا الموقع الجديد ـ طيبة ـ وبالذات ساحة معبد الكرنك لتكون نقطة الانطلاق للديانة الجديدة ، ما يعنى الكثير بالنسبة لرجل الاعلام المتمرس والخبير لا ســـيما من حيث ـ اضافة الى ما سبق ـ اشعار الجميع بقوة الدعوة الجديدة ، وانطـــلاقها من مكان استراتيجى يؤمه الناس بأعداد ضخمة ٠٠ كما أن لذلك ـ فضلا عن روح التحدى ـ جانبه الذى يعمل على تثبيط همة كهنة آمون واضعاف روحهم المعنوية ٠٠

ـــ وحتى فكرة الانتقال الى مدينة جديدة انتقالا كاملا ، فقد كانلها دلالتها الاعلامية والدعائية التى لا يمكن تجاهلهـــا ٠٠ ومن ذلك جعلهـــا « **مركزا رئيسيا** » لهذه الديانة وقلعة اشعاع فكرى دينى لها ، بما عليها من معابد ، وما تزخر به من لوحات ورموز وشعارات ، وما يتردد خلال ذلك كله من أدعية وأناشيد جديدة كل الجدة ٠٠ فكرا وتعبيرا وتحريرا ٠

● ٠٠ على أن ذلك كله لا يعنى أن هذه الفكر الاعلامية ٠٠ كانت مندفعة كل الاندفاع ، يقف من ورائها العمل السريع المتحمس فقط ٠٠ وانما يمكن ـ بسهولة ـ ملاحظة بعض جوانب « **التخطيط الاعلامى** » ٠٠ القائم على خبرة ليست قليلة ، بالمناخ العام وجميع الأطرافالمشاركة فيها ، لاسيما أطراف الصراع العقائدى نفسه ، ومن ذلك مثلا :

ـــ أنه على الرغم من البداية القوية التى أشرنا اليها الا أن قوتها لا تعنى اندفاعها أو تهورها ٠٠ فهو مثلا لم يقل بهدم الكرنك ، أو بعض أعمدته ، أو مقاصيره أو بيلوناته أو مسلاته من التى أقامها أكثر من ملك

واحد للاله آمون نفسه ، ولم يترك طيبة كلها مرة واحدة ، فى قرار مفاجىء، ولم يعلن الحرب كقرار محدد بدقة وبساعة صفر معينة ٠٠ وانما جعل ذلك كله بالتدريج ، خطوة وراء خطوة ٠

ـــ بل ان من الثابت أن التبشير بالدين الجديد قد تم على حذر ، فالافكار المطروحة أولا عن الدين الجديد ، لم تحاول ـ مجرد المحاولة ـ أن تلغى الموروث مرة واحدة ، أو بضربة واحدة وانما جاء فيها أن « آتون » ما هو الا « رع حر آختى » ٠٠ الاله القديم نفسه ٠٠ وحتى الافصاح عن ذلك كله ، وتغيير اسمه من (آمون ـ حتب) ٠٠ الى اخناتون ، لم يأت الابعد سنوات من حكمه ٠٠

● ٠٠ كذلك فقد كانت هناك الافكار الجديدة ، والعديدة الأخرى ، التى راحت تنتج صورا ومشاهد اعلامية ، بعضها جديد تماما ، وبعضها متجدد ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر :

ـــ الاطلاق الذكى لتعبير « **الوالد** » على الاله الجديد ٠٠ فهو يعنى ربطا قويا له بمشاعر الأبوة التى كان المصرى القديم يبجلها ويحترمها تماما ، وكذا اشارة الى احترام جانب الاصالة والموروثات القديمة ، فضلا عن أن الكلمة نفسها تضع من تطلق عليه فى مكان يسمو به على غيره من المعبودات ٠٠ وفيه ما فيه كذلك من استقطاب لجانب الكبـــار ٠٠ الآباء والأمهات والأعمام والأجداد ، بعد أن تكفلت الدعوة الجديدة الى جانب أساليب أخرى تشير اليها الكلمات القادمة من استقطاب الشباب نفسه ٠

ـــ الافكار الجديدة التى تتصـــل بجانب « شـــعبية » الدعوة ، لا سيما سهولتها ووضوحها ٠٠ فالتعريف بها يتم فى بساطة ، ورموزها تدعو الى نبذ الحرب ، والسيطرة ، وغرور القوة ، واقتتال الناس والاشارات التى تقدمها بالكلمة والصورة تدعو الى التواد والتراحم بين الناس ، ٠٠ بل كانت الدعوة الجديدة كلها ، وكأنها ذلك الكتاب المفتوح ، الشـــاعرى ، الرقيق المنغم ومن ثم سرت بين الجماهير ، تخاطب قلوبهم وعقولهم معا ٠٠ حتى عائلة الفرعون ٠٠ الرمز الأول لهذه العقيدة ٠٠ كانت تتحرك بين الناس وتلهو وتلعب ، رسما ونقشا وفى الواقع اليومى نفسه ٠٠ ولم تحبس

نفسها وراء جدران النفوذ وسطوة التقاليد الملكية ‥ ولعل ذلك كله ما عناه أحد المؤرخين عندما كتب يقول : « ‥ أما آرثر ويجال المؤرخ الانجليزى فقد قال فى كتابه - تارخ الفراعنة - ما يأتى : اننا حين نستعرض تاريخ الفراعنة ، نجد أن البعض منهم أشبه بالخيالات المبهمة التى لا تثير فينا سوى الانتباه الضئيل ، فى حين أننا نسمع دق الطبول ووقع الخطوات العسكرية عند ذكر البعض الآخر ، **أما اذا ذكر اسم اخنـــاتون فلا نسمع الا أغاريد الطيور وتسابيح الحمد والسلام** ‥ لأننا لانجد له تمثالا يصوره فى الصيد والقنص أو فى مقاتلة الأعداء ، وانما نجده فى كل الرسومات واقفا فى الحديقة يشتم رائحة الزهور التى اقتطفتها له ملكته أو راكبا عربة بصحبة عائلته ، أو جالسا على الشرفة وقت الغروب يلاعب بناته بينما تقدم له الملكة شرابا هيأته له بنفسها » (١٨) ·

— ولقد كانت قمة « **الذكاء الاعلامى** » ‥ عندما راح يبحث عن اللغة المناسبة ، التى يوجهها لتحقيق الهدف المنشود ، بطريقة مخالفـــة للسابق ، ماضية فى جذبها للعيون والعقول والقلوب والاسماع ومن ثم كان استخدامه ليس للاشكال والاوعية الضخمة الفخمة ، وليس للكاهن المختال بصلفه وغروره وثروته التى جناها من وراء ما يقدم من قرابين للاله آمون ، أو غيره ، وليس اعتمادا على قوة السلاح ، أو آلة الحرب ‥ وانما ولأنها كانت فكرة ملهمة أولا - دعوته - فان التعبير عنها ، يتم بالاسلوب المناسب لها ، وهو هنا قمة « **الأدب الصحفى** » ‥ متمثلا فى أدعيته وأناشـــيده وشعره ‥ انه ليس شعرا عاديا ، وانما هو « **شعر اعلامى** » ‥ شـــعر التعريف بالفكر وموضوعاتها وأصحابها وجدارتها ‥ تماما مثل ألوان الشعر الاعلامى الذى عرفته اللغات الأخرى ، ومنها العربية ، شعر البطولة والحماسة ، والدعوة الاسلامية ، شعر الفتوح بأبطالها وصناعها ‥ الى جانب بعض ألوان شعر المديح والرثاء ، من تلك التى تقدم زاوية اعلامية ، أو بعدا اعلاميا على شكل من الأشكال ‥ ثم هى التماثيل واللوحـــات والرسوم التى تفيض بالبهجة ، والدعوة الى الحياة ، وتزخر بالخطوط البسيطة الواقعية غير المسرفة أو المبالغة فى تصـــــوير عظمة المعبودات الأخرى - أستغفر الله- ‥

كانت دعوة هامسة بسيطة ، جريئة وواقعية ، تشيد بالاله الواحد ، وفضله على مخلوقاته كلها ، وتستجلى قدرته ، بأسلوب مقنع ، ومحبب ،

وخطوط فيها الكثير من الصدق ، والجمال ، وصحيح أنه قد خسرت مصر فى عهده كثيرا من مظاهر العظمة والحرب ، وأوشـــكت أن تفقد احترام جيرانها ، وبدأ أعداؤها من جديد ، يتربصون بها الدوائر ٠٠ لكن الرجل لم يكن ميسرا الا لما خلق له ، وحسبه أنه كان صاحب دعوة وفكر ٠٠ وأن دعوته كانت شيئا جديدا لفت أنظار الناس بشده وكما لم تلتفت من قبل الى الاله الواحد ٠٠ وربما من أجل ذلك كله بقى ذكره حتى اليوم ، مرتبطا بمثل هذه الفكر المضيئة ، التى أفادت منها الانسانية كلها عبر تاريخها الطويل ، ربما بأكثر مما لو كان قد ارتبط بحرب،أو بأخرى، أو بغزوة،أوثانية٠

أما عن الزاوية الاعلامية فنقول مجددا ، وباختصار شديد :

ـــ أنه صاحب موهبة اعلامية كبيرة تجلت فى الدعوة الى الديانة الجديدة ، من خلال عدد من الافكار غير المسبوقة ، ابتكارا واعدادا وتنفيذا وتصويرا وتحريرا وتسويقا ٠

ـــ وأنه كان من أفضل الذين قاموا بتوظيف اللغـــة ، والادب ، والفن ، خدمة لقضيته ولجانب الاعلام فيها٠٠ومن بين ملوك مصر الاقدمين٠

ـــ وأنه عرف أسس ومبادىء « **التخطيط الاعلامى** » قبل أن يعرف هذا التعبير ، بعشرات القرون ٠

ـــ أنه رائد تاريخى من رواد مدرسة البســـاطة ، والســـهولة ، والواقعية فى الفكر والفن والأدب والاعلام معا ٠

ـــ وأخيرا ، فهو صاحب **أول حملة اعلامية متكاملة** ، فى موضوع الاعلام الدينى ، حملة كان لها مبرراتها ومقدماتها وفكـــرها ، وأساليب تعبيرها الخاصة ، كما كانت لها نتائجها الحضارية ، والتى استمر بعضها قائما حتى اليوم ٠

٤ ـ ٠٠ وأخيرا ، نقدم بعض الملامح والمعالم الاعلامية الخاصـــة بالمعتقدات الدينية الأخرى ، التى أشر اليها سابقا ٠٠ الا وهى تلك المرتبطة بالحياة الأخرى والشعائر الجنائزية ، والأعياد الدينية ، لنضيف الى كلماتنا السابقة عنها هذه كلها :

● أما عن تلك المعتقدات التى تتصل **بالحياة الآخرة ، ومحاكمة الموتى** ٠٠ والشعائر الجنائزية وما اليها فانها تمثل ابرز واقدم ماتخلف عن هذه الموضوعات ، فى تراث الأمم القديمة جمعاء ٠٠ وقد كانت نوعا فريدا من التعريف بالحياة الآخرة والجنة تعريفا اعلاميا دينيا له قسماته وملامحه الفنية الدقيقة تلك التى أجاد الفنان المصرى التعبير عنها تعبيرا ينبض بالدقة والخطوط والألوان والنقوش ذات الطبيعة الخاصة ، التى تقدم المحاكمة خطوة خطوة ٠٠ مما يجعلها قمة فى « الرسم التوضيحى » الذى نعرفه مصاحبا لعدد من التحقيقات الصحفية المتميزة ٠٠ فاذا أضيف الى ذلك مضمون الرسالة الاعلامية نفسها التى تفسر وتشرح هذه الخطوات وتقدم نص الطقوس المصاحبة ، لأدركنا أنه كان عملا اعلاميا دينيا فريدا فى مجاله ، لاسيما فى جانبى الترغيب والتهديد ، أو « الانذار » بجزاء من جنس عمل من تنسب له هذه المحاكمة ٠٠ على أننا نلاحظ أيضا بالنسبة لهذا المعتقد ومن وجهة النظر الاعلامية نفسها :

ـــ تطور طرق وأساليب الاعلام عنه ، من أوائل العصور التاريخية، وبمرور الوقت ٠٠ من مجرد النقش البسيط الساذج على الفخاريات الى التسجيل الواضح المفسر على جدران ومصاطب وأهرامات وحجرات الدفن والتوابيت ٠

ـــ لكن ابرز أوعية نشرها على الاطلاق ٠٠ أو على وجه التحديد أوعية نشر المهم منها ، كانت هى « جدران الأهرامات » ٠٠ وحجرات الدفن بها ـ أوناس ـ ٠ من تلك التى عرفت باسم : « **متون الأهرام** » والتى عرفناها تركيزا فى عصر بناة الأهرام ٠٠ واستمرت حتى الأسرة السادسة ولكن أبرزها كان على أهرام « **سنفرو ـ خوفو ـ خفرع ـ أوناس** » ٠٠ بل وبعض الملكات أيضا ٠

ـــ ويلى ذلك « **متون التوابيت** » ٠٠ تلك التى ظهرت منذ أواخـــر الدولة القديمة ٠٠ واستمرت لفترة طويلة ، وكانت أغلب نصوصها مستمدة من المصادر السابقة ، وباضافات تناسب روح العصر ٠٠ تتم بمعرفة الكهنة٠

ـــ ٠٠ وبالاضافة الى هذين ، وكذا الى تلك النقوش الخاصة بجدران المقابر ، واللوحات الموجودة فوقها ٠٠ والتى سبقت الاشارة اليها ،

فانه لابد من الاشارة الى ماظهر فى مقابر « الدولة الحديثة » ·· واتخذ اسم « **كتاب الموتى** » ·· والتى تكررت فيها هذه الاشارات والأساليب الاعلامية الدينية كلها ·· بصورة أكثر وضوحا عن ذى قبل ، كما أنها أبرز ما جاء حاملا صور « محاكمة الموتى » · ·والتعريف بها ·· وجانب « الانذار »فيها ·

— الى جانب العديد من « لفائف البردى » الأخـــرى ، وكذا ما يمكن أن نطلق عليه تعبير « كتب الأدب الدينى » ·· وكذا التعاليم والأساطير الدينية العديدة التى انتشرت فى آخر أيام الدولة الوسطى ، وازدهرت فى أيام الدولة الحـــديثة ، واستمرت قائمة حتى نهاية العصر الفرعـــونى ·

— والحق ·· أن هذه كلها كانت تحمل الى جـانب المضـــمون الاعلامى ، اشارات عديدة دعائية الطابع بعضها يهدف الى تخليد « ذكر » المتوفى ، والابقاء على اسمه و « شهرته » ، وبعضها الاخر يهدف الى الفخر ، ، بهذا الوالد أو الجد الذى كان يمتلك فى دنياه ، كل ما أتاح له فى آخرته هذه الصور المعبرة عن ثرائه الكبير ، بدليل أن أتباعه وأهله وخـــدمه صنعوا له كل ذلك !!

● ·· وأخيرا يأتى دور المادة الخاصة بالاعياد الدينية ، تلك التى تحدثنا عنها فى مواضع متفرقة وعديدة ، وكذا عن جانب الاعلام الواضح فيها · ·ومن ثم فاننا لا نجد الكثير مما يمكن اضافته اليها أكثر من أن نلفت الأنظار الى عدة اشارات وظواهر تتصل بها ، ومنها مثلا :

— أن الاعـــلام السائد خلال هذه الأعياد الدينية ، يعتبر أصلا من الأصول المهمة ، للمادة الاخبـــارية والتقريرية والتسجيلية ، الخاصـــة بالمناسبات ، ويذكرنا على وجه الخصوص بـ « تقارير المناسبات الدينية »·· وكذا بتلك الطائفة من التحقيقات الصحفية التى أطلقنا عليها تعبيرنا « تحقيق المناسبات » وهى هنا مناسبات دينية بالدرجة الأولى ·· تذكر بما تقوم به الصـــحف اليومية والأسبوعية والمجلات العامة المصـــورة ، والاخيرة منها بالذات ·· مثل « ليلة النصف من شعبان – رؤية هلال رمضان – شهر رمضان – عيد الفطر – عيد الاضحى – المولد النبوى – موسم الحج – ·· الخ » ··· ومع الفارق الكبير فى الحالين ·

ــــ ٠٠ وبالمثل ، ولاعتمادها فى أغلب الأحوال على الكلمة الشفهية التى تتم بترديد التعليمات والأوامر والنواهى الخاصة بالمعبود الذى يحتفل به ، ودعمها بالدعاء والنشيد والترتيلة ٠٠ فان هذه المعطيات كلها تجعلنا نزعم أيضا بوجود صلة تاريخية قائمة بينها وبين الاعلام المسموع والمشاهد عامة وبين برامج المناســـبات الدينية خاصـــة ٠٠ كيف لا وقد كان الشعب يتجمع لمشـــاهدتها ومتابعتها عن قـــرب ، تماما كما يتجمع الآن فى العديد من المحافظات لمشاهدة بعض مهرجانات الأعياد ، وموكب رؤية هلال شهر رمضان المعظم وموالد الاولياء وفى غير هذه الأوقات ٠

ــــ كذلك ، فان أمثال هذه المهرجانات الدينية ، والتى كانت تتم فى مثل هذه الأعياد ، بمصاحبة الموسيقى ، والرقص الحركى الايقاعى الذى يعبر عن قوة المعبود وسيطرته والخضوع له ، والذى كان يمتد فى بعض الأوقات ، ليعبر عن بعض القصص المرتبطة بالمعبودات المختلفة ، والاساطير العديدة التى تتصل بمعجزاتها (!!) ٠٠ هذه كلها يمكن أن تمثل بعض الجذور المهمة ، الضاربة فى أعماق التربة البشرية ، لما نسميه الآن ، بـ « فن المســـرح » من جهة ٠٠ وكذا بـــ « فن الأوبرا » من جهة ثانية ، وصحيح أن الطابع الغالب على هذه المشاهد كان طابع العروض « الغنائية » أو الحركية ٠٠ لكنها كانت تقوم على فكر دينى ، وتعبر عن جوانب ارشادية وتوجيهية بالدرجة الاولى ، مما يجعل اعتبارها من جذور المسرح الاعلامى أمرا جائزا أيضا ٠٠

المبحث الثـــانى

الاعـــلام العســـكرى

٠٠ النوع الثانى من أنواع الاعلام المصرى القديم المهتم ، والذىيعتبر كذلك ، تاليا للنوع السابق ، من حيث أهميته نفسها ، ومن ثم جـــدارته بالبحث والدرس ، وأن يشد اليه أنظار كثيرين ، من رجال الحرب ، والاعلام، والأدب ، من مؤرخى العسكرية والاتصال وأدب الحروب والحماسة ٠٠ ومن اليهم ٠

بل انه ليكاد يتوازى فى أهميته فى مواطن كثيرة ، مع أهمية النوع السابق - الاعلام الدينى - بحيث يشغلان معا ، أهم صفحات هـــذا النوع « الوسيط » ٠٠ من أنواع الاعلام ، فى مصر القديمة ٠٠ بل اننا نرى كذلك أنهما - الاعلام الدينى والعسكرى - راحا يختصان معا بعدد من الخصائص العامة المشتركة ، بل ويشتبكان ، فى مواضع كثيرة ٠٠ كما سنرى - بإذن الله - خلال سطور قادمة ٠٠

ومن ثم ، فان **نفس الاحساس** الذى صاحبنا عند بداية حـديثنا عن الاعلام المهتم السابق ، نجده يصاحبنا هنا ايضا ٠٠ انه اعلام مهتم نعم ، من زاوية المادة أو المحتوى ، لكن أهميته كانت فى أحوال كثيرة ، تتعدى حدود المعنيين به ، لتمتد الى معظم الجماهير ، ولتحقق له بذلك صـفة « العمومية » ٠٠ فهو اعلام عام جماهيرى من هذه الزاوية ، له اهتمامه الخاص من زاوية مضمونه ومادته ٠٠ تماما كما أن هناك الاعلام العسكرى المتخصص ٠٠ وهو ليس موضوع حديثنا خلال هذه السطور ٠٠ لكننا على الرغم من عمومية الجمهور ، فضلنا تناوله كأى اعلام عسكرى آخر ٠٠ أو كما نتناول الآن مجلات : « القوات المسلحة - الدفاع - الصقر - النصر - الجهاد - درع الوطن - الحرس الوطنى » ٠٠ وغيرها من دوريات الاعلام المهتم النوعى الصحفى المطبوع التى تقدم المضمون العسكرى ، لعامة القراء، وليس للعسكريين وحدهم ، وان أقبل هؤلاء عليها أكثر من غيرهم ٠٠

ولعل ذلك كله يمثل « **المدخل الطبيعى** » الى السطور القادمة ٠٠ تلك التى نقول فيها :

أولا - الاعلام العسكرى المهتم المصرى القديم ٠٠ ماذا يعنى ؟

٠٠ومع اعترافنا بوجود « اعلام عسكرى » متخصص ، ومهم أيضا ، تعرفه معظم الدول ٠٠ وتقوم بتوجيهه بأساليب مختلفة الى الجنود ، وضباط الصف ، والضباط بوسائل عديدة ، مطبوعة ومسموعة ومرئية فى زمنى الحرب والسلم معا ، واعتمادها فى ذلك على أسس علمية وفنية ونفسية وتنظيمية عديدة ٠٠ فان هناك أيضا ، وهو ما نزعم أن مصر القديمة قد عرفته ٠٠ الاعلام العسكرى المهتم ٠٠ ذلك الذى نعنى به ، من خلال رؤية معاصره :

«الكم المتخلف من تراث مصر القديمة الشفهى أو الرمزى أو التسجيلى ، الموجود فوق الأوعية والوسائل الاتصالية المعروفة فى هذه الأوقات ، الذى جرى التفكير فيه واعداده وتنفيذه ونقشه ورسمه وتصويره بمعرفة واشراف العسكريين والفنيين والذى يتصل عن قرب بالتعريف بجوانب النشاط العسكرى قيادة وجندا وتسليحا وتدريبا واستعدادا وحربا، وما يرتبط بذلك كلهمن تفاصيل المعارك ونتائجها وآثارها ، كما يعنى بأمور التوجيه المعنوى والحث على مقاومة الاعداء والدفاع عن الوطن وحشد الطاقات والامكانيات المؤدية لذلك ، والذى يكون موجها الى جميع فئات ومستويات الشعب المصرى عسكرية ومدنية ، كما يتناول موضوعات أخرى عديدة لها طابع عسكرى ، كالمهرجانات والاحتفالات والعروض وما اليها »٠

٠٠ ولعل هذا التعريف المبسط ، يعنى من وجهة نظرنا أيضا :

ـــ أن الاعلام العسكرى المصرى القديم هو فن اعلامى قائم بذاته ٠

ـــ وأن له أنواعه وأنماطه المتعددة ، وأساليبه وصوره وأشكاله المتعددة أيضا ٠

ـــ وأن منه ما هو شفهى ، ومنه ما هو رمزى ، ومنه ما هو تسجيلى والاخير هو الذى نعلم عنه أكثر مما نعلم عن النوعين الأول والثانى٠

ـــ معظم موضوعاته تصب فى النهاية فى هذا الميدان الكبير ٠٠ ميدان المعارك أو الحرب نفسها ٠

ـــ وأن هناك الجانب المعنوى المهم الذى يتوجه اليه أيضا ٠

٠٠ ولعل هذا الاعلام ، فى معظم جوانبه ، وكما أشرنا الى ذلك من قبل ، يتناول من حيث المحتوى ، والموضوع ، ما تتناوله هذه الوسائل على وجه التحديد :

ـــ الأركان والأبواب والزوايا « العسكرية » بالصحف اليومية والأسبوعية والمجلات ٠٠ من تلك التى تفرد مثل هذه المساحات لذلك الجانب العسكرى ، بشكل عام ، أو فى وقت من الاوقات (الحرب مثلا) ٠

— ومثلها ٠٠ البرامج المهتمة الاذاعية والتليفزيونية القائمة ، أو التى تعد وتنفذ فى مناسبة وطنية أو عسكرية معينة ٠

— المجلات « العسكرية المهتمة » ٠٠ أو مجلات الاهتمام الخاص النوعى ، وهو هنا ٠٠ العسكرى من تلك التى تعد وتحرر وتصور وتطبع للعسكريين وغيرهم من القراء ٠٠

وقد يقدم مزيدا من الضوء حول هذا النوع ، الأقرب شبها الى مجال موضوعنا ، ما يمكن أن نطالعه من سطور وردت فى كتاب لأحد المهتمين بهذا الموضوع ٠٠ فبعد أن تحدث عن « الصحف العسكرية العامة » ٠٠ أضاف قائلا : « ٠٠ ويندرج فى هذا النوع الصحف العسكرية المتداولة شعبيا . وهى صحف عسكرية عامة (*) أضيف الى جمهورها العسكرى الشعب بكل فئاته — وبالرغم من أنها توزع بالثمن الا أنها لا تخضع لنفس الاعتبارات الاقتصادية التى تخضع لها مثيلاتها من الصحف العامة مثل الربح والاعلان وخلافه — وفى مصر توزع نفس الطبعة على الشعب والقوات المسلحة » (١٩) ٠٠ وبعد أن يقدم نماذج عربية من هذه الاصدارات العسكرية المهتمة يقول : « وكلها مجلات توزع داخل صفوف القوات المسلحة وتباع للشعب داخل البلاد وخارجها بالسعر الموضح على الغلاف » (٢٠) ٠

٠٠ كل ذلك فى مقابل الصحف والمجلات العسكرية الفنية ، أو المتخصصة ، أو ذات التخصص الدقيق التى تقدم للعسكريين وحدهم ، وربما لكبارهم من ذوى التخصصات الدقيقة أيضا ٠٠ وهكذا ٠

ثانيا — فى أهمية الاعلام العسكرى المصرى القديم :

٠٠ قلنا أن الاعلام العسكرى ، كان واحدا من أهم وأبرز الانشطة الاتصالية فى مصر القديمة ، والتى تلت الاعلام الدينى فى أهميتها وبروزها، بل كان لهذا النشاط أهميته التى راحت تتوازى وتساير أهمية الاعلام

(*) من المفروض أن طابعها العسكرى هنا ينفى عموميتها ، ومن ثم ففى قولنا « العسكرية المهتمة » ما يمثل مزيدا من الدقة ٠

الدينى ، فى أوقات بعينها ، ٠٠ أوقات الحروب الكبرى التى خاضتها مصر ، لا سيما فى عصر التحرير . وبناء الامبراطورية المصرية ٠٠ قبل أن نقول كيف ؟ ولماذا ؟ ٠٠ نتوقف عند عدد من صور ومشاهد هذه الأهمية نفسها وفى مقدمتها :

● أن من الملاحظ قدم العهد تماما بمثل هذا النوع من الاعلام ٠٠ على الساحة المصرية القديمة ، حيث تكاد المؤشرات الأولى لوجوده ٠٠ تعود - كما هو الحال بالنسبة للاعلام الدينى - الى عصر ما قبل الأسرات ٠٠ الى هذه الرموز والنقوش البدائية الفجة العفوية الفطرية ، والتى كان من بينها على سبيل المثال لا الحصر (*): « ألوية الحرب منذ عهـــد نقادة الثانية » (٢١) ٠٠ وصلاية ميدان القتال وبعض مناظر الحرب على مقبرة « هيراكبنوليس » والسفن النيلية تتقاتل ، الى جانب نقوش الحرب العديدة، التى وجدت على الانية الفخارية الجرزية وعلى بعض المقابض العاجية وكذا بعض الصلايات الحجـــرية والاردوازية ورؤوس دبابيس القتـــال للملوك المقاطعات والمدن القديمة - أحدها نجد به الملك العقرب الذى مر ذكره كثيرا وهو يحتفل بذكرى انتصار اقاليم الوجه القبلى على الدلتا ٠٠ بل ان لوح «نارمر» بوجهيه ٠٠ وهو أحد أقدم وأبرز وأهم أشكال الاعلام المصرى القديم ٠٠ ليدخل ضمن اطار هذا النوع من الاعلام العسكرى ٠٠ فهو الذى يصور وجهه الأول صاحبه وهو يغزو الدلتا ، وقد لبس تاج الشـــمال الأحمر ، وأمامه الاعلام وبجواره جثث الاعداء وقد فصلت عنها رؤوسها ٠٠ وفى أسفل هذا الوجه رسم يمثل الملك على هيئة ثور قوى يهدم حصون الأعداء ٠٠ وأما الوجه الثانى فهو الذى يمثل الملك وقد لبس تاج الوجه القبلى الأبيض يمسك بيده اليمنى صولجانا ويقبض بيده اليسرى على ناصية احد الأسرى وفى أسفل اللوحة رسم لاسيرين يفران من الموت ٠٠ الا يعتبر ذلك لونا من موضوع هذه السطور ٠٠ واذا لم يكن الاعلام العسكرى هو ذاك ٠٠ فما الذى يكون اذن ؟

(*) حتى فى العصور العديدة الموغلة فى القدم والتى اشرنا اليها سابقا - قبل العصور التاريخية - فاننا نزعم أن حياة المصريين الاوائل كانت فى معظمها حربا ضد قوى الطبيعة ورداءة الطقس ، والحيوان ، وفيضان النيل ، قبل الحروب « الانسانية» بزمن طـــويل ٠

٠٠ ومن الطبيعى أنه لو لم يكن الاعلام العسكرى مهما ، والى هذه الدرجة ، لما كانت له هذه الاقدمية التاريخية ٠٠ ولما حرص المصرى القديم على استخدامه ٠

● بل اننا لنرى مثل هذه الاشـــارات والتوجهات الاعـــلامية العسكرية ٠٠ وهى تبرز خلال الأوقات التالية لذلك ٠٠ **فى عهد خلفـــاء « منا – نارمر »** ٠٠من أجل تثبيت الاتحاد، واستخدامالقوة – **خع سخموى** – من أجل ذلك ، ومن ثم كان لابد من تسجيل هذه الاعمال العســـكرية ، السياسية معا ، ثم خلال الحروب العديدة ضد البدو ، ومن أجل التحرير ، وفى سبيل تكوين الامبراطورية ٠

● بل اننا نستطيع أن نقول أن أبرز الملوك الاعلاميين ، من رجال المستوى الاعلامى الأول ، الذى أشرنا اليه فى صفحات سابقة – باستثناء قلة نادرة مثل بعض بناة الأهرام واخناتون وحتشبسوت – كانوا من الملوك المحاربين ، بل من أبطال الحرب فى التاريخ ، دون منازع ومن بينهم أو فى مقدمتهم : « نارمر – أوناس – أحمس الأول – تحتمس الثالث – ســيتى الأول – رمسيس الثانى – شـيشنق الأول » ٠٠ بل كان أكثر ملوك المستوى الثانى أيضا ، من هذه الفئة المحاربة ٠

● ٠٠ كذلك ، فان باستطاعتنا القول أنه باستثناء قلة نادرة من الأوعية الاخبارية ووسائل الاتصال القديمة – لا سيما تلك التى تتحدث عن الموت وما يتصل به من عقائد أو عن بعض الاشخاص من غير العسكريين أو مقابر الوزراء من أصحاب المهام الاخرى – باستثناء هذه القلة ، فقـــد استغرقت الرسائل الاعلامية العسكرية على اختلافها وتعددها ، معظم هذه الأوعية والوسائل ، منذ أول هذه « الاشارات » الصوتية ، أو الدخانية ، أو الضوئية ٠٠ ومرورا بالأحجار ، والرق ٠٠ وحتى جـــدران المعابد وأعمدتها الضخمة ٠٠ بل ان من المشاهد هنا وجود بعض هذه الاوعية التى كاد استخدامها أن يقتصر على هذا الجانب العسكرى ٠٠ مثل : « **رؤوس دبابيس القتال – الصلايات – بعض لوحات الحـدود – بعض العجـــلات الحربية – بعض الأعمدة – بعض النصب التذكارية الخاصة بالدور الحربى للملك** » ٠

● بل ان من المشاهد أيضا أن هذا الاعلام المهتم الثانى ، والى جانبه الاعلام الأول ، كانا هما من أكثر ألوان الاعلام المصرى القديم تكلفة ، واستغراقا للنفقات والجهد والعرق ، ولو لم يكن _ أيهما _ على هذه الدرجة من الأهمية ، لما بذل فى سبيله ما بذل ، من جلب للاحجار ولنوعيات معينة منها ، ونقل لها بكل هذا الحجم والضخامة ، وما استغرقه العمل فى قطعها وحفرها أو حفر سطحها والنقش عليه ٠٠ كأحجار الأعمدة العملاقة والمسلات الضخمة والبوابات الكبيرة ، واللوحات العديدة ٠٠ وغيرها ٠٠ ثم هناك الوجه الآخر « الابداعى » الذى كان الفنان المصرى القديم يقدح خلاله فكره وذهنه ، ويستجمع كل تجربته الفنية ، من أجل عمل هذه اللوحة أو تصوير هذا المشهد العسكرى ، أو تناوله بطريقة من الطرق التى تبرزه ، وتجد القبول من جانب الجماهير ٠٠

الى جانب هذه الصور الأخرى العديدة ، التى تشهد على اهمية هذا النوع من أنواع الاعلام المصرى القديم ٠٠ لتكون كلماتنا القادمة اجابة عن سؤال يقول :

ثالثا _ هذه الأهمية ٠٠ لماذا ؟

٠٠ نعم ، لماذا أعطى المصرى القديم بجميع طوائفه ومستوياته وفئاته هذه الأهمية الكبيرة ، للاعلام العسكرى ، بصـوره ومشـاهده وأنماطه وأساليبه وأوعيته المتعددة ، حتى أصبحت تقع أمام عينه ليل نهار ، فى كل مكان من أرجاء مصر ٠٠ حتى الآن ، حيث يمكن القول أن القدر الكبير من الاكتشافات الأثرية الحديثة ، يتصل عن قرب أيضا ، بهذا الجانب العسكرى ٠٠ ان لذلك عدة أسباب ، من أهمها :

● أنه على الرغم من الطبيعة المصرية المسالمة ، وخصوبة الأرض ، والاكتفاء الذاتى ، مما لا يبعث على طلب الغزو ، ولا يشجع على تكوين الجيوش القوية ٠٠ الا أن الحرب ٠٠ بأنواعها ، صغيرة أو كبيرة ٠٠ كانت واقعا تاريخيا عاشته مصر ، منذ عهد ما قبل الأسرات ، حتى نهاية التاريخ الفرعونى ٠٠ انها حرب الأقاليم والمقاطعات المصرية القديمة أولا ٠٠ ثم هى الحرب من أجل توحيد البلاد فى عهد الاتحاد الاول ، فالثانى ، فمن أجل

دعم الاتحاد بين بعض حكام الأقاليم ، وفى مواجهة الغزوات الأجنبية العديدة ، وبدو الصحراء شرقا وغربا ، والهجمات من الجنوب ، ثم من جانب الدول المجاورة ، ولتأمين الحدود ، وصد الأعداء ، ومتابعتهم حتى بلادهم ، ثم انشاء الامبراطورية والدفاع عنها ·· وما الى ذلك كله من حرب اثر حرب ، وكفاح مسلح وراء آخر ··

ومادام الأمر كذلك · ·ومادام جنود مصر وكما جاء فى حديث نبوى شريف « **فى رباط الى يوم القيامة** » ·· فقد كان طبيعيا أن يوجد الاعلام المعرف بذلك كله ، الدال عليه ، المصور له ، منذ هذه العصور الموغلة فى قـــدمها ·

● ويزيد من أهمية هذا اللون الاعلامى ، **ارتباطه الشديد والقديم، بل والموغل فى قدمه بالاعلام الدينى نفسه** ، وهو كما قلنا أكثر أنواع الاعلام المصرى القديم أهمية ·· ولقد وضح هذا الارتباط من خلال صور عديدة . كان من بينها على سبيل المثال لا الحصر :

— أن الأعمدة التى وجدت وهى تحمل بعض أشكال الحيوان أو الطير فوق قمرات القوارب والتى فسرها بعض العلماء على أنها ترفع رموز آلهتها المحلية ، على النحو الذى أشرنا اليه سابقا ــ المعبودات المحلية ــ كانت هى أيضا ما يمثل الصوارى التى تحمل ألوية الحرب ·· أى أنها اشارات وعلامات للدين والحرب معا (تطورت بعد ذلك الى الاعلام) ·

— أن معظم الحروب التى وقعت بين المدن والعواصم المختلفة ·· كان المتحاربون فيها يرفعون معبودات أقاليمهم ، بل كانت هذه تعتبر على مر حقب التاريخ المصرىالقديمة ، وفى زاوية منزواياها المهمة ·· حربا بين هذه المعبودات نفسها من أجل انتصار أحدها على الآخر وفرضه على الاقاليم الأخرى ، ومن ثم كانت الآلهة أو المعبودات الكبرى ، التى تحققت لها هذه الصفة بالحرب وانتصارها على غيرها من المعبودات فى أكثر الأحوال ، بل وكان يقال فى معظم الأحوال أن المعبود « ··· » قد انتصر على المعبود « ····· » وهكذا ·

— كذلك فقد تعددت المعبودات التى تتصل بالحرب وتبارك القادة والجنود ، وتحمل على الأعداء ، وكان فى مقدمتها المعبود « مونتو » ·· من آلهة طيبة الرئيسية ، وهو اله للحرب ولحماية الملك ، وكان على هيئة رجل برأس صقر يعلوه قرص الشمس وريشـــتان ·· — يخاطبه رمسيس الثانى معاتبا اياه على عدم الأسراع فى نصره مع أنه كان يقوم بأمره خير قيام ·· عندما اشتد به الكرب فى معركة قادش !! » ·· وكذا المعبـــودة « سخمت » التى كانت معبودة للحرب أيضا ، تصاحب الملك فى غزواته ··

— ومن المعبودات الاسيوية التى عبدت فى مصر أيضا « عشتارت»: الأسرة ١٨ وما بعدها ، صورها المصريون برأس لبؤه يعلوه قرص الشمس وهى تقف فوق عربة حربية يجرها جياد أربعة ، وعرفت بأنها سيدة الخيل والعربات ·· وكذا« عنات » التى قدمت فى نفس الفترة ·· وكانت تصور على هيئة امرأة تلبس التاج الأبيض على جانبيه ريشتان وتتســـلح بدرع وحربة وفأس قتال ·

— بل لقد عرف الجيش المصرى فى أوقات كثيرة باسم «جيش أمون» أو « جيش أمون رع » ·· كما كانت الفرق المصرية المحاربة فى كثير من الأوقات تحمل أسماء الآلهة ·· وهذه هى فرق جيش رمسيس الثانى الأربع تحمل أسماء المعبودات : أمون ورع وبتاح وست ، كما كانت كل فرقة تضم أبناء الاقليم الذى يعبد الاله الذى تتسمى باسمه هذه الفرقة أو تلك ·

— وفى كثير من الاحيان نجد اشارة المحاربين من الفراعنة ، الى أنهم تلقوا أوامر القتال من أحد هؤلاء الأرباب ومن ثم فقد خرجوا الى الحرب تنفيذا لهذه الأوامر وهكذا وعلى سبيل المثال لا الحصر ، وفى عهد الامبراطورية ·· نجد أن تحتمس الثالث يعلن بوضوح أن الهدف من حملته الآسيوية الأولى هو : « توسيع ومد الحدود المصرية تنفيذا لوصية ورغبة أبيه الاله آمون رع » (٢٢) ·· كذلك يعلن آخر هو : امنحتب الثانى أن الاله نفسه : « قد ظهر له فى الحلم وبشره بالنصر المؤكد » (٢٣) ··

··ويطول بنا المقام أكثر من ذلك لو رحنا نعدد صور هذا الارتباط الشديد بين الدين والعسكرية فكرا ونقشا وعمارة واعلاما ··

● موقع مصر الجغرافى الفريد ، وخصب أرضها ، والثراء العام الذى كانت تعيشه ، وسهولة الانتقال منها الى غيرها ، وعدم الاهتمام كثيرا بما يجرى حولها ، وانصرافها الى الداخل٠٠ذلك كله جعل من مصر «مطمعا» للغزاة . من رجال القبائل أو الأمم المجاورة لا سيما جحافل الآسيويين من الشرق ، أو أمثالهم من الليبيين من جهة الغرب ، بل والقبائل الافريقية من الجنوب ، وكذا قبائل جزر البحر المتوسط من الشمال ٠ ٠وقد تضاعفت هذه المشاعر كلها بعد تجربة احتلال الهكسوس لمصر ومـــن ثم فان تكـــوين « جيش مصرى » ، يقوم بمهامه فى ردع هؤلاء جميعا ، كان بمثابة « ضرورة تاريخية » ٠٠ بل وأضيفت اليه العديد من المهام الأخرى ، لعل من أهمها الدفاع عما وصلت اليه الحضارة المصرية ، من رقى مادى ومعنوى معا ، فى كل ضروب العلم والزراعة والطب والعمارة والفكر والفن والأدب ٠٠ وما اليها ٠٠ بل ولمتابعة هؤلاء حتى عقر دارهم ، حتى يتم القضاء عليهم ، ولضمان عدم تكرار الهجوم على مصر مرة أخرى ، بل ولفـــرض نفوذها وسيطرتها حماية لها وللشعوب المجاورة الصديقة المتحالفة معها على هذه القبائل البربرية ، أو على قراصنة البحار معا ٠٠

كانت حروب الجيش المصرى فى معظمها حروب وحدة داخليـــة ـ تأمينها ـ أو حروب تحرير ، أو تأمين لحدودها ، وتأديب للطامعين فيها وردع لهم حتى وهى تنطلق أخيرا تحت شعار الهجوم خير وسيلة للدفاع » ومن المؤكد أنه لولا هذه الحروب لما تحقق للحضارة المصرية ما تحقق لها ، بل لما تحقق للحضارة الانسانية كلها هذه الدرجة الرفيعة من التقدم والرقى، ولتجمعت عليها جيوش القبائل البربرية ٠٠ مثل الجراد المنتشر ٠٠ كما فعلت بدول أخرى كثيرة ٠

واذا كان من الثابت أن مصر قد عرفت الحربفى عهد مبكر جدا ـ قبل عهد الأسرات ـ حتى تمت لها الوحدة الثانية ـ نارمر ـ فان من الثابت أيضا أنها عرفت الاشكال العديدة من الجيوش مختلفة النظم والعقائد العسكرية ، والفلسفات والفكر العسكرى نفسه ٠٠ ومن ثم فقد كان للجيش المصرى ، منذ القدم ، تقاليده وخبراته المكتسبة والمتزايدة ، والتى كانتالاحداث نفسها وتطعيمه المستمر بالقتال ، تضيف اليها جديدا ، لا سيما فى عهد الدولة الحديثة ٠٠ وحيث كانت له نظمه ومدارسه وعلومه وادارته ٠٠ ومن ثم

اعلامه ، أو الاعلام له وعنه ·· وعن نشاطه جنوبا وشمالا وشرقا وغربا ··
بكل ما يتصل بهذا الاعلام ، من طرق وأساليب وامكانيات ··

● ·· كذلك فقد كان من بين أسباب أهمية هذا اللون الاعلامى المتميز ·· ما أشرنا اليه سابقا من أن الاعلام هو « صناعة الأثرياء » ·· ومن ثم ، وكرد فعل للثروة العظيمة التى كانت تتحقق لمصر فى عصور قوتها ·· فقد كان هناك الدخل الوفير الذى يدعم العمل الاعلامى كله ، من أول البحث عن « الخام » الذى يمثل الوعاء ، أو الأداة الاتصالية ، واحضاره حتى من أقصى المناجم الجنوبية ، من أجل الأهداف الدينية والعسكرية أولا ·· وحتى دفع أو بذل ما يقدم لكل المشاركين فى هذا العمل ·· جزاء عملهم ·· وقد تجلى ذلك على وجه الخصوص ، فى عهد الأسر « الثرية » ··

● ·· لكن الاعلام ليس صناعة الأثرياء فقط ·· وانما صناعة « الأقوياء » أيضا ، لا سيما ونحن نعرف أن الملك ، كما كان هو رأس السلطة الدينية « ابن الاله ثم الاله » · ·فقد كان هورأس السلطة القضائية ، ورأس السلطة العسكرية أيضا ·· كان الملك القوى ، هو بمثابة « القائد الأعلى للقوات المسلحة المصرية » ·· ومن ثم فقد كان يهمه تماما :

— الاعلام عن حروبه وانتصاراته ودفاعه عن أرضمصر وحدودها وحلفائها ·

— الظهور بمظهر الملك القوى حتى يخيف أعداءه فى الخارج ·· وربما فى الداخل أيضا ·

— تخليد ذكره ، والتعريف بأعماله ·· للجيل الحالى والاجيال القـــادمة ·

— ارضاء « المعبودات » المصرية ، وتمكينها من تجاوز حـــدود بلادها ، وتوسيع دائرة عبادتها فى بلاد اخرى عديدة واجبار اهل هذه البلاد على تقديم القرابين لها ·

— الاشارة الى بطولته الشخصية ، وما حققه فى ميادين المعارك المختلفة ·

ـــ الظهور بمظهر الثراء الكبير الذى مكنه من تجهيز كل هـــذه الحملات العسكرية ، والاعلام بها ، على هذا المستوى ، شكلا ومضمونا ·

·· ومن ثم ، فاننا عندما نقول أن الاعلام العسكرى ومعه الاعلام الدينى هما أهم جوانب « الاعلام الملكى » لا نكون قد تجاوزنا الحقيقة ، التى تقررها الصور والمشاهد الاعلامية نفسها ··

● ·· وهناك أحد الاسباب المهمة الأخرى والتى نعنى بها هنا وجود « الحس الوطنى » أو « الشعور القومى المصرى » ·· الذى كان دائمـــا يتحسس ويتلمس طريقه ويريد أن يعرف أخبار جيش مصر المدافع عن أرضه ·· حتى فى أوقات السلم ، كان المصرى القديم ، يتشوق الى مثل هذه المعرفة ولا غرو ، فقد كان الجيش المصرى فى معظم الاوقات والعصور ، يتكون من أبناء بنده ، وحتى عندما كان بعض القادة يستعينون بالمرتزقة ، أو ابنـــاء الشعوب الأخرى ، فان الوجود المصرى كان قائما ، وبشدة أيضا ، ومن ثم كان الارتباط الشعبى القوى به ، وبمعاركه ، وانتصاراته ·· وأخباره ، والاعلام عنه بصفة عامة ··

● ·· ومن المهم كذلك الاشارة الى الروح العســـكرية الجديدة ، التى نشأت فى مصر على أثر التحرير ، وما اســـتتبعها من نمو الفكـــر العسكرى ، ومن تصاعد مستمر فى طبع المجتمع المصرى لا سيما مـــدن الحدود بالطابع الحربى بل ومن غلبة الطابع العسكرى على الدولة كلها ، وظهور طبقات عسكرية جديدة اكتسبت حقوقا عديدة ، وكل ذلك كان مادة للاعلام العسكرى عامة ··

● ·· ثم ، وبعد ذلك كله ، فانه كان هناك ما يقال ، ما يذكر ، ما يكتب ، ما يحرر ، ما يصور ، ما ينقش ·· ومن ثم فقد كانت هناك الموضوعات العديدة ، والتى تجل عن الحصر ، من تلك التى حملتها الأوعية والرسائل المختلفة ، من أول « اشتباكات » عهود ما قبل الأسرات ·· وحتى نهاية التاريخ الفرعونى ، باستثناء بعض فترات الاضطراب والقلق والتوتر ·· وخلال احتلال الهكسوس لمصر ·· ومعنى ذلك أن الاعلام المصرى لم ينطلق من فراغ ، ولم يتحدث عن فراغ أيضا ، بل كان يقف من ورائه هذا الرصيد

الهائل ـ الذى قل أن يتوافر مثله لجيش آخر ـ من المعارك ، داخلية وخارجية صغيرة وكبيرة ، برية وبحرية ٠٠

● ٠٠ ثم ان طبيعة « المادة العسكرية » ذاتها ، كانت سببا آخر ، من أسباب هذه الأهمية ، نعم ، ان الحرب كانت وما تزال :

ـــ تقف من وراء تقوية حاسة الاعلام عند شعب من الشعوب ، فى وقت من الأوقات ٠٠

ـــ وتؤثر فى « استحداث » أنماط اتصالية جديدة لم تكن معروفة من قبـــل ٠

ـــ وتعمل على تطوير الانماط والوسائل القائمة فعلا ، وجعلها أكثر مناسبة لمتطلبات الاعلام « السريع » والمؤثر فى نفس الوقت ٠

ـــ وتعمل على حشد بعض الطاقات الفنية والعلمية لتكون من وراء المجهود الحربى ٠٠ ومنها الطاقات الاعلامية ، لا سيما فى أوقات حروب التحرير ، والمعارك الكبرى ٠

ـــ أهمية المادة ، وتشويقها ، وخطورتها ، فى نفس الوقت ، أليست هى المتصلة بأبناء البلاد المحاربين ؟ بمن عاش منهم ، ومن أدركته الوفاة ؟ وقبل ذلك ، بمصير الوطنكله ، انتصارا أو هزيمة وشتان بين الحالين والموقفين ؟ انها مادة اعلامية ٠٠ تتحدث عن نفسها ، فى أى زمان ، وأى موقع ٠

● ٠٠ ظهور طبقات عديدة من أصحاب الطموحات العسكرية ، التى وجدت فى الحرب فرصة لظهورها ، وفى منافسة الطبقات الاجتماعية الأخرى المهمة لا سيما النبلاء وحكام الاقاليم والكهنة فكان الاعلام عن بطولاتها فرصة لتأكيد ذلك الظهور ٠٠ الذى يدفع بها الى أهم المناصب وأرفعها ٠٠ والى تغذية طموحاتها عامة ٠

رابعا ـ أنواع الاعلام العسكرى المصرى القديم وموضوعاته :

٠٠ ولأن الاعلام المصرى القديم كان مهما ، الى هذه الدرجة ، ولأنه

- أيضا - كان مسيطرا على أوعية تجل عن الحصر ٠٠ الى هذه الدرجة ، ولأنه - كذلك - قد كلف صناعه الكثير من الجهد والعرق ، ومن ورائهما الكثير من الفكر والفن ٠٠ الى هذه الدرجة ٠٠ فقد وجدنا أنه من الممكن تقسيمه الى أكثر من نوع ، أو فرع جزئى ٠٠ كلها تتصل بهذا الاعلام المهتم وكذا بموضوعاته العديدة التى خاضها والتى اتجه اليها كل نوع منها ٠٠ بل لماذا لا نقول أن هذا التعدد نفسه كان أحد أسباب أهميته ؟ انطلاقا من الميادين المتعديدة ، التى تناولها ودعمت وجوده على هذه الوسائل ٠٠ وبين أنواع الاعلام الأخرى ؟

وصحيح أنه يمكن تقسيم هذا الاعلام الى أكثر من « تصنيف » عام ،٠٠ وصحيح أيضا أنه يمكن تقسيمه الى عشرات الفـــروع ، وفروع الفروع بموضوعاتها المتعددة ٠ ولكن حسبنا هذه ، فى حدود « عمومية » هذه الدراسة ، والمساحة المتاحة لها ٠٠ ان أهم هذه الأنواع وأبرز موضوعاتها من تلك التى قمنا برصدها ، من خلال المصادر المختلفة ، أو الموجودة فوق الوسائل والاوعية الاتصالية القديمة هذه كلها :

(أ) اعلام هامش الحرب وأهم موضوعاته :

لم تكن أيام مصر كلها حروبا ، يوما بيوم ، وأسبوعا بأسبوع ، وشهرا بشهر وعاما بعام ، ولا يمكن أن تكون لامة من الأمم ، ولا كانت هناك مثل هذه الصورة ٠٠ وانما الذى عرفته مصر ، هو فترات من السلام طويلة ٠٠ تتخللها فترات من الحروب المتعددة المستويات ، من مجـــرد المناوشات والاشتباكات الصغيرة على الحدود ، أو بين حكام الاقاليم ، الى الحروب الصغيرة ، فالمتوسطة فالكبيرة ٠٠

لكن ، ومنذ عرفت الأطماع الأجنبية فى مصر ، للاسباب الســـابقة الاشارة اليها ، ومنذ رأى الجيش المصرى أن يأخذ زمام المبادرة ، وأن يرفع شعار « الهجوم خير وسيلة للدفاع » ٠٠ ومنذ عرفت الحـــدود المصرية الاشكال العديدة من الاعتداءات والمعتدين ٠٠ كانت هناك العين الساهرة اليقظة التى تتجه نحو الاستعداد للحرب ، كلما بدا أن هناك ما ينذر بها أو بوقوعها فى الأفق القريب أو البعيد ٠٠ كان هناك **النشاط العســـكرى**

والفكرى والمعنوى الكبير الذى يسبق اندلاع نار المعارك ، بوقت قـــد يطول ، وقد يقصر استنادا الى التوقعات القائمة ٠٠ لحجم الحرب التى توشـــك على الوقوع ٠٠

ومن ثم ٠٠ وكما كانت هنا ألوان النشاط العسكرى ، القائمة على قدم وســـاق ٠٠ والتى كان من أبرز صورها ٠٠

ــ اعادة تكوين فرق الجيش وجمعها من الاقاليم المختلفة ٠

ــ امداد هذه الفرق بالمهمات المختلفة وتزويدها هى والأسطول بما يحتاجانه من أسلحة وسفن وملابس بمعرفة « مصلحة » أو « ادارة الأســـلحة » ٠

ــ تدريب الفرق والسرايا بمعرفة كبار القادة المدربين (المشـــاه ـ الرماة ـ الخيالة بعجلاتها ـ الأسطول) ٠

ــ قيام المخابرات العسكرية بدورها فى رصد تحركات العدو ٠٠ خاصة فى الأيام القليلة ، والساعات أيضا السابقة على الحرب ٠

ــ عقد الاجتماعات بين الملك ـ القائد الأعلى ـ ومستشاريه وكبار قادته ووزرائه للتشاور فى أمر الحرب ٠

ــ دعم الحصون الخارجية وتقوية الاستحكامات ومـــد طريق الجيش بما يلزمه من تسهيلات ونقاط تموين ٠ الى غير هذه الصور من الاستعدادات كلها التى تسبق حربا من الحـــروب ، لا سيما المتوســـطة والكبرى ٠٠ والتى كانت تجرى معها ، وتسير بحذائها بعض صور الاعلام العسكرى ٠٠ اعلام هامش الحرب ـ ولا اقول اعلام الحرب نفســـها أو أو الاعلام التالى لها ، أو اعلان السلم ـ وحيث يمكن أيضا تقسيمه الى هذه الفروع والصور التى تمدنا بها المصادر المختلفة ، ان من أبرزها وأبرز موضوعاتها التى جاءت بين ثنايا مضامينها المتعددة ٠

١ ـ ما يتصل بمجال رفع الروح المعنوية : ٠٠ وحيث كان هناك اكثر من أسلوب من بينها :

— اذاعة الاخبار التى تتحدث عن استعداد الجيش المصرى وحسن تدريبـــه ٠

— استقبال القوات القادمة من الاقاليم والمتجمعة فى العواصـــم لا سيما منف وأبيدوس وطيبة وغيرها استقبالا حماسيا رائعا ٠٠ وذلك تمهيدا لانضمامها الى القوات المتاهبة للقتال ٠

— اعلان مباركة المعبودات المختلفة ، لا سيما الهة الحرب ، والآلهة الكبرى للجيش ، وموافقتها على خروجه الى الحرب ٠ ٠اعترافا من جانبهم بمشروعيتها ٠

— تذكير الناس بالانتصارات السابقة المـــاثلة لهذا الجيش على هؤلاء الأعداء أو على غيرهم ٠

— رواية القصص العديدة التى تمثل شجاعة الجند ، وتتحدث عن بطولة القادة ، فى المواقع المختلفة ٠٠

— الاشارة الى أن الفرعون ــ الملك القائد الأعلى ــ سيكون بنفسه فى مقدمة الصفوف ، مع عدد من الأمراء وحكام الأقاليم والقادة الأقوياء٠

— التذكير بما يمكن احرازه عند تحقيق النصر ، من اغراءات عديدة ، يفوز بها الذين يشاركون فى المعارك ٠٠

الى غير هذه الأنماط كلها ، التى تتصـــل برفع الروح المعنـــوية ، والترغيب فى القتال والاقبال عليه ٠٠ بمزيد من الثقة والعزم ٠

٢ ــ **ما يتصل بمجال التنفير من العدو :** وذلك بواســطة عدة أفكار مطروحة ، كان من بينها :

— الاشارة الى رغبته فى احتلال مصر واتخاذ أهلها عبيدا له ، والحصول على محاصيلها وماشيتها غنيمة ٠

— الاشارة الى أن العدو قادم من أجل تحطيم الآلهة المصرية ، معبودا معبودا ، فى كل البقاع ، حنقا من معبوداته عليها ، وحتى يتم اذعان

المعبودات المصرية لها ، وخضوعهم لسـيطرتها ، وعبادتهم - ومن بعدهم الشعب - لها ٠

— الاشارة الى انه يمت بصلة قوية الى الذين اعتدوا على مصر قبل ذلك ، وخربوا ديارها ، ولوثوا ماء النيل ، وسرقوا معابد الآلهة ومقابر الأمـوات ٠

— التركيز الشديد على أن الجندى المصرى يفـوق جنودهم قوة ، واستعدادا وتدريبا ٠

— وأنهم يتبعون شعوبا من الهمج ، الفقيرة أرضهم ، الجائعة ماشيتهم وأنهم مثل « الوباء » أو « الطاعون » (*) ٠

٠٠٠ كل ذلك ٠٠ حتى يمكن ايجاد المبررات والحجج القوية ٠٠ ليعرفها الشعب ، بجميع طبقاته ٠٠

(ب) اعلام الحرب وأهم موضوعاته :

وهو أبرز أنواع الاعلام العسكرى المصرى المهتم ، واكثره تعـددا ، وسيطرة على وسائل النشر القديمة ، بانواعها ٠٠ بل انه يعتبر جوهر العملية الاتصالية العسكرية الاعلامية ، والأساس القوى ، والدعامة المتينـة التى تقوم عليها هذه العملية ٠٠ بحيث يمكن القول ، دون أن نبتعد كثيرا عن الحقيقة ، أنه يعتبر « قطب الرحى » ٠٠ و « رمانة الميزان » ٠٠ بالنسبة لهذا النوع من أنواع الاعلام ، بل ان الأنواع الأخرى - فى مجموعها - قد تدور حوله بشكل من الأشكال ، وتتفرع عنه بشكل من الاشكال ، بل وتقوم « بخدمته » ٠٠ أو تكون فى هذا الموضع بالنسبة له ، بطريقة من الطرق ٠٠ بل اننا قد لا نبعد كثيرا عن الحقيقة ، عندما نقول أن « اعلام الحرب » فى مصر القديمة ، يمثل واحدا من أهم وأبرز الأنشطة الاعلامية فى مجموعها ٠٠

وواضح أن سبب ذلك كله ، هو ارتباطه الأساسى بالحرب ، وتناوله

(*) وهما من الصفات التى أطلقها المصريون على « الهكسوس » ٠

لها ، وحديثه عنها ٠٠ بكل ما يتصل بها من وقائع وأحداث ، وملوك وقادة وأبطال وجيوش وفرق ، ومعـــــارك وخطط ونتـــــائج مختلفة ، بمواكب الانتصارات ، وجنازات الهزائم ،٠٠بكل الجهد العسكرى ، والمدنى والفكرى والفلسفى والتدريبى الذى يصب فى النهاية ، فى حرب من الحروب ، أو فى معركة من المعارك ٠٠ ومن خلال هذه الأهمية نفسها ، نجد أن من الضرورى تقسيم هذا النوع أيضا ، الى عدة فروع ، لكل منها موضوعاته العديدة والمتباينة ٠٠ والتى من أبرزها ، انطلاقا من حديث المصـــــادر التاريخية والأثرية نفسها والشواهد العديدة ، ووضع ذلك كله فى دائرة الاعلام :

١ ـ اعلام الحروب المحلية والصغيرة :

ويمكن أن يطلق عليه أيضا اعلام « الحروب الصغيرة » الداخلية ، تلك التى وقعت بمصر أكثر من مرة واحدة ، كان أبرزها دون جدال :

ــــ الحرب التى انتهت بانتصار أهل الشمال على أهل الجنوب ، والتى أسفرت عن قيام ما يسمى بـ « الوحــــدة الاولى » ٠٠ قبل عهـــد الأسرات بعشرات السنين ٠

ــــ الاشتباكات والغارات العديدة التى كان يقوم بها بدو الصحراء على بعض المدن القديمة خاصة بوتو ، والمعادى فى مثل هذا الزمن السحيق، وكان يتصدى لها حكام هذه الأقاليم ٠

ــــ الحروب المحلية الصغيرة التى كانت تتم بين حكام الأقاليم المصرية الجنوبية أو الشمالية قبل عهد الأسرات ٠

ـــــحروب الملك « العقرب » الجنوبى قبل الأسرات ، والتى ساعدت فى قطع عدة خطوات فى سبيل الوحدة بين الوجهين ٠

ــــ انتصار هذا الملك نفسه على بدو الصحراء ٠

ــــ حروب الملك « مينا ـ نارمر » المهمة ، والتى أسفرت عن توحيد الوجهين « الوحدة الثانية » ٠٠ بعد انتصاره على الدلتا ٠٠ ومواصلة زحفه حتى الاستيلاء على جزء أسيوى كما تقول بعض المصادر ٠

ـــ حروب أبرز خلفاء الملك السابق ·· وهو « اتى الاول ـ عحا» ·· والثانية تعنى المحارب ضد جيران مصر الذين كانوا يغيرون على حـــدود البلاد الجنوبية والغربية (النوبة وليبيا) ·

ـــ حروب خلفه التى واصل فيها تأمين الحدود الجنوبية ·

ـــ الحروب الصغيرة الأخرى التى خاضـــها لتأمين حدود مصر ودروب الصحراء والتى قام بها كل من « دن ـ ديمو » ثم ابنه « عجاب » ··

ـــ الحملات الداخلية الصغيرة التى قام بها ملوك الأسرة الثانية لا سيما « خع سخم » لقمع بعض المحاولات الانفصالية الشمالية ·· والقضاء على الثورات هناك ، وكذا فى مواجهة المتسللين من بدو ليبيا ·

ـــ الحملة التى أرسلها « زوسر » ·· لتأديب بدو سيناء الذين كانوا يهاجمون الحدود المصرية والبعثات التعدينية التى كانت تخرج سعيا وراء مناجم هذه المنطقة ·

ـــ الحملة التى أرسلها « سنفرو » الى بلاد النوبة لاعادة تأمين حدود مصر والحصول على الذهب والتى تعتبر من أشهر الحملات المماثلة، وكذا حملاته الأخرى لتأديب بدو الشرق الذين تعودوا الاغارة على مصر ·· ولتأمين طرق المناجم أيضا ·

ـــ حملات الملك « نى وسر رع » من الأسرة الخامسة ، العديدة ، شرقا وغربا ، لتأديب البدو وتأمين الحدود أيضا ·

ـــ وبالمثل فعل « جد ـ دع ـ اسيسى » الذى أرسل عدة حملات قوية لتأمين حدود البلاد الشرقية والجنوبية ·

ـــ حملات ملوك الأسرة السادسة الشهيرة لنفس الأغراض لا سيما « تتى » مؤسســها وكـــذا « ببيى اول » و « ببيى الثـانى » الذى برزت حملاته الجنوبية تحت أمرة حكام « الفنتين » ·

ـــ الحروب الداخلية بين أمراء الأقاليم الذين اســتغلوا ضعف ملوك الأسرات ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ لا سيما بين ملوك اهناسيا ، وأمراء طيبة ،

والتى برز فيها اسم « خيتى الرابع » ٠٠ والذى كانت له جهوده من أجل اقامة بعض النقط الحصينة عند حافة الصحراء ، كما طهر الدلتا من البدو ٠

ـــ جهود امنمحعت الأول (أسرة ١٢) من أجل اخضـــاع حكام الأقاليم ومد نفوذ مصر حتى دنقلة ورسم الحدود وتحصينها شمالا وشرقا٠

ـــ حروب « سنوسرت الثالث » من الأسرة نفسها من أجل السيطرة الكاملة على حكام الأقاليم والقيام ببعض الأعمال الحـــربية الناجحة فى فلسطين والنوبة ٠

ـــ حرب أحمس الأول ـ بطل التحرير ـ للقضاء على التمرد فى الجنوب ، وعلى محاولات الثورة التى قام بها بعض الأمراء (اسرة١٨) ٠

ـــ حروب تحتمس الثانى التى أدت الى انتصاره على الثائرين الجنوبيين والسوريين والبدو الشرقيين (الأسرة١٨) ٠

ـــ حملات امنحتب الثانى ـ الأسرة ١٨ أيضا ـ التى قام بهـــا لاخماد نار الفتنة فى الولايات الثائرة ٠

ـــ حروب تحتمس الرابع ـ نفس الأسرة المحاربة ـ التى أخضع فيها أمراء آســـيا الثائرين ، وحلفه مع ميتاتى وبابل فى مواجهة قـــوة الحيثيين ٠

ـــ تأديب « حور محب » لعصاة آســـيا فى نهاية الأسرة ١٨ ، وأوائل الأسرة ١٩ ٠

ـــ حملات « مرنبتـــاح ـ الأسرة ١٩ » التى أخمـــد فيها ثورة السوريين والفلسطينيين ، وهزم القبائل الليبية المتحالفة مع بعض الهجرات الشـــمالية ٠

ـــ اشتباكات « شيشنق الأول ـ الأسرة ٢٢ » من أجل سيطرته على الحكم فى البلاد ثم حربه التى أخضع فيها فلسطين ٠

ـــ حرب « تانوت ـ أمانى ـ الأسرة ٢٥ » التى هزم فيها أمراء الدلتا الموالين للاشوريين وفتح منف ، ثم هزيمته من الآشوريين ٠

— حرب « بسماتيك الثانى - الأسرة ٢٦ » التى سحق فيها قوات « نباتا - كوش » ٠

— حرب « أمازيس » نفس الأسرة ضد « ابريس » وجيشه اليونانى وهزيمته له وأسره ثم اعادة هزيمتـــه له مرة أخـــرى ، حيث مات ابريس فى المعركة ٠

— حرب « أمون - حر » التحريرية ضـــد الاســـتعمار الفارسى « الأسرة ٢٨ » ٠

— حرب « نقطانبو » ٠٠ ومحاولاته العديدة للتحرر من الاستعمار الفارسى ٠٠والتى نجح فى بعضها نجاحا محدودا ، حتى فشلت فى النهاية وأعاد الفرس احتلال مصر ٠٠

٠٠ **تلك هى أبرز الحروب المصرية المحلية ، أو الصغيرة ، والتى كاد بعضها أن يقترب من الحروب الكبرى** ٠٠ وحيث يمكننا العودة الى صفحات عديدة سابقة - المبحث الثالث من الفصل الأول من الباب الثانى - والذى تحدثنا فيه عن « الاطار الحدثى » المؤدى الى هذه الحروب كلها ، وذلك قبل التوقف عند اعلامها العسكرى المصرى القديم ٠٠ ولكن ليس قبل تناول عدة موضوعات أخرى تتصل بهذه المادة الحربية نفسها ٠ ٠انها :

٢ - اعلام الحروب الكبرى (المعارك الكبرى) :

٠٠ واذا كانت المعارك الســـابقة فى مجموعها ، تمت بصـــلة الى « الحروب المحلية » ٠٠ أو « حرب الحدود » التى قصد بها تأمين البلاد ، واشعار جيرانها بقوتها ٠٠ كما أن بعضها يرتبط ارتباطا شديدا بالحفاظ على وحدة البلاد ٠٠ فان هناك الحروب الأخرى ، التى قامت لمعظم هذه الأسباب أيضا ، بالاضافة الى الهدف التحريرى ، واظهار القوة « عمليا وعسكريا » ٠٠ واتباع عقيدة الهجوم الذى هو خير وسيلة للدفاع ، ونقل المعارك الى خارج حدود مصر « الدولية » ٠٠ ومن ثم فقد اتخذت هـــذه الحروب أكثر من شكل جديد ٠٠ لعلهـــا ترد بذلك على بعض المؤرخين الأجانب من الذين تتردد فى كتبهم مثل هذه الأقوال التى تكذبها الوقائع

نفسها ، والتى تقول مثلا ـ بأن الحروب المصرية ، باستثناء قلة نادرة منها ، ليست سوى مناوشات بسيطة ، أو حملات صغيرة ضد البدو ، أو بعض القبائل غير المنظمة ٠٠ ومن ثم وعلى حد قولهم ، فان الشعب المصرى شعب « غير مقاتل » ٠٠ أو لا يمكن وضعه من بين الأمم القديمة المقاتلة ٠٠ الى غير هذه الأقوال كلها ٠٠ التى قلنا أن الواقع نفسه يكذبها ممثلا فى هـــذه المعارك العديدة ، والكبرى التى خاضها ، كما أن هؤلاء البدو ، أو القبائل غير المنظمة كانوا من المقاتلين الاشداء الذين يحرقون الأخضر واليابس ٠٠ فى كل موقع مروا به ، تماما كما أن طبيعة الشعب المصرى المسالمة ، لا تعنى أنه ليس شعبا مقاتلا ٠٠ ثم ان الحروب أنواع ومستويات وأنماط٠٠ولايمكن أن تكون كلها معارك كبرى من نفس النوع تماما كما أنه بالقياس الى غيره من الشعوب ، قديمة وجديدة ، قد خاض أكبر عدد من المعارك ، بأنواعها وبمختلف مستوياتها ٠٠ وصحيح أن هناك معارك من مســـتوى مختلف ، وتسفر عن نتائج مختلفة ، لكن ليس معنى ذلك أن تكون جميعها على نفس المستوى ، أو أنها تلغى وجود معارك أخرى قد يكون بعضها من نفس النوع أو الدرجة ، شدة وقوة ، غير أنه لم يجد الاعلام المناسب لحجمه أو أنه وقع فى ظروف مختلفة ، وكانت نتائجه مختلفة ، تماما كما أن التاريخ قد يكشف عن الجديد ، الذى قد يكون من بينه ما هو أهم وأضخم وأكبر ٠٠

وعموما ، فان من أبرز هذه المعارك الكبرى ، التى وجدت صـــداها الاعلامى الكبير ٠٠ هذه كلها :

ـــ معارك « مونتوحتب ـ نب حتب رع : الأسرة ١١ » الداخلية التى تمكن خلالها من توحيد أقاليم مصر ، الجنوب والشمال والوسط ، ومن ثم طرد الآسيويين من الدلتا ، واعادة فتح النوبة ٠

ـــ المعارك العنيفة التحريرية التى خاضها « سقنن رع » ٠٠ من الأسرة ١٧ ، ضد أبوفيس الهكسوسى والتى انتهت بمقتله ، وان كانت أججت روح المقاومة واعتبرت من أولى معارك التحرير فى تاريخ العالم ٠

ـــ معارك ابنه « **كاموسى** » ضد الهكسوس أيضا ، والتى هزمهـم فيها عند « هرموبوليس » و « منف » ٠٠ وحرر الأخيرة منهم ، كما أعاد هزيمتهم مرة أخرى ، مع حليفهم ملك النوبة ٠

— معارك أخيه « أحمس الأول » بطل حرب الاستقلال دون منازع ، خاصة تلك التى حاصر فيها عاصمة الهكسوس « أواريس » ٠٠ حتى سقطت ثم طاردهم فى فلسطين ، وشتت شملهم بعد حصار « شاروهين » واجلائهم عنها ٠٠ ومن ثم قضى على احتلالهم لمصر قضاءا كاملا ٠٠ لا عودة لهم بعده اليها ، بل وعاد هؤلاء ، مرة أخرى الى الشتات الآسيوى ٠

— معارك « امنحوتب الأول » ٠٠ أسرة ١٨ التى خاضها من أجل استتباب الأمن على الحدود ووصلت جيوشه فيها حتى فلسطين وسوريا ونهر الفرات ٠

— معارك « تحتمس الأول : الأسرة ١٨ أيضا » ٠٠ من أجل تأمين الجنوب ، والتى وصلت جيوشه فيها الى دنقلة بالسودان ، كما وصلت شمالا وشرقا حتى نهر الفرات ٠

— معارك « تحتمس الثالث : نفس الأسرة المحاربة » ٠٠ لا سيما معركة « مجدو » التى انتصر فيها على أمير قادش انتصارا باهرا ، والتى تعتبر من أكبر معارك التاريخ المصرى ، والحروب القديمة عامة ، وكذا عبوره نهر الفرات لفتح بلاد ميتانى على النحو السابق ذكره ٠

— معارك « سيتى الأول : الأسرة ١٩ » التى هزم خلالها بدو « الشاسو » وبلغ حدود كنعان واستولى على سهل مجدو وعبر نهر الأردن واستولى على جنوب لبنان ، ثم حملته التى أدب فيها بدو الغرب ، واستعاد بعض مدن الدلتا التى كانت قد سقطت فى أيديهم ، ثم عودته لحرب الحيثيين واستيلائه على مدينة قادش الى جانب حملاته لتأمين الحدود الجنوبية ٠

— معارك « رمسيس الثانى » ٠٠ ضد ملك خيتا ، وصموده فى وجه أعدائه ، والانتصار « الجزئى » الذى حققه فى قادش ثم اخماده ثورة فلسطين وهزيمته للحيثيين فى حملة العام الثامن وتجهيزه للحصون والطرق العسكرية ودعم حدود البلاد ٠٠ الخ ٠

— معارك « رمسيس الثالث : الأسرة ٢٠ » التى هزم فيها الليبيين

وحلفاءهم من شعوب البحر عند وادى النطرون ، ثم هزيمته لجحافل الشعوب الهند أوربية الذين اكتسحوا الممالك العديدة القوية ٠٠ وخربوا ديارهم ، ثم اعادة هزيمة فرعهم القوى « الماشوش » ، والقضاء عليهم تماما واسر ابن زعيمهم ٠٠ ثم مواصلته الزحف الشمالى والشرقى الذى استعاد فيه املاك مصر ، حتى نهر الفرات ٠

ـــ حروب « بسماتيك » ٠٠ الأسرة ٢٦ بمعاونة المرتزقة أو « رجال البرونز » والتى انتصر فيها على حكام الاقاليم ، ثم قام بطرد الحاميـــة الآشورية فى مصر ٠٠ وطاردهم حتى فلسطين ٠٠ قبل زوال دولتهم وسقوط عاصمتهم نينوى ، تحت ضربات البابليين والميديين ٠

ـــ معركة « نقطانبو ـ خبر كارع » ضد الجيش الفارسى الكبير المدعم بمرتزقة اليونان من الحاقدين على مصر ٠٠ والتى انتهت بطرده من مصر ، واضطرار الجيش الفارسى اليونانى الى التقهقر خاصـــة بعد ان احاطت بهم مياه الفيضان المرتفعة ، فشتتت شملهم ، مما ساعد جنود مصر كثيرا ونكتفى بهذا القدر من المعارك الكبرى ، وننتقل الى موضوع آخر هو :

٣ ـ الاعلام ببلاء المشاركين فى المعارك :

٠٠ لم يكن مضمون المادة الاعلامية العسكرية المهتمة ، مما يتصـل بالمعارك بنوعيها فقط ، من حيثبدايتها ووقائعها وأهم أحداثها واستمرارها ، وأبرز تطوراتها ونتائجها المهمة والأقل أهمية فقط ٠٠ ولكن الأوعية الاعلامية القديمة ، ووسائل « النشر » عرفت الى جانب هذه وفى تلك الأمور المتصلة بالحرب أيضا ، عدة موضوعات أخرى ، تتصل عن قـــرب بهؤلاء الذين اشتركوا فى المعركة ، والذين أبلوا فيها البلاء الحسن ، والذين خاضوا غمارها ، وكان أبرز هؤلاء على وجه التحديد : الملوك ، وكبار القادة ومن فى مستواهم ، والجنود من الذين يتبعون الأسلحة المختلفة ٠٠ وحيث لابد من التوقف لعدة سطور عند كل منهم ، من زاوية هذه المشاركة من جانب ، والاعلام عنها من جانب آخر ٠٠ ومن هنا فنحن نقول :

● **أما عن جانب المشاركة الملكية** فمن الطبيعى أن تكون أقواها ، وأكثرها ظهورا على السطح المنقوش أو الغائر أو المكتوب ، بل وربما كانت

هذه الوسائل نفسها وكان وجودها من أجل اظهار هذا البلاء الحربى الكبير، والجهد العسكرى الخارق الذى قام به الملك . فاذا أضفنا الى ذلك قـدم العهد بها ٠٠ لوجدنا أن لدنيا فى النهاية هذا الكم الاعلامى والدعائى الكبير والذى يعتبر أغزر ألوان النتاج الاعلامى المصرى القـديم ، الخاص بفرد من الأفـراد ٠٠

هذا ، واذا كنا قد تحدثنا فى صفحات سابقة عن « الاعلام الملكى » ٠٠ مما يتصل بسطورنا هذه عن قرب فاننا نركز هنا وباختصار شديد على بعض الملامح الخاصة بالاعلام الملكى العسكرى أو الحربى ٠٠ لا رتباطه بموضوع هذه الصفحات ٠٠

٠٠ أقول ، كان للملك هذا الدور العسكرى الكبير ، ومن ثم التعريف به ، للحاضر والمستقبل معا وحيث نجد فى طريقنا ، هذه الملامح الاعلامية كلها ، المتصلة بهذا الموضوع عن قرب :

ـــ اننا لا نكاد نعرف من أسماء حكام الأقاليم والملوك الأوائل فى تاريخ مصر ، غير المحاربين منهم انطلاقا من عنايتهم الأولى ٠٠ والكبيرة والموغلة فى القدم أيضا ، بالاعلام بحروبهم والاعلان عنها حتى باستخدام الرمز ، أو النقش التصويرى ، ثم بعد ذلك بواسطة الكتابة بالمطبع ٠

ـــ أما غيرهم ٠٠ فعم يعلمون ؟ ومن ثم فقد كانوا فى معظم فترات التاريخ ، من « خاملى الذكر » ٠٠ اللهم الا بارتباطهم بعمل كبير « بناء الأهرامات ـ الفكر الدينية الكبرى » ٠٠ مثلا ٠

ـــ وفى أحوال كثيرة وجدنا أن الاعلام بما قدمه الملك قبل الحرب وخلالها وبعدها ، يكاد يطغى على ذكر الحرب ، ووصف المعارك نفسـها (العقرب ـ نارمر ـ عحا ـ أحمس ـ رمسيس الثانى ٠٠ الخ) ٠

ـــ بل ان القارىء لبعض هذه النصوص الاعلامية العسكرية المهتمة ـ مما سنقدمه فى حينه باذن الله ـ يكاد يداخله شعور يقول أن الذى قام بصياغتها ، وقد فعل ما فعل ، ليس من أجل الحرب كحدث مهم جدا ٠٠ بل

هم الاحداث على الاطلاق ٠٠ وانما من أجل ابراز هذا الدور الملكى الحربى ولا . ثم تأتى أحـــداث الحرب بعـــد ذلك ، أو يكون الدور الملكى هــــو لأساس ، وهو المنطلق الى غيره من الموضوعات التى تتضمنها أمثال هذه لنصوص ٠

— بل ان من الثابت هنا أن بعض فراعنة الدولة الحديثة ـ تحتمس الثالث ـ كان يصحب معه فى حملاته من يتولى كتابة التقارير الحربية ٠٠ ولعله أول عمل منظم للمراسل العسكرى يعرفه الاعلام كله ٠٠

— كذلك فان من الملاحظ أن معظم هذه النصوص الملكية الحربية، التى تخبر بدور الملك العسكرى قد وجدت فى أبرز المواقع التى يتردد عليها الجمهور القارىء ، فى أهم العواصم المصرية ٠

— تماما كما أن بعضها قد أقيم من أجل روايته وسرده وتقديمه بطريقة من الطرق ، أو صدر لمثل هذه الاسباب التى تدخل ضـــمن باب « النشر » و « الاذاعة على الناس » ٠٠ ذلك أننا بينما نجد أن قلة منها قد أضيفت الى « العمائر » القائمة بالفعل لا سيما المعابد الضخمة ٠٠ الا أن كثرة منها قد أقيم من أجلها «النصب التذكارية» و «اللوحات» و «المسلات» كما دونت لأجل الحديث عنها ـ عن بطولات الملك ـ المادة الموجودة فوق البردى ، والرق وما الى ذلك كله ، وحتى فى حالة المعابد المقامة سابقا ، فقد كان يضاف اليها الجديد الذى يناسب الرسالة الاعلامية العسكرية ٠

— بل ان من المؤكد ، أن جانب المنافسة بين هؤلاء الملوك ، كان له دوره فى ظهور اعلامهم العسكرى علىهذهالصورة٠٠ فكل ملك محارب ، يريد أن يقال عنه ، وأن يكتب ، وأن يدون ، وأن يسجل للحاضر والمستقبل ، ما لم يقل عن غيره ، أو يسجل عنه ، ومن ثم كان هـــذا الدور الدعائى والاهتمام به ، انها « الغيرة الملكية » وربما « الحقد » أيضا ٠٠ وصحيح أن هناك من قام موظفوه وفنانوه بتدوين الواقع والصادق والحقيقى ٠٠ لكن من الصحيح أيضا أن بعضهم الآخر قد تسربت الى اعلامهم العسكرى بعض « المبالغة » فى تصوير بلائه ، وبلاء جيشه كله ٠٠ وربما أسرف البعض الآخر فى تصوير ذلك ٠٠ امعانا فى الدعاية لنفسه ولقوته ، وربما لفضل

معبوداته !! ٠٠ (حورمحب ـ سيتى ـ رمسيس فى بعض حمــــلاتهم أو أو حروبهم الداخلية والخارجية) ٠

ـــ أنه قد بذل فى سبيل مثيلات هذه الرسائل الاعلامية ٠٠ أكثر ما بذل من فكر مبدع ، وجهد مبتكر ، وتنفيذ خلاق ٠٠ ليس فقط من زاوية اختيار الوسيلة أو الموقع كما أشرنا الى ذلك من قبل ، وانما حفرا أو نقشا بارزا ، أو تصويرا أو تلوينا ، فضلا عن جانب التحرير نفسه ٠٠ لقد كانت أمثال هذه النصوص الاعلامية العسكرية ٠٠ ـ لا سيما الاخبار والتقارير الاخبارية والتقارير المصورة وكلها قد عرفتها هذه الوسائل بشكل أو بآخر ٠٠ بمستوى فنى أو بآخر ـ أقول ، كانت من أبرز وأفضــــل ما عـــــرفته « الصفحات » المصرية القديمة ٠٠ حجرية واردوازية وجدرانية وجــــلدية وبردية ٠٠ لا يفضلها فى ذلك ، الا تلك النصوص الخاصة بـ « الرحلات »، وبعض صور الاعلام « التربوى » ٠٠ مما سنتوقف عند الحديث عنه ، فى مجال آخر بإذن الله ، بل ان بعض التقارير العسكرية عامة ، والملكية خاصة لتفضل هذه الأخيرة أيضا فى كثير من جوانبها ٠٠

● ٠٠ وأما عن مشاركة الأمراء وحكام الأقاليم وكبار القادة ٠٠٠ فى هذه الحروب والاعلام بذلك ، والاعلان عنه ٠٠ فاننا نتوقف قليلا ، لنقول أنه يمكننا استنادا الى المصادر التاريخية المختلفة ، أن نفرق فى ذلك ، بين حقبتين من الزمن ، كان لكل منهما طبيعته الخاصـــة ، من زاوية هـــذه المشاركة والاعلام بها وعنها ، وعن جهد هؤلاء الأمراء والحكام والقادة ٠٠ من خلالها :

● ● **أما الحقبة الأولى فهى السابقة على الســنوات الأخيرة من** حكم الأسرة ١٧ : ١٦٦٠ ـ ١٥٥٧ ق٠م ٠٠ وكانت تتميز من زاوية الاعلام العسكرى الخاص بهؤلاء بالآتى ٠٠ انعكاسا لاوضاعهم العسكرية عامة ، تلك التى يمكن تلخيصها بشكل عام فى أن أبرز الحروب التى خاضها هؤلاء خلف ملوكهم أو فراعنتهم كانت هى : « القتال القبلى القديم جدا ، والذى تطور الى حرب بين حكام المدن القديمة من أجل الوحدة ـ الحروب الاقليمية التى خاضها هؤلاء وراء حكام اقاليمهم من الذين أعلنوا استقلالهم وأنهم من طائفة الملوك أو لم يعلنوا لا سيما فى عصور الضعف أو تقسيم مصر الى

أكثر من معسكر — الحروب التى خاضوها على رأس جنودهم الذين كان يبعث بهم حكام الأقاليم لمساعدة الملك فىحربه — وحيثكان يتكون منهم معظم جيشه — التى خاضها هؤلاء تامينا للحدود أو تاديبا للبدو ·· جنوبا أو شمالا أو شرقا او غربا وذلك قبل ومع استعانة هؤلاء بالمرتزقة » ·

لقد اسفر ذلك كله . عن هذه الصور والزوايا والشواهد الاعلامية :

— أن شخصية الملك العسكرية ، أو حاكم الاقليم المستقل كانت هى الشخصية الاولى الطاغية على الاعلام العسكرى المهتم فى هذه الحقبة الأولى ، كان الملك ابن الاله ، القائد الأعلى ·· هو البطل دائما ، الذى تركز عليه جميع الأضواء ، وتتجه نحوه جميع النقوش ، وتركز عليه كل الرسوم وتكون من أجله كل الصور والأشكال والانماط الاعلامية التى حملتها الاوعية المختلفة أيضا ، على اختلاف أساليبها ··

— وحتى عندما كان يأتى ذكر هؤلاء فقد كان من الملاحظ :

— أن هذا الذكر يأتى عرضا ·· فى ثنايا الحديث « الكلى » عن الملك ·· البطل الأوحد ·

— وأنه يكون فى كلمات قليلة تتسلل على استحياء ضمن كم كبير يتحدث عن الملك وشجاعته وجرأته وقوته وفتوته ·

— وقد يكون الهدف النهائى هو الحديث عن الملك الذى كان يقود كل هؤلاء ، وكانوا من رجاله أى أن كل شىء يعود اليه ·· بشكل أو بآخر ··

● ·· ومعنى ذلك — فى النهاية — أن اعلام هؤلاء العسكرى ، كان جزءا من الاعلام الملكى العسكرى ، ولم يكن منفصلا عنه ، وعن توجهاته ، وعن أحاديثه ، وعن وسائله ، أو « أوعية الاتصال » الخاصة به ·· تلك هى الصورة التى كانت غالبة ، ومسيطرة ، على الوسائل الكبرى « المعابد — الأهرام — المسلات — النصب التذكارى — اللوحات الكبرى ·· الخ » ··

● ·· ومع ذلك ·· مع ذلك كله ، فقد وجدنا الاعلام عن جهود

هؤلاء العسكرية وهو يفسح لنفسه الطريق ، أو يكاد يتسلل بين سطور هؤلاء ، أو يتخذ لنفسه وسائل أوعية خاصة ٠٠ وبعضه كان يأتى مباشرا – وليس عرضا كما هو الحال بالنسبة لوروده ضمن الاعلام العسكرى الملكى – وبعضه كان يأتى بأسلوب غير مباشر ، أو عرضا ٠٠ وكان من أهمه على سبيل المثال لا الحصر :

« ما ورد فى أحاديث ونى – ما ورد فى تقارير رحلات حرخوف – ماورد عن جهود عنخ تيفى – ماورد فى حملات بى نخت – ماورد فى تقارير الوزير مخو وابنه سابنى – ما ورد فى تقارير بعض الأناتفة – ما ورد فى لوحات خيتى وابنه تف اب – ما ورد على جدران مقبرة سيرنبوة ما ورد فى بعض المقابر الأخرى ، الخاصة بعدد من حكام المدن والقادة من تلك التى تتصل بموضوع هذه الصفحات » ٠

● ٠٠ وعموما فاننا لا نترك هذه كلها ، دون أن نتوقف عند اثنين منها ، أو من غيرها ، نقدمها هنا على سبيل المثال الدال على اعلام هؤلاء العسكرى (كبار القادة وحكام الأقاليم) ٠

١ – **ما ورد فى أحاديث ونى :** واذا كنا قد أشرنا الى جانب « تقارير الرحلات والماجريات والأحاديث » فى هذه المادة سابقا ، فاننا وجدناها وهى تحمل أيضا ذلك المضمون الآخر الذى يتصل بهذه الصفحات نفسها عن قـــرب ٠٠ ومنه :

— الاشارة الى ثقة الملك (ببى هنـــا) الكبيرة فى قائده ، حتى ما يتصل بالأمور الشخصية (التحقيق مع زوجة الملك) ٠٠

— الاشارة الى ما يمكن أن يصل اليه القائد العسكرى من مجد ، اذا أخلص خدمة مليكه سلما وحربا ٠٠ وكذا الى المزايا التى كان يتمتع بها كبار الضباط عامة ، ومن يحقق الانتصار منهم خاصة ٠

— الاشـــارة الى نماذج عديدة من الاخطار الخارجية التى كانت تحيط بمصر ، طمعا فيها ، وأهمية تجهيز الجيـــوش لردعها وتأديبها ٠٠ وطريقة ذلك ، وعناصر تكوين الجيش ٠

— الاشارة الى بعض الاخطار الأخــــرى ، التى تهـــدد « أمن الحدود » ·· كقطع البدو لطرق التجارة بين مصر وجيرانها مما يتطلب التحرك العسكرى ·· (دواقع الحرب أيضا) ·

— التعريف بسياسة الحرب ، وأساليب تكوين الجيوش فى أيامه ·

— التعريف المهم بالحرب التى خاضها ، والجيوش التى كانت تحت أمرته ، فهو يقص علينا كيف خرج فى خمس حملات اربع منها عن طريق البر ، وخامسة عن طريق البر والبحر معا ·· كيف أسند اليه مهمة تاليف جيش عدد رجاله عشرات الآلاف من جميع بلاد الوجه القبلى ، من الفنتين جنوبا ، حتى أطفيح شمالا ، الى جانب بعض أفراد القبائل النوبية ، وكذلك من حاميات المدن ومن جانبى الدلتا ·

— ويعرفنا بأنها كانت حملات متكاملة ، وبحرصــــه على تدين أفراده ، كما كان بها التراجمة للتفاهم مع هذا الخليط ، ومع العدو نفسه حين الحاجة الى ذلك ، وبوجود الكتاب من العسكريين وغيرهم من الموظفين ليكونوا فى خدمة الجند بل وبوجود رجال الدين من الكهنة الذين كان لهم دورهم الدينى والمعنوى الكبير ، فى القيام بعمليات الوعظ والارشاد لهذه الجيوش ، وتفسير الزاوية الدينية للحرب ، والاشراف على المعابد المقامة فى الطريق ، وكذا وهو جانب مهم ·· فى ترتيل التراتيل ، وترديد الأدعية التى ترفع من الروح المعنوية للمقاتلين ، وتمجد أعمالهم ، ثم تحتفى بهم فى طريق عودتهم المنتصرة ··

— كذلك فقد أوردت لنا هذه الأحــاديث جانبا من « **المثاليـــات** » **الخاصة بالعسكرية المصرية** فى ذلك الوقت ، والتى لا شــك أنها أثرت على نحو ما ، فى تقاليد الفروسية التى عرفتها الأمم الأخرى بعد ذلك ، عربية وأوربية ·· ومنها على ســـبيل المثال لا الحصر : (أن الجندى لا ينازع زميله ولا يغمطه حقه ، ولا ينتزع قطعة خبز من عابر سبيل ، ولا يأخذ نعلا من مدنى يمر به ، ولا ينهب أى شىء من القرى التى يمرون بها مهما كان بسيطا ·· حتى الخرق البالية ، ولا يسلب عنزة من عشيرة ·· الخ) ··

— على أن من أهم ما يمكن استنتاجه منها كذلك ، ومما يتصل

بالاعلام العسكرى نفسه عن قرب ··· تلك الاضلاع الأربعة الذهبية لنجاح القيادة ·· فبعد أن يتحدث عن دوره فى القيادة ، وتنظيم زحف جنوده على خير وجه ·· يذكر قاعدة النجاح بالنسبة لمن يتصدى لهذا العمل فى عقيدة الحرب المصرية القديمة انها : « العمل على تغليب روح الطاعة فى الجيش وتقليل دواعى الشقاق بين الجنود وتغليب التراحم بينهم وبين مواطنيهم من المدنيين ، والعمل على تزويد الجيش بمئونة مناسبة تصرف رجاله عن الدنية وعن محاولات النهب والعدوان » (٢٤) ·

ــــ كتابة تقرير الحرب ، واعلانه والاستعانة فى ذلك بالشعر نفسه، كذلك فقد تضمن التقرير « خبرا مرويا عما حدث للجنود فعلا أو هى على الأقل عبرت عن أمل كان المقيمون يرجونه لجيشهم فعلا » (٢٥) ·· بل اننا نرى أنها كانت « تقريرا اخباريا كاملا » وليس مجرد خبر واحد ··

ــــ ·· ولم ينس « ونى » نفسه بالطبع ·· فذكر ما قال من تكريم بسبب مزاياه ومواهبه وتفانيه فى خدمة مليكه ··

ــــ كما أنه لم ينس كذلك ، أن يغلف بعض أجزاء روايته الاخبارية، بلون من ألوان المبالغة التى كانت من « خصائص » عدد من ألوان الاعلام المصرى القديم ، عسكرية وغير عسكرية ··

وننتقل الى آخر ··

٢ ــ ما ورد على جدران مقبرة « بى نخت أو بيوبى ــ نخت ــ حقايب» والموجودة بأسوان تحمل رقم (٣٥) ·· والمكتشفة تماما عام ١٩٤٦ ·· وهو أحد حكام الجنوب ، ومن أشهر قادة « الفنتينة » العسكريين ، والذين أبدوا حسا اعلاميا معا ، ، وحيث كان الملوك ــ ببى الثانى هنا ــ يعتمدون على أمثالهم فى عملياتهم العسكرية الحدودية ، وضد بدو الصحراء ، وحيث يمكننا أن نتابع هذه الاشارات التى تتصل بموضوع هذه السطور ومنبينها:

ــــ التعريف بالحالة العسكرية عامة ، فى هذه المواقع الحدودية ، ونقل صورة منها ·

ــــ التعريف بالدور العسكرى الذى كان يقوم به حكام الجنـــوب

عامة ، والفنتينة خاصة لا سيما فى أوقات الضعف والاضطراب ، أو والبلاد تقف على حافتها ٠

ـــ الاشارة الى أن مليكه بيوبى الثانى قد بعثه على رأس حملتين الى بلاد النوبة ، والى أهم نتائجهما ٠٠ فعن الأولى مثلا يقول فى قالب اخبارى : « أرسلنى جلالة مولاى لأؤدب بلاد ارثت فقمت بما جعل مولاى يثنى على وقتلت منهم عددا كبيرا من بينهم ابناء الزعماء ورؤساء المحاربين وأحضرت منهم أسرى الى القصر ٠٠ كان عددهم عظيما لأنى كنت شجاعا ومعى جيش كبير من الجنود الاشداء » ٠

٠٠ وهكذا قدم خبر الحرب فى اسلوب اخبارى كامل ، مختصر ومفيد (الاجابة عن أدوات الاستفهام : من ، ماذا ، اين ، كيف ، لماذا ، كم ؟)٠

٠٠ كما يشير فى نص اخبارى آخر الى حملتـــه الثانية على نفس الموضع من أجل تهدئة الحالة فيه ، حيث احضر معه عند عودته زعيمى الثوار ، والهدايا المقدمة الى الملك ٠

ـــ وبالاضافة الى خبر الحرب المختصر السابق ، فان على جدران المقبرة ايضا ، ما يمكن او ما يجوز اعتباره من مقدمات التقارير الاخبارية المختصرة ، عندما يقدم لنا بالأسلوب نفسه ما يتصل بحملته العســـكرية الثالثة الى شمال البحر الأحمر لاحضار جثمان أحد ضباط البحرية المصرية، الذى كان يشرف على بناء سفينة كبيرة على الساحل للابحار بها بعد ذلك الى بلاد « بنت » ٠٠ حيث هاجمه بدو الصـــحراء الشرقية ، وقتلوه ومن معه ٠٠ اقرأ قوله : « ٠٠ ثم بعثنى جلالة سيدى الى بلاد الآسيويين عامو لأحضر له جثمان الصديق الوحيد ورئيس النـــواتى والمشرف على الأدلاء ـ عن عنخت ـ الذى كان يبنى سفينة هناك من اجل بونيه (بونت) عندما اغتاله الآسيويون عامو من سكان الصحراء مع جنود الجيش الذى ارسل معـــه ٠٠٠ الخ » ٠

●● ٠٠ واما الحقبة الزمنية الثانية التى عرفت مساهمات امثال هؤلاء من الأمراء وحكام الاقاليم وكبار القادة ٠٠ حربيا واعلاما عسكريا

حربيا ، فهى تلك التى تبدأ مع السنوات الأخيرة لحكم الأسرة ١٧ ايضا ٠٠ وتستمر مع مسيرة التاريخ المصرى ، حتى نهاية عهد الأسرات ٠٠

واذا كنا قد أشرنا فى سطور عديدة سابقة ، الى أبرز معاركها ، كبيرة وصغيرة ، لا سيما معارك أحمس ، والتحامسة ، والرعامسة ، من أجل التحرير وهزيمة الهكسوس ومطاردتهم وتأمين الحدود وتكوين الامبراطورية والحفاظ عليها ، ومن أجل الحفاظ على وحدة مصر ، وممتلكاتها ، وفى مواجهة البدو ، والنوبيين ، والسوريين ، والليبيين والفرس ٠٠ الخ ٠٠ فان أهم ما يتميز به اعلام هذه الطائفة من الأمراء وحكام الاقاليم وكبار القادة ، مما يتصل بهذه المعارك كلها ، ذلك الذى نجمله فى الآتى :

● أن تقديم مشاركة الملوك حربيا واعلاما عسكريا كان مسألة قائمة وموجودة كما حدث خلال الحقبة الزمنية السابقة تماما ، بل وبصور وأساليب وأنماط اتصالية ، أكثر تطورا ، وأقرب الى المفاهيم الاعلامية الحديثة ٠٠ وأكثر استخداما للكلمة أو العبارة ذات المردود الاتصالى ، وأكثر توظيفا للفن والعمارة ، وأكثر تعددا من زاوية الأوعية والوسائل المستخدمة ٠٠ هذه كلها أشياء يقررها الواقع الحربى والاعلامى العسكرية القائم والموجود ٠٠

● ٠٠ ولكن على الرغم من قيام هذه الصور كلها ، الا أن الاعلام العسكرى الخاص بالأمراء وحكام الأقاليم ، وكبار قادة الجند ، من المشاركين فى المعارك الى جانب الملوك أو وحدهم ٠٠ كان له ، الى جانب الاعلام العسكرى الملكى ، وجوده ، ووجوده القوى أيضا ، على نحو يفوق صور الوجود السابقة ، التى أشرنا الى أهمها وأبرزها ٠٠

● ٠٠ ان دور الملك الحربى ، وبالتالى الاعلام عنه ، لم يتغير ، ومهامه العسكرية لا سيما بعد التحرير وفى عهد الدولة الحديثة عامة ـ قد تعددت ، بعد أن توجهت الجيوش المصرية الى الخارج وتعددت ألوان المعارك وأهدافها ٠٠ ومن ثم تعددت موضوعات هذا الاعلام الملكى العسكرى ، وأضيفت اليه موضوعات جديدة عديدة ٠٠ لكنها وهى تركز على الاسهام الملكى ـ وهو ما حدث خلال الفترة السابقة نفسها ـ لم تنس الاعلام عن

أدوار هؤلاء ·· ولا التعريف ببلائهم ·· بصورة أكثر بروزا ، واهتماما ، وايجابية ، مما كان يحدث خلال هذه الفترة السابقة ·· وليس عرضا ، أو ذرا للرماد ، أو تحصيل حاصل ·· على النحو السابق ·· هذه واحدة ·

● ·· وأما الثانية ·· فتتمثل فى الجهد الاعلامى الخاص بهؤلاء أنفسهم ·· انهم ، وهم من التالين للملوك فى مواقعهم ، من المشاركين فى الصفوف الأولى للمعارك الكبرى ، من قادة الفرق المهمة التى يتكون منها الجيش المصرى ، من المشرفين على تنفيـــذ الخطط ·· من مديرى الأسلحة المختلفة ·· من المكلفين بالمهام الخاصة ·· من قادة بعض الحملات أو المعارك الأخرى خاصة جنوبا وغربا ·· هؤلاء ما كانوا ليفوتهم الاعلام عن ذلك كله ، وبشكل قوى أيضا وبصور وأنماط وأساليب عديدة ··

ـــ لأن هناك ما يقال (الموضوعات : مشاركتهم) ·

ـــ ولأن هناك الدوافع (المنافسة بين الأمراء والقادة ـ الدعاية لبلائهم فى الحرب ـ لقوتهم ـ تعريف الحاضر والمستقبل بهم) ·

ـــ وحتى يتوازى ذلك مع طابع الاعلام العسكرى الملكى وأساليبه وصوره ·

ـــ ولأنهم أثرياء أيضا ، ويملكون ما يوظفونه ومن يوظفونه للاعلام عن أعمالهم والتعريف بها ··

● ·· فكأن الاعلام العسكرى بجهود هؤلاء ·· قد جاء من خلال اطارينأساسيين ،**أولهما** ·· يمثله الاعلام العسكرى الملكى عن مشاركتهم وبلائهم فى الحرب وراء الملك أو من خلفه ، كمعاونين ومساعدين له ·· أقوياء أشداء مثله ·· **وثانيهما** ·· من خلال اعلامهم الخاص بهم ·· وفى الحالين ·· كان تسليط الأضواء عليهم والتعريف ببلائهم أكبر وأبرز أثرا·· مما حدث لمن هم فى مثل مواقعهم أو مناصبهم ·· خلال الحقبة الزمنية السـابقة ··

● بل انه مما يؤكد أهمية جانب الاعلام العسكرى عند هؤلاء ، أن بعض المواقع العسكرية المهمة لم نعرفها من خلال صور وأشكال الاعلام الخاص بملوكهم ، حتى من المحاربين أنفسهم ·· وانما عرفناها ·· أو كان

من أبرز وأهم ما عرفناه منها - على الأقل حتى الآن وقبل أن يكتشف الجديد الملكى بشأنها - أقول ٠٠ عرفنا بعضها من صور وأشكال اعـــلام هؤلاء من القادة ٠٠ ولعل من أبرز ما يؤكد ذلك ٠ أن حرب « أحمس » بطل الاستقلال ، والتى يمكن اعتبارها أهم حروب مصر القديمة ٠٠ هذه الحرب « المقدسة » لم نعرفها أو يخبرنا بها أى أثر اعلامى ملكى عسكرى ، أو غير عسكرى وانما جاءت ضمن النصوص الاعلامية ، التى يحكى فيها أحـــد قواده قصتها ٠٠ كما سنشير الى ذلك بعد قليل ٠٠ وغيرها كثير أيضا . من الذى عرفناه من اعلام هؤلاء العسكرى ، حتى وان ارتبط بتاريخهم ٠٠ لأنهم من القادة ، وتاريخهم هنا ، يعتبر جزءا من التاريخ العسكرى ، وهو جانب لابد وأن يكون له وجوده ٠٠ من زاوية هذا الاعلام المهتم ٠٠

● ٠٠ كذلك فان هذا الاعلام العسكرى (الأميرى - اعلام الحكام - اعلام كبار القادة) انما يعود فى جانب من جوانب أهميته وتعدد صوره وتميزها ٠٠ الى أنه كان الأقرب الى اعلام الملوك من العسكريين أنفسهم ٠٠ وتظهر فى ذلك بوضوح شديد ٠٠ صور الأمراء وحكام الأقاليم وكبار القادة **الذين أصبحوا ملوكا فى أوقات لاحقة** ٠٠ بينما أمروا بكتابة هذه الأنماط المتصلة بحياتهم العسكرية ، والمهام التى قاموا بها والمناصب التى تقلدوها ٠٠ وما امتدت اليه هذه الكتابة من جوانب الاعلام العسكرى المختلفة ٠٠ قاموا بكتابتها أو أمروا بذلك وحرصوا عليه عندما كانوا يحتلون هـــذه المناصب القيادية نفسها ٠٠ قبل أن يصبحوا ملوكا ، وربما قبل أن يعرف غيرهم ، أنهم سوف يصبحوا من الملوك ٠٠ وقد برزت هذه الصورة خاصة عند هؤلاء : « حور محب الأسرة ١٨ - رمسيس رأس الأسرة ١٩ - سيتى الأسرة ١٩ أيضا » ٠٠ أقول منذ كانوا ضباطا ٠٠ وليس ملوكا ٠٠

● **٠٠ على أنه كان من أبرز هؤلاء القادة والضباط ٠٠ « أحمس بن بننخبت - آمون ام حب - انيني - بن آمون - تانتى - ثنونا - آمون مسر - مين - وسرحات - باسر - امن اخت - ٠٠ الخ » ٠**

وحيثنتوقف عند عدد منهم ، لنقدم فى كلمات سريعة ٠٠ التعريف بهم ، وبأهم آثارهم التى حملت جانب الاعلام العسكرى عندهم ٠٠ خلال هذه الحقبة نفسها ٠٠

ــ أما أول مـــن نتوقف عندهم فهـــو : « أحمس بن أبانا » ٠٠ أحد قادة « أحمس » بطل حرب التحرير الأشهر ٠٠ من الكاب ، بالقرب من ادفو ٠٠ والذى تقدم لنا مقبرته ، هذه الملامح والاشارات الاعـــلامية العسكرية كلها : (قصة حرب أحمس ضد الهكسوس ٠٠ حيث تعتبر كتابات هذه المقبرة عنها المصدر الرئيسى لها بما اتصل بها من أخبار ـ نظام العمل الخاص بالضباط ـ سقوط أواريس عاصمة المحتل بعد حصـــارها ـ فرار الهكسوس الى شاروهين وحصارها ٣ سنوات ٠٠٠ الخ) ٠٠

ــ وأما ثانى من نتوقف عندهم فهو : « أمن أم حب » الذى تقص علينا جدران وأثار مقبرته (رقم ٨٥ ـ الحوزة العليا ـ الأقصر) وقائع حملات تحتمس الثالث الآسيوية ٠٠ حيث كان الرجل من أبرز قادة مؤسس الامبراطورية المصرية ، كما امتدت خدماته العسكرية حتى عهد « أمينوفيس الثانى » ٠٠ واذا كانت هذه هى أهم ما قدمته (أخبار الحرب) ٠٠ فان هناك بعض الاشارات والملامح الاعلامية العسكرية المهتمة التى تتجلى فيها أيضا ، ومن أبرزها :

ــ تعريفه بنظم تعليم الضباط والقادة ونظم الترقى الخاصة بهم فى عصر الامبراطورية ٠

ــ التعريف بوقائع وتفاصيل حصار « قادش » عامة ، وبلائه هو وجنوده فى هذا الحصار خاصة ٠

ــ نظام المكافأة الملكية التى يوزعها الفرعون على من يقوم بأداء الأدوار العسكرية المهمة ٠

ــ تفانى القادة فى خدمة ملوكهم والذود عنهم حربا أو سلماحتى أنه أنقذ حياة مليكه مرتين ٠

ــ المناظر التى تبين وفود الآسيويين وهم يفدون الى مصر لتقديم الهدايا وفروض الولاء والطاعة الى فرعونها ٠٠

ــ المناظر التى تصور الدراسة السابقة ، ـ على الخرائط ـ لمواقع المعركة المحتملة ٠

٠٠٠ الى غير ذلك كله ٠

(حـ) ألوان أخرى من الأعلام العسكرى :

كانت هذه هى أبرز ألوان وأشكال وأنواع وموضوعات الاعلام العسكرى المصرى القديم ٠٠ لكنها لم تكن كلها ، أو جميع الصور والمشاهد الاعلامية التى وجدناها تملأ الاوعية والوسائل الاتصالية التى تعود الى هذه الفترات نفسها ٠٠ وانما كانتهناك بعضالأنواع والموضوعات الأخرى، الأقل حجما ، والتالية لهذه فى أهميتها ٠٠ ومن أبرزها ٠٠

● **اعلام ما بعد الحرب :**

٠٠ذلك الذى كانت « رسائله » تترى على اثر الانتهاء من المعارك ، واطفاء النار المتأججة وعودة الهدوء الى الساحات والميادين المختلفة ، وكانت هذه الرسائل تتناول بعض ذلك الذى أشرنا اليه سابقا من موضوعات ، وبعض ما لم نشر اليه ، لكن أهمها ، وأهم موضوعاتها دون جدال ، هى تلك المرتبطة بالمعارك الكبرى الحدودية ٠٠ من مثل :

ـــ الاعلام الخاص بتأمين الحدود ، واقامة النقاط الحصينة فى عدد من مواقعها ٠٠ وحتى لا يعود العدو الى فعلته مرة أخرى ٠٠ حيث تواجهه هذه كمواقع متقدمة ٠

ـــ الاعلام الخاص بتقديم جوائز البطولة ، والمنح المختلفة ، والترقيات والهدايا من الأرض والعبيد ٠٠ وكذا توزيع الاوسمة المختلفة لا سيما وسام « اعمال البطولة الذهبى » ٠ ٠تماما على نحو ما يحدث الآن بعد المعارك المختلفة ٠٠ وحيث ظهرت أمثال هذه المنح ٠٠ فوق أوعية أصحاب هذه البطولات ، لا سيما مقابرهم (قلادات ذات شارات تعلق حول أعناقهم ـ نماذج مصغرة للاعلام ـ ميداليات) ٠

ـــ الاعلام الخاص بالتعريف بالمعاهدات والاتفاقيات المختلفة التى انتهت اليها الحرب ٠٠ (اتفاقيات السلام) ٠٠ بما فى ذلك من نصوص مختلفة ، كتب بعضها على الاوعية الجلدية والبردية ، وبقى فوقها ، أو نقل بعضه على أثر النشاط العسكرى الى الأوعية الحجرية الكبرى لاسيما جدران المعابد ، والأعمدة والمسلات ٠٠ خاصة مع (ميتانى ـ خيتا ـ

الآشوريين ٠٠ الخ) كما يدخل فيها أيضا معاهدات الصداقة مع هؤلاء وغيـــرهم ٠

ـــ الاعلام الخاص بجانب مهم من جوانب « مخلفات » المعارك ، لا سيما تلك التى تتصل بـ « الجانب البشرى » ٠٠ وهى زاوية اعلامية قديمة جدا ، نرى اشاراتها الأولى حتى على دبوس الملك العقرب ، وكذا على الوجهالأول للوح نارمر نفسه ٠٠ ثم ، وبمرور الوقت ، كانت هذه تمثل احدى المشاهد المهتمة ٠٠ الأسرى ، ووفود البلاد المهزومة ، وممثلو أهلها ٠٠ وهم يفدون زرافات ووحدانا مكبلين بالقيود ، أو أحرارا كانوا ٠٠ وهم يقدمون الهدايا والجزية ، وفروض الولاء والطاعة ، الى فرعون وذلك على النحو الذى مر بنا أكثر من مرة ٠٠ (معبد نفر اركارع ـ نقوش هرم أوناس ـ نقوش هرم مرى ان رع ـ كتابات مقبرة بى نخت ـ وفود ميتانى وخيتا على أعمدة الكرنك ـ مقابر وزراء طيبة فى عهد الامبراطورية لا سيما مقابر آمون ام ابت ورخمى رع وأمون مسى وحوى ٠٠٠ الخ) ٠

● الاعلام العسكرى فى غير أوقات الحروب :

٠٠ لم تكن الحياة المصرية كلها حربا ، على الرغم من الأخطار التى تحدق بها من كل جانب ، لا سيما بعد أن استبان الجيران ، والطامعون ثراءها ، وقوتها معا ، ومن ثم ، ولأن الجيش المصرى كان مؤسسة قائمة ودائمة ، سلما وحربا ، فقد كان هنـــاك هذا اللون الآخر من النشـــاط العسكرى ، فى غير أوقات الحروب ، ومن ثم الاعلام به وعنه ، حيث نتوقف عند اثنين من أبرز أشكاله ألا وهما :

● الاعـــلام الخاص باعداد وتجهيز ومســـيرة ونتائج حمـــلات الكشف ، والبحث عن مناجم المعادن المهمة ، وأنواع الأحجار المختلفـــة الصالحة لاقامة المعابد والتماثيل والمقصورات ٠٠ وهى تلك التى كانت تقوم على عاتق الجيش فى وقت السلم فى أغلب الأحوال ، بقيادة الأمراء ، أو الضباط العظام ٠٠ وبمعاونة من البحرية المصرية فى بعض الأوقات ، وكان معظمها يتجه نحو المناجم الجنوبية ٠٠ أما الاعلام فكان يتم على هيئـــة لوحات ضخمة تحمل المعلومات المهمة عن هذه « البعثة » ٠٠ أو على صورة

نقش على الصخور فى بعض المواقع اللافتة للانظار ، والتى تجتذب اليها الجماهير (الممرات المهمة ـ سفوح الجبال ـ صخور الجنادل) ٠٠ كما وجدت أيضا داخل مقابر حكام الاقاليم الجنوبية ٠ وعلى بعض المسلات وجدران المقابر الأخرى ٠٠

● الاعلام الخاص بالعروض العسكرية التى كانت تجــرى فى المناسبات المهمة ٠٠ وحيث يمكننا أن نلمح بعض جوانب الدعاية للقوة المصرية ، وبعض المشاهد التى تعتبر الجذور الاولى لما يحدث فى عروض اليوم ، خاصة اقامة اقواس النصر ، وعروض الجنود بمشيتهم العسكرية تتقدمهم الموسيقى ، وحملة أعلام ورموز الكتائب ، وبعض أنواع الأسلحة، كما نكاد نسمع أيضا بعض الأناشيد الدينية الحماسية التى يرددها العسكر، وان لم تخل من بعض الاشارات الدينية أيضــــا ٠٠ الى جانب العروض الرياضية التى يقوم بها الجنود أيضا ٠

وصحيح أن هذه العروض كانت تتكرر قبيل خروج احدى الحملات لا سيما الكبرى ، أو المهمة وعلى أثر النصر ، لكنها أيضا كانت تتكرر فى أوقات السلم ، لا سيما فى الاحتفالات الدينية ، واحتفالات الأقاليم ، وجمع المحاصيل وعلى أثر عودة البعثات الخارجية ٠٠ وغيرها مما وجدناه على مقابر بعض الأمراء وكبار الضباط ٠٠ لا سيما تلك التى تعود الى عهدى الدولتين الوسطى والحديثة ٠٠

(د) الاعلام العسكرى المهتم ، اضافات وملاحظات :

٠٠ ومع الاكتفاء بهذا القدر من تناولنا لجانب الاعلام العســكرى المهتم ، الذى عرفته ومارسته مصر القديمة ٠٠ فاننا لا نتركه قبل أن نتوقف مرة أخرى ، عندعدد من أبرز معالمه ٠٠ تلك التى نقول بشأنها فى عجالة ، وبتركيز شديد :

● **من زاوية الشكل :** اننا نشير هنا بالذات الى ما ألمحنا اليــه سابقا ، لأهميته من ناحية ، وللتذكير به فى خاتمة تناولنا لهذا الجانب من ناحية أخرى ، كما نشير الى بعض الجديد الذى لم نشر اليه سابقا ٠٠ وذلك كله مثـــل :

— أن هذا الاعلام قد عرف جميع أنواع وأشكال الأوعية الاعلامية سواء منها التقليدية صغيرة الحجم ، أو كبيرة الحجم ·· ابتداء من اللوحات الطينية والحجرية الصغيرة ، والرق وأوراق البردى ·· وحتى أبرزهـا وأكثرها « ضخامة » ·· كالأهرام والمسلات وجـدران المقابر والأعمدة والأبواب وما اليها ··

— أن هناك كذلك ، بعض الوسائل الجديدة التى تم ابتكارها لتمثل أوعية لهذا النوع من أنواع الاعلام ·· لا سيما « النصب الحجرى » ، وكذا « النصب التذكارى » الخاصة بالمعارك وكذا اضافة بعض الأجزاء الخاصة بالحرب ، الى مقصورات وأبهاء المعابد المختلفة ، من تلك التى أقيمت أصلا لغرض دينى ·· وكذا استخدام العجلات الحربية لنفس الغرض ·

— وذلك كله بالاضافة الى استخدام كل الاشكال والوسائل القديمة، أو التى كانت معروفة قبل عهد الأسرات ، وخـلال عهد الأسرات المبـكر (ما هى ؟) ·

— لكن من المؤكد ، أن غلبة الاشكال الضخمة ، كان هو الطابع العام المسيطر على اعلام الحرب ووسائله وأوعيته ، لا سيما فى عهـد الامبراطورية ·· أزهى عهود هذا النوع من الاعلام دون جدال ··

● **من زاوية المضمون :** ·· ومن البديهى أن يكون الطابع الغالب على مضمون أو محتوى هذه الأشكال والأنماط الاتصالية كلها ، مضمونا عسكريا بالدرجة الأولى ·· يغطى فيه هذا الجانب على أى جانب آخر ·· لكننا فى ضوء فنون وأنماط الاعلام الحديث ، ومضامينه المختلفة ، نستطيع أن نقول أن الطابع الغالب عليه كان هو طابع :

١ ـ أخبار الحرب وتقاريرها مصورة وغير مصورة ·

٢ ـ أخبار بطولات الملوك والأمراء والقادة ·

٣ ـ مراسيم اختيار وتعيين قادة الحملات ·

٤ ـ مراسيم ترقية الضباط والجنود الذين كانوا يبلون البـلاء الحسن فى المعارك ويدخل ضمن ذلك منحهم الأنواط والنياشـين والرتب والامتيازات الأخرى المختلفة ·

٥ - ما يشير الى ارتباط الحملات العسكرية بالالهة الكبرى ورعاية هؤلاء للجيوش وللمحاربين ٠

٦ - ما يشير الى بعض معالم التربية العسكرية ، ومدارس الضباط وعلومها ونظمها خاصة فى عهد الدولة الحديثة ٠

٧ - بعض المدونات العسكرية الأخرى ، الخاصة بنظام الجيش المصرى وتقسيمه الى فرق وألوية وكتائب ونظم تدريبه ، وتموينه وتسليحه ٠

٨ - بعض الكتابات الخاصة بالتراتيل الدينية والأناشيد الحماسية وذات الصبغة العسكرية ٠

٩ - بعض الكتابات التسجيلية الخاصة بالمعاهدات ، والمواثيق والأحلاف والنشاط الدبلوماسى الذى كان يتبع النشاط العسكرى ، أو يسير بحذائه ، فى أحوال عديدة ٠

١٠ - بعض الكتابات الدالة على أعمال الجيش فى وقت السلم لا سيما (البعثات التعدينية والتجارية - المناسبات المهمة - القيام بدور الشرطة أحيانا - المشاركة فى شق الترع والجسور) ٠٠ الى غير هذه كلها ٠٠

● **تحريرا ولغة :** لقد توزعت هذه « الأغراض » و « المضامين » كلها ، والتى حملتها الى جماهيرها ٠٠ فى أوقاتها ٠ حتى اليوم ، توزعت على عدد من مختلف الأنماط التحريرية التى نستطيع أن نقول أنها تمثل عن جدارة واستحقاق ، وفى أكثر من صورة ، تلك الجذور والمقدمات والطلائع الأولى ، لفنون التحرير الصحفى المختلفة ، وأنماطه المتعددة ، لا سيما « الاخبار » ٠٠ بأنواعها ، صغيرة ومتوسطة وكبيرة ، الى جانب الموضوعات والتقارير الاخبارية ، وكذا ، جذور طلائع فن « التقرير » ٠ ٠من حيث هو ، وبأنواعه المعروفة الاحاديث ، والتحقيقات والتقارير المصورة والماجريات أيضا (*) ٠ ٠هذا من حيث الشكل العام ، أما من حيث لغة الكتابة

(*) أشرنا الى هذا الجانب المصرى القديم ، وارتباطه بهذه الانماط والفنون التحريرية فى عدد من كتبنا لا سيما : « فن الخبر - التحقيق الصحفى - المدخل فى فن الحديث - ماجريات الصحف » ٠٠ ومن ثم فاننا نكتفى بما جاء بها ، وننصح بالعودة اليها لمن أراد الاستزادة ٠٠

والتحرير نفسها ، فاننا نستطيع أن نلمح الى أن تحرير المـــادة العسكرية المهمة ، قد عرف كل هذه الخصائص والظواهر التى نقدمها باختصارشديد:

— المحاولات التحريرية الأولى لكتابة الاخبار والمـــادة الاخبارية بأساليبها وخاصة طرق التركيز الشديد والاختصار والكتابة عما حدث بالفعل (الواقعية والدقة والصـــدق) ·· وما الى ذلك كله ، من كتابات اختلفت كثيرا عنها فى الميادين والحقول الأخرى اعلامية وأدبية معا ·

— وصحيح أن الأمر لم يخل من بعض « المبالغات » والتى ارتبطت أحيانا بالكتابة عن قوة الملوك وبلائهم فى المعارك ·· لكنها لم تتعد ذلك فى معظم الأحوال ، وحيث نجد أنها كانت ـ المبالغة ـ طابعا عاما للاعلام الملكى عسكريا كان أو غير عسكرى ·

— وحتى بعض الأخبار « المختلقة » أو المصنعة ، أو التى تشبه الأساطير والتى كانت من مبتكرات الخيال ، لا سيما عند وصف المعارك ، فقد كانت هذه أيضا تعود الى هذا الجانب الشائع من جوانب الاعـــــلام الملكى ·· انه نفس الدور المبالغ الذى يريد أن يضفى على « شيخ القبيلة » مثلا ·· هذه الصفات الأسطورية ، لا سيما فى مواجهة أعدائه ·

— أما فى الاعلام العسكرى الخاص بغير هؤلاء ، فقد كان أسلوب المبالغة والتهويل ، فى حال وجوده ، أقل حدة ، وشططا ·· بل كانت هذه تبدو ، وكأنها تتسلل على اســـــتحياء الى ســـــطورهم ، التى دونوها عن شجاعتهم ، ودورهم الحربى ·· ونقصد بهم هنا الضباط والجنود ·· من الذين خلفوا مثل هذه الأنماط التحريرية ·

— كذلك فقد دخلت الى الوجود كما لم تدخل من قبل ، موضوعات عديدة جديدة ، تطلبت بعض الأساليب والتعبيرات الجديدة ، لا سيما فى حرب التحرير ، وخلال عصر الامبراطورية من تلك التى راحت تتحدث عن موضوعات مثل : « الاستقلال ـ التحرير ـ الوحـــــدة فى مواجهة العدو المشترك ـ التفاخر بشرف الانتماء العسكرى ـ الدراسة العسكرية ـ الخطط الحربية ـ المعاهـــــدات والاحلاف مع الدول الأجنبيـــــة ـ الألقـــــاب العسكرية ·· الخ » ·

— ولقد استتبع ذلك بالطبع ، والكثرة من الكاتبين المصريين لا تنقصهم المواهب ، استدعى ذلك التوصل الى صيغ وأنماط أسلوبية جديدة. تتحدث عن الحرب وساحات المعارك ، وعن التسليح ، وعن المخابرات ، وعن الخطط ٠٠ بما يناسبها من ألفاظ جديدة ، منحوتة ، أو تولدت خلال المعارك، وبعدها ، أو أطلقت للدلالة على ألوان السلاح الجديد٠٠ وحيث نترك المجال هنا لبعض المتخصصين ، ننقل عنهم أقوالهم التى تتصل عن قريب بهذا الموضوع ٠٠ ان أحد هؤلاء يقول مركزا على الأسرة ١٨ : « ٠٠ بل لقد ظهرت صيغ مبتكرة جديدة ، استخدمت فى المدونات والنصوص الحربية » (٢٦) ٠ ويستشهد مفسرا : « ٠٠ كما استخدم الكتاب المصريون أساليب جديدة للتعبير باختصار عن وصف المعارك الحربية التى خاضها الملوك ضد الأعداء ، بكل ما فى تلك المعارك من أوصاف ومعلومات وأخبار ، مع مراعاة الايجاز الشديد ، لكى تتناسب الكتابة مع حجم ومساحة النصب الحجرى التذكارى أو الجدار الذى ستدون عليه ٠٠ ولقد ظلت هذه الصيغ والأساليب الجديدة مستخدمة فى هذا الغرض طوال فترة الامبراطورية المصرية ، بل واستمر استخدامها حتى عصر الأسرة السادسةوالعشرين»(٢٧)

— ويقول فى موضع آخر ٠٠ عن هذه المفردات الجديدة التى ظهرت فى حقل الاعلام العسكرى أولا ٠٠ ثم اضيفت الى القاموس المصرى بعد ذلك ٠٠ « ٠٠ وقد أدى استخدام ألقاب الشرف ، ومنح الأنواط والميداليات سواء لرجال السلك العسكرى العاملين بالخدمة ، أو الذين انيط بهم تولى المناصب الادارية المدنية بعد ترك الخدمة ، أو لكبار الموظفين المدنيين العموميين الى ظهور تعبيرات مجازية ، غيرت من طابع وأسلوب اللغة المصرية بشكل غير مسبوق من قبل ٠٠ فقد دخلت على اللغة تركيبات وأوصاف وتشبيهات جديدة ، لم تكن مستخدمة من قبل ، فى وصف وتمجيد شجاعة الجيش وحسن أدائه » (٢٨) ٠

ونكتفى بهذا القدر ، وننتقل الى موضوع آخر هو :

الفصـــل الثــالث

الاعــــــلام المتخصــص

أولا : الاعلام المتخصص ·· ماذا نعنى به ؟

·· حتى نصل الى درجة أخرى من درجات الاعلام ، كما نعرفه اليوم ·· ترى هل عرفته مصر القديمة أيضا ، على أى شكل من أشكاله ، أو نوع من أنواعه أو نمط من أنماطه ؟ ذلك هو الاعلام ، الذى يرتفع بمستواه ، ومضمونه ومادته ·· أكثر من درجة واحدة ، عن النوع الأول ·· ويرتفع درجتين أو ثلاثا عن النوع الثانى ·· ومن ثم فلا يعنى به ، الا من يقدر ، ويستطيع ، ويملك ما يصل بينه وبين أنواعه وأنماطه وأدواته وأساليبه ·· وهكـــذا ·

— فاذا كنا قد قلنا فى كلمات سابقة ، ان النوع الاول ، أو المستوى الأول من أنواع أو مستويات الاعلام ·· هو ما يمثله « **الاعلام العام** » ·· الاعلام الذى يتوجه به ، أو يقدم الى « الكـل » ·· الجميع ·· الكافة ·· الجمهور بجميع فئاته ومستوياته وطبقاته ·· ما بين غير متعلم أو غير مثقف ، ونصف متعلم ومتعلم ، ومتخصص دقيق يحمـــــل أرقى الدرجات العلمية ·· حيث يضع مادته لتكون فى خدمة هؤلاء جميعا ، بصرف النظر عن درجة استجابة وعناية كل من هؤلاء بمادة أو بأخرى ، بمايتناسب مع مستواه واهتماماته ··

— واذا كنا قد ذكرنا كذلك فى كلمات سابقة أن المستوى الثانى من مستويات الاعلام هو ما يمثله « **الاعلام المهتم** » ·· أو اعلام « **التخصص العــام** » أو اعلام « **الاهتمام الخاص** » بما يعنيه من تناوله لموضوعات قـــد لا تجد عناية كبيرة من جميع الفئات ، وانما من بعضها ، اضافة الى ارتفاع مستوياته فكرا ومضمونا وتعبيرا ولغة عن الاعلام السابق ·· دون أن يتعدى ذلك درجة الاهتمام الخاص ··

ـــ اذا كنا قد قلنا ذلك فان الأمر يختلف بالنسبة لهذا المستوى الثالث من مستويات الاعلام ٠٠ انه ليس اعلاما للعامة ، أو للمهتمين ٠٠ وان استرعى أحيانا أنظار بعض هؤلاء ، من ذوى المستوى الثقافى الأكثر ارتفاعا من غيرهم ، أو بعض الذى يعدون أنفسهم للانتقال من الاهتمام الى التخصص ، لكنه قبل أى شىء آخر ، ذلك النوع من الاعـــلام الذى يتوجه به مقدموه وصناعه الى هذه الفئة التى تكون قد عبرت الجسر الذى يصل بين الاهتمام الخاص ، الى التخصص الكامل ، والدقيق ، والمتميز أيضا ٠

ـــ ومعنى ذلك أن جمهوره يكون جمهورا له ملامحه الخاصة التى من أهمها ، أنه أقل حجما وعددا من جماهير النوعين السابقين ٠٠ وأنه يعتبر دارسا ، ومتابعا لحقله أو ميدانه ، وأنه تحكمه لوائح ونظم وتقاليد هذا الحقل الذى لا يشاركه فيه غيره ٠

ـــ ومعنى ذلك أيضا ، أن يتميز اعلامه بما يعكس هذه الصور كلها ٠٠ التوجه للقلة المتميزة والمتخصصة بواسطة أدوات وأوعية ووســـائل اتصالية مناسبة تحمل فكرا خاصا بهؤلاء ، وقد تصلهم عن طريق قنوات معينة ومحددة ٠٠ تحكمها هى الأخرى ، لوائحه ونظمه وتقاليده ٠

ـــ على أنه لا يمنع بالطبع ٠٠ أن يكون هناك الموضوع الواحد ، الذى تتناوله هذه الانماط المرتبطة بهذه المستويات الثلاثة من مســـتويات الاعلام ٠٠ كل حسب رؤيته وفكره وأسلوبه الخاص ، وبطريقته الخاصة ، التى تتوجه الى القارىء العام ، أو المهتم ، أو المتخصص ٠٠ وعلى سبيل المثال لا الحصر خبر مرض غريب يصيب الطيور الداجنة ، قد تنشره الصحف العامة كخبر عادى ، لكن مجلة مهتمة بالطيور تركز عليه تركيزا شديدا ، الا أن هذا التركيز الشديد نفسه الذى تقدمه مجلة « هــــواة الطيور » أو المهتمين بها ، يختلف عن الدراسة العلمية التى تنشرها مجلة معهـد علمى ـ كلية الزراعة مثلا ـ لأحد أساتذة الدواجن ، وبالمثل خبر اختراع طائرة جديدة أسرع من الصوت تنشره صحيفة عامة ، كخبر من الاخبار ، لكن مجلة لهواة الطيران تبذل عناية أكبر فى نشر تفاصيله وصــــوره ، أما الدورية الخاصة بالطيران ـــ العلمية المتخصصة ـ فسوف يكون لها معه شأن آخر ٠٠ فى اطار دراسات علمية دقيقة توجه لقرائها من المتخصصين وحدهم ٠٠

وهكـــذا ٠٠

ترى هل عرفت مصر القديمة ، هذه الألوان كلها ، ولكن كيف ؟

ثانيا : في معرفة مصر القديمة بالاعلام المتخصص ؟

أما المعرفة بهذا اللون من الاعلام ٠٠ الاعـــلام المتخصص العلمى الدقيق ، فلابد أنها كانت موجودة وقائمة٠٠ولكن لماذا ؟ وما دليلنا علىذلك؟

ـــ ٠٠ أولا ، لأن التقدم العلمى كان واقعا تقول به كل الشواهد ، واعترف به الجميع ٠٠ كما اعترفوا بالمستوى المرموق الذى وصلت اليه مصر فى تخصصات علمية كثيرة ٠٠ والاعلام عن هذه « النهضة » وعن « تقدم العلوم » ٠٠ يعتبر بالنسبة لمثل هذه الحالة التاريخية بمثابة أمر بديهى ، وتحصيل حاصل ٠٠ والا ما وصلت الينا معالمها ٠٠ بصورها المتعـــددة ٠

ـــ ولأنه قد ثبت فى مواقع أخرى كثيرة ، وفى أزمنة عديدة ٠٠ أن « الاعلام العلمى »يعتبر لازمة من لوازم تطور العلوم ، وتقدمها ٠٠ يسير بحذائها ، ويواكبها ٠ ويتحدث عنها ويحدث بها ٠٠

ـــ لأن « العلم » المصرى ، لم يكن علما نظريا فقط ، أو كان علما من أجل العلم وحده ، أو كان نوعا من الترف الذى تمارسه قلة قليلة ، ولكنه كان علما مجتمعيا نافعا للانسان والتنمية والتقدم ٠٠

ـــ ثم ٠٠ لأن الشواهد نفسها تقول بوجوده ، أو على الأقل ، ما وجد منه وكشف عنه حتى الآن ٠٠ مما تحدث عن مختلف جوانب هـــذه النهضة العلمية ٠٠ بأسلوب المعرف بها ، المصور لها ، المعلم عنها ٠

ثالثا ـ من الأقوال الدالة على تقدمهم العلمى :

٠٠ واذا كانت السطور القادمة فى مجموعها باذن الله ، سوف تركز على جوانب هذا التقدم الاعلامى من خلال تناولها لأنواع ومعالم وخصائص الاعلام عنه ٠٠ فاننا نستفتح هنا بالاشارة الى عدد من الأقوال ، التى تؤكد

هذا التقدم ، الذى قلنا أن الاعلام عنه ، والأخبار به ، ونقله الى عيــون وأسماع الحاضر والمستقبل كان لازمة ضرورية له ٠٠ ان من بين هـــذه الأقوال على سبيل المثال لا الحصر :

— ان ول ديورانت يقول فى بعض سطور سفره الأشهر : قصـــة الحضارة : « ٠٠ وكان فن الهندسة عند المصريين أرقى من كـــل ما عرفه اليونان أو الرومان أو عرفته أوربا قبل الانقلاب الصناعى ٠٠ وحتى فى هذا القول الاخير قد نكون مخطئين » (٢٩) ٠

— وفى موضع آخر ينقل المؤرخ الكبير قول بسكال الذى جاء فيه عن أجدادنا : « اذا فاضلنا بين قدرة المصريين الفنية وقدرتنا نحن ٠٠ تبين لنا أننا كنا قبل اختراع الآلة البخارية لا نكاد نفوقهم فى شىء » (٣٠) ٠

— ويذكر هيرودوت : « وهم فى العلم يتفوقون كثيرا على كـــل الشعوب التى خبرتها » (٣١) ٠

٠٠ ويضيق بنا المقام ٠٠ لو نحن حاولنا حصر ، وتسجيل جميع أقوال أمثال هؤلاء من العلماء والمؤرخين ٠٠ الدالة على السبق المصرى العلمى ، والريادة فى مثل هذه المجالات فحسبنا ما ذكرنا ٠٠ ولننتقل الى موضوع آخـــر هو :

رابعا : أنواع من الاعلام المتخصص فى مصر القديمة :

شاء الله أن يشرق نور العلم على هذه الديار ، وأن تكون فى مقدمة أمم الأرض بحثـــا وتنقيبا وسعيا ودرسا ٠٠ لتسير هذه الرغبة القديمة فى المعرفة ٠٠ فى اتجاه خدمة الانســـان والمجتمع ٠٠ والبشرية كلهـــا ، لا سيما فى مجالات عديدة أجادها المصرى القديم ٠٠ بفكره وادراكه العلمى، وبحسه ووعيه ، تماما كما أجاد التعريف بها ، والاعلام عنها خدمة للاجيال المعاصرة له ، أو التالية له معا ٠٠ وحيث أصبحت مصر مالكة لهذا النوع الغزير من « الاعلام العلمى » لا سيما فى مجالات الفلك والهندسة والعمارة والزراعة والتحنيط والعسكرية والطب والصناعة والتعدين ٠٠ وما اليها ، وبفروعها المختلفة ٠٠

وبطبيعة الحال ، فانه لن يمكننا أن نتوقف عند اعلامهم بما وصلوا اليه فى هذه المجالات كلها ، والصور والمشاهد العديدة المرتبطة بكل مجال منها٠٠فحسبنا هذين المجالين نقدمهما علىسبيل المثال لا الحصر ، بما يرتبط بهما من معالم وملامح وخصائص اتصالية ٠٠ انهما :

المبحث الأول

الاعــلام الزراعى المتخصص

(أ) مدخل أساسى ـ النيل والزراعة ٠٠ صورة حضارية :

٠٠ بفضل النيل ٠٠ وعلى أثر الحقب التى عاشها المصرى القديم (جدا) ٠٠ صيادا ، ثم راعيا ٠٠ عرف الزراعة وأصبح منذ العصر الحجرى الحديث ٠٠ فلاحا يعرف كيف يعتمد على أرضه وحيوانه ٠٠ « فقد عرف أن أهالى مرمدة بنى سلامة والفيوم كانوا أول زراع ومن أوائل من استأنسوا الحيوان ، فزرعوا القمح والشعير والدخن والكتان ، وعنوا بتربية الثيران والأغنام والماعز والخنازير ، وربما كانت معرفتهم بالزراعة وانتاج الغذاء ترجع الى عهد غاية فى القدم ، وتتميز حضارة جرزة بتقدم كبير فى الزراعة ٠٠ » (٣٢) ٠

٠٠ ثم تمضى الحياة ، والزراعة المصرية تزيد من أهميتها واعتماد المصرى عليها ، من عصر الى عصر ، ومن حقبة الى حقبة ، والنيل يتغلغل فى وجدان المصرى ، كشريان رئيسى للحياة ، تتأثر به ارتفاعا أو انخفاضا ، حتى أصبحا ـ النيل والزراعة ـ أهم صفحات كتابها وأبرز المؤثرات فى تكوين حضارتها ، بكل جوانبها ، حتى الدينى والهندسى والاجتماعى والعسكرى منها ٠٠ ولكن كيف ؟

● ٠٠ فعلى سبيل المثال لا الحصر٠٠فقد ربط أجدادنا بين الزراعة والدين ، فذكروا ضمن ماذكره أن « أوزيريس » هو الذى علمها لهم ، كما كان هو أيضا الذى علمهم استئناس الحيوان وربط الثور بالمحراث ، كما اختار لهم الشعير ـ وكان فى الأصل نباتا بريا ـ لزراعته فى أراضيهم ٠٠

● بل وتعددت المعبودات التى ترمز بطريقة مباشرة أو غير مباشرة الى الزراعة ، والفيضان ، وخصوبة الأرض ·· وما اليها ، وكان من بينها على سبيل المثال لا الحصر ومما سنتوقف عنده باذن الله :

— أبيس : رب خصوبة الأرض الذى عبد على هيئة العجل فى منف منذ عصر الأسرات المبكر ·

— حابى (حعبى) : المعبود الذى يدفع بمياه النيل وفيضانه ·

— رننوت : الهة الحصاد وأم اله المحاصيل نبرى ·· عبدت بالفيوم ·

● **·· والزراعة فى مصر ، تقف من وراء عدد كبير من التطورات الحضارية ·· ومن أهمها :**

— أنها هى التى أغنت المصرى القديم فى العهود السحيقة عن التنقل وراء المراعى ، ومن ثم استقر بأسرته بجوار الأرض ·· واستقرت بجواره أسرات أخرى تكونت منها القرى المصرية الاولى ·· التى ترتبط بالارض وتدافع عنها ·· ثم تحولت هذه الى المدن ·· فهى اذن صاحبة أكبر تطور حضارى مجتمعى مصرى ··

— ثم انها هى التى أشعرتها بالحاجة الى اقامة القنوات وشق الترع وتطهيرها فبدأت معرفتهم بهندسة الرى ·

— ثم تعلموا كيف يقيمون الجســـور فى مواجهة الفيضـــان ، ويحسبون حسابه ، ويقومون بتقويتها من عام الى عام ، وكلما اقترب موسم الفيضان الجديد (هندسة رى أيضا) ·

— ثم تعلموا كيف تكون أكواخ القرية أكثر قوة · لتواجه الفيضان المدمر ·· ثم كيف يشيدونها بمواد جديدة ـ كالطين والاحجار ·· وكيف يقيمون أمامها السدود الصغيرة ·· وكيف يرفعونها الى اماكن لا تصلها مياه الفيضان (هندسة رى وعمارة معا) ··

— والسنة قسمت الى ثلاثة مواسم أو فصول للفيضـــان والبـــذر

والحصاد ، فكانت بداية للتقويم القديم ، القبطى بعد ذلك ، والذى لا يزال يستعمل حتى اليوم عند بعض الفلاحين ٠

ـــ والرغبة فى محصول أكثر وفرة دفعت الى التوصل الى أكثر من أداة جديدة ، حجرية ونحاسية معا ٠

ـــ والأوانى الفخارية ٠٠ وما طرأ عليها من تغييرات فنية عديدة، صنعت أولا لحفظ الحبوب والبذور والزيوت ٠٠

ـــ والقوارب النيلية ٠٠ عرفت أولا لنقـــل الأدوات الزراعيـــة والمحاصيل من مكان لآخر ٠٠ مما كان سببا فى نشأة الملاحة النيلية ٠٠ والتجارة التى تعتمد على النقل البحرى معا

ـــ ٠٠ وحتى عقيدة البعث ، أو الخلود ٠٠ أبرز المعتقدات الدينية المصرية القديمة على الاطلاق ٠٠ هناك من يقول أن سبب نشأتها الموغلة فى قدمها ، هو ملاحظة المصرى القديم لنمو النبات وحياته بعد دفنه فى التربة ٠

● ٠٠ بل ان درجة خصوبة الأرض ، شدة أو ضعفا ، وما يتصل بذلك من قربها أو بعدها عن النيل وارتفاعها أو انخفاضها بما يتصل بسهولة أو صعوبة وصول المياه اليها ٠٠ الى جانب نشاط ومهارة الفلاح ٠٠ كان ذلك وراء عدد من التحولات الاقتصادية ٠٠ التى أثرت على واقع الشعب المصرى تأثيرا كبيرا ٠٠

ـــ فهى تتحكم فى درجة ثراء أو فقر المصرى القديم ٠

ـــ وهذه بدورها أسفرت عن وجود الطبقات الاجتماعية العديدة٠

ـــ بل وكانت وراء نشأة التجارة فى المحاصيل المختلفة بعد أن يحقق منها المصرى حاجته ، ويجد عنده فائضا كبيرا منها ٠

ـــ ودفعت ببعضهم الى أن يكون علما فى مجتمعه الصغير ، يتمتع بما يتمتع به الأثرياء من أبهة ورفاهية ينفقون منها على معابد الآلهة ، وعلى الفن ، وعلى مقابرهم ، والعكس صحيح أيضا ٠

● ٠٠ بل اننا نستطيع أن نقول ، أن الحروب المصرية ، كبيرها ، وصغيرها ، كانت فى أحوال كثيرة منها بسبب هذا العامل الزراعى نفسه بشكل من الأشكال ، الى جانب عوامل أخرى بالطبع ، لكن العامل الزراعى المتمثل فى خصوبة بعض القرى ـ قبل عهد الأسرات ـ ثم فى مطامع البدو الذين كانوا يغيرون على البلاد من الشرق والغرب ٠٠ كانت خصوبة أرض مصر ، وكان ثراؤها ٠٠ وكان الطمع فيهما ، يقف من وراء هذه الغزوات العديدة ٠٠ ومن ثم فقد كانت تقوية البلاد ، وانشـــاء الجيوش ، واقامة التحصينات ، من أجل الحفاظ على هـــذه الثروة المتمثلة فى أرض مصر ونيلها وخيرها ٠٠

● ٠٠ بل اننا فى واقع الأمر لا يمكننا فصل نشأة النظام الادارى فى مصر ، بقوانينه ولوائحه وموظفيه وضرائبه ، وجباته وحكام مقاطعاته٠٠ واقطاعياته التى يمنحها الملك ٠٠ لا يمكننا فصل ذلك عن الوضع الزراعى فى مصر ، بما يتصل ، ويرتبط ويتفرع عنه من قوانين ونظم مالية وضريبية وادارية ٠٠ بل وسياسية أيضا ٠

ونتوقف عند هذا الحد من تناولنا لجانب أثر الزراعة والنيـل على الحضارة المصرية ٠٠ تلك التى كان لابد من الاعلام بها ، ونقل صورها ومشاهدها ٠٠ وننتقل الى موضوع آخر هو :

(ب) الاعلام الزراعى ٠٠ أكثر من نوع :

ونظرا لتعدد موضوعات الزراعـــة المصرية ٠٠٠ تلك التى تعكس تعدد الاهتمامات الزراعية نفسها ، وتعدد الجوانب والزوايا ، بل والعلوم المتصلة بها ، بطريقة مباشرة وغير مباشرة ٠٠ بما أسفر عن هذا الكم الكبير من « المادة الزراعية » علمة ومهتمة ومتخصصة ـ ومع تركيزنا على الجانب الأخير قبل غيره ـ نظرا لهذا التعدد الموضوعى ٠٠ فاننـــا نلمح الى أن التعريف به ، والاعلام عنه ، تماما كغيره من الأنواع السابقة ، قد اتخذ له عدة صور وأنماط اتصالية ، ترتبط بأكثر من نوع فرعى منه ، نتوقف عندها أولا ، قبل توقفنا عند صورها وأنماطها ، وخصائصها أيضا ٠٠ ترى ماهى هذه الأنواع نفسها ، تلك التى تسير فى خط متـــواز ٠٠ وبحـــذاء هـــذه الموضوعات الزراعية كلها :

١ ـ الاعلام الخاص بالنيل وأثره الزراعى والعام (الحضارى) :

·· واذا كان النيل هو « الحاضر الغائب » فى الاعلام المصرى اليوم اللهم الا فيما ندر ·· فقد كان التعريف به ، والاعلام عنه ، وتناوله بما يرتبط به يمثل أحد الجوانب الغالبة على الاعلام المصرى القديم ·· والذى يتصل اتصالا وثيقا بالاعلام الزراعى ·· وكان أبرز ما قدمتــه أدوات وأوعيــة الاتصال خلال هذه الأوقات من مادة متخصصة ـ فى مواجهة المادة الاعلامية العامة المتمثلة على وجه الخصوص فى المناسبات والحفلات المرتبطة به ، وفى عبادته وفى العناية به وبنظافته ـ كانت هذه تتمثل فى الآتى :

ـــ المادة الخاصة بأصل النيل ومنبعه (بعضها يتحدث عن أنه ينبع من الجزيرة الجنوبية المسماة بيجه ، وبعضها الثانى يذكر أن منبعه عند جبل السلسلة ، وبعضها الثالث يذكر أنه ينبع من جبل القمر ·· الخ) ·· أكثرها يوجد فى جزر فيلة والفنتين (*) ·

ـــ المادة الخاصة بفيضان النيل ·· وهى مادة منتشرة فوق أوعية عديدة ·· حتى متون الأهرام أشارت اليها (تضطرب القلوب خوفا عند تلاطم أمواجك يا حابى وتضحك الحقول وتزدهر الضفتان) ·· لكنها مادة « وصفية » فقط ·· ولم تعلل سببا للفيضان ·

ـــ المادة الخاصة بوصف النيل لا سيما فروعه السبعة التى كانت قائمة فى هذه الأوقات وتحـــدث عنهـا « هيرودوت » ·· وهى فروع : البوبسطى ـ المنديسى ـ التانيتى ـ السبنيتى ـ البلبتينى ـ الكانوبى » ·

ـــ المادة الخاصة بضــبط النيل ومراقبته والتبليغ عن ارتفاعه وانخفاضه ، ويتصل بها أيضا المادة التى تتناول المقاييس التى أقاموها لمعرفة منسوب المياه فى الأوقات المختلفة لا سيما الفيضان ·

(*) نقدم هنا التفسير العلمى الذى كان معروفا ، وهو غير التفسير (الشعبى التراثى) القائل بأن النيل ينبع ويفيض من دموع ايزيس على زوجها الشهيد ، أو من عرقه ·· واضح انه ثبت بعد ذلك عدم صحة هذه التفسيرات كلها ·

— الاعلام الخاص بأثر النيل السياسى والادارى ·· وهو اعلام قديم جدا ·· يعود الى تلك الافكار الخاصة التى تتحدث عن ضرورة وضع النهر لأهميته وارتباط حياة المصرى به منذ القدم تحت اشراف موحد ومركز ، والتى أسفرت عن الوحدة السياسية ·· تلك التى كانت فى جوهرها رد فعل لهذه الضرورة ، بشكل أو بآخر ··

وكذا المادة المماثلة التى تقول بضرورة وجود نظام ادارى ثابت يقوم على أساس من تنظيم الاشراف على استغلال النيل الاستغلال الأمثل لاسيما ما يتصل بشق الترع واقامة الجسور ، وحماية الرى بصفة عامة ، وما يقوم على ذلك من زراعة الأرض وتعهد المحاصيل وجمعها وتخزينها واطعام الناس وما الى ذلك كله ·

الى غير هذه كلها من صور ومشاهد اعلامية ترتبط بالنيل وأثره · ·

٢ ـ الاعلام الخاص بالتقويم الزراعى :

·· وهو ما يعتبر امتدادا فى نوعيته وأهميته للاعلام السابق ، وقد كان الهدف من الدراسات القديمة جدا للسماء بما فيها من أجرام سماوية ، وما اتصل بها من عمليات مراقبة ورصد وتحديد ·· كان الهدف مرتبطا فى البداية بالنيل ، وتحديد زمن فيضانه ، والربط بين هذه وبين الفصول الزراعية المختلفة وحيث أسفر ذلك كله ، لا سيما ما قام به كهنة وعلماء مدينتى (أون ومنف) ·· وغيرهما عن وضع التقويم الزراعى الذى يسترشد به الفلاح خلال العام كله ·· بما يتصل به من فصول السنة وشهورها وعدد أيامها ·

— فالفصول هى فصل الفيضان (أخت) وفصل البذور وبدء الزراعة (برى) وفصل الحصاد (شمو) ·· وكل منها أربعة أشهر تتفق مع وضع أو طابع مياه النهر ومن ثم ترتبت عليها ألوان زراعتهم ·

— ولاحظوا أن شروق الشمس فى ذلك اليوم الذى يصل فيه الفيضان الى منف وأون (هليوبوليس) فاعتبروا ذلك رأسا للعام ، كما اعتبروا

السنة ٣٦٥ يوما قسموها الى اثنى عشر شهرا بأسماء معبوداتهم ٠٠ ثم اطلقت عليها فى العهد الفارسى الأسماء الحالية (وهى مصرية قديمة أيضا)٠

ـــ فالسنة الزراعية تبدأ باليوم الأول من شهر توت ـ ١١ أو ١٢ سبتمبر : النيروز الفارسى أو اكليل أو تاج السنة بالمصرية القديمة ـ ثم تتوالى الاشهر الزراعية على نحو :

توت : شهر الاله توت (أبو منجل ـ ايبس) ٠٠ كما أنه اله العلم والحكمة والمعرفة ٠

بابه : أى عيد الاله آمون فى طيبة واسمه (أبه) ٠

هاتور : ومعناه حتحور ربه الخصب والجمال ٠

كهيك : شهر كهاكا ، عيد قديم (عيد تآلف الأرواح) ٠

طوبة : عيد القمح ومعناه الأعلى أو الاسمى ٠

أمشير : البعض يقول تبعا لـ « مشير » اله الريح والعواصف والبعض الآخر من المؤرخين لا يؤكد ذلك ٠

برمهات : بالهيروغليفية بامونت اله الحرارة التى تنضج المحصول ٠

برمودة : آلهة الحصاد ، ويقال اله الموت ، لانتهاء وقت جنى المحصول ٠

بشنس : اله الظلام الذى يضيئه القمر ٠

بؤونه : اله المعادن ، أو وادى الحجارة بطيبة (عيد جبانة وادى الملوك) ٠٠ ليلة ١١ منه توافق نزول النقطة (بشير بدء الفيضان) ٠

أبيب : بالهيروغليفية (هوبا) ٠٠ ذكرى انتصار اله الشمس هوديس لأبيه أوزوريس (النيل) على (ايفون) ٠٠ أى التحاريق ٠

مسرى : ابن رع اله الشمس ٠٠

٠٠ ويبقى أن المادة الاعلامية الخاصة بهذه كلها ، قد ظهرت ضمن محتويات وسائل وأوعية عديدة ، بعضها قديم جدا ، وبعضها وسيط وبعضها الثالث حديث ، ومن أهمها اللوحات العديدة فى منف وأون وفى معبد الرمسيوم بطيبة ومعبد دندرة بقنا وفى مقبرة (مرروكا) بسقارة ـ الأسرة ٦ ـ كما أن من المعروف أن أسماء المدن المصرية الكبرى قد أطلقت على الكواكب ٠

٣ ـ الاعلام المهنى الزراعى (*) :

أقرب أنواع الاعلام الزراعى المتخصص الى الاعلاميين المهتم ، والعام كما أنه يحتل أكبر مساحة من هذا النوع من أنواع الاعلام ٠٠ من تلك التى تتمثل فى الوسائل والاوعية الاتصالية المختلفة ٠٠ انه ذلك الذى يتناول موضوعات عديدة تتصل بهذه الأغراض كلها ، وحيث يمكن تقسيمها الى :

● الاعلام الخاص بطرق وأساليب مهنة الزراعة ٠٠ ويشمل ما كتب عن خطوات العمل بعد جفاف الأرض وانحسار مياه الفيضان (الحرث والتسميد والعزق وبذر الحبوب وتعهدها بالرى والعناية بها حتى الحصاد ـ دراسة المحصول ـ التذرية ـ الغربلة ـ والتنقية ـ الكيل ـ التسجيل ـ النقل ـ التخزين فى صوامع الغلال ذات الاحجام المناسبة) ٠٠ الى غير ذلك كله مما ظهر على لوحات وجدران مقابر عديدة لا سيما (مرر وكا بسقارة ـ نخت بطيبة ـ بحيرى أو باحرى بالكاب ـ تى بسقارة ـ بنى حسن بالمنيا) ٠٠ الخ ٠

● **الاعلام الخاص بعمل وطرق استخدام أدوات الزراعة والرى** لا سيما هذه الأدوات القديمة الباقية الى اليوم ومن أبرزها : (الفأس ـ المحراث ـ المنجل ـ النورج ـ المذراة ـ السكين ـ الشادوف ـ الجرار ـ الدلو ـ الساقية ـ الآبار وحفرها ـ شق الترع) ٠٠ وقد ظهرت هذه كلها فى مختلف المصادر القديمة ، وبعضها ظهر فى النقوش الهيروغليفية الأولى كالفأس والسكين ٠٠ كما عرفتها المقابر السابقة وغيرها فى سقارة ودراع أبو النجا وادفو وميدوم وتونا الجبل (ساقية الدلاء) ٠٠ الى غير هذه كلها ، كما وجد بعضها داخل هذه المقابر نفسها أو فى غيرها ٠٠

● **الاعلام الخاص بالبستنة والحدائق العامة والمنزلية وحدائق**

(*) كان اعتمادى كبيرا فى كتابة هذه السطور على مصادر عديدة عربية وأجنبية من أبرزها : (جان يويوت : مصر الفرعونية جون ولسون : الحضارة المصرية ـ ول ديورانت : قصة الحضارة ـ الن شورتر : الحياة اليومية فى مصر القديمة ـ مقال د٠ نجيب ميخائيل عن الزراعة المصرية فى كتاب تاريخ الحضارة المصرية) ٠٠ كما أفدت كثيرا من المرجع القيم : « الثروة النباتية عند قدماء المصريين » لوليم نظير٠

المعابد والقبور : وقد عرف المصريون أيضا زراعة البساتين والحدائق التى كانت تنتشر فى المدن ، أو تحيط بمساكن الأثرياء وعامة الناس والمعابد ٠٠ والقبور أيضا كانت لها حدائقها وكان لهذا النوع من أنواع الزراعة طرقه وأساليبه الخاصة غير التقليدية التى برعوا فيها ٠٠ لا سيما وهى ترتبط بعنصر الجمال والنظافة وحب التريض والاحتفالات بالاعياد التى كانت تقام فيها - البساتين - وكذا بالاحتفالات التى تقام بقصور الملوك والملكات ، والأمراء والاميرات ، والأثرياء والقادة ٠٠ والمعابد والقبور أيضا ٠٠ وكانت هذه تتمثل فى تخطيط الحدائق ، وتنسيقها واقامة أحواض الزهور ونافورات المياه وأنواع الأشجار والنخيل الخاصة - وبعضها يجلب من الخارج خصيصا لهذه الحدائق ٠٠ الى جانب اقامة أماكن الجلوس والمنتجع الهادىء فى ظلال الاشجار أو بعض نباتات الزينة المتسلقة ٠٠ مما يزيد المكان جمالا ٠٠ اضافة الى وضع بعض التماثيل والطيور المائية فى بركة الحديقة ٠٠ كما كان بالحديقة ذلك الجزء الخاص الذى يمد المنزل بحاجاته من الخضر ٠٠ وكانت الحدائق الخاصة بالمنازل والقبور ، من مفاخر المصرى القديم ٠

وقد أخبر المصريون عن ذلك كله ، وحملت الينا صحائفهم القديمة ما يتصل بهذا النشاط لا سيما فى مقابر (اننى - متن - اخناتون - من - رخمى رع - خم - مكت رع) ٠٠ وغيرها كثير وجد فى مقابر المشاهير والأثرياء ، وكبار الزراعيين ، بل ومما اتصل بقبور بعض الأعزاء الذين أقام لهم أولادهم أو أزواجهم الحدائق المحيطة بقبورهم ٠٠ امتدادا لعقيدة البعث، حيث كان يظن أن روح الميت تخرج للتنزه حول المقبرة !!

● **الاعلام الخاص بالصناعات الزراعية والريفية :** وعلى هذا النشاط الزراعى المحصولى الكبير كانت تقوم عدة صناعات مهمة تمثل لونا من ألوان النشاط المهنى الصناعى الحرفى الزراعى المتميز كما تمثل عائدا اقتصاديا كبيرا ٠ يصب فى جيب صاحب الأرض، والعامل الزراعى، والفلاح ٠٠ معا ٠٠ وكان أغلب هذه الصناعات ، اما يقوم على المحاصيل والمنتجات الزراعية والحيوانية ، أو على المواد البيئية ٠٠ الشائعة أو المنتشرة فى مكان أو آخر ٠٠ ومن ثم فقد عرف هؤلاء ، هذه الصناعات ، والمنتجات كلها : (السلال - الحصير - الحبال - الأقفاص - الشباك - الغرابيل - أدوات الزراعة والرى - أغطية رأس الفلاح - منتجات الالبان - الصباغة -

الجعة ـ النبيذ ـ الورق ـ الدباغة ـ عصير الزيوت ـ تجفيف الفاكهة) ‥ وغيـــرها ‥

٤ ـ **الاعلام الخاص بالمحاصيل الزراعية :** وهو المتصل بطرق زراعة المحاصيل المهمة ، من ذات الأثر الكبير على الواقع المصرى اقتصادا وطعاما معا ‥ وأساليب العناية بها ، ونقلها وتخزينها والدفاظ عليها ، والتجارة فيها أو اقتصادياتها ‥ وهذه المحاصيل تنقسم الى هذه الأنواع كلها ، كما جاء ضمن ذكرهم لها ، وحديثهم عنها :

● **المحاصيل الحقلية :** مثل القمح وقد جاء ذكره منـــذ الأسرة الخامسة (برت ـ قمحو) ‥ كما ثبت أن مصر قد عرفته منـــذ العصر الحجرى ووجد بعضه فى مرمدة بنى سلامه ودير تاسا وأرمنت والبدارى والفيوم والمعادى ‥ وفى أماكن أخرى كثيرة من عهود مصرية مختلفة ‥ وقد تحدثت عنه جدران المقابر السابقة المختلفة ‥ ومثل الشعير الذى يرجح بعض المؤرخين أنه أول الحبوب التى عرفتها مصر « وكان يعتبر المحصول الرئيسى لمصر العليا واستخدم فى الأكل منذ العصر الحجرى الحديث ووجد فى القبور مختلطا بالقمح ـ أمر ـ طوال العصور الفرعونية » (٣٣) ‥ وقد وجد فى قبور وقدور عديدة ، وفى توابيت لبعض الملوك ‥ وكذلك الحال بالنسبة للذرة الرفيعة والبقول لا سيما الفول الذى ذكر ما يتصل بزراعته ونقله وتخزينه على جدران مقبرة « رخمى رع » التى سبقت الاشارة اليه واليها أكثر من مرة ‥ ومثل العدس واللوبيا والبسلة والحمص وغيرها ‥ الى جانب النباتات الزيتية كالزيتون والخس والخروع والكتان والسمسم والقرطم وغيرها ٠

● **نباتات الألياف :** تلك التى عرفوها كذلك منذ أقدم العصــــور ، واستخدموها فى حياتهم اليومية وكان من أهمها القطن والكتان والبردى، ‥ واذا كنا سوف نتوقف باذن الله عند النبات الأخير فى موضع قادم ، فاننا نقول عن النباتين الأولين ‥ أما القطن فهناك اختلاف حول معرفة قدماء المصريين له ، حيث لم يثبت حتى الآن بصفة قاطعة معرفتهم به فى عهد الدولة القديمة أو الوسطى ، وأن كان من المرجح أن يكونوا قد (استجلبوه) بعد ذلك ، حيث تذكر المصادر ، وتوضح الآثار ذلك ، لا سيما تلك التى تعود الى

نهاية عهد الأسرات ٠٠ أما الكتان فهو على حد قول أحد المتابعين : « من أقدم النباتات التى كانت تزرع فى مصر منذ عصر ما قبل التاريخ ، والمصريون القدماء أول من زرعوا الكتان وغزلوه واستخدموا أليافه فى صـــــناعة المنسوجات ـ وقد عنى القوم به عناية لدرجة التقديس وكانوا يعتقدون أن الاله أوزيريس قد كفن بنسيج الكتان بعد موته »(٣٤) ٠٠ وقد أخبر هؤلاء عنه ، وعن زراعته والصناعة القائمة عليه ، فى مصادر عديدة من أهمها مقابر بنى حسن وصا الحجر وتل الفراعين وخمنو (اخميم) والعرابة المدفونة وبوتو ودندرة وغيرها ٠

● **المحاصيل البستانية :** كالفاكهة ومن أهمها البلح ـ مقبرة رع رو وبتاح حتب ورخمى رع ومعبد حتشبسوت بالدير البحرى وغيرها ـ والدوم والتين والعنب ـ مقابر الدولة الحديثة بطيبة ومقبرة خع أم واست بدراع أبو النجا ـ والرمان الذى وردت أكثر من اشارة اليه والى فوائده فى معبد الكرنك ودير المدينة بطيبة ، وكذلك الحال بالنسبة لألوان الفاكهة الأخرى التى عرفها المصريون القدماء مثل الخوخ والمشمش والتوت والخروب ٠٠

٠٠ وبالمثل عرفوا وتحدثوا عن زراعة الخضر ـ مقبرة خنم حتب وقبور البرشا ، وكان اهتمامهم بزراعة البصل كبيرا لفوائده الصحية ، ولارتباطه ببعض المعتقدات الدينية ـ عيد الاله سوكر ـ عيد ربطة البصل ـ على نحو ما يفعل البعض فى شم النسيم الآن ٠٠ وبالمثل عرفوا أنواع الخضر الأخرى الفجل والكرات والبقدونس والشبت والكرفس ٠٠ الى جـــانب خضروات (المطبخ) مثل الملوخية التى عرفت فى وقت متأخر ، والباميا مثلها والكرنب والسلق والبازلاء ٠٠ وغيرها ٠٠

٥ ـ الاعلام الزراعى المتخصص ٠٠ اضافات وملاحظات :

كان ذلك هو ما يمكننا تقديمه من هذا النوع من أنواع الاعلام ، والذى عرفته مصر القديمة ، والذى يتناسب مع طابع كتابنا هذا وحجمه ، وحيث نتوقف فى النهاية ـ عند عدد من الاضافات والملاحظات ، المتصلة بالسطور السابقة فى مجموعها ، والتى تقول فى اختصار وتركيز شديدين أننا أحطنا فى السطور السابقة بأبرز فروع هذا الاعلام ، وليس كلها ، والا لاحتاج

الأمر الى مساحة مضاعفة ٠٠ تتناول بعض الفروع الأخرى ، من مثـــل (الاعلام الخاص بالاقتصاد الزراعى - الاعلام الخاص بتربية الحيوانات والطيور الأليفة وتلك التى تعمل فى خدمة الزراعة أو انتاج اللحوم أو ادرار اللبن - الاعلام الخاص بأمراض النباتات والحشرات والافات الزراعية)الخ٠

● كذلك فان هناك بعض الصور والمشاهد والانماط الاتصاليـــة الاعلامية الأخرى التى تدخل أكثر ضمن دائرة الاعلام العام والمهتم ، وان كانا زراعيين أيضا ، بينما حاولنا - قدر الطاقة - ان تكون سطورنا السابقة مركزة أكثر على الاعلام الزراعى المتخصص ٠٠ كهذا الذى يتصل بما يدرسه الطلاب ٠٠ طلاب المستويات الدراسية العادية والعليا فى معاهد وكليات الزراعة الآن ٠٠ مثلا ٠٠ أما هذا العام والمهتم ٠ فهو الذى يتنـــاول : (الزراعة والمجتمع المصرى - الفلاح المصرى وما يتصل به - أعياد الزراعة- آلهة الزراعة) ٠٠ وغيرها مما يهتم به العام والمهتم والخاص معا ٠

● ٠٠ واذا كنا قد ذكرنا ، أن هذه الأنماط الاتصالية المتخصصة ، لها ما يماثلها من مادة عامة أو مهتمة - كغيرها من ألوان الاعلام - وأن الفارق هنا يكمن فى مستوى المادة ، وتوجيهها الى العامة ، أو المهتمين ، أو الى المتخصصين ، فاننانقول أن الأمر بالنسبة لموضوع الزراعة بصفة عامه ٠٠ وهذه الجوانب التى ركزنا عليها بصفة خاصة ٠٠ لا تعدم - بحال من الأحوال - وجود عدد من أصحاب الاهتمام العام والخاص بها ٠٠ معا ، انطلاقا من أهمية موضوعها وجدارته الى جانب الاكثرية المتخصصة ٠٠ ومن هنا نقول كملاحظة أساسية ، أن الحدود بالنسبة لمادتها ، وللمتابعين والمهتمين بها ، وللمتخصصين فيها ٠٠ تكاد تختلط اختلاطا كبيرا ٠٠ يشبه ذلك الذى يحدث الآن - مثلا - عندما يبدى أحد غير المتخصصين اهتماما بالزراعة ، ومن ثم يجذبه هذا الاهتمام اليها ، ويتحول مع مزيد منه الى لون من ألوان التخصص ٠٠ لسبب من الأسباب (اشترى قطعة أرض بور أو صحراء ينوى استصــــلاحها - ورث ضـــيعة لابد له من الاشراف على زراعتها ٠٠٠ الخ) ٠٠

٦ - من خصائصه الاعلامية :

٠٠ ولقد رأينا هذا الجانب الاعلامى الزراعى المهم ، وهو يحفل بعدد

من الخصائص الاعلامية التى ارتبطت به كل الارتباط ·· وأصبحت علما عليه ، وصحيح أننا أشرنا الى بعضها فى السطور السابقة ·· ولكننا نضيف هنا اليها هذه الخصائص كلها :

ـ أن الأسماء (الزراعيـــة) ·· التى أطلقت على النباتـــات والمحاصيل المختلفة ، كانت هى المستخدمة بحذق ومهارة ، فى كتابة هذه المادة ·· وقد أصبحتهذه كثيرة العدد جدا ، مما أسهم فى وجود «القاموس الزراعى » المصرى القديم ، بل انها أسهمت كذلك فى ثراء اللغة المصرية القديمة ذاتها ، والتى سنتوقف عندها فى حينها باذن الله ··

ـ بل ان بعض هذه الاسماء والافعال قد بقى حتى اليوم كما هو، أو بتحريف بسيط ، ومن ثم فقد أسهم فى وجود القاموس الحالى نفسه ·· قاموس اللغة والمصطلحات الزراعية العربية ، تلك التى كتبت بها الرسالة « المتخصصة » الاعلامية القديمة ·· ان من بين هذه الاسماء والافعال على سبيل المثال لا الحصر ، هذه كلها :

(نز (الماء) ـ مو (الماء أيضا) ـ بحر ـ رش ـ شونة ـ فاس ـ طورية ـ اردب ـ ماجور ـ برش ـ مشنة ـ سباطة ـ لبشة ـ بر ـ نهر ـ بر (قمح) ـ قمحو (قمح أيضا) ـ يقن (بقل ـ فود (فول) ـ مدمس (فول مدفون أو مكمور) ـ برسم (برسيم) ـ بصر (بصل) ـ كرهتا (الكرات) ··· الخ ·

● وباستعراض لأبرز الشخصيات التى اهتمت بمثل هذه الكتابات الزراعية ، والتعريف بهذا النشاط عامة نجد أنها كانت تتمثل فى هؤلاء :

ـ بعض الفراعنة الذين اهتموا بالزراعة والرى لا سيما هؤلاء : « الملك العقرب ـ امنمحات الأول ـ سنوسرت الثالث ـ امنمحات الثالث ـ توت عنخ آمون ـ حتشبسوت ـ تحتمس الثالث) ·

ـ بعض الوزراء وكبار الموظفين لا سيما الزراعيين منهم ، والذين احتلوا مثل هذه المناصب كلها « بعض الوزراء ـ بعض الأمراء ـ بعض موظفى القصر الملكى ـ موظفو ادارت الوثائق الملكية والتسجيل والتوثيق ـ

كبار العاملين فى الحقل الزراعى كمدير الحقول ، ومدير الحدائق ومدير المواشى ومدراء كتاب الحقول ـ مدراء بيوت الزراعة ـ مدراء المراعى٠٠الخ)٠

● ٠٠ ومن الملاحظ كذلك أن الفن المصرى القديم قد أجاد «مساندة» هذا اللون من ألوان الاعلام ، وأجاد التعبير عنه ، بخطوطه وألوانه المختلفة ٠٠ ولم يكن ذلك جديدا على هذا الفن وانما كانت هذه المساندة ، وكان هذا التعبير من أقدم اتجاهات الفن المصرى القديم ، وحيث كانت الرسوم الأولى تعبر عن الصيد والرعى ، وتتضمن مشاهد زراعية عديدة ، وحتى الصور والمشاهد الفخارية ٠٠ كان يتضح فيها هذا الأثر ٠٠ كما يمكننا كذلك ملاحظة أن التعبير بالرسم عن المادة الزراعية كما ظهر على الجدران التى أشرنا اليها ٠٠ كان من أبرع ما قدم الفنان المصرى القديم ، من حيث واقعية التعبير ودقة التصوير ، وتتابع الحركة ، واكتمال المشهد ، ورقة الخطوط وانتقاء اللون المناسب ٠٠ **وهكذا ٠٠**

المبحث الثـــانى

الاعـــلام الطبى المتخصص

(أ) مدخل الى الاعلام الطبى ٠٠ حول الطب فى مصر القديمة :

للطب فى مصر القديمة ٠٠ بفضل أطبائها ، والتقدم الذى أحرزوه ، شهرة كبيرة ، ذائعة الصيت تتحدث عنها ، وعن « «فتوحاتهم » العلمية فى هذا المجال ، والمجالات القريبة منه ، مختلف المصـــادر ، حتى اليوم ٠٠ وحيث نقرأ على سبيل المثال لا الحصر ومن بين الأقوال العديدة التى تناولت هذا المجال ، قول مؤرخ الحضارة ول ديورانت الذى جاء فيه : « أما أكبر مفخرة علمية للمصريين فهى علم الطب » (٣٥) ٠٠ كما نشير الى بعض الذى ذكره سترابون من أن « المعروف عن طب قدماء المصريين أقل مما كان لديهم لأن علوم الطب كانت « سرا من أسرار الكهنة المصريين » (٣٦) ثم يدلل على ذلك بأن بعض من طلبوا شيئا من أسرار المصريين فى معارف الطب قد ظلوا يلزمون أبواب الكهان ثلاثة عشر عاما » (٣٧) ٠

واذا كانت مثل هذه الأقوال تعنينا من زاويتين ·· الأولى منهما وهى تؤكد هذا الجانب التخصصى الدقيق للاعلام الطبى المصرى ، وربما بأكثر منه بالنسبة لأى اعلام آخر ·· والثانية ، فضل المادة الاعلامية فى اختراق أسوار وحدود هذه الأسرار الطبية « الكهنوتية » ، والنفاذ الى معالم هذا التقدم ، ثم التعريف به ، ودور ذلك فى القاء الأضواء عليه ·· والشهرة التى تحققت له ، اذا كانت هذه الأقوال تهمنا من خلالهما ·· فاننا نشير ـ كمدخل طبيعى للحديث عن الاعلام الطبى ـ الى بعض « المنجزات » العلمية الطبية التى تحققت بفضل العلم المصرى ، والمهارة المصرية ··

نعم ، لقد عرف المصريون كثيرا من أجزاء الجسد والأمراض وعلاجها وكان من أبرز ما عرفوه : (**القلب ـ الدورة الدموية ـ الأوعية ـ تصلب الشرايين ـ الأمراض الباطنية ـ أمراض العيون ـ الولادة ـ الأمـــراض الجلدية ـ أمراض النساء ـ الجدرى ـ شلل الاطفال ـ فقر الدم ـ التهاب المفاصل ـ النقرس ـ التهاب الزائدة الدودية ـ حصوات الكلى ـ اجراء العمليات الجراحية خاصة الاورام والخراريج**) ·· الخ ولم تتعد علومهم هذه المعرفة فقط ، وانما علاج هذه الأمراض وغيرها ، وتحضير الادوية والوصفات الطبية ·· بل ان من الثابت أنه كانت هناك « المدارس الطبية »·· التى يتم التعليم فيها عن طريق النقل ، كما كان هناك التعليم الطبى الخاص الذى يقدمه الطبيب الى ابنه فقط حرصا منه على الاحتفاظ بسرية علمه ·· تماما كما كان هناك أكثر من نوع من الأطباء من أبرزهم « الأطباء الكهنة »·· الذين كانوا يعالجون مرضاهم وفق طقوس معينة ، يختلط فيها السـحر بالعلاج بالنباتات والأعشاب وبعض العقاقير التى يحضرونها بمعرفتهم ·· كما كان هناك الأطباء من غير الكهنة ، من المتخرجين فى مدارس الطب أو « بيوت الحياة » ·· أو من الذين ورثوا المهنة وأضـافوا اليها قراءاتهم وتجاربهم الخاصة ·· وكان كل منهم يتخصص فى فرع من فروع الطب ·· وقد شاهد « هيرودوت » بعض هؤلاء وكتب عنهم قائلا : « وينقسم التطبيب عندهم ـ يقصد عند المصريين ـ الى الفروع التالية : لكـل مرض طبيب متخصص فيه لا لأكثر ، وبلادهم كلها غاصة بالأطباء ، بعضهم متخصص فى العيون وبعضهم فى الرأس وبعضهم فى الاسنان وبعضهم فى الامعاء ، وبعضهم فى الامراض الخفية » (٣٨) ·· والى جانب هؤلاء فقد كان هناك « الاطباء الموظفون » من التابعين للبلاط والحكومة والجيش ·· على نحو

ماهو قائم بالنسبة لأطباء المستشفيات الحكومية والعسكرية والادارات الصحية بالمؤسسات المختلفة ··

·· وعندما يذكر «« الطب المصرى القديم » ·· لابد من المرور بعلوم وفنون أخرى ، تقف بالقرب منه ، بحثوا فيها ومارسوها ، أى نظــــريا وتطبيقيا ، وكانت لهم فيها صولات وجولات ، ومن بينها على سبيل المثال لا الحصر : التشريح وعلم وظائف الأعضاء ـ الجراحة ـ التجبير وعلاج العظام ـ الحروق ـ التمريض ـ الصيدلة وما يتصل بها من أدوية وعقاقير ونباتات طبية ·· كما لابد من ذكر « التحنيط » عندهم ، وبراعتهم فيـــه وانطلاق ذلك من احترامهم للموتى ، ومن عقيدة الخلود ، ومن براعتهم العلمية الكبيرة ·· معا ، كما كانوا يرجعون الأصل فى تعريفهم بهذا العلم، الى أزوريس نفسه (*) ··

(ب) أنواع من الاعلام الطبى المتخصص :

·· من أين استوت لنا المعرفة بذلك كله ؟· بهذه الصور والمشاهد والابحاث والدراسات والتجارب والنتائج ، والنظم والتقاليـــد ، كلها ·· والخاصة بالطب المصرى القديم ، ان لم يكن من خلال هذه الاوعية والانماط الاتصالية التى خلفها لنا هذا « التراث العلمى الطبى » اذا صح التعبير ·· ومن ثم ، فاننا نتوقف عند أهم أنواع هذا الاعلام ، تمهيدا للوقوف عند أبرز أوعيته ، وخصائصه وما الى ذلك كله ·· انها :

١ ـ **الاعلام بالأمراض التى عرفوها :** وقد ذكرنا أكثــــر ما عرفوه منها فى السطور السابقة ، وكانت هذه المعرفة تستند أساسا الى فلسفة تقول بانقسام أمراض الانسان الى نوعين ·· أولهما ظاهر خارجى ، أو بسبب مؤثر خارجى ، والثانى خفى يعود الى أرواح شريرة أو اعمال سحرية ، أو

(*) بالاضافة الى المراجع التى سبقت الاشارة اليها وما جاء بها عن الطب المصرى القديم ، فقد اعتمدت فى هذا المبحث على مراجع أخرى مثل : (بول غليونجى: الحضارة الطبية فى مصر القديمة ـ بحث نفس المؤلف فى كتاب تاريخ الحضارة المصرية ـ حسن كمال : الطب المصرى القديم ـ سليم حسن : مصر القديمة) ·· وغيرها ، ولكن اعتمادى كان أساسيا على المصادر الثلاثة الاولى ·

عقاب الآلهة ٠٠ ولكل منهما طرق عـــلاجه ، فالأول عـــلاجه الأدوية أو الجراحة ، والثانى علاجه معنوى روحى أولا ٠ ٠وقد يكون بمصاحبة العلاج الاول أو بالاعتماد على الاعشاب والنباتات الطبية ٠٠ ثم تطور الامر الى معرفة التشريح ووظائف الاعضاء ٠٠ فأصبحوا يمزجـــون بين الاتجاهين السابقين ٠٠ وبينها ٠٠

٠٠ ولعل أبرز أدواتهم وأوعيتهم فى هذا السبيل « البرديات » ٠٠ تلك التى تعتبر بمثابة فصول متكاملة من كتب طبية ، أو من « دوريات متخصصة» فى مجالها ٠٠ وأهمها فى مجال الاعلام بهذه الامراض قرطاسة أو بردية « أبرز » للامراض الباطنية والعلاج وتعود الى عهد « أمينوفيس الاول » ٠٠ كما أنها تتحدث أيضا عن الجراحة وتحضير الادوية ، وهناك أيضا بردية « أدوين سمث ١٥٥٠ ق٠م » ٠٠ وهى من أهم البرديات التى تقدم لنا ٤٨ مشهدا واقعيا لعمليات جراحية ـ اعتبر برستد هذا الجزء منها أقدم ما كتب عن الجراحة فى العالم ـ ٠٠ وكذا قرطاسة « كاهون ١٩٠٠ ق٠م » الخاصة بأمراض النساء والولادة والبيطرة ٠٠ وقرطاسة كارلزبورج ١٢٠٠ ق٠م وموضوعها أمراض العيون والولادة ، ويرى بعض الخبراء أنها منقولة تماما عن بردية أبرز !! ٠٠ الى غير هذه كلها ٠

٢ ـ **اعلام الصحة العامة والتوعية الصحية :** وهو نوع آخر من أنواع الاعلام المصرى القديم الطبى المتخصـــص ، وان كان اتجاهه الى جانب التخصص الكامل أو الدقيق يقل عما هو قائم بالنسبة للاعلام بالامراض التى عرفوها ، وما ذلك الا لسبب بسيط ، هو أن الاعلام السابق كان يوجه بالدقة وعلى وجه التحديد الى جمهور متخصص من الاطباء ، ومن مساعدى الأطباء ، وتلاميذ الطب وبعض أنواع المســاعدين الاخـــرين كالمرضين والمدلكين وغيرهم ٠٠ أما اعلامنا هذا ـ الصحة العامة والتوعية الصحية ـ فكان يوجه الى هؤلاء ٠٠ لنقله بدورهم الى جماهير اخرى ، فى أحوال غير قليلة ، على سبيل التوعية الصحية ، والارشاد الطبى ٠٠ ومن ثم فانه جاء مساعدا لهم ، على اداء واجبهم نحو جمهور الرسالة ، وهى هنا رسالة توجيه ، ونصح ، بل وكانت فى بعض الاحوال تبدو على طريقة « الوقاية خير من العلاج » ٠٠

ذلك هو النوع من الاعلام الخاص باختيار الزوجة والزوج ، واهمية الزواج المبكر والصحيح وما يتصل بعمليـــة الختان كنـــوع من النظافة الجسدية ، الى جانب ما يتصل بالنظافة العامة ، نظافة جسد المصرى كخط أول للدفاع ضد اصابته بالأمراض ، ونظافـــة المســكن وتوافر الشروط الصحية فيه ، لا سيما دخول الشمس والتهوية ، ووجود الحمام والمرحاض . وكيفية التصرف فى الماء الملوث ·· ومن الطبيعى ، وهذا هو الخط العام لهذا النوع من الاعلام ـ وهو أقرب أنواع الاعلام الطبى الى الاعـــلام المهتم ـ من الطبيعى ألا يكون مجال نشره والتعريف به هو البرديات وحدها، وانما وجدناه كذلك على جدران بعض المعابد كالكرنك ـ الولادة والختان ـ وبعض المقابر ـ مقبرة عنخ ما حور وتصوير عملية الختان ـ الى جانب مقبرة « روابو » فى سقارة ـ المرحاض الصحى ـ الى غير ذلك كله ·

٣ ـ **الاعلام الصيدلى** : وهو ينقسم الى عدة أنواع أولها وأهمها ذلك الدقيق الكامل التخصص الذى يخبر بما عرفوه من أدوية وعقاقير ونباتات طبية وأعشاب « صحية » ·· ويتحدث عن أهم الادوية المصـــنوعة منها وفوائدها ،والأمراض التى تستخدم كعلاج لها · ·ونوع آخر يتحدث عن العلاج بالسحر ، والاعشاب ، والابخرة والتعاويذ المصاحبة ، ونوع ثالث يتحدث عن « التوعية » باستخدام هذه الأدوية ، وطرق استخدامها ، ومضار الاستخدام غير الصحيح ·· بل ان بعضها كان يتحدث عن «..الوصفات » الطريفة ، كتلك التىتعالج الصلع ، أو تعيد الشباب الى الشيوخ !!

·· أما أوعية النشر الأولى لهذا النوع من الاعلام المصرى القديم الطبى الصيدلى ، فهى بعض البرديات التى سبقت الاشارة اليها ، فى أجزاء منها ، لا سيما بردية « أبرز » التى تضم ٨٧٧ وصـــفة عـلاجية ·· وكذا بردية « برلين ١٣٠٠ ق·م ـ ٢٤٠ وصفة » كما تحوى مجموعة كبيرة من الوصفات والعقاقير والتعاويذ ·· معا كما توجد ببردية كاهون ٣٤ وصفة طبية أخرى·

كذلك فقد ذكرت نقوش المعابد والمقابر عددا كبيرا من اسماء النباتات والأشجار والأعشاب الطبية التى استخدموها فى صناعة الأدوية والمراهم والدهون والحقن الشرجية ومنها : « الحور والهجليج والرمان والعرعر

والايهل والخس والحنظل والقرطم والشيح والكمون والقرفة وعنب الديب والهدال ورعرع أيوب والسكران وحب العزيز والخشخاش والعرقسوس »٠٠

٤ - **الاعلام الطبى التعليمى** : كذلك فقد كان هناك هذا النوع الاخير من الاعلام الطبى الخاص الموجه الى دارسى الطب وأغلبهم من صغار الكهنة ٠٠ الذين راحوا يتلقونه فى معاهد خاصة ملحقة بالمعابد ٠٠ وواضح أنها هذه التى أطلق عليها تعبيرهم « بيوت الحياة » كانت تدعم ارتباط الدين بالطب وتهتم بتلك الدراسات التى تقوم على علاج الأمراض غير المعروفة التى يكون العلاج النفسى والمعنوى القائم على الفكر الدينى ، وأحيانا السحر والتعاويذ والتمائم ٠٠ يكون له اثره ٠٠ كما كان هناك التعليم لغير الكهنة، عن طريق « توريث » المهنة ، أو تردد راغبى تعلمها على دكاكين النساخين وبيوت كبار مشاهير الأطباء ٠٠ الى جانب بعض المدارس الخاصة مثـــل مدرسة « سايس- صا الحجر » للمولدات ومدرسة « ايمحوتب » ٠٠بمنف٠٠ وهو كما نعلم الذى اعتبره الاغريق « اله الطب والهندسة » ٠٠

ويهمنا من هذه كلها ، تلك الأوعية والوسائل « الاعلامية » التى كانت تقدم لطلابها وتنشر بها الدروس ٠٠ فى صورة برديات أيضا ، ولعلها تكون بذلك شبيهة بالدوريات العلمية السنوية أو نصف الســنوية التى تصدرها الكليات والمعاهد العلمية الآن ٠٠ والتى تعتبـــر من أبرز أنواع الدوريات المتخصصة (*) ٠

(هـ) الاعلام الطبى المصرى القديم ٠٠ خصائص عامة :

كانت هذه أبرز أنواع الاعلام الطبى المصرى القديم المتخصص ، والذى كانت معرفته ومتابعته بل ودراسته مقصورة على أبناء « الطائفة » فقط ٠٠ الا ذلك القليل المرتبط بجانب الارشاد الطبى ، والتوعية بالامراض العامة ، وأهمية الوقاية منها ، على النحو الذى أوضحناه ٠٠ لننتقل الآن الى أبرز خصائص هذا النوع المتميز ، من أنواع الاعلام ، ترى ما أهمها ، وأكثرها وضوحا ؟

(*) رجاء العودة الى كتابنا : « فى عالم المجلة » ٠٠ الباب الخاص بالمجلات المتخصصة ٠

● أن من الملاحظ الاهتمام الكبير **بعنصرى الوصـف والمشاهدة** ، لا سيما فى تلك المادة التى تتحدث عن العملات الجراحية ، أو الختان أو أعراض المرض ، وكذا عمل الوصفات الدوائية المختلفة ، وقد رأى أحـــد الخبراء (*) فى مؤلف بردية ٠٠ ادوين سميث « ٠٠ شخصا يختلف عن الكاهن الساحر وانسانا عاديا يلازم المرضى ليالى طـــويلة ويترقب أدنى علامات الابراء فيهم ثم يرتب ويبوب ملاحظاته ولا يقصر فى تشريح الموتى ليعرف سر الوفاة ٠٠ ثم يملى ملاحظاته فى لغة طبيعية » (٣٩) ٠

● ٠٠ بل أن هذا الوصف نفسه يعد من « أرقى » الأساليب التى عرفها الاعلام المصرى القديم ، بل يكاد يتفوق فى جانب الأسلوب السهل ، والواضح ، على أساليب عديدة لأنواع عديدة أخرى ، من هذا النشـــاط الفكرى ٠٠ ويبدو أن محررى هذه الرسائل الاعلامية ـ وكان لها كتابها من المتخصصين ـ كانوا يدركون صـــعوبة وأهمية وجـــود « الذوق الفنى والتحريرى » فى تحريرها حتى أن ذلك قد لفت أنظار الذين تابعوها ٠٠ ومنهم مثلا من يقول ٠٠ « ومجموع ما وصفوه يربو على ٢٥٠٠ مرضا باطنيا وصفت وصفا لا يخلو من الشاعرية فى التعبير » (٤٠) ٠٠ بل أن هناك من يقول بأبعد من ذلك ـ د٠ أحمد أحمد بدوى ـ ٠٠ اقرأ له قوله فى مثل هذا الموضوع : « وانه ليسعدنا حقا أن نقرر أن مهنة الطب عند أجـــدادنا من شعب الوادى قد كانت تقتضى من أصحابها أن يعرفوا الفن الجميل ، وأن يعرفو صناعة التحنيط ، وأن يكونوا من الكتاب المجيدين ٠٠٠ الخ » (٤١)٠

● ومن الملاحظ كذلك على هذه المادة أن التفكير العلمى المنظم كان هو الطابع السائد فيها ٠٠ أو الطابع الغالب على طريقة عرض معظمها ٠٠ فهى تبدأ بعنوان مباشر وجذاب « تعليمات خاصة بـ » ٠٠ ثم تقدم طرق الكشف أو الفحص وتثبيت الحالة ، وتتحدث عن التشخيص ، ثم توقعات الأطباء ، والنتيجة المحتملة ٠٠ وقد وضح ذلك فى البرديات عامة وبردية ٠أ سميث خاصة ٠

(*) العالم المصرى والاديب أيضا د٠ محمد كامل حسين ، والذى نقل بردية أدوين سميث الى العربية ٠

● ومعظمها اتبع الوصف الحى وعنصر المشــــاهدة بتقديم الرسم التوضيحى الدال فى حذق ومهارة على المادة التحريرية ··

● ·· وعلى الرغم من الاختلاط بالسحر والشعوذة ·· الا أنه كانت للمهنة تقاليدها التى لم تغب عن المادة الاعلامية ، كما كان لها بصماتها الواضحة المميزة ، التى تصدرت هذه الرسائل ، وبعضــــها يعكس ذلك الاختلاط القوى بالجانب الدينى ·· ومن هذه وتلك الاهتمام بوجود شعار للعملية الطبية ·· وهو هنا « الكوبرا المقدسة » ·· رمز القوة ، والتى تؤكد أن الداء فيه الدواء أيضا ·· « وبعض السم ترياق لبعض ··· » كما حفلت البدايات بتلك « التوسلات » والادعية الخاصة ·· لآلهة الطب ، والامومة « حت أت » ·

● ·· ولعله مما يستلفت نظر الباحث فى هذا السبيل ، أن معظم هذه الكتابات الطبية المتخصصة لم يتم تحريرها بمعرفة كل الاطباء ، وانما بعضهم فقط من « الاطباء الكتاب » ·· وهم الذين كانوا يحترفون الكتابة فى هذه الموضوعات ، ونسخها فى مخطوطاتوبرديات وعلى الرقائق المختلفة·· وأهم من ذلك أنها كانت تعد فى أكثر من نسخة ، منقولة عن الأصل ·· ولو عرفوا الطباعة ، لقاموا بطباعتها ·· هل نقــــول أن هؤلاء « الاطباء الكتاب » ·· من محررى هذه الوسائل والاوعية ، كانوا من أوائل المحررين المتخصصين فى العالم كله ·· وهو سبق مصرى آخر ، يضاف الى جوانب سبقهم الطبى ؟!

●● مصادر الباب الرابع ومراجعه :

(١) المقرى الفيومى : « المصباح المنير » جـ ٢ ، العين مع الميم وما يثلثهما ص ٥٨٨ ٠

(٢) الرازى : « مختار الصحاح » باب الميم فصل العين ص ٤٦١ ٠

(٣) نجيب ميخائيل ابراهيم : « مصر الفراعنة » مترجم عن الن جاردنر ص ١١٣٠

(٤) المقرى الفيومى : « المصباح المنير » جـ ٢ الهاء مع الميم وما يثلثهماص٨٨٢٠

(٥) الرازى : « مختار الصحاح » باب الميم فصل الهاء ص ٤٧٩ ٠

(٦) سليم حسن : « فجر الضمير » مترجم عن ج٠هـ٠ برستيد ص ٢٣٧ ٠

(٧ ـ ٨) زينب الكردى : « كهان مصر القديمة » مترجم عن سيرج سوتيرون ص ٣٧ ٠

(٩) أحمد قدرى : « الديانة المصرية القديمة » مترجم عن ياروسلاف تشرنىص٥١

(١٠) انطون ذكرى : « الادب والدين عند قدماء المصريين » ص ٧٣ ٠

(١١) محمد بدران : « قصة الحضارة » مترجم عن : ول ديورانت جـ ٢ من المجلد الاول ص ١٦٨ ٠

(١٢ ـ ١٣ ـ ١٤) أحمد فخرى : « مصر الفرعونية » ص ٣٠٧ ـ ٣٠٨ ٠

(١٥) سليم حسن : فجر الضمير « مترجم عن ج٠هـ٠ برستيد ص ٣١٩ ٠

(١٦) نخبة من العلماء : « تاريخ الحضارة المصرية : العصر الفرعونى » من مقال بقلم سليم حسن ، ص ٢١٠ ٠

(١٧) عبد العزيز صالح : « الشرق الادنى القديم » جا ص ٣٣٣ ٠

(١٨) ايريس حبيب المصرى : « حكمة اخناتون » مترجم عن ٠١٠٩ جرانتام ، من المقدمة ص ٥ ٠

(١٩ ـ ٢٠) محمد عبد الحميد : « الصحافة العسكرية فى مصر ١٩٥٢ ـ ١٩٧٣» ص ١٤ ٠

(٢١) أحمد محمود صابون : « مصر القديمة وقصة توحيد القطرين » ص٢٤٠

(٢٢ ـ ٢٣) أحمد قدرى : « المؤسسة العسكرية المصرية فى عهد الامبراطورية» ص ١٧ ٠

(٢٤ ـ ٢٥) عبد العزيز صالح : « الشرق الادنى القديم » جا ص ١٤٢ ٠

(٢٦ ـ ٢٧ ـ ٢٨) أحمد قدرى : « المؤسسة العسكرية المصرية » ص ٩ ـ١٠ـ١٨٠

(٢٩ ـ ٣٠) محمد بدران : « قصة الحضارة»مترجم عنولديوارنت ص ٨٦ ،٨٧

(٣١) محمد صقر خفاجة : « هيردوت يتحدث عن مصر » ٠ ٠مترجم عن هيرودوت ص ١٨٢ ٠

(٣٢) نخبة من العلماء : « تاريخ الحضارة المصرية : العصر الفرعونى » ص ٦٨ من مقال بقلم د٠ مصطفى عامر ٠

(٣٣ ـ ٣٤) وليم نظير : « الثروة النباتية عند قدماء المصريين » ص ٧٨ ، ص ١٠١ ٠

(٣٥) محمد بدران : « قصة الحضارة » مترجم عن ول ديوارنت ص ١٢٣ ٠

(٣٦ ـ ٣٧ ـ ٣٨) محمد صقر خفاجة : « هيرودوت يتحـــدث عن مصر » ص ١٩٠ ، ١٩٢ ٠

(٣٩ ـ ٤٠) نخبة من العلماء « تاريخ الحضارة المصرية » ص ٥٢٦ من مقال بقلم د بول غليونجى ٠

(٤١) المصدر السابق ص ٥٤٠ ٠

الباب الخامس

أنماط

وأدوات

ووسائل

« بم عبروا ؟» وكيف ؟

أنماط وأدوات ووسـائل

بم عبروا ؟٠ وكيف ؟

٠٠ حتى نصل الى هذا الباب ، الذى لا نبعد كثيرا عن الواقع عندما نقول أنه أحد أهم أبواب هذا الكتاب على الاطلاق ، بل وأحد أهم أبواب « مصر القديمة » بصفة عامة ، وما يرتبط بموضوعنا بصـفة خاصـة ، وبموضوعات أخرى عديدة تتفرع عنه أو تتصل به ، أو بالنشاط الفكرى الذهنى الفنى عند الأجداد عموما ٠٠

ان كلماتنا هنا ـ أيها الأصدقاء ـ ٠ ٠تواصل تقديمها لجوانب «العملية الاتصالية » أو العملية الاتصالية الاعلامية فى مصر القديمة ٠٠ فبعد أن تناولت كلماتنا السابقة خلال هذه الأبواب والفصول والمباحث والفقرات المختلفة ، جانب المرسل ، أو على وجه الدقة زاوية مهمة من جانب المرسل ، تحت عنوان « الآمرون بالاتصال » ٠٠ وبعد أن تناولت كذلك ومما يرتبط بهذه العملية نفسها جانب الرسالة تحت عنوان « ماذا قالوا ؟ » مركزة على اهم أنواع « الرسائل » التى عرفتها هذه الاوقات ٠٠ وأهم معالم هذه الأنواع ٠٠ نواصل تناول هذه «« المعالم » ٠٠ فنتحدث هذه المرة عن الوسيلة ٠٠

لكن حديثنا هنا عن الوسائل لن يكون حديثا نمطيا روتينيا ٠٠ ينظر اليها من زاوية ضيقة ٠٠ وانما من خلال مفهوم شامل لما يعبر عنه مصطلح « الوسيلة » ٠٠حتى وان اختلفنا فىذلك قليلا عنتناول بعض رجال الاعلام٠

نعم سوف ننظر الى الوسيلة ، بما يتناسب مع أهميتها وتعدد رموزها واشكالها وما يتجه اليه مفهومها بشكل عام ٠٠ ومن ثم فان حديثنا سوف يشمل هذه الجوانب كلها :

وســـائل وأوعيـــة

المبحث الأول

اللغـــة والكتـــابة

واذا لم يكن من بين أهداف هذا البحث الوقوف عند دور اللغة في عملية الاتصال ، لنتناوله من خلال دراسة كاملة ٠٠ فاننا نتوقف فقط عند بعض معالم هذا الدور من تلك التى تعنينا فى مجالنا هذا ٠٠ وذلك كمقدمة لتناول اللغة المصرية القديمة ، بجانبيها ، الشفهى والتدوينى أو التسجيلى ، وباهتمام أكثر بالشق الثانى الذى يتمثل فيه معظم ما نعرف ، وما وصل الينا حتى الآن ، من ألوان الاعلام المصرى القديم ، ذلك الذى كان « تسجيليا » و « تدوينيا » فى معظمه ، ومن هنا فنحن نقول (*) :

أولاً ـ فى تعريف اللغة :

٠٠ هناك تعريفات عديدة للغة ، بعضها لغوى ، والآخر اصطلاحى ، والثالث اجتماعى والرابع عملى تطبيقى وغيرها ٠٠ وحيث نختار منها هذه كلها على سبيل المثال لا الحصر من تعريفات مباشرة وغير مباشرة :

ـــ فاللفظ يعود الى المصدر الثلاثى لغا ٠ ومن ثم وعلى حد قول صاحب المصباح المنير : « ولغى بالأمر يلغى من باب تعب لهج به ويقال

(*) يمكن العودة فى مجال دراسة اللغة والاعلام الى كتب عديدة من بينها : « ابراهيم درديرى : لغة الاعلام اليوم ـ رمضان عبد التواب : التطور اللغوى ـ عبد العزيز شرف : اللغة الاعلامية ، فن التحرير الاعلامى ـ على عبد الواحد وافى : اللغة والمجتمع ـ محمد سيد محمد : الاعلام واللغة ـ محيى الدين عبد الحليم وحسن محمد أبو العينين : العربية فى الاعلام ٠٠٠ » الخ ٠

اشتقاق اللغة من ذلك وحذفت اللام وعوض عنها الهاء وأصـــلها لغـــوة مثال غرفة » (١) .

— .. ويقول صاحب مختار الصحاح : « واللغة أصلها لغى أو لغو وجمعها لغى مثل برة وبرى ولغات أيضا .. » (٢) .

— .. وهى أيضا : « وسيلة الاتصال المباشر بين البشر فى شكل أصوات منظمة ، وهى السمة الفريدة التى يتميز بها الجنس البشرى »(٣).

— ويقول أحد علماء اللغة : « اللغة ضرب من السلوك .. بل هى من مصادر السلوك الانسانى والاجتماعى والثقافى للجماعة اللغوية »(٤).

— ويقول أحد الباحثين فى مجال الاعلام اللغوى : « .. والتعريف الشائع للغة هو أنها مرآة تعكس الفكر أو وسيلة للتعبير » (٥) .. وينقل عن آخر قوله أن اللغة هى : « وسيلة لتوصيل الأفكار والانفعالات والرغبات عن طريق نظام من الرموز التى يستخدمها الفرد باختياره » (٦) .

ثانيا - فى أهميتها الاعلامية :

واذا كانت هذه التعريفات وغيرها ، لتشير بطريقة أو بأخرى ، الى أن هذه المجموعة من الرموز التى ارتضـــاها المجتمع للتعبير عن أفكاره وأحواله بخيرها وشرها وحلوها ومرها .. وكذا عن أهدافه ، وأحلامه ، وطموحه ، وأفراحه وأحزانه أيضا .. والتى تجمعت فى وقت بعيد وأضيف اليها الكثير من خلال مسيرة شعبمنالشعوب ، وخبراته وتجاربه وانجازاته وابداعه فانه لا يمكن - بحال من الأحوال - اغفال دورها التـــاريخى ، والحضارى ، القديم والمستمر ، والمنتظم بوصفها « أداة » الاتصال الأولى التى تتفوق بدورها هذا على غيرها من الادوات ، فلا رسائل مسموعة أو مدونة بغيرها ، وبغير رموزها المختلفة ، اذ هى النسيج الأساسى لكل رسالة أعلامية ، تتكون من حروف تتتابع وتتشابك لتكون الكلمات ، وهذه بدورها تكون « العبارات » أو « الجمل » المفيدة اعلاميا هنا ، والتى تتتابع بدورها لتكون « الفقرات تلك التى تكون واحـــــدة أو تتعدد مكونة « النصـــوص الاعلامية » .. بأطوالها المختلفة وعلى أى شكل من أشكالها ، والتى تقدم

بعد ذلك منسوخة أو مطبوعة أو مقروءة (مسموعة) أو مرئية أو مؤيدة مساندة للمادة المرئية ، والعكس صحيح أيضا ٠

وإذن ، فلا مادة اتصالية اعلامية بدون لغة ، في مستواها الكتابي ، وفي ذلك يقول احد علماء الاتصال : « ٠٠ وواقع الأمر أن الألفاظ هي العناصر الأولى التي لا غنى عنها في الرسائل التي ترسل بوسيلة ما ٠٠ وحتى الموضوعات المصورة ، فان أريد نشرها فلابد من مناقشتها ومراجعتها وتحريرها بمعرفة أشخاص يتراسلون بالألفاظ ـ والألفاظ هي رموز ، أو هي أشياء ترمز الى أشياء أخرى ، والأغلب أن ما تمثله الالفاظ هي ما اتفق الأفراد على تسميته بالخبرة المشتركة » (٧) ٠

٠٠ وعلى ذلك ، فكلما كانت اللغة ثرية ، واضحة ، ودقيقة ، جذابة ، قوية التعبير ، صادقة ، كلما كانت الرسالة أيضا ، والعكس صحيح كذلك، وحيث يبدو أثر المواهب والخبرات والتجارب البلاغية الاعـــلامية عامة ، والتحريرية خاصة ٠

ثالثا ـ من اللفظ المسموع الى المكتوب :

٠٠ ومادمنا قد كررنا لفظ « الرموز » الذى ورد خلال السطور السابقة أكثر من مرة ، فانه لابد لنا من التوقف ـ على طريق التعرف على اللغة والكتابة المصرية القديمة وخصائصها الاعـــلامية ـ عند هذه الصـــور التعبيرية الأولى ٠٠

نعم ان الكتابة ، هى الرموز المتجمعة المدونة على سطح مادى ، المصطلح عليها بين الجماعة ، والتى تشكل بانتظامها وتتابعها تلك المعانى المعبرة عن الفكر الخاص أو العام ، والتى يستطيع أن يتفهمها المتعلمون ـ القراء ـ من أفراد هذه الجماعة والجماعات الأخرى الذين تتـــاح لهم فرصة معرفتها ٠٠

لكن ذلك لم يحدث مرة واحدة ، بل اقتضى الأمر أن يتم التحـــول « العظيم » خلال العديد من العصور والحقب ٠٠ والمراحل أيضا ٠٠

● لقد بدأت القصة بتلك الاشارات ذات الدلالة الخاصة ٠٠ اشارات بالرأس واليدين وملامح الوجه ، وصيحات فى صورة أشارات لنفت الأنظار والانتباه والتحذير ٠٠ ثم امتدت الى اشارات مبتكرة ، تستخدم الموجود فى البيئة أولا ٠٠ النار والدخان والأصوات المكبرة بواسطة فروع الأشجار المجوفة والاصداف الكبيرة ثم امتد ذلك الى قرع الطبول وتنويع الأصوات ذات الدلالة ٠٠ وفى أماكن أخرى استخدمت علامات الطريق وعقد الحبال والعصى المتعددة وذات الثقوب ٠٠ انها المرحلة الرمزية الاشاريه « الصوتية » أو « الشفهية ٠٠ تلك التى نعتبرها « المرحلة الاعلامية الأولى » من تاريخ البشرية (٨) ٠٠ وبعض صورها الاشارية هى ـ حتى الآن ـ اللغة الدائمة لبعض قبائل السكان الأصليين فى أمريكا الجنوبية وأستراليا وعشائر أفريقيا الوسطى ٠٠ وكان لمصر بعضها أيضا ، مما سنشير اليه فى صفحات أخرى باذن الله ٠

● ثم تحولت هذه الى رموز وعلامات مرسومة ، تأخذ من هذه السابقة ، وتضيف اليها الكثير من الموجود بالبيئة من المشاهد والصور للنبات والحيوان والانسان والمياه والأدوات الشائعة الاستخدام والتى تكاثرت بمرور الزمن ـ خاصة فى مصر ـ وسايرت نشأة القرى القديمة ، والحياة الاجتماعية الآخذة فى التطور ٠٠ لكنها كانت تستغرق فى نقشها وقتا طويلا ومجهودا كبيرا ، كما كانت غير مكتملة وقاصرة فى التعبير عن بعض المشاهد ، وكذا قاصرة فى التعبير عن المعانى الكلية والعواطف والاحساسات ٠٠ والافكار القائمة ٠٠

● وبمرور الزمن ٠٠ وبعد أن كانت مجرد اشارات أو أصوات شفهية فقط ، ثم نقشا تصويريا ثم التحول العظيم من هذه الصور نفسها الى اشارات (رموز) منطوقة ومكتوبة معا ، فكل صوت ينطقه الانسان له رمزه الكتابى بشكله المحدد والمختلف عن الرموز الأخرى بأشكالها الأخرى ، انها هى نفسها الحروف الأولى التى تكونت منها الألفاظ أو الكلمات والجمل والعبارات ٠٠ والفقرات والنصوص ٠

٠٠ وصحيح أن القصة كانت تختلف من زمن لآخر ، من بلد لآخر ، لكن تلك هى معالمها الرئيسية التى عرفتها الحضارات القديمة عامة ، وحضارة مصر وبلاد الرافدين والفينيقية والهندية خاصة ٠٠

رابعا ـ الكتابة فى مصر القديمة :

تكاد معظم المراجع تجمع على عدة أمور تتصل بهذا الموضوع ٠٠ ومن أبرزها هنا ، خاصة مما يعنينا فى هذا المجال :

١ ـ **قدم العهد بمعرفة المصرى القديم بها** الى ما قبل عهد الأسرةالأولى نفسها ، وحيث وجدت بعض الآثار التى عليها كتابات تسبق لوح نارمر الشهير والذى أشرنا اليه أكثر من مرة ٠٠ وذلك كله على الرغم من الارتباط القائم بين عهد الأسرات أو بداية العصور التاريخية المصرية وبين معرفة الكتابة « **معرفة كاملة وعلى نطاق متسع** » ٠٠ وليس مجرد هـــذه المعرفة الأولية السابقة على بداية عصر الأسرات « المبكر » ، كما نشير هنا الى تلك العلامات التى خطها أهل نقادة الثانية على أوانيهم وحيث وجد فلندرز يترى أنها ٤٥ علامة لم تكن مجرد رموز عشوائية وانما علامات كتابية تخطيطية ٠

٢ ـ أنها وان كان أبرزها ومما وجد على الآثار هو ذلك النوع الأول المسمى بـ « الهيروغليفية » الا أن هذه الكتابة لم تكن جامدة ، ٠٠ حيث عرفت مصر ألوان الكتابات الأخرى المطورة ٠٠ الى جانب هذه الكتابة « الأم » نفسها ٠٠ مما يتطلب منا وقفة عند هذا الجانب ٠٠ وحيث نستعرض معا عددا من أبرز الأقوال الدالة على ذلك ٠٠ مما عرفته مصر من ألوان الكتابات ، فى عصورها المختلفة ٠

ـــ ان احدى الموسوعات الشهيرة تقـــول : « وتطورت الكتابة المصرية من تصويرية الى رمزية الى مقطعية الى هجائية قبل الأسرة الرابعة. لكنها احتفظت بهذه الصفات جميعا أمام الرومان واتخذت الكتابة أشكالا أثرية (هيروغليفية) ٠٠ وأشكالا مختصرة (هيراطيقية) منذ أقدم العصور كما اتخذت أشكالا أكثر اختصارا تسمى ديموطيقية(*) منذ القرن السابع»(٩)٠

ـــ وقريب من ذلك ما تذكره موسوعة أخرى « تاريخ الحضارات

(*) الاصل فى النص بهذه الموسوعة « ٠٠٠ تسمى ديموقراطية » ٠٠ وهو حتما خطأ مطبعى وصحته ديموطيقية على نحو ما أوردناه ، وان كانت هذه الكتابة هى الصيغة الشعبية للكتابتين السابقتين ٠

فى العالم » ·· فبعد أن يشير المؤلفان ـ اندريه ايمار وزميله ـ الى معرفة المصريين بالكتابة : « مارس المصريون الكتابة فى أواخر الألف الرابع قبل المسيح ·· وقد توصلوا اليها بأنفسهم دون أن ينقلوا شيئا عن أسلوب غريب لأن الرموز التى اعتمدوها مستعارة من المشهد الذى تبسطه بلادهم أمامهم » (١٠) ·· بعد ذلك راح يتحدث عن مستوياتها الثلاثة ·· اذا صح التعبير ·· « الهيروغليفى » أى « النقوش المقدسة » كما أسماها الاغريق ، « الهيراطيقية » ·· ثم الكتابة الشعبية « الديموطيقية » فى عهد الانحطاط ·

ـــ ويقسم أحد المتخصصين فى هذا الموضوع هذا التطور الى عصور لغوية مصرية ·· أولها المصرى القديم من الأسرة الأولى حتى الثامنة ·· ويدخل فى هذا العصر لغة نقوش الاهرام المكتوبة « طبقا لقواعد خاصة فى الهجاء » (١١) · ·والمصرى المتوسط من الأسرة التاسعة الى الأسرة الحادية عشرة « ويسمى بالمصرى الكلاسيكى أو الفصـــيح » (١٢) ·· ثم المصرى المتأخر من النصف الثانى للاسرة الثامنة عشرة الى الاسرة الرابعة والعشرين ·· ثم الديموطيقية التى سبقت الاشارة اليها ·· واخيرا اللغة القبطية « وهى اللغة المصرية القديمة فى آخر مرحلة من مراحـــل تطورها تطلق الآن على لغة المسيحيين الوطنيين من أبناء مصر المستعملة فى الكنائس والاديرة ـ حلت العربية محلها بالتدريج بعد الفتح العربى ٦٤٠ م » (١٣) ·

··وتكرر المراجع العديدة الأخرى مثل هذا الكـــلام نفسه بشكل أو بآخر ، مع اختلافات بسيطة نتركها جانبا ، ونواصل القاء الضوء على هذه الكتابات نفسها ·· بأنواعها ·

خامسا ـ كتابات ومعالم :

·· نعم ، لانترك هذه العصور التى شهدت مسيرة هـــذه الكتابات المختلفة ، بتطوراتها المتعددة ·· دون أن نتوقف عند أبرز ملامح كل كتابة من هذه الكتابات ·· اضافة الى أسباب هذا التطور الحادث نفســـه ·· ونكتفى هنا ، بالكتابات الثلاث ، التى تكاد تجمع عليها معظم المراجع التى بين أيدينا ، وهى الهيروغليفية ، والهيراطيقية ، والديموطيقية ، مع بيـــان أهم الفروق بينها ·· ترى ما الذى يمكن قوله فى هذا السبيل ؟ :

١ ـ اما عن الهيروغليفية :

٠٠ عند حديثنا عن الهيروغليفية ، لابد من التوقف عند عدة أقوال شهيرة لعلماء ومؤرخين ومن بينها على سبيل المثال لا الحصر ٠٠ ما ذكر عنها بالموسوعة الأثرية العالمية ، وحيث نقرأ : « تستعمل غالبا الكلمة هيروغليفية Hieroglyphs فى عصرنا الحديث دون تفرقة لتعنى علامة تصويرية أى كتابة بالصور وهى مشتقة من التعبير اليونانى :
Hieroglyphika grammats

ويعنى كتابة محفورة مقدسة ٠٠ الذى استخدم خصيصا للتعبير عن الكتابة التصويرية القديمة لدى المصريين ، وكان هذا النظام من الكتابة هو الذى اخترعه المصريون أصلا لتسجيل لغتهم الكلامية » (١٤) ٠٠ وتضيف هذه الموسوعة قائلة ٠٠ « غير أنه حلت محله ـ أى محل الكلام الهيروغليفى ـ تدريجيا مشتقاته من الكتابات المختصرة وهى الهيراطيقية أولا ثم الديموطيقية ، وذلك فى كل الأغراض فيما عدا الكتابة على المبانى الأثرية ، حتى أنه فى العصر اليونانى لم يكن يفهم الهيروغليفية الا الكهنة وحدهم ومن ثم كان الاسم ـ هيروغليفية ـ يعبر تعبيرا دقيقا عن وظيفة هذه الكتابة فى العصر اليونانى ٠٠ أما التعبير المصرى لهذه الكتابة والذى جاء ذكره على حجر رشيد وعلى مرسوم كانوب وهو : سش ـ ن ـ مدو نتر، وتعنى كتابة كلمات الله فله مدلول أوسع ، اذ أنه كان يشير الى الاعتقاد المصرى بأن الكتابة الهيروغليفية بل واللغة نفسها قد أعطاها للناس الاله تحوت اله القمر الذى كان اله الحكمة والكتابة والى هذا الاعتقاد يرجع السبب الرئيسى لاستمرار استعمال الكتابة الهيروغليفية من عصر ما قبل الأسرات المتأخر حتى العصر اليونانى » (١٥) ٠

وتواصل الموسوعة القاء الضوء على هذه الكتابة قائلة : « وتتألف الكتابة الهيروغليفية من مجموعات من الصور التى أخذ الكثير منها شكله التقليدى النهائى فى أقدم النقوش التى لدينا والتى يرجع تاريخها الى ما قبل ٣٠٠٠ ق٠م بقليل » (١٦) ٠

الى أن تقول : « ٠٠ وتبدو الكتابة الهيروغليفية فى شكلها الكامل التطور معقدة بسبب كثرة العلامات وتنوع وظائفها ومدلولاتها ، ولكن فى

الحقيقة مبادئها الأساسية سهلة ، وترجع جذورها الى طبيعتها الأصلية وهى الكتابة أو التعبير بالصور ٠٠ فأسهل طريقة لكتابة كلمة ما هى أن ترسم الشىء الذى تمثله الكلمة ، ولهذا فانه توجد بعض كلمات كتبت دائما بعلامة تصويرية واحدة ـ بيكتوجرام ـ فى كل التاريخ المصرى القديم ، لكن لايمكن رسم أو تصوير كل كلمة ولا سيما الكلمات ذات المقاطع المتقاربة ، ومن ثم امتد استعمال تصوير الكلمات للتعبير عن فكرة فتحولت الى كتابة رمزية ـ ايديوجرام ـ ثم تحولت أخيرا الى أن تمثل أصواتا معينة فأصبحت حروفا صوتية ـ فوندجرام ـ ٠٠ ومن ثم تمكن المصريون من التعبير عن الكلمة تصويريا أو صوتيا وفى الغالبية العظمى من الحالات دأبوا على استعمال كلتا الطريقتين معا ،وقد فعلوا هذا لجعل معانى الكلمات أوضح ، ولأن الكتابة لم تكن بالنسبة لهم وسيلة ليعبر بها الشخص عن رأيه فحسب ، بل كانت تعنى أكثر من هذا ٠٠ مزاجا بل مذاقا فنيا » (١٧) ٠

٠٠ ونكتفى بهذا القدر من قول هذه الموسوعة ، ونستعرض ـ معا ـ عدة أقوال سريعة أخرى ، تتصل بهذه اللغة بالذات وتزيد من التعريف بها ، فى حدود ما تتطلبه هذه الدراسة ٠٠

ــــ ان أحد مؤرخى الحضارات الذى مر ذكره كثيرا ٠٠ يقول ضمن سطور له تتناول هذا الموضوع : « ٠٠٠ وعلى هذا النحو عرف الكاتب المصرى مقاطع الكلمة والصورة التى ترمز لكل مقطع ومجموعة الصور التى ترمز لكل لفظ ، فكان الكتاب يقطعون الكلمة مقاطع ويبحثون عن الألفاظ المشابهة لهذه المقاطع نفسها فى النطق والمغايرة لها فى المعنى ويرسمون مجموعة الاشياء المادية التى توحى بها أصواتها ، حتى استطاعوا فى آخر الأمر أن يعبروا بالعلامات الهيروغليفية عن كل ما يريدون ، فلا يكاد يوجد معنى من المعانى لا يستطيعون التعبير عنه بعلامة أو بمجموعة من العلامات » (١٨) ٠

ــــ وقريب من ذلك ما يقوله باحث مصرى من أن هذه الكتابة : « عبارة عن صور للانسان والحيوان والطير والنبات وأدوات الزراعة والأوانى وغيرها من مظاهر الحياة والطبيعة ، وقد تكون كاملة او تمثل أجزاء منها فقط ، ولكل صورة نطق خاص بحرف من حروف الهجاء وبعض

العلامات يمثل حرفين وبعضها ثلاثة ، والكلمة الهيروغليفية تتبع عـــادة بمخصص يبين معناها ، والفعل له نهايات مختلفة باختلاف ضمير المتكلم أو المخاطب أو الغائب وله صيغ خاصة بأحوال الأزمنة المختلفة » (١٩)٠

٢ ـ ٠٠ وأما عن الهيراطيقية :

٠٠ ونتوقف عند هذا الحد من الأضواء المسلطة على أبرز وأهم كتابة مصرية ، وننتقل الى كتابة أخرى هى فى الواقع تطور للكتابة السابقة ، ولكننا ننبه أولا الى أن هذا التطور ليس معناه الغاء الكتابة السابقة ، التى أستمرت قائمة ـ كما ذكرنا ـ حتى العصر اليونانى ، وليس معناه أيضا أنه قد استبدلت بها هذه الكتابة الجديدة استبدالا كاملا ، تماما كما لم تكن هذه الكتابة الجديدة ، أو فى تعبير أكثر دقة ، هذا التطور الكتابى الجديد ترفا لجأ اليه أجدادنا ، وانما كانت هناك بعض الأسباب المعقولة التى أدت الى استحداث هذا التطور الذى أطلق عليه أو على نقوشه وحروفه تعبير الكتابة أو اللغة أو **الخط** « **الهيراطيقى** » ٠٠ تلك التى نتوقف عند عدد من تعريفاتها، وأهم معالمها ومن بينها على سبيل المثال لا الحصر :

ـــ اننا نعود مرة أخرى الى مصدر سابق ـ الموسوعة الأثرية ـ ٠٠ لنقرأ معا ما تقوله عن هذه الكتـــابة ٠٠ فالهيراطيقى Hieratic مصطلح يصف الكتـابة المصرية القديمة المختصرة ، التى اقتصر استعمالها من حوالى ٧٠٠ ق٠م حتى القرن الثانى الميلادى على كتابة الشعائر الدينية فى الكتب الجنائزية ، على أنه كانت لها قبل هذا التاريخ استعمالات أوسع من هذا بكثير » (٢٠) ٠

٠٠ ويضيف مؤلفو الموسوعة قائلين : « ٠٠ وكانت الكتابة الهيراطيقية فى الواقع الشكل الذى أخذته الكتابة الهيروغليفية عندما كانت تكتب عادة بفرشـــاة على ورق البردى أو على الشقف ـ استراكا ـ وكانت العـــلاقة الأساسية بين هاتين الكتابتين كالعلاقة بين الخط اليدوى والكتابة التى تنقش على النصب والمبانى التذكارية فى عصرنا الحالى ، ويرجع تاريخ الكتابة الهيراطيقية الكلاسيكية الى حوالى ٢٠٠٠ ق٠م ، ولدينا مجموعة من الأدب المكتوب على البردى تظهر الجمال الرائع لهذه الكتابة » (٢١) ٠

ـــ ·· وبالمثل نعود الى ما قاله عن هذا الموضوع مؤلفان شهيران لقد كان الرسم الأساسى ـ الهيروغليفى ـ يتطلب مهارة ورشاقة ويحد من السرعة فى الكتابة بما يستلزمه من تفاصيل وفوارق ولم يحتفظ به على نمطه هذا ـ الهيروغليفى أيضا ـ الا للكتابة على الخشـــب أو الحجر أو المعدن ، أى عمليا للنصوص الرسمية ·· كل ذلك بينما بســـطت الرموز السابقة ، لا سيما القسم الدائرى منها ، وخصـــص التبسيط للكتابة على البردى (الهيراطيقية) (٢٢) ·

ـــ ·· وبعد حديثها عن الكتابة الهيروغليفية بما يشبه ما سبق تقديمه تقول الموسوعة الثقافية « ·· والحروف الهيروغليفية رسوم تقليدية تستعمل أساسا معان تبدو صعبة فى دلالالتها ·· وكانت الهيراطيقية التى استعملت فى عهد الدولة الوسطى أحد مظاهر التقدم السريع فى الكتابة الهيروغليفية » (٢٣) ·

ـــ ·· وأخيرا نشير الى قول بعض العلماء : « · ·الى جانب العلامات الهيروغليفية ·· انبثق منها خط سريع ، يمثل خط القلم العادى بالنسبة لخط المطبعة ، يعتبر أصلا للهيراطيقى الذى استخدم فى شـــئون الحياة اليومية وللكتابة على البردى والرق والفخار » (٢٤) ·

٣ ـ ·· وأما عن الديموطيقية :

الحلقة الثالثة فى السلسلة الذهبية اللغوية والكتابية المصرية القديمة، أو التطور الثالث الذى اتصل بها ـ بعد النقش المصـــــور والهيروغليفية والهيراطيقية ـ ·· وحيث نتوقف هنا لنلقى أكثر من ضوء سريع عليها ، بما يتناسب مع طابع كتابنا هذا ، ومع ما قدمناه عن التطور السابق ·· ترى ما الذى يمكن أن نقوله عن هذه الكتابة ؟ · اننا كذلك نلقى نظرة الطائر على عدد من المراجع التى ذكرتها ··

ـــ ·· ونبدأ بالمرجع الأخير السابق ، لنواصل قـــراءة ما يقوله أصحابه عن هذه الكتابة ·· « ·· ففى حوالى الأسرة الخامسة والعشرين ـ أى حوالى القرن السابع قبل الميلاد ـ نشأ من الخط الهيراطيقى خط آخر

أكثر بساطة وأسرع كتابة سماه الاغريق فيما بعد الديموطيقى – وقد شاع استخدام الأخير فى كتابة كـــل ما يتعلق بالحيـــاة الدينية فى العصر اليونانى » (٢٥) ٠

– وفى اختصار شديد تذكر الموسوعة الثقافية ٠٠ « ثم حلت محلها – أى محل الهيراطيقية – الديموطيقية التى لم تتميز كثيرا عن أصلها الهيروغليفى(*) » (٢٦) ٠

– ٠٠ولا تقنعنا هذه الأقوال المختصرة ، فنواصل ونقرأ معا قول مصدر مهم ثالث : « الديموطيقية ٠٠ وهى المستخدمة فى الكتب والوثائق التى كتبت منذ الأسرة الخامسة والعشرين الى آخر عصر الرومان من سنة ٧٠٠ الى سنة ٤٧ ق٠م » (٢٧) ٠٠ ويقول المصدر نفسه فى موقع آخر ٠٠ وهو يتحدث عن مراحل الكتابة نفسها ٠٠ « الخط الديموطيقى : وهو من اليونانية ومعناه خاص بالشعب ، فالخط الديموطيقى هو الصورة المبسطة التى أخذ الشعب المصرى يستخدمها فى كتاباته فى العصور المتأخرة » (٢٨)٠

– ٠٠ ويقول المؤرخ المعروف هيرودوت فى أحـــاديثه المصرية : « ٠٠ وهم يستخدمون نوعين من الكتابة ، احداهما تسمى المقدسة – يقصد الهيروغليفية – والأخرى العامية – يقصد الديموطيقيةالشعبية الأخيرة»(٢٩) ٠٠ ويعلق على ذلك أحد المتخصصين فى اضافة جيدة ومقارنة من جانبه لهذه الألوان من الكتابة المصرية : « تلك حقيقة معروفة فلقد كان للمصريين لغتان احداهما فصحى ويعرفها الخاصة من صفوة الصفوة ، وهى التى أسماها الاغريق الهيرولغيفية – النقش المقدس – يكتبونها على الحجـــر نقشا ورسما ، ثم يكتبونها فى القراطيس وغيرها بالقلم السريع ويسميها العلماء فى هذه الحالة الهيراطيقية ٠٠ ولغة أخرى يعرفها العامة ويكتب بها من يعرف الكتابة منهم ، وهى التى أســـماها الاغريق الديموطيقية أى الشعبية » (٣٠) ٠

(*) ليته قال ٠٠ ثم حلت محلها فى كتابة بعض الموضوعات فقط وليس جميع الموضوعات ، أو أنها سارت الى جانبها بين الطبقات الشعبية على نحو ما فعل الاخرون ٠

— ٠٠ وأخيرا نتوقف عند قول هذا المصدر المهم ، والذى استقينا منه الكثير عن هذه الكتابة المصرية القديمة عامة فتحت كلمة ديموطيقى تقول الموسوعة الأثرية العالمية : « استخدم الباحثون الحديثون الكلمة ديموطيقى وهى مستمدة من الكلمة اليونانية Demotikos وتعنى دارجة لتسمية نوع من الخط المختصر الذى استعمله المصريون القدماء حوالى ٧٠٠ ق٠م حتى القرن الثالث م٠ ولو أنه استعمل أحيانا مقترنا بالاستشهاد بلغات أخرى ، وهو الخط المنقوش على حجر رشيد تحت الخط الهيروغليفى»(٣١)٠ ويواصل أن هذا الخط : « اشتقاق أكثر اختصارا من الخط الهيراطيقى وقد كيف ليلائم الكتابة بفرشاة على ورق البردى أو على الشقف — الاستراكا — وكان القصد منه استعماله للكتابة الدارجة الكتابة على المنشئات الأثرية والغالبية العظمى من النصوص التى لدينا وثائق قانونية وخطابات رسمية وخطابات خصوصية ، وهى ذات أهمية كبرى لتاريخ القضاء والقانون فى مصر القديمة والحياة الاجتماعية فيها ، كما وصلنا أيضا من هذه النصوص عدد طيب من الأعمال الأدبية والسحرية » (٣٢) ٠٠ الى أن يقول : « وعلى العموم فقد ضحى بجمال الخط فى سبيل السرعة وخاصة فى الوثائق ، ولكن أدق الكتابات لها نظم ايقاعى وجلال » (٣٣) ٠

سادسا — الكتابة المصرية ٠٠ زاوية اعلامية :

٠٠ واذا كنا نتوقف عند هذا الحد من تناولنا لألوان الكتابة المصرية التى عرفت حتى العصر اليونانى ، بصرف النظر عن الكتابة الاخيرة ، أو التى انتهت اليها الكتابة المصرية وهى هنا الكتابة « القبطية » ٠٠ التى أخذت بعض حروف الديموطيقية ، وكذا بصرف النظر عن الكتابة اليونانية نفسها ٠٠ فاننا نقول أن كلماتنا السابقة فى مجموعها ، **لم تكن ترفا فكريا** ٠٠ ومن ثم فان الخطوة التالية هى أن نتوقف عندما تغنيه هذه الكلمات السابقة من زاوية اعلامية بحتة ٠٠ من خلال هذا التعليق القائم على هـــذا التعريف السابق نفسه :

●● ان من الملاحظ — أولا — أن هذه الكتابات الثلاث تعتبر سلسلة واحدة مكونة من عدة حلقات ، تبدأ بالنقش التصويرى الرمزى الذى عرفه المصريون قبل العصور التاريخية بقليل ، تلك النقوش التى تجمعت أخيرا فى

اطار اللغة الهيروغليفية ٠٠ التى يمكن،اعتبارها القاعدة الكتابية الأساسية، والعمود الفقرى الذى ارتبطت به « التطورات » اللغوية والكتابية الأخرى ، من خلال الحلقتين الثالثة والرابعـــة ـ الهيراطيقية والديموطيقية ، بــل والخامسة أيضا ٠٠ القبطية نفسها ٠٠ واذن فهذه لم تكن كتابات منفصلة تماما عن الأصل القديم الذى تطور الى الهيروغليفى ، بحيث لا يربط بينه فى شكله الهيروغليفى وبينها رابط ، وانما كانت كلها تنبثق منه وتتفرع عنه بشكل أو بآخر ٠٠ بل واحتفظت كل حلقة من حلقاتهذه السلسلة ببعض ما يشدها الى هذه الأصول ، وبقوة أيضا ٠

●● كذلك فان من الملاحظ ـ ثانيـــا ـ أنها ٠٠ جميعها ، وفى حلقاتها المختلفة قد أدت الدور الاعلامى « الوظيفى » خير أداء ٠٠ تشهد على ذلك ، النصوص العديدة المكتشفة والتى تجل عن الحصر ، وما يزال منها تحت الاكتشاف ٠٠ لقد نجحت هذه كلها فى أداء أدوار التعريف بما يريده أصحاب الرسالة الاعلامية على أى شكل من أشكالها ، وفى التعبير عن مختلف الأفكار والصور والمشاهد وألوان الشروح والتفسيرات بنفس درجة نجاحها فى نقل ألوان الفكر العام والمهتم والمتخصص الدقيق ـ ويهمنا منها الأول والثانى قبل غيرهما ـ بل وبنفس درجة نجاحها فى التعبير عن الآراء ووجهات النظر المتباينة والمختلفة ٠٠

●● لكن ٠٠ والحق يقال أيضا ، فان النجاح هنـــا قد تفاوتت درجته شدة أوضعفا ، من كتابة لأخرى لثالثة ، ولم يكن من المستطاع بسبب ظروف ومؤثرات عديدة ، أن يكون كل على درجة واحدة بل ان الأصح من ذلك أن يقال ، أن كل كتابة من هذه الكتابات قد أحرزت نجاحا ملحوظـــا فى ميدانها ، أو فى حقل استخدامها « الوظيفى » ٠٠ وما أسفر ذلك عنه من نتائج أو ثمار « اعلامية » بما لم يكن يتاح مثله للغة أخرى لو انها خاضت نفس المادة ، أو نفس المضامين ٠٠

●● ولعل ذلك يعنى ـ من زاوية أخرى ـ وفى اطار هذه النظرة الاعلامية نفسها ، متشابكة مع النظرة الحضارية والعامة ٠٠

ـــ أن هذه الكتابات ـ ككل كتابات ولغات العالم ، بل لعلها فى

ذلك تسبقهم جميعا ، بعد أن انتقلت الى فينيقيا واليونان ، وانتقلت بعض حروفها الى مواقع أخرى عديدة ـ أنها راحت تثبت وجودها «ككائن حى» ٠٠ على النحو الذى أشرنا اليه من قبل ، يعيش ، وينمو ، ويتجدد ويتطور ، وتصادفه أوقات القوة ،والضعف ، والشدة والرخاء ، معا بما يتصل به من نقوش ورسوم ومقاطع وصور وحروف وكلمات أيضا ٠

ـــ أنها راحت تؤدى الأدوار الوظيفية والحضارية المنوطة بها ، مطورة نفسها ، مجددة بعض جلدها القديم ، مغيرة بعض سماتها وملامحها ومعالمها بما يتناسب مع طبيعة المرحلة الزمنية والحضارية التى تمر بها او تجتازها ٠٠

ـــ وعندما وجدت ـ فى بعض الأحيان ـ أنها لا تستطيع أن تساير الزمن ، وأن تعبر تماما وفى دقة وحيوية وتدفق ، عن الأفكار والمعـــانى الجديدة ، لم تحبس نفسها ، وتصبح رهينة الماضى ، أسيرة فكره وتجاربه ، بل بقيت بعض صورها ومشاهدها بما يتناسب مع موضوعات ومضامين معينة ومحدودة ، كان لها قوتها وسيطرتها ، بيما اتجهت فى جانب أخر منها الى متابعة الجديد ، اللاهث بكل سرعته وصخبه ، فكان لها صورتها السريعة ، المختزلة ، المناسبة له أيضا ٠٠

ـــ أنها ، باستثناء المرحلة الأخيرة منها ـ القبطية ـ كانت مصرية خالصة ، نقشا ورسما وصورا ومشاهد وحـــروفا ، وكانت كل تطوراتها « جوانية » ٠٠ مصرية خالصة ، وكذا مؤثراتها فلم يعرف عنها أنها تأثرت بوافد دخيل ، أو بعنصر لغوى غير مصرى ، حتى هذه المرحلة الأخيرة ، بل ان الشواهد كلهالتتحدث عن تأثيرها فى اللغات الأخرى ، أوربية وأسيوية ٠

●● ٠٠ لكن ، ومادام أن الدور الاعلامى لكل منها لم يكن واحدا، وانما تميز ـ بالنسبة لكل منها أيضا ـ بعدد من الملامح والمعـــالم ، بل والخصائص أيضا ، فاننا نترك هذه الجوانب السابقة ، ونتوقف قليلا عند هذه النقطة ٠٠ ترى ما الذى يمكن قوله فى هذا المجال ، اضافة الى ماسبق؟

● ·· أما عن الهيروغليفية فانه يمكن القول بشأنها :

١ ـ أنها كانت اللغة الأم ، الفصحى ، الأكثر أصالة ، الأعمق تاريخا ، ذات الألفاظ الفخمة الجزلة الضخمة ··

٢ ـ وأنها بذلك كله كانت اللغة الأكثر مناسبة للكتابات الموجهة الى الطبقات العليا المستنيرة ، من « عليةالقوم » وكبار الموظفين ، وأبرز قطاعات المجتمع ·· معا ·

٣ ـ بل لا نغالى اذا قلنا أنها كانت لغة « اعلام القمة » · ·والذى أشرنا اليه فى صفحات سابقة ·· لغة « الاعلام الملكى » ·· واعلام الأمراء ، وحكام الأقاليم ، وكبار القادة والكهنة ، وقد استمرت محتفظة بهذه « الميزة» ·· ردحا طويلا من الزمن ، انها اذن لغة « الصفوة » الصفوة المؤثرة على مجتمعاتها ، وعلى حركة التاريخ ، وعلى الأحداث ، وعلى الرأى العام ، خاصة المستنير منه ، فى نهاية الأمر ·

٤ ـ بل ان من الملاحظ هنا ، أن هذه الكتابة « الهيروغليفية » ·· كانت تقوى ، وتصبح أكثر انتشارا ، وسيطرة على العقول ، فى عصور القـوة المصرية نفسها ، قوة مصر عامة ، بملوكها ، وأمرائها وحكامها وعسكرها وكبار موظيفها ، وكهنتها ··

٥ ـ بل ، وككل شىء قوى فى مصر القديمة ، فقد كان لها ارتباطها الشـديد بالجانب الدينى ، فمنذ عرفها المصريون وهم ينظرون اليها نظرة احترام واجلال ، بل نظرة تقديس أيضا « ويزعمون أنها من ابتداع الاله تحوت رب الكتابة والحسـاب والحكمة ، وأنهم تعلموها منه » (٣٤) ·· وحتى فى أحلك عصورها ، أو عصور ضعفها الشديدة ، فقد استمرت هى نفسها « الكتابة المقدسة » ·· فاذا أضفنا الى ذلك ارتباطها الشديد بأبرز أنواع الاعلام الملكى واعلام عصور القوة معا ، وهو هنا الاعلام العسكرى، ثم اذا أضفنا الى ذلك أنها كانت لغة « المدارس المختلفة » ، بل والتى كتبت بها معظم « النصوص الأدبية المصرية » (*) ·· لوجدنا فى النهاية أنها كانت

(*) بعض هذه النصوص التى ظهـرت فى عهود متأخرة كتبت بالهيراطيقية والديموطيقية ·

لغة ابرز أنواع الرسائل الاعلامية فى مصر القديمة ·· اللغة المسيطرة على معظم رسائل الاعلام الدينى والعسكرى والتربوى وذلك الذى قدم فى أطر ادبية ·· **وهكذا** ·

٦ — ·· بل ولماذا لا نقول أنها كانت أبرز لغات « **الاعلام الرسمى** » فى مجموعها ، وهو — كما رأينا — ذلك النوع الذى كانت له السيطرة « التاريخية » ·· على الفكر المصرى ، والعقل المصرى ، بل كان له السبق على انواع الاعلام الآخرى ·· غير الرسمى ، والفئوى والمجتمعى والخاص وغيرها ·

٧ — كذلك فان المتتبع للنصوص الاعلامية العديدة التى مثلت الهيروغليفية نسيجها اللغوى ليمكنه ملاحظة بعض الخصائص الأخرى ، المرتبطة بها ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر ،

— أنها الكتابة الأكثر استخداما فى تحرير الرسائل الاعلامية التى يراد لها ان تكون أكثر « خلودا » ·· وأن تنتقل من عصر الى عصر ، ومن جيل الى جيل ، تصل الماضى بالحاضر والمستقبل ·

— وأنها الكتابة التى تكاد تكون قد استأثرت بمعظم الاوعية الضخمة من أهرامات ومسلات وأعمدة وجدران مقابر ولوحات ضخمة ومتوسطة وغيرها ·· وليس معنى ذلك أن الوسائل والأوعية الأخرى لم تعرفها ، وانما عرفتها أيضا من لوحات صغيرة خشبية وحجرية وطينية وارداوزية ونحاسية وغيرها ·· ولكن الأوعية الأولى ، خاصة فى عصور القوة ، كانت هى الاكثر ارتباطا بها ·

— أنها كانت كتابة تحتاج الى مزيد من الجهد فى «اخراجها » بدرجة لم تعرفها الكتابات الأخرى ، ومن ثم فقد كان اخراج رسائلها يعتبر « عملا فنيا متكاملا » يشترك فيه الى جانب الكاتب الرسام أو المصور والحفار والنقاش والملون ·· وغيرهم ، مما يذكر باخراج وطباعة المواد الاعلامية الحديثة من جانب ، ويؤكد دورها الاعلامى اللافت للأنظار الجاذب لها من جانب آخر ·· ولو لم تكن لها أهميتها ، لما بذل فى سبيل « اخراج » رسائلها كل هذا الجهد والعرق ·

٨ ـ وربما تذكر هذه النقطة الأخيرة ، بواحدة من أبرز الخصائص الاعلامية لهذه اللغة من تلك التى شجعت على اللجوء اليها ، واستخدامها كقيمة اعلاميةفضلا عن كونها أداة الاعلام المصرى القديم الأولى ·· انها تلك الخاصة المتصلة بعدة أشياء نجملها فى الآتى :

ـــ جمالها ورشاقة ودقة خطوطها ورقتها أيضـــا ، والى حــد الشاعرية أحيانا ·

ـــ جاذبيتها ، خاصة عندما توضع فى المكان اللائق فوق أو على سطح الوعاء اللائق ·

ـــ تجاوبها الشديد مع خطوط وألوان الفن المصرى القديم فى معظم الأحوال ، بل انها هى نفسها تمثل لوحات متقنة وبديعة معا ·

٩ ـ كذلك فانه لا يمكن لباحث فى مجال الاعلام كما عرفته الحضارات القديمة ، أو فى مجال الآثار أن يتجاهل بعض الخصـــائص « الوظيفية » الفريدة الأخرى لهذه اللغة والتى يمكن أن تدخل تحت باب « طواعيتها » لكتابة معظم الرسائل ، ولا أقول كلها ، واستجابتها لرغبة الكاتب أو الرسام أو المصور أو الحفار أو غير هؤلاء ، لا سيما وهى :

ـــ تقبل الكتابة أفقيا من اليمين أو اليســـار ، ومن اليسار الى اليمين معا ·

ـــ وتقبل كذلك الكتابة رأسيا من أعلا الى أسفل ، أو من الرأس الى الذيل ·

ـــ بل وقبلت الكتابة فى بعض الأحيان سطرا يبدأ من اليمين الى اليسار وآخر من اليسار الى اليمين ·· بطريقة حلزونية ·· لا سيما بالنسبة لتلاميذ المدارس أو من خلال بعض ألوان الاعلام التربوى ··

أما كيف يمكن تعيين اتجاه قراءة هذه السطور ·· فالدليل هنا سهل وبسيط وهو اتجاه العلامات ذات الوجه والظهر ·

— تعتبر فى بعض الأحوال جزءا من المنظر نفســـه مما يعطى الانطباع بتوافر الانسجام و « الهارمونية » ٠

— وتقبل الكتابة على كل أنواع الأوعية الاتصالية ، لكنهم كانوا يفضلون كتابتها على أوعية بعينها لها صفة الدوام والاستمرارية ٠

١٠ ـ على أننا نعود فنقول فى النهاية ، أن ذلك كله لا يعنى أنها كانت الكتابة « الأنموذجية » ٠٠ أو « المثـــالية » بالنســـبة لاستخداماتها الاعلامية ، وانما يعنى أنها الكتابة التى نجحت الى حـــد كبير فى أداء أدوارها الحياتية والثقافية والرسمية ومن ثم الاعلامية المنوطة بها ٠٠ على الرغم من بعض « المثالب » التى راحت ترتبط بها ، أو الثغرات أو جوانب الضعف التى كانت تعتورها ٠٠ ومنها مثلا :

— صعوبة تعلمها الا بعد جهد كبير ، ومتابعة مستمرة ومضنية وتدريب قائم ومتجدد ٠

— صعوبة قراءة بعض نصـــوصها حتى أن بعض رجال الآثار يقول عنها أنها : « مازالت محتفظة بعدد من أسرارها وربما ستظل محتفظة بها الى ماشاء الله » (٣٥) ٠

— ٠٠ وكما يقول أحد الباحثين فى مجالها : « ٠٠ تمثل عصر الطفولة ومظهر ذلك خلوها فى أول مراحلها من الأدوات التى تأتى نتيجة أعمال الفكر ونعنى بذلك أدوات العطف وأدوات الربط بشكل عام كما هو واضح فى لغة الطفل حين يبدأ التعبير عن حاجياته ـ وكذلك لا نجد أداة للتعريف » (٣٦) ٠

— تحتاج كتابتها الى موهبة خاصة فى الرسم والنقش بما يتصل بهما من دراسة النسب والأعضاء والحركات المختلفة ٠٠

— صعوبة كتابتها على المادة الطرية مثل الجلد والبردى ٠٠ تكتب عليهما لكن بصعوبة ٠

— أنها كانت تتطلب وقتا وجهدا ، وعملا كبيرا قائما ومستمرا ٠٠

ـــ صعوبة استجابتها لمتطلبات الكتابة اليومية السريعة فى مجالات العمل اليومى المختلفة ومع ذلك ، كله ، فقد نجحت فى أداء معظم أدوارها وبقيت على حالها دون تطوير أو تغيير حوالى أربعين قرنا من الزمان ٠٠

★ ٠٠ **وأما عن الهيراطيقية ، فانه يمكن القول بشأنها :**

٠٠ قلنا أنه كان هناك من الأسباب ما أدى الى نوع من التطور الذى مس « «الهيروغليفية » فكانت « الهيراطيقية » ٠٠ لكنها لم تكن بحال من الأحوال لتحل محلها فى مختلف الميادين ، خاصة الميدان الاعلامى ، ميدان الرسائل الرسمية والملكية والعسكرية والدينية الفخمة الضخمة التى يرجون لها الخلود وانما كانت كل خصائص أو ميزات هذه الكتابة الجديدة، أو الخط الجديد من الزاوية العامة ، والتى أفادت منها الزاوية الاعلامية :

ـــ وجود مجالات أكثر اتساعا لكتابتها ٠

ـــ امكانية كتابتها بسهولة تامة على الوسائل الطرية كالبردى والجلد والطين ٠

ـــ سرعة وسهولة كتابتها وبذلك أفادت منها موضوعات الكتابة العامة فى مختلف مجالات الحياة اليومية ، ومنها الكتابات الاعلامية السريعة٠

ـــ عدم احتياج كاتبها الى استخدام أدوات حفر ونحت ، أو الى النحات والحفار وغيرهما ، وانما كانت تحتاج الى القلم البسط أو الفرشاة والاحبار والألوان فقط ٠

ـــ امكانية كتابة « نسخ » عديدة من المادة أو الموضوع أو المنشور وتوزيعها على من يهمهم الأمر ٠

ـــ امكانية الزخرفة والتلوين واخراج مادتها فى أجمل الاشكال ٠

ـــ أنها لا تأخذ حيزا كبيرا عند حفظها وتداولها ٠٠ ومن ثم يمكن حفظ العشرات والمئات من رسائلها فى حيز صغير ٠

ولعل ذلك كله كان وراء استخدامها فى الأغراض الاعلامية السريعة ، والعاجلة ، كاذاعة الأوامر والتبليغات والتنبيهات اليومية ، وكلغة للاخبار

التى ينقلها البريد الى مختلف الأقاليم ، وكلغة للمادة الدينية اليومية التى تتداول فى المعابد من طقوس وشعائر ـ غير ما كان يقوم منها بالهيروغليفية لأغراض أبرز وأهم ــ ·· وهكذا ·

★ ··· وأما عن الديموطيقية فانه يمكن القول بشأنها :

ترى ما الذى يمكن قوله من هذه الزاوية الاعلامية عن هــذا الخط الأخير ، أو الكتابة الأخيرة التى عرفتها مصر ·· قبل اليونانية والقبطية مباشرة ؟

لعلنا لا نبالغ كثيرا عندما نقول باختصار شديد أن هذا الخط الذى عرفه المصريون فى العصور المتأخرة هو اختصار آخــر للكتابتين الأولى والثانية ، أو فى تعبير أكثر دقة ، هو « اختزال » لهما ·· أما لماذا يكون هذا الاختصار أو الاختزال · وهو ما يتصل باستخداماته الاعلامية أيضا :

ــ فلأن الأغراض الكتابية قد تعددت تعددا كبيرا ، ومن ثم كثرت وتضاعفت مفردات القاموس اللغوى المصرى ، بما يصعب على المواطن العادى تعلمه أو استخدامه ·· ومن ثم كان هذا الاختزال ·

ــ ولكى يفيد من هذه الكتابة ــ ومن هذا الاختزال أيضا ــ المواطن العادى ممن يعرف القراءة ·

ــ ولكى تتم الكتابة بسهولة وسرعة ·· وهما من طابع « الكتابة العصرية » ··

ــ بصرف النظر عن جمال الكتابة نفسها شكلا ، أو حتى عن وضوحها ، انه خط يشبه فى كثير من الأحوال خط بعض المخبرين ، الذين لا يهتمون كثيرا بغير وقائع الخبر وتفاصيله أو بعض الاطباء عندما يكتب أحدهم « روجتة » العلاج بخط متواضع وطريقة مختصرة ··

ــ أى أنها كتابة « وظيفية عصرية » لا تهتم كثيرا بحسن اختيار الكلمات القوية المعبرة ولا باستعراض الأسلوب الماهر والرشيق ــ كما هو

الحال فى الكتابة الهيروغليفية ـ تماما كما لا تهتم كثيرا بعنصر الوضوح الكامل الذى قد لا تمكن منه سرعة التفكير والكتابة على نحو ما يقوله أحد كبار المؤرخين المتابعين : « ٠٠ أما السرعة فهى عدو الوضوح الألد فى جميع الأحوال » (٣٧) ٠

٠٠ ومعنى ذلك كله على المستوى الاعلامى أن هذه الكتابة :

ـــ نزلت بالفكر المصرى عامة ، والاعلامى خاصة من المستويات العليا ، الى الشعبية ٠

ـــ ووضعت أمام أعين القراء العاديين موضوعات كانت جديدة عليهم لا سيما الموضوعات القانونية والاجتماعية والأدبيـــة وجميعها ذات اتصال وثيق بالرأى العام واهتماماته فضلا عن وضع موضوعات « الاعلام الأدبى » أو الأدب فى أطر اعلامية ، طوع يد وفكر الطبقـــات الاجتماعية الجديدة ٠٠

ـــ كانت أكثر مناسبة ـ حتى من الهيراطيقية نفسها ـ لأغراض الاعلام السريع التى سبقت الاشارة اليها لا سيما بعد اتساع جوانب الحياة وايقاعها اللاهث ٠

ـــ ضاعفت ـ مرة أخرى ـ من اعداد المهتمين بالرسالة الاعلامية على أى شكل من أشكالها ٠

المبحث الثـــانى

زاويـــة فنيـــة

التعبير بالرسم والتصـــوير

أولا ـ مدخل الى الاعلام الفنى

٠٠ تلك هى كما نزعم ٠٠ جذور الصحافة المصورة ٠٠ كما عرفها الأجداد ٠٠ ذلك أنه وفى مجال الدراسات الاعـــلامية التى تتناول مصر

القديمة ، لا تذكر اللغة ، كوسيلة اتصال أولى وأساســية وقاعــدية ٠٠ الا ويذكر معها ـ وبالذلت فى مجال الاعلام التدوينى ـ الرسم والتصــوير ٠٠ فكما ارتبط النشاط الاعلامى المكتوب بهذه الكتابات السابقة كلها ، فقد ارتبط كذلك بألوان عديدة ، من الفن المصرى الذى يعكس المواهب المتعددة التى حبا الله بها الأجداد ، فعرفت بهم وعرفوا بها ٠٠ حتى أننا لا نبعد كثيرا عن الواقع عندما نقول أنه اذا صح اعتبار هذه الوسائل كلها ، من ألوان « الجذور » الصحفية ٠٠ الأجداد القديمة جدا للصحافة الحالية ، فانه يصح اعتبار هذه الجذور ، أو وسائل النشر القديمة ، على أنها كانت فى كثير من الأحوال ، بل فى معظم الأحوال أيضا ، جذورا مصورة ، تذكر بالوسائل العديدة المصورة الآن ، لاسيما المجلات ، والصحف الأسبوعية ، والنصفية ٠٠ بأنواعها ٠٠

ذلك كله ما يؤكده الفن المصرى الذى كان بالاضافة الى اعتباره عاملا مؤيدا ومؤكدا للرسالة الاعلامية ٠٠ من وجهة نظرنا ٠٠ كان بالنســبة للحضارة المصرية القديمة وعلى حد قول أحد كبار المؤرخين : « ٠٠ أعظم عناصر هذه الحضارة ، فنحن نجد فى هذه البلاد وفى عهد يكاد يكون عهد بداية الحضارات ، فنا قويا ناضجا أرقى من فن أية دولة حــديثة ٠٠ ولا يضارعه الا فن اليونان » (٣٨) ٠

٠٠ واذا كان الفن المصرى الذى يتحدث عنه المؤرخون يشمل **العمارة والنقش والتصوير والموسيقى والرقص وطباعة المنسوجات والنحت وبعض الصناعات الزخرفية والخشبية والمعدنية** ، ٠٠فاننا لن نتوقف عند هذه كلها وانما عند تلك الفنون ذات الصلة بالاعلام التدوينى خــلال عصور مصر القديمة المختلفة ٠٠ بينما نترك الأخرى لأصحاب التخصصات والاهتمامات الأخرى ، وحتى العمارة ، فانا سوف نتوقف عند بعض صورها ، وليست جميعها ـ عند حديثنا عن الوسائل الأخرى ٠٠

كذلك ، فان منهجنا فى هذا البحث سيكون مخالفــا لما تناولناه فى المباحث السابقة ، حيث وجدنا أن أفضل طريقة لتناول « الفن المصرى » وصلته بالاعلام ، هى تلك التى يقدمها المنهج التاريخى ٠٠ لكننا ننبه أيضا الى أنها نظرة طائر سريعة عجلى على جوانب التطور الفنى ، وارتباطه بمجال دراستنا ، وليست دراسة كاملة شاملة لجانب الفن فى الحضارة

المصرية القديمة ، وهو ما لا يسمح به موضوعنا ، أو المساحة المحددة لهذه الدراسة ، ومن هنا فنحن نقول :

ثانيا ـ فى عصر ما قبل الأسرات

ان سؤالا أساسيا ومهما يطرح نفسه بشدة ·· يقول : هل كانت لهذه الرسوم البسيطة العفوية الفطرية الساذجة ، التى تعود الى ما قبل العصور التاريخية فى مصر ·· هل كانت لها أية دلالة اعلامية ؟

واذا كنا قد أشرنا الى ذلك ـ الى الاجابة ـ فى سطور سابقة ، لا سيما عند حديثنا عن الاعلامين الدينى والعسكرى ·· فاننا نضيف الى ما ذكرناه سابقا ·· مثل هذه الاجابة ، وذلك من خلال منطلقين أساسيين ·· **أولهما** ·· تعريف بأهم وأشهر هذه الرسوم ·· **وثانيهما** تحليل لأغراضهما ، من زاوية اعلامية ، وليس من زاوية فنية فقط ··

ان من أبرز هذه الرسوم والنقوش والأشكال والمشاهد التى خلفتها لنا هذه العصور السحيقة ·· ورأينا فيها من هذه الزاوية الاعلامية نفسها هذه كلها ·· (نترك هنا عشرات الرسوم جانبا ونركز على ماله دلالة فنية واعلامية معا) ·

● ·· اننا نتوقف فى البداية عند بعض هذه الرسوم الأولى الدالة اعلاميا ومنها **الرسوم الفخارية** التى تعود الى عصر نقادة الاولى ، والتى نجد فيها رجال ونساء يرقصون ، وأيا كان الهدف من الرقص هنا ، دينيا كان أو كان دنيويا ، الا أن المهم من وجهة نظرنا هو التعبير عنحدث ما جرى خلال وقائعه مثل هذا الرقص ، تماما كما أن الرقص كان يؤدى دورا ما ، يعبر عنه حركيا ·

● والرسم القديم الاخر الذى يعود الى نفس العصر ، والذى يصور صيادا يخرج الى صيده ومعه أدواته وأربعة من كلابه المدربة ·· أنه يعنى أيضا رسما قديما جدا له مغزاه الاعلامى فهو جانب من اول تقرير اعلامى فى العالم يشير الى « يوم فى حياة صياد » ·· وكم كان عمله مهما فى هذه الأوقات ،

● .. فاذا أضفنا الى ذلك رسوم الصيد الأخرى العديدة التى تعود الى مثل هذه الأوقات لا سيما : (الرسم الشهير لحيـــوانات البيئة التى صورها صياد شطب الرجال (*) - بعض مناظر الصيد الأخرى المرسومة على الأوانى الفخارية - مناظر صلابة صيد الأسود - مناظر الصيد التى وجدت على جدران قبر الكاب مصورة صيد البر والبحر معا .. الخ) ..

● على أنه اذا كان رجال الفن والتصوير يقفون طويلا عند هذه الرسوم الجدارية الأخيرة - مقبرة الكاب - ويرون للوحاتها أهمية كبيرة فى تاريخ فن التصوير من أكثر من زاوية لا سيما أنها : « تعد المنبع الاول الذى استقى منه فن الافرسك فى العصور التاريخيـــة التالية » (٣٩) .. وذلك الى جانب أنها تعتبر علامة كبيرة على طريق استخدام الرسوم الملونة وتحديد المساحات .. وما الى ذلك كله ، فان رجل الاعلام ، أو على وجه الدقة « المؤرخ الاعلامى » يتوقف عند هذه الرسوم نفسها - مقبرة الكاب ، الكوم الأحمر : هيراكونبوليس .. ليرى أنها تمثل من الزاوية التاريخية الاعلامية :

ـــ فهى تعبر بالرسم عن أكثر من مشهد واحد تعرف بها وتقدم لها ويحس مشاهدها أن رسامها يريد أن يقول شيئا يتصل بها .

ـــ وهى تجمع بين أكثر من طريقة معروفة من طرق صيد البر والبحر معا ، وكأنها جانب من تقرير مصور عن هذا النشاط .

ـــ كذلك فان المدقق فيها يرى ارهاصات الرسوم العسكرية الاولى ، التى قلدت بعد ذلك ، أو شاركت فى تقديم ألوان الاعلام العسكرى القديم جدا والتى تمثل الملك وهو يصرع اعداءه الذين راحوا يركعون أمامه .. وهو الرسم الذى يقول عنه أحد رجال الآثار أنها من بين ما يعتبر « أصلا للصور الرمزية الشائعة فى عهد الأسرات والتى تمثل الملك يصرع عـــدوا له أو مجموعة من الأعداء » (٤٠) .

(*) على سفح تل يجاور النيل فى منطقة يقال لها شطب الرجال جنوبى ادفو ، وقد أفرد المرجع الكبير « تطور الحضارة المصرية » مقالة خاصة لرسوم الصيد عامة وهذه اللوحة خاصة بقلم أ.د. عبد العزيز صالح ولذلك لزم التنويه .

● كما يعنى ذلك أيضا أن أهل هذا الزمان الســحيق قد عرفوا البدايات الأولى لتسجيل الأحداث بالرسم والنقش تســجيلا « صريحا » و « مباشرا » ‥ فبالاضافة الى مثل هذه النماذج الاولى التى أشرنا اليها فى السطور السابقة ، أو فى الفصول السابقة لا سيما عند حديثنا عن الاعلامين الملكى والعسكرى (حروب الشمال مع الجنوب – حروب الملك العقرب – المعارك النيلية ‧‧‧ الخ)‥فان هناك الصور والمشاهد العديدة والتى تقترب موضوعا وتاريخا من هذه السابقة ، بل وبعضها كان أكثر قدما منها ، انها النقوش ذات الدلالة الاعلامية الحديثة الأولى حتى وان كان بعضها لم يفسر تفسيرا تاريخيا الى الآن ، وذلك مصداقا لقول القائل : « أما من النــاحية التاريخية ، فهى تعبر عن أحــداث معينة لازالت موضــعا لتفســيرات عديدة » (٤١) ‥ ان من أبرزها هنا ‧‧‧ ما حمله الوجه الأول لســكين « جبل العركى » ‥ من نقش لمعركة برية جرت بين فريقين ، أسفله رســم لمعركة بحرية بين ثلاثة مراكب مصرية ومركبين أجنبيين ، بينما احتدم القتال البحرى بينها ، فظهرت مقدماتها متشابكة ‥

ونكتفى بهذا القدر الذى نختتمه بقول لأحد المتخصصين ننتقل بعده الى عصر آخر ‥ الى نمط آخر من النقوش والرســوم وألوان التصوير ذات الدلالة الاعلامية ‥ انه القول الذى جا فيه : « ‥ وبدأوا – أهل نهاية عصر ما قبل الأسرات – يصورون عليها أساطيرهم ويرمزون برسومهم الى حوادث قومهم ٠ وبمعنى آخر بدأوا يستخدمون رسومهم فى تسجيل أخبارهم وأفكارهم ، فى عهود لم يكن بنو البشر قد عرفوا فيها طــرق الكتــابة اطلاقا»(٤٢) ‥ أى أن التعبير الاعلامى الفنى ‥ كان موجودا ، على شكل من الأشكال ‥ ولم يكن مجرد نقوش فقط ‥ تنطلق من فراغ ‥ الى غير ما دور تؤديه ، أو وقائع تشير اليها ‥

ثم مــاذا ؟

ثالثا – فى عصر الأسرات المبكر

‥ ودون أن نغمط فنانى العصر السابق حقهم – ويبدو أن أكثرهم كان من الصيادين والمحاربين والسحرة أو رجال الدين فى هذه الاوقات – ومع

الاعتراف ببعض الأسس التى وضعوها فى مجالى التعبير الفنى ، والتعبير الاعلامى معا ·· ، فان التطور ·· الذى هو سنة الحياة ، منذ ظهرت على كوكبنا الأرضى كان لابد وأن يعمل عمله بالفعل ·· لا سيما من خلال عـدة جوانب أساسية من أهمها :

أولها : جانب ما تميزت به الرسوم والنقوش السابقة فنا واعلاما من اعتمادها على العفوية المطلقة ، القائمة على الفطرة ، بل والمتداخلة مع صدق الانفعال والتعبير ··

ثانيها : أنها كانت عبارة عن خطوط وأشكال ورسوم ونقوش ومساحات فقط خالية من الرموز المتفق عليها والتى اصطنعها الانسان ·· أى كانت خطا تعبيريا ورسما معبرا يشغل مساحة ولم تكن كتابة اصطلح عليها ·· وهو ما يختلف عن الموجود فى هذه الفترة ـ الدولة القديمة ـ مجال حديثنا·

ثالثها : أنها كانت محدودة الانتشار تماما ـ فى وقتها وحال عملها ـ تقتصر جماهيرها علىهؤلاءالذين يوجودون بالقربمنها والقربالشديدأيضا·

رابعها : صغر حجم معظمها ، وبدائية خطوطه ·· مما يذكر تماما بطفولة الفكر عامة ، فى مثل هذه الاوقات ، وان اعتبرت متقدمة تماما ·· بالنسبة لشعوب أخرى عديدة ··

·· الآن ـ خلال عصر الاسرات المبكر ـ وعلى الرغم من أننا لن نختلف تماما عن هذه الأصول ·· الا أن هناك ، بعكس الجوانب السابقة ، ذلك الفكر الجديد ، « الوحدوى » ·· والعســـكرى ، والدينى معا ، ومن ثم ذلك الانتشار الاكبر فوق المساحات والمواقع الجغرافية المتحدة ·· وكذا ، وربما أهم من بعض هذه الجوانب ، وجود وسيلة التعبير والاتصال الأولى ·· اللغة والكتابة ·· حتى وان كانت قد استمرت ـ كما أشرنا الى ذلك من قبل ولفترة طويلة ـ كتابة تصويرية تقترن بالصور والمشاهد رغبة فى أن يشرح كل منهما الآخر ··

ويبقى أن نقف على أهم معالم هـــذه الأنماط الفنية ، من الزاوية الاعلامية التى نتحدث عنها ·· وحيث نستطيع أن نقول ، أن من أبرزها

وأهمها هنا ، ما يتصل بهذه الموضوعات ، وما عبرت عنه هـــذه الأنماط التعبيرية الفنية الآتية ، ذات الدلالة الاعلامية أيضا :

● مناظر صيد البحر من أسماك وحيوانات بحرية وطيور الشاطىء بمستوى أكثر تعبيرا وأكثر تهذيبا وأكثرتقدما لاسيما فى جوانب تعدد مجالات الصيد ، ودقة الرسوم ، ورقة خطوطها ، والاحساس الأكثر باستخدام اللون لمزيد من الدلالة الواقعية الفنية ، وجميعها لها أبعادها الاعلامية « الاولية » لا سيما من زاوية رصد وتسجيل هـــذه الموضـــوعات كجانب حياتى مهم وكبدايات أو ارهاصات للتقارير الرياضية ، أو كجذور لها ، ضاربة فى أعماق الفكر الاعلامى المصرى القديم ٠٠

● ٠٠ واذا كنا قد أشرنا فى سطور سابقة الى « لوح نارمر » ٠٠ كعلامة أساسية على طريق الاعلام المصرى عامة ، والعسكرى المهتم خاصة ، فان ذلك لا يمنعنا من التوقف مرة أخرى ، عند بعض النقاط الخاصة بجانب الفن ودلالته الاعلامية هنا ، وحيث يلاحظ من خلال هذين الزاويتين ــ الفنية والاعلامية معا :

ــــ أن التعبير الســـائد على هذه اللوحة بوجهيها ٠٠ هو التعبير بالرسم والنقش الفنى والصورة ، وليس بالكلمة المكتوبة ٠٠ ومع هذا ، فقد كانت لها هذه الدلالةالاعلامية الكبيرة على حروب نارمر وصرعه لأعدائه وتوحيد الوجهين ٠

ــــ وحتى فى حالة استخدام الرمز الفنى المعبر فقد كان هذا الرمز من قبيل المصطلح عليه فى مثل هذه الأوقات ، أو الشائع الاستخدام ، ومن ثم كانت له دلالته الاخبارية أيضا ٠٠ (رمز الآلهة حتحور وهى تحمى رسم القصر الملكى ـ رمز الوجهين التاج الأبيض والتاج الأحمر ـ أمام الملك رسم رمزى يمثل الاله حورس وهو يقبض على زمام أرض الوجه البحرى كرمز لمعاونته للملك فى اخضاع هذا الجزء ـ الرسم الرمزى الذى يبين رجلين ملتحيين بشكل نارمر وهما يقبضان على حيوانين خرافيين ٠٠ الخ) ٠٠

ــــ أن الرسام ـ كمصور اليوم ـ كان يعامل الأشـــخاص طبقـــا

لأهميتهم فالملك هو أكبر من باللوحة ، وغريمه ملك الوجه البحرى بحجم أصغر ، والوزير أقل حجما وحملة الأعلام أقل حجما .

— بل ولعل هذه النسب نفسها ، ثم تصوير الملك على هيئة ثور قوى يهدم بقرنيه أسوار حصون الأعداء ، ثم فى تصوير الأعداء وحركة هروبهم المذعورة مرة ، وتصويرهم مرة أخرى بدون رؤوس .. لعل فى ذلك كله ما فيه من الجذور الأولى الضاربة فى أعماق التربة الانسانية ، لفن « الكارتون » السياسى من جانب وللمقال « الكاريكاتيرى » من جانب آخر .. حتى دون أن يستخدم كلمة واحدة ..

● كذلك .. واذا كنا قد أشرنا فى سطور سابقة الى دبوس « الملك العقرب » .. فاننا نشير هنا .. الى الدبوس المماثل ، والخـــاص بالملك نارمر - مينا نفسه .. وهو غير اللوح السابق ، وان كانت نقوشه ورسومه وخطوطه - وليست كتابته - تقدم لنا هذه المادة كلها ، ذات الدلالة الفنية الاخبارية (طريقته وهو يجلس لكى يدير شئون مملكته مرتديا العبـــاءة الطويلة الخاصة بالأحداث المهمة - النزعة الدينية للحكم فى صورة طائر العقاب ناشر الجناحين رمز مدينة نخب - مشهد له وهو يقوم بتسيير دفة الحكم والحياة اليومية من خلال صفين للموظفين يتقدمهم الوزير - رجال ملتحون يعتقد أنهم غرباء يستقبلهم الملك - صف ثالث من الثيران والماعز .. يعتقد أنها غنائم حرب ..) .. الى غير ذلك كله من نقوش لا يستطيع صحفى اليوم أن يفصل تماما بينها وبين تلك التقارير الناجحة المصورة التى تحمل عنوان : « يوم فى حياة وزير » . .اليوم هنا فى حياة الملك ، مع التجاوز ، الذى تفرضه طبيعة العصرين ، واعتماد دبوس موحد الوجهين على الرسم والنقش فقط .. لكن من من الاعلاميين يمكنه أن ينكر تماما ، أن هذا الدبوس يعتبر من الجذور الاولى للمادة التقريرية التسجيلية المدونة التى عرفها تاريخ الاعلام ؟

ونكتفى بهذا القدر الخاص بذلك العصر وننتقل الى عصر آخر هو (*) :

(*) توجد لوحة أخرى مهمة تعود الى نفس العصر تسمى لوحة (جت) المعروضة باللوفر وهى لا تقدم من الزاوية الاعلامية كثيرا مما يختلف عن الانماط السابقة سوى اسرافها فى جانب الرمز وهى أقل فى جانب الدلالة الاعلامية .

رابعا ـ فى عصر الدولة القديمة

••• وبالمثل ، وكما كان متوقعا ، فقد تميز عصر الدولة القـــديمة بالتطور الفنى الحادث ، رسما وتصويرا ونقشا وعمارة وانتاجا ، وكانت له أساليبه المناسبة ، وأنماطه المتعددة ، شكلا وتعبيرا •• مما كان ينعكس بدوره على الجانب الاعلامى ، أو كانت له زواياه وظلاله الاعلامية التى من الصعوبة بمكان أن ينكرها الباحث •• ولكن كيف ؟

● اننا ـ بادئ ذى بدء ـ ينبغى أن نشير الى أن هذا العصر ، هو عصر « البنائين العظام » ، عصر « امحتب » •• المعمارى والمهندس والطبيب والمفكر الرائد ، عصر زوسر **وسنفرو وخوفو وخفرع وأوناس ، من ملوك المستوى الاعلامى الأول ، ومنقرع وساحورع ونفر اركارع ، وجـــدكارع اسيسى وببيى الأول من ملوك المستوى الاعلامى الثانى** •• هؤلاء الذين كانوا من الاعلاميين بطابعهم وطبيعتهم ، والذين ساعدتهم الظروف ـ الثراء ـ وسنة التطور نفسها وما وصل اليهم من ميراث فنى أضافت اليه التجارب العديدة ، والاستخدامات اللغوية الهيروغليفية التى كانت قد تأصلت وثبتت بالاضافة الى ما اتبع ذلك على المجال الاعلامى نفسه من ادراك لقيمة هذا الجانب ، بل ولجانب الدعاية لهؤلاء الملوك ومن تبعهم •• بأسلوب خاص فريد ، تميز بالخلط الوظيفى الهائل بين العمارة والنقش واستقطاب أنظار الجماهير بالبناء الضخم ، وهو نفسه الوعاء والأداة الاعلامية الضخمة•• التى تجذب اليها أنظار الحاضر ، وتبقى شاهدة تحمل رسالتها الى المستقبل البعيد •• حتى اليوم •• تعكس قوة الملك ونفوذه ، والأثر الدينى الكبير وسيطرة معتقدات البعث والخلود ••

● •• ولقد أسفر ذلك كله ، عن وسائل عديدة وخصائص وأساليب جديدة ، كانت لها أهميتها الفنية والمعمارية والاعلامية معا •• لكن من أبرزها دون جدال ، ومن أكثرها أداء للدور المنـــوط بها ، معماريا وفنيا وتاريخيا واعلاميا ودعائيا •• معا هذه الوسائل الأربع والافكار التى تقوم عليها والخصائص المتصلة بها •• الأهرام ثم المعابد الملحقة بها بما فيها من أبواب وجدران ولوحات وأعمدة ، ثم جدران مقابر عدد كبير من الأمراء والأميرات وحكام الأقاليم ، وبعض التوابيت الخاصة بهؤلاء وكذا بعض

المصاطب ، والتماثيل وغيرها ، وما اتصل بها من أساليب فنية ، واتجاهات تشكيلية عديدة ٠

● واذا كنا سوف نتوقف - بعون الله - عند هذه الأنماط كلها ، وغيرها فى المكان الخاص بها من هذه الدراسة ٠٠ فاننا نكتفى هنا بالاشارة الى عدة أساليب وعدة وسائل منها فقط ، من تلك التى كانت لها زاويتها الفنية والاعلامية معا بل وكان لها تفردها فى جانبيها ٠٠ ومن هنا نقول :

١ - اننا مازلنا فى احدى المراحل المتقدمة للاعلام الرمزى ٠٠ ليس على طريقة الريش الملون أو غطاء الرأس أو عقد الحبال أو ارتداء الودع أو عمل الوشم ٠٠ كما عرفته الشعوب الأخرى ، ولكن الفن هنا لأغراض دينية ودنيوية معا ٠٠ تتناول العقائد ، وتتحدث عن ايمان وثراء الملوك معا ٠٠ ولعل ما يقابلنا من ذلك كثيرا ٠٠ فى مقدمته ما ظهر على السور الكبير الذى يحيط بالمجموعة الهرمية للملك زوسر والتى تحدث عنها أحد المتخصصين بقوله : « ٠٠ وعلى هام البناء حيات نواشر ، هى فى عيون الفن حلية وزخرف ، وفى عقيدة الدين من دوافع الشر وموانع الأذى »(٤٢)٠ ولماذا لا نقول أن فكرة بناء الأهرام - ونحن فى عصر بناتها - هى نفسها فكرة رمزية لعبادة الشمس ٠٠ مما يؤكدها اجماع المؤرخين على ذلك ؟ ٠ ويتحدث عنها الأثرى السابق نفسه قائلا : « وفى رأيى أن بناء الهرم كان آية من آيات ذلك النشاط ومن آثار ذلك النشاط من تقديس الشمس فى هليوبوليس - شاهد كهان الشمس فى المعبد طائرا نادرا يحج اليه فيحط على شجرة عملاقة به فى موسم خاص - قدر المصريون أن يكون بين ذلك الطائر وبين الشمس صلة لم يستطيعوا يومئذ تعليلها فجعلوا منه رمزا اليها - بمرور الزمن استعاضوا بالمسلة ذات القمة الهرمية عن الشجرة - اذ يموت الملك يصبح هو الشمس بعينها !! فلا أقل من أن يبنى قبره على هذا الشكل الهرمى ٠٠٠ » (٤٣) ٠ كما يضيف متخصص آخر - ونحن نتحدث هنا عن قمة الاعلام الرمزى المتشابكة مع قمة فن العمارة الرمزى أيضا - ٠٠ يضيف المتخصص قوله « ٠٠ ولا شك أنه كانت توجد علاقة بين الشكل الهرمى وبين عقيدة الشمس ٠٠ ومنذ بداية التاريخ المصرى كان يوجد فى معبد هليوبوليس رمز لاله الشمس فى صورة عمود استعاضوا عنه فى العصر العتيق برمز لطائر الفونكس الذى يجثم فوق ما كانوا يسمونه الـ : بنبن ، وكان ذا شكل

هرمى ـ ويقدم علماء المصريات تفسيرا لهذه العلاقة بمظهر أشعة الشمس عندما تسقط مضيئة بين فجوات السحب فى السماء فانها تظهر كما لو كانت أهراما هائلة الحجم تربط بين السماء والأرض ، ونقرأ فى أكثر من موضع من نصوص الأهرام وصفا للملك الميت وهو يستخدم أشعة الشمس كطريق صاعد يرقى عليه الى السماء ٠٠ وان الهرم الحقيقى لم يكن الا بنين كبير الحجم يمكن اعتباره فى الوقت ذاته بديلا عن أشعة الشمس وبهذا يساعد الملك المتوفى على الصعود الى السماء » (٤٤) ٠٠ وذلك كلـــه بالاضافة الى الافكار المعمارية والفنية المتصلة ببناء الهرم ٠٠ فضـــلا عن الفكرة الاعلامية والدعائية ذاتها ، وبحسبه رمزا لقوة الملك وثراء عصره وحب شعبه له وما الى ذلك كله ٠٠ وان اختلف الناس حول النقطة الأخيرة ٠

٢ ـ ٠٠ فاذا تركنا هذه الفكرة الرمزية مما تميز به الفن والاعلام فى عصر هذه الدولة لقابلتنا على الفور فكرة فنية واعلامية وتعليمية ٠٠ معا تتصل بهذه المفردات نفسها ، الا وهى التعريف بالطريقة التى تم بها عمل البناء ، أو نقش النقش أو رسم الرسم ، أو صور التصوير ، وهو جانب مهم من جوانب الاعلام التعليمى الفنى على وجه التحديد ٠٠ وحيث تقابلنا كثرة من اللوحات التى توضح ذلك ٠٠ المشرفون على الكتاب والرسامين وهم يتابعون عملهم ، وهم يستعملون أدواتهم ، وهم يقسمون صفحاتهم الحجرية الى مربعات صغيرة لمراعاة النسب الفنية المختلفة ، وهم يحاولون التحرر من بعض النسب فى بعض اللوحات ، وهم يعدون الحوائط والجدران واللوحات الاعداد الأولى للرسم ٠٠ أو الاســــتخدام الفنى ٠٠ وما الى ذلك كله ، وجمعيها نقوش تدخل فى باب الاعلام التعليمى الفنى بل لعلها أقدم صفحاته على الاطلاق ٠

٢ ـ ٠٠ واذا كنا نقولالآنأن للصورة البيضاء والسوداء استخداماتها الوظيفية ، التى تجعلها تفضل استخدام الصورة الملونة ، والعكس صحيح أيضا ، وذلك من زاوية الاستخدام الفنى الاعلامى فاننا نستطيع أن نقول أن هذا الاستشعار بقيمة اللون ، وأثره الاعلامى ، فى جذب العيون الى اللوحة ـ عامل اخراجى ـ وفى اضفاء مسحة من الواقعية عليها ، وفى اعطائها مزيدا من الجمال كما تشعر بمقدرة الرسام والمصور ٠٠ هذه كلها قد اكتملت خلال هذه الفترة التاريخية نفسها كما لم يحدث من قبل ، ونظرة

واحدة الى رسوم ميدوم وسقارة لا سيما مقبرة « تى » ومصطبة « بتاح حتب ومقبرة ماعت » ·· وغيرها لتؤكد مثل هـــذه الحقيقة ، وما لها - بالتالى - من انعكاسات اعلامية بعيدة المدى ··

٤ - ·· وهذه الرسوم الملونة نفسها وغيرها ، لها عندنا دلالة اعلامية أخرى ، تتمثل فى تقدم فن النقش الذى يتحدث عن « **رواية حياةالأفراد** » ·· وصحيح أن البداية كانت من العصر السابق ولكننا هنا أمام صور جديدة اكثر تطورا ، من زاوية تعدد الموضوعات والمضامين التى عبرت عنها هذه النقوش ، ومن زاوية دقة التعبير ، وسلاسته ، واقترابه عدة خطوات من التعبير الفنى الأنموذجي ، بل كان كذلك فعلا ، مما ساعد فى أن يؤدى دوره الاعلامى - النقش والرسم حتى دون الحاجة الى كلمات تصفه أو تشرحه أو تؤيده ، بطريقة من الطرق ·

٥ - ·· وعلى ذكر « الدقة » ·· كعنصر فنى مميز ، وله جـــدارته واستحقاقه ، وبصرف النظر عن ضخامة بعض الوسائل التى اعتبرها البعض مسرفة أو مبالغة فى دعايتهـــا ·· وحيث كان لذلك مبرراته ، من وجهات أنظارهم - لم يثبت على وجه الدقة أنها كانت على سبيل السخرة وانما كرد فعل لحب الناس لمليكهم ودفنه الدفنة اللائقة ·· وتشغيلهم وقت توقف العمل الزراعى - كانت الدقة بشكل عام ، دقة الخطوط والنسب والمساحات واختيار الألوان والموقع العام للوسيلة أو الأداة فضيلة مصرية تجلت فى هذا العصر مما أسهم فى زيادة اقترابها من الواقع القائم ، ومن ثم الايحاء الصحيح بصواب ما تقدمه ·· ومن هنا فنحن نشير الى الصور الكثيرة لهذه الدقة ، والمتمثلة - كأنموذج فقط - الى الرسوم البارزة التى وجدت فى بعض الغرف الملحقة بهرم زوسر أيضا ·· تلك التى تمثله وهو يقـــوم ببعض الطقوس الدينية والاحتفال بعيد حكمه ، حيث لا يتجاوز بروزها من فوق الحائط المليمتر الواحد ·· ومع ذلك فهى واضحة كل الوضوح تبرز تفاصـــيلها المختلفة · ·وبالمثل كانت النقوش المحفورة على الخشب الموجودة فى قبر « حسى رع » ، بل انه قد يأخذنا العجب من دقة رسوم بعض ملامح الوجوه ، لا سيما الملكية الجادة الصارمة التى تحث على الاحترام ، ثم يأخذنا العجب مرة أخرى عندما نعلم - لمزيد من الدقة - أن اللوحات الملـــونة فى بعض المقابر - حتى مقابر الأفراد أنفسهم - كانت مرقومة ، بأرقام توضح تتابع

المشاهد المختلفة ، تماما كما تفعل بعض وسائل النشر الحالية - خاصة المجلات - عندما ترقم صورها ، أو شريط صورها المتتابع لكى تقود الأرقام القراء اليها ٠

٦ - على أنه لابد من الاعتراف ، بأن أكثر النقوش الفنية دلالة اعلامية خلال هذا العصر نفسه ، هى تلك النقوش المرتبطة **بجدران مقابر الأفراد من غير الملوك** ، والتى ألمحنا اليها من قبل ، وحيث رأحت تمثل وعلى حد قول القائل « موضوعات مختلفة ، منها تقديم شتى صـــنوف الطعام والشراب وصيد مختلف أنواع الطير والحيوان والاسماك ومنها ما يمثل الفلاحين يعملون فى الحقول والصناع والفنانين يؤدون أعمالهم المختلفة كما أن منها ما يصور رجالا ونساء يغنون ويرقصون زامرين أو مصفقين بأيديهم أو عازفين على الجنك وكلها صور حية تمثل جوانب مختلفة من حياة المصريين وأعمالهم تنقل المشاهد الى تلك الأزمنة البعيدة ، حتى ليشعر أنه يحيا بين ظهرانيهم ويشاهد مختلف أعمالهم » (٤٥) ٠٠

٧ - ٠٠ كذلك فقد شهدت هذه الفترة الزمنية - وعلى الأخص نهايتها وفى الأسرة السادسة - تطورا فنيا أخر ، يرتبط بالاعلام الدينى ٠٠ فبعد أن كانت « توابيت الدفن » تكاد لا تعرف النقوش أو الرسوم ٠٠ اللهم الا قليلا منها ، فى العهود السابقة ، وجدنا أن النقوش ، لا سيما الجنائزى وهى تزخر به ، وهى رسوم للميت ، وبعض مناظر حياته المهمة ومائدة القربان بما يقدم عليها من ألوان الطعام والشراب ٠٠ وما الى ذلك كله ٠ ٠كل ذلك فى رسم دقيق ومعبر وملون ملأت حوائطها الحجرية أو الخشبية ٠٠

٨ - ٠٠ وفى النهاية ، فاننا نتوقف عند عدد من المعالم الفنية الأخرى، ذات الدلالة الاعلامية ، التى نجملها فى ما هو آت :

— أن النقوش الغائرة قد استخدمت على نطاق أكثر اتساعا من ذى قبل مما يعطى انطباعا عن امكانية التجديد ، ولفت الأنظار ، فضــــلا عن القابلية لأنواع من الألوان كما حدث فى مقبرة « نفرماعت » ، وفى تمثال « ست كا » و**غيرهما** ٠

— قلة الاهتمام بالنقوش والزخارف والمناظر المرسومة التقليدية ٠٠

فى عهدى خوفو وخفرع وهو ما نلاحظه فى ظل سيطرة الاتجاهات المعمارية الجنائزية المعتمدة على الضخامة ٠٠

— ومع ذلك فهناك اعترافات عديدة بوجود **طبقة منقوشـــة على جدران الهرم الأكبر** تحدث عنها كثيرون من بينهم : **خعمواس - هيرودوت - عبد اللطيف البغدادى** والأخير وقد كان من رحالة القرن الثانى عشر الميلادى ذكر أن ما وجد على صفحات الهرم الاكبر من كتابات ونقوش « تملأ عشرات الألوف من صفحات الكتب الا أنها أزيلت حينما بدأ الناس ينتزعون كساء الهرم خلال القرن الثالث عشر الميلادى » (٤٦) ٠

— لكن من المؤكد أن الثابت حتى الآن ، هو أن أفضـــلها قيمة تاريخية ، ودينية ، واعلامية - معا - ومما يتصل بالاعلام الدينى نفسه عن قرب ، تلك النقوش الجنائزية العديدة التى كتبت على الجدران الداخلية لهرم آخر ملوك الأسرة الخامسة - أوناس - وهى المعروفة باسم « **نصوص الاهرام** » أو نقوش الاهرام ، والتى أمدتنا بالكثير من عقائد الاجداد الدينية وعاداتهم فى الوفاة والدفن وما يضمن السعادة الأبدية للموتى وما الى ذلك كله مما أشرنا اليه سابقا ٠٠ كما أن النقوش الجدرانية الخاصة بالطريق الى معبده الهرمى وتنوع موضوعاتها من الدين الى الحرب الى الرياضة الى الزراعة والحصاد الى الوفود الأجنبية التى قدمت الى مصر ٠٠ يجعلها ذات أهمية اعلامية لا سبيل الى انكارها ٠

— لكن ذلك كله لا يصل الى تعدد موضـــوعات **نقـــوش الأسرة السادسة** ، لا سيما فى أواخر أيامها ، فقد فاقت - بكثير - الموضـــوعات السابقة عليها ، واتسعت مجالاتها كما لم يحدث من قبل ، كما صاحب ذلك تحرر كبير فى تنفيذ هذه الموضوعات نفسها بخطوطها وألوانها ونسبها مما أسهم فى أدائها للدور الاعلامى « الواقعى التسجيلى » ٠٠ حدث ذلك فى مقابر كثيرة ، من أهمها « **مرروكا - خنتى - عنخ حور - كا أم حست**) ٠٠ بل لقد وجدناها تتعدى موضوعات النشاط التقليدى ٠٠ الى تصوير بعض أعمال الاطباء ، ومعارك الحصار الذى ضربه جند مصر على أسوارمدينة أســـيوية ٠٠

خامسا ـ خلال العصور التاريخية التالية

٠٠ يمكننا أن نزعم ، أنه خلال العصور السابقة ، وحتى نهاية الأسرة السادسة ، كان الفن المصرى القديم ، لا سيما النقش والرسم والتصوير والنحت ، كانت هذه قد قطعت شوطا طيبا فى سبيل التقدم والتطور ، أفاد منه الاعلام ، الوسائل والأطر والمادة الاعلامية ، فائدة طيبة أيضا ٠٠ بل اننا نستطيع أن نقول أن من رأينا أن « جذور الصحافة المصورة » قد أوشكت على الاكتمال ، شكلا ومضمونا ٠٠ خلال هذه الفترات السابقة نفسها ٠٠ وحيث تتبعنا فى حدود المساحة المتاحة تلك المادة الفنية التى تحدثت وحدها وأخبرت وعرضت ، أو ساعدت الكتابة على اداء هذه الأدوار والوظائف كلها ٠ وذلك الى الحد الذى يمكننا أن نقول معه أن ما شهدته العصور التالية ، كان يمثل عدة « **اضافات** » استكملت بها الصورة التى كانت موجودة أصلا ، وتدعمت المشاهدالتى كانت قائمة ٠٠

ومن هنا ، وحتى لا تكون هذه دراسة فنية فقط ، وما دام الاطار الفنى الاعلامى قد تحدد ، وما دامت القاعدة قد استكملت ٠٠ فاننا نقوم بالقاء نظرة طائر أخرى ، على أبرز هذه الاضافات التى قدمتها العصور التالية ، عصرا فى اثر عصر ، حتى اكتملت معالم صورة هذه الزاوية الفنية ، أو هذه الرؤية الاعلامية للفنون القائمة وما ألقته من ظلال على المشهد الاتصالى نفسه ٠٠ ولكن كيف ؟

● ٠٠ اننا فى البداية نسأل ، هل يمكن أن يكون عصر الانتقال أو الاقطاع الأول ، عصر الاضطراب والتفكك لا سيما خلال الأسرات : (٧ ـ ٨ ـ ٩) قد أضاف شيئا ٠٠ الى هذه المعالم والملامح الفنية الاعلامية كلها ؟

٠٠ انه على الرغم من هذه الفوضى الضاربة أطنابها والتى تمثلت فى المجالين الفنى والاعلامى فى الاعتداء على كثير من الاوعية والادوات والوسائل خاصة « نهب » الأهرام والمقابر بمحتوياتهما ٠٠ الا أن هناك من يقول أن ذلك : « كان بداية لفهم ووعى جديدين ، اكتشف فيه المصرى أهميته كانسان وعرف حقوقه وبدأ يجاهر برأيه » (٤٧) ٠٠ وقد أسفر ذلك فنيا ٠٠ كما أسفر اعلاميا عن أنه « **أصبح الملوك وأفراد الشعب متساوين بعد**

موتهم » (٤٨) ·· ومن ثم فقد بدأت الاتجاهات الفنية « الملكية » أو تلك التى تظهر على جدران المقابر والمعابد والتوابيت والأثاث الجنائزى الملكى ·· بدأت تظهر بشكل أو بآخر ·· على جدران مقابر الافراد أنفسهم هذا ما تقوله هذه الفئة ، لكننا نرى أن هذه الاضافة « الشعبية » :

— كانت بعض صورها موجودة فى مقابر الأفراد قبل هذا العهد ، وان كانوا من علية القوم ·

— كان الفارق كبيرا والمسافة متسعة بين ما أوجده هذا الاتجــاه الشعبى ، وبين القائم والموجود على « صفحات » الوسائل الوسائط الخاصة بالملوك والامراء ··

·· واذا كنا من قبل قد أشرنا الى أن الاعلام المصرى القديم — والفن أيضا — كان فى معظمه صناعة ملكية ، صناعة الاقوياء والأثرياء معا ، فاننا نضيف هنا ، أن ما أقيم من صور ومشاهد للعاديين من الناس كان يفتقد الكثير من العناية ، والدقة ، والثبات ··

— أن أغلبها كان تقليدا لما هو قائم بالفعل ، لفنانين أقل مقدرة ، بل وربما لصاحب المقبرة نفسه ، ولأدوات أقل باعا ، وأقصر ذراعا (*) ··

— أما الذى يمكن أن يقال عن ايجابياتها فهى تلك التى تتمثل فى زيادة جماهير هذه الصور والمشاهد كلها ، وانتشارها فى المدن ، بعد تركزها فى العواصم الكبرى ، ثم فى بعض جوانب البساطة التى حاول فيها الفنان الا يخل بالقواعد الموروثة قدر استطاعته ، وأن يحتفظ ببعض معالم الجمال قدر الطاقة ، وعلى الرغم من أن امكاناته لم تسعفه دائما الى ذلك ، الا فى أحوال قليلة جدا ، بل انه حتى فى مثل هذه الأحوال فان من المشاهد أن أكثرها كان لبعض كبار القوم ، من الصفوف الثانية ، أو الثالثة ، وليس من الشعبيين تماما ·

(*) ربما يساير ذلك بعض الامثال الشعبية ، أو الاقوال المأثورة التى تستخدمها اليوم ومن بينها على سبيل المثال لا الحصر أن « الغالى تمنه فيه » ·· وكذا « من شأن المقلد أن يكون أقل » ·

● وكانت أهم الجوانب الايجابية التى شهدتها الساحة الفنيــة المصرية القديمة والتى انعكست بدورها على هذه الرؤية الاعلامية خلال عصر « **الدولة الوسطى** » والتى انعكست آثارها على « المشهد الاعلامى » هى التى نختصرها فى ما هو آت :

ـــ دور أكبر لفنانى المدن الكبرى والأقاليم خاصـــة طيبة والفيوم ودندرة أسهم فى زيادة وظيفة الفن واتساع دائرة المتأثرين به ٠٠ مما كان له بعده الجماهيرى ، بل وقد أسهم ذلك أيضا فى انتشار المدارس والاتجاهات الفنية « الاقليمية » بموضوعاتها وموادها الاوليةوصناعها أيضا ٠٠ وكلها أفاد منها الحقل الاعلامى ، بشكل أو بآخر ٠

ـــ بل وكما ينصح بذلك عدد من رواد « **الصحافة المصورة** » وجدنا النقوش وهى تزخر بالعديد من صور الاشخاص ، كما لم يحدث من قبل حتى أصبح من العادى جدا ، أن **تمتلىءاللوحة عن آخرها** بمختلف أصحاب المناصـــب ، والزائرين ، والحـــراس والخدم والحشم ٠٠ مما ســـاعد على زيادة لفت الانظار اليها ، وجذبها بشدة نحوها ، وذلك قبل أن تتردد الصيغ الاعلامية من مثل : « ان أول ما يجذب البشر ٠٠ هو البشر أنفسهم ـ الأسماء تصنع الاخبار ، والصور أيضا » ٠٠ وغيرهما ٠٠ بأكثر من ٣٥ قرنا من الزمان ٠

ـــ وصحيح أن حياة ونشاط أميرات القصر الملكى كان لها حظها فى عصور سابقة ، لكن نقوش هذا العصر ، بارزة وغائرة ، توغلت الى مدى أكبر فى حياتهن ، وراحت تقدمها على الأثاث الجنـــائزى والتوابيت ، واللوحات المختلفة ، بكل « صراحة » ودقة أيضا ، وكأنها مادة تذكر بتقارير «يوم فى حياة أميرة » ٠٠ وتصلح للنشر على صفحات المجـــلات النسائية المصورة حتى الآن ، ونخص بالذكر الرسوم والنقوش المتصلة بالأميرات : « كاويه ـ عاشيت ـ باكت ـ بنات حجوتى حتب » ٠٠ وغيرها ٠

ـــ ٠٠ واذا كنا قد أشرنا فى مجال الاعلام الرياضى الى ماقبر بنى حسن »٠٠ فاننا نعود الى الاشارة نحوها من خلال أكثر من زاوية فنية جديدة كانت لها ظلالها الاعلامية الطيبة ٠٠فهناك أولا المجموعات العديدة ـ ٢١٩ مجموعة واحدة ـ وهناك ثانيا دقة الخطوط المعبرة عن مناظر المصارعين ،

وهناك ثالثا الحركة القوية والنجاح فى تصويرها فى تلك الموضوعات التى تحتاجها ـ الرياضة عامة ـ وكلها ملامح تؤكد الاتجاهات الواقعية المؤدية لدورها فى الاعلام عن هذه الألعاب كلها ·· والتعـــريف بها وبنظمهـــا وحركاتها ·· وكأن الرسام قد سجلها بريشته من ملاعبها وحلباتها وحلقاتها ·· ترى ما الفرق بينها وبين ما يقدم اليوم على الصفحات الرياضية بمعرفة المصورين الصحفيين ؟!

● ··واذا كانت فترة احتلال الهكسوس لمصر مجـدبة فى نتاجها الفكرى والفنى والمعمارى والاعلامى ، وكل ألوان النشاط الأخرى ، فان باستطاعتنا القول أن العصر التالى ـ التحرير والدولة الحديثة ، قد شهد العديد من الملامح الفنية الخاصة ، والمميزة أيضا ·· تلك التى يمكننا القول ان انعكاساتها الاعلامية ، كانت مميزة مثلها بعدد من الملامح والخصائص من أبرزها :

ـــ انعكاس حرب التحرير المنتصرة على رسوم الأشخاص وملامحهم وأحجامهم ·· حيث وجدنا الاجسام خاصة الملكية وهى اكثر طولا ، خاصة أعناقها ، كما بدت ملامح الوجوه وكأنها تعكس الاحساس العام بالاوضاع الجديدة المنتصرة ·· وذلك على النحو الذى رأيناه فى مواقع كثيرة من بينها بعض جدران المقابر لا سيما جـــدران مقبرة « **امنحتب الأول** » ·· وبعض جدران وأعمدة معابد الاسرتين ١٩ ، ٢٠ ·

ـــ وقد كانت « **الخاصة الثانية** » التى ظهرت فوق الصـــفحات الحجرية والاردوازية والبردية بل والخشبية خلال هذا العصر ، وتأكدت أيضا ، أكثر مما ظهرت وتأكدت خلال العصور السابقة ·· هى تلك المتصلة بالرسوم والنقوش والتصوير البارز بشكل عام ، وحيث ارتبط ذلك بأفضل ما يمكن أن يرتبط به من « قيم » فنية ، ومهارات عديدة فهى الأكثر وضوحا ومهارة فى استخدام الألوان المتعددة بعد أن وضع الفنان خبرات وميراث أكثر من عصر فى صناعة « الأصباغ » المختلفة ، تماما كما أنها الأقرب الى تصوير الواقعية ، والأدق ، لا سيما فى تتبع الحركات ، وفهم ما تقوم عليه من خصائص تشريحية ، ترتبط بأعضاء الجسم ·· وصحيح أننا وجدنا مثل هذه عند فنانى عصر الدولة الوسطى لكن هذه كانت محدودة الموضوعات ،

بل تكاد تتركز فى الجوانب الرياضية وتصوير بعض أعمال « الموتى » فقط٠٠
أما هنا ــ فى عصر الدولة الحديثة ــ فان دقة الحركة ومهارة تصويرها
كانت تمثل « **ظاهرة** » **عامة** ، فى النقوش الملكية ، ونقوش الأفراد معا ، فى
موضوعات الرياضة والدين والفن وتلك الجنائزية والعسكرية والزراعية٠٠
وما الى ذلك كله ٠٠ واضح أن ذلك كله قد جعلها تسير عدة خطوات أخرى
على طريق تحقيق الفائدة الاعلامية ٠

ــ كذلك فانه يمكننا أن نلاحظ بشدة الخاصة الثالثة التى تتمثل
فى تلك الروح الجديدة التى سادت فى استخدام عدد من الاوعية الاتصالية
الجديدة بشكل لم يحدث من قبل ، وبالنسبة لأمثال هذه النقوش والكتابات
المصاحبة لها ، بل ان بعضها ليبدو ، وكأنه يستخدم لأول مرة ، بمثل هذا
الحجم والكثافة ، والاستخدام الوظيفى أيضا انها المعابد الضخمة ، مع
التركيز على (١) الأعمدة (٢) المقصورات (٣) البوابات (٤) الواجهات
والمداخل ٠٠٠ ثم انها المسلات ، الوعاء القديم المتجدد الاستخدام ثم القصور
الملكية بجدرانها وسقوفها وأرضياتها وأخيرا ورق البردى الذى نجح فنان
هذا العهد فى التغلب على صعوبات اســـــتخدامه كاملا لا سيما من حيث
النقوش والخطوط الملونة ، بواسطة هذه « المركبات » الصباغية واللونية
الجديدة ، ومن ثم فانهما ــ الكاتب والفنــــان معا ــ راحا يحققان أقصى
استخدام وظيفى له ٠٠ فنى وعلمى ودينى واعلامى ٠٠ معا على أننا فى
هذا المجال ، لابد من أن نشيد بهؤلاء « المجهولين » من الفنانين والكيميائيين
الذين أمكنهم الوصول الى بعض الزيوت والدهون التى أضيفت الى الألوان
والأصباغ المعروفة ، بعد استخراجها من بعض البذور والنباتات ، مما ساعد
على شدة التصاقها بالسطح المطبوع ، وكذا على بقائها الى يومنا هذا ، انه
الأصل البعيد لما نطلق عليه اليوم تعبيرنا « ألوان الزيت » من جانب ، كما
أن صلتها التاريخية والجذرية بطباعة « الأوفست » لا يمكن التهوين منها ٠

ــ ٠٠ واذا كنا قد أشرنا من قبل ، الى جرأة بعض رسامى ومثالى
عصر الدولة الوسطى فى اقتحام مجال تصوير بعض الأميرات ، فقد شهدنا
هنا عجبا ٠٠ يتمثل فى مزيد من تصوير مثل هذه المناظر ، ليس عن اقتحام
هذه المرة وانما عن روح ملكية جديدة ، وفكر ملكى جديد جعــلا من عائلة
ملكية بأكملها تستسلم لريشة الفنان ، وأزميل النحات واصـــباغ الملون ،

فكان لنا فى النهاية عشرات الصور التى تمثل حياة الملك اخناتون وزوجته الجميلة نفرتيتى وبناته العديدات ٠٠ دون قيود أو حدود ، وبلا كلفة أيضا . وكذا فى دقة ورقة وشاعرية معا ، بل وجدنا هؤلاء من الفنانين الأجداد وهم يحاولون ـ بنجاح شديد ـ تصوير العلاقات الأسرية وروح الحب والحدب والأبوة والأمومة (*) ٠

ـــ واذا كنا قد تحدثنا عن أهم الأوعية القـــديمة التى تجـــددت استخداماتها بمثل هذه النقوش والرسوم والصور العديدة ، واذا كنا كذلك قد ألمحنا الى أبرز موضوعاتها ٠٠ فاننا نواصل الحديث من خلال هـــذه الزاوية لارتباطها الشديد بالمادة الاعلامية الموجودة فى هذه الاوقات ٠٠ ان من الحق أن يقال أن هذا العصر قد شهد أقوى الاستخدامات الوظيفية ، للنقش بأنواعه ، فى مجالات قديمة متجددة ، كان من ورائها بعض الاتجاهات والافكار العديدة السائدة من زاوية علاقات مصر بجيرانها ، ومن الزاوية العسكرية ، ومن الزاوية الدينية ، بل ومن الزاوية الاجتماعية نفسها ، الى غير هذه كلها ٠٠ انها نقوش « الرحلات » الرحلة نفسها وما حدث خلالها ومناظر البلاد الاجنبية ووفود الشعوب المختلفة القادمة الى مصر ، وانها نقوش الحروب العديدة ، المنتصرة فى أكثرها ، والتى غطت مختلف ألوان هذه الأوعية ، ثم انها كذلك الرسوم التى تصور ثورة اخناتون الدينية ، البداية والنجاح والفشل معا ، ثم انها الرسوم الطبيعيـة والرومانسية ٠٠ رسوم الطير والنبات والحيوان ، بخطوطها الرقيقة وألوانها الشاعرية ٠٠

وأهم من هذا التعدد المتجدد ، أو العائد فى قوة ، من وجهة نظرنا ٠٠ هذا الاندماج القوى ، بين الكتابة من جانب ، والنقش المصور من جانب آخر ،حتى التماثيل كبيرها ، ومتوسطها وصغيرها ـ فن النحت ـ وجدناها فى كثير من الاحيان تجمع بين النقش الفنى والكتابة معا ، على القاعدة أو على جانبى التمثال ٠٠ وهكذا ٠

(*) أين هذه البساطة ٠٠ من معظم رسوم العصور السابقة التى لم يستطع فنانوها المساس بالحياة الملكية اللهم الا فى القليل والنادر الذى أشرنا اليه فى حينه ؟! ٠٠ حتى مرض الملك ـ امنوفيس واخناتون ـ صوره الرسام فى دقة كاملة ٠

بل انه ليمكننا ـ فى نهاية الحديث عن هذا التعدد الموضوعى ـ أن نشير الى تلك الخطوة الأخرى التى قطعها فن « الكاريكاتير » ·· وكــذا « الكارتون » لا سيما من حيث جرأة الموضوعات ، والفهم الاكبر للدور الملقى على عاتق الفنان ، ومعرفة السلاسل الساخرة ، كما يبدو ذلك ، من اللوحات العديدة الباقية نفسها بل كان من أبرزها ما راح يسخر من بعض كبار المصريين أيضا أو « علية القوم » ·· حتى اخناتون نفسه ، سخر منه الفنان ، فى عهده ، ومن بعد « سقوطه » ·· تماما كما سبق أن « ضخم » ملامح مرض والده ، بل أن أفضل هذه الرسوم ، هى تلك المتصلة بمعـارك الحيوانات ، وتصوير وفود البلاد الأجنبية ، تلك التى لا يمكن تجاهلها ونحن نتحدث عن جذور صحافة الفكاهة ··

ـــ ·· واخيرا ـ وليس باخر ـ واذا كان من الصحيح أنه حدث بعض التأثر بالفنون الأجنبية ـ لا سيما الآسيوية ـ فضلا عن تصوير المشاهد والصور الأجنبية العديدة التى رآها الفنان المصرى للرحـــلة أو للجيش المحارب ، واذا كنا نؤيد مثل هذه الأقوال ، فاننا لا نرى ما يراه القائلون ، بحالات الضعف التى انتابت الفن عامة ، خاصة من حيث دقة الملامح ، أو التعبير خلال عهد الأسرة العشرين ، لأن القائم نفسه من هذه الصـــور والمشاهد ، لا يؤيد مثل هذه الأقوال ، اللهم الا قليلا ، ونحن نحكم بالكثرة القائمة أولا ، ومن خلالها ··

لقد وجد بهذا العصر ، كل مايؤكد دور الفنان ، وما يبعث على نشاطه وما يفتح شهيته للانتاج ، والابتكار وتكفى هذه المشاهد العــديدة كلها ، لا سيما الحربية والدينية ، ويكفى هذا الثراء الكبير الذى تجمع على الأرض المصرية ·· تلك لا تعوزها المواهب الفنية ، التى تعمل عملها لتحول ذلك كله الى مادة تتحدث ، وتقدم وتعرض وتبقى على مر السنين ·

ونتوقف عند هذا القدر من التناول لتلك الزاوية الفنية واستخداماتها الاعلامية ، وننتقل بعون الله الى موضوع آخر هو :

المبحث الثـــالث

أوعية وأدوات ووســـائل

أولا ـ مدخل انتقـــائى

٠٠ حتى نصل الى هذا الجانب المهم من جوانب الاعلام التدوينى أو التسجيلى ، جانب الوعاء الاتصالى الذى يحمل **الرسالة على** أى شكل من أشكالها ، جانب الأداة الخام التى بغير وجودها ، لا يوجد رمز أو نقش أو رسم أو نص مكتوب ، أو فكر أو فن أو علم مدون ، بطريقة من الطرق ، جانب الوسيلة الثانية ـ بعد اللغة أو الكتابة ـ التى تنقل هذه الرموز المختلفة ٠٠ الى القارىء والمشاهد ٠٠ والمستمع أيضا ، فى حالة الاعلام الشفهى ٠٠

●● واذا كنا نقول ـ مثلا ـ أنه لا صحف ولا مجلات ولا كتب ولا كتيبات ولا نشرات ٠٠٠ الخ ، بغير تلك المادة الخام الاولى ، التى تمثل السطح المعد للطباعة ، أو المطبوع فعلا ، **وهو الورق هنا** على أى نوع من أنواعه ، أو شكل من أشكاله ، فاننا نقول أيضا أن ما يمثل هذا الســطح المنقوش ، أو المرسوم أو المحفور أو المكتوب ٠٠ خلال هذه العصور المختلفة، هو موضوع هذه السطور ، انها « **بدائل** » الأوراق أو الأنواع التى عرفت منها ، والتى تسير بحذاء ما عرفه أجدادنا ، وما وجدوه قائما بينهم ، متوفرا عندهم ٠٠ منذ العصور السحيقة ، وقبل معرفة الكتابة نفسها ٠٠ حتى الآن ٠

●● ٠٠ ان ذلك يجرنا الى الحديث عن أسباب اختيار مادة أو أخرى ، وتفضيل مادة على ثانية أو على ثالثة ، تماما كما نفضل الآن نوعا من الورق على آخر لصناعة صحيفة أو مجلة أو كتاب أو غلافة أو غيرها ٠٠ نعم ، لقد راعى المصرى القديم فى اختيار وعائه الاعلامى ٠٠ أن يتم ذلك على أساس :

ـــ أن يكون من السهولة الحصول عليه ، ومن اليســـير نقله الى مواقع العمل ٠

— والا فهو القليل النادر ، الذى يصعب الحصـــــول عليه لكن خصائصه الفريدة تبرر ما ينفق فىسبيل الحصول عليه منوقتوجهدوعرق ٠

— وقد يوجد فى بعد بعيد ، من مكان « تجهيز » العمل نفسه ، ترسل البعوث من أجله ، وقد يكون موطنه بطن الأرض ، أو قاع المنجم ، أو البلد الأجنبى ٠٠ لكن لذلك كله ما يبرره ٠

— أن يكون مناسبا للاستخدامات الفنية والعلمية والتعليميـــــة والاعلامية والمعمارية المختلفة ٠

— مناسبا لأداء دوره المنوط به والمعقود عليـــــه (لفت الانظار والأسماع – الاخبار – الانذار – الدعاية – التوجيه – التبليغ ٠٠ الخ) ٠

— فى الوقت المناسب ، والموقع المناسب ، ولفترة طويلة من الوقت، بل لأطول فترة ممكنة ٠

— أن يكون فى مستوى فكره الذىوصلاليه فى عصر من العصور، ومتلائما مع مستواه الحضارى . فى هذا العصر نفسه ، فى حضارة من الحضارات ، فى بلد من البلاد ٠

— سهلا من حيث التعامل معه ، بالأدوات المعـــــروفة والقيـــــم والمواصفات المتوارثة ، والمطورة حفرا ورسما ونقشا وكتابة وتلوينا وتشكيلا و « صنعة » ٠٠ فى وقت معين ، فى موقع معين أيضا ٠

— وأن يكون مناسبا لعوامل الجو ، والتربة ، والجفاف والحرارة، يستطيع « معايشتها » وهو على أفضل حالة ممكنة ، ومع الاحتفاظ بكل ما يمكن الاحتفاظ به من خصائصه المهمة ٠٠ والمطلوبة هنا وذلك مثـــــل : « الصلابة – نعومة السطح – خشونته – المسام – خصائص الامتصاص – الوزن – الكثافة ٠٠٠ الخ » ٠

— يستطيع أن يحقق الاتجاه الفنى الذى يرمى اليه صناعه ، والذى تقف من ورائه عوامل عديدة سياسية أو دينية ، أو اعلامية أو دعائية ٠٠ أو اجتماعية ، بعضها قديم جدا ٠

— وأن يتم التنفيذ فى الوقت المتـــاح ٠٠ أقصر وقت ممكن ٠٠ وبمراعاة الظروف السائدة ٠

— أو يسهل الحفاظ عليه وتخزينه بعيدا عن الأيدى التى تؤثر سلبا عليه ، وأن يحتفظ قدر الاستطاعة ، فى حالة التخزين بخصائصه المتصلة به٠

٠٠ واذن فهى - باختصار شديد - مواصفات الأداء الوظيفى والجودة، والبقاء والقابلية للتشكيل ، والوفرة أو الندرة ولكـــل وظيفته ودوره ، والجمال ، والجدوى العملية للاستخدام فى مجـــال معين ٠٠ فى وقت معين أيضا ٠

●● ٠٠ ومن ثم ، وتأسيسا على ذلك كله :

— فقد تفضل وسيلة فى عصر ما ، ولا يفضل استخدامها فى عصر أخر ، تبعا للغرض ، والهدف الشمولى ، والسياسة القائمة خلف الاستخدام أو التى تسانده ٠

— والرؤية الفنية المتكاملة ، والحس الفنى العام هنا ، له دوره ، وهو يختلف أيضا من عصر لآخر ٠

— والجانب الاقتصادى له دوره أيضا فى تفضيل وسيلة على أخرى

— والخبرات والمعارف القائمة ، باستخدام وسيلة أو وعاء أكثر من استخدام وسيلة أخرى ، أو وعاء أخر ، لا سيما من حيث المعالجة ، والتجربة القائمة مع هذه أو تلك وفرص النجاح المتاح **فى وقت معين** ٠٠

ثانيا - مدخل اتصالى تاريخى انسانى

(أ) الانســـان : كائن اتصـــالى

سنحاول - قدر الطاقة - وكما فعلنا عند حديثنا عن الفن كوسيلة اعلامية ٠٠ أن نتبع « المنهج التاريخى »٠٠٠ وهو يعنى - بالضرورة - أن نعود مرة أخرى ، الى تلك العصور السحيقة **الموغلة فى قدمها ٠٠** مستندين فى ذلك ، الى أن الاعلام أو الاتصال لا يقصد به - مطلقا - الصورة التى

هو عليها اليوم فقط ، أو الامس القريب فقط ، وانما الأمس البعيد ، والبعيد جدا أيضا ، والا كنا ننظر اليه ، والى فلسفته وأدواته وأنماطه وأطره ، من زاوية ضيقة جدا ، هيزاوية الحاضر وحده •

ان « العملية الاعلامية » •• أو « العملية الاتصالية » قائمة منذ فجر التاريخ البشرى ، وقد ولد الانسان اعلاميا بطبعه وطبيعته ، حتى قيل أنه « **كائن اتصالى** » ضمن تعريفات بنى جنسنا ، وقيل أيضا أن الاعلام ولد مع ميلاد البشرية ، ولدت معه الحاسة الاتصالية فى عصوره الأولى ، وكما يقول علماء الاجتماع ، ان الانسان كائن اجتماعى ، ولد اجتماعيا ، وكما يقول الفلاسفة : أنا أفكر اذن فأنا موجود ، فان الانسان يستطيع كذلك أن يقول : « أنا كائن اتصالى •• اذن فأنا موجود » (٤٩) •

نعم ، منذ فجر التاريخ والانسان ، فى كل بقعة وجد بها « يتصل » بغيره •• يحاول أن يعرف أحوال أفراد قبيلته والقبائل الأخرى المجاورة ، والقرى ، أخبار الصديق وأخبار العدو ، ويتقارب ويتآلف ويتكاتف معهم فى مواجهة الطبيعة ومشاركة فى الحصول على القوت ، ومن أجل القنص ، ثم الزراعة واستئناس الحيوان ، ورعيه ، وفى مواجهة الغزو الخارجى القادم للسيطرة على أرضه ومائه وحيوانه •• عرف كيف يتصل بغيره ، ويتقصى أخبارهم ويتتبع أحوالهم •• تلبية لهذه الحاجات العديدة من طعام ومأكل وملبس وتلبية لحاجاته الاجتماعية كانسان يعيش فى مجتمع ما ، وكرد فعل لغرائزه المولودة معه لا سيما حب البقاء ، والمحافظة على النوع ، وحب الاستطلاع والفضول •• بل كرد فعل لعقله الذى أعطاه الله اياه وميزه به عن سائر المخلوقات والكائنات من حوله •

•• ومن ثم ، فقد وجد انسان هذه العصور السحيقة ، أن عليه أن يعرف كيف يتصل بهؤلاء ، بذوى القربى من أبناء الأسرة الواحدة والقبيلة الواحدة ، وكانت هذه الحاجة لأن يعلم الآخرين ويعلم منهم وعلى حد تعبير فرنان ترو « شروط وجود » بالنسبة للجماعات البشرية الأولى •

ومن ثم أيضا ، فقد كانت هذه الاتصالات « الاشارية » غير المنظمة ، العفوية ، القائمة على الفطرة المرتبطة بالانفعالات السارة وغير السارة التى

تحدث فى هذا المحيط الضيق « العائلى » ٠٠ مثل البكاء والضحك والصراخ وتعبيرات الوجه المصاحبة للحالات النفسية ٠٠ وحتى وقوف شعر الرأس عند وتعبيرات مهاجمة حيوان ضخم له ٠٠ وما الى ذلك كله من ظواهر فطرية٠٠وتعبر عن قيام حالة وجدانية خاصة بالشخص الصادرة عنه»(٥٠)٠

٠٠ ثم فى مرحلة أخرى ، تطورت هذه ، باتساع علاقاته مع غيره من الجيران ،واحتكاك قبيلته بالقبائل الأخرى المجاورة ٠٠ سلما او حربا ،ومع اكتساب لغته مفردات جديدة من خلال هذا الاتصال اللغوى القائم ٠٠ ومن ثم ومع اكتسابه خبرات جديدة ، هداه تفكيره ٠٠ سعيا وراء مزيد من الاتصال ، واقامة العلاقات الاجتماعية ، ومن أجل لفت الانظار اليه ، والتنبيه بما يمكن أن يقدم عليه ، والانذار بقرب وقوع خطر ، وتهديد المتربصين به٠٠ هداه تفكيره من خلال فكر كبار السن والمحاربين والسحرة وشيوخ القبائل والمبتكرين من أبناء قبيلته أو قريته ٠٠ وكأثر لذلك كله ، الى ابتكار عدد من الاشارات الأخرى الاتصالية الاجتماعية المنظمة لأحواله والتى اختلفت من مكان لآخر ، من شعب لآخر ، كما تطورت من وقت لآخر أيضا ، وكان من أهمها دون جدال ، وقد عرف بعضها المصرى القديم فى مثل هذه الاوقات ، بل قبل أن تعرف مثلها شعوب عديدة أخرى : « **اضرام النار للاشارة الدخان ـ علامات الطريق على الأحجار والصخور ـ علامات على الاشجار الجذوع والأغصان ـ اطلاق الأصوات بالنفخ فى لحاء الشجر المجوف ـ قرع الطبول ـ التكوينات المعينة من فروع الشجر ـ الاشكال الرمزية الدالة من جلود الحيوانات والجماجم ـ تشكيلات من حجر الصوان وغيره ـ الريش الملون ـ قطع من الخرز الملون ـ العاج ـ بيض النعام ـ سن الفيل ـ مقابض أدوات القتال والسكاكين ـ الاشارة باليد وأجزاء الجسم الأخرى اشارات تعبيرية ـ اطلاق الأصوات من الأصداف الكبيرة ـ ارتداء أشكال وألوان الزى الرمزى ـ الاشارات الرمزية على الصخور ـ عقد الحبال** كما فى الصين وبيرو ـ العصى المتعددة وذات الثقوب » ٠٠ الخ وصحيح أن هذه لم تكن اعلاما كاملا ، وانما اشارات وارهاصات وجذور ، بقى بعضها على حاله وتطور الآخر واستمر فى تطوره ٠٠ لكن من الصحيح أيضا أن تلك كانت مرحلة عرفها العالم القديم جدا عامة ، ومصر خاصة ، وأزعم أن الأخيرة عرفت معظم هذه الاشكال والانماط الاتصالية الاشارية التعبيرية منذ حضارة العصر الحجرى المتوسط ٠٠ وربما منذ أوائل هذا

العصر ، وربما منذ نهاية العصر الحجرى القديم أيضا ، بينما تطورت هذه كلها خلال العصر الحجرى الحديث ، على أرض النيل ـ باستثناء عقد الحبال والعصى ٠

(ب) علامات على الطريق

٠٠ كانت فى معظمها اشارات وحركات غير مدونة ٠ ٠على المستوى الانسانى عامة ٠

٠٠ ولأن التطور المصرى الحضارى ٠٠ السـياسى والاجتماعى والدينى والفنى والعلمى ، والاتصالى أيضا ، قائم ومستمر ، من عصر الى عصر ، ومن حقبة تاريخية الى حقبة أخرى ، ولأننا ـ فى وادى النيل ـ عرفنا معظم هذه الاشكال الاشارية الاتصالية الدلالية التعبيرية ، بل وأكثر منها ، كما تقول بذلك مظاهر حضارة العصر الحجرى الحديث ، لا سيما أواخره ، من خلال الروابط والصلات الحضارية القائمة ، والصـناعات والفنون التى تحققت على أيدى هؤلاء الاجداد الأوائل ٠٠ فان من **المشاهد** :

● أن هذه كلها قد تطورت خلال عصر ما قبل الأسرات ٠

● ثم راحت تخطو أكثر من خطوة أخرى على طريق التطور خلال العصور التاريخية ، وحتى نهاية العصر الفرعونى ٠٠ وذلك بتأثير من معرفة اللغة والتطور الحضارى عامة والسياسى والدينى والعسـكرى خاصة ٠

ولعل أبرز سمات هذا التطور كانت هى التى تتمثل فى عدة مظاهر ، من بينها :

● **من زاوية الأوعية والوسائل والأنمـاط** : خرجت عن أن تكون مجرد اشارات مقصودة ، ومخطط لها ، وتؤدى وظيفة ما ٠٠ الى مجالات وأدوات أكثر ٠٠ وصحيح أن الاشارة كانت قائمة بل هى قائمة الى اليوم فى مجالات التلغراف والتليكس والفاكسيميلىوالاختزال والعسكرية والبحرية حيث « الشفرة » ما تزال قائمة و « الكود » يأخذ مكانه ٠ لكن من الصحيح أيضا أن هذه العصور التالية ، قد عرفت الاشارة ، وغيرها ، بل وتعددت

كذلك الأوعية ، والوسائط والانماط تعددا كبيرا ، بما تتضمنه أو تحمله من مفردات العملية الاتصالية ، فكرا ومضمونا ولغة وأثرا وتأثيرا ٠

● **كذلك فانها لم تعد مجرد هذه الاشـــارات البسيطة الساذجة العفوية الفطرية .** على الرغم من بعض التطورات التى لحقت بها فى نهاية العصر الحجرى فى مصر ٠٠ وانما أصبحت وقد أجيد التفكير فى اختيارها ، وفى طرقها وأساليبها وفى مضامينها ، وفى تفضيل احداها على الأخرى ، وفى التخطيط لتحقيق أقصى نتائج مستهدفة ٠٠ وهكذا ٠

● ولم تعد أهدافها كذلك ، أو أغراضها الوظيفيةمحددة فى معظمها بتلبية بعض الحاجات الملحة والعاجلة وبلفت الانظار والتنبيه الى خطر قادم أو الانذار قبل وقوعه ، أو التهديد بالرد ٠٠ لم تعد هذه فقط هى أغراض الأنماط والاطر والوسائلوالوسائط المطورة ، وانما أكثر من ذلك٠٠وبكثير٠٠ انها معظم أغراض الاعلام الحالى فى (الاخبار ـ الشرح والتفســـير ـ التوجيه والارشاد ـ التعليم ـ التثقيف ـ التنمية ـ التســـلية والامتاع الذهنى ـ اقامة العـــلاقات القوية مع الآخرين ـ التســـويق ـ تحقيق السلام ٠٠٠ الخ) وصحيح أن التنبيه بالخطر والانذار به قبل الوقوع هى أهداف قائمة لكنها تأخذ أكثر من شكل آخر ، ومضمون آخر ٠٠ معا ٠

● ٠٠وبالمثل فانها **لم تعد مسئولية كبار السن أو شيوخ القبائل أو السحرة ، أو مسئولية المبتكرين** من أبناء القبيلة ٠ فقد تطورت أعمال هؤلاء، ووظائفهم ، وأصبحوا يقومون بمهام أخرى ، ويحملون أسماء أخرى ، أكثر مناسبة للأدوار الوظيفية الجديدة التى يقومون بها ، كما تعددت الوظائف نفسها ومن ثم وجدت الوظائف الاقرب الى مجال هذا النشاط الاتصالى ، والتى يقوم بها أهل العلم والخبرة والثقة من الأمراء والوزراء والكتاب والفنانين ٠٠ وغيرهم فى مجالات الاهتمام والتخصص ٠

● **بل انها لم تعد تلك الاشارات محدودة الانتشار جدا ، والتى** لا تكاد تغطى رقعة القرية ، أو القبيلة أو ـ فى أحسن الظروف ـ عدة قرى مجاورة. لا تعد على أصابع اليد الواحدة ، بل تطور الامر الى أكبر من هذا العدد ٠٠ الى القرى الملتحمة والمتشابكة ، والمكونة للمدن ، ومن المدينة الى الأخرى ، والى الاقليم كله ، ثم الى مصر كلها ٠٠ ثم جيران مصر أيضا٠

● ٠٠ وفى النهاية ، فانها لم تعد محدودة بمخاطبة « اللحظة » فقط ، بما تحويه من حالات انفعالية ، أو أحداث وقتية ، أو وقائع ساخنة ، وانما والى جانت هذه أصبحت الانماط الجديدة تتوجه الى اللحظة الحالية والقادمة ، عبر المستقبل القريب أو البعيد ، بل كثيرا ما رأيناها تقدم الماضى نفسه . الذى لم يكن قد عرف بعد أو كشف عنه الستار بعد ٠٠

ثالثــا ــ أدوات وأدوات

٠٠ نعم ، بقى بعض هذه الأدوات والوسائل على حاله ، وأصاب التطور البعض الآخر ، لاسيما معرفة الكتابة ، مادمنا نركز على الصورة المصرية ٠٠ وان لم تختف بعض هذه الادوات ، حتى بعد معرفتها ، بل بقيت تؤدى دورا ما فى أماكن عديدة ، ليقول التاريخ فيها كلمته ، وليقول التطـــور كلمته أيضا ٠

٠٠ وباستقراء التاريخ المصرى القديم ، ومن خلال المراجع العديدة فى علوم الآثار والمصريات والفن والعمارة والاتصال والتعليم والتربية ، ومن خلال تتبع الموجود فى مختلف المناطق الأثرية بمصر لا سيما الجيزة والبدرشين والمنيا وقنا والاقصر وأسوان والشرقية والفيوم وبنى سويف والمعروض بالمتحف المصرى والمتحف الزراعى والمتاحف الاقليمية خاصـــة متحفى الأقصر والاسكندرية وكذا تتبع الموجود بالمتاحف العالمية ، والاقسام المصرية بها ، والكشوف الأثرية الجديدة ، التى تأخذ الآن مكانها فى أكثر من موقع ٠٠ من خلال تتبع هذه كلها ، مما يعود منها الى ما قبل العصور التاريخية ، والى هذه العصور نفسها ، مجال هذه الدراســـة فانه يمكننا القول بأن أبرز الأدوات والاوعية التى حملت كتابات اعلامية مختلفة ، أو نقشا له ظلاله الاتصالية ، ومن ثم راحت تمثل دور هذه الوسائل القديمة خير تمثيل وأصدقه ٠٠ كما مثل بعضها دور « الجذور » الصحفية ٠ ٠هذه الوسائل كلها ، والتى قبل أن نذكرها ، انما نقول أن ذلك يتم فى ضوء :

ـــ أننا وجدناها بفعل الواقع الجديد ، وهى تتحول تدريجيا الى اللون التسجيلى ، حتى تتم لهذا اللون سيطرته على معظمها ، ويبقى القليل الشفهى ، المتصل ببعض الأغراض الخاصة ٠

ـــ أن بعضها قد انتقل من عصر الى عصر ، بل من العصـــور قبل التـــاريخية نفسها ، بينما اختلف مضمونه ، فأصبح خطوطا وكتـــابات ونقوشا ورسوما وصورا لها فكرها الجديد ، وموضوعاتها الجديدة التى لا تقارن بالاشارات والرموز السابقة ٠

ـــ وحتى فى حالة بقاء هذه الاشارات والرموز ، بالنسبة لبعض الأدوات ، فانها كانت مختلفة بل كانت وكأنها تجلس منتظرة يد التطور أن أن تمتد اليها ٠

ـــ أننا بطبيعة الحال لن نتوقف عندها كلها ، وانما عند بعضها فقط على سبيل المثال لا الحصر ، لأن الوقوف عليها كلها ، مما لا تسمح بـ طاقة هذه الدراسة ، كما أننا قد تناولنا بعضها بشكل أو بآخـــر ٠٠ فى صفحات وسطور سابقة ٠

●● **اننا نفضل أن نقسمها الى مجموعات أهمها :**

١ ـ **المجموعة الصخرية** القائمة على صخور الجبال والصـــخور النيلية وعند المناجم والمحاجر ٠

٢ ـ **المجموعة الطينية** وتشمل ألواح الطين ، والفخار عامة والآنيات الفخارية خاصة والمصاطب ٠

٣ ـ **المجموعة الحجرية** ٠٠ أكبرها عددا وتشـــمل حجر الصـــوان والشست وألواح الاردواز والصلايات وأحجار البازلت والمرمر والجرانيت والاستراكون واللخاف والتوابيت الحجرية ولوحات وعلامات الطـــريق والنيس والحجر الجيرى الملون ورؤوس دبابيس القتال الكروية أو كمثرية الشـــكل ٠

٤ ـ **المجموعة الهرمية** ، الأهرام وجـــدرانها وحجراتها وممراتهـــا وما يتصل بها ٠

٥ ـ **مجموعة المعابد** ٠٠ كبيرها ومتوسطها وصـــغيرها (واجهات ـ جدران ـ مقصورات ـ أبواب ـ أعمدة ـ مداخل ـ سقوف ـ لوحات ـ الأبهاء وقاعات الاحتفالات ـ المراسى) ٠

٧ ـ **مجموعة المقابر** ، بكل ما يتصل بها (جدران المقابر ـ لوحاتها ـ التوابيت الحجرية والخشبية ـ شــواهد القبور ـ الصــناديق ـ الاثاث الجنائزى ـ تماثيل المقابر) ٠

٨ ـ **مجموعة المسلات والنصب التذكارية والأعمدة** ٠

٩ ـ **مجموعة التماثيل** (رؤوس التماثيل ـ قواعدها ـ أجنابها)

١٠ ـ **مجموعة القصور** (الجدران والواجهات والسقوف والاعمدة)٠

١١ ـ **البردى أو المجموعة البرديه** ٠

١٢ ـ **وسائل وادوات أخرى** (الخشب ـ الجعــارين ـ الاختام ـ الرق ـ العجلات الحربية ـ الدروع ـ مسارد الملوك ـ **الكراسى** ـ الكتــان ـ الخزف ـ شرائح الذهب ـ مراكب الشمس ـ العاج ـ النحاس) ٠

● ● **٠٠ولنتوقف الآن عند عينة مختارة من هذه الوسائل كلها ، القديمة او المتجددة أو الجديدة ٠**

١ ـ **الحجر بأنواعه** : وبصرف النظر عن أن اضخم وسائل الاتصال والدعاية المصرية القديمة ، بل وأهمها أيضــا كانت من الحجر لا سيما « الأهرامات ـ المعابد ـ المسلات ـ الأعمدة ـ الابهاء ـ القصور » وحيث سنتناول بعضها ـ باذن الله ـ خلال هذه السطور المختارة ، بصرف النظر عن ذلك ، فاننا لا نستطيع أن نتجاهل بحال من الأحوال ، أن قطع الاحجار على اختلاف أنواعها وأشكالها ، كانت تمثل بما حملته من نقوش ورسوم وتصاوير وكتابات ، أو بما تحولت اليه من لوحات حجرية ، أو الى تماثيل بعضها كان له أو حمل مدلولا اعلاميا ٠٠ بل ان هذه القطع الحجرية لتمثل عند هذه **الدراسة** :

ـ أقدم أوعية الاتصال والفن فى مصر القديمة ٠٠ ذلك أنها ـ من زاوية القدم ـ تكاد تتبعمباشرة نفس الازمنة الغابرة والعصور السحيقةالتى استخدمها الانسان خلالهااستخداماته الحياتية المختلفة ، لاسيما فى صنع أدوات صيد وحربه منذ العصر الحجرى القديم٠٠ وفى تصوير حيواناته وبعض المناظر الفنية الفطرية البدائية لمناظر الرعى وان كانت قليلة جدا فى مصر ، « عند جبل العوينات والنوبة القديمة وجبال البحر الأحمر » ٠٠ كما نشير هنا الى أن أقدم الاوعية الاتصالية التى تمثل العلامات المهمة على طريق الاعلام الموغل فى قدمه كانت فى معظم الاحوال ، مصنوعة من نوع من

أنواع الأحجار لا سيما « رؤوس دبابيس القتال للملكين العقرب ونارمر ـ صلاية صيد الأسود ـ مناظر الصيد القديمة جدا التىسبقت الاشارة اليها ـ لوح نارمر ـ ... الخ » .

ـــ بل ولماذا لا نقول أن الحجر يمثل الوعاء الذى كانت له صـفة الاستمرار ، فاستخدم منذ هذه العصور السحيقة ، وحتى العصر الرومانى نفسه ؟ وما ذلك الا لخصائصه العديدة ، فى سهولة العثور عليه وتعدد أنواعه وسهولة التعامل معه واكتسـاب الصانع المصرى خبرة تاريخيـة متوارثة فى تشكيله ثم قدرته على البقاء والخلود فى ظل الظروف المختلفة..

ـــ بل ان أهم هذه الأوعيةالتسجيلية المصرية القديمة ـ بلا جدال ـ كان معظمها من الحجر على أى شكل من أشكاله ، وخذ عندك مثلا : « لوح نارمر ـ حجر بالرمو ـ التماثيل المختلفة التى تحمل اشـارات اعلامية ـ لوحة كاموسا ـ توابيت المقابر المهمة وما عليها ـ اللوحات الحجرية التى تحمل مناظر الحروب والرحلات والصيد والقنص والحياة اليومية ـ لوحات مداخل المعابد ـ البوابات الحجرية التى تحمل اشارات اعلامية ـ بعض نصوص المعاهدات التى سجلت على الحجر ـ صحيفة بتاح الحجرية (*) ـ حجر رشيد » .. وغيرها كثير .

ـــ وكان الحجر أكثر أنواع الأوعية الفنية الاتصالية تنوعا فى الخام الأساسى .. ومن بين ما استخدمه المصريون منه على سبيل المثال لا الحصر هذه الأنواع كلها : « الصوان ـ الديوريت ـ الكوارتز ـ الحجر الرملى ـ الحجر الجيرى ـ حجر جينيس ـ حجر الشست ـ البازلت ـ الاستراكون ـ حجر جرايوكه ـ الاردواز ـ الألباستر ـ اللخاف ـ المرمر ـ النيس » ..

ـــ واذا كان ذلك التعدد ، قد ساعد عليه ، ومهد له وجود معظم هذه الخامات فى الأرض المصرية لا سيما مناجم ومحاجر الصحراء الغربية

(*) يمكن العودة الى موضوعها فى كتب عديدة منها « الصحافة والحرب : د. محمود الجوهرى ـ فن الخبر د. محمود أدهم » وغيرهما .

والجنوبية والشرقية ، لا سيما فى مناطق غربى أبى سنبل والعوينات وشمالى كوم أمبو ووادى الحمامات وصحراء الفيـــوم ·· وغيرها ، وغيرها فانه بدوره أعطى الفنان المصرى مساحة كبيرة لاختيار ما يلائم مادته وأدواته وقدراته معا ، بل وأهداف الجمال ولفت الأنظار ، والبقاء لأطول فترة ممكنة. مما كان له أثره الكبير ـ فى النهـــاية ـ على أن أصبحت هذه الأوعية الحجرية ·· أكثر الأوعية الفنية والاتصالية استخداما ، واستخداما «طبعا» لجميع الأغراض والمناسبات والظروف ، ومن ثم استجابة ايجابية لمتطلبات العمــل ··

ـــ ·· ومسايرة لجميع أنواع المؤثرات والاتجاهات المناخيـــة ، والفنية ، والدينية والسياسية والاعلامية معا ··

ـــ وامكانية فى المشاركة مع غيرها من الادوات والوسائل والاوعية الأخرى ، فى نفس الموقع ومن أجل أداء نفس الغرض ، كما يتضح ذلك فى المعابد الكبرى ، والمقابر الملكية وغيرهما ·

··· ويضيق بنا المقام ، عند محاولتنا التوقف عند كل ما يتصل بهذا الوعاء العام الشمولى الأنموذجى التاريخى ، والذى مازال يستخدم حتى الآن على المستوى الطباعى ـ الأوفسيت التقليدية ـ فحسبنا هذا الذى ذكرنا اشارة الى « ايادية البيضاء » على الحضارة كلها ·· فنا وعمارة وأدبا واعلاما ·

٢ ـ **الفخــار** : من أقدم هذه الوسائل الفنية والأوعية الاتصالية بل ان استخداماته الحياتية والفنية والاعلامية ـ معا ـ تكاد تكون تالية زمنيا لمعرفة الانسان بأنواع الحجارة المختلفة التى صنع منها فى عصور ما قبل التاريخ أدوات صيده وحربه ، وهو متوافر فى معظم الدول التى توجد بها « التربة **الطينية** » ·· ومن ثم فقد كان متوافرا فى مصر التى يمدها النيل بطميه حيث أصبحت صناعته فى مصر واستخدامه فى مختلف الأغـــراض ، صـــناعة تاريخية ، تعود الى بداية استقرار الحياة حول التجمعات السكنية البدائية منذ أحس انسان العصر الحجرى القديم بازدياد جفاف الصحراء ، واختفاء الكساد النباتى ، فاضطر الى الهجرة نحو موارد المياه ، وابتكر الزراعة بدلا من الصيد وقام بتربية الحيوان ، وبدأ اســـتقراره ·· ومن ثم بدأ

استخدام الطين الموجود حوله وتحت قدميه فى اقامة الأكواخ بعد خلطه بالأخشاب وفروع الأشجار والغاب ، ثم استخدمه فى تخزين الغذاء ثم دفعه الحس الفنى والبقاء بجانب زراعته الى محاولة تشكيله ٠٠ والسير فى هذه المحاولة ، بل فى الاستخدامات العديدة له بعد تجفيفه بالنار أو « شيه » بها حدث ذلك كله منذ العصر الحجرى فى أماكن كثيرة منها « مرمدة بنى سلامة ووادى حوف ودير تاسا ومستجدة ووادى الشيخ » ٠٠ وغيرها

وصحيح أن الصناعات الفخارية التى تعود الى هـــذا العصر كان معظمها يؤدى دورا حياتيا ، أما صـــناعة الآنيات فمن الطبيعى أن يغلب عليها طابع البساطة فى التكوين ، والتشكيل الفطرى ، الا القليل منها التى يمكن تتبع ملامح « الفن البدائى » على بعض الأقداح والاطباق الاولى ٠٠ ومن الواضح أنه لا يمكن اقتفاء أى أثر اعلامى عليها ٠٠ لكن هذه الصناعات نفسها خطت خطوة أخرى ، خلال عصر ما قبل الأسرات لا سيما فى موقعها الجنوبى فى نقادة والعمرة وسمانية والبدارى ٠٠ خاصة الأخيرة ، وفى موقعها الشمالى فى جرزه وحلوان والمعادى وهليوبوليس ٠٠ وقد تمثلت هذه الخطوة - وحيث يمكن الاشارة الى وجود أثر اعلامى باسلوب مباشر أو رمزى - تمثلت فى ذلك التنوع فى ألوان الصناعات الفخارية والذى أتبعه ذلك التعدد فى الاشكال والاحجام والألوان ٠٠ وما أدى به ذلك الى درجة أكبر من الاتقان ، ومحاولة زخرفة هذه الأوانى لتصبح أجمل منظرا حيث عرفوا الأفران التى أحرقوها فيها ،ثم تواصلذلك بوضعبعض العلامات الرمزية عليها وهى رموز خاصـــة بشعارات القرية وشـارات العشـائر ومعبوداتها الاولى ، ثم رسوم ساذجة لبعض الأعمال السائدة ، خاصة رعى الحيوان وتربيته وصيد البحـــر ، ثم مناظر القتال المختلفة ، فى بساطة وعفوية ، لا سيما فى رسوم جرزة التى تحدثت بالكثير عما يتصل بتلك العهود ، وعن أصحاب هذه الاوانى بل وعن بعض أسماء الملوك الذين حكموا قبل الأسرة الاولى ، والصور التى أصبحت بعد ذلك ضمن مفردات الحروف الهيروغليفية الاولى لا سيما تلك الأوانى التى حملت صور الخط المتعرج الذى يمثل صفحة الماء والعصا المقوسة رمز الصولجان والطيور والسفن والصوارى وغيرها ، تماما كما أن اتصال هذه الرسوم الفخارية بالحوادث التى كانت تجرى فى هذه المناطق - لا سيما جرزة - قائم وثابت ٠٠ لكن

اهمية الفخار والاوانى الفخارية الاولى من وجهة نظر هذه الدراسة أن بعضها الذى حمل النقش المعبر اعلاميا يمكن اعتباره من أقدم وسائل وأوعية النقش التى شهدت الرموز الاولى الاتصالية المدونة ·· التى تحولت بعد ذلك الى الكتابة ·· ولعل ذلك يقترب من قول أحد المتخصصين عنها « ·· وظلت أولاها بالدراسة فى نظر الأثرى والمؤرخ للدلالة على التتابع الزمنى والتطور الصناعى والتطور الفنى خلال العصر الحجرى الحديث ، هى الأوانى الفخارية تستوى فى ذلك الاوانى الغفل ذات الاشكال المتطورة والاوانى ذات الرسوم والنقوش المعبرة » (٥١) ·· أقول ، وللدلالة على جذور الاعلام أيضا ، التى تعود الى هذه العصور السحيقة نفسها ·

٣ ـ **البردى** : لا يمكننا انكار حقيقة مهمة تقول أنه لولا الحجر والبردى لما تيسر لنا أن نعرف عن مصر القديمة ، عشر ما عرفناه عنها ، وربما عشر معشاره أيضا ، واذا كانت الحضارة المصرية من زاوية الاعلام حضارة « تسجيلية » تدوينية فى معظم الاحوال وأعمها فلا شك أن البردى له دوره الكبير فى ذلك ، بل له فضله على الجنس البشرى كله ، فنا وعلما واعلاما·· معا ، انه ذلك الذى قال عنه المؤرخ العالمى ج·هـ· برستيد مثلا : « من هذا نرى أن المصريين قد اكتشفوا أن سطحا رقيعا من مادة نباتية هو خير ما يمكن استعماله فى الكتابة ، ومنذ هذا الاكتشاف لم يستطع أحد أن يكتشف مادة خيرا منها ، وبالاختصار فان المصرى القديم اكتشف القلم والحبر والورق وقد ورثنا هذه الاكتشافات الثلاثة عنهم ومازال الورق يسمى باسمه القديم ـ بابيروس ـ فى اللاتينية مع تغيير طفيف (*) » (٥٢) ·

والبردى هو نبات ينتمى الى العائلة السعدية ، ويقال الى عائلة الحلفا ، وكان ينمو بوفرة فى مستنقعات وأحراش الدلتا ، التى اعتبر رمزا من رموزها ، وهو لا يوجد الآن فى مصر الا فى حدائق قليلة جدا ، لأغراض الزينة بينما يكثر وجوده فى أماكن مختلفة بالسودان ، كما بدأ البعض من تجار العاديات اعادة زراعته على نطاق ضيق بعد أن راجت حديثا تجارة

(*) يقول المترجم ـ د· أحمد فخرى ـ ان التغيير عند بابيروس papyroos الى بيبر paper طفيف جدا لان os ليست الا نهاية لبعض الكلمات فى اللغة اليونانية يجب حذفها فى الانجليزية ·

لوحاته سواء منها ما يحمل رسوما مقلدة للمصرية القـــديمة ، أو مناظر طبيعية ، أو آيات قرآنية أو غيرها (تنتشر محلات بيعه فى المناطق الأثرية والسياحية فى مصر) ٠٠

ولم يكن المصرى القديم يستخدم البردى فى الكتابة فقط ، بل فى مختلف الأغراض الحياتية ، بما يشبه الخشـــب الآن ، وربما البترول فى بعض الوجوه ، وكان من بين استخداماته العديدة أنه (جذوره طعام للفقراء ـ عمل القوارب ـ عمل الحبال ـ الحصير ـ المقاعد ـ الســـلال ـ مصايد الأسماك ـ مصايد الطيور ـ الصناديق ـ الأحزمة ـ فى أغراض البناء) ٠٠ الخ ، ـ ويالها من استخدامات مهمة فى مثل هذه الاوقات ، ليس أهم منها غير استخداماته فى الأغراض الدينية المتعـــددة فى التحنيط وتكفين الموتى ، وفى وضع صفحات منه فى توابيت الموتى ، للتبرك بها ولحمايتهم ، ولقراءتها حين البعث !! أو فى صناديق مجـــاورة معدة خصيصا لهذا الغرض ، كما حدث بالنسبة لمقابر عديدة للملوك والامراء والاميرات وعلية القوم ، بل وقد وصل عندهم الى حد اعتباره نباتا مقدسا لا سيما عنـــد صناعة القوارب النيلية منه « تيمنا » بما فعلته ايزيس وجابت به قنوات مصر بحثا عن أشلاء زوجها أوزيريس ، ثم لمثل هذه الأغراض الدينية الأخرى ، وكذا استخدامه فى بعض الأغراض الطبية العديدة ٠٠

لكن أبرز استخداماته الحضارية دون شك ، ومن وجهة نظر هـــذه الدراسة ، وكل دراسة أخرى تتصل بتاريخ الفكر الانسانى عامة ، والكتب والمكتبات وصناعتها خاصة ، والفنون الطباعية ، والورق ، والفن ٠٠ هكذا هو استخدامه كوعاء للكتابة عامة ، ومنها ما اعتبرناه اعلاما أو من جذور الاعـــلام ٠٠

ولم يتحدد بعد حتى الآن ، وعلى وجه الدقة متى استعمل البردى لأول مرة لأغراض الكتابة ، ويقول بعض المؤرخين انه وجد بسقارة ملف من البردى قبل استخدامه ـ أبيض فارغ ـ فى مقبرة تعود الى الأسرة الأولى ، ويضيفون الى ذلك قولهم : « ولكن أول جذاذة مكتوبة لدينا جاءت من الأسرة الخامسة حوالى ٢٥٠٠ ق٠م » (٥٣) ٠ كما أن من الثابت حتى الآن ، أن الورق المصرى البردى قد انتقل الى أماكن كثيرة خارج حدود مصر ، شرقا

وغربا ، فأسهم بذلك فى الحضارة العالمية اسهاما غزيرا ٠ ٠لا سيما وقد استعمله الاغريق ، ونقله عنهم غيرهم من الامم والممالك الاوربية القديمة منذ القرن السابع قبل الميلاد ، حتى القـــرن الثالث الميـــلادى ٠٠ بينمـــا أستمر استخدامه فى مصر وبقية أنحاء العـــالم العـــربى « حتى عام ألف الميلادى » (٥٤) أو القرن العاشر ٠٠ عندما احتل مكانه الورق الحالى ٠

ذلك هو البردى ، أو الورق المصرى ، أو « القرطـاس المصرى » أو « السجل المصرى » أو « الطومار » ٠٠ الذى ورد ذكره فى كتب الاولين ، كما ورد ذكره تعبير القرطاس فى القرآن الكريم أكثر من مرة ، وفى الأحاديث النبوية الشريفة أيضا ، كما استخدمت تعبيرات أخرى للدلالة عليه فى الكتب القديمة التى أرخت لمعرفة الكتابة وعناصرها وأدواتها ٠٠

وهو بعينه الأداة ، والوعاء ، والوسيلة التى حملت لنا وحفظت عددا يجل عن الحصر ، من النقوش والرســـوم والخطوط والكتابات الدينية ، والأدبية ، والعلمية ، والتعليمية ، والتاريخية ، والاعلامية معا ، بما لم يحدث مثله بالنسبة لأداة أخرى ، أو وعاء آخر ، باستثناء الحجر ٠٠ على أى شكل من أشكاله ، أو وضع من أوضاعه فاذا رحنا نحدد عددا من أبرز هذه الرسائل لقلنا انها :

●● **موضــوعا :** « المتصلة بالاعلام الدينى خاصة كتب الموتى - بالاعلام التوجيهى والخلقى - المتصلة بالاعلام فى الأطر الأدبية المختلفة خاصة الاطار القصصى - المتصلة بالاعلام العلمى المهتم والمتخصص ، خاصة الاعلام الطبى ، والصيدلى ، والتحنيط » ٠

فاذا حاولنا بعد ذلك أن نشير مجرد الاشارة الى بعض هذه المواد التى حملها الينا هذا الوعاء لكان من بينها على سبيل المثـــال لا الحصر : « القصص المصرى القديم فى معظمه ٠٠وهو فى عدد من أحواله ليس الا سردا مرتبا لأحداث وقعت فعلا ٠ ٠أو على حد قول أحد المتابعين فهى قصص ذات أصل تاريخى أو هى ان شئت حكايات واقعية مجملة » (٥٥) ٠٠ - بردية الاضراب وبردية التقارير عن حالة العمل فى الجبانة وبردية سرقة المقابر وغيرها من التى تقدم صورة الحياة الاجتماعية وبعض الاحداث المهمة - بردية ولبور « التى نعتبرها مصدرا هاما لدراسة الضرائب وتقسيم الأراضى

فى ذلك العهد بوجه خاص وفى عصر الدولة الحديثة بوجه عام » (٥٦) ـ برديات محاكمة لصوص المقـــابر ـ بردية بها مسرحية مصرية قـــديمة ـ البرديات التى وجدت بمقبرة توت عنخ أمون ـ **البرديات التى تتضمن** حكم بتاح حتب ونصائح قاقمنا ونصائح انى ـ كتاب الموتى وصور المحاكمة ـ البرديات الجنائزية الأخرى ـ بردية أناشيد تيجان الملك ـ الرسائل المختلفة للدولة الوسطى والدولة الحديثة ـ صور عقود الزواج ـ شكاوى بعض الناس ـ محاضر المحاكمات ـ البرديات الطبية كبردية أدوين سميث وأبرز وكاهون وغيرها ـ بردية نفر هو التى تمثل مآسى عصور الضعف المصرية ـ برديات تتابع أسماء الملوك ـ بردية بنتاورة التى تقص أحداث حرب التحرير ضد الهكسوس ـ نصائح امنمحات لابنه سنوسرت الاول ٠٠٠ الخ » وغيرها ٠

●● أما من ناحية **أبرز الخصائص الأخرى** ، المعقودة لهذه المادة الأولية ٠٠ أهم مادة قديمة فقد وجدوا فيه الخام المتوافر بكثرة ، المناسب للاغراض المختلفة ، الذى يتجاوب كثيرا مع تجـــارب الكتابة ، والتلوين ، والزخرفة ، والتطوير ٠٠ القائمة على الصناعات المحلية للحبر والألوان ، كما كان يسهل كشط المادة القائمة فوقه ، واعادة كتابته ، وكذا الكتابة على الوجه الآخر للصفحة وصحيح أن هناك بعض الصعوبات التى كانت تواجه استخداماته من أن لآخر ، وصحيح أن ما فقد منه بمعرفة عوامل الطقس ، وأمراض النبات ، وفعل الزمن ، وعن جهل من بعض القرويين الذين اكتشفوا صدفة هذه المادة المناسبة لاستخدامها وقودا فى بعض الكفور ٠ كل ذلك صحيح ٠٠ ولكن يبقى لنا منه هذا الكثير الذى قدمه للحضارة ٠٠ الفن والعلم والدين والتعليم والاعلام ٠٠ معا ٠٠

ونتوقف عند هذا القدر ، وننتقل الى وعاء آخر هو (*) :

٤ ـ **المعـــابد** : لا نبعد كثيرا عن الواقع عنـــدما نقول أن المعابد

(*) يمكن العودة فى هذا المجال الى كتب عديدة من ابرزها : « فرانسيس روجرز : قصة الكتابة والطباعة ترجمة أ٠د٠ أحمد حسين الصاوى ـ د٠م حسن رجب : البردى ـ وغيرها ، كما نقترح ونوصى بتكليف احد طلاب الماجستير بتسجيل رسالة فى موضوع « الدلالة الاعلامية لمحتوى أوراق البردى الموجودة بالمتحف المصرى » ٠٠

المصرية القائمة حتى الآن ، خاصة المهم منها ، تعتبر - فى رأينا - مجموعات من الصحف الحجرية القائمة منذ القدم ، كل منها صحيفة بمفردها ، منها ما هو عام ، ومنها ما هو مهتم ، ومنها ما هو متخصص ، بل اننا نزعم أنها تمثل صحفاذات أوراق متعددة أو جرائد ذات صفحات مختلفة أو مجلات متنوعة الاهتمامات والموضوعات ٠٠ فالواجهات تقترب من الصفحات الأولى والأغلفة ، وبالمثل الأبواب والممـــــرات والابهاء والدهاليز والجـــــدران والمقصورات والسقوف ٠٠ اضافة الى ما ببعضها من أعمـــدة ولوحات ومسلات أيضا ٠٠ جميعها نرى فيها أمثال هذه الصحف الحجرية الخالدة ٠٠ التى تتحدث وتخبر وتعرض وتقدم وتصور ٠٠ ألوان النشاط المتميز ، خاصة الدينى ، والعسكرى والحياتى بصفة عامة

●● وكما ذكرنا عن الأحجار بأنواعها ، وعن البردى ، فاننا نقول مرة أخرى أن الكلام عن المعـــابد وما حملته من اشـــارات وجذور وارهاصات ومقدمات اتصالية واعلامية ، يمكن أن يخصص له أكثر من كتاب تتفق وكثرتها ، وأهميتها وتغطيتها للارض المصرية ٠٠ ومن ثم ، فحسبنا أن نتوقف عند بعضها فقط ٠ ٠نعم ان هناك على سبيل المثال لا الحصر ، هذه المعابد كلها ، بما تحمله من مادة لها دلالتها الاعلامية ، التى تتفاوت قدرا ونوعا وأهمية من معبد لآخر لثالث ٠٠ وهكذا :

(معبد نخن فى الكوم الأحمر : هيرا قو نبوليس ، من أقدم المعابد ، عثر به على أهم آثار الملك نارمر - معبد الاله نيت بســـايس من عصر الملك دور عحا ثانى ملوك الأسرة الاولى - المعابد المحلية العديدة لآلهة الأقاليم - معابد الاله سوكر العديدة التى أقامها له ملوك الأسرة الثانية - معبـــــد أوزيريس فى أبيدوس : بيبى الاول - معابد الشمس العديدة التى تعود الى الأسرة الخامسة - معبد الاله بعل فى منف - معابد المجموعة الهرمية للملك زوسر والتى أقامها وزيره امحتب - المعابد الجنائزية الخاصة بهرمى سنفرو خاصة الهرم الثانى - المعبد الجنائزى الخاص بهرم خوفو - معبد الوادى الخاص بهرم خوفو - المعبد الجنائزى ومعبد الوادى : خفرع - ومثلهما مما يخص منقرع واللذين أتم بناءهما ابنه شبسكاف - معبد الرديسية ، سيتى الأول ، شرق ادفو - معبد أحمس الجنائزى بالقرنة - معبد أحمس بأبيدوس - معبد آمون رع بالكرنك : الأقصر ، عدد من ملوك الرعامسة

وغيرهم ، الأسرات ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، اضافات أخـــرى ـ معبد الأقصر : الأسرة ١٩ ـ معبد أبى سمبل الأسرة ١٩ ، ٢٠ ـ معبد ايزيس بجزيرة فيلة: أسوان ـ معبد سيتى الأول فى عرابة أبيدوس : الأسرة١٩ ـ معبد حتشبسوت بالدير البحرى ـ معبد حتشبسوت فى اسطبل عنتر جنوبى مقابر بنى حسن بالمنيا ـ معبد حتحور فى دندرة : يطليموس ٩ واستكمل بعد ذلك ـ معبد وادى السبوع بالنوبة ـ معبد الرمسيوم ، الأسرة١٩،الأقصر ، البر الغربى ـ معبد مدينة هابو : الأقصر ، البر الغربى ـ معبد سيرابيس فى الاسكندرية ـ معبد كليوباترا السابعة فى أرمنت : أتمه أباطرة الرومان ـ معابد جزيرة فيلة ـ معبد حورس بادفو ، معبد الدكة بالنوبة : جميعها العصر اليونانى الرومانى ـ ٠٠٠ الخ) ٠

●● وبطبيعة الحال ، فان هناك ما يميز معبدا على معبد آخر ، زمنا وشكلا وحجما وهدفا وعمارة ومضمونا ٠٠ فهناك الجنائزى الصغير والكبير ، والتابع لمجموعة هرمية والمستخدم كمدرســة دينية ، والخاص بطقوس معينة لاله معين ، والخاص باقليم معين ، والخاص بعادات وتقاليد ومهرجانات دون أخرى ، والمستخدم كمدرسة لبعض العلوم المهمة (الفلك ـ التحنيط) ٠٠ وهناك الخاص بالكهنة فقط ، ٠٠ وهناك « الجامع المانع » ٠٠ الشامل لكل الأغراض ، والذى يضيف الى هذه السابقة أغراض الحفظ والتسجيل والنشر ٠٠ وتلك هى المعابد التى اعتبرناها بمثابة صحف حجرية، متعددة الصفحات والموضوعات والاركان والزوايا وبطبيعة الحال فانه من غير الممكن أن نتوقف عند هذه المعابد كلها ، وا نما عند بعضها فقط ، وذلك على مستويين ٠٠

الأول منهما : نلقى نظرة الطائر فى عبـــارة أو أكثر مركزة تركيزا شديدا لكنها تعرف بأبرز جوانبه المتصلة بموضوعنا ٠

والثانى منهما : نقدم فى تفصيل ما يتصل بواحد من أبرز هذه المعابد على الاطلاق ٠٠ لكن حتى هذا التفصيل فانه مما تسمح به مساحة هـــذا الكتاب والهدف منه ٠

(أ) معابد ودلالات وزوايا اعلامية : نعم ، اننا نتوقف بسرعة عند هذه الدلالات والزوايا ، الخاصة بعدد من المعابد الســـابقة ، الا وهى : (١٠ فقط على سبيل المثال) ٠

● **معبد عيد السـد** : القائم شمالى مجموعة « زوسر » الهرمية ، من أقدم المعابد الخاصة بهذا الاحتفال بـ « العيد الثلاثينى » ٠٠ عيد مرور ثلاثين عاما على جلوس الملك على العرش ـ وان كان لم يحكم سوى ١٩ سنة فقط ـ وعلى جدرانه خبر الملك وهو يحتفـــل به ويقوم بطقوســـه وشعائره ، وخبر العيد نفسه : (الأسرة ٣ سقارة) ٠٠

● **معبد سـنفرو** : وهو يشبه المعبد السابق ، ويقدم نفس النقوش تقريبا فى صورة أكثر تفصيلا ووضوحا ، كما يصور الملك ـ رأس الأسرة الرابعة ـ وهو يقوم بأعمال دينية أخرى تعطى فكرة عن منصبه الدينى خلال هذه الفترة ، كما نعرف منه كثيرا عن مدن مصر ، وعن ثروة هذا الفرعون ـ الأسرة ٤ الجيزة ـ

● **معبد ساحورع** : وهو معبد فخم بديع النقش ، نعرف منه كثيرا عن نشاط الملك الحربى وهزيمته للقبائل الليبية ٠٠ ، وهناك معبد آخر له يتحدث عن ارساله أسطولا الى شواطىء فينيقيا ، ويبدو أنه كان أسطولا تجاريا : (الأسرة ٥ أبو صير) ٠

● **معبد نى وسررع** : من الأسرة ٥ وفى « أبو صير » أيضا ، أحد معابد الشمس ، به تفاصيل مسهبة عن احتفال العيد الثلاثينى ، وبعض حروبه فى سوريا ومع الليبيين ٠٠ هناك من يشكك فيها ، ويعتبر أنها مجرد تقليد لمعبدى الفرعون السابق !!

● **معبد منتوحتب الثانى** : وهو يضم مقبرته ومقابر عدد كبير من أفراد أسْرته وبه نقوش عديدة عن نشاط الأسرة ـ الحادية عشرة ـ لكن أهم ما فيه نقوشه البديعة والمهمة ، التى تمثل جانبا مهما من جوانب الدور الاعلام الفنى ، واستخدام النقوش والخطوط والألوان كعناصر اخراجية ووحدات جذب لتحقيق الهدف (الأسرة ١١ طيبة) ٠

● **معبد اللابيرانت** : أى التيه ، باليونانية ، بناه امنمحات الثالث بالفيوم ، ولم يبق من آثاره الا بعض الاحجار المتناثرة ، لكننا نعرف الكثير عنه مما رواه المؤرخون خاصة هيرودوت ، واسترابون وديودور الصقلى وغيرهم ، وقال عنه أبو التاريخ أنه عمل يعجز عن وصفه البيان ، كما أن من رأيه أنه يفوق الأهرام أيضا ٠٠ ويذكر أن جدرانه ممتلئة بالاشـــكال

المحفورة ، يقصد بذلك الخطوط الهيروغليفية ، على عادة قدامى الكاتبين ، ومن المؤكد أن أقوال هؤلاء عنه لم تنطلق من فراغ ، وانما كان عملا معماريا وفنيا ودعائيا نادر ا لمثال (الأسرة ١٢ الفيوم) ٠

● **معبد الدير البحرى ـ حتشبسوت** : من أهم المعابد ذات الدلالة الاعلامية المتعددة ، قام ببنائه مهندسها المحب لها « سنموت » وأبرز ما عليه قصة حياتها وتوليها السلطة والتى لا تفوقها سوى قصة ومناظر وتقرير رحلة سفنها البحريةالى بلاد «بونت» والتىتعنى ـ تحريرا ـ بالنسبةلتقارير الرحلات المصورة الشيء الكثير ٠٠ تاريخا وفنا وتصويرا (الأسرة ١٨ ـ طيبة) ٠

● **معبد الأقصر** : أحد المعابد المهمة أيضا من زاوية الاعلام ويقول « جيمس بيكر » أن تاريخه يرجع الى فترتين : السنوات الأخيرة للاسرة ١٨ ٠٠ عهد امينوفيس الثالث ، والنصف الاول من عصر الأسرة ١٩ ، عهد رمسيس الثانى ، كما أضاف اليه آخرون وأبرز ما فيه النقوش الدينيـة الخاصة بالآلهة ، وعيد الاله آمون ابت ، ومهرجانات وعروض ومواكب دينية أخرى ، الى جانب تقارير حروب رمسيس الثانى الآسيوية على طول الحائط الغربى وعودته منتصرا وفى ركابه أسراه ٠٠ وهى من أهم المصادر عن هذه الحروب ٠

● **معبد سيتى فى أبيدوس ـ العرابة المدفونة** : ولعل من أهم ما فيه بالاضافة الى المستوى الرفيع لنقوشه وألوانه وعمارته كلها مما يجعل ممثلا لصفحة رائعة من صفحات « الاعلام الفنى » ٠٠ لعل من أهمها : ثبت أو مسرد أبيدوس والذى يضم ستة وسبعين اسما لملوك مصر السابقين على سيتى ، وذلك بالاضافة الى قصص بعثاته فى النوبة والسودان وحروبه العديدة الى جانب موضوعات دينية مختلفة ، والجزء الاكبر منـــه لا يزال قائما (*) (الأسرة ١٩ أبيدوس ـ العرابة المدفونة) ٠

(*) عند قيامى بعمل تحقيق صحفى عن هذا المعبد والتى نشرت بعد ذلك قالت لى احدى المهتمات به وهى انجليزية عاشقة لتاريخ مصر عامة وقصة سيتى خاصة وكانت تقيم هناك منذ ما يزيد على ربع قرن ـ أم سيتى ـ أن كهنة المعبد قد تنبأ بعضهم بعدد كبير من الحروب المصرية التى تمت بعد ذلك بمئات السنين وبعضهم تنبأ بحروب حديثة جدا وبما سيقع خلالها ٠٠٠ والله أعلم (نشرت تحقيقا عن أم سيتى بمنتصف السبعينات بآخر ساعة) ٠

● **معبد رمسيس الثالث فى مدينة هابو** : وهو الذى يمثـــل بعض الصفحات المهمة ، خاصة العسكرية ـ اعلام الحـــرب ـ حيث نقش على جدرانه ـ مثل معابد أخرى غيره ـ قصة حروبه فى « قادش » وقوائمأسماء البلاد المقهورة وحصاره لعدد من المدن الحصينة حتى سقوطها ، كما أن من أهم ما به أخبار معركته البحرية ·· « وهى أول معركة بحرية كبرى مسجلة فى العالم وأول معركة بين مصر وأوربا ١١٨٤ ق·م » (٥٧) ·

·· ونكتفى بهذه النظرة السريعة ، ونتوقف عند أحد المعابد الأخرى من الزاوية نفسها ، باسهاب أكثر ، ورؤية أقرب ·

(ب) معبــد الكرنك :

انه الصرح الهائل الذى تقف أمامه الوفود مشدودة بكل ما فيه من أثر وفن ومشهد ونقش وصورة وخبر ··

ولكن حتى هذا المعبد التاريخى الفخم الضخم المتعدد البناة والعصور والاشكال والمعالم والاغراض والذى ألفت فيه · ·بل فى جوانب منه ، العديد من المؤلفات ، لأثريين ومهندسين من مختلف الجنسيات ، فاننا لن نتوقف بعد التعريف السريع والعاجل به ، الا عند بعض المشاهد والصور التى نعتبرها ذات دلالة اعلامية ودعائية ، من تلك التى زخرت بها جوانبه المختلفة (*) ··

انه « لؤلؤة » الآثار المصرية ، الذى قال « شمبليون » عندما شاهده يقصد بناته من الأجداد : « ما من شعب قديم أو حديث غير قدماء المصريين قد صور لنفسه فن العمارة بهذا السمو وهذه العظمة ، وهذه الفخامة ·· لقد كانوا يفكرون كما يفكر الجبابرة الذين تبلغ قامة الواحد منهم مائة من الأقدام » (٥٨) ·· ومن قبله بأكثر من ثلاثين قرنا قالت عنه مليكة مصر « الاعلامية » بطبعها وطبيعتها ، وهى تبرر وضع مسلتيها به : « ذلك أنى

(*) حبذا لو قام أحد طلاب ـ احدى طالبات ـ الدراسات العليا بتسجيل رسالة ماجستير فى تاريخ الاعلام بعنوان : « الدلالة الاعلامية لكتابات ونقوش معبـــد الكرنك » ·· وقام آخرون بالمثل بالنسبة لمعابد الاقصر وأبى سمبل وسيتى وحتشبسوت وجميعها يستحق ذلك فى رأينا ·

أعرف أن الكرنك أفق الأرض السماوى » (٥٩) ·· تماما كما قال عنه أحد كبار المؤرخين : « ·· وليس فى وسع الانسان أن يفهم هذا البناء على حقيقته الا اذا كانت لديه خرائط ورسوم وكان ملما بكل ما بلغه فن العمارة من رقى » (٦٠) ··

والكرنك فى الأصل قرية تقع على الضفة الشرقية للنيل شمالى مدينة الأقصر واسمها محرف من كلمة « خورنق » العربية ، وكانت جـــزءا من طيبة ·· عاصمة مصر القديمة ، خلال أزهى عصورها وقد تتابع على بناء معبدها - معبد آمون الكبير - عشرات الملوك ، بل شغل موقعه منذ عصر الأسرة الرابعة بعض المعابد الصغيرة ، أما أهم الملوك الذين أضافوا اليه فكانوا ملوك الدولة الحديثة ، أحمس وامنحوتب وتحتمس الاول والثانى والثالث وحتشبسوت وامنحوتب الثانى وحور محب ورمسيس وسيتى ·· وغيرهم ، بل وأضاف اليه الأثيوبيون والبطالمة بعض بصماتهم··كما اعتدى عليه أكثر من مـــرة وحطمت بعض آثاره بفعـــل الحاقدون من الداخـــل والخارج معا ·

ويبقى أن نشير الى بعض مما نعتبره من هذه الشواهد ذات الدلالة الاعلامية القائمة داخل مساحته ، التى تمتد من آن لآخر ، ويكتشف بهـــا الجديد من آن لآخر أيضا ·· ان أهمها هنا :

١ - ما يطلق عليه اسم « **ثبت الكرنك** » والذى أقامه تحتمس الثالث فى احدى الحجرات المجاورة لبهو الأعياد ، وهو يحوى أســـماء وأعمال مجموعة مختارة من ملوك مصر - ٦١ ملكا - يبدو أنهم كانوا على صلة قرابة بهذا الفرعون ، وهو موجود بمتحف اللوفر وله قيمته كمصدر تاريخى واخبارى مهم ·· معا ·

٢ - النقوش الخاصة بهيكل « **سنوسرت الأول** » والتى أمكن اعــادة أحجارها والذى تمتاز نقوشه بانها تعكس الحس الفنى الدقيق للرسام الذى جعله يلتفت الى أصغر التفصيلات وأدقها وهو يصور الملك يقوم بطقوسه الدينية ويقدم القرابين لآلهة طيبة كما أن به معلومات عديدة عن أقاليم مصر ومساحاتها ورموزها كما سجل أيضا بعض مناسيب ارتفاع مياه النيـــل فى عهـــده ·

٣ ـ **لوحات « كامس »** التى تصور قصة كفاحه وحربه ضد الهكسوس، حيث سجل خبر الحرب وأبرز ما فيها وسجل انتصاره على لوحتين ـ ويقال على قطعتين من لوحة واحدة ، بادئا بلوم ملك الهكسوس واصفا عدوه ، مصورا لاستيلائه على الكثير مما كان له وبخاصة ثلاثمائة سفينة مصنوعة من خشب الأرز بما عليها من كنوز ، الى غير ذلك كله ٠

٤ ـ ومن أهم هذه الكتابات قصة **حملات تحتمس الثالث** التى يمكن اعتبارها وكما أشرنا الى ذلك من قبل ـ محاضراتنا وكتاب فن الخبر وصفحات سابقة من هذه الدراسة ـ بمثابة « أول تقليد لعمل تقارير حربية مفصلة نستطيع أن نقارنها بتقارير المعارك الحربية الحديثة ـ ونقرأ فى أخبار الحملة الاولى أنها كانت فى العام الثانى والعشرين من حكمه ، أى فى السنة الاولى من انفراده بالحكم وأنه غادر حصن ثارو ٠٠٠ الخ » (٦١) ٠٠ ثم تواصل التقارير تناول هذه الحملات حتى السنة الثانية والاربعين من حكمه ، بكل تفاصيلها ، باستثناء ما فقد منها ، أو حطم ، أو سرق ٠

٥ ـ وبالمثل ، وبالاضافة الى حروب كاموس وأحمس وتحتمس فان « صفحات » الكرنك الحجرية ، تسجل لنا قصص وتفاصيل ووقائع هذه الحروب كلها : « حروب سيتى الأول مع جيران مصر ـ حروب رمسيس الثانى ضد الحيثيين وأهمها معركة قادش وكذا معاهدته معملكهم ونص هذه المعاهدة ـ انتصارات امنحتب الثانى على رتنو الشام ـ نقوش حورمحب الحربية ـ حروب مرنبتاح ـ معاك حورمحب العديدة » ٠٠ وجميعها قد أشرنا اليها فى صفحات سابقة ٠

٦ ـ على أنه لا يظن أن هذه الصفحات كانت حربية فقط ، أو أخبار وموضوعات اخبارية وتقارير عسكرية دون أى شىء آخر ، فقد حفلت أيضا بالأخبار العديدة الأخرى ، والموضوعات التى تتناول العديد من المضامين ومن بينها على سبيل المثال لا الحصر : قصة تتويج أحمس ـ قصة تتويج تحتمس الثالث وحتشبسوت ـ نقوش اخناتونية ـ زواج رمسيس الثانى ـ نصوص تتويج رمسيس الثالث ٠٠ الشعوب الوافدة على مصر ٠٠ وغيرها ٠

٧ ـ ومن أبرزها كذلك الكتابات الخاصة بالثواب والعقاب وقواعدها ، التى أطلق عليها « تشريعات حورمحب » ٠٠ الى جانب بعض أفكاره الاصلاحية العديدة٠

٨ - تسجيل قياس ارتفاع أو انخفاض مياه النيل عند المرسى الخاص بالمعبد وقد فعل ذلك معظم ملوك الأسرات (٢٢ - ٢٣ - ٢٥ - ٢٦) ٠٠ أليست حالة منسوب المياه مادة اعلامية مهمة للمصريين عامة ٠٠ وللفلاحين والصيادين والملاحين خاصة ، بدليل وجودها كفقرة مهمة فى نشرات الاخبار وأعمدة الصحف ؟

ونكتفى بهذا القدر اليسير من الاشارة الى المادة التاريخية والاخبارية - الاعلامية - الموجودة على هذه الصفحات ٠٠ صفحات معبد الكرنك المتعدد، دون أن نتجاهل أن المعبد نفسه ،بمعابده الصغرى وقاعاته وأبهائه وممراته ٠٠كان من أبرز المواقع المهمة التى تجرى فيها بعض أشكال وأنماط الاعلام الأخرى ، خلال هذه الفترات الزمنية لا سيما (حفلات التتويج - الحفلات الدينية - مهرجانات الزواج - العروض المختلفة ٠٠٠ الخ) ٠٠ وياله من دور اعلامى وتاريخى ذلك الذى أداه ٠٠

٥ - **المسلات** : حتى نصل فى النهاية الى آخر هذه الأوعية والأدوات المختارة ، من بين القائمة السابقة والتى حملت مضمونا تاريخيا واعلاميا ودينيا ودعائيا ٠٠ كلها أو بعضها ٠٠ قبل أن نقول كيف ؟ وماهى شواهد ذلك ، نقدم فكرة مبدئية ، تتناسب أيضا مع طابع هذا الكتاب ومساحته عن موضوع هذه **السطور** ٠

● والمسلة عبارة عن عامود من أنواع مختلفة من الاحجار مربع الشكل بأوله قاعدة مربعة ومساحة هذا العامود تضيق كلما اتجهنا الى القمة الهرمية ٠٠ والتى أشرنا الى السبب فى اتخاذها هذا الشكل فى سطور سابقة - معابد الشمس - ومن ثم فارتباطها شديد بهذه العبادة ، والمسلة تعتبر شاهدا آخر على عظمة فن العمارة عند قدماء المصريين ، لا سيما تلك المقطوعة من الجبل قطعة واحدة (*) ، بما يتصل بأمور قطعها ونحتها

(*) يرى بعض المؤلفين أن المسلات القديمة الخاصة بمعابد الشمس لم تكن قطعة واحدة وانما هى قوالب مرصوصة فى الحجر الجيرى ، أما الاخرى الشهيرة ، فهى قطعة واحدة قدت من الصخور الجبلية المختلفة لا سيما الجرانيت أو « الجلمود » ٠٠ دون وجود أى عيب أو خدش بها يؤثر عليها ٠

ونقلها الى مكانها واثبات ما يراد اثباته فوقها ، وبعضها صغير ، لا يزيد وزنه على ١٠٠ طن ، وبعضها كبير - حوالى ١٠٠٠ طن و ١٠٠ قدم طولا - ولا نقصد بذلك طبعا مياكلها الصغيرة التى أقيمت للزينة فقط ، وانما المسلات الحقيقية التى ارتفعت لتؤدى غاية وظيفية مهمة ٠٠ وحيث يوجد بعضها الحجرى أو الخشبى الخاص بالأفراد أيضا ، وليس الملوك فقط ٠

والمسلات معروفة منذ عهد الأسرتين الرابعة والخامسة - ازدهار عبادة الشمس - لكن أغلبها خلال هذه الاوقات كان يمثل الشعار الدينى فقط ، والمشار اليه سابقا ، والمطور عن أعمدة معابد الشمس ، والمطورة بدورها عن الشجرة الموجودة فى معبد الشمس بمدينة (أون - عين شمس) ٠٠ ثم أظهر **سنوسرت الأول** ثانى ملوك الأسرة ١٢ اهتماما متجددا ببنائها فأقام مسلتين لا تزال احداهما قائمة بعين شمس ، بارتفاع ٤ر٢٠ مترا وبوزن ١٢١ طنا ٠

● أما أهم هذه المسلات دون جدال ، من زاوية موضوعنا خاصة ، فهى تلك التى أقامها فراعنة الدولة الحديثة أمام معابدهم أو داخلها ، والتى ينتصب بعضها قائما حتى الآن ، كما تزين مسلاتها عددا من أكبر ميادين روما وباريس ولندن ونيويورك واسطنبول ٠٠ وغيرها ٠٠

ويقول أحد المتابعين انه كان يوجد بالكرنك عدد كبير من هذه المسلات ذكر من بينها ، كما حدد مواقعها على النحو التالى :

الملك	العدد
تحتمس الأول : أمام البيلون الرابع	٢
حاتشبسوت : فى قاعة تحتمس الاول	٢
حاتشبسوت : شرقى معبد الكرنك أمام البوابة الشرقية	٢
تحتمس الثالث : أما البيلون الرابع	٤
تحتمس الثالث : أمام الهيكل شرقى معبد آمون	١
تحتمس الثالث : أما البيلون السابع	٢
مسلتان من الخشب المغشى بالذهب أمام هيكل المركب المقدس	٢
امنحتب الثانى : أمام البيلون الرابع	٢

حورمحب : أجزاء من مسلة فى فناء أمام البيلون السابع	١
الأسرة ٢٥ : أجزاء من مسلة فى فناء الخبيئة	١
الأسرة ٢٥ : أجزاء من مسلة فى الفناء ما بين الثامن والتاسع	١
رمسيس الثالث : مسلة صغيرة بين التاسع والعاشر	١
سيتى الثانى : مسلتان صغيرتان فوق مرسى الكرنك	٢

••ولم يبق من هذه المسلات قائما بمعبد الكرنك الا مسلتان فقط ، احداهما لتحتمس الاول والثانية لحاتشبسوت ، أما باقى المسلات اما قد هشمت واما نقلت خارج مصر » (٦٢) •

•• وليست هذه هى فقط المسلات الموجودة فى مصر أو التى نقل بعضها الى الخارج ، ولكن توجد أخرى فى صا الحجر والسودان وأسوان ، كما توجد أجزاء عديدة من القواعد أو الاجزاء العلوية لبعض المسلات منتشرة فى أكثر من مكان فى مصر خاصة فى المناطق الأثرية بالصعيد ، هذا غير المسلات الصغيرة التى توجد بالمتحف المصرى ، أو متاحف أوربا ، غير تلك الموجودة بالخارج ومن أبرزها : (٧ مسلات صغيرة فى روما ، وواحدة كبيرة هى الآن أكبر مسلة قائمة فى العالم ، تحتمس الثالث بارتفاع ٣٢ مترا ووزن ٤٥٥ طنا بميدان لتران ، يقال أنها الباقية من أصل ٤٨ مسلة مصرية كانت بروما ـ ٢٢ مسلة بلندن أشهرها لتحتمس الثالث أيضا والمقامة على نهر التيمس ـ ٥ مسلات باسطنبول أشهرها لتحتمس الثالث أيضا أمام جامع السلطان أحمد ••• الخ) •

● ثم ماذا ؟ •• لقد أحسن أصحاب المسلات اختيارها كوسيلة ووعاء دينى وفنى واعلامى وحربى معا ، •• ولكن كيف ؟ وما شواهد ذلك بالنسبة لما يقال عما كان قائما ، أو عما هو قائم بالفعل ؟

● بادىء ذى بدء نقول أن اختيار هذا الشكل أو النمط لم يكن اختيارا عشوائيا • وانما ، وفضلا عن الرمز الدينى الذى تمثله ،*وهو أيضا رمز اعلامى دينى ، فان فى هذا الاختيار شكلا أو من زاوية الشكل :

ـــ جانب طيب من جوانب الاختلاف عن الأعمدة التقليدية ممـــا

يجعلها تستقطب الانظار لا سيما وبعضها أقيم فى أماكن بها أعمدة ، وأعمدة كثيرة أيضا ، ومن ثم فقد كان لابد من اظهار هذا الاختلاف الشكلى الذى يميزها عن غيرها ، ويشد العيون اليها (عامود مربع له قمة هرمية) ٠

ـــ والقمة الهرمية نفسها لها دلالة دينية كبيرة عند أجدادنا ٠٠ أى أنه ليس اختيارا عشوائيا أيضا ، وانما له معناه المعبر عنه من خلال هــذا الشكل الهندسى ، وما يتبع ذلك من دلالة اعلامية ٠

ـــ والانتهاء بالقمة الهرمية أيضا ، يجعلها أكثر جمالا ، ويشعرنا بانتهاء المساحة المحددة لها وبأن الهرم الصغير يمثل « تاجا » يعلوها ٠٠

ـــ فاذا أضيف الى ذلك أن هذا الهرم فى معظم الأحوال كان يصنع من الذهب ،« أو يغطى بصفائح الذهب ، حتى يعكس أشعة الشمس لادركنا الى أى حد كان يقصد بها أن تكون عملا اعلاميا ودعائيا متميزا ، واشارة لها معناها (والاشـــارة جانب من الاعــلام أيضا) ٠٠ تشد اليها جميع الأضــواء ٠٠

ـــ كذلك فان الشكل المربع يجعل عملية متابعة الكتابة أكثر سهولة تماما كما يناسب الشكل العامودى التقليدى النقش والزخرفة ٠٠ ومن ثم كانت الكتابة للمسلة ، والرسم والزخرفة للأعمدة ٠٠ وليس معنى ذلك أن المسلات كانت خلوا من الرسم والنقش والزخرفة ٠٠ وانما لما يعنيه ذلك الاختلاف بين الوسيلتين ٠

ـــ وطول المسلة وكونها قطعة واحدة بلا عيب أو خدش وقاعدتها التى تحملها ، وشكلها الانسيابى ، واختيارها من أقوى أنواع الأحجار فى أغلب الأحوال ٠٠ يؤكد أن الهدف هو « الظهور » على ما عداها من وسائل مجاورة ، والرؤية من بعد ، والاهتداء بها ـ مثل المنارات ـ وثباتها ، والبقاء لأطول فترة ممكنة٠٠تحمل رسالتهاالى الحاضر والمستقبل القريبوالبعيدمعا٠

ـــ واختيار معظمها ـ الدال اعلاميا ـ من الجرانيت ، أو الملون ثم وجود صفحات من الذهب ، فى ذلك كله ما فيه مما يكمل « الشكل الفنى » المستهدف للفت الانظار اليها ، والتعرف على مادتها ٠٠

● لكن المسلة لم تكن مجرد قطعة ضخمة من الحجـــر الأصم ، للاهتداء بها أو لتأخذ مكان الصوارى أو من أجل ما تسبغه على المكان من جمال ٠٠ لم تكن المسلات من أجل ذلك فقط ، وانما وقبل ذلك من أجل تلك المادة الكتابية التى تحملها ، والتى تعرف بأصحابها ، وبعهدهم ، وأهم أخبارهم ، تماما كما تعرف بسبب اقامتها ، وكلها جوانب اعلامية ودعائية . نقدم بعض ملامحها خلال هذه السطور ٠

ـــ فعلى سبيل المثال لا الحصر ٠٠ فان مسلة « سنوسرت الأول » القائمة بعين شمس حتى الآن تحمل النص الآتى الذى يحدد سبب اقامتها ، وموعد ذلك ، وخبرها كله فى تركيز شديد : « ان حورس الذى ولد مع الحياة ملك الجنوب والشمال خبر رع سيد نخبت وواجت المولود من الحياة ، ابن الشمس رع سنوسرت من أرواح محبوبة تعيش الى الأبد ، حورس الذهبى المولود من الحياة الاله الجميل خبر كارع أقام هذه المسلة فى اليوم الأول من عيد السد ليعيش الى الأبد » (٦٣) ٠

ـــ ونقرأ على مسلة « حتشبسوت » بالكرنك قصة هذه المســلة وشقيقتها ومن بين ما جاء فيها على لسان مليكة مصر نفسها : « كنت أجلس فى قصرى أفكر فى خالقى فدفعنى قلبى أن أقيم مسلتين من الالكتروم تلتقى قمتهما بالسماء ، أيها الناس يا من ستشاهدون هذا الأثر بعد سنين ويا من ستتحدثون عما قمت به من أعمال لا تقولوا انكم لا تعرفون لماذا أقيم هذا انه جبل قد من ذهب لا تقولوا انه شىء عادى ٠٠ لقد أقمت هذه المسلة وقلبى عامر بالحب لأبى آمون ، لقد أقمتها بأمره وهو الذى دفعنى الى ذلك ٠٠ انى لا أقوم بعمل من الأعمال دون مشورته » (٦٤) كما جاء فيه أيضا من مسلتيها معا ـ أشرنا اليهما عند حديثنا عن المسلات الموجودة بالكرنك : « هاتين المسلتين قد صنعتا من الحجر الأعبل الصلد الذى جىء به من محاجر الجنوب وأن رأسيهما من الذهب الابريز الذى اختير من أحسن ما حوته منه البلاد الاجنبية ويمكن مشاهدتهما على النهر من بعيد ونورهما الساطع يشع فى الأرضين ، واذا مالاح قرص الشمس بينهما بدا كأنه يبزغ حقا فى أفق السماء ـ لقد أنفقت فى تذهيبهما ذهبا كنت أكيله كيلا كأنه أكياس الحب ٠٠ ذلك أنى أعرف أن الكرنك أفق الأرض الســـماوى » (٦٥) ٠٠ واذا كان « ول ديورانت » ٠٠ قـــد ذكر وهو يقـــدم لهـــذا النص عن

المسلتين ودورهما الاعلامى قائلا : « .. وتذيعان بما عليهما من نقوش رسالة الملكة الفخور حتشبسوت الى العالم » (٦٦) .. فاننا بعد أن نؤكد على تعبيره تذيعان رسالة الملكة .. نضيف أن هـــذا النص يرتبط عندنا ارتباطا شديدا بالدور الاعلامى والدعائى لهذه الوسيلة المهمة ، بما يؤكد كلماتنا السابقة عنها ..

ـــ ثم نشير كذلك الى مســـلات تحتمس الثالث وســـيتى الأول وحورمحب التى أضافت بعض النصوص الحربية ، وذكرت أعمال هؤلاء ، بل وأضاف اليها ابنه رمسيس الثانى أعماله ، الى جانب أعمال والده .

ـــ على أننا فى نهاية حـــديثنا المختصر عن المســـلات وزاويتها الاعلامية ، انما نشير الى ما ذكره المؤرخ العـــالمى « ول ديورانت » .. من أنها كانت ذات أثر كبير فى فك رموز الكتابة المصرية القديمة ، حيث كان « شمبليون » .. وقبل عثوره على حجر رشيد ، قد عثر على مسلة مغطاة بهذه الرموز المقدسة .. وبعد فحصها بدقة ، أمكنه أن يميز منها أحد عشر حرفا مصريا .. لكن ذلك كان مجرد حدس .. الى أن عثر جنود نابليون على ذلك الحجر الأسود قرب مصب رشيد بلغاته الثـــلاث ـ الهيروغليفية والديموطيقية واليونانية .. « واستطاع شمبليون بفضل علمـــه باللغـــة اليونانية وبالأحد عشر حرفا التى عرفها من المسلة الأولى ، وبعد جهد متواصل دام أكثر من عشرين عاما ، أن يحل رموز هذا النقش كلها وأن يعرف الحروف الهجائية المصرية بأجمعها وأن يمهد السبيل للكشف عن عالم عظيم مفقود .. وكان هـــذا الكشف من أعظم الكشـــوف فى تاريخ التـــاريخ » (٦٧) .

رابعا ـ أطر وأنماط أخرى

(أ) مدخـــل :

.. واذا كنا قد تحدثنا خلال الفصول والمباحث السابقة ، عن هـــذه الأوعية والوسائل والأدوات سواء الاشارية الرمزية القديمة أو التسجيلية و « التقليدية » و « النمطية » من تلك التى تتجه اليها أغلب صور الاعـــلام

التقليدية ، النمطى ، التسجيلى التدوينى فى معظم الأحوال ، فاننا هنا نركز على تلك الأنماط والاطر الاتصالية الأخرى ، التى عرفها المصرى القـــديم ومارسها ، وكان محركا لها ، خلال عصر الأسرات المبـــكر ، والعصـــور التاريخية التالية له ٠٠ ولكن كيف ؟ اننا قبل أنتحدث عنها نتوقف لحظة لنقـــول :

— أنها هى نفسها كانت مجالات وموضوعات للكتابة بمعنى أنهـا كانت تحمل فى طياتها معظم بذور العمل الاعلامى كله ، والعملية الاعلامية ، بما يتصل بها من جوانب وتفاصيل ومضامين ٠

— أنه سبق تناول بعضـــــها من زاوية أو من أخرى خــــلال فصول ومباحث هذا الكتاب نفسه ٠

— أنها تختلط أحيانا ببعضها اختلاطا شديدا ، تذوب معه حدود هذا البعض مع حدود الأنماط والأطر الأخرى ٠

— أنها لم تكن مصر فقط هى التى عرفتها ٠ ٠وانما معظم شعوب العالم القديم ، مع اختلاف فى تاريخ ودرجة معرفة شعب من الشعوب بها عن شعب آخر ، أو عن شعوب أخرى ٠

— وأنه قد يحدث أحيانا بعض التداخل بشـــأنها ، بين المعطيات التاريخية المصرية القديمة ، وبين المعطيات التاريخية لأمم أخرى ٠

— أن بعضها - يعتبر من أبرز وسائل الاتصال الخارجى ، بين مصر من جانب وجيرانها من جانب آخر ٠

— وأن شواهدها ودلالاتها قد نجدها خارج الحدود ، أو نعرفها من صفحات أمم أخرى ، وحضارات أخرى ٠٠ وهكذا ٠

(ب) ٠٠ وأنماط متعددة :

٠٠ وبالمثل ، وكما رأينا أن الوسائل الاتصالية الاعـــلامية الفطرية الاشارية الاولى من تلك التى عرفها أجدادنا الأوائل ، كما عرفها غيرهم من أجداد الشعوب الأخرى ، بصورة أو بأخرى ، كانت متعددة الألوان والاشكال ،

وبالمثل ايضا ‥ وكما وجدنا الوسائل الاتصالية الاعلامية التسجيلية التالية، وهى تنقسم الى أكثر من مجموعة ، فانه يمكننا كذلك ‥ أن نقسم هذه الأطر والأنماط « غير التقليدية » ‥ الى المجموعات الآتية :

١ ـ مجموعة التجارة وما يتصل بها (تبادل ـ بعوث ـ أسـواق ـ عـروض) ٠
٢ ـ مجموعة الرحلات (فردية ، وجماعية ، وملكية) ٠
٣ ـ مجموعة الاعياد والمناسبات المهمة ٠
٤ ـ الاجتماعات واللقاءات المنظمة الأخرى ٠
٥ ـ أنماط اتصالية أخرى(القلاع ـ المعاهدات ـ الرسائل ـ الهجرات)

(هـ) ‥ أنماط وأطر وكلمات :

وبطبيعة الحال ، فانا لن نتوقف عند كل نمط من هذه الأنماط ، أو اطار من هذه الأطر ، لنقدم معلوماتنا عنه ، أو مرئياتنا حوله ، أو وجهة نظرنا بشأن زاويته الاتصالية الاعلامية ، فى اسهاب أو تفصيل لأن ذلك أيضا مالا تسمح به المساحة المحددة لهذه الدراسة ، وانما نقدم ذلك باختصار غير مخل ، ومناسب للعرض من بحثنا هذا (*) ٠

١ ـ مجموعة التجارة وما يتصل بها « الاتصال التجارى الداخلى والخارجى »

‥ واذا كانت « التجارة بأشكالها وتطوراتها المختلفة ، تعتبر من أهم الأعمال القديمة ، وأبرز الأنشطة الانسانية التى أثرت فى العلاقات الدولية، وما تزال ، فانها كذلك تعتبر بقوافلها البرية وطرقها وممراتها ودهاليزها ، وسفنها وبحارها وما يتم خلالها من **لقاءات تعريفية تبادليـة ، وما يدور خلالها من روايات اخبارية من جانب لآخر لثالث ، وما يستتبعها من نقـل**

(*) مرة أخرى نعود الى التوصية بأن تشمل بحوث طلاب الدراسات العليا بأقسام وكليات ومعاهد الاعلام ، مثل هذه الموضوعات وغيرها ، فهى جديرة بهذه العناية العلمية ، وتستحقها ٠

للاخبار والمعلومات الخاصة بالأمم والشعوب المشاركة فيها ·· بكل ذلك تعتبر التجارة ، أو « الاتصال التجارى » من أقدم الاطر الاتصالية التى عرفتها الحياة الانسانية ، منذ نشأ التبادل التجارى بين الأفراد ، بين الأسر والقرى والقبائل والمدن والأقاليم ·

● وباستقراء الواقع الاتصالى التجارى المصرى القديم ، نجد أن أرض النيل قد مارس أبناؤها بين بعضهم البعض هذه العمليات كلها لا سيما منذ عرفت الزراعة ، حيث بدأ المصرى بتقديم فائض انتاجه الى الاخرين ممن يقترب من موقعه ، بديلا عن العمل عنده ، أو تقديم ما لم يكن يستطيع أن ينتجه من أوان وأسلحة وأدوات زينة ، وحيوان مستأنس ·· حتى اتسعت هذه العمليات بين القرى المتجاورة ثم المدن ·· بين حضارات الصعيد والوجه البحرى ووحداته السياسية ، وحيث أدى النيل فى ذلك دورا متميزا ·· وعندما اتسعت مجالات النشاط المصرى ، وذهب بعيدا ، وجاء الجيران من الجنوب والشرق والشمال الشرقى والغرب ، كان الاتصال التجارى فى المقدمة ··

● ومنذ حضارة نقاده الاولى ، والاتصال قائم بين مصر وبلاد النهرين ، والنوبة والحضارات الآسيوية القريبة ، ومنذ حضارة نقادة الثانية ، والاتصال قائم بينها وبين موانى الشام · ·وكان فى معظم صوره ومشاهده اتصالا تجاريا خرجت فيه القوافل عن طريق وادى ادفو ووادى الحمامات وبرزخ السويس ووادى طميلات بالمنتجات المصرية من الاوانى والجلود والحلى والعاج وغيرها ، وعادت بالأخشاب والعطور واللبان والبخور والحلى والاحجار الكريمة والذهب (نوبة الحالية = نوب القديمة ومعناها الذهب) ·· وقد تم مثل ذلك فى عصر الدولة القديمة باضافة منتجات عديدة كان من بينها الزيوت والخمور التى استوردها « عحا » من سوريا ، كما شهد هذا الاطار الاعلامى المهم تطورا كبيرا فى عهد « سنفرو » الذى كان له أسطوله التجارى الكبير ، ثم انطلقت القوافل والبعثات بعد ذلك الى مختلف أرجاء العالم القديم المجاور « بلاد بونت ـ كريت ـ فلسطين » وكان من أبرزها قوافل وبعثات « ساحورع ـ امنمحات الأول وسنوسرت الأول والثالث وامنمحات الثالث » وغيرهم ، كما أن هناك

ما يشير الى وصول بعثات تجارية عديدة من هذه البلاد ، بل ومن جنوب شبه الجزيرة العربية ، كما جاء فى نصوص تحتمس الثالث ٠٠

● وقد ساعد على ذلك أن هؤلاء الفراعنة وغيرهم سعوا سعيا حثيثا الى دعم هذه الصلات ، وتأمين سبلها ، وطرقها ، حتى اقامة المعابد والاستراحات والتحصينات ونقاط الحدود الثابتة ، ليس من أجل صد غارات الطامعين فقط ، وانما من أجل هذا الغرض التجارى أيضا ، والذى قامت بسببه بعض الحروب نفسها ٠٠

● واذا كانت معظم هذه البعثات قد خلفت اللوحات العديدة التى أشارت الى نشاطها ، كما أشارت الى ذلك جدران مقابر رؤسائها على النحو الذى نوهنا به من قبل ، فمما لا شك فيه ، أن هذا الجانب التجارى قد لعب دورا اتصاليا مهما ، لا يمكن تجاهله ٠٠ ويكفى أن معظم معارفنا عن هذه الشعوب ، قد حملتها الينا - والى الصحائف القديمة - مثل هذه القوافل والبعثات ، لا سيما ما كان ينتظم خلال هذه الأنشطة من تعارف ، وعمل ما يشبه الأسواق والمعارض الأولى - وهى وسائل اتصالية - فضلا عن رواية أخبار هذه الأجزاء ، ونقل مشاهد الرحلة ، بل وبعض أنباء هذه البلاد نفسها ٠

٢ - مجموعة الرحلات ومظاهرها المختلفة :

وهى كذلك من أقدم أنماط الاتصال المصرية ، وأبرزها - خاصة الخارجى - وبعضها له صلة وثيقة بالنمط الاتصالى التجارى السابق بل وبأنشطة «عمل» عديدة أخرى ، فالرحلات ، وما يحدث خلالها ، ليست كلها « لهوا » ٠٠ ومن ثم ، واذا كنا قد أشرنا فى كلمات سابقة ، الى بعض جوانب هذا الموضوع والى رواد هذه الرحلات فاننا نضيف أنها - الرحلة - كاطار اعلامى يعنى الكثير بل ان تعدد أنواع الرحلات نفسها « رحلات نيلية - رحلات صيد بحرية - رحلات صيد برية - رحلات عمل متعددة - رحلات فردية - جماعية - رحلات ملكية - رحلات كشف - رحلات مغامرة - رحلات تجارية - رحلات مهام خاصة جدا » ٠٠ فى هذه كلها ما يجعلها نمطا اعلاميا ثريا ٠٠ تتوالى فيه الاخبار والموضوعات الاخبارية ، والتقارير المصورة والتحقيقات التى تقدم

الكثير عن الأمم والشعوب ، بعاداتها وتقاليدها وأزيائها وطعامها وشرابها ولهوها وأرضها وسمائها وبرها وبحرها ، وشجرها وثمرها ٠٠ والتى يقبل عليها أكبر عدد ممكن من المتابعين ، وبشغفـأيضا ، ومن ثم كانت موضوعاتها من أبرز موضوعات « الاعلام العام » ٠

● لقد أهتم المصرى القديم بالرحلة لأسباب عديدة ، جعلته يتابع مسارها ، ومن بينها :

ـــ تفقد أحوال حدود مصر لا سيما الجنوبية والشرقية ٠

ـــ البحث عن المناجم والمحاجر لاحضار الخام الـــلازم لآثارهم ومعـــابدهم ٠

ـــ البحث عن المعادن الثمينة لمتطلبات القصور الملكية ، والمقابر والتوابيت (الحلى والمشغولاتالمزينة ـ الموضع فى المقبرة ـ للنقوش المهمةجدا)

ـــ عقد صلات الود وعلاقات الجوار الحسن ، والعلاقات الخارجية الطيبة ، مع شعوب وملوك وحكومات البلاد الأجنبية ٠

ـــ كهرب من واقع أليم يعيشه أحدهم ويرى فى الرحـــلة ملاذا له حتى حين ٠

ـــ اطلاع بعضهم على قوة فرعون حاكم مصر (جانب دعائى مهم) ٠

ـــ تصدير منتجات مصر ،واستيراد المنتجات الأجنبية المهمة ، لاسيما الأخشاب والبخور والمر اللازمة لمعابد الآلهة من فينيقيا وبلاد بونت ٠

ـــ كنوع من المغامرة لعدد من الموظفين المصريين من المدن التى تقع على الحدود ٠

● ٠ وبالاضافة الى ذلك فقد كانت هناك بعض الاهداف الملكيـــة الخاصة ، من وراء قيامهم أو قيام الأمراء أو الوزراء أو الحكام باسمهم أو نيابة عنهم بمثيلات هذه الرحلات ، ومن بينها : (زياراتلدعم النفوذ المصرى ـ زيارة معابد الآلهة المصرية بالخارج ـ تفقد القلاع واصلاحها ـ استطلاع الحدود ـ لاشعار البلاد المجاورة عامة وبدو الصحراء خاصة بالوجود المستمر والقوى ـ توقيع الاتفاقيات مع الدول الأخرى ـ الزواج من أميرات أجنبيات) ٠

•• وليس معنى ذلك أن الملوك والامراء وحكام الأقاليم فقط ، هم الذين عرفوا الرحلة ، وانما أبرزها وأهمها ، من تلك التى يمكن اعتبارها من بين هذه الاطر الاعلامية الاتصالية المهمة كما أن من الثابت أيضا ، أن بعض العاديين من الافراد - كما ظهر على جدران مقابرهم - قد قاموا برحلات من أجل الرياضة والنزهة ، وبعضهم من أجل الرحلة ذاتها ، وهو ما يخرج عن مجال هذه السطور باستثناء جانب تسجيل هذا النشاط الخاص •

•• وهكذا تعددت الرحلات المصرية ، الى داخل البلاد وخارجها(*) ، وبرزت أسماء عديدة ، لبعض المصريين الرحالة ، وكذا للملوك الذين نظموا الرحلات ، أو شجعوا على قيامها •• وكان ذلك كله •• الرحلة بما فيها ومن فيها ، منذ خروجها حتى عودتها ، وما حملته ذاهبة وآتية ، فى رحلتى والعودة • وباضافة ألوان الاستقبال المختلفة كل ذلك يصب فى النهاية فى صورة مادة اعلامية اخبارية أو تقريرية •• مدونة ومرسومة ومصورة ما تزال تحتفظ بها حتى اليوم أبرز الأوعية الاعلامية - الوسائل الاتصالية - ونخص منها بالذكر ، ومنذ أيام الدولة القديمة ، حتى نهاية عصر الأسرات هذه كلها : « قاموا بها أو أشرفوا على تنظيمها » •

« سمرنخت - خنوم اب رع - اسيسى - ونى - حرخوف - بى نخت - ميخو - سابنى - محجى - سنوحى - عنخ تيفى - امنمحات الأول والثالث - حتشبسوت - حنو - ونامون » •• وغيرهم •

الى غير هؤلاء من رواد « تقارير الرحلات » •• تماما كما هم من رواد « أدب الرحلات » الانسانى وهو أدب واعلام معا ، بل ان بعض ما وصل الينا منه ، يكاد يكون أقرب الى الاعلام ، منه الى الأدب وذلك على النحو الذى ألمحنا اليه فى عدد من كتبنا التى تناولت « تحقيق الرحلات » •• وكذا « مقال الرحلة » ••

(*) يوجد نوع آخر من الرحلات •• الرحلات الخرافية ، ولكنهاتخـرج عن موضوعنا وان كان من الجائز استخدام مثلها - كقصة البحار الغريق - باعتبارها مادة لبعض أنواع صحافة المجلة لاسيما (الاطفال - المدرسية - الرحلات) •

٣ ـ مجموعة الأعيـــــاد :

واذا كنا قد أشرنا من قبل ـ الاعلام الدينى المهتم ـ الى أهمية الأعياد الدينية ، أعياد الآلهة الكبرى ، وآلهة الأقاليم والمدن ، من زاوية هذا الاعلام، وحيث كان لكل معبود من معبوداتهم الهامة عيده الذى يحتفل به فى طول البلاد وعرضها ، بل وفى بعض البلاد الأجنبية ، ومعابد الحـــــدود ، الى جانب تخصيص يوم لمعبود كل اقليم ، ومدينة ، حتى أن جميع أيام السنة ، كانت تمثل هذه الأعياد ، فان هناك أيضا الأعياد العديدة الاخرى الخاصة بمناسبات مهمة اعتبرت بمثابة أعياد شعبية ، أو فصلية كعيد توحيد الوجهين وأعياد الشتاء والصيف والفيضان ، والحصاد وجلوس الملوك وتنصيبهم تماما كما كانت هناك المناسبات المهمة الأخرى كحفلات زواج الملوك والأمراء والأميرات واستقبال المواليد وافتتاح المشروعات الزراعية الجديدة وشق الترع واقامة المعابد الكبرى وعودة الجيش من الخارج ، ووصول البعثات ، أو الوفود الأجنبية ·· وغيرها ، وغيرها مما يمثل اطارا اتصاليا واعلاميا له طابعه الخاص ·· بكل ما يدور فيه ، وما يتصل به ، لاسيما وأن اتصالها شديد جدا بالاعلام الشفهى هذه المرة ·· من خلال ما كان يقدم أثناء العيد أو الحفل المهم أو المناسبة السنوية من طقوس وشعائر وترنيمات وأهازيج وأناشـــيد ومواعظ أيضا ، بعضها كان يقدم بمصاحبة فرق الموسيقى ، والرقص التوقيعى المعبر وعلى أصوات المنشدين والمرتلين ، حتى من الكهنة أنفسهم ··

على أننا نتوقف عند بعض هذه الأعياد ، لنقدم نبذة صغيرة عنها من خلال هذه الكلمات :

● عيد السد ·· أو « حب سد » وهو أقدم وأبرز هذه المناسبات الملكية معا ، وهناك من العلماء من يقول أن « الملك العقرب » قد احتفل به ، لكن من الثابت أن أول من احتفل به هو « نارمر » كما ظهر ذلك من « مقمعته» ثم أعطى « زوسر » للاحتفال به أهمية خاصة ، وتبعه فى ذلك معظم فراعنة مصر ·· الذين خصصوا بعض الأبهاء أو المقصورات الفسيحة للاحتفال به ، واقامة شعائره وطقوسه ·· وبها الأماكن العديدة المخصصة للمعبودات التى تبارك الاحتفال ، ولضيوفه من الأمراء وحكام الاقاليم وبعض الوفود الأجنبية، ولمقيمى الشـــعائر والطقوس ومرددى الأناشـــيد والاهازيج والموسيقيين والراقصات الذين يقدمون « فقرات خاصة » بهذه المناسبة ·

٠٠ والأصل فى هذا الاحتفال أن يكونفى نهايةحكم الملك ، وهىالمفترضة بعد ثلاثين عاما من جلوسه على العرش ، أو اختياره وليا للعهد ولذلك أطلق عليه أيضا « العيد الثلاثينى » ٠٠ لكن عددا من الفراعنة لم يلتزموا بهذه الفترة الزمنية ، وانما كانوا يقيمونه من فترة لأخرى ، وكلما جد جديد من الاحداث ، مثل : « عودته من رحلة خارجية مهمة ـ عودة بعثاته ـ عودته منتصرا » ٠٠ وما ذلك الا لأن الحفل بمشاهديه وما يدور به من طقوس يعتبر مناسبة اعلامية ودعائية مهمة ٠٠ فهو أمام هذه الجموع المهمة ـ قد يكون بينها بعض حاقديه أو الطامعين فى حكمه ـ يستعرض قوته ويحكى حكاية رحلته أو انتصاره ويعلن عن حزبه ، ويشكر الأرباب على طول العمر والحكم معا ، ويستزيد القدرة على مواصلته ويحدد علاقته الطيبة مع الآلهة والأمراء وحكام الاقاليم ٠٠ كما كان يتخذ مناسبة مهمة لاقامة المعابد والتماثيل والاعمدة والمسلات للمعبودات نفسها ٠ ٠على نحو ما أشرنا اليه عند حـــديثنا عن مسلة « عين شمس » ٠٠ وبالاضافة الى تخليد ذكرى هذا العيد ـ وهو أكبر استعراض دعائى ملكى مصرى قديم ـ على جدران المعابد والمسلات فانه أيضا من أبرز أطر الاعلام الشفهى والفنى المصرى ٠

بل لعل اقامة المنصة العالية ذات الدرج الجانبى ، والتى ترتفع فوقها مظلتان تضمان عرشى الدلتا والصعيد ، ويصعد اليها الملك لاقامة طقوس عيد الجلوس على العرش يحف به أفراد الحاشية والخاصة ، ويقوم الكهنـــة المرتلون والمنشدون بدورهم ، بينما تقدم الرقصات التعبيرية على أنغـــــام الموسيقى الملكية ، لعل فى ذلك كله بعض ما يثير التساؤل حول صلته بجذور فن مسرحى مصرى ٠٠ وهو فى بعض الأحوال ـ الفن المسرحى ـ عمل اتصالى اعلامى ، لاسيما عندما تدور المشاهد حول هذه المناسبات السياسية والتاريخية والحدثية المهمة ٠

● الأعياد النيلية : عند حديثنا عن الاعـــلام الزراعى المتخصص ، أشرنا الى أهمية النيل فى تكوين مصر ، وفضله عليها ، ذلك الفضل ـ وهو من الله أولا ـ الذى أدركه المصرى تماما ، فربطوا بينه وبين معتقداتهم الدينية، وعبدوه ، وأقاموا له التماثيل واللوحات والنصب ٠٠ كما ركزوا بشدة على أمور فيضانه وما يتصل به ، فدرسوا ظاهرة الفيضان وتكرارها ســـنويا

بانتظام وأن الشعرى اليمانية ، تظهر عند الأفق مع شروق الشمس فى نفس اليوم الذى يصل فيه الفيضان الى منف وهليوبوليس ، ومن ثم كان أول تقويم بشرى عرفه التاريخ ، أول تقسيم للسنة الى ٣٦٥ يوما والى اثنى عشر شهرا والشهر الى ثلاثين يوما ثم تضاف اليها الأيام الخمسة الباقية للاعياد واللهو والمرح ·· أطلقوا عليها أيضا « ليلة الدمعة » ·· دمعة ايزيس المرموز له بهذا النجم على زوجها اوزوريس ·· أو ليلة النقطة ــ ١٢ بئونه ــ بداية الحدث الهام ·· الفيضان ·

عرفوا أيضا قدره ليس كصانع للتربة ، ومصدر للحياة فقط ، وانما للخصب والنماء ، وشريان للملاحة ، وعامل مؤثر فى الاتصال بين المدن المصرية ، وبعضها ، وبينها وبين النوبة ·· وما الى ذلك كله ·

من أجل ذلك كله تعددت الاحتفالات بالنيل عامة وبفيضانه أو زيادته أو وفائه خاصة ، حيث كانت تقام المهرجانات المهمة التى يخرج فيها الناس الى النيل ، ويجوبون صفحته بالقوارب المزينة والاعلام الملونة التى نقشت عليها صورة « حابى » ·· كما يقدمون له الهبات والقرابين ، ويتصدر الجميع فرعون والامراء والنبلاء والكهنة فى أبهى حللهم ، كما كانت مواكب الفنون الشعبية تخرج أيضا يتصدرها المنشـــدون والصائحون وحاملو الاعـــلام والتماثيل والأقزام ، وأكثر ما كانت تقام هذه الحفلاتوالعروض ، علىشاطىء النيل بالأقصر ·· حيث يردد الجميع « نشيد النيل » ·· على النحو الذى ذكرت بعضه نقوش معبدها ، وذكر بعضه الآخر قدامى المؤرخين ··

كان من الواضح أن الاحتفالات النيلية مناسبة اعلامية واتصالية مهمة ، حيث يتجمع كل هذا العدد الكبير لمشاهدة العروض ، وتداول الاخبار ، وتبادل المعارف ، وتقديم العروض ·· والأناشيد والتعريف بالمناسبة المهمة وكلها تتصل بالاعلام الشفهى أولا ، وان دونت بعد ذلك قليلا ·

● حفلات الزواج : عرف المصرى القديم كيفيفرق بين أوقات العمل، والراحة ، والسرور ، وكان دائما يسعى الى اقامة حياة عائلية موفقة ، تبدأ باختيار الزوجة المناسبة التى كان يقيم احتفالات زواجه بها عدة أيام ، وقد أشار بعضهم الى ذلك كله ، والى « تقديس » الحياة الزوجية ، وحب الزوجة

والابناء وحيث كانت احتفالات الزواج مناسبة تلتقى فيها العائلات المصرية والأهل والأصدقاء والجيران حيث تدور الأحـاديث وتروى القصص وتتدعم الصلات ويتقارب الجميع فى اطار من البهجة والسرور والعزف والرقص وما اليها ٠٠مما يجعل من هذه الاحتفالات مناسباتاجتماعية واتصالية وفنية معا ٠

لكن المهم هنا ، هى « احتفالات الزواج الكبرى » ٠٠ لاسيما وقد آمن بعض الفراعنة ، بأثر المصاهرة والزواج على العائلات الكبيرة فى الداخل والخارج معا ، ومن ثم وجدنا بعض الفراعنة وهو يرتبط بعلاقات المصاهرة مع العائلات الكبيرة بالصعيد ، والوجه البحرى ثم الخارج ويقال أن «نارمر» قد تزوج من أميرة نوبية ، وأن « ساحورع » قد تزوج من لبنانية ، كما كان لـ « امنحتب الثالث » عدة زيجات من أميرات أجنبيات لاهداف سياسية ، وبالمثل فعل « تحتمس الثالث » حيث تزوج من سـوريات واتخذ تحتمس الرابع زوجة ميتانية وواصل البحث عن غيرها ، كما فعل بعض أعضـاء حاشيته وقادته مثل ذلك ٠٠ مما عاد بكثير من النتائج السلبية ٠٠

لكن مما لا شك فيه أن هذا الزواج ، وأن هذه الحفلات قد مثلت اطارا أعلاميا قدم كثيرا من المعلومات عن هذه الزيجات ، وعن الشعوب نفسها وعاداتها وتقاليدها فى مثل هذه المناسبات كما أن الاحتفالات وما يسودها من تجهيزات واستقبالات ودعوات وولائم ٠٠ كل ذلك له زواياه الاتصالية التى لا سبيل الى انكارها ، خاصة وقد كان الفراعنة ومن تبعهم من الأثرياء يقيمون الصالات الفسيحة بقصورهم ، أو الميادين الرحبة أمامها لمثل هذه الاغراض بينما كانت هناك الشرفة الكبيرة التى يطل منها الملك والملكة لمراقبة العروض وما يدور من وقائع الافراح المختلفة ٠

٤ ـ مجموعة الاجتماعات واللقاءات المنظمة الأخرى :

كانت هناك مجموعة كبيرة منها ، معظمها كان يعقد فى قصور الملوك والامراء وحكام الاقاليم والمعابد والقلاع ٠٠ تعقد فى المناسبات المهمة مثل : « المحاكمات الكبرى ـ المباحثات مع وفود البلاد الاجنبية ـ اجتماعات مع حكام الاقاليم اثناء تفقد الملك لها ـ اجتماع الملك مع أبنائه وقادته وأفراد حاشيته ـ اجتماعات مع مستشارى الملك ـ استماع بعض الشكاوى والنصائح

وقطع الادب ونبوءات المنجمين ـ اجتماعات مع السحرة ـ اجتماعات قبل بدء الحروب ـ اجتماعات مع قادتها أثناء الحرب ـ اجتماعات لتوقيع المعاهدات مع الدول المختلفة خاصة على أثر الحروب » ·· الى غير هذه كلها ، مما كانت تدور فيها الوقائع والتفاصيل الخاصة بهذه المناسبة أو تلك ، والتى تشبه اللقاءات والندوات التى تنظم اليوم ، ثم يصل ما يدور فيها وما يتصل بشأنها الى المهتمين بها أولا ، من طبقات الشعب المصرى المختلفة ·· ومما تحدثت عنه وسائلهم وصفحاتهم الحجرية والبردية وغيرهما ·· لكن أهمهـــا ـ دون جدال ـ ما كان يجرى متصلا بحرب على وشك الوقوع ، أو وتهيبها محتدم فعلا ، مما كانت له صلة قوية بجوانب الاعلام العسكرى المهتم ، والمتخصص· ·· وقد تحدثت الآثار عن أبرزها « مجالس حرب التحامسة والرعامسة » ·· فضلا عما كان يدور بها وبغيرها من اعلام شفهى أو مسموع على درجة طيبة من الاهمية ·

٥ ـ أنماط اتصالية أخرى : كذلك فانه تندرج تحت هذه القائمة لانماط الاتصال غير التقليدية ، وسائل وأنماط وأوعية أخـــــرى عديدة ، لا يمكن انكارها ، وان ارتبط بعضها بهذه السابقة ، أو التى تناولناها فى السـطور السابقة ، أو لم يرتبط ·· ومن أهمها هنا (نركز على اطارين منها فقط)·

● الهجرات الداخلية والخارجية : وبصرف النظر عن الهجـــرة الداخلية لأبناء النيل ، والقديمة جدا ، من الصحراء ، حيث الصيد والرعى، الى النيل ، والاستقرار الى جانبه ، لاسيما بالأماكن المرتفعـــة ، وحواف الصحراء والنهر ، من أجل الزراعة ، خوفا من الفيضـــان ، ولدرء خطر الحيوان ، أو الجار المغير ، والمجتمع من أجل القوة ، والمصالح المشتركة والاحساس بالأمن ، والتكتل ·· وحيث ســـاعدت سهولة الانتقال الداخلى برا ونهرا على ذلك ، ومن ثم كانت هذه الهجرات الداخلية ذات الأثر الاتصالى الحضارى الكبير ، ·· بصرف النظر عن هذه ودورها فى تكوين المجتمعات القديمة وتقدمها ، فاننا نشير أيضا الى الهجرات التى عرفتها أرض الكنانة من خارجها ، هجرات الشعوب القريبة من حدودها فى معظم الأحوال ، البعيدة من حدودها أحيانا ، والتى تتابعت على أرض مصر منذ أقدم العصور لا سيما من شبه الجزيرة العربية ، خاصة جنوبها ، ومن بلاد النهرين ، ومن أواسط آسيا ، والصحراء اللوبية ، وجزر البحر المتوسط ، والجنوب القريب

والبعيد معا ·· وحيث يمكن اختصار تاريخ مصر السياسى ، والعسكرى فى معظم صفحاته ، فى العلاقات الحربية أو السلمية ، مع هؤلاء ·· لكـــن الهجرات لم تكن كلها غزوا وحربا ، بل كانت هناك الهجرات العديدة المسالمة، لشعوب البحر ، والبدو ، من الذين تدفعهم الحياة المصرية ورغد العيش وبحبوحته ·· الى الاستيطان بها ·· وبصرف النظر أيضـــا عن الواقع العسكرى - وهو مهم جدا حضاريا واعلاميا معا - وعن الهجرات الطامعة، لا سيما فى عصور الضعف المتعددة ، فان هذه الهجرات كانت تشكل اطارا اتصاليا مهما ·· من خلال التعرف على ألوان معيشة وفكر وثقافة ودين ونمط حياة وخبرات وتجارب ومعارف هؤلاء ، مما أضاف كثيرا الى الرصيد المصرى ، خاصة بعد ذوبان هؤلاء فى مجتمع الأجداد ، وتشـــبههم به ، وتقبلهم للحياة بصورها العديدة - وان اختلفت درجة هذا التقبل من فئة لأخرى - وبعد أن حدثت ألوان استخدامهم فى قصور الفراعنة ، والوظائف المدنية ، وانصهروا تماما فى المجتمع المصرى ، بل وتصاهروا معه ، وتبودلت الزيجات بينهما ·· لقد كانت هذه الهجرات تمثل اتصالات بين الحضارة المصرية ، وحضارات هؤلاء ، بكل مستوياتها ، انعكس على الواقع الاتصالى المصرى نفسه ، وظهر أثره ، فكرا وعقيدة وسلوكا ·· معا ·

● **الحصون والقلاع العسكرية :** كذلك ، فان هناك ذلك النمط ، أو الاطار الاتصالى الخارجى المهم ، غير التقليدى أيضا ، والذى يرتبط بمثل هذه الجوانب السابقة ، الهجرات والحروب والاتصـــالات الحـــدودية ، والخارجية عامة ·· لقد دفع الموقع المصرى ، والثراء المصرى ، وخصوبة أرض الوطن ، لاسيما فى عصور الضعف الى هذه الهجرات والغزوات المتالية للشعوب - أو لجيوشها - القريبة والبعيدة منها ·· معاء وذلك الى جانب محاولات بعض الجيران الاقتصاص من مصر ، أو بسط نفوذه عليها ، أو تكوين امبراطورية تكون من بينها أرض الكنانة ·· دفع ذلك كله ، فراعنة مصر الأقوياء ، وأحيانا نصف الأقوياء الى عمل وسائل عديدة لجعل عملية التسلل اليها ، أو غزوها ، صعبة ، وتعددت طرقهم الى ذلك ، وكان من بينها غزو مواقع هؤلاء أنفسهم ، وتأديبهم من آن لآخر ، بل وضم بلادهم الى أرض مصر ، وكان من بينها احضار بعض أبناء الملوك والأمراء رهينة الى مصر ، وكان من بينها عقد الاحلاف والمعاهدات ، أو تقوية روابط السلم معهم ·· وكان من بينها أيضا مساعدة بعض حكام أقاليم الحدود على تكوين جيش

حدودى قوى ، الى جانب الأسوار الدفاعية ، والتحصينات والقلاع العسكرية ٠٠ وهذه الوسائل الاخيرة - القلاع والتحصينات ونقاط الدفاع - كانت تمثل « مستعمرات » مصرية كاملة ، بها كل مايعوزه الضابط المصرى والجندى المصرى ، من أساليب الحياة ، وحتى ممارسته طقوس ديانته ، وتسليته ، فضلا عن الجانب العسكرى ، ومن ثم ، ومع اهتمام مختلف الفراعنة الأقوياء بها منذ أيام الأسرة الأولى ، وحيث يشير « لوح نارمر » الى جزء من خصن حدودى - كما نعرف الاهتمام الكبير الذى أبداه « سنفرو » و « أمنمحات الأول » و« سنوسرت الثالث » ٠٠ وفراعنة الدولة الحديثة - معظمهم - بها ، وحتى بعض فراعنة العصور المتأخرة « بسمتيك الأول ونكاو وغيرهما » من الأسرة ٢٦ ٠٠ كما كانوا يداومون على تفقدها ، واقامة بعض الاجتماعات المهمة بها ، وزيارتها من حين لآخر ، وتتبع أحـــوالها ٠٠ مع ذلك كله ، وبالاضافة الى كثرة أعدادها والى اعتبارها « نقطة لقاء » حضارى مهمة ، ترصد وتسجل وتنقل ما يدور على الجانب الآخر من نشـــاط عسكرى فى معظمه مرتبط بجوانب التقدم فى بعض الأحيان ٠٠ يمر من خلاله القادمون من خارج الحدود ، من مصريين وغير مصريين ، لاشرافها على الطـــرق المهمة ، مما يجل دورها شبيها بذلك الدور الذى تقوم به المـــدن الحدودية عامة ، والذى قامت به بعد ذلك « «امارات الحدود » القائمة بين الجزيرة العربية ودولة فارس من جانب والروم من جانب آخر مما جعـــــل امارة « الحيرة » وامارة « الغساسنة » تلعبان دورا اتصـــــاليا مهمـــا ٠٠ بين الحضارات الثلاث العربية والفارسية والرومانية ٠٠

وهكذا راحت أمثال هذه الحصون والقلاع نفسها تلعب دور «البوابات» الحدودية ، دور مواقع المواجهة الحضارية ، عسكرية ، وغير عسكرية ، دور « همزة الوصل » بين مصر من جانب والحضارات والمواقع والبلاد الأخرى من جانب آخر ، انها على سبيل المثال لا الحصر قلاع : «بوابة ايمحتب الشرقية - حائط الأمير على الحدود الشرقية أيضا - قلعة وادى علاقى الجنوبية - حصون سنوسرت الثالث الجنوبية لاسيما عند سمنة وقمة - قلعة امنحتب الثانى فى تمبوس جنوبى الشلال الثالث - قلعة تل على الحدود الشرقية أيضا » ٠

خامســـا ـ نمطان وســـؤالان

٠٠ ونختتم هذه الطائفة من أهم وأبرز الاطر والاوعية الاتصالية ، الداخلية والخارجية ، أو المرتبطة بالاعـــلامين الداخلى والخارجى ٠٠ ، وليس كل ما كان قائما أو موجودا منها ، نختتمها بالوقوف برهة ، عند بعض الجوانب المهمة المتصلة بعدد من ألوان الفكر والنشاط الانسانية ، ذات الارتباط الوثيق بالاعلام ، والى حد اعتبارها من بين أطره ووسائل التى عرفتهابعض الشعوب الأخرى ، فى أوقات مختلفة من تاريخها ٠٠ أنها تلك التى يتناولها سؤالان هما :

الســـؤال الأول

ما موقفـــهم من الخطـــابة ؟

هل عرفت مصر القديمة هذا النمط المهم ، أدبيا واتصـــاليا ودعائيا ودعوة ٠٠ معا ، ونعنى به هنا فن « الخطابة » ؟٠ وهل كان هناك « خطباء » من بين أبنائها ، ممن عرفتهم هذه العصور القديمة استخدموا هذا النمط بشكل أو بأخر ، فى تحقيق هدف معين ولغاية معينة ؟ اننا قبل أن نجيب عن ذلك كله ، فانما نتوقف أولا عند هذه النقط الأساسية المتصلة بالموضوع نفسه ، أو بالقضية المثارة نفسها :

(أ) **حول تعريف الخطابة :** ان الخطابة ـ لغة ـ من المصدر الثلاثى « خطب » ٠٠ ويقول صاحب المصباح المنير : « خاطبه مخاطبة وخطابا وهو الكلام بين متكلم وسامع ومنه اشتقاق الخطبة بضم الخاء وكسرها باختلاف معنيين ، فيقال فى الموعظة خطب القوم وعليهم من باب قتل خطبة بالضم وهى فعلة بمعنى مفعولة نحو نسخة بمعنى منسوخة وغرفة من ماء بمعنى مغروفة ، وجمعهاخطب مثل غرفة وغرف فهو خطيب والجمع الخطباء وهو خطيب القوم اذا كان هو المتكلم عنهم ، وخطب المرأة ٠٠٠ » (٦٨)٠٠ ويذكر صاحب مختار الصحاح من بين ما يذكره : « وخاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا وخطب على المنبر خطبة بضم الخاء وخطابة ٠٠٠ »(٦٩) ٠٠ ويقول صاحب القاموس المحيط : « الخطاب كشداد المتصرف فى الخطبة ـ وخطب على المنبر

خطابة بالفتح وخطبة بالضم وذلك الكلام خطبة أيضا أو هى الكلام المنثور المسجع ونحوه ··· الخ »(٧٠) ··

وفى اقتراب أكثر من الجانب الوظيفى لا اللغوى يقول مؤلفو الموسوعة الثقافية : « خطابة : فن مخاطبة الجمهور القائم على الاقناع والاستمالة ، وتعتمد الخطبة على الجمل القصيرة والالفاظ المألوفة والمعـــانى القريبة والترتيب المنطقى ووحدة الموضوع ومخاطبة العقل والقلب معا » (٧١) ·· وفى كتيب صغير ، كبير الفائدة ، نقرأ قول القائل عن الخطابة أنها : «الكلام النفسى الموجه به نحو الغير للافهام ، وفى اصطلاح الحكماء هى صناعة تتكلف الاقناع الممكن فى كل مقولة من المقولات »(٧٢) ·· وبالمثل فان هنا ذلك التعريف المركز الذى يقول فيه صاحبه ان الخطابة هى : « فن مشافهة الجمهور واقناعه واستمالته » (٧٣) ·· ويشبه فى ذلك قول القائل أنها : فن مخاطبة الجماهير بطريقة القائية تشتمل على الاقناع والاستمالة »(٧٤) ·

(ب) حول قصـــة الخطابة :

واذا كانت أكثر مراجع التاريخ المصرى القديم ، لم تتحدث بصورة مباشرة عن معرفة أبناء وادى النيل بهذا الفن الأدبى الاتصالى المهم ، ولم تذكر خطبهم الشهيرة أو البليغة ، ولم تتحدث عن خطبائهم ، وهو ما حدث أيضا بشكل أو بآخر ، بالنسبة لشعوب وحضـــارات شرقية كثيرة – بين النهرين ، الصين ، الهند ، فارس ، – ·· وغيرها ، فان معظم المراجع التى تحدثت عن حضارتى وأدبى اليونان والرومان ، قد أشارت الى معرفتهما القديمة بالخطابة واهتمامهم الكبير بها ، ليس باعتبارها جزءا من الأدب أو البلاغة فقط ، وانما لدورها فى بناء الفرد والمجتمع ، ولاعتماد المجتمع الديمقراطى عليها ، وكذا لارتباطها بالفلسفة والحكمة والجدل ·· ويذكر أحد المتابعين لهذا الموضوع قوله : « أول من كتب فى هذا العلم اليونان ، بل هم مستنبطو قواعده ومشيدو أركانه ومقيمو بنيانه » (٧٥) ·· ويضيف قائلا : « أول من وضع هذه القواعد ثلاثة من السوفسطائيين وهم برويكوس القوسى المتوفى عام ٤٣٠ ق·م وبروتاغوارس ٤٨٥ – ٤١١ق·م وجورجياس ٤٨٥ – ٣٨٠ ق·م ·· وقد جاء بعد هؤلاء أرسطو فجمع قواعده وضـــم شوارده فى كتاب أسماه الخطابة ، كان أصلا لذلك العلم ومرجعا يرجع الخطباء والمؤلفون فى الخطابة اليه » (٧٦) ··

وهم يعدون « ديموشينس » ٣٨٤ ـ ٣٢٢ ق٠م أعظم الخطباء ، رغم أنه نطقه كان غير سليم ، وتستند شهرته الى مجموعتين من الخطب أولاهما « الفيليبيات » التى هاجم فيها فيليب الثانى ملك مقدونيا و « الألينثيات » تلك التى أيقظ فيها مشاعر قومه ـ الاغريق ـ لمساعدة مدينة « أولينثيوس » ضد فيليب نفسه (*) ٠

٠٠ وكدليل اهتمامهم بها ، فقد أنشأوا مدارس لتعليمها لأبناء الأثرياء والقادة ، وكانت الخطب القوية التى تلقى عندهم ، هى التى تقرر أهم أمور البلاد ، كالحرب والسلم والتعيين والعزل ، والضرائب وغيرها كما كان لخطبائهم اليد العليا فى الأمة ، بل كانوا يعينون قادة للحرب فقد عين كليون قائدا ورأس ديموستين حرب فيليب ، وكانت خطابتهم أهم ظاهرة أدبية وفنية واعلامية معا ٠

كذلك فلابد من التنويه بجهود الفيلسوف « أرسطو » ٣٨٤ ـ ٣٢٢ق٠م الذى وضع كتابا مهما فى موضوعها ، يعتبر علامة بارزة على طريقها ٠٠

ولم تقل عناية الرومان بالخطابة ، عن هؤلاء ، بل وربما تفوقت على عناية الاغريق بها ، ومن أشهر الذين ارتبطت باسمهم خطيبهم الكبير « شيشرون » ٠٠ الذى يقول عنه أحد كتابهم ـ ف٠ باتركولوس ـ « سوف يزول الجنس البشرى من فوق الأرض قبل أن يمحى مجد شيشرون من ذاكرة الناس » (٧٧) والذى كان خطيبا نادر الوجود ، ملأت خطبه المسجلة التى كتبت لالقائها فى « السيناتو » أو المحاكم أو ألقيت فعلا ، ستة مجلدات ، اعتبرت من أهم ما يقدم صورة عصره بمن فيه وما فيه (*) ٠كما لا يمكننا

(*) دبرت له جريمة رشوة ، وشجن ، وهرب من السجن وهرب من بلاده وعاد اليها بعد وفاة الاسكندر ، لكنه فشل فى استنهاض همم قومه للتخلص من سيطرة مقدونيا ، التى فضل الانتحار على الوقوع فى يد قادتها وقد ولد ومات فى نفس السنة التى ولد ومات فيها أرسطو ٠

(*) له كذلك عدة مؤلفات أخرى حاول فيها وضع نظرية للخطابة على نحو مافعل أرسطو ، بالاضافة الى مقالات عديدة فى البلاغة والنقد وأربعة مؤلفات فلسفية ٠

تجاهل خطيبهم الآخر « كونتيليان » أو « كونتيليانس »(*) ·· الذى ألف كتابا ضخما عن « أساس الخطابة » فضلا عن جهوده اللغوية والبلاغية الأخـــرى ·

كذلك فقد كان العرب من الأمم التى بلغت عنايتها بالخطابة منذ العصر الجاهلى ، مبلغا كبيرا ، وان كانت تالية لعنايتهم بالشعر ، وقد كان لكل قبيلة خطيبها كما كان لها شاعرها ، ومن أبرز هؤلاء « قس بن ساعدة الايادى »·· وهو الذى شهده النبى صلى الله عليه وسلم يخطب بعكاظ على جمل أحمر خطبته الشهيرة والتى جاء فيها قوله : « من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت » ·· وقد كانت تتركز فى أغراض الفخر والحماسة والمنافرات والمناظرات والمحافل والوفود ·· ثم شهدت التطور الكبير على أثر ظهور الاسلام ، حيث اعتمد عليها النبى صلى الله عليه وسلم ، فنشأت الخطابة السياسية والدينية وخطب المناسبات ، ثم اعتمدت عليها الفرق الاسلامية فى نشر فكرها واقناع الجماهير ، وكان من أبرز خطباء الاسلام بعد النبى(ص) « أبو بكر وعمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب ، ومعاوية بن أبى سفيان وعثمان وسعيد بن العاص والفضـــل بن عيسى الرقاشى وزيد بن على بن الحسين ، وعبد الله بن عروه بن الزبير وعبد الله بن عباس ، ومن خطباء الخوارج قطرى بن الفجاءة ، ومن خطباء المعتزلة واصل بن عطاء ···الخ

عرفنا ذلك كله ، وعرفنا عن الخطابة عند أمم أخرى ، ولم نعرفها دقة وتحديدا وفنا واسما ومسمى تجرى على ألسنة خطباء مصر ، الا بعد الفتح الاسلامى لمصر ·· لنعود مرة أخرى الى السؤال : هل عرفتها مصر القديمة ، بكل ماللخطابة ، من أبعاد اتصالية مهمة ؟

(د) عن خصائص الخطبة :

عرفنا ما الخطابة وألقينا نظرة الطائر على قصتها ، وكيف عرفتها بعض الحضارات القديمة لتكون خطوتنا اللاحقة ، على طريق الاجابة عن سؤالنا

(*) هو أول من تحدث عن الشقيقات الخمس التى يعرفها الدارسون لتحرير الاخبار الصحفية والتى أضفنا اليها عدة أدوات أخرى أبرزها « كم ؟ » ·

القاعدى : مصر القديمة والخطابة ، هى الوقوف عند عدد من أهم معالم « الخطبة »٠٠ و « أهدافها » ٠٠ فلربما تكون هناك « نصوص » مصرية قديمة ، من تلك التى تكون قد توافرت لها هذه « المعالم » و « الخصائص » ، أو لاتكون هناك مثلها ، وذلك مما يقربنا أكثر ، من تحديد الموقف بشأن هذا « المشكل » العلمى ٠٠ ترى ماهى أبرز خصائص الخطابة ؟ أو معالم الخطبة، بشكل عام ، بعد أن أشرنا الى ذلك اشارة عاجلة عند « تعريف » هذا الفن ؟

اننا سوف نحاول فى الكلمات القليلة القادمة ـ قدر الطاقة ـ أن نرصد أهم ما أشار اليه علماء اللغة ، والبلاغيون ، ومؤرخو الأدب ، عن أهم هذه الخصائص ، كما توافرت لكبار الخطباء من أمثال من أشرنا اليهم وغيرهم٠٠ ومن ثم فنحن نقول :

●● **أما عن وظائف الخطبة وأهدافها** ٠٠ فنحن نستطيع أن نقول أنها نفس وظائف وأهداف وسائل الاتصال بشكل عام ٠٠ مع فارقين أساسيين أولهما : اعادة ترتيب هذه الأهداف تبعا لنوع الخطبة ، وأما ثانيهما فهو أن هناك بعض الأهداف الأخرى ، المتفرعة عن الاهداف التقليدية أو النمطية لوسائل الاتصال ٠٠ ومن هنا فان مجموعة الاهداف والوظائف تتمثل فى : « التفسير والتوضيح ـ التوجيه والارشاد ـ التثقيف ـ نشر الافكار والارا ووجهات النظر ـ الاخبار ـ الانذار والتنبيه ـ التعريف بالمناسبات المهمة وما يتصل بها ـ الدعاية ـ الاحتجاج ـ الردعلىالخطب الأخرى ـ الدعوة ـ التحريض ـ المديح ـ الذم ـ الأمر ـ النهى ـ الوصف ـ الشكوى والاستعطاف ـ تقديم تجربة الخطيب الخاصة ـ الموعظة الحسنة ـ تقديم الحكم الوظيفية المفيدة ـ الجدل الوظيفى المنتج والمؤثر ـ الانتصار لجانب على آخر ـ الاقناع ـ الوصايا المهمة ـ الامتاع الذهنى ـ الدلالة ـ تحقيق العدل ـ الدفاع عن الحق ـ استنهاض الهمم » ٠

وصحيح أن هذه هى « مجموعة » الأهداف أو الوظائف بعيدة المدى، وصحيح أيضا أن بعض علماء اللغة ، قد يكون له موقفه الخاص من بعض هذه الأهداف لاسيما (المواعظ والحكم والوصايا) ٠٠ ولكننا لا نرى هذا الرأى ، بل نرى أن هذه الأشكال فى صميم وظائف الخطب عامة ، والخطب الدينية خاصة ٠ ٠والا كيف نقوم بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؟ كيف،

ننذر وننبه ؟ كيف ندافع عن الحق ؟ كيف نوجه ونرشد بدون استخدامها ؟٠٠
ثم اننا نقول أن هذا العالم يعمل « واعظا »٠٠ ويتبع ادارة «الوعظ والارشاد»
بوزارة الأوقاف ، وصميم عمله « الوعظ » يعتمد على الخطابة ٠٠ وهو يقدم
الحكم والوصايا ٠٠ خلال موعظة ، أو خطبة ٠٠ ثم ان الخطبة هى من أهم
وسائل الدعوة فى الاسلام ، تلك التى يقول فيها الحق تبارك وتعالى ، مخاطبا
نبيه الكريم : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » ٠

وقبل الانتقال الى جانب آخر فاننا نتوقف قليلا عند هذه الأهداف ،
وتلك الوظائف ، كما يراها الذين يقتربون من الخطابة والخطب ، اقتراب
دراسة وتخصص وممارسة ، وتأليف أيضا أنها مثل : نستطيع أن نتوقف
عند بعض الأقوال المؤكدة لذلك ٠٠ لا سيما وظائف الخطبة ، أنها مثل قول
أحدهم : « غاية الخطابة أن تلتمس اقناع السامع فى أى أمر كان » (٧٨)٠٠
أو قول الآخر : « فهى التى تفض المشاكل وتقطع الخصومات وتهدى النفوس
الثائرة وتثير حماسة النفوس الفاترة وترفع الحق وتخفض الباطل وتقيم
العدل وترد المظالم ٠٠ صوت المظلومين ، لسان الهداية » (٧٩) ٠٠ أو قول
الثالث : « ٠٠ والخطابة هى خير ما يستعين به الدعاة والانبياء والمصلحون
فى الدعوة الى مذاهبهم وعقائدهم لكونها الوسيلة المثلى للاتصال بالجماعات
والتأثير فيها واستمالتها » (٨٠) ٠

●● وأما عن أنواعها ـ الخطبة ـ وبصرف النظر عن أن «أر...
قد قسمها الى ثلاثة هى « الاستشارية ـ القضائية ـ الاستدلالية » ٠٠ بينما
يقسمها د٠ أحمد الحوفى الى « السياسية ـ القضائية ـ الحفلية ـ الدينية ـ
الحربية » ٠٠ ويقسمها د٠ عبد الجليل شلبى الى « السياسية ـ القضائية ـ
خطب الصلح ـ الاجتماعية ـ المحافل ـ الرثاء ـ الدينية ـ النكاح » وانن
وان كنا نتفق مع ثلاثتهم ، الا أننا نرى أن أفضل تقسيم لها هو تقسيمها الى:
«السياسية ـ الدينية ـ القضائية ـ الاجتماعية ـ النزالية ـ خطب المناسبات»٠

●● وأما عن « الخصائص » الفنية ، وفى ضوء أن هذه الدراسة
ليست عن الخطب والخطابة والخطباء ، وانما هى لجزئية صغيرة تتناول
معرفة مصر القديمة بها ـ كأداة اتصال ـ من عدمها ٠٠ من خلال ذلك فاننا
نتوقف فقط ، وباختصار شديد عن عدد من الجوانب المرتبطة بالخصائص

الفنية لموضوعنا ، وذلك حتى تســـهل رؤية الواقع المصرى القـــديم من خلالها ٠ ٠انها :

● من **حيث الشكل** : لابد من تقسيمها الى **مقدمة** جذابة ، شديدة الصلة بها ، واضحة كل الوضوح ، تناسب الخطبة طولا أو قصرا ٠٠ ثم الى **موضوع** له وحدة ، مرتب الافكار مسلسلها ، يكون واضحا كل الوضوح ٠٠ ثم الى خاتمة مختصرة ، تؤدى الغرض منها ، توضح الهدف من الخطبة، قصيرة وحاسمة ٠٠

● من **حيث المضمون** : المضمون الثرى ، المحتفظ بوحدة الموضوع الذى لا يشتت ذهن المستمع ، المشفوع بالأدلة المنطقية أو اليقينية ، أو من التراث التاريخى والقصصى والأدبى ، مع عناية بجوانب مناقشة أراء الخصوم وأدلتهم لابطالها ، وباتباع أساليب المغالطة والانكار والموافقة ، وهو المضمون الصادق ، الدقيق ، الموثوق به ، الذى يستميل السامعين ، ويقنعهم ٠٠

● **من حيث الأسلوب** : الشفهى ، والا كانت كتابة أو نثرا أو شعرا مدونا ، مراعاة جانب وجود المستمعين وأعدادهم ونفسياتهم بالنسبة لأركانها المختلفة ، وضوح العبارات ومعانيها ، الاطناب أو الاختصار وفق مقتضى الحال ووقت المستمعين وموضوع الخطبة ، الاعتماد على الجمل القصيرة ، عدم الفصل البعيد بين أجزائها ، الدفعة الخطابية الحماسية المرشدة والمقننة والتى تتفق مع الغرض وأنواع المستمعين ، صيغ الاستفهام والتعجب حين الحاجة اليها ، الاستعانة بالقصص والأخبار القصيرة والمركزة ، الاستعانة بأيات القرآن الكريم والاحاديث النبوية الشريفة ، والحـكم ، والوصـــايا ومأثور الكلام ، وجيد النثر والشعر للموثوق بهم عند جمهور السامعين ، لاسيما فى البداية والوسط والنهاية ، ٠٠٠ الخ ٠

●● على أننا ــ كاتجاه وظيفى فقط ــ سوف نختصر هذه كلها الى نقاط أساسية ،نجرى تطبيقا لها على ما عرفه قدماء المصريين من ألوان فكرية ، لنعرف أين موقفها من هذه الخصائص كلها ٠٠ لا سيما وأن معظم من تناول التاريخ المصرى ، أو تاريخ الخطابة ــ معا ــ لم يذكر لنا ذلك الذى يشفى غليلنا من هذا الجانب ، بل **كانوا يشيرون اليه مجرد اشارة فقط دون أن يقدموا** الدليل على ذلك ٠٠ بل ان أبرز الكتب العــربية القديمة

والجديدة ، من تلك التى عدنا اليها ·· لم تقدم لنا اجابة شافية عن هذا الموضوع (*) ·· وعلى سبيل المثال لا الحصر فان د· شلبى يذكر أن الأمم القديمة قد عرفتها ، ثم يركز على الاغريق والرومان والعرب ، ود· الحوفى ومؤلفه من أفضل الكتب التى تناولت هذا الموضوع يذكر : « لم يخل من الخطابة سجل أمة وعى التاريخ ماضيها لقد حفظها خط آشور المسـمارى وقيدها خط الفراعنة الهيروغليفى ، ثم رواها تاريخ اليونان السياسى والأدبى منذ القرن السابع قبل الميلاد وبها أخضع بوذا الجموع الهندية لتعاليمه ، وبها أذاع الدين أنبياء بنى اسرائيل »(٨١) ·· لكنه لا يشير الى نص خطابى مصرى قديم واحد ·· وليته فعل ··

دعونا اذن نمسك بهذا الخيط لنقول ، بعد أن طال حبل الكلام ·· الى هذا الحـد :

● أن هناك « **نقطة نظام** » أولى ، لابد من ذكرها والتوقف عندها بادىء ذى بدء ·· تلك هى أننا لن نتوقف لنستمع الى خطبة مسجلة ، أو الى أكثر من خطبة مسجلة ، تعود الى هؤلاء الأجداد ، لسبب بسيط جدا ·· هو أن التسجيل لما هو شفهى ثم اعادة سماعه لم يكن معروفا ، حيث لم تعرف الأسطوانات أو شرائط الكاسيت ، أو شرائط الفيديو كاسيت وما اليها ، بل ان التسجيل الوحيد الذى عرفوه ، هو ذلك التسجيل الكتابى ، على الحجر بأنواعه ، والخشب ، والبردى » والجدران ، وما اليها ·

● ولكنا بالمثل ، فاننا لم نستمع الى تسجيلات لأصوات النابغة وزهير وطرفة والمرقشى وعمرو بن كلثوم والمثقب العبدى والأعشى ·· لنعرف أنهم من شعراء العصر الجاهلى ، ولا الى شعر حسان بن ثابت وكعب بن زهير

(*) من بين الكتب القديمة التى عدنا اليها ـ كتب الامهات ـ « الجاحظ : البيان والتبين ـ المبرد : الكامل ـ ابن قتيبة : أدب الكاتب ـ أبو على القالى : الامالى ـ أبو هلال العسكرى : الصناعتين ـ ابن سيده ، المخصص » ومن بين الكتب الحديثة : « محمود أبو زهرة : الخطابة ـ احسان النص : الخطابة العربية ـ أحمد الحوفى : فن الخطابة ـ لويس شيخو : علم الخطابة ـ عبد الجليل شلبى : الخطابة واعداد الخطيب ـ عثمان بوغانمى : الخطبة كنثر فنى » وغيرها ·

والمتنبى والبحترى وأبى تمام لنعرف أنهم من شعراء العصـــور التالية ، ولا توجد عندنا أسطوانات تحمل خطب قس بن ساعدة ، أو أكثم ، أو الحجاج أو زياد أو قطرى ومع ذلك فنحن نعرف خطبهم ، ونتوقف عند خصائصها٠

● ولم نشهد أسواق العرب فى الجاهلية والاسلام ، ولا ماكان يدور فى دار الندوة » ولا ما كان يجرى فى مجلس الشيوخ الرومانى ٠ ٠ومع ذلك وصل الينا ما قيل شعرا ونثرا ٠

لقد وصل الينا ذلك كله ــ بعد تداوله على ألسنة الرواة ــ مسجلا تسجيلا كتابيا ، أو مدونا ، مع أنه فى الأصل كلام شفهى قيل من خلال ألوان النشاط المختلفة وأثناء المناسبات المختلفة ومما يتصل بجوانب الاهمية فى مجتمعاتهم سلما أو حربا أو دينا أو زواجا أو وفاة أو قضاء ٠٠٠ الخ وصل الينا بعد تدوينه فى وقت لم تكن هناك فيه أجهزة تسجيل ولا مسجلات بأنواعها ، وانما كان التسجيل الوحيد هو الكتابى ، حتى ماكان يجرى منها على ألسنة الرواة والحفاظ لو لم يجر تسجيله كتابيا لفقدته ذاكرتهم الحافظة، من بعدهم ، ولانتهى به الأمر ، الى الاندثار ٠٠

تلك اذن كانت فائدة الكتابة ، والمطبعة من بعد ذلك بوقت طويل ٠

● لكن كيف استوت لنا معرفة أن هذا الشعر شعر وأن هذا النثر نثر ، وأن هذه القصة قصة ، وأن هذا الخبر خبر ، وأن هذه الخطبة خطبة وأن هذا العلم علم ؟ ٠ ٠انه من خلال التجارب ، ومعارف الأولين ، وثبت الخصائص وتداولها ، ووضع الأسس والقواعد الفنية التى تدل على هذه المادة أو تلك ٠٠ وترسيخ ذلك كله فى أذهان القراء والمتخصصين ٠

ومن ثم فقد أصبحت لكل مادة ، لكل فن كتابى ، لكل نمط أدبى ، معالمه التى تدل عليه ، وملامحه المختلفة عن ملامح غيره ، وخصائصه التى ينفرد بها « جنسه » ٠٠ومن هنا ومن خلال تطبيق هذه المعالم والملامح والخصائص، أصبح تلاميذ المدارس يعرفون أن هذا شعر وذاك نثر ، وأن هذه قصيدة وتلك قصة ، والثالثة مسرحية ، والرابعة خطبة ٠٠ وهكذا ٠

● ٠٠ أى أننا ـ مرة أخرى ـ لابد أن نتوقف عند أهم معالم الخطبة، لنرى هل عرفوها ، أم لا ؟ من خلال السؤال والجواب هذه المرة ٠٠

ـــ فيم تقال الخطب ، وهل كانت عندهم مثل هـــذه المجـالات ، والمناسبات والاطر الاجتماعية والدينية التى يصح ويجوز استخدام هـــذا النمط بها ؟

ـــ ان الخطب تقال فى جميع المجالات المهمـــة ـ راجع السطور السابقة من فضلك ـ ولا نعتقد أن مجالا أو مناسبة من هذه لم يعرفها المصرى القديم سلما أو حربا ، الا ما يختص منها بالجديد المرتبط بالدين وعبادة الله الأحد ، الفرد الصمد ٠٠ أما معظم المناسبات والمجالات الأخرى ، فقد كانت معروفة عندهم ، سلما أو حربا أو اجتماعا ، أو قضاء ٠ وانما اتخذت لها الثياب الجديدة التى تناسب العصر وفكره ومعتقداته وفلســـفته ٠٠ ، وجميعها يجوز استخدام هذه الأنواع الخطابية بها ، أى أن « موضـــوع الخطبة » كان قائما ، وله وجوده القوى ، فى هذه العصور ٠

● ونضيف : أنه لم يكن من المعقول أن تجرى ، وتقام ، وتنعقد كل هذه المناسبات التى أشرنا اليها ، ولم يكن معقولا كذلك ، أن تنعقد مجالس الحرب والسلم ، والمحاكم ، ولم يكن من المعقول كذلك أن تقام مثل هذه الاحتفالات العديدة ٠٠ وأن يدور الحديث فيها همسا !!

● ونضيف أيضا : ولقـــد ورد فى كتاباتهم الكثير من الحـــكم والوصايا والمواعظ والتعاليم الأخلاقية التى ربطنا بينهـــا وبين المقـــال الصحفى مرة (*) ، وها نحن نجد أن الصلة قائمة ، وقوية أيضـــا ، بل ومتينة بين هذه المادة المصرية القديمة ، والتى اعتبرها البعض من أبرز ألوان الأدب المصرى القديم ، وبين الخطابة نفسها ٠ انها من مثل تلك المرتبطة بأسماء عديدة من بينها « **بتاح حتب ـ حم ايون ـ أنى ـ حوردد ف ـ امنمحات الأول ـ خعمواس ـ اختوى الأول ـ أمن أوبى** » وغيرهم ٠٠ وحيث كان المقصود بها ، النصيحة ، والموعظة والتوجيه والارشاد فاذا رحنا نطبق

(*) فى كتابنا السابق : المقال الصحفى ٠

أركان الخطبة ، كما وضعها أرسطو مثلا ، وكما كررها من جاء بعده بشكل أو بآخر لقلنا :

ـــ أما عن الركن الأول ، أو العنصر الأول : الخطيب ، فقد كان موجودا ، حتى وان كان استخدام هذا اللفظ نادرا ، أو غير واضح فى مثل هذه الاوقات ، بل كان يمثله الحكيم المصرى ، أو الملك أو القائد ـ فى الخطب العسكرية ـ أو الكاهن فى المجال الدينى ٠٠

ـــ وأما عن الركن الثانى ـ الموضوع ـ فقد كان موجودا من خلال هذه المجالات والحقول والمناسبات والمحاكمات التى سبقت الاشارة اليها ٠

ـــ وأما عن المستمع ـ الركن الثالث ـ فلا نحسب أن هذه الحكم والوصايا والمواعظ ، والتعاليم كانت تلقى فى واد ، أو يخاطب بها صاحبها نفسه ، كما أننا نزعم أن المصرى الذى لم يدخر وسعا فى وضع كل هذه المعالم الحضارية ، والذى عرف الكثير من صنوف الأدب والعلم ، وتحدثت المراجع عن ألوان أناشيده ، وترتيلاته وشعره ـ لاسيما فىالجوانبالدينية ـ نزعم أنه كان يدرك تماما أثر وجود عدد من المستمعين ، يختلف باختلاف المناسبة تماما كما يحدث الآن ، فقد يوجد « جمهور » مستمع يعد بالألوف لبعض الخطب ـ بصرف النظر عن نقلها اذاعيا وتليفزيونيا ، وعن وجود مكبرات الصوت ـ ولكن فى نفس الوقت قد يوجد خطيب آخر ، لا يستمع اليه غير قلة من الافراد ، ذلك كله وارد ٠٠ بل ان بعض الخطب القضائية قد لايحضرها الا بضعة أفراد لا يعدونعلى أصابعاليدين ـ كنظام للمحكمة ـ أو بأمر من القاضى ، ولسبب من الأسباب فهل يلغى ذلك كونها مرافعة ، أو « خطبة قضائية » ؟!

ومع ذلك كله ، فان الشواهد تؤكد وجود هذا الجمهور المستمع ٠٠

ـــ وأما عن الركن الرابع ـ الغاية أو الهدف ـ فلا نحسب أن أى نشاط فكرى أوأدبى ، أو فنى أو علمى مصرى قديم ، كان يجرى الا بهدف ، ولغاية ، يحددها نوع الخطبة وموضوعها ٠٠ بينما نصوص هذه كلها تؤكد وجود محاولات جادة للاقناع والاستمالة ٠٠

● ونضيف ثالثا ـ بعض الأقوال التى تؤيد سطورنا السابقة ، ومن بينها على سبيل المثال لا الحصر :

ـــ قول القائل : « تلحق الوصايا بالخطب لأنها ارشاد وتوجيه وقد تشتمل على اقناع واستمالة » (٨٢) ٠

ـــ وقوله أيضا : « المواعظ باب لصيق بالخطب لأن الموعظة هى الهدف للخطيب الدينى ، وهى المادة التى تقوم عليها خطبته » (٨٢) ٠

●● بعد ذلك كله ، فاننا نرى أن نتوقف عند أكثر من مادة ، من تلك التى تقول انها قريبة الشبه جدا ، بالخطابة ، حتى لتعد من بين أنواعها ، بل لماذا لا نقول اننا نتوقف عند عدد من ابرز هذه الأنواع نفسها التى نقدمها على سبيل المثال لا الحصر ، كما عرفتها مصر القديمة ٠٠ مع ملاحظة أولى مبدئية ، لابد من أخذها بعين الاعتبار :

تلك هى أن هذه الأمثلة التى تقدمها « العنوانات فقط »٠٠ والتى سوف نتوقف عند بعضها خلال سطور أخرى ، ومن خلال أنها تمثل هذه الألوان الخطابية التى وصلت الينا ، الا أنها لا تمثلها فقط ، بل قد تشترك فى تمثيل ألوان الخطابة الى جانب « جذور » الماجريات لاسيما السياسية والقضائية، الى جانب أن بعضها يعتبر أصلا من أصول فنى المقال والحديث الصحفى أقول ذلك كله ليكون شعاع ضوء الى هذه الأنواع كلها :

ـــ فمن أنواع الكلمات التى يجوز اعتبارها من طـــلائع الخطب السياسية وخطب المحافل والمناسبات : « ماكان يقال أثناء حفلات تتويج الملوك والملكات ـ احتفالات عيد الجلوس الملكى ـ خطابات الأوامر التى كان يلقيها الملكعلى رئيس الوزراء عند تنصيبه فى حفل عام ـ ما كان يلقى فى احتفالات عيد السد ـ ماكان يلقى فى اجتماعات البلاط الملكى ـ ماكان يلقى عند الاحتفال بتنصيب ولى العهد ملكا ٠٠٠ الخ » ٠

(*) رجاء العودة الى الصفحات الاولى من كتبنا السابقة : « المدخل فى فن الحديث الصحفى ، المقال الصحفى ، ماجريات الصحف » ٠

ــ ومن أنواع الكلمات التى يجوز اعتبارها من بين الخطب الدينية ما يمكن أن يتمثل فى أنواع عديدة ، بعضها عام ، يشهده الجمهور كله ، وبعضها خاص يقدم لطائفة بعينها ٠٠ فمن العام٠٠ خطب الأعياد والمناسبات الدينية ، ومن العام يضا الحكم والوصايا والمواعظ التى أشرنا الى بعض اصحابها ، وسوف نشير اليها ٠٠ ومن الخاص الخطب التى تلقى فى حفلات تنصيب كبار الكهنة ، أو تقلدهم لمناصبهم ٠

ــ ومن أنواع الكلمات التى نرى اعتبارها من بين الخطب القضائية، تلك الخاصة بقضايا عديدة مثل قضية « بن عنقة » ٠٠ ومرافعة « الفلاح الفصيح » ، « قضية محاكمة لصوص المقابر » « قضايا مؤامرات القصور ووقائع التحقيق فيها ومرافعاتها » وغيرها ٠

ــ ومن أنواع الكلمات التى يجوز اعتبارها من بين الخطب العسكرية : الخطب التى كانت تلقى على الجنود قبل ذهابهم الى الحرب ــ فى مجالس الحرب ــ بعد الحرب ــ قبل توقيع المعاهدات وأثناء توقيعها ــ عند اقامة حفلات النصر ٠٠٠ » الخ ٠

ويكتفى بهذا القدر من الحديث عن الأنواع وننتقل الى جانب آخر هو ذلك الذى يتصل بأهم خصائص الخطبة ٠٠ لاسيما من زوايا : (١) الجو العام المناسب ووجود جمهور يستمع (٢) ترتيب الأفكار وتسلسلها (٣) محاولات الاقناع والاستمالة (٤) الوضوح والجاذبية (٥) الدفعة الحماسية والخطابية الملائمة :

● فعن الخاصة الأولى ــ الجو العام المناسب ووجود جمهور يستمع ــ نقول : أن كثيرا من هذه « الأصول » أو « الجذور » الخطابية قد حدثتنا عن ذلك٠ ٠ عن صورة المناخ والجو العام للمناسبة التى قيلت بها الخطبة ، أو الخطاب أو البيان ومن ذلك مثلا :

ــ الجو الذى جرى فيه تقديم أحد ملوك الدولة الحديثة لخطابه الى وزيره الأعظم « وقد كان الملك يلقى ذلك الخطاب كلما أسندت مسئولية الحكم الى وزير أعظم جديد » (٨٤) وحيث نقرأ فى وصفه : « اجتمع أعضاء

المجلس فى قاعة مجلس الفرعون له الحياة والفلاح والعافية وقد أمر الواحد ـ يعنى الملك ـ باحضار وزيره الأعظم الذى نصب حديثا الى قاعة المجلس وقال له جلالته ٠٠٠ الخ » (٨٥) ٠

ـــ وبصرف النظر عن محاكمات الموتى ، فان احدى البرديات تصور لنا جو المحكمة التى عقدت لمحاكمة المتهمين فى احدى مؤامرات القصور مما يتصل بالمناخ العام الذى كانت تجرى فيه « الخطب القضائية » ان أحد علماء المصريات يصف هذا الجو قائلا : « لما كانت المؤامرة موجهة ضد شخص الملك المقدس نفسه فان الدور الافتتاحى من المحاكمة حـــدث فى قاعـــة الاحتفالات فى القصر الملكى ، واجتمع القضاة ليتلقوا توجيهاتهم من يدى فرعون ، وحين جاء موعد الجلسة امتلأت القاعة بكبار أعضـاء الحكومة والبلاط واقفين فى جماعات يناقشون الموقف فى أصوات خفيضة ، أما مقعد القضاة الذى نصب خصيصا لنظر القضية ، فكان يضم رئيسين للبيت الأبيض أى موظفين من الخزانة وكاتبين وخمسة ســـقاه ، ومناديا يمثل البـــلاط وحاملى لواءين يمثلان الجيش ٠٠٠ الخ » (٨٦) ٠

أى أن أبرز ملامح الخطبة ، من هذا الجانب « الاطارى » ٠٠ كان لها وجودها ٠٠ المكان المناسب ، والجمهور الذى يستمع ٠٠ والكلام المشافه ٠٠

● **وعن الخاصة الثانية ـ ترتيب الأفكار وتسلسلها من خلال وحدة الموضوع ـ فاننا نقول** ٠٠ على الرغم من أن هـــذا الجانب يعتبر من أكثر جوانب هذه المواد ضعفا ٠ ٠٠الا أننا لم نعدم جوده تماما بل كان له وجوده ٠٠ ومستواه الذى لا بأس به أحيانا ، ونظـــرة سريعة الى « تعاليم بتاح حتب ـ خطاب الملك الذى يقدمه الى رئيس وزرائه وبحضور الحاشـــية ـ شكاوى الفلاح الفصيح ـ تعاليم ايبور ٠٠ » لتوضح لنا حرص أصحابها على هذا العنصر ، الذى تطور بعد ذلك على يد الاغريق والرومان والعرب ٠

● **وعن الخاصة الثالثة ـ محاولات الاقناع والاستمالة** ـ فقد كانت هذه أكثر وضوحا بالنسبة لخطب الشكاوى والمواعظ ٠ ٠ونظرة واحدة الى تلك المادة الواردة فى « شكاوى الفلاح » التى عرفت أحيانا باسم « الفلاح

الفصيح » وعرفت فى أحيان أخرى باسم « مرافعة الفلاح » ·· وباعتبار أن الفلاح هنا (*):

— وأنه كان فى جميع شكاياته طالب حق وعدل ··
— وأنه هو الذى ترافع عن نفسه » (٨٧) ·

مثل هذه النظرة لتؤكد لنا أن هذا الجانب ، كان صاحبنا شـــديد الحرص عليه ، لكسب عطف قضاته — من مسئولى القصر الملكى — وتأييدهم واستمالتهم نحوه ·· ولنقرأ معا ، بل لعله يكون باستطاعتنا أن نتصور أننا نستمع معا الى قليل جدا مما قاله ومن بينه : « أنت يامن تهب الحياة لاتدع الناس يموتون — أيها الظل لا تفعل فعل الشمس — أقم العدل لسيد العدل — ان العدالة لشيء ينطلق مع الانفاس — اللهم ياسيد الصمت أعدلى مالى فان فعلت فلن أزعجك بصياحى — انى أتكلم عسى أن تسمعنى — بدد بلائى فقـد ضقت ذرعا بحزنى وقد وهنت منه قوتى — لا تجعل السيئة مكان الحسنة ، ولا تضع شيئا مكان آخر ··· » الى أخر هذه كلها ··

·· واذا كنا قد أوضحنا الصلة الشديدة بين الخطب والمواعظ وألوان الارشاد والتوجيه المختلفة وبين مادة هذه الفقرة — الخطابة — فاننا نقول أنه على الرغم من أن أكثر توجيهات ومواعظ « الحكماء » من الأجداد ، من قادة الفكر أو الملوك أو الكهنة على السواء على الرغم من أنها جاءت فى اطار يخاطب أبناءهم أولا (*) ، ثم انتقل بعد ذلك الى غيرهم ، الى حـــد تدريسه كلون من الأدب التهذيبى لتلاميذ المدارس ، مما يجوز اعتباره معه محققا لعنصر العمومية الجماهيرية ، خطابة واعلاما معا ·· أقول أن هذه المادة أيضا قد حظيت بأكثر ألوان محاولات الاقناع ، تلك التى يرى أحد المتخصصين أنها تمثلت فى طـــرق شتى : « ومنهـــا : التعقيب المنطقى

(*) عرفت كذلك باسم « شكاوى الواحى » باعتبار أن بطلها من سكان احدى الواحات ·

(*) من وجهة نظرى الخاصة فان كثرة من هذه التوجيهات قدمت الى الابناء كاطار فنى أدبى فقط بدأه أحدهم — ولعله حورددف — ثم أصبح تقليدا أدبيا سار على منواله غيره انما الهدف هو التوجيه العام لكل أبناء مصر ، بل ولتوجيه سياسة البلاد كلها فى بعض الاحيان ·

والاستشهاد بالمثل السائر واستخلاص العبرة من أحداث وقعت ، ومحاولة ربط النتيجة بالسبب والاستعانة بالوازع الدينى » (٨٨) ٠

● ٠٠ وعن الخاصة الرابعة – الوضوح والجاذبية – نقول ان هذه الالوان ماتزال واضحة حتى اليوم ، بل واحتفظت بجاذبيتها حتى وقت هذا ٠٠ وكان لذلك كله عدة اسباب منها « جاذبية الموضوع – المدخل القوى الجذاب الذى كان يختاره صاحبها – ذكر الشواهد والأمثلة العديد خاصة القصصية والتاريخية المحببة – تناول الفكرة الواحدة باكثر من طريقة – الدعم بالحكم والماثورات واقوال مشاهير السابقين – الاستعانة بالتشبيهات والاستعارات الجذابة – الأسلوب المشرق الجـــذاب والواضح » ٠٠ الخ وصحيح ان بعضها قد يشق علينا اليوم ، – لاسيما من زاويه التشبيهات – لكننا لانكون منصفين عند حكمنا عليها بمقاييس اليوم ، وبما كان يقع فى بيئتهم وامام انظارهم من شواهد اتصلت بها تشبيهاتهم ٠ وعلى سبيل المثال لا الحصر فان مترجم « شكاوى الفـــلاح الفصيح » يقول عنه انه . « يكثر من المحسنات المملة ، ويحلى اسلوبه بصور واستعارات سطحية تصور السفينة والمعدية والدفة والشراع التى تتكـــــرر أكثر من سبع مرات فى الشكايات التسع كما تجد تشبيه الميزان بالعدالة ست مرات وتشبيه التمساح ثلاث أو أربع مرات وكذا تشبيه الصيد والقنص » (٨٩) ٠٠ لقد كانت هذه هى الألوان والاشياء والمشاهد الموجودة أمامهم ، ومن ثم فقد كانت تشبيهات من بيئتهم الخاصة ، وليس عليهم فى ذلك حرج ، فكل تشـــبيهات الكتاب والشعراء من صميم بيئتهم ٠٠ ثم ان الكتاب يشبهون – حتى اليوم – بمثلها، تماما كما أن الميزان هو رمز العدالة أمس واليوم ، والى أن يرث الله الأرض ومن عليها ٠

ولو كانت الشكاوى غامضة ، أو جافة ، أو مملة ، لما طلب الفرعون « نب كاورع : الأسرة ١٠ – اهناسية » استمرار الفلاح فى تقديمها الى أن بلغت تسع شكايات كاملة ٠

● وأما عن الخاصة الخامسة – الدفعة الخطابية والحماسية الملائمة – فنقول أنها – فى واقع الأمر – كانت من أبرز خصائص هذه المواد ، ان لم تكن أبرزها على الاطلاق ٠٠ ونضيف قائلين ٠٠ هات مادة منها ، أية مادة،

وسوف ترى مصداق ذلك ، مما يضيق عن مساحته مثل هذه الصفحات ، فحسبنا هذه السطور القليلة جدا ، والممثلة لهذا الكل الخطابى ، المتحمس:

ـــ ٠٠ فعلى سبيل المثال لا الحصر ، فان الميت يدافع عن نفسه أمام « محكمة الموتى » ٠٠ أمام قضاته فى العالم الآخر ٠٠ حتى فى هذه الصورة الخيالية ، يطغى الجانب الخطابى حيث يقول على سبيل المثال لا الحصر : « ٠ لقد جئتك يا الهى خاضعا لأشهد جلالك ، جئتك ياالهى متحليـــا بالحق متخليا عن الباطل ، فلم أظلم أحدا ولم أسلك سبيل الضالين ، لم أحنث فى يمين ، ولم تضلنى الشهوة فتمتد عينى الى زوجة أحد من رحمى ، ولم تمتد يدى الى مال غيرى ، لم أقل كذبا ولم أكن لله عاصيا ٠٠ انى ياالهى لم أجع أحدا ولم أبك أحدا وما قتلت وما غـــدرت ـ اننى طاهر أنا طاهر أنا طاهر ومادمت بريئا من الاثم فاجعلنى اللهم من الفائزين »(٩٠) ٠

ـــ ومن خطاب الملك الى وزيره الأعظم نقرأ ونتصور أننا نستمع أيضا الى هذا الأسلوب الخطابى : « ٠ ٠واعلم أن الوزارة ليست حلوة المذاق بل انها مرة ـ وأعلم أنها لاتعنى اظهار احترام أشـــخاص الأمراء والمستشارين وليس الغرض منها أن يتخذ الوزير لنفسه عبيدا من الشعب ـ وأعلم أن الأمير يحتل مكانة بارزة وأن الماء والهواء يخبران بكل ما يفعله وأعلم أن كل مايفعله لا يبقى مجهولا أبدا ـ احذر ما قيل عن الوزير خيتى انظر فى القانون الملقى على عاتقك ٠٠٠ الخ » ٠

ـــ ونقرأ كذلك ، فى احدى كلمات « كامس » التى يخطب بها فى جنوده متناولا عدوه الموجودة على الكرنك : « أى وحق ربى آمون القادر ، لن أدع لك بقاء ولن أدعك تخطو على أرضى دون أن أركب فوقك وحينئذ تخمد أنفاسك ـ أما عاصمتك فسوف أمحوها ولن أجعل أحدا يعثر لها على أثر ، وسوف أدمر قرى شعبك وأحرق ديارهم حتى تصبح تلالا حمرا الى الأبد جزاء وفاقا على ما الحقوه بمصر من دمار وسوف يسمع النـــاس عويل الهكسوس حين يفارقون مصر سيدتهم مرغمين » (٩١) ٠

●● عن معرفتهم بالخطابة ٠٠ خلاصة وملاحظات :

٠٠ وأخيرا ، وبالنسبة لموضوع معرفة الأجداد بالخطابة ، فانا نقدم

هذه الطائفة النهائية المختصرة ، من الاضافات والملاحظات ٠٠ تلك التى نقول فيها :

— أنهم عرفوا تلك الألوان من الأقوال التى اعتبرها علماء اللغة والأدب مما يدخل فى باب الخطابة ٠٠ وما نجيز نحن اعتباره لموضوعه وخصائصه ٠ ٠من أنماط هذا الفن ٠

— أنهم على الرغم من ذلك ، لم يعرف أنهم ذكروا شيئا صريحا ، مباشرا ، واضحا ومحددا عن فن الخطابة نفسه ، ولا عن خصائص الخطبة، كما ذكرها من بعدهم الاغريق والرومان والعرب ٠

— وانما استخدموا تعبيرات « بديلة » ان جاز لنا أن نقول ذلك من بينها (التعاليم ـ الحكم ـ المواعظ ـ الشفاعات ـ الشكاوى ـ الاحاديث)٠٠ وجميعها ذات اتصال جذرى ، بالخطبة ، بل وتدخل فى بابها كما قلنا ٠

— ولعلى أقول أن خطيبهم هو ما كانوا يطلقون عليه تعبير « سيد القراء » ولعله أيضا الذى أطلق عليه دينيا « الكاهن المرتل » ٠

— وأن ما عرفوه من أنماط قدمت مشافهة ثم سجلت بعد ذلك وجاز اعتبارها خطبا كان ارتباطها فى معظم الأحوال بالجوانب الدينية والقضائية والسياسية والتربوية والحربية قبل غيرها ٠٠

— وأن هذه الأنماط قد تمثلت فيها ـ بقدر يختلف من نمط لآخر ـ عددا من أبرز خصائص الخطبة ، لاسيما الدفعة الخطابية والوضوح والجاذبية ومحاولات الاقناع والاستمالة ، وأما أقلها ،فهو الشكل الفنى لها ، وتقسيمها الى مقدمة وموضوع وخاتمة وما يتصل بوحدة الموضوع وتسلسل الأفكار ٠٠ فلم تكن هذه مستوفاة تماما ٠ ٠الا بعد ذلك بكثير ٠٠

— ومع ذلك ، كله ، فانه بامكاننا أن نعتبر أن معرفتهم بالخطبة كانت قائمة ، من خلال ما أشرنا اليه من نصوص عديدة ، ٠٠ بل ان بعض علماء المصريات الذين تناولوا عددا من هذه النصوص ، لم يكن أمامهم غير استخدام تعبير « الخطابة » والخطبة ، والخطيب ٠٠ الا يعنى ذلك ، اعترافا

ضمنيا من جانب هؤلاء ، بأن ما بين أيديهم هو من لون الخطابة بشكل أو بآخر . وعلى سبيل المثال لا الحصر فان مترجم شكاوى الفلاح أو الواحى يذكر : « يأمر الملك بأن يحجز فى المدينة هذا الواحى البليغ أطول مدة ممكنة ليجعله يتكلم كثيرا ويأمر الملك اذذاك بأن يدون كل ما يقـــوله كتابة حتى يمكننا أن نستمع اليه .. مثلما نسجل الخطب اليوم على أسطوانات ، وكتبت شفاعات الواحى على ملف بردى جديد كل شفاعة بما تحتوى فلما سكت الخطيب .. » (٩٢) .. بل ان عالم المصريات الكبير ج. هـ. برستيد نفسه يعود الى استخدام تعبير « الخطب » أكثر من مرة عند تناوله لهذه الشكايات نفسها ، بل انه يقول « .. وبعد ذلك ـ بعد المقدمة ـ تبدأ الخطب الثمانية ـ تلك الخطب الموجهة الى مدير البيت العظيم رنزى ـ رغبة فى أن يرتجل له الفلاح خطبا أخرى » .. الخ (٩٣) .

ونكتفى بهذا القدر من تناولنا لموضوع الخطابة ، وننتقل الى موضوع آخـــر هو :

الســـؤال الثـــانى

.. وما موقفهم من المســرح ؟

.. وبالمثل فاننا نتوقف عند احدى وسائل الاتصال الجماهير المهمة الأخرى .. ألا وهى المسرح لنحاول ـ قدر الاستطاعة ـ أن نجيب عن السؤال نفسه ؟ هل عرفت الحضارة المصرية « فن المسرح » بما يتصل به من معالم وملامح وأبعاد تميزه عن غيره من الفنون ، لاسيما هذه التى ترتبط منها بجانب « الاتصال الاعلامى » على وجه التحديد ؟

أولا ـ تعـــريف وخصـــائص

● ● **أما عن المسرح نفسه** ، وبصرف النظر عن الأقوال «العامة».. أو تلك التى تتناول « العموميات » .. كقولهم « الحياة مسرح » أو « الدنيا مسرح كبير » .. أو « فن المسرح هو فن الحياة » .. أو أن فن المسرح هو « الفن الكامل » .. وما الى هذه كلها .. بصرف النظر عنها فانه يمكن القول عن هذا الفن أنه : « ابداع المؤلف المسرحى ، نثرا أو شعرا أو هما

معا ، والذى يفصح فيه عن نفسه ، أو يتناول الاحداث والوقائع الجديدة أو القديمة ، أو الأشخاص أو يطرح المواقف أو يعالج القضايا بطريقة فنيـــة قصصية تعتمد على الحوار بين الشخصيات المختلفة التى يعبر عنها ممثلون ينقلونه الى النظارة ، وقد يكون بمشاركة من رواة ومنشدين ومرتلين فى أداء متميز من خلال عدة مشاهد ولوحات تعبيرية وفصول ، من مكان معد لذلك ، يتكون من منصة وقاعة ، أو فى موقع آخر يكون مناسبا للعرض واستنادا الى اخراج فنى يبرز العمل وينسقه ويوضحه ويصل بينه وبين الجمهور ، وبمساعدة من ديكور يوحى بمضمون ما يقدم وقد يكون بمصاحبة الرقص والموسيقى والمؤثرات الضوئية والصوتية والفنية الأخرى بأشكالها المختلفة » (*) ٠

ولعل هذا التعريف الذى استقيناه من عدة تعريفات قديمة وجديدة مباشرة وغير مباشرة يضع أيدينا على عدة حقائق تقول :

— أن المسرح خليط من الرواية الفنية والحوارية للاحداث والوقائع والتفاصـــيل بأسلوب فنى يجمع بين بعض خصائص القصص والأحاديث والخطابة والالقاء معا ٠

— انه ليس « المنصة » التى يؤدى فوقها الممثلون أدوارهم ٠٠ أى خشبة المسرح ، وليس القاعة أيضا ٠٠ بل ما يحدث فى هذا الموقع نفسه من لقاء بين المؤلف وفكره والمخرج والممثلين والمناظر والمؤثرات وبين جمهور الحاضرين ٠٠

— بل انه ليس شرطا تماما وفى جميع الأحوال أن تكون هناك قاعة وخشبة ، بل يمكن أن يصبح أى مكان مناسب (ملعب ـ ساحة ـ فناء ـ صالة كبيرة ـ جرن القرية ـ ميدان ـ حديقة ٠٠٠٠ الخ) يمكن أن يصبح صـــالحا ٠

(*) فى معظم المراجع التى عدت اليها لم يكن هناك أى اتفاق على تعريف بعينه، كما اتضح أيضا أن معظم التعريفات غير مباشرة ، كما أن اكثرها يتغير من آن لاخر ، ومن ثم كان هذا التعريف الاجتهادى الخاص بنا ٠

— وأنه ليس شرطا أن يكون هناك أبطال المسرحية من الممثلين فقط ، بل يمكن أن يؤدى دورا مهما الى جوارهم ، الرواة والمنشدون والمرتلون ٠

— وهو فن يستخدم عددا كبيرا من الفنانين « فى مستويات كثيرة من المهارات الفنية يتعاونون جميعا تعاونا نشيطا قويا فى خلق تجـــربة مسرحية يقدمونها لجمهور من النظارة » ٠

— كما أن من الممكن أن يكون نثرا أو شعرا أو هما معا ٠

— ويمكن أن تأخذ الأناشيد والترتيلات والروايات الاخبارية المنغمة والأساطير حيزا كبيرا منه أو من بعض المسرحيات على وجه التحديد ٠

— وللرقص بأنواعه ، والموسيقى بأنواعها ، دورهما فى بعضها الآخر

— والمناظر ، والأثاث ، والمؤثرات الصوتية والفنية ٠٠ جميعها لها دورها المتميز الذى يختلف من مسرحية لأخرى ، لثالثة ، وهكذا ٠ ٠

٠٠ تلك هى بعض الجوانب المهمة ، المتصلة بالمسرح ، وخصائصه ، تعبيرا وفنا معا ٠٠

ثم مـــاذا ٠٠

ثانيا ـ وظائف وأدوار

●● وأما عن وظائفه ـ وهى جانب مهم من موضوعنا ـ فاننا نفضل أن نقسمها الى هذه الجوانب كلها ، التى نعود بعدها ، نحدد ونركز بعض الأدوار المهمة ٠٠ نعم ان المسرح كمفهوم وفن وانتاج أدبى وفكرى ، يقوم بهذه الادوار كلها :

● دور وطنى : يتمثل فى التعـــريف بالتاريخ والابطال والمواقف واستخلاص الدروس القيمة منها بما فى ذلك من حشد للهمم وشحذ للقوى،

واستحضار للبطولات ودعم للطابع القومى وتنمية لمشاعر الارتباط والولاء الوطنى ، والتنبيه الى بعض الأخطاء المحيطة بالوطن ، كما يشمل أيضـــا

التعريف بالمشكلات والقضايا الوطنية ومحاولة تقديم الحلول لها ، والرد على الشائعات والدعايات المضادة ٠

● دور سياسى يرتبط بالدور السابق ويشمل التوعية السياسية القائمة على طرح الأحداث المهمة ، وتفسيرها ، وتوجيه الجماهير بشأنها والاسهام فى وجود المواطن الصالح الذى يعرف ماله وما عليه ، وايجاد نوع من الاتفاق الفكرى المشترك فى مواجهة بعض المشكلات الداخلية والخارجية التى تؤرق أبناءه وتقض مضاجعهم ، والعمل على حل هذه المشكلات ، أو تغيير الواقع السلبى ، الى واقع ايجابى فعال ٠٠ رسالة المسرح هى التدخل بطريقة ايجابية فى مجرى الأحداث » (٩٥) ٠

● دور اجتماعى وتربوى : قوامه اثارة الحس الاجتماعى ، وتقوية الروابط والصلات القائمة ، والحث على احترام القيم والتقاليد وتنمية روح المودة ، والتعاون والتكاتف ، والحملة على العيوب والنقائص ، ثم فى هذا الطابع العام الذى يتمثل فى التعارف والجو الأسرى ، والفكر المتقارب المرتبط بما يقدم ، وما يقال ، واشاعة « الانسجام » الاجتماعى القائم على الاتفاق الفكرى بين أبناء المجتمع الواحد ٠٠ ولعل ذلك ما عناه الشاعر الكاتب المسرحى الألمانى الشهير « شيلر » ٠٠ عندما وصف المسرح باعتباره « مؤسسة أخلاقية » (٩٦) ٠٠ وأضاف قائلا أنه ـ المسرح ـ ٠٠ « أكثر من أية مؤسسة عامة مدرسة للحكمة العملية ، ودليل للحياة المدنية ـ اذا كان المسرح لا يقضى على الرذائل ولا يقلل من عددها ، فهو على الأقل يعرفنا بها ـ وبفضل المسرح لم يعد بامكان هؤلاء أن يفاجئونا ، اننا محصنون ضد اعتدائهم ، المسرح أفضى الينا بطريقة الكشف عنهم ومنعهم من الاضرار بنا ٠٠٠ الخ » (٩١) ٠

● دور اتصالى اعلامى : يتمثل فى الاخبار بالجديد ، والتعريف بالأحداث والمناسبات والاشخاص والمواقف والقضايا وطرحها أمام الجماهير بأساليب غير تقليدية ، ومن خلال أشكال فنية أخرى لمعالجة بعض الافكار ، وكذا تناول بعض الموضوعات الاخبارية من زوايا جديدة ، وعن طريق الحوار والمؤثرات الصوتية والموسيقية والفنية كما يلعب « الرواة » دورا مهما فى بعض أشكال المسرحيات ، ومن هنا فقد اعتمدت مسرحيات عديدة

قديمة وجديدة ، على المضمون الصحفى الاخبارى لاسيما قصص وقضايا صفحات الحوادث ، وتلك التى تقفز منها الى الصفحات الاولى ، أو تكون موضوعات للاغلفة ٠٠ انها الدراما القائمة وراء الاحداث أو المنبثقة منها ٠٠ كما أن الدور ليس اخباريا فقط وانما جاء تثقيفيا ومعلوماتيا وتفسيريا وتحليليا ٠٠ وقد أشارت الى هذه الصلة كتب عديدة عن المسرح ، رأت أن كثيرا من الكتاب كانوا من الصحفيين الناجحين ، الحاليين أو السابقين ، لاسيما من العاملين فى ميدان الاخبار عامة ، وأخبار الجريمة والحوادث والقسم القضائى خاصة ، ومثال ذلك ما يقوله أحد هؤلاء أن « نظـرة الى كتاب برودواى المسرحيين الناجحين فى القرن العشرين يمكن أن تكشف لنا عن نقطة مهمة ، ذلك أن عددا كبيرا منهم قد تدرب فى مطلع حياته العملية بالعمل فى الصحافة » (٩٨) ٠٠ وبعد أن يقدم أسماء عديدة لبعض مشاهير كتاب المسرح من أمثال ماكسويل اندرسون ومارك كونللى وجيمس فوربس ويوجين اونيل ٠٠ وغيرهم (*) ٠٠ يقول : « يصدق هذا أيضا على عدد من الكتاب المسرحيين الانجليز أمثال جيمس ٠م٠ بارى وا٠ا٠ ملن وجورج برناردشو ممن كانوا يكتبون فى الصحافة اليومية اللندنية » (٩٩) ٠٠

كذلك فان هناك الدور الذى يقدمه عرض القديم المهم من زوايا جديدة، والتعريف بعدة جوانب تاريخية ، وحدثية ، فى اطار مسرحى متكامل ٠

● **دور ترفيهي** : تقوم بأدائه معظم المسرحيات ، بل كلها فى واقـع الأمر ، مع تفاوت فى درجته ، تسلية وامتاعا ذهنيا ، ومؤانسة محببة ، كم يحتاجها انسان اليوم ، القلق المتوتر الأعصاب ، الذى يطحنه الملل وتعركه أثقال الحياة ، ومتاعبها ، وضجيج الحضارة ، ويأخذ به الفراغ ٠٠ وقـد يؤدى بعدد من بنى البشر الى العقد النفسية ، أو الهروب السلبى نحو المتع الحسية الرخيصة ، أو المخدرات ، أو غيرهما ٠٠

فى المسرح ، تسلية راقية ، ومتعة وسياحة فكرية طيبة ٠٠ وترفيـه

(*) يعقد روجر م٠ بسفيلد مقارنة بين المؤلف المسرحى والمخبر الصحفى يعدد فيها جوانب الارتباط القائم ، ننصح طلاب الاعلام بالعودة اليها ٠٠

مرشد ٠٠ الا بالنسبة لبعضها المعنـــــة فى اثارتها ، وضجيجها ـ بعض المسرحيات الكوميدية على وجه الخصوص ٠٠

●● ٠٠ وفى أكثر من أسلوب صياغة آخر ، فاننا نضيف هــذه الوظائف أو الأدوار المعقودة على المسرح نفسه كوسيلة اتصال خاصة عندما يوجد المؤلف الموهوب ، والمخرج الماهر والممثل القدير :

ــــ أنه يقدم نتائج باهرة بالنسبة لبعض المجتمعات التى يجتذبهـا العمل المسرحى ككل ، خاصة من حيث معالجة أبرز قضايا الساعة الطاغية على سطح مجتمع ما ، فى وقت ما ٠٠ ومن هنا كان اعتباره لاسيما فى بعض الأوساط « الماركسية » ٠ ٠الوسيلة المثلى لحشد الجماهير من أجل تحقيق هدف معين ٠

ــــ أنه من أفضل وسائل التعبير عن « المثل الأعلى » ، فى مجالات الوطنية ، وخدمة المجتمع والانتماء والمجال الأخلاقى ٠

ــــ أنه من أقوى وسائل الاتصال وأعظمها أثرا بالنســـبة لاعادة بعث أبرز معالم طريق المسيرة التاريخية لأمة من الأمم . والعمل على بقائها فى الأذهان ، لاسيما أوقات النهوض ولحظات الانتصار ، وتفجر الطاقات المختلفة ٠

ــــ أنه يتيح لأبناء اليوم فرصة الاستمتاع بروائع الأدب المسرحى القديم ، من خلال نقل عيون التراث الكلاسيكى ، ويتصل بذلك ، احياء تقاليد الماضى المسرحية ، كما هو الحال فى كثير من الأمم الشرقية بما يعنيه ذلك كله من ممارسة « فضيلة » الاهتمام بالقديم ، وتأكيد « الذاتية الثقافية » لشعب من الشعوب ، بل ولتعريف الشعوب الأخرى بذلك كله مما يعزز التفاهم بينها ٠

ــــ مجال كبير ومهم ومتسع ومتعدد الاهتمامات لاضاءة شــعلة « الابداع الفنى » عند شعب من الشـعوب ، وتنمية المهـــارات الخاصة ، والممارسات المبتكرة ، عند الأفراد من مؤلفين وممثلين ومخرجين ورسامين ومهندسى ديكور وأضاءة ، وموسيقيين وراقصين ومن اليهم من المشاركين فى العمل ٠٠ بل قد يكون بعضهم من أصحاب المواهب الخضراء النامية (مسرح الأطفال والشباب) ٠

— ثم اننا نرى فى النهاية - مثله فى ذلك مثل فنون اتصالية كثيرة - يمكنه أن يؤدى جميع الوظائف التقليدية ، المعقودة على هذه الوسائل لاسيما: « الاخبار - الشرح والتفسير - التوجيه والارشاد - التثقيف - التسلية والامتاع الذهنى » ..

كل ذلك فى اطار من الألفة والمؤانسة ، واحترام تقاليـــد المسرح ، وقضاء وقت فيه الكثير من البهجة ، والسمو ، وممارسة الاحساس الفنى الصادق .. معا .

(ثالثا) تاريخ .. واختـــلاف

.. حتى نصل الى هذه النقطة « المحورية » .. التى تدور حول السؤال « الأساسى » أو « المحورى » الذى طرحناه فى بداية هذه السطور ، والذى جرنا الوصول اليه ، المرور بكل هذه المحطا تالفرعية السابقة .. نعم ، ذلك هو « فن المسرح » ، وهذه هى أبرز خصائصه ، وأهم أدواره ووظائفه .. ترى ، هل عرفه أجدادنا ؟

●● اننا - بادىء ذى بدء - لابد من أن نتوقف لنشير الى هذا الخلاف الواقع بين طرفين أساسيين ، طرف يقول ان آل فرعون قد عرفوه ، فيما عرفوا من فنون وأنشطة ، وطرف آخر ينفى ذلك ، وكل له وجهات نظره، وحججه ودواعيه ، بما يذكرنا بالخلاف الناشب حول ألوان عديدة من النشاط الآخر .. عرفها أم لم يعرفها هؤلاء (*) . .ولكن كيف ؟

● ان هناك فى البداية ذلك العدد من المؤيدين لوجود مسرح مصرى قديم ومسرحيات مصرية قديمة جدا .. وهذا العدد يختلف موقفه من بين التأييد العادى ، وبين التأييد بشدة ، ولعل من أبرزهم جميعا ، من رجال آثار وادب ومؤرخى فنون ومفكرين بشكل عام ، لعل أبرزهم فى هذا المجال :

(*) ربما يذكر ذلك بالخلاف الذى يمكن ان ينشأ حول كتابنا هذا نفسه ، وحول موضوعه ، والذى أشرنا اليه فى تقديمنا له ، فى سطور عديدة أخرى .

« ج. هـ. برستيد وأتين دريوتون ، وكورن زيته وج. بنديت وسليم حسن ، وعمر الدسوقى وثروت عكاشة » .. وأما أبرز حجج وشواهد هؤلاء على وجود مثل هذا النشاط المسرحى المصرى فيمكن أن نختصرهافى الآتى :

(أ) أنه اذا كان معظم مؤرخى المسرح يعترفون بأن بدايته الأولى كانت دينية الطابع ، تتمثل فى تلك الطقوس والشعائر التى كان يمارسها الكهنة ، فى معابد الآلهة المختلفة ، فمن غير المعقول ، وقد شهدت الحياة المصرية القديمة ، كل ما يمكن أن يتصوره الانسان من عناية بالآلهة المتعددة والتى ربما كانت أكثر عددا من تلك التى عرفتها البلاد الأخرى ، ومن اهتمام بمعابدهم والحفلات التى تقام لها ـ قال بعضهم أنها كانت بمعدل احتفال كل يوم على مدار العام كله للآلهة الكبرى ، أو آلهة الأقاليم ـ .. ثم هذه الأعياد الدينية التى لم تعرف مثلها عددا وحجما واهتماما ، الا قلة من الشعوب القديمة ـ بلاد النهرين والهند وفارس ـ هذه كلها كانت مجالا خصبا لممارسة هذه الطقوس بمعرفة الكهنة والمرتلين والمنشدين والراقصين، مما كان يمثل اطارا تاريخيا وفنيا مهما ، لهذه البدايات الأولى للمسرح « الدينى » وقد سبقت لنا الاشارة الى بعض هذه المعبودات والأعياد والاحتفالات ، خلال صفحات عديدة لاسيما تلك التى تحدثنا خلالها عن « الاعلام الدينى » ..

(ب) أن عددا من قدامى المؤرخين ، الذين زاروا مصر ، وكانوا شهود عيان على بعض ما يدور بها ، أو الذين استمعوا الى أبنائها أو رواتها قد أشاروا الى بعض الطقوس الدينية التى كانت تقدم فى شبه عرض تمثيلى يقوم به الكهنة ويشاركهم فيه الراقصون والراقصات والموسيقيون.. أما النظارة فهم الشعب نفسه القادم من كل حدب وصوب للمشاركة فى الأعياد والمهرجانات المختلفة .. وكان أبرز هؤلاء المؤرخ الاغريقى المعروف « **هيرودوت** » الذى اعتبر « أبا » للتاريخ .. والذى ذكر أن أمته قد أخذت فن المسرح عن الفراعنة ، كما أشار الى مثل ذلك المؤرخ « **بلوتارخ** » .. فاذا أضفنا الى ذلك أنهما ـ هيرودوت وبلوتارخ » يعرفان المسرح حتما ، انطلاقا من معرفة شعبيهما به .. **فمعنى ذلك أن ما شاهداه أو ذكراه كان على جانب من الصحة .. ثم : لماذا يذكران مثل ذلك أو يشيران اليه ، اذا لم يكن هناك مثل هذا النشاط فعلا ؟**

(جـ) وصحيح أن ما أشارا اليه ، وهو ما أخذه المعارضون بعد ذلك لوجود مسرح مصرى قديم ، يركز على الجانب الدينى وحده ، ويقوم به ممثلون من الكهنة ومعهم المرتلون أو الراقصون من التابعين للمعبد ، وفى قاعاته أو ساحته أو الطريق اليه ، ومن ثم وكما يقول هؤلاء ــ فان معظم هذه المشاهد التمثيلية ذات صلة قوية بالدين عامة ، وبالاساطير الدينية خاصة . لاسيما أسطورة بحث ايزيس عن أوزوريس ٠٠ أى أن معرفة أجدادنا بالمسرح كانت محصورة فى هذا الجانب « البدائى » الضيق ، ٠٠ لكن البحث الاثرى الحديث أثبت أن هذه المشاهد المسرحية المصرية القديمة ، قد قفزت فوق أسوار المعابد ، وتخطت قاعاتها ، واجتازت ساحاتها ، وراحت تخرج الى الناس ٠٠ فى صيغ جديدة مبتكرة غير دينية فقط ، ولا يقتصر القيام بها على الكهنة ومن يتبعهم وحدهم ٠٠ مما سوف نشير اليه بعد قليل ٠

(د) أن قيام العمل المسرحى لا يعنى فى جميع الأحوال، وجود خشبة للمسرح ، أو قاعة ــ ولو أن بعض أشكالها كان له وجوده القديم ــ ومعنى ذلك أن عدم وجود الرسوم والمشاهد التى تبين معرفتهم بقاعات العرض ، ووجود مكان خاص له مواصفات معمارية محددة ، لا يصح أن يؤخذ ذلك قرينة على عدم وجود مسرح ٠٠ فوجوده لا يشترط دائما وفى جميع الأحوال، وجود المكان المخصص لذلك ، بل انه بالامكان تنظيم العروض المسرحية ــ كما قلنا ــ فى أى مكان فسيح ومناسب ٠ وبداهة أن مكان النظارة ، غير مكان الممثلين والمرتلين والموسيقيين والراقصين ومن السذاجة ألا نتصور وجود مكان لكل منهما ٠٠ تماما كما أن عروض الميادين ، والشوارع والأرصفة والحدائق والستادات الرياضية قائمة حتى الآن ٠٠ وحتى الآن أيضا وسوف يظل ذلك قائما تماما توجد المسارح « التقليدية » التى شيدت لتكون دور عرض مناسبة ، كما توجد الاشكال الأخرى غير التقليدية للمسارح ، التى لا تشترط وجود « خشبة » قائمة ، ثابتة ، أو قاعة كبيرة مقسمة تبعا لذلك النظام التقليدى ٠

بل ان هناك ، فى هذا المجال ، من يقـــــول ــ وهو قول صحيح فى جملته ــ أن أوربا العصور الوسطى لم تعرف أثرا قائما لأى مبنى مسرحى تقليدى ــ خشبة أو منصة ثابتة وقاعة مخصصة لذلك ــ ٠٠ على الرغم من وجود المسرح نفسه ٠ ٠وهو مالا يستطيع انكار وجوده أحد ٠

(هـ) وبالمثل فان عدم ذكرهم للمسرح على آثارهم ، وفى النصوص المختلفة ، بما يتصل به من معالم وملامح ، وممثلين وأداء واخـــراج ٠٠ بأسلوب مباشر وصريح ، لا يعنى ذلك عدم معرفتهم بهذا النشاط على أى شكل من أشكاله ٠٠ ففضلا عن اكتشاف ما يمكن أن يعتبر من هذا القبيل ، وان كان قليلا ، أو غير مباشر ، فان فيه ما يكفى للدلالة على مثل هـــذه البدايات ، أو الأشكال المسرحية الأولى ، والذى يتناسب معها ، ثم ان هناك مالم يكتبوا عنه ، فهل يعنى ذلك عدم معرفتهم به ؟ ٠٠ ثم انهم قد يكونوا كتبوا عنه ، ولم تصل الينا هذه الكتابات بعد ، تماما كما لم تكن قد وصلت الينا كتاباتهم عن موضوعات كثيرة أخرى ، قبل سنوات قليلة ٠٠ وحتى معرفتهم بالنشاط المسرحى ، ظلت قاصرة على اشـــارات كبار المؤرخين القدامى ـ هيرودوت وغيره ـ حتى بداية العشرينات من القرن الحالى ، عندما تتابعت الاكتشافات المؤيدة لمعرفتهم به ، وفى ذلك يقول أحد المتابعين : « ٠٠وظل أمر المسرح الفرعونى غامضا حتى أتى الكشف الحديث الذى قام به كونتز فى سنة ١٩٢٢ وكورت عام ١٩٢٨ وسليم حسن سنة ١٩٢٧ فبين لنا أن ثمة نصوصا تمثيلية قديمة ٠٠٠ الخ » (١٠٠) ٠

(و) والآن نتوقف عند عدد من أبرز هذه الشواهد المتصلة بالمسرح المصرى القديم ، مما ذكره هؤلاء وغيرهم ، وما أمكننا أن نضع أيدينا عليه من خلال المراجع المختلفة ، وحديثها عن هذا الجانب ٠٠ ان من بينها :

١ ـ انه لابد من الاشارة أولا ٠٠ الى أهم وأبرز المسرحيات المصرية القديمة ـ اذا صح التعبير ـ تلك التى اكتشفها كورت زيته وتدور حوادثها حول ايزيس وأوزوريس وابنهما حورس وعدوهم ست ٠٠ تلك التراجيـديا الخالدة التى كانت تمثل فى أبيدوس وسايس وغيرهما من المدن الرئيسية ، وكان عرضها يستمر ثلاثة أيام فى كل مدينة ، ثم ينتقل الى أخـــرى ٠٠ مستوحيا انتقال ايزيس بحثا عن جثة أوزوريس ٠ كل ذلك منذ الألف الثانية أو الثالثة قبل الميلاد ٠٠ وحتى القرن الخامس ق٠م٠٠ وقد استقى منها الكتاب القدماء ، والمحدثون أيضا ، عدة أفكار لمسرحيات كثيرة ، بل ان أثرها على المسرح الأوربى قديم جدا منذ جمع شتاتها بلوتارخوس (بلوتارك) ٠٠ وساقها كاملة فى كتاب شهير له ٠

٢ ـ اكتشاف نص فى ادفو لأحد مساعدى الممثلين الكبار ـ امحب ـ يرجع تاريخه الى أوائل الأسرة ١٨ دونت عليه حياة صاحبه المسرحية ، وقيامه بمساعدة سيده وهو يؤدى ادواره خلال جولاته المختلفة « كنت ذاك الذى يتبع سيده فى كل جولاته دون ضعف فى الأداء ، ولقد كنت ارد على سيدى فى كل أدواره ٠٠٠ الخ » (١٠١) ٠٠ ثم يمضى فى تفصيل جولاته معه بالمدن المختلفة ٠

٣ ـ ان الحوار الذى اكتشف على بعض الأحجار أو البرديات المصرية لم يكن فى كل الاحوال من ذلك الذى يتصل بالموضوعات الدينية ، وانما اتجه الى موضوعات حدثية درامية اخرى ، حتى نواح ايزيس ونفتيس خلال حدادهما على اوزيريس ٠٠ يبدو أقرب الى الحوار المسرحى العادى ، منه الى الطقوس والترتيلات الدينية ٠

٤ـ وعلى جدران مقبرة الأمير « خنم حوتب » ببنى حسن والذى عاش فى عهد سنوسرت الثانى : ١٨٩٧ ـ ١٨٧٧ ق٠م٠ نستطيع أن نقرأ حوارا من نوع الاسكتش يدور أثناء عرض لنقل تمثال الأمير ، تتصـــدره خمس مهرجات ، يرقصن رقصة بهلوانية ، بينما ينشد آخرون نشيدا يبدأ بقولهم « تتفتح أبواب السماء ويتجلى الاله » ٠

٥ ـ وحتى الطقوس الجنائزية المصرية القديمة ـ وقد أشرنا اليها عند حديثنا عن الاعلام الدينى ـ حتى هذه أيضا وكما كان يقول « بنيديت »(*)٠٠ كانت تتضمن بعض المشاهد التى توجد بها المحاكاة ، ويوجد بها الحوار ٠٠ وعودة سريعة الى هذه الطقوس تؤكد وجود هذه الزاوية المسرحية بها سواء خلال محاكمة الميت ودفاعه عن نفسه ، أو محاورات من يقوم بدور القضاة أو آلهة الحساب ، أو الموكب الذى يحف بالجنازة ورقصـــاته وأدعيته ، وحكاية فتح الفم ٠٠ وغيرها ٠

(*) « جورج بنيديت » الامين المساعد السابق بقســم الاثار المصرية بمتحف اللوفر ، وهو أول من أثار فى عصرنا موضوع وجود مسرح مصرى من عدم وجوده وكان من رأيه أن الطقوس الجنائزية وعروض أعياد الالهة قد حوت مسرحيات دينية محجبة شبيهة بتلك التى كانت أصلا للمسرح الاغريقى ٠

٦ ـ حتى نصل الى حكاية هذا الحجر الذى أشار اليه كورت زيته فى وثائقه التى نشرها تحت عنوان : « نصوص درامية » ·· وحيث نشرت ج· هـ· برستيد يتحدث عن ذلك قائلا : « والواقع أنه قد وصل الينا صورة من المتن الحقيقى لوثيقة دونت فى بداية عهد الاتحاد الثانى · وهذه الوثيقة منقوشة على حجر أسود محفوظ الآن بالمتحف البريطانى ، وذلك الحجر كان قد استعمله بعض القرويين أخيرا قاعدة لحجر طاحون لطحن غلالهم ، وقد استمروا فى ادارة حجر الطاحون الأعلى عليه مدة دون أن يفقهوا شيئا عما كانوا يمحونه بذلك من النقوش »(١٠٢) ·· وبعد أن يتحدث عالم المصريات الكبير عن قيام « شباكا » الذى مر ذكره ـ الفرعون الاثيوبى الذى حكم مصر ـ بكتابته من جديد ، عندما وجد أن معالمه قد أختفت ·· ـ قد أكله الدود حتى اصبح لا يمكن قراءته (*) ـ ·· يذكر برستيد : « ·· وقد نقل شبكا لحسن حظنا نسخته الجديدة على الحجر لتبقى محفوظة على الدوام ·· ومع ذلك لو بقى الحجر يطحن عليه بضع سنين أخرى لقضى على أقدم مسرحية فى العالم ، وعلى أول بحث فلسفى وصل الينا من العالم القديم »(١٠٣) ·

وبعد أن يشير المصريولوجى الكبير الى بعض ما أمكن قراءته من هذا الحجر الذى أطلق عليه شباكا اسم « تأليف الأجداد » ·· خاصة العبارات التخاطبية بين الآلهة المختلفة ـ من يمثل أدوارهم ·· يشير الى الدراسة التى قام بها (كورت زيته) لمجموعة محادثات منظمة على مثل هذا النمط ومدونة على بردية تعود الى عام ٢٠٠٠ ق·م ، أما الجديد هنا فهو أن هذه المحادثات جاءت مصحوبة بملاحظات وصور يستدل منها على أنها لابد وأن تكون تعليمات مسرحية (ترى من الذى أعطاها ؟) ·· الى أن يقول : « ··أى أن البردية التى درسها الاستاذ زيته هى مسرحية قديمة ، ونجد أن ترتيب أعمدتها مطابق تماما لمتن حجر المتحف البريطانى الذى نحن بصدده ، وهذا جعل الأستاذ ارمان يظن أن المدون على هذا الحجـــر هو مسرحية قديمـة أيضا » (١٠٤) ··

٧ ـ وبالمثل ، فاننا نشير الى « بردية الرمسيوم المقدسة » التى عثر

(*) لان الوثيقة كانت مدونة فى الاصل على ورق البردى ، الذى يمكن أن يصيبه الدود ، أو السوس ·· كما جاء على هذا الاثر المجدد ·

عليها « كوبيل » فى حفائره بهذا المعبد عام ١٨٩٦ ٠٠ والتى نشرها « ك ٠ زيته » أيضا ٠٠ وحيث تتضمن مشاهد مسرحية تتويج سنوسرت الأول ٠٠ والتى يمكن أن نضع أيدينا من خلالها على ما يزيد عن تسعين جملة حوارية ، توجد بينها بعض التعليمات الموجهة للمتخاطبين ٠

٨ ـ كما نشير أيضا الى النص المنقوش فى « الضريح الخاوى » لسيتى الأول ، والذى نشره عام ١٩٣٣ « م٠ ده بوك » وحيث يتضمن هذا النقش بعض ردود حوار مسرحى من خلال قصة اسطورية ٠

٩ ـ ونشير كذلك الى النص المنقوش على لوحة « ميترنخ » ٠٠ والذى وجدت صورة أخرى منه على قاعدة تمثال مصرى قديم ٠٠ والذى يتحدث عن ذهاب « ايزيس » للاختفاء فى بعض المستنقعات على أثر قتل سيت لأخيه « أوزيرس » ٠٠ وبعد أن أصبح ابنها « حور » أيضا بين يديها جثة هامدة بعد أن لدغته عقرب ٠٠ وحيث تلفت تضرعاتها أسماع الصيادين من سكان المنطقة ٠٠ وتجمع الآلهة ويدور الحوار بينها ، وتجرى التفاصيل حتى يعود « حور » الى الحياة ٠٠ وحيث يقول : أ٠ دريوتون فى تعليقه عليها : « ٠٠اذا كانت ثمة عناصر فريدة فى صياغة هذا النص خاصة تميل بى الى الاقرار بأنه نص درامى ، فان طابعه فى مضمونه ينفى عنه كل شك يثار ، اذ أن ما فيه من أجوبة حوارية خاطفة وقاطعة يجعله يباين المباينة كلها السرد القصصى ، ولو أنه قصد به السرد القصصى لجاء حتما على نهج أخر ـ ولا يفوتنا أن نشير الى أن تحوتى عندما هم أن يرحل أعلن لوضع خاتمة للفصل : ان العالم يترقبنى ٠٠ وهكذا استخدم الاله حيلة مسرحية ظلت بعده عمرا طويلا » (١٠٥) ٠

١٠ ـ ما عثر عليه عالم المصريات « سليم حسن » من نقوش تمثل أحد رؤساء فرقة من الراقصين وهو ينظر الى ورق البردى يراجع فيه تعليمات الرقص (لعله مخرج احدى المسرحيات الراقصة ، أو احدى اللوحات الراقصة التى تتضمنها مسرحية لم تكتشف بعد) ٠

(ز) وعلى ذكر الرقص ، فاننا نشير الى بعض مما ذكرته عن الرقص المصرى القديم « ايلينا لكسوما » لاسيما اشارتها الى « الرقص التمثيلى »

.. كأحد أنواعه المهمة ، المرتبطة بالعروض المسرحية وكذا الى « الرقص الرياضى » .. أو « الرقص التوقيعى » وكذا « رقص المحاكاة » .. وأن كانت معرفتهم بالرقص الأخير يعوزها المزيد من الدلالة .. الا أن جميعها ذات صلة بالعروض المسرحية ، الخاصة بالأعياد ، أو الطقوس الدينيه . او حفلات الأثرياء ، وعودة الجيوش المنتصرة ، وغيرها .

● .. كانت هذه هى أبرز « حجج » وبراهين المؤيدين لوجـــود المسرح المصرى القديم ، ذكرناها على سبيل المثـــال لا الحصر ، وكانت فى مجموعها ـ هى وغيرها ـ دفاعا عن وجوده ، فى مواجهة الدعاوى المضادة، التى لا تؤيد ذلك ، ولها ـ هى الأخرى ـ ولاصحابها وجهات انظارهم ، تلك التى يردون بها على الأقوال السابقة فى مجموعها ، ويحاولون تفنيدها . ومن ثم فأن أبرز أركان دفاعهم عن وجهة نظرهم المضادة ، هى تلك التى تركز فى هذه النقاط التى نقدمها باختصار شديد جدا ، والتى حملت السطور السابقة بعضا من أهم الردود عليها ، علما بأن جميع هذه « المعارضـــة » تنبثق من فكرة واحدة تقول أن من الصعوبة بمكان أن نتحدث عن وجـــود مسرح مصرى قديم على الرغم من وفرة النصوص الأدبية والدينية التى لا تعدم وجود صيغة درامية ، وحيث كان لهذه مجال عرضها الحـــركى ، المصحوب بالرقص الدينى أحيانا ، والموسيقى أحيانا أخرى ، ولكن ذلك كله:

ـــ كان يؤدى فى أغلب الأحوال من أجل هدف دينى يتصل بالدعاية للآلهة والمعبودات والاشارة الى قوتها وسيطرتها ، أو من أجل هدف سياسى يرمز اليه بالصراع الناشب والمتطور بين الآلهة .. ومعنى ذلك أن الهدف المسرحى لم يكن له وجوده .

ـــ أن ما يقوله رجال الآثار عن هذه كلهـــا .. وعن تحليليهم لنصوصها يوضح أنها ليست سوى كلمات وترتيلات تلقى ، وتردد ، وقد تكون منغمة وراقصة معا ، خلال اقامة الطقوس والشعائر الدينية . .ومن ثم فهى لا تعدو أن تكون اطارا تكمن فيه بذرة ، أو نواة قيام المسرح فى طوره البدائى الذى عرفته كل شعوب الأرض ، وليست دليلا على قيام المسرح الصحيح كما عرف عند اليونان .. والا لكانت كل شعوب الأرض قد عرفته .. لأنها عرفت مثل هذا النشاط الطقسى الدينى ، بشكل أو بآخر .

— أن هذه المظـاهر الدينية كانت تتم دون مناظـــر ، ولا مسرح ، ولا مشاهدين ومن ثم فهى تفتقد أبرز خصائص المسرح كمفهوم شامل ، وما يقوله الأثريون عن وجود أماكن للعرض أو للمشاهدين فى عهد الامبراطورية فى طيبة ، ليس واضحا تماما ، ويمكن أن يكون لأسباب أخرى كما أن معظم الذين كانوا يؤدون الأدوار وأبرزهم الكهنة كانوا يقومون بها باعتبارها من الطقوس الخاصة بالآلهة ، وليس تمثيلا ، والمشـاهدين لم يحضروا لرؤية رواية ، وانما صور ومشاهد ولوحات دينية ٠

— أن هيرودوت لم يقدم نصا مسرحيا مصريا قديما واحدا على الرغم من اشارته الى وجود مسرح مصرى ٠

— ولم يحدث أن تكلم أحد من الكتاب أو العلمـــاء أو الفلاسفة اليونانيين ، عن صور مسرحية مصرية تقارن بالموجود ببلادهم ، وقد كانوا يحضرون الى مصر كثيرا ، للبحث والدراسة والرحلة والأخذ عن الكهنة ٠٠ « ومنهم من عاش بمصر حقبة طويلة مثل الفيلسوف فيثاغورث الذى عاش فى مصر وبالذات فى معابدها ٢٢ سنة تعلم من المصريين أسرارهم الدينية وطقوسهم وفلسفتهم »(١٠٦) ٠ ولو شاهد مسرحا مصريا ، لتحدث عنه ٠

— وحتى المعابد التى أقيمت بمصر فى العصرين اليونانى والرومانى ٠٠ وهى كثيرة ، لم يظهر بها أى أثر لمعرفة المصريين بالمسرح ، أو مكان العرض الخاص ، أو مواقع الممثلين أو النظارة ٠

— وحتى « لوحة ادفو » التى يتحدث فيها مساعد الممثل « امحب » عن نفسه ٠٠ فاننا يجب ألا نأخذها على عـلاتها ، أو من هـــذه الزاوية « المسرحية » فقط ٠٠ بل ان هناك من قام بترجمـــة نفس اللوحة ، ترجمة مختلفة تماما ، لكن « ٠ف دريوتون » الذى كانت فكرة المسرح مسيطرة عليه قد رأى أن ما يقوم به امحب يرتبط بهذه الفكرة بينما من الممكن أن يرتبط بنشاط آخر ومن ثم فهو « مجرد فرض غير واقعى يريد أن يستخلص منه بالظن - دريوتون - شيئا غير موجود »(١٠٧) ٠

— ولو كان هناك مثل هذا النشاط لذكره المصريون ، بوضـــوح ،

وصراحة ، وبدون مداراة كما ذكروا العشرات من الأنشطة الأخرى ، كبيرها وصغيرها ، خطيرها ، وحقيرها ٠٠ فأما القول بأنهم لم يذكروا ذلك ، لأن المثلين كانوا من الدهماء ، ولم تكن لهم أهميتهم الاجتماعية ، فهو قول غير مستساغ ، وغير منطقى ، وأما القول بالارتباط بالجانب الدينى فهو لا يبرر عدم ذكرهم له ، فقد ذكروا كثيرا جدا مما يرتبط بهذا النشاط وأما التعلل بأن هناك مالم يكتشف بعد ، فهو يضع المسألة كلها ، فى أمر الغيب ٠٠ مما يخرج به عن دائرة العلم ، اذ قد يكتشف ، وقد لا يكتشف أيضا ، والواجب أن تتناول الدراسة القائم فقط ، والقائم لا يقوم بوجود مسرح مصرى قديم٠٠ وانما طقوس دينية ، يمكن أن تعتبر نواة لمسرح دينى بدائى قديم عرفته كل شعوب الأرض بشكل أو بآخر !!

رابعا ـ رؤية خاصـــة

●● ٠٠ ترى ما موقف هذه الدراسة من الموضوع السابق ؟ هل ندن مع المؤيدين لوجود مسرح مصرى ، أم مع المعارضين ؟ وذلك من خلال رؤيتنا الخاصة ، القائمة على متابعة ما جاء فى بطـــون كتب الأثريين ، ومتابعة الاصدارات المسرحية الجديدة ، لا سيما تلك التى تعـــرف بالفن المسرحى بشكل عام ، وبخاصة من خلال موقف المسرح ٠٠ كأداة اعـــلامية ووسيلة اتصال جماهيرى عالية الكفاءة شديدة الأثر ، اننا نقدم رأينا أولا باختصار وتركيز شديدين٠٠ ثم نفصل مانقول ، تفصيلا يتناسب مع طابع هذا هذا الكتاب ، والغرض من هذه الصفحات ٠٠ ومن ثم فنحن نقول :

اننا نلفت النظر ـ أولا ـ الى ما ذكرناه فى كتاب لنا ، فى موضوع مشابه ٠٠ فى موقف مشابه مستفيدين فى ذلك ، بما طرحه صحفى مصرى قديم كان له اهتمامه الشديد بتاريخ مصر القديمة ، متابعة ودراسة وتأليفا(*) ٠٠ وذلك عندما قال فى معرض حديثه عن تاريخ الصحافة المصرية : « نعود بالنظرة التاريخية الى مصر القديمة ٠٠ أى ما يقرب من خمسة الاف سنة مضت ٠٠ ونسأل : هل عرفت مصر هذه الصحافة أو لم تعرفها ؟ ٠٠والجواب على ذلك أنه اذا أريد بالصحافة الصورة التى نراها عليها اليوم ، وهى اصدار صحف دورية مطبوعة لتذيع على الناس الثقافة السياسية والعلمية،

(*) هو الصحفى القدير الاستاذ عبد القادر حمزة باشا ٠

فمصر القديمة لم تعرفها لسبب ظاهر هو انها لم تعرف المطبعة والطباعة ، أما ان أريد بالصحافة معناها الأوسع ، وهى اذاعة التبليغات والاخبار فمن البديهى أنه كانت لدى الحكومة تبليغات وأخبار يهمها أن تذيعها على الرعية ، كانت لديها مثلا الأوامر التى تصدرها كل يوم تريد أن تخضع لها رعيتها ، وكانت لديها أخبار الانتصارات التى كان الملوك والقواد المصريون يحرزونها شرقا وغربا وجنوبا ، وكان يهمها أن تقف الرعية عليها وأن تقيم الاحتفالات لها ٠٠ الخ » (١٠٨) ٠

٠٠ اننا ـ بالمثل ـ نزعم أننا نستطيع كذلك أن نقـول أنه اذا أريد بالمسرح الصورة التى نراها عليه اليوم من معمار مسرحى خاص وديكور خاص واستخدام فنى للاضواء الكهربائية والحيل العصرية ، فضلا عن اعداد الصالات والقاعات وخشبة المسرح بمستوياتها المعروفة ، وبالاضـافة الى استخدام مؤثرات الصوت وغيرها ، والى التنـــوع الكبير فى الاتجاهات المسرحية ، وكذا نقل العروض اذاعيا وتليفزيونيا وتســجيلها على شرائط الفيديو ، أو تحويلها الى أفلام سينمائية أو وجود مسرح الاذاعة ، أو مسرح التليفزيون ٠٠٠ اذا أريد بالمسرح ذلك كله ، فمصر القديمة لم تعرفه ، ولم يكن لها أن تعرفه لأن هذه العناصر كلها من مبتكرات العصر وأدواته ، أما اذا أريد بالمسرح ٠٠ الفكرة نفسها ، وجوهر الفن المسرحى ، من حيث هو عرض درامى قصصى أو حدثى لأفكار واتجاهات ورؤى مهمة يقوم به من يناط بهم هذا العمل بأسلوب فى معظمه حوارى منظم بمشـــاركة أو بدون مشاركة من رواة ومنشدين ومرتلين وراقصين ، فى مكان معروف ومناسب، على مشهد ومسمع من جمهور معين ، فى وقت محدد ، ووفق قواعد وتقاليد معينة ٠ ٠اذا أريد بالمسرح مثل هذا فاننا نزعم أن مصر القديمة **قد عرفت بعض صوره ومشاهده وانماطه القديمة ، التى بدأت ـ كمعظم أدوات ووسائل الاتصال الأخرى ـ دينية الطابع ، ثم خرجت بعد ذلك الى المجالات الرحبة الأخرى ، وان احتفظت وقتا طويلا بقواعدها وتقاليدها الدينية ٠٠ عرفت البعض ، والبعض فقط ، ولم تعرف كل شىء عنه ، الا ما كان مناسبا للفكر المصرى فى وقت ، او فى اخر ٠٠ وقد كان فكرا متطورا ، غير ثابت ، بحال من الأحوال ٠**

ومعنى ذلك أننا نقف ـ من خلال هذه الدراسة ـ مع أصحاب الرأى

الأول ، مع المؤيدين لوجود مسرح مصرى ، ونؤيد معظم ما جاء من أقوالهم فى هذا السبيل ، أكثر مما نقف مع أصحاب الرأى الآخـــر المعارض لهذا الوجود ٠٠ بل اننا نضيف الى أسباب تأييدنا لأصحاب الاتجاه الأول ، فى معظم ما قالوه ، ومما يؤيد موقفنا بقيام هذه الصور والمشاهد المسرحية ، أو هذه الأشكال المسرحية التى كانت كاملة فى أحيان كثيرة ، ينقصها الكثير فى أحيان أخرى ـ وحتى اليوميوجد الصحيح ، والأقل صحة ، وغير الصحيح يوجد المسرح الكامل والمنقوص ـ نضيف هذه النقاط كلها :

١ ـ أن بذرته كانت موجودة فى التربة المصرية منذ العصور السحيقة نفسها ، اذ يرى بعض رجال الآثار ومؤرخى الفن ، أن عددا من فخاريات حضارة نقادة الأولى ، ظهرت عليها صـــور ونقوش بعض الراقصـــين والراقصات ، يرقصون فرادى وجماعات وهم « يؤدون حركات تمثيلية ويزين رجالهم رؤوسهم بريش طويل » (١٠٩) ٠٠ ومن المعقول والمقبول ، أن تنمو هذه البذرة خلال العصور التالية ٠٠ لتثمر فى النهاية قطوفا مسرحية على شكل من الأشكال ٠

٢ ـ ٠ ٠ولماذا نستبعد ذلك ـ الحركات التمثيلية المصورة على فخار حضارة نقادة الأولى ـ ومعظم مؤرخى المسرح ، ومتابعى قصته وتطوره بينهم شبه اجماع على أن هذه البذرة المسرحية ، قديمة قدم البشرية نفسها ؟ ان أحد هؤلاء ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ يقول فى مدخل واحد من أبرز الكتب المتصلة بالكتابة للمسرح : « بذرت على الانسان منذ أصبح كائنـــا اجتماعيا ، ومنذ بدأ العيش والعمل مع أناس أخـــرين فى قبيلة واحدة ، بوادر الحساسية الفنية والتفتح الشره لكل ما هو مسرحى » (١١٠) ٠٠

٣ ـ كما أن هناك شبه اجماع بين هـــؤلاء الباحثين فى مجـــالات الحضارات القديمة والآثار وتاريخ الفنون ، وتاريخ الآداب ٠٠ على أن معظم المجتمعات القديمة ، قد عرفت هذا النشاط ، لاسيما تلك التى قطعت شوطا على طريق الحضـــارة ٠٠ حيث كان المسرح يمثـــل « لازمة من لوازمهم » (١١١) ومن ثم ٠٠ وترتيبا على ذلك ، فانه يصبح من غير المعقول الا تكون الحضارة المصرية القديمة قد عرفته ، وهى الأكثر تقدما ، فى معظم مجالات الفكر والابداع ٠٠

٤ ـ واذا كان من الثابت أن عددا من الفراعنة كانوا يقيمون الشرفات المتسعة ، التى يجلسون فيها لاستعراض الجيوش ، أو الوفود أو الراقصين، كما كانت عندهم أبهاء العرض ، وصالاته وقاعاته الفسيحة ٠٠ ـ ولم يكن من المعقول أن يجلس الفرعون فى غير مكان مخصص له ـ ٠٠ فلماذا نستبعد أن يكون هناك مثلها ، للعارضين ، والراقصين ، والمرتلين ، المنشـــدين ، وغيرها للنظارة أكثر اتساعا ، ورحبة ، وتتناســـب فى ذلك طابع العرض ، والمناسبة ، والاقبال الجماهيرى عليها ٠

٥ ـ بل ان هناك من الاتجاهات الفنية العديدة ، القديمة والجديدة معا ، ما تقول بعدم أهمية وجود دور عرض مناسبة كما يمكن وجود المسرح المتنقل ، والعائم ومسرح القرية كما يمكن الأداء « فى الهواء الطلق ، فى الساحات أو على قارعة الطريق(*) » (١١٢) ٠٠ وتعـــود بعض مشاهير المخرجين الوطنيين انتهاج هذا الأسلوب ومن بينهم على سبيل المثال المخرج البوليفى ل٠ فورتى « فقد عود نفسه على العمل فى ظروف سيئة للغاية ، وبموارد جد ضئيلة وعمد الى تقديم عروضه فى أى مكان يجده ، بل وفى الهواء الطلق ، وأخرج مسرحيات فى جبال لم تصل اليها الكهرباء بعـــد ليشاهدها عمال مناجم التصدير » (١١٣) كما لم تعرف العصور الوسطى الأوربية اثرا لمبنى مسرحى ، على الرغم من وجود الفن نفسه ٠

٦ ـ وبالمثل فان عدم ذكرهم للمسرح على اثارهم ، بما يتصل به من معالم وملامح ، وممثلين ، وأداء واخراج ٠٠ بأسلوب مباشر وصريح ٠٠ لا يعنى ذلك عدم معرفتهم بالمسرح ، فكرة ، وتنفيذا ، على مثل هذه الأشكال السابقة ، أو غيرها ، ولا يصح أن يؤخذ دليلا يقف الى جانب أصحاب الرأى المعارض ، فليس شرطا أن يذكروا ذلك كله صراحه ، أو بأسلوب مباشر ، لأن هناك الكثير الذى ذكروه ، والكثير الذى لم يذكروه أيضا وذلك مثل :

(*) ربما يؤيد ذلك ـ العرض فى غير صالة المسرح التقليدية ـ بعض الاتجاهات الحديثة جدا ، مثل مسرح السوق ومسرح قارعة الطريق فى الاتحاد السوفييتى والمسرح الشعبى فى أمريكا اللاتينية والهند والصين وفى مصر قامت « الثقافة الجماهيرية » أحيانا ، و « المسرح العمالى » فى أحيان اخرى بمثل هذه العروض ٠٠ كما عرضت بمصر عروض مسرحيات وعروض أوبرا عديدة عند سفح الهرم وبالكرنك وغيرهما ٠

« بعض جوانببناء الأهرامات ـ بعض الذى يتصل بالعقائد الدينية ـ طبقات المجتمع المصرى ـ بعض معاركهم الحربية ٠٠ الخ » ٠٠ ثم ان هناك ما يقوم به العقل العلمى التحليلى من فروض وقياس وتحليـــل ومقارنة واختبــــار للشواهد ،واستنباط للنتائج ٠ ٠ويكفى فى ذلك بعض الشواهد القليلة التى أعلن عنها حتى الآن ، والتى ذكرنا بعضها بما يتسع له المقام ٠٠ حتى ندرك معرفتهم بهذا الفن ، أو ـ على وجه الدقة ـ ببعض صوره ، ومضيهم فى ذلك الى حد معقول وطيب ٠

٧ ـ ولقد عرفنا أشياء كثيرة عن مصر القديمة مما جاء ذكـره فى كتاب « هيرودوت » بعضها صدقناه لأن المنطق نفسه والشواهد ذاتها يقفان الى جانب تصديقه ، وبعضها الآخر لم نصدقه ، لأن المنطق نفسه والشواهد ذاتها يقفان الى جانب عدم تصديقه ، ولم يكن فى حديثه عن المسرح ما يمكن أن يجعله يندرج تحت الجانب الثانى ، فهو « غير خلافى » ٠٠ ولو لم يعرف عن أجدادنا ، أو يشاهد أو حتى يسمع عن ذلك من الكهنة ، لما كان قد ذكره ، أما عن أنه لم يقدم من الشواهد ما يؤيد ذكره لمعرفة آل فرعون بالمسرح ، فلا يصح أن يتخذ قرينة تؤيد عدم معرفتهم به ، لاسيما وأن الكثير مما ذكر ٠٠ جاء فى اختصار شديد ٠٠ وأحيانا فى كلمات قليلة جدا ٠٠ فهل يعنى ذلك عدم وجودها ؟

٨ ـ وأما عن أن أحدا من علماء وفلاسفة اليونان الآخـــرين الذين درسوا بمصر ، أو تتلمذوا على أيدى كهنتها ٠ ٠ومع ذلك لم يذكروا شيئا عن رؤيتهم للمسرح المصرى ، فربما كان اهتمامهم بجوانب علمية أخرى ، قد غطى على اهتمامهم بصور ومشاهد كثيرة مصرية ، وربما لم يكن عندهم الوقت لمشاهدة مثل هذه العروض ، وربما لتكرار صوره ببلادهم أو لأنه لم يلفت أنظارهم اليه ٠٠ ثم ان هؤلاء لم يذكروا لنا كثيرا عن جوانب الحياة المصرية ، والمجتمع المصرى فى هذه الأوقات ، اللهم الا نادرا ، فقد كانت « مهمتهم » العلمية ، فى الدراسة والنقل عن علماء وكهنة مصر ، هى شغلهم الشـــاغل ٠٠

ثم ان قلة منهم هى التى اعترفت بنقلها وأخذها عن العلم المصرى ٠٠ وتحدثت عن ذلك ، بوحى من ضمير العالم ، وصدقه ، وأما الكثرة فلم تفعل

ذلك ٠٠ فلماذا ننتظر من هؤلاء الحـــديث المفصــــــل عن صور الحيـــاة المصرية ٠٠ كلها ؟

٩ - بل اننا نرى ٠٠ أن عددا من أبرز وجوه « الحركات المسرحية » ٠٠ وألوان « المحاكاة » وصور « التأثير » عن طريق حركات الوجه والأعضاء والرأس واليدين ٠٠ كان لها وجودها القوى فى الحياة المصرية التى عرفناها فى ممارسة تقاليد الوفاة ، والدفن ، ومحاكمات الموتى ، والأحياء وطقوس الكهنة وحفلات بيوت الأثرياء وولائمهم (الخادمات يقمن بالرقص التعبيرى الحركى أمام الضيوف بما يذكر بما كان يفعله جـــوارى العصر العباسى فى بيوت الخلفاء والوزراء وكبار التجار) ٠٠ ثم من الذى يستطيع أن ينكر أن « الفلاح الفصيح » كان له حضوره المسرحى ، وموهبته التمثيلية ، وفن أدائه الذى استخدمه استخداما وظيفيا ناجحا وهو يعرض شكاياته ، واحدة فى اثر أخرى لقد كان هذا الفلاح ، يقترب بشدة من الفنان المسرحى « الشامل » ٠٠ الكامن فى أعماقه ، اننا نزعم أن الفلاح الفصيح ، كان - بالفطرة - مؤلفا وخطيبا وممثلا ٠٠ فى آن واحد !!

١٠ - حتى بالنســـبة لهؤلاء الذين يقولون بأن المسرح ليس من النوع الاعلامى البحت لأن هناك صوره الأخـــرى ، التوجيهية ، والارشـــادية ، والساخرة ، وتلك التى تعنى بحشد الجماهير وتنظيمها ، وتعبئة الرأى العام، بينما المسرح فى جانبه الاعلامى يتمثل فى العرض المسرحى لقصص الأحداث والوقائع والرواية المسرحية لها ٠٠ أقول حتى بالنسبة لهؤلاء ، وعلى الرغم من عدم موافقتنا على فكرتهم هذه ، لأن التوجيه والارشاد والنقد الساخر والكوميديا ولأن الحشد وتعبئة الرأى العام ، جميعها ، وأكثر منها ، وظائف اعلامية اتصالية ثابتة ، ومقررة ومع ذلك ، فخذ عندك هـــذه الطائفة من المسرحيات « الاعلامية الاخبارية الحديثة » ٠٠ كلها ، وفقا لمفهوم هؤلاء ، والتى ثبت أن عروضها كانت تجرى بأكثر من مكان : (منها ما أشرنا اليه) « هزيمة أبوفيس الشاملة - معركة تحوتى ضد أبوفيس - ايزيس وعقاربها - حور وقد لدغه العقرب - انتصار حور على أفراس النهـــر » ٠٠٠ وحتى المسرحية « الأم » أيزيس وأوزيريس ٠٠ وصراعهما ضد ست ٠٠ الا تقوم على حادثة قتل أسطورية تاريخية كبرى ؟ ٠٠ أى أن بها كل متطلبات المسرح « الاعلامى » ٠٠ الذى يقول به هؤلاء ؟

●● مصادر الباب الخامس ومراجعه :

(١) المقرى الفيومى : « المصباح المنير » جـ ٢ ص ٧٦٢ ، اللام مع الغين وما يثلثهمـا ·

(٢) الرازى : « مختار الصحاح » ص ٥٩٣ باب الواو والياء فصل اللام ·

(٣) حسين سعيد وآخرون : « الموسوعة الثقافية » ص ٨٤٧ ·

(٤) كريم زكى حسام الدين : « المحظورات اللغوية » ص ١٣ ·

(٥ ـ ٦) عبد العزيز شرف : « اللغة الاعلامية » ص ٣٧ ·

(٧) وديع فلسطين : « مقدمة الى وسائل الاتصال » مترجم عن ٠ن واكين ، ص٠٣·

(٨) محمود أدهم : « مذكرات فى تاريخ الاعلام » مذكرات غير مطبوعة لمحاضرات قدمت بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض والجامعة العمالية بالقاهرة·

(٩) و· لانجر : « موسوعة تاريخ العالم » جـ ١ ص ٤٦ ·

(١٠) اندريه ايمار وزميله : « تاريخ الحضارات فى العالم » ص ١٢٧ ·

(١١ ـ ١٢ ـ ١٣) عبد المحسن بكير : قواعد اللغة المصرية فى عصرها الذهبى » من المقدمة ص ١ ·

(١٤ ـ ١٥ ـ ١٦ ـ ١٧)محمد عبد القادر محمد وزكى اسكندر : « الموسوعة الاثرية العالمية » مترجم عن ٤٨ عالما اثريا ، اشراف ليونارد كوتريل ص ٧٣٨ ·

(١٨) محمد بدران : « قصة الحضارة » مترجم عن : ول ديورانت ، مجلد ١ ج ٢ ص ١٠٨ ·

(١٩) محمد على كمال الدين : « الشرق الاوسط فى موكب الحضارة » جاص١٦٩

(٢٠ ـ ٢١) محمد عبد القادر وزكى اسكندر :«الموسوعة الاثرية العالمية »ص٧٣٥

(٢٢) اندريه ايمار وزميله : « تاريخ الحضارات فى العالم » ص ١٢٧ ·

(٢٣) حسين سعيد وآخرون : « حضارة مصر والشرق القديم » ص٧٢ ، ٧٣ ·

(٢٥) المصدر السابق ص ٧٣ ·

(٢٦) حسين سعيد وآخرون : « الموسوعة الثقافية » ص ١٠٤١ ·

(٢٧ ـ ٢٨) نخبة من العلماء : « تاريخ الحضارة المصرية » المجلد الثانى ـ العصراليونانى والرومانى والعصر الاسلامى ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ ·

(٢٩ ـ ٣٠) محمد صقر خفاجة : « هيردوت يتحدث عن مصر » مترجم عـــن هيرودوت ، ص ١٢٤ ، ١٢٥ والتعليق للدكتور أحمد بدوى ·

(٣١ ـ ٣٢ ـ ٣٣) م· عبد القادر وزكى اسكندر : « الموسوعة الاثرية العالمية » ص ٤٢٧ ·

(٣٤) ابراهيم رزقانة وآخرون : « حضارة مصر والشرق القديم » ص٧١ .

(٣٥) أمين سلامة: « الحياة اليومية عند قدماء المصريين » ص ١٦٦ .

(٣٦) عبد المحسن بكير : « قواعد اللغة المصرية فى عصرها الذهبى » ص ٣ .

(٣٧) ادارة الترجمة بوزارة المعارف : « تاريخ العالم » مترجم عن سيرجون هامرتين ص ٣٦٦ .

(٣٨) محمد بدران : « قصة الحضارة » مترجم عن ول ديورانت ، ج ٢ ، مجلد ١ ص ١٢٧ .

(٣٩) محمد حماد : « التصوير فى التراث المصرى القديم حتى العهد القبطى » ص١٤

(٤٠) سيد توفيق : « تاريخ الفن فى الشرق الادنى القديم » ص ١٣٨ .

(٤١) المصدر السابق ص ١٤١ .

(٤٢) أحمد بدوى : « فى موكب الشمس » ج ١ ص ١٣٧ .

(٤٣) المصدر السابق ص ١٣٨ ، ١٣٩ .

(٤٤) أحمد فخرى : « الاهرامات المصرية » ص ١٦ .

(٤٥) محمد أنور شكرى : « الفن المصرى القديم » ص ٥٣ .

(٤٦) محمد صقر خفاجة : « هردوت يتحدث عن مصر » ص ٢٥٣ .

(٤٧ ـ ٤٨) محمد حماد : « التصوير فى التراث المصرى القديم » ص ٣٨ .

(٤٩) C.S. Steinberg : "The Communicative Arts", p. 1.

(٥٠) على عبد الواحد وافى : « نشأة اللغة عند الانسان والطفل » ص ٧ .

(٥١) عبد العزيز صالح : « الشرق الادنى القديم » ج ١ ص ٣٦ .

(٥٢) أحمد فخرى : « انتصار الحضارة » مترجم عن ج. هـ. برستيد ص ٨١ .

(٥٣ ـ ٥٤) محمد عبد القادر وزكى اسكندر : « الموسوعة الاثرية العالمية » مترجم عن نخبة من علماء الاثار ص ٦٢ .

(٥٥) على حافظ : « روايات وقصص مصرية » مترجم عن ج. لوفيفر ص ٤ .

(٥٦ ـ ٥٧) أحمد فخرى : « مصر الفرعونية » ص ٣٨٠ ، ٣٧٨ .

(٥٨ ـ ٥٩ ـ ٦٠) محمد بدران : « قصة الحضارة » مترجم عن ول ديورانت ج ٢ ، مجلد ١ ص ٥٧ ، ٥٨ .

(٦١) أحمد فخرى : « مصر الفرعونية » ص ٢٧٧ .

(٦٢) محمد عبد القادر : « آثار الاقصر » ص ٧٩ ـ ٨٠ .

(٦٣ ـ ٦٤) محمد على كمال الدين : « الشرق الاوسط فى موكب الحضارة » ١٢٨ ، ١٢٩ .

(٦٥ ـ ٦٦) محمد بدران : « قصة الحضارة » مترجم عن ول ديوارنت ج ٢ مجلد ١ ص ٥٨ ٠

(٦٧) المصدر السابق ، ص ٦٢ ٠

(٦٨) العلامة أحمد المقرى الفيومى : « المصباح المنير » ج ١ ص ٢٣٦ الخاء مع الطاء وما يثلثهما ٠

(٦٩) الامام محمد الرازى : « مختار الصحاح » ج ١ ص ٢٥ ، باب الباء ، فصـل الخاء ٠

(٧٠) مجد الدين الفيروزابادى : « القاموس المحيط » ج ١ ، ص ٦٥ فصل الخاء ، باب الباء ٠

(٧١) حسين سعيد وآخرون : « الموسوعة الثقافية » ص ٤٢٥ ٠

(٧٢) لويس شيخو اليسوعى : « علم الخطابة » ص ٧ ٠

(٧٣) أحمد محمد الحوفى : « فن الخطابة » ص ٩ ٠

(٧٤) عبد الجليل شلبى : « الخطابة واعداد الخطيب » ص ١٣ ٠

(٧٥ ـ ٧٦) محمد أبو زهرة : « الخطابة » ص ٤ ٠

(٧٧) عبد الرزاق يسرى : « الرومان » مترجم عن ر٠ هـ٠ بارو ص ٦٦ ٠

(٧٨) لويس شيخو اليسوعى : « علم الخطابة » ص ٩ ٠

(٧٩) محمد أبو زهرة : « الخطابة » ص ١٥ ٠

(٨٠) احسان النص : « الخطابة العربية فى عصرها الذهبى » ص ٣٠ ٠

(٨١) أحمد محمد الحوفى : « فن الخطابة » ص ٤٦ ٠

(٨٢ ـ ٨٣) عبد الجليل شلبى : « الخطابة واعداد الخطيب » ص ٣٥٧ ، ٣٧٤ ٠

(٨٤ ـ ٨٥) سليم حسن : « فجر الضمير » مترجم عن ج٠ هـ٠ برستيد ،ص٢٢٣٠

(٨٦) نجيب ميخائيل ابراهيم : « الحياة اليومية فى مصر القديمة » مترجم عن آلن شورتر ص ٤٩ ٠

(٨٧) محمود أدهم : « ماجريات الصحف » ص ٤٧ ٠

(٨٨) عبدالعزيز صالح : « التربية والتعليم فى مصر القديمة » ص ٨١ ٠

(٨٩) على حافظ : « روايات وقصص مصرية من العصر الفرعونى » مترجم عن ج٠ لوفيفر ص ٩٢ ٠

(٩٠) أحمد أمين وزكى نجيب محمود : « قصة الادب فى العالم » ص ٢٢ ٠

(٩١) عبد العزيز صالح : « الشرق الادنى القديم » ص ٢٠١ ٠

(٩٢) على حافظ : « روايات وقصص مصرية » مترجم عن ج٠ لوفيفر ص٢٢ ٠

(٩٣) سليم حسن : « فجر الضمير » مترجم عن هـ٠ج برستيد ص ٢٠٠ ـ ٢٠١ ٠

(٩٤) درينى خشبه : « فن الكاتب المسرحى » مترجم عن ر.ب. بسفيلد الابن ص ٥٧ .

(٩٥) سامية أحمد أسعد : « فن المسرح » مترجم عن أ. أصلان ، جـ ٢ ص٧٤١ .

(٧٦ ـ ٩٧) المصدر السابق : ص ٨٢ ، ٨٤ ، عن « شيلر » .

(٩٨ ـ ٩٩) درينى خشبه : « فن الكاتب المسرحى » م . سابق ، مترجم عن : روجر م.بسفيلد الابن ، ص ٩٥ .

(١٠٠) عمر الدسوقى : « المسرحية » ص ١٤ .

(١٠١) ثروت عكاشة : « المسرح المصرى القديم » مترجم عن أ. دريوتون ص٨ .

(١٠٢ ـ ١٠٣) سليم حسن : « فجر الضمير » مترجم عن ج. هـ. برستيد ، ص ٤٨ ، ٤٩ .

(١٠٤) المصدر السابق ، ص ٥١ .

(١٠٥) ثروت عكاشة ـ دريوتون ، مصدر سابق ص ٦٢ ، ٦٣ .

(١٠٦) عبد المحسن الخشاب : « التياترو القديم » ص ١٣ .

(١٠٧) المصدر السابق ، ص ١٨ .

(١٠٨) كمال مصطفى : « الصحافة والادب فى مائة يوم » من محاضرة للاستاذ عبد القادر حمزة باشا ، ص ٨٩ .

(١٠٩) عبد العزيز صالح : « الشرق الادنى القديم » جـ١ ، ص ٥١ .

(١١٠ ـ ١١١) درينى خشبة : « فن الكاتب المسرحى » مترجم عن : ر. بسفيلد ، ص ٤٢ ، ٤٩ .

(١١٢ ـ ١١٣) مجلة « رسالة اليونسكو » العدد ٢٦٣ ، عدد خاص : « المسرح عبر العالم » من الافتتاحية ، ومن مقال لـ : « أوجستو بوال » .

الباب السادس

لمن ؟

وبأى تأثير ؟

الفصـــل الأول

الإعـــــلام لمـــن ؟

المســـــتقبل

بعد هذه الرحلة الطويلة ـ وليست الكاملة أو المتكاملة فمازال الكثير يعوزها ـ مع الوسيلة ، التى تحمل الرسالة الاتصالية الاعـلامية المصرية القديم ، على أى شكل من اشكالها ، أو نوع من أنواعها ، أو مـــادة من موادها ، أو فن من فنونها ٠٠ كتابة أو نقشا أو رسما أو تصويرا أو نحتا ، أو بعض هذه معا ٠٠ بعد هذه الرحلة ، نتوقف خلال السطور والصفحات القادمة عند الاجابة عن سؤال أســـاسى ومهم ، يرتبط بالعنصر الرابع من عناصر العملية الاتصالية القاعدية أو الأنموذجية التى أشرنا اليها من قبل ـ خلال الباب الأول ـ سؤال يقول :

وماذا عن « المستقبل » ؟ وحيث لا رسالة ، ولا عمل ، ولا إتصال بدونه ، تماما كما أنه هو نفسه « المتلقى » ٠٠ وهو أيضا « جمهور الرسالة» على أى شكل من أشكالها أيضا ، أو نمط من أنماطها ٠٠ وما الى ذلك كله ، وحيث يكون هو « المستهدف » الأول ٠ ٠من هذا العمل الاتصالى الاعلامى كله ٠٠٠٠ والذى بدونه لا تكتمل جوانب ، أو عناصر أو أركان هذا العمل ٠

اننا نتناول هذا الجانب المهم ، من خلال التوقف عند عدد من النقاط التى تجمع بينها الصفحات القادمة ٠٠

المبحث الأول

أنواع من المســـتقبلين

٠٠ ولعل خير طريقة للوقوف على « المستقبل » المصرى ، للرســالة الاتصالية الاعلامية القديمة ، هى تلك التى تشير بها علينا دراسات المراجع المختلفة ، لعناصر المجتمع المصرى ، على اختـــلافها ، لكننا نقول بادىء

ذى بدء ·· أن وقوفنا عند هذه العناصر المجتمعية ، لا يعنى نهاية المطاف فى تناولنا لهذا الموضوع ·· وانما نقدم رؤيتنا الخاصة لها ، من زاوية اعلامية اتصالية كاملة ·· تماما كما اننا نقول قبل الخوض فى تفاصيل هذا الموضوع :

ـــ أنه لابد من متابعة هذا الموضوع فى ضوء الصفحات والسطور السابقة التى تحدثت عن أنواع الاعلام المصرى القديم ·· العـــام والمهتم والمتخصص ·

ـــ وبالاضافة الى السطور التى تحدثنا فيها عن بعض طبقات هذا المجتمع ، لاسيما الوزراء ، وحكام الأقاليم ، وكبار الموظفين ·

ـــ ومع الأخذ فى الاعتبار ، وانطلاقا من اهمية هذا الموضوع ، لاسيما فى جانبه الثانى ـ الرأى العام فى مصر القديمة ـ فاننا باذن الله ، سوف نعود اليه مرة أخرى فى دراسة مفصلة ، تستبين معالمه ، وتحـــدد تفصيلا أهم ما يتصل به من ملامح وأبعاد ·· ثم ماذا ؟

·· اننا قبل الحديث الخاص بنا عن عناصر أو طبقات المجتمع المصرى القديم ، والتى هى أيضا جمهور الوسيلة وجموع المستقبلين ·· نشير الى بعض التقسيمات المهمة والتاريخية له ··

● أما عن أكثر التقسيمات التاريخية شهرة · فهو تقسيم المؤرخ القديم المعروف « **هيرودوت** » ·· والذى يقسم طبقات الشعب المصرى الى سبع : الكهنة والمحاربون والرعاة أو رعاة الخنازير والتجار والمترجمون والفـــلاحون ·

● ويقسمهم « **ديودور الصقلى** » الى ثـــلاث فقط هم : الرعاة ، والفلاحون وأصحاب الحرف ··

● أما أبرز التقسيمات الأخرى ، والحديثة ـ معا ـ فهى تلك التى تقول أن الشعب المصرى كان يتكون من : الفلاحون ، الصناع ، الكهنة ، الموظفون ، التجار ·

● ·· ذلك كله بينما نفضل أن ينطلق تقسيمنا من مفهوم أكثـــر

اتساعا ·· ينظر الى الجهور بمعناه الشامل ، وليس الى طبقاته الشعبية فقط ، ينظر الى كل من يمكن أن توجه اليه رسالة اتصالية ما ، وأن يكون من المستهدفين الذين يضعهم موجه الرسالة ، أو كاتبها ، أو الآمر بها ، أو منفذها ·· على أى شكل من أشكالها ، يضعهم هذا الموجه فى مجـــال اهتمامه · وعنايته ·· ومن ثم ، فان الدائرة تتسع لتشمل هـــذه الأنواع المهتمة ، المتابعة كلها ، بصرف النظـــر عن درجات اهتمامها أو متابعتها المختلفة ، حتى وان كانت متابعة هامشية ، أو للصور أو النقوش فقط ، فجميعها تعتبر من بين الأشكال والأنماط الاعلامية المختلفة ·· انهم : « علية القوم ـ كبار الموظفين ـ الكهنة ـ الموظفون العاديون ـ الأطباء ومن اليهم ـ التجار ـ العسكر ـ المعلمون والطلاب ـ الصـــناع ـ الكتاب ـ الفنانون ـ الفلاحون ـ الصيادون ـ الرعاة » ·

● ·· والآن لنتوقف قليلا عند عدد من أبرز هؤلاء ، نقدمهم على سبيل المثال لا الحصر ، ماداموا هم « الحقل الخصيب » الذى تبذر فيه البذرة الاعلامية لتنمو شجرتها ، وتورق وتقدم أطيب الثمار المرتجاة ··

١ ـ أما « **علية القوم** » الذين نقصدهم بهذا التعبير ·· فهم فئات « عليا » مختلفة ، وانما تعتبر من أبرز وأهم الفئات المتابعـــة ، لأنماط الاتصال المصرى القديم ، على كافة أنواعها وأشكالها تماما كما أنهم من أبرز « الآمرين » بالاتصال ، الموجهين له ، القائمين عليه ، المنفقين من أجله ·· وعن سعة وثراء كبيرين ·· بل لعلنا نقول أيضا أن بعض أنواع الرسائل الاتصالية المختلفة كانت تدور داخل دائرتهم « الذهبية » ·· وتمر بأبراجهم « العاجية » ·· تنطلق منهم أولا ، الى أمثالهم ، ·· أى منهم واليهم ، ·· وعموما فان هذاالعنصر البشرى « المتميز » ينقسم الى عدة فئات أو فروع قمنا بالاشارة اليها عند حديثنا عن « الآمرين بالاتصال » ومن أبرزها : « أفراد البيت الملكى ـ الأمراء والأميرات كبارا وصغارا ـ أقارب الملك وأصهاره ـ أقارب الأمراء وأصهارهم ـ المقربون من الملوك والأمراء من الكهنة والقادة والمفكرين والمهندسين » ·

٢ ـ وأما عن **كبار الموظفين** ، فبالاضافة الى ماذكرناه عنهم من قبل ومن أنقسامهم الى الوزراء ، وحكام الأقاليم ، وبعض الفئات الأخرى ، من الآمرين والمخططين للاتصال فاننا نركز على بيان بعض عناصر الطبقـــة

الأخيرة بالذات ، لنقول أنهم كانوا يمثلون وظائف عديدة ، سبق أن ألمحنا الى عدد من أبرزهم من أمثال : « موظفو البلاط الملكي ــ كبـــار موظفي القصر ــ حاشية الملك » ٠٠ ونفصل هنا ونضيف كذلك بعض الوظائف أو المناصب الأخرى التى كان يمثلها هؤلاء ، ومن ثم كانوا فى نفس الوقت من أبرز عناصر « جمهور » الرسالة الاعلامية ، عامة ، ومهتمة ومتخصصة: « كبار موظفى ادارة الهيئات الملكية ــ كبار موظفى ادارة البعثات والحملات ــ كبار موظفى ادارة السلاح ــ كبار موظفى ادارة الوثائق الملكية ــ كبار القضاة ــ السفراء ــ المشرفون على الخزانة ــ المشرفون على مخازن حبوب الملك ــ المشرفون على مخازن حبوب الملكة والأمراء ــ رؤساء الاستقبال ــ طبيب الملك ــ رئيس وزانى الذهب ــ الكاتب الملكى للمراسلات ــ رئيس مطابخ الملك ــ المشرف على الحريم الملكى ــ فلكى القصر ــ المربى الملكى ــ حامل علم الملك ــ ٠٠٠ الخ) ٠

٣ ــ **الكهنـــة** ٠٠ وقد أشرنا اليهم كذلك عند حديثنا عن « الاعلام الدينى ، فهم صـــناعه ، وهم مبتكروه ٠٠ وهم مـــن أبرز أنواع جمهوره « المتخصص » ٠٠ كما أنهم من أبرز أنواع جماهير الرسالة عامة ٠٠ فضلا عن كونهم يمثلون عنصرا يتداخل ويتشابك مع عناصر أخرى كثيرة لاسيما وقد كان من بينهم أحيانا القائد العسكرى ، والكاتب ، والمربى ، والأديب ، كما كانوا يمثلون أهم وأبرز « جماعات الضغط » والتأثير فى الرأى العام المصرى القديم بأنواعه المختلفة ٠ ٠ومن ثم فلم يكن من السهل على كل مصرى أن يكون كاهنا ، لأن مهمته خطيرة ، ودوره دقيق ، ومن ثم فهم يختارون بعناية ممن تتوافر فيهم شروط أولية٠٠كالوراثة والترشيح والعائلة المعروفة بخدمة المعابد وشراء الوظيفة بثمن كبير يدخل خزائن المعبد ، كما كانت تصدر أحيانا المراسيم بتعيينهم من جانب الملوك للامراء والأميرات وبعض رجال الحاشية لاحكام السيطرة الدينية أيضا ٠٠ تماما كما اختلفت درجات ورتب هؤلاء ، باختلاف أعمالهم ، من كبار الكهنة ، الى المرتلين ، الى كهان الروح الى المثقفين الى كتاب الطقوس الى كتاب التعاويذ الى المنجمين الى المنشدين والمنشدات ثم القاعدة العامة العريضة منهم والمتمثلة فى « المتطهرين » ٠٠ أقل الدرجات العاملة شأنا ، والتى تبدأ بها القاعدة ، كما أن هناك الذين ينتسبون الى الكهانة ، من مساعدين وحاملى أدوات ونزلاء طارئين وحراس معابد ، وعاملين على خدمة الكهنة وفى دور الصناعة والمناجم الخاصة بالمعابد ، وعمال النظـــافة ومن اليهم ٠٠ وجميعهم ٠٠

يمثلون هذا العنصر البشرى المهم ٠٠ الذى تتجـه اليه الرسـائل عامها ومهتمها ٠٠ بل ومتخصصها احيانا ٠

٤ - وأما عن الموظفين العاديين فهم يمثلون الدرجات التالية لدرجة كبار الموظفين من العاملين بالادارات المختلفة ٠ ٠ملكية وحكومية ٠٠ من تلك التى أشرنا اليها سابقا ، ومن غيرها أيضا ، وواضح أن هؤلاء يبلغ عددهم أضعاف عدد كبارهم ، حيث ينتشرون على مساحات كبيرة من الأعمـال « الوسطى » ٠٠ والمساعدة ، والدنيا أيضا ، فهم يمثلون « الطبقة العاملة المصرية » خير تمثيل ينتشرون فى الادارات والمخازن والقصـور والمطابخ ودور الحفظ والوثائق والمراسلات الملكية ، أو تلك الخاصة بالأمراء والنبلاء أو بحكام الأقاليم كما ينتشرون فى الأماكن الرسـمية الأخرى كالمحاكم والمحاجر ، وفى الحقول أثناء جمع المحاصيل ٠٠ وفى كل مكان آخر يوجد به عمل وظيفى ما فاذا شئنا تحديد بعض هؤلاء - قطرة واحـدة من بحر كبير - فلقد كان من بينهم من كان يقوم بهذه الوظائف ، أو يتلقب بهـذه الألقاب : « رئيس الحمام المزدوج - الكتاب العموميون أو الرسميون - الكتاب القضائيون - مفتشو الأسـواق - العاملون بالأشـغال العامة - العاملون بمخازن حبوب الملك أو الملكة - المبخرون - وزانو الذهب الخاص بالقصور أو المعابد رؤساء خدم القصر الملكى أو قصور النبلاء أو حكام الأقاليم - موظفو الادارات المختلفة بالأقاليم السـتة الكبرى - العاملون بخزانة القصور - موظفو الاستقبال - الغزالون ورؤساؤهم من التابعين للادارات الحكومية - مساعدو المشرف على الحريم الملكى - الملاحظون بالادارات والدواوين المختلفة - حامل المروحة - حامل الحـذاء الملكى - ساقى الملك - ساقى الوزير - ساقى حاكم الاقليم - موظفـو الاحتفالات الملكية - ملاحظو الغلال - حامل الكرسى الملكى - ملاحظ القطعان - راعى القطيع الملكى - كتاب الموائد - موظفو الجبانات - ٠٠ الخ » الى غير هؤلاء جميعا مما يمثلون فى رأينا القاعدة الجماهيرية الأساسية لمستقبلى الرسالة الاتصالية الاعلامية المصرية القديمة ، وأكبر مساحة وظيفية ، تتجه اليها الأنماط المختلفة ٠

٥ - وأما عن الأطباء والعاملين بمجال الخدمة الصحية والصيدلة ٠٠ ومن اليهم ، من جمهور الرسالة الاعلامية العامة ٠٠ باقبالهم عليها على سبيل المعرفة والمعاصرة ، والرسالة المهتمة ، لأنهم الأقرب الى مجالها ،

والمتخصصة الطبية ‥ فهى كما قلنا - منهم واليهم - ‥ أما عن هؤلاء فقد كان عندنا منهم فئات عديدة ، متابعة لما يقال أو يكتب أو يرسم ، بل - وبسبب مستوياتهم العلمية والثقافية - متابعة بشدة أيضا ، وبنهم أحيانا ‥

على أننا نستطيع أن نحدد من بين هؤلاء ، وعلىسبيل المثال لاالحصر، هذه الفئات كلها : « طبيب الملك الخاص - طبيب الملكة الخاص - أطباء القصر الملكى - مساعدو الأطباء بالقصر الملكى - كبار الأطباء - أطباء الأقاليم - الأطباء السحرة - الأطباء الروحانيون - الأطباء من الكهنة الذين يعملون بالطب الكهنوتى - المدرسون بمدارس الطب - الأطباء الجراحون - الأخصائيون فى مجالات الطب المختلفة التى سبقت الاشارة اليها - أطباء الحكومة الآخرون - أطباء الجيش - أطباء المصانع - أطباء المحاجر - المجبرون - المولدات - أخصائيو الأسنان - مركبو الأدوية - الكهنة المختنون - مساعدات المولدات مساعدو المجبرين - المحنطون - صناع أدوات الجراحة - تلاميذ بيوت الحياة أو مدارس الطب ‥ » الخ ‥ بالاضافة الى هؤلاء فاننا نقرأ قول أحد المتابعين عن الأطباء فى مصر القديمة : « وقد جمع منهم جونكير حوالى المائة ودرس ألقابهم واستدل منها على وجود نظام هرمى فى درجاتهم » (١) ‥ ويضيف قائلا : « وهناك أيضا ما يدل على وجود مساعدين أو ممرضين أو أخصائيين فىالأربطة والتدليك. وكان يطلق عليهم اوت ، وكان البعض منهم للاحياء والبعض الآخر للموتى » (٢) .

٦ - **المعلمون والطلاب** ‥‥ وأما عن المعلمين والطلاب ، فمن الذى ينكر أنهما يمثلان - معا - فئة من أبرز وأهم جمهور وسائل الاتصال فى مجموعها ، التى تقبل عليها كلها ، وبنهم أحيانا ، ومن ثم يعمل لها «المرسل» ألف حساب وحساب ، بل تصدر الرسائل الاتصالية العديدة ، من أجلها وحدها فى أحيان كثيرة ، فاذا عرفنا أن مصر القديمة عرفت الأعداد والأنواع الكبيرة من المعلمين والطلاب ، الذين يتبعون المدارس المختلفة ، مدارس القصور ، والمدارس العامة والفنية والمتخصصة ، كما عرفت الكثير من مدرسى اللغة والحساب والأدب والأخلاقيات ، والفلك والتاريخ والزراعة والدين والعسكرية والمعلومات العامة، تماما كما كانت هناك المراحل التعليمية المختلفة ، التى أقبل عليها التلاميذ ، بالاضافة الى المناهج الخاصة بتثقيف الأمراء ، وأبناء المتصلين بالبلاط ، وأبناء البعثات الأجنبية ، والدول ذات

الصلات المختلفة بمصر ، لأدركنا على الفور ، الى أى حد من الأهمية ، كان هذا العنصر المتابع لمختلف ألوان النشاط الاتصالى الاعلامى ·· بل ان هذا العنصر ، كان يتغلغل فى أوساط كثيرة أخرى ، انطلاقا من وجود المدارس المتخصصة الدينية ـ مدارس المعابد ـ ودور الحياة ، والعسكرية ، والفلكية والطبية التى أشرنا اليها من قبل ، وغيرها ، وغيرها (*) ، وباتجاهه الى تعليم الفتى والفتاة معا ، أى أنه لم يقتصر على تعليم الذكور فقط ··

ونكتفى بهذا القدر من التوقف عند هذه الأنواع من المستقبلين وننتقل الى موضوع آخر هو :

المبحث الثـــانى

حول الرأى العام فى مصر القديمة

·· وكما ناقشنا قضية وجود أو عدم وجود خطابة مصرية قديمة ، على أى شكل من أشكالها ، وكما توقفنا لكى نتبين وجود أو عدم وجود مسرح قديم ، على أى نمط من أنماطه ، وكما يقوم كتابنا هذا فى مجموعه ليناقش وجود أو عدم وجود اعلام مصرى قديم ·· بشكل مباشر ، أو غير مباشر ، فاننا نتوقف خلال السطور القليلة القادمة لكى نجيب عن سؤال أساسى مهم هو : هل يمكن القول بوجود رأى عام مصرى قديم ؟

وفى سبيل تقديم الاجابة عن هذا السؤال ، فاننا سوف نتوقف عند أكثر من علامة واحدة ، من علامات الطريق ·· تلك هى :

أولا ـ الرأى العـــام ·· ماهو :

·· نعم ان الاجابة المنطقية والطبيعية على سؤالنا الكبير ·· هو أن نتوقف أولا ، عند ماهية الرأى العام ·· وسوف نعرض هنا عددا من أبرز

(*) للمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع ننصح الدارسين عامة ، والدارسين للاعلام التربوى خاصة بالعودة الى : عبد العزيز صالح : « التربية والتعليم فى مصر القديمة » ، أحمد بدوى ، وجمال الدين مختار « تاريخ التربية والتعليم فى مصر » ··

تعريفاته ومفاهيمه ، وعند أهم ما تقدمه من دلالات ونتائج ، تكون ذات فائدة واضحة ، في الاشارة الى موضوعنا ٠٠ نعم ، ان الرأى العام هو ٠٠ وباختصار شديد وعلى الرغم من قول بعض علماء الاجتماع ، بأن الرأى عام « مصطلح مائع وغامض ٠٠ » (٣) ٠٠ بل ووصل الأمر الى حد انكار وجوده بأسلوب مباشر ٠٠ ، بينما تتحدث معظم المؤلفات عن صعوبة وضع تعريف محدد له ٠٠ انه كما يعرفه الخبراء :

ـــ « يعنى بالرأى العام وبالرأى بالنسبة لبلد ما ولمجموعة من السكان رأى كل فرد ثم تجمع أراء الجماهير لتكون رأيا فى اتجاه معين هو الرأى العام » (٤) ٠

ـــ « ٠٠ يصبح الرأى رأيا عاما فى اعتبار الاعلام بمجرد التفكير فيه ثم تكراره فى مجموعة من السكان لها أهميتها فى بقعة معينة » (٥) ٠

ـــ « صورة مطابقة لوضع معين فى وقت محدد » (٦) ٠

ـــ « القوة الكهربية التى تصدر من الشعب كوحـــدة للتعبير عن حاجاته » (٧) ٠

ـــ « ميول الناس ازاء قضية ما حينما يكونون أعضاء فى نفس الفصيله الاجتماعية أو الجماعة المحلية » (٨) ٠

ـــ « تعبير جمع كبير من الأفراد عن أرائهم فى موقف معين أو يمكن استدعاؤهم للتعبير عن أنفسهم كمؤيدين أو معارضين لمسألة معينة أو شخص معين أو اقتراح مهم بحيث تكون نســـبتهم فى العـــدد مع الكثرة والاستمرار كافية للتأثير فى أفعالهم بطريق مباشر أو غيـــر مباشر تجاه الموضوع الذى هم بصدده » (٩) ٠

ـــ « مجموعة من الأفكار أو المعتقدات التى تكونها الشعوب عادة فى مسألة معينة وفترة معينة وتحت تأثير الجماعة » (١٠) ٠

ـــ « الحكم الذى تصل اليه الجماعة فى مسألة ذات اعتبار بعـــد مناقشات علنية وافية » (١١) ٠

ـــ « اصطلاح يستخدم للتعبير عن مجموعة من الآراء التى يدين بها الناس ازاء المسائل التى تؤثر فى صالح الجماعة »(١٢) ٠

— « الرأى العام ليس رأى الشعب بأكمله ، بل يصح أن نعتبره رأى طبقة لها الغالبية والقوة بين طبقات الشعب الأخرى » (١٣) ٠

— « رأى الطبقة المتوسطة فى الشعوب هو الرأى الغالب ، وهو فى العادة المتفوق على رأى غيره من الطبقات فى الشعب » (١٤) ٠

— « الفكرة السائدة بين جمهور من الناس تربطهم مصلحة مشتركة ازاء موقف من المواقف أو تصرف من التصرفات أو مسألة من المسائل العامة التى تثير اهتمامهم أو تتعلق بمصالحهم السائدة فى المجتمع » (١٥) ٠

— « الرأى العام هو مجموعة الآراء التى يدين بها الناس ازاء القضايا والموضوعات التى تهم الجماعة وتؤثر فيها » (١٦) ٠

— « الفكرة السائدة بين جمهور من الناس تربطهم مصلحةمشتركة ازاء موقف من المواقف أو تصرف من التصرفات أو مسألة منالمسائل العامة التى تثير اهتمامهم أو تتعلق بمصالحهم المشتركة » (١٧) ٠

— « الرأى الذى ينتج عن المؤثراتوردود الأفعال المتبادلة بين أفراد أية جماعة كبيرة من الناس » (١٨) ٠

ثانيا : تعـــريفات واضافة

أى انه باستعراض هذه التعريفات فى مجموعها ، والتى نقدمها هنا على سبيل المثال لا الحصر من كم هائل من التعـريفات التى وردت بكتب الاتصال ، والاجتماع والسياسة باستعراضها يتضح لنا أن هناك مجموعة من الملامح الأساسية المتفق عليها بين الباحثين فى هذه المجالات والمرتبطة بالرأى العام ، ومن أبرزها هنا ، وكذلك مما يمكن أن نستنتجه من التعريفات السابقة هـــذه كلها :

— أن الرأى موقف اختيارى يتخذه الفـرد ، ومن مجموع الآراء التى يتخذها الأغلبية ازاء مسألة مهمة ، أو قضية ذات شأن ونفع ٠٠ ينتج الرأى العـــام ٠

— أى أن التشاور ، واحتدام المناقشة ، والتحاور ، والجدل من صميم عملية تكوين الرأى العـــام ، لأنها تمثل التفاعل اللازم ، والاحتكاك المؤدى الى تكوينه ٠

ــ ومن الممكن أن) يكون هناك ـ فى مقابل الرأى العام المتفق عليه أو القابل ـ رأى عام مقابل ، وليس قابلا ٠٠ سلبى وليس ايجابيا ، رافض وليس موافقا ٠

ــ وهو كذلك ليس الرأى « الاجماعى » ٠٠ الذى يجمع عليه الكل، وانما هو الرأى « الجماعى » الذى ينتج من مجموع المناقشات بين المؤيدين بدرجاتهم ، والمعارضين بدرجاتهم أيضا ، ثم يحـــدث القبـــول الجماعى ، بدرجاته المختلفة ٠٠ وبما يتضمنه من قبول الاقلية لرأى الأغلبية ٠٠

ــ أنه لا يشترط ـ بصفة عامة ـ درجة من التعليم أو الثقافة ، أو الاقتصار على الكبار أو الصغار ، أو الرجال من دون النساء ، ٠٠ وهكذا ٠

ــ أن الجماعة قد تصل الى رأى جديد كان فى بادىء الأمر رأيا فرديا ثم تناولته بالمناقشة ، التى أسفرت عن صقله ، أو اضافة زاوية جديدة اليه ، أو تحويره أو تعديله ، حتى أصبح رأيا عاما ٠

ــ أن الرأى العام قد ينشأ نتيجة للتجارب القاسية التى تتعرض لها فئة من الفئات أو طبقة من الطبقات ، فى مجتمع ما ، فى وقت معين ، ومن ثم يطوقها هذا الرأىالجماعى المتفاعل والمؤثر ٠

ثالثا ـ أنوع الرأى العام وخصائصه

لا تكتمل المعرفة بالرأى العام ، دون التوقف عند عنصرين أساسيين يرتبطان به كل أرتباط ، ويتصلان به اتصالا وثيقا ٠٠

● **أما أولهما** ، فهو التعرف على « أنواع الرأى العام » ٠٠ فلعل هذا التعرف يقربنا من الاجابة عن السؤال المحورى المطروح ٠٠ هل عرفت مصر القديمة الرأى العام ؟ ومن ثم فاننا نتوقف عند أبرز هذه الأنواع التى تكاد تجمع عليها المراجعالمختلفة ، بما يتصل بها من تقسيمات مختلفة أيضا:

١ ـ **التصنيف طبقا لحجم الرأى العام وسعة انتشاره :** وهو الذى يقسمه تقسيما متدرجا يبدأ ـ جغرافيا ومكانيا ـ بالرأى العام المحلى ويتبعه الرأى العام القومى ، فالرأى العام الاقليمى فالرأى العام العالمى ٠

٢ ـ **التصنيف تبعا لحجم جماهيره او معتنقيه :** وهو الذى يقسمه الى رأى عام الأقلية أو رأى الاقلية ثم رأى الأغلبية ·· ويتبعه الرأى الساحق أو الرضى العام · والرأى الجامع أو الاجماع الكامل ·

٣ ـ **التصنيف على أساس المستوى الثقافي :** ويقسمه الى الرأى العام المنقاد (المنساق) والرأى العام المستنير والرأى العام المثقف ، والرأى العام القائد أو رأى الصفوة أو النخبة القائدة ·

٤ ـ **التصنيف تبعا للعنصر الزمنى :** ويقسمه الى رأى عام يومى ، ورأى عام مؤقت ، ورأى عام مستمر أو قائم ثابت ··

·· وهناك تقسيمات أخرى عديدة ، لكن من الواضح أن هذه أكثرها شهرة ، وتعبيرا عن هذه الأنواع ، ومساعدة ـ فى مجال التطبيق ـ فى الحصول على النتائج المنشودة ، تماما كما أن من الواضح ، أن لكل قسم من هذه الأقسام معالمه الواضحة ، التى تبرر اطلاق هذه التسمية عليه ، وهى مسألة لا تحتاج منا الى شرح ·· فجميع التقسيمات ومسمياتها واضحة كل الوضوح ··

● وأما الموضوع الثانى الذى نتوقف عنده ، فهو : « خصائص » الرأى العام ، أو أهم صفاته وهو موضوع يرتبط ارتباطا شديدا بالسطور السابقة ، كما يضيف اليها بعض علامات الطريق التى أسفر عنها جهد العلماء وراء سعيهم لوضع « قوانين » تحكم الرأى العام ، ويدور هو فى دائرتها ·· كما يضاف تلك الصفات العديدة ، المرتبطة بالمظاهر العامة للشخصية ، فى وقت من الأوقات ، فى بلد من البلاد ، أو بصفة عامة ، لا سيما ، المظاهر الايجابية والسلبية المرتبطة بتكوينه ونموه وفعاليته . موقفه من أهم القضايا المعاصرة ، المطروحة على الساحة ومن ثم ، فاننا وجدنا أن من أبرز هذه الخصائص :

ـــ أنه بطبيعته ـ الرأى العام ـ ساكن ، خامد ، كامن فى معظم الأوقات ·

ـــ وأن المشكلات الكبرى ، والاحداث العظمى ، والقضايا الملحة هى التى توقظه ، وتبرزه ·

— وأنه لابد من تصادم ، أو قلق ، أو خيبة أمل ٠٠ تعمل على اجتمـاعه ٠

— أى أن الرأى العام الجارى هو محاولة للتقليل من هذه المشاعر السـابقة ٠

— والرأى العام يحتاج الى مطابقته لرى الأغلبية وتمشيه معها ٠

— أنه لا يوجد رأى عام ثابت دائم لأنه لابد من التفاعل والحركة والنمو والا تحول الى عقيدة ثابتة أو قيمة أو عادة وهو مايتعارض مـع طبيعتـه ٠

— وأنه يتميز بوجود درجة عالية من الحساسية تجاه الاحـداث الخطيرة لاسيما القومية ٠٠

— وأنه يفصح عن نفسه تبعا لقوة الدافع أو العامل المؤثر ٠

— أنه يتأثر بعوامل عديدة ثقافية واقتصادية وتربوية ودينية وبيئية واجتماعية ٠

— كما يتأثر بقوة القادة والزعماء ووسائل الاعـلام وانتشارها وتغلغلها وأساليبها ٠

— وأن من الممكن أن تثور ثائرته ، وأن تهدأ أيضا ، بفعل الأحداث، والدعاية ، وتلك المؤثرات العديدة السابقة ٠

— والكوارث أيضا ، تؤثر فيه ـ محليا وقوميا ـ أكبر مما تؤثر فيه عوامل عديدة أخرى ٠

— وجماعات الضغط المختلفة ، من أحزاب وهيئات علمية وفنية ، ونقابات عمالية ومهنية وجمعيات وأندية ، وجمعيات تعاونية ٠٠ وغيرها يكون لها أثرها الكبير فى بعض الأوقات ، والذى يمكن أن يتضاءل معه أى أثر آخر فى بعض الأحوال ٠

ونكتفى بهذا القدر وننتقل الى موضوع آخر هو :

رابعا ـ صـــورة مصرية قـــدمية

٠٠ بعد أن عرفنا ماهية الرأى العام وأبرز أنواعه وأهم خصائصه٠٠ نصل الى ختام حديثنا عنه ، فى جانبه التطبيقى هنا ، لنعود الى السؤال المحورى نفسه ٠٠ اذا كان ذلك هو الرأى العام ، وهذه أبرز ســماته ، ومعالمه ٠٠ ما الذى عرفته منه مصر القديمة ، على أى شكل من أشكال هذه المعرفة ؟ بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ؟

وأقول ـ بادىء ذى بدء ـ ان مصر القديمة عرفت الرأى العام ، وكانت هناك صور عديدة لمعرفته من أبرزها على سبيل المثال لا الحصر :

١ ـ ذلك أن الأعمال الكبرى الضخمة التى قامت بها الطوائف المصرية العديدة من مهندسين ، وقاطعى أحجار وحمالين ونحاتين وبنائين (الأهرام والمعابد الكبرى) هذه كلها ، وغيرها من ألوان النشاط المصرى القديم تثبت وجوده فلولم يكن هناك ذلك الرأى العـــام المســتجيب لأفكار البنـــاء وفلسفته ٠٠ لـمـــا تمت هذه كلهـــا بالصورة التى جرت عليها ، وبنفس الدرجة من الحماس و « الرضى العام » ٠٠ وهو ما يفسد فكرة السخرة فى بنائها الى درجة كبيرة ٠

٢ ـ رحلات الكشف العديدة ، وارتياد الصحراء ، والبحثعن المناجم، ومواجهة البدو ٠٠ وجميعها ظلت قائمة طوال التاريخ الفرعونى ٠٠ من جهة ، ومن جهة أخرى كانت تتطلب الكثير من الأعمال الشاقة والمغامرة ٠٠ الى حد التضحية بالنفس والتى كان يقوم بها المغامرون المصريون ومعهم المئات من الأتباع ، وجميعها لم تكن تتم ، لو لم تكن هناك هذه الدرجة الكافية من الرأى العام الذى أحسن اعداده ، وأحسنت صياغته والتأثيرفيه٠

٣ ـ وقد تجلى الرأى العام المصرى بقوة فى مواقف عديدة ، نذكر من بينها على سبيل المثال لا الحصر ، ما يتصل بالأحداث التى وقعت خلال السنوات الأخيرة من الأسرة الرابعة خلال حكم « شبسكاف » من حركة ضد كهنة رع ، أيدها الرأى العام ، وان لم يكتب لها النجاح الكامل٠٠ثم محاولة هؤلاء ـ الكهنة ـ الاستفادة منه ٠٠ وتحقيق مصلحة عكسية انتهت باقناع الرأى العام المصرى بأن استيلاء هؤلاء على عرش البلاد انما كان شيئا

مقدرا منذ زمن بعيد وحيث يعلق على ذلك أحد الأساتذة قائلا : « سببت تلك الحوادث هزة كبرى لم يكن لمصر عهد بها من قبل اذ كانت بداية لزعزعة سلطة الجالس على العرش ،ومن السهل علينا أن نتصور أن تلك الحوادث جرت انقساما فى الآراء ، وان كلا من الحزبين المتنازعين أخذ يبذل كـــل مافى جهده لتأييد وجهة نظره والتغلب على حجج غيره » (١٩) ٠٠ وذلك على النحو الذى تحكيه قصة خوفو والسحرة ٠

٤ ـ بل انه فى أيام الأسرة الخامسة ، من السهل تتبع نشأة رأى عام مصرى قوى ، خاصة بالنسبة للمسائل الدينية ٠٠ وحيث لعب الكهنة دورا كبيرا فى هذا المجال ، بل وأدى الأمر الى ازدياد نفوذ عدد من الطبقات المصرية عامة ، ومن أعيان البلاد ، والأقاليم خاصة ، حتى أصبح هذا الرأى يعمل عمله فى مواجهةحتى الجالس على العرش نفسه ٠٠

٥ـ وازدياد شأن عقيدة « **أوزيريس** » خـــلال الاسرتين الخامســـة والسادسة ، وهى العقيدة التى لا تفرق بين النـــاس لثروتهم ، أو لفوارق اجتماعية بينهم ـ دليل علىتعاظموجود هذا الرأىالعام المصرى«المؤقتوالمثقف هنا معا » ببرامجه المحددة المنطلقة من هذه الافكار ، وبأهدافه القائمة عليها ٠٠ وهى تشبه الى حد كبير برامج الأحزاب السياسية الآن ٠

٦ ـ كذلك فقد ظهر الرأى العام المصرى القديم ، وأدى دوره أيضا ، عندما ساءت حالة مصر الى درجة كبيرة ، وربما الى مستوى لم تهبط اليه من قبل ، وذلك فى أواخر أيام الأسرة السادسة ، حيث انتج ذلك رأيا عاما مصريا ثائرا ، تناول هذه الاوضاع بالنقد المرير ، وأشعل روح الانتقام ضد أعدائه ، كما تتحدث عن ذلك بردية « ايبوور » ٠٠ وبردية « نفرتى » ٠٠ الى أن استقرت الأوضاع ٠٠ علىالنحو الذىتحدثنا عنه خلال المدخل التاريخى٠

٧ ـ بل وما الذى يمكن أن نقوله عن هذا الرأى العام ـ العمالى هنا ـ اليومى ، الذى اعتنقه أفراد جماعة عمالية نتيجة لطغيان رؤسائهم ٠٠ ومن قاموابالسخرية منهم ، بل جاءت هذه السخرية مغناة ، من خلال الأغنية الساخرة ، أو كما نطلق عليه اليوم « الموال » ٠٠ الذى يهاجم هـــؤلاء ، ويعرض بهم ٠٠ ولو كان ذلك من نتاج رأى شخصى أو خاص ، لما حدث مثل ذلك الذى صورته لنا مقبرة « باحرى » ٠

٨ ـ وعلى ذكر المواويل والأغانى ٠٠ فان الأدب الشـــعبى المصرى القديم يحفظ لنا الكثير من أغانى الفلاحين وهم يحرثون الأرض ، أو يبذرون الحب ، أو يجمعون المحصول ، وكذا أغانى الرعاة وهم يقومون بعملهم ، وعمال البناء والتشييد وهم يقومون بعملهم فى الحر والبرد معا ٠ وجميعها تعكس رأيا عاما كليا ، راضيا قانعا يعبر عن نفسه بمثل هذه الكلمات ، وبعضها ساذج ، وبعضها الآخر فكه ، وبعضها الثالث مر السخرية ٠٠ الى غير ذلك كله ، لكنها جميعها تؤكد وجود هذا الرأى العام الشعبى ، الذى دفع الى تنمية مشاعر التواد والتراحم وغيرهما من الصور الانسانية الرقيقة والـــروح الطيبة ٠

٩ ـ وأخيرا لعل هذا الرأى العام ، قد ظهر بشكل أكثر وضوحا خلال فترات الاحتلال ، من خلال الالتفاف حول أمراء وحكام الأقاليم ، حتى دفع بهم الى حكم مصر كلها ، ثم الى طرد الهكسوس ، والتحول الى الهجوم ، وفى مقاومة الملوك الأجانب ، أو تأييد من تمصر منهم ورضى بذلك ، وأعلن عن رضائه واحترام الهة مصر ، وكذا فى حالة « السخط العام » التى تحولت الى ثورات عاتية عارمة ، ضد الفرس والاغريق والرومان ، يذكرها التاريخ لهم ٠٠ وأشرنا اليها فى صفحات سابقة ٠ لقد كانت خير دليل على وجود الرأى العام المصرى القومى ، القوى ، المعبر ٠

ثم مـــاذا ؟

الفصـــل الثـانى

بـــأى تأثـــير ؟

واذا كانت السطور القليلة السابقة ، لا سيما تلك التى أثبتت وجود رأى عام مصرى ، على درجة من الدرجات ، وينتسب الى الأنواع السابقة فى مجموعها ، فانها أيضا قد أشارت الى بعض نتائج **التأثيرات** Effects المستهدفة ، من خلال هذه الأنماط المختلفة ، من الأنشطة الاتصالية الاعلامية المصرية القديمة ، بأشكالها المختلفة ، وبدرجاتها المختلفة أيضا لكن ٠٠ ومع ذلك كله ، فان هناك ما يمكن أن يقال عن هذا الجانب المهم ـ التأثيرات ـ ومن أكثر من زاوية أيضا ، بل اننا سوف ننظر الى الموضوع نظرة أكثر شمولا ، من مجرد التركيز على هذه التأثيرات وحدها٠٠ومن ثم فنحن نقول:

المبحث الأول

أولا ـ التأثير ٠٠٠ صـــور موجبة

اننا نواصل خلال هذه السطور تقديم عدد من صور التأثيرات الموجبة، أو الايجابية ، التى أبداها الفرد المصرى القديم ، ومجموع الأفراد ، من خلال موضوعين فقط ، على سبيل **المثال لا الحصر** ٠٠

● ● **أما أولهمـــا** ، فهو موضوع الديانة المصرية القديمة ٠٠ حيث نقول بالاضافة الى ما ذكرناه من قبل عند حديثنا عن الاعلام الدينى ٠٠ اننا نتوقف لنتساءل **مثلا** :

ـــ ما الذى جعل المصرى القديم ـ جدا ـ يؤمن بوجود الرموز المقدسة للمعبودات الاقليمية حتى أنه حاول تصويرها على زخارفه البدائية، بل احتلت مكانا متميزا على اللوحات والصلايات ورؤوس الدبابيس القديمة (الصقر وطائر أبيس وابن آوى **وغيرها**) ؟

ـــ وما الذى جعل المصرى القديم ـ أيضا ـ يقوم منذ الأسرات

الأولى بعمل الرسوم والتماثيل العديدة ، لمعبوداته المقدسة ٠٠؟ (سخمت وأنوبيس وبتاح وسوبك وغيرها) ٠

— وبالمثل ٠ ٠ما الذى جعله يؤمن ايمانا متزايدا بأن فرعون هو ابن الاله ، ثم يعود فيؤمن بألوهيته الكاملة ، والتى تصاحبه فى مراحل حياته المختلفة ، حتى وان كان طفلا ٠٠ أو شابا حتى اذا صعد الى السماء فى مملكة رع ٠٠ الى آخر ما يقال عن ذلك مما صحب العقل المصرى فى معظم فترات تاريخه ؟

— وبالمثل عقيدة البعث والخلود ، ومحاكمة الموتى ، وعبادة الشمس، وتوحيد اخناتون ما الذى جعل المصرى القـــديم ، يفكر فيهـا جميعها ، ويتدبرها ، ثم يمارس طقوسها ؟ وصحيح أن المصرى القديم ـ بل والانسان عامة ـ يولد مؤمنا بالغريزة ، بوجود قوة فوق كل القوى تتحكم بمرور الزمن فى سلوكه وأخلاقه وحياته كلها ، خاصة مع تطوره النامى والمتجدد، لكنه يمكننا القول ، أن الذى صاغ كل هذه المشاعر البدائية ، وسجل تطورها، وصورها ، ونبه اليها،ولفت نحوها الانظار والافهام والاسماع بقوة ٠٠ وأحالها الى هاجس يملأ عليه يومه وحياته كلها ٠ ٠ومن ثم نما عنده هذا الوازع الدينى ، وكبر ، وتطور ووصل الى التفكير فى خلق الســماء والأرض ، والنظام الدنيوى ، والنظام السماوى ، بل ووجود العقل ، والاله الخالق الذى هذب ذلك ، وأبرزه وأكده ، كان هو « الاعلام الدينى » ٠٠ ذلك الذى كان « التدين المصرى » التاريخى ، مدينا له بغرســه وتنميته ٠٠ من عصر لآخر ، من حقبة لأخرى ، فى أشكال وأنماط وصور متعددة ٠٠ راحت تحاصر العقل المصرى ليل نهار ، ليس فى المعبد فقط ، و انما فى كل مكان يوجد به ٠٠ حتى طغى الاعلام الدينى على أى اعلام آخر ، بل وصار هو فاتحة كل اعلام آخر ، ولازمة من لوازمه ٠

● **ولو لم يتم التأثير ـ تأثير الاعلام الدينى هنا ـ على أحسن وجه وأتمه وأكمله :**

— لما قام الفرعون بكل أعماله باسم الآلهة ٠
— ولما قيل أنه ذهب الى الحرب لنصرة معبوده ، وأنه يغزو باسمه٠
— ولما كانت كل هذه المعابد ٠٠ لؤلؤة الاعلام المصرى القديم ٠

— ولما ارتبطت جميع الأوعية الاتصـــالية بهذا الجانب قبل أى جانب آخر ٠

— ولما كانت هذه المعبودات العديدة كلها ، وكل منها لغرض واحد، أو لمجموعة من الأغراض ٠

— ولما كانت هذه الكتب الدينية العديدة التى حفظها لنا التاريخ٠

— وهذه الأعياد الكبرى والصغرى المقامة كـــل يوم تقريبا ، هى مظهر آخر من مظاهر هذا التأثير الفاعل ، والمتفاعل ، والنامى والمتجدد٠٠

●● ٠٠ **وأما ثانيهما** : فهو تأثير « **الاعلام التربوى** » هنا ٠ ٠ذلك الذى امتد الى قطاعات كبيرة جدا من الشعب المصرى ، وليس الى طبقة الأمراء أو النبلاء أو الأثرياء أو كبار الموظفين وحدهم ، وأكثر من ذلك ، فهو لم يكن تعليما مدرسيا تقليديا فقط ، وانما كان للمثل العليا والمبادىء والقيم والتقاليد أهميتها فى هذا الجانب الاعلامى التربوى ، ومن ثم فقد كان اتصاله كبيرا ووثيقا :

— بالدين من جهة ٠

— وبالأدب التوجيهى من جهة ثانية ٠

— وبأبرز الأسس والقواعد التى تقوم عليها « المقالة » من جهة ثالثة ، لا سيما مقـــالات الرواد ٠٠ من قادة الرأى العـــــام المصرى فى هذه الأوقات ٠

٠٠ هذا واذا كانت الكلمات الاخيرة ، مما يتصل بموضوع أخر سوف نتناوله ـ باذن الله ـ خلال السطور القليلة القادمة ٠٠ فاننا ننتقل الى عدد من الشواهد التى تمت الى هذه الصور الايجابية لهذا الجانب الاعلامى التربوى ، والمتصل بفلسفة التعليم والتربية فى مصر القديمة :

— فلقد اتخذ المصريون ـ مثلا ـ من كتابات الحكم والنصائح ذات الأصول التربوية والأخلاقية دستورا لهم ، وأساسا لقواعد السلوك التى أستمرت الأجيالتتناقلها ـ كتابات بتاح حتب وقاقمنا ونصائحآنى وغيرها ـ مما أدى الى انتقال تأثيرها من جيل الى جيل ومن عصر الى عصر ، حتى العصر اليونانى الرومانى نفسه ٠

ــ ومن يقرأ مثيلات هذه النصائح ، ليدرك أنها بمرور الوقت ، قد أصبحت شبه « تعاليم تربوية » ٠٠ تحتل مكانا بارزا من جانب هذا الاعلام التوجيهى المؤثر ٠٠ تقدم التفسير والارشاد ، القائم على أساس من بعض الحوادث المعاصرة ، المحلل لها ، الذى يتخذ منها قاعدة لتقديم ما يريد من توجيهات وحكم ، عاشت طوال هذه القرون ، هاديا ومرشدا للرأى العـــام المصرى فى مجموعه ٠٠ وفى ذلك يقول بعض المتخصصـــين مما يتصــل ببعضها : « ولدينا من عهد الدولة الوسطى كنز ضخم من الروائع والبدائع من تلك التعاليم والنصائح جاءت اثر بعض حوادث الأيام فاصطبغت بصبغة سياسية كان لها أثرها فى حياة الشعب » (٢٠) ٠

ــ أن التاريخ نفسه قد خلد عددا كبيرا من أسماء أصحاب هذه الاتجاهات الاعلامية التربوية فأصبح تراثهم يدرس ، ويقدم فى بيوت الحياة. وفى المنازل العادية ، بل أصبح الكل يتمثلون فيه وعلى حـد قول القائل : « مشاعر الشيخ المجرب والموظف المسئول ، بل مشاعر الرجـــل الذى عرك أمور الحياة ، وأفاد من سيرة الأيام وخلق الليالى ، ثم أفاد من طـــول التجارب ما يعتقد أن فى تدوينه وروايته ما يفيد النشء من أبنـــاء وطنه يحفظونه ويرعونه ويلتمسون منه قبسا ينورون به سبيلهم فى الحياة الدنيا وذخيرة يدخرون منها زادا الى الآخرة » (٢١) ٠

٠٠ هكذا كانت كتابات وتعليمات من أشرنا اليهم فى سطور عديدة من هذا الكتاب ومن لم نشر ومن بينهم على سبيل المثال لا الحصر : « آى ــ كاجمنى ــ ايمحتب ــ بتاح حتب ــ حورددف ــ اسيسى ــبتاح شبس ــ نفر سشم رع ــ كار ــ خيتى بن دواواف ــ حاب زفاى ــ نفرته ــ سحتباب رع ــ اياح مسى ــ امنمحات » ٠٠ وغيرهم ٠

ثانيا ــ التأثير ٠٠ أسئلة واجابات تحليلية

كذلك ، ولأن جانب التأثير كما نعرفه من خلال هذا الأنموذج الاتصالى القاعدى ــ هارولد لاسويل ــ لا يكتمل الا من خلال الوقوف على عدة عوامل مهمة ، ترتبط به ، وتوضحه ، وتحدد معالمه ، فاننا بدورنا ، نتوقف عندها ، ونطرحها هنا فى صورة أسئلة مختصرة للغاية ٠٠

(أ) أما السؤال الأول ، فهو ذلك الذى يقول : ما مدى اهتمام الناس، هذه الطوائف وغيرها من أبناء مصر القديمة ، بهذا النشـــاط الاتصالى الاعلامى ، بصوره وأساليبه وصناعه ؟

.. وسرعان ما تتتابع الاجابة من خلال صفحات التاريخ المصرى نفسه .. فبالاضافة الي الصور التى قدمتها السطور القليلة السابقة عن الاعلامين الديني والتربوي .. فاننا نقدم هذه التحليلات والمشاهد كلها ، لاهتمامات « الناس » أو « الجمهور » في مصر القديمة :

١ - وبادىء ذى بدء نقول . وكنقطة نظام أولية .. بل وكبديهية أيضا ، أنه لو لم يكن الجمهور .. القارىء والمشاهد والمستمع ، لما يكتب أو يرسم أو يصور أو يقال ، لو لم يكن موجودا ، ومتابعا بدرجات عديدة.. تبدأ من مجرد الالتفات العادى .. ومرورا بالمتابعة ، والتدقيق ، والاستجابة بدرجاتها المختلفة .. وكل ما يدخل دائرة الاهتمام المؤدى الى احداث رد فعل ما .. أو تأثر ما ، على درجة من الدرجات :

— لما مضى الآمرون بالاتصال في الشوط حتى النهاية ، ولما حاول كل منهم أن يكون له موضع قدم على الساحة الاعلامية ، من أول العصور التاريخية .. حتى آخر الفترة الزمنية مجال دراستنا .. ولا يهم فى ذلك اختلاف مستويات ما قدموه شكلا ومضمونا ولغة .

— ولما راح يقوم بمثل هذه الألوان الاتصالية الاعلامية ، من هم دونهم من علية القوم .

— ولما امتد ذلك الى الطبقات المتوسطة ، التي حاولت الاعـــلام بنفسها والاخبار عن نشاطها .

— بل ، ولما وجدنا بعض الطبقات الفقيرة نفسها وهى تحاول أن يكون لها مثل هذه الصورة التى تعرف فيها بنفسها أيضا ..

لو لم يكن هناك مثل هذا الاهتمام ، لتوقف العمل الاتصالى الاعلامى كله ، ولما استمر قائما من جيل الى جيل ، ولما أقدمت على ممارسته مختلف هذه الطبقات الاجتماعية .

٢ ـ ٠٠ واذا لم يكن هناك مثل هـــذا الجمهـــور المهتم ، بدرجات اهتماماته المتفاوتة ، بل وبأعداده الكبيرة ، وجماهيره العديدة :

ـــ لما كان هناك ما يبرر وجود هذه الأعداد التى تجل عن الحصر من الصفحات الحجرية والاردوازية والخشبية والبازلتية والبردية ، وغيرها ٠٠ تلك التى قدمت بأساليب عديدة أخبار الملوك والأمراء وســـير النبلاء والعظماء ، ونشاط الوزراء ، وحكم الحكماء ، وفكر رجال الدين ، وأدب الأدباء ، ومشاهد عمل العاملين فى الورش والحدائق والحقول ، وصور التقدم التعليمى والعلمى ، وحتى النقد الساخر ، والتسلية المحببة والطرفة والنادرة العجيبة ٠

ـــ ولما اختاروا الأحجار بأنواعها ، لتكون منها صفحاتهم الغالية٠٠ لتبقى شاهدة على هذا النشاط كله ، تمر بها العيون وتتداولها الأيدى ، وتمسها ، ومع ذلك تعيش العمر كله ، تتحدث عن كـــل ما فعلوه وعركوه وخبروه ومارسوه وأتقنوه ووعوه ٠٠ لصنعوها ـ مثلا ـ من الطين ، وهو موجود وقائم تحت أرجلهم ، وليس صحيحا ما يقوله البعض من أن السبب هو أن طين النيل ناعما لزجا لا يصلح لمثل هـــذه الأعمال ، فقـــد كان من السهولة معالجته ، أو احراقه بل ان معالجته لتكون أسهل كثيرا من معالجة أنواع الأحجار المختلفة ٠ ولكن السبب يتوازى مع اهتمام الجميع بوجود الرسالة الاعلامية ، وببقائها لأطول فترة ممكنة ٠٠

ـــ ولما كانت هذه « الصفحات » الضخمة ، الهائلة الحجم ـ نتناول موضوعها بطريقة أخرى فى سطور قادمة باذن الله ـ ان الضخامة كانت لأسباب عديدة ، أزعم أنه كان من بينها ما يتصل بهذا العنصر ٠٠ اهتمام الناس بها ومداه ، ومن ثم كان عند بعضهم ضخما مهيبا ، حتى يلفت الانظار، وتراه هذه عن بعد ، وتتمكن من رؤيته الجماهير الكثيرة المتجمعة حوله لا سيما فى المناسبات المهمة ، كالاحتفالات ، والأعيـــاد وغيرهما ٠٠ ان الضخامة هنا تعكس بصورة أو بأخرى ، مدى اهتمام الناس ـ الجماهير ـ بهذه الوسيلة ، وما كتب أو نقش أو رسم على صفحتها ٠٠

ـــ ثم هذه المساحات الشاسعة التى توجد بها كل هذه الوسائل أى الموجودة أمام المعابد أو داخلها أو قاعات القصور الفسيحة ٠٠ وجميعها

تتصل بأسلوب مباشر او غير مباشر ، بعمل اعـــلامى (عرض ـ خطاب ـ مسرح ـ حفل دينى ـ حفل غير دينى ـ لقاء هام ـ الخ) ٠٠ لماذا كانت بهذا الاتساع ٠٠ اذا لم يكن على سبيل رد الفعل المتوقع لأعداد من ينتظر وجودهم فى هذا المكان ؟

٠٠ اننا نقدم ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ بعض مساحات هـــذه المواقع التى تشبه الآن قاعات النـــدوات والمحاضرات والمؤتمرات ، ودور العرض والمسارح ٠٠ وغيرها :

ـــ فهذا هو هرم زوسر المدرج والمبانى الملحقة به ، كان يحيط بها سور طوله من الشمال الى الجنوب ٥٤٥ مترا ومن الشرق الى الغرب ٢٧٧ مترا ولابد أنه داخل هذه المســـاحة العظيمة ، كانت المهرجانات تقـــام ، والعروض تقدم ٠

ـــ وحتى داخل هذا المبنى يوجد أيضا « بهو الأعياد » أو بهـــو الاحتفالات الذى يتناسب حجمه مع ما كان يقام فيه « عيد السد ـ العيـــد الثلاثينى » الذى سبقت الاشارة اليه ٠

ـــ والفناء الأول بالكرنك الأقصر ـ الفناء الأمامى وبا ـ وهو فناء الاحتفالات « وسخت حبيت » يبلغ اتساعه ثمانية آلاف متر مربع ٠

ـــ وقاعة الأعمدة ـ بهو الأعمدة ـ بهذا المعبد نفسه تبلغ مساحتها ٦ آلاف متر مربع تقريبا ٠

ـــ وبهو الاحتفالات « أخ ـ منو » بمعبد تحتمس الثالث يبلغ طول واجهته فقط ٤٠ مترا ٠

٠٠ الى غير هذه المواقع « الجماهيرية » الفسيحة كلها ، التى تشـــهد بهذا الاهتمام نفسه ٠

٣ ـ وذلك كله الى جانب عظم الاهتمام بها رسما ونقشـــا وتصويرا وكتابة ومضمونا ، واخراجا ، والأعداد الكبيرة من العاملين فى « انتاجها » ٠٠ بما يؤكد العناية الكاملة ، من جانب أصحابها ، بهذه الجماهير المتابعة، المستجيبة ، أو المهتمة ، أو حتى المتعاطفة فقط ٠

(ب) وأما السؤال الثانى ، فهو ذلك الذى يقول : هــــل كان لهذا الاهتمام أثر ما فى أقوالهم أو كتاباتهم ، بما يقدم دليلا آخر على هذا التأثير، وبما يمكن اعتباره ــ من زاوية أخرى ــ لونا من ألوان « **رجع الصـــدى** Feed back : **التأثير المرتد** » الذى يقول به رجال الاعــــلام ودارسوه اليــــوم ؟

ونقول ٠٠ بالاضافة الى الأقوال التى سبقت الاشارة اليها عن أهمية تعلم الكتابة ٠٠ الصناعة والفن والوظيفة معا ٠٠ فاننا ــ على الرغم من صعوبة ذلك وندرة مثل هذه الأقوال ــ نحاول أن نشير الى بعضها ٠٠ ان من بينها مثــلا :

ـــ ما كتبه « خيتى ــ اختوى » ٠ ٠من الأسرة العاشرة فى وصاياه لابنه « مرى ــ كارع » ٠٠ لاسيما قوله الذى جاء فيه : « كن رجل فن بارع فى قولك تكن قويا ، فان اللسان سيف الملك والكلام أشد فعلا من القتال»(٢٢) ٠٠ ولكنه أى كلام ٠٠ انه المنتقى بعناية ، الذى يجذب أســماع الجماهير وعقولها ٠٠ ويثير **اهتمامها** ٠

ـــ بل ان فى شكوى أحد الكتاب من ان الأوائل لم يتركوا له شيئا جديدا يكتبه ، والتى كررها شعراء الجاهلية (*) ٠٠ بطريقتهم الخاصة ٠٠ لتعكس صورة من صور هذه الأهمية عنده وعند الجمهور القارىء معا ٠٠ والا فلم يشكو ان لم يكن من أجل الجديد الذى يجذب اليه اهتمامات هؤلاء٠٠ نعم اقرأ له قوله الذى ينقله عنه ٠١ ارمان ويول ديورانت : « ألا ليتنى أجد ألفاظ لم يعرفها الناس ، وعبارات وأقوال بلغة جديدة لم ينقض عهدها ، وليس فيما تلوكه الألسنأقوال لم تصبحتافهة ولم يقلها آباؤنا من قبل »(٢٣)

ـــ ويعبر « ايبور » عن الرأى العام « الساخط » من جراء أحداث أواخر الدولة القديمة مخاطبا الملك ، قائلا عن بعض الاتجاهات السائدة فى عهده : « ليتنى رفعت صوتى فى ذلك الحين ، واذن لأنقذنى ذلك من عذاب لازلت أعانيه » ٠٠ ويقول أيضا : « كان من الممكن أن يرتــــاح قلب الملك

(*) مثل قول عنترة العبسى « هل غادر الشعراء من متردم ؟ » وقول شاعر آخر : « ما ترانا الا معادا ٠٠٠ » وغيرهما ٠

لو بلغته الحقيقة فهذه كل بلد أجنبية تجرأ علينا - ما الذى نستطيع أن نفعله والكل مصيره الدمار ٠٠ ان ما يروى لك هو الباطل فالبلاد تشتعل والناس قد أهلكوا » ٠٠ **الخ** ٠

وهناك سؤال ثالث يقول : هل حققت هذه الجهود الاتصالية الاعلامية أهدافها ؟٠٠ والى أى حد ؟ وسؤال رابع يقول أو يتحدث عن مدى تناسبها مع ظروف المجتمع وامكانياته ٠٠ الى غير هذه كلها من أسئلة نرى أن نجيب عنها خلال المبحث القادم والأخير - باذن الله - لأن الاجابة الى مادته أقرب . وسطوره بها أجدر ٠٠ ومن ثم فنحن ننتقل **اليها :**

المبحث الثـــانى

أهـــداف وخصـــائص

أولا - الأهـــداف ٠٠ وكيف تحققت

٠٠ حتى نقترب من كلماتنا الأخيرة فى هذا الموضـــوع ٠ ٠موضوع الاعلام المصرى القديم ٠٠ لكننا نتناولها أيضا ، أو نقدمها ، فى اطار هذا الأنموذج الاتصالى ، حيث تضيق الدائرة ، ونواصل النفاذ منها ، الى كل ما يمكن أن يندرج تحت هذا الجانب النهائى الذى اتخذناه عنـــوانا لهذا الباب ٠٠ « **بأى تأثير** » ٠٠ ومن ثم فنحن نعود الى الاسئلة التحليلية التى طرحناها فى نهاية المبحث السابق ، ليكون السؤال التالى هو :

هل نجح الاعلام المصرى القديم فى تحقيق أهدافه ؟ والى أى حد كان نجـــاحه ؟

اننا نجيب عن هذا السؤال بعد ملاحظتين أساسيتين ٠٠ **أما الأولى** فهى تقول أنه سبق لنا تناول هذه الأهداف فى مواضع كثيرة ، والاشارة اليها فى صفحات سابقة ، لعل من أهمها عندما تحدثنا باسهاب عن أنواع الاعلام المصرى القديم ، وقدمنا خلال هذا الحديث ، أهداف ووظائف كل نوع من هذه الأنواع ، ومن مجموعها ٠٠ تتحدد هذه الوظائف والأهـــداف ، وتتجمع كلها ٠٠ **وأما الثانية** فهى أنه لابد من أن يسبق حـــديثنا عن مدى

النجاح فى أداء هذه المهام ، والى أى حد ، ودرجة هذا النجاح ٠٠ تناول سريع لأهم هذه الاهداف ٠٠ مرة أخرى ٠٠

٠٠ لكنها هذه المرة بتركيز شديد ، وبأسلوب مختلف ، مادمنا قد تناولناها خلال هذه المباحث السابقة :

● ● أهداف ووظائف تحققت :

نعم ، ان باستطاعتنا القول أن الاتصال الاعلامى المصرى القديم ، قد نجح ، بالآمرين به ، والقائمين عليه ، والمخططين له والمشرفين على تنفيذه ، بكتابه وفنانيه وصناعه ٠٠ فى أن يقوم بمعظم الادوار المعقودة عليه، وأن يؤدى معظم الوظائف التى كان عليه أن يؤديها ، وأن يحقق معظم الاهداف المنشودة من وراء اعداد وتنفيذ وكتابة وتصوير رسائله المختلفة والمتنوعة ، عامة أو مهتمة أو متخصصة ٠٠

واذا كانت الشواهد على أداء هذه الأدوار والوظائف كلها ٠٠ أمس، واليوم ، وغدا بالنسبة لبعض رسائله وصفحاته ٠٠ اذا كانت هذه الشواهد واضحة للعيان ، جلية للانظار ، حتى عامة الناس ، وليس الباحثين والدارسين ، أو المتخصصين وحدهم ٠٠ بدليل أنها تكاد تحدثهم بلسان واضح ، مبين ، عن أبرز أحداثهم ، وأهم أعمالهم ، بل وحتى عن العادى والرتيب منها ، وبدليل أنها المصادر الأولى ، لمعرفتنا بهم ، ولمعلوماتنا عنهم، كانت هى هذه الصفحات نفسها ، وما تزال ، اذا كانت هذه الوسائل القائمة الراسخة الثابتة ، تؤكد قيامها بهذه الوظائف والأدوار ، فاننا نطل على ما تحقق منها ، اطلالة سريعة ، تقدمها ـ الأهداف التى تحققت ـ فى نقاط متتابعة ، حيث قدمتها ، وفسرتها صفحات سابقة كثيرة ٠ ٠انها ، أو ان أبرزها على وجه التحديد :

١ ـ **القيام بالدور الاخبارى** ٠٠ كما ينبغى أن يكون ، ولعله هنا أبرز الأدوار وأهمها ، فقد نجح الاعلام المصرى القديم ، منذ عهد الاسرات المبكر ، بل وقبله أيضا ، وحتى نهاية العصور التاريخية ـ الفتح العربى الاسلامى لمصر ـ فى أن يعرفنا بطرقه وأساليبه وأنماطه ووسائله المختلفة ، بأبرز الأحداث ، وأن ينقل للجميع ٠ ٠من جماهير الماضى ، والحاضر ٠٠ أهم ما

وقع على أرض الكنانة ، أو ما اتصل بها ووقع خارجها ، فى صورة مادة اخبارية بحتة ، أو تضمنتها القصص والتقارير والاحاديث التى جاءت على ألسنة الشخصيات المهمة ، والقادة والمكتشفين والمغامرين وغيرهم ‥ بل أن الدور الاخبارى الذى قام به هذا الاعلام المصرى القديم ‥ ليتميز بأنه :

— من أقدم هذه الأدوار التى عرفتها الحضـــارات القديمة على الاطلاق ٠

— ومن أغزرها مادة وأكثرها تفصيلا ٠

— كما أنه دور اخبارى ثنائى أو ثلاثى ، فهو يقدم للجمهور الذى عاصر هذه الأحداث ، ولجماهيرنا أو جمهور المســـتقبل القريب والبعيد بالنسبة لأصحابه ، ثم لجمهور الغد أيضا ٠ ٠**وهكذا** ٠

واذا كانت هذه النقاط تقربنا من موضوع الخصائص ‥ فاننا ننتقل الى دور آخر ، ومهمة أخرى قام الاعلام المصرى القـــديم بتحقيقها بنجاح مماثل ‥ ألا وهى :

٢ — ثبت وتسجيل وحفظ أهم وأبرز صور النشاط المصرى القديم فى فروع المعرفة والعلم والصناعة والفن والهندسة المختلفة ‥ فلولا ما قام به الاعلام المصرى ، من تسجيل لكل مهم ، وخطير ، وأحيانا لكل عادى وحقير أيضا ، ولولا أنه قدم لنا صورة على درجة كبيرة من الصحة ، فى أعـــم وأغلب الأحوال لما عرفنا الا القليل عنهم ‥ ولو كان ما تركه لنا الاجداد ، مجرد هذه العمائر الضخمة ، لأصبحت معلوماتنا عنهم ترتكز الى جانب واحد فقط ، هو جانب الشكل ، لكن أهم منه ما جاء عليها ، وفوق صفحاتها من مضامين مختلفة ومتنوعة ، قدمت لنا كل شىء عن الحياة عندهم ، بمن فيها ومن فيها ‥ مما أفاد المؤرخ ورجل الاثار والفنان والاعلامى والباحث فى الحضارات القديمة ودارس الأجناس البشرية ‥ وغيرهم ، وغيرهم ‥ الى جانب المهندسين بتخصصاتهم المختلفة ‥ وصحيح أن الحفظ هو هدف شمولى ، يتصل بشكل أو بآخر بالوظائف الأخرى ، لكننا لدوره الكبير ، وأهميته التاريخية والاعلامية والحضارية — معا — رأينا أن نفرد له هذه الفقرة الخاصة ‥ وقد يقول قائل ‥ لكنه الأثر نفسه هو الذى حفظ هذه الكتابات ‥ ونقول ، لولا الاخبار والافكار ما كانت معظم الاثار ، ثم ان

النظرة الى الأثر وحده قد تعنى غيرنا ٠٠ قبل أن تعنينا وليس فى ذلك ما يتعارض مع الرؤية الاعلامية لجانبى التسجيل والحفظ ، بل لعل فيها ـ وهو كذلك فعلا ما يهم رجل المعلومات ، والوثائق ، من زاوية اهتمامه أيضا ٠

لكننا نشير كذلك الى جانب اعلامى مهم ، فى هذا الموضوع ، وهو أن الثبت والتسجيل لم يتم بهدف الحفظ فقط ـ كما يفعل الارشيف الحكومى الآن ـ لا يعود اليه الجمهور الا عند الحاجة ، وانما هو حفظ وتسجيل من أجل وضع هذه المادة كلها متاحة تماما ، أمام الانظار ، بل جذب هذه اليها ، بكل الطرق الممكنة ٠٠ والاعلان عنها ، وجعلها محطا للعيون والابصار ٠

٣ ـ بث قواعد السلوك القويم ومبادىء الفضيلة ، والقيم والمثل العليا المجتمعية العديدة كما جاءت فى اطر الاعلام الدينى المختلفة ، وبما يقترب بها فى كثير من الاحيان من قواعد السلوك والاخلاق التى جاءت بها الأديان السماوية خلال ذلك أو بعده ٠٠ بما يتصل بنشرها بين أفراد الشعب كله ، مما ساعد على جعل الشعب المصرى شعبا متدينا حريصا على هذه الأسس والقواعد والمثل السلوكية والأخلاقية كلها ، حرصـــه على بلاده ، وحياته وأمنه ، ومن ثم انتشر المربون والموجهون والمرشدون والحكماء كما لم يحدث عند شعب آخر ، ومما جعل بعض كبار المؤرخين ، يقارن بين أقوال هؤلاء ، وما جاء على ألسنة الأنبياء والرسل ، بل قارن بعضهم ـ برستيد ـ بين حكمة المصريين وأقوالهم ، ومزامير داود ، وأشار الى الصلات الكبيرة بينها ٠

٤ ـ القيام بالدور الاعلامى ، والدعائى لقوة الفرعون ـ وهى رمز لقوة مصر ـ ولتدينه ، وهو رمز لتدينها خير قيام ، وأحسنه ، مما أسهم كثيرا ٠٠ على المجال الداخلى فى اضفاء هالة يستحقها معظمهم من الاحترام والتقدير، عند أفراد الشعب ، وطوائفه المختلفة ، وبدوره أسهم ذلك فى نشر الأمن ، واستتباب الأمور فى معظم فترات التاريخ المصرى ، وكذا فى اخلاص النبلاء والوزراء وكبار الموظفين ٠٠ وغيرهم ، فى خدمة مليكهم ، مما كان له أطيب الأثر ٠٠ وكذا على المجال الخارجىفى النظر بعين الاحترام ذاته ، والتقدير نفسه ، لملك مصر ، وحتى الخوف منه أحيانا والقيام باسترضائه ، وتقديم الهدايا له ، عرفانا بفضله وقدره ٠ لا سيما عندما كانت قوة الفرعون تؤكد هذا الدور الاعلامى ٠٠ الذى لم يكن ينطلق من فراغ فى أحوال كثيرة ٠

٥ ـ والاعلام نفسه ـ ومما يرتبط بالنقطة السابقة ـ هو الذى أسهم منذ فجر التاريخ ، فى دعم مشاعر وحدة المدن ، والمقاطعات ، ثم وحـــدة الوجهين ، ثم الابقاء على هذه الوحدة قوية بما قام به من تعريف بالوحدات الادارية المختلفة وما نشره من رموز التقارب والتآلف وما أوضحه من ضرورة قيام الصلات القوية، وما الى ذلك كله، ونظرة الى هذه الوسائل الاتصالية الموغلة فى قدمها « اللوحات والصلايات القديمة »٠٠ لتؤكد أنه كان للاعلام دوره فى وحدة البلاد ، والحفاظ عليها ٠ وعلى استتباب الأمن فيها ٠٠

٦ ـ بل لقد امتد ذلك أيضا ، الى المجال الخارجى ، سلما وحربا ٠٠ وما البعثات الكشفية ، وما قامت به ، من رحلات ، وما قدمته من صور ومشاهد لقوة مصر ، وجدارتها ، وما خلفته من لوحات ، وما البعثـــات التجارية العديدة ٠٠ الأمثلة لهذا **الدور الاتصالى الحضارى الكبير ٠٠ فى** مجال السلم ٠٠ وأما فى مجال الحرب ، فمن ذا الذى ينكر أثره فى **شـــحذ الهمم ، وتقوية العزائم ، وحشد القوى** ، والحديث عن البطولات المصرية ، ورصد وتسجيل أعمالها فى تأديب البدو ، أو الدفاع عن الحدود أو تكوين الامبراطورية ودعمها ٠٠ وصفحات الاعلام العسكرى » تنطق بذلك كله ؟ ! بل ان أى منصف لا يمكنه انكار الدور الوطنى المتميز والواضح للاعـــلام المصرى ٠٠ خلال هذه الأوقات كلها ٠

٧ ـ ولا يمكن لمنصف أيضا ، أن ينكر دور الاعلام المصرى ، الذى قام به ـ الى جانب عناصر أخرى ـ فى نهضة الآداب والفنـــون والصناعات والحرف التى تقوم عليه ، أو ترتبط به كقطع الخام وتهذيب الأحجار والنقش والتلوين والزركشة والتطعيم وما الى ذلك كله ٠٠ بل لماذا لا نقول أن هذا الجانب الاتصالى المهم ، بعرضه على الجماهير لانتاج الفكر والفن والمواهب:

ـــ قد ساعد على قيام صناعات مهمة ترتبط به « الحفر ـ التلوين ـ معالجة الأحجار ـ معالجة البردى » ٠٠ وان شاركته فى ذلك بعض الأسباب الأخرى غير المرتبطة بمجال دراستنا ٠

ـــ وساعد أيضا على المضى فى استغلال « الخام المصرى » القادم من المحاجر قريبها وبعيدها ، بل وفى البحث الدائم عن خام جديد مناسب ، أفادت منه الفنون والصناعات الأخرى ٠

— ولم يقتصر ذلك على العواصم الكبرى وحـــدها ، وانما كان للاتصال الاعلامى دوره فى نهضة فنون الأقاليم ، والمدن المختلفة ٠٠

٨ - ويتصل بذلك كله - فى رأينا - أن الاعلام المصرى القديم. على أى شكل من أشكاله ، أو نمط من أنماطه ٠٠ كان بما قدمه من جديد ، وما راح يقدمه من صفحات عديدة ، عاملا مهما من عوامل تشجيع المواهب فى مجالات النقش والرسم والتصوير والتلوين وقبلها هذه المواهب التحريرية الكتابية نفسها لا سيما فى مجالات التسجيل ، والوصـــــف ، والكتابات السلوكية والتوجيهية - وصلتها كبيرة كما قلنا بفن المقال - بالاضافة الى بذر البذور الأولى التى نما بعضها نموا معقولا ٠٠ للكتابات الاخبارية ، والتقريرية ، وما اتصل بالماجريات ٠٠ وما الى ذلك كله ٠٠ مما أسهم فى وجود قاعدة فنية وكتابية كبيرة قدمت الكثير ٠

٩ - ٠٠ بل اننا نتوقف هنا ، عند احدى النقاط المهمة التى نطرحها خلال هذه السطور ، والمتمثلة فى أننا نزعم أن الاعلام المصرى القديم برسائله العديدة التى تجل عن الحصر ، ما عرف منها ، وما لم يعرف بعد ٠٠ **كان له أثره الذى نراه من جانبنا واضحا فى عنصرين حضاريين أساسيين ، أفاد منهما العالم كله ، والحضارة الانسانية كلها :**

● **أما أولهما** فهو أننا لا نقصيه تماما ، بل نحسب له ، ونضعه ضمن العوامل التى أدت نحو تطور الكتابة الهيروغليفية ، الى هيراطيقية ، ثم الى ديموطيقية أيضا ٠٠ وصحيح - كما أشرنا الى ذلك فى موضع سابق(*) - أن الهيروغليفية كانت لغة الاعلام المصرى الأولى لا سيما فى جانبه الرسمى الحكومى الملكى والدينى ٠٠ لكن بعض سلبياتها لا سيما صعوبة كتابتها على الخام الطرى كالجلد والبردى الا بعد معالجة وجهد ، وتطلبها الكثير من العمل والوقت ، وصعوبة استجابتها لمتطلبات الحيـــاة اليومية التى أصبحت بمرور الزمن سريعة متلاحقة ٠٠ هذه وغيرها ، لا سيما فى مجالات التطبيق الاعلامى ، كان مما أدى الى وجود الكتابة الهيراطيقية ، التى تجاوبت مع نشر الأوامر واذاعة التنبيهات وكلغة للاخبار التى يسجلها المسجلون ،

(*) خلال المبحث الاول من الفصل الاول من الباب الخامس ٠

وتلك التى ينقلها البريد الى مختلف الاقاليم ، وتلك التى ترفع الى كبـــار المسئولين ٠٠ وغير ذلك من استخدامات لها جانبها الاعلامى الذى لا يمكن انكاره ٠٠ ثم عندما أصبحت الحياة أكثر سرعة ، وظهرت الحاجة الماسة الى التعبير العاجل ، والمقتضب ، والذى يقدم من أسهل الطرق ٠٠ كانت الكتابة « الديموطيقية » التى تجاوبت مع طابع ووقت استخدامها ٠٠ بما يقترب بها كثيرا ٠٠ من « اللغة الصحفية » التى تكتب بها الصحف الآن عامة ٠٠ ومستواها الاخبارى - فى بعض جوانبه - خاصة ٠٠

أقول ، ان « الروح » الاعلامية ، و « الطابع » الاعلامى ، لا يمكن فصله تماما ، عن هذه التطورات **اللغوية** ٠

● **وأما ثانيهما** ٠٠ فهو أننا لا نقصيه أيضا - الاعـــلام المصرى القديم - عن أسبقية الاستخدام العام للبردى كسطح للكتابة ، وما أسفر عنه ذلك التطور الخطير فى تاريخ الفكر البشرى ، فصحيح أن البردى كان معروفا وله استخداماته العديدة الحياتية - حتى كطعـــام وكما أشرنا الى ذلك من قبل - لكن الاستخدام الحضارى الحقيقى لهذا العنصر الكتابى المهم جدا ، هو ما يرتبط بالعمل الاعـــــلامى المهتم والمتخصص لاسيما الدينى والطبى والتعليمى ، قبل ارتباطه بغيره **من الأعمال** ٠٠

١٠ - **القيام بالدور التعليمى** ٠٠ ونظرة واحدة الى الصفحات المتخلفة فى مقابر الوزراء ، وكبار الموظفين والحرفيين والزراع ، بل وفى بطون أوراق البردى التعليمية والطبية بأنواعها ، لتؤكد لنا أن الدور التعليمى ، لم يغب عن أذهان الآمرين بهذا الاتصال والمخططين له ، وكثيرةهى شواهد ذلك ٠٠ حتى طرق الصيد ووسائل جلب الأحجار وتشـــــييد البناء واعداد الأرض للزراعة وجمع المحصول ، وتعليم التلاميذ واجـــراء العمليات الجراحية ، وغيرها ، قدمتها لنا هذه الصفحات المتميزة ، لا سيما المهتم والمتخصص منها ٠

١١ - ٠٠ واذا كنا نتحدث الآن ، عن **دور وسائل الاعلام التثقيفى** ، وما ينبغى أن تؤديه خدمة للتنمية الفكرية والمعرفية ، عند جماهيرها بشكل عام ، فاننا نلاحظ أن وسائل الاتصال القديمة ، **قد قامت بدور لا بأس به** فى مجالات الثقافة ، وبتركيز شديد على هذه الموضوعات قبل غيرها :

ـــ الموضوعات الدينية . وما يتصل بأفكار الموت والحياة والخلود والمعبودات الكبرى والصغرى وأصـــل الأرض والفلســـفات المتصلة بهذه الأمور كلها ·

ـــ الموضوعات التى تتصل بطبيعة مصر ، وجغرافيتها وثراء أرضها وما بها من ثروات طبيعية وغيرها ·

ـــ الموضوعات التى تتصل برواية حياة الافراد والمهمين من الناس والبرزين فى المجتمع المصرى بجوانب بروزهم المختلفة ، وما يتصل بهم من أعمال ورحلات وقصص ومغامرات ·

ـــ الموضوعات التى تتصل بتاريخ مصر ، السابق على كتابة الرسالة الاعلامية ، لا سيما تلك التى تتصل بملوكها ، وتلاحقهم وتتابعهم وأعمالهم المهمة وحروبهم الداخلية والخارجية ·

١٢ ـ ·· **القيام بالدور الترفيهى أو الامتاعى** ، وهو ما يعـرف الآن بوظيفة « التسلية والامتاع » أو كما نحب أن نطلق عليه فى دراساتنا « الامتاع الذهنى والمؤانسة » للتفرقة بينها وبين ألوان الامتاع الأخرى ، وحيث نجد أن هذه الصفحات القديمة ، قامت بدور طيب فى هذا المجال أيضا ، سواء تلك التى أفردت لها كتابات خاصة ، أو جاءت ضمن الكتابات الأخرى،وحيث تشير على وجه التحديد الى هذه الألوان المسلية والممتعة كلها :

ـــ نشر ما يتعلق بألعاب الذكاء المختلفة كتلك التى تشبه الشطرنج والدومينو والمربعات المختلفة ·

ـــ الحديث المسهب عن ألعاب الأسرة والأطفال ·· حتى طريقة عملها أو صناعتها فضلا عن اللعب بها · ·وقد أسهبت المؤلفات التى تناولت الأسرة المصرية القديمة فى وصفها وتعدادها ·

ـــ الحديث عن ألوان الألعاب الرياضية المختلفـــة ·· كرياضة ، ومتعة ، وتسلية معا ·

ـــ القصص والأساطير العديدة التى كان من بين أهداف نشرها ··

الهدف الامتاعى الذهنى ، الى جانب الأهداف الاخبارية والسلوكية (الملاح الغريق وغيرها) ٠

ـــ ما جاء ضمن أحاديث الرحالة ورواد الصحارى والمستكشفين والمغامرين ، من مادة ترفيهية رفيعة المستوى تخاطب عقول وقلوب الكبار والصغار معا ٠

ـــ ما يتصل بالعدد الكبير من الرسوم الكاريكاتيرية التى كان جانب التسلية باتباع الأسلوب الساخر ، والذى يعتمد على التجسيم والمبالغة أحيانا ، وعلى تقمص شخصيات الحيوانات فى أحيان أخرى ، وعلى غيرهما ٠٠ كان هذا الجانب هو المقدم على ما عداه ، بالنسبة لخطوطها وملامحها ٠

ـــ نشر القصص الفكاهى ، على ألسنة الطير والحيوان ، والمدعم بالرسم المناسب ٠٠ مما أشرنا اليه فى مواضع سابقة ٠٠

الى غير هذه كلها ، من صور مسلية ممتعة ومؤنسة ٠

١٣ ـ ونجمع هنا ، بين أكثر من وظيفة أخرى قام الاتصـــال المصرى القديم بأدائها بدرجات متفاوتة من الأداء ، خلال العصور والحقب المختلفة ، وعلى الصفحات المتنوعة أيضا ، نعم ، لقد قام الاعلام المصرى القديم ، بكل هذه الوظائف التى نجملها فى الآتى :

ـــ المساهمة فى اصلاح بعض جوانب الخلل العام ، وسد الثغرات المجتمعية لا سيما فى عصور الانحطاط والضعف وحيث كان لكتابات قادة الفكر والاصلاح والرأى دورها الكبير فى هذا السبيل ٠

ـــ اشباع الذوق المصرى ، وتهذيبه ، والسمو به فى مجالات التعبير الكتابى والفنى المختلفة وجعله ذوقا فنيا راقيا ومرتفعا ٠٠

ـــ تشغيل العدد الكبير من المصريين لا سيما فى أوقات الفيضان ، والقضاء على حالات البطالة بينهم فى أعمال تدر عائدا يغطى معيشة العامل والفلاح ـ على الأقل ـ خلال هذه الأوقات وما كان لذلك كله من آثار اجتماعية

ايجابية عديدة (مواجهة الفقر ـ القضاء على الجريمة ـ تعليم بعض الحرف المرتبطة بالعمل الاتصالى لا سيما الانشائى والهندسى والفنى) ٠

ـــ اضاءة شعلة الابداع الفنى والثقافى والاعلامى وايجاد فرص المشاركة الايجابية ، واتاحة فرص الذيوع والانتشار للافكار التى تستحق ذلك ، دون حجر عليها ، أو حرمان لها من الوصول الى الجماهير ٠

ـــ حفظ وصون ورعاية الكثير من ألوان التراث الفكرى المصرى القديم ، والفولكلور المصرى المنتشر فى هذه الأوقات ، بما فى ذلك كله من تعريف الحاضر والمستقبل به ، وما فيه من دعم للاصالة ، وتأكيد لجوانب الذاتية الثقافية المصرية ، أصولها ومنابعها ٠

ثانيا ـ خصائص اعلام مصر القديمة

٠٠ وكأى نشاط انسانى له دوره ، وله أهميته ، وله امتداده ، وله صناعه ، وكنشاط فكرى ، وفنى معا ، له جوانبه العديدة المتداخلة بشـدة أحيانا ، وبأقل منها فى أحيان أخرى ، مع ألوان النشاط المجتمعى الأخرى المتميزة ، فى عصر أو آخر ٠٠ ولأن « الاعلام » هو مرآة هذا العصر أو ذاك، بكل من فيه ، وما فيه ، بحلوه ومره ، وخيره وشره ، باتجاهاته العاقلة ، أو الجامحة أو المتطرفة ، بانتصاراته وبهزائمه ، بأبطال حربه وسلمه ، ٠٠ الى آخر ذلك كله ، فقد كان لابد لهذا النشاط القائم والمستمر من أن تكون له خصائصه التى يمكن أن يتابعها الدارس والباحث والمدقق ، والتى ترتبط به أيما ارتباط ، بحيث يصح أن تكون علما عليه ، يعرف بها ، وتفرق بينه وبين ألوان النشاط الفكرى الآخر ، أو ألوان الاعلام فى بلاد أخرى ، فى عصور أخرى ، كما قد يحدث التشابه ، أو التقارب ، أو الاختلاف ، بين هذه وتلك ٠٠ وعموما ٠٠ فمن دراسة واستقراء المادة الاعلامية المصرية القديمة، أو على وجه الدقة ٠٠ بعض الذى تخلف منها وأمكننا الوقوف عليه ودراسته يمكننا أن نضع أيدينا على هذه المعالم والملامح « العامة » ٠ أى التى تتصل به كله ، وعموما ، وليس بنوع واحد فقط من أنواعه ، أو بنمط واحد من أنماطه ٠٠ انها :

(١) **خصائص من زاوية الشكل** : وهى المتصلة بالمظهر العـــام له ،

والوسيلة التى تحمله أو تحفظه ، وللمادة الخام التى تتكون منها ، وكذا بحجمها ، ومستواها الفنى المظهرى ، وما الى ذلك كله ، وهنا نتوقف لنقول باختصار شديد :

١ - أن معظم الرسائل الاعلامية القائمة والتى وصلت الينا حتى الآن ، كانت مادتها الخام ، مادة بيئية بالدرجة الأولى ، توجد على سطح الأرض المصرية ، أو فى باطنها أو على حافة نيلها وترعها ، أو بين جلمود صخرها ، وكان أبرز ما استخدم منها ·

— الأحجار بأنواعها التى سبقت الاشارة اليها ، وهى أكثرها تنوعا واستخداما وأكبرها مساحة وأثقلها وزنا وأطولها عمرا ·

— الفخار وله السبق التقريبى من حيث أقدمية الاستخدام ·

— الأخشاب بأنواعها ·· وقد استخدمت فى بعض الأوقات ، استخداما محدد المهمة ·

— الجدران ، لا سيما جدران القصور والمقابر فى أغراض جمالية ودينية وتعليمية معا ·

— البردى ·· ويلى الحجر فى كثرة استخدامه وأهميته ·· لكنه يختلف عنه فى طبيعته اختلافا تاما ، يتطلب عناية ودقة ، كما أنه من أصغرها مساحة وأقلها وزنا ، حين يراد للرسالة أن تكون كذلك ·

وصحيح أن هناك بعض أنواع المادة الخام التى جلبت من الخارج لكن هذه كانت نادرة ، أو لاستخدامات معمارية وانشائية وهندسية أولا ، قبل أن تكون اعلامية بالدرجة الأولى ·

٢ - أن معظم هذه الرسائل أيضا قد أجاد القائمون عليها والمخططون لها وفى ظل فكر العصر السائد ، وحالة الأمن الداخلى والخارجى معا ، ودرجة الثراء العام :

— اختيار المادة الخام المناسبة للوسيلة المناسبة ·· وبملاحظة هذه المواد فى مجموعها ، نجد أن كل مادة منها كان يتم اختيارها لتؤدى هدفا

محددا ، فالحجر بأنواعه لما يمكن أن يستمر قائما لأطول فترة ممكنة ·· وبعض أنواعه الجميلة ، لما هو مطلوب لجماله ورقته كالكوارتز والالاباستر والمرمر والأحجار الجيرية الملونة ، والمادة الفكرية ، والأدبية والعلمية يختص بها البردى فى أغلب الأحوال ·· وهكذا ·

ـ اختيار الموقع المناسب للعرض ، والذى يسهل على الجماهير متابعته منه ، أو يقع على طريق القوافل أو بالقرب من أماكن تجمعها لاسيما فى الأعياد والمناسبات ، أو وضعه فى الأماكن المرتفعة وما الى ذلك كله ·

ـ اختيار الحجم المناسب ، فهم ضخم حين يريد الآمـــر والقائم بالاتصال ذلك ، ويساعده المناخ العام ، والثراء القائم ، وتوافر المادة ·· فالضخامة هنا لها دوافعها العديدة التى يمكننا فى وقتنا هذا ، وبمقاييسنا الحاضرة ، أن ندرك بعض أسبابها « التميز عن أعمال الآخرين فى الداخل والخارج ـ الشموخ ـ التحدى ـ الرؤية عن بعد ـ الاقتراب من الشمس ـ تشغيل العمالة فى أوقات الفيضان ·· الخ » كما لا يمكننا ادراك بعض دوافعها الأخرى بمقاييسنا الحاضرة··ومن ثم فاننا نرفض قول يول ديورانت وهو يتحدث عن الأهرام قائلا : « على أننا نغادر هذا المكان فى غير بهجة ، ذلك أنا نرى فى هذا الحرص الشديد على الضخامة شيئا من النزعة الهمجية البدائية ، أو النزعة الهمجية الحديثة » (٢٤) ·· أو وهو يتحدث عن تمثال رمسيس الثانى بقوله : « وتراه هنا تمثالا كان ارتفاعه فى يوم من الأيام ستا وخمسين قدما أما الآن فيمتد على الأرض بين الرمال ستا وخمسين يسخر منه الغادون والرائحون ··· وكان حقا على نابليون أن يحييه بما حيا به الفيلسوف جوته فيما بعد اذ قال : ها هو ذا الرجل » (٢٥) ··

ترى ·· كم من الناس يغادر منطقة الأهرام ، كما غادرها ديورانت ·· فى غير بهجة ؟ ثم ·· متى كانت الأعمال الانشائية الضخمة الفخمة لونا من ألوان الهمجية ، وبلاده مليئة بمثلها من القصور الاسطورية ·· وهو يعلم جيدا ماذا يعنى الموت عند المصرى القديم ، وتلك الأغراض الدينية العديدة المتصلة بالأهرام ·· الفكرة والبناء والأثر معا ؟

·· والحجم أيضا ، صغير ودقيق حين يريدون ·· أو حين تؤدى بهم الظروف المحيطة الى ذلك ، أو حين يريدون الاختلاف ، أو التوفير وما اليها

كلها · ومن ثم كان التنوع « الوظيفى » فى أحجام هذه الوسائل ·· خاصة مهمة من خصائصها ·

٣ ـ أن الرسوم والنقوش المصاحبة له ، بارزة ومستوية وغائرة كانت لها سماتها وملامحها المهمة من حيث الشكل والتى ارتبطت بها منذ فجر التاريخ حتى نهاية العصر الفرعونى ·· وكان من أبرز ما يمكن تسجيله لها :

ــ أنها تعكس للوهلة الأولى الحس الفنى المتميز المرتبط بهذا الشعب طوال تاريخه ·· فهو الشعب الفنان بطبعه وطبيعته ·

ــ أنها تزخر بكل ملامح الجمال والجاذبية ·· سواء منها الملون ، أو غير الملون ·

ــ أن خطوطها واضحة ، قوية ، معبرة تعكس ما تميز به الفنان المصرى من هدوء واستقرار ·

ــ وبالمثل ·· يعكس هذا الهدوء ، والحس الفنى المتميز ، والبعد عن التعقيد ، غلبة البساطة على الخطوط والنقوش والزخارف ، وتفضيل الخيوط المستقيمة ·

ــ ولعل « الوضوح » هنا ·· هو أهم خاصـــة صاحبت الرسوم والنقوش المتصلة بجانب الاعلام المصرى القـــديم ·· من زاوية الشكل ، فالأغلبية الكبرى من الخطوط والملامح والصور واضحة كل الوضوح ·· تكاد تتحدث الى المشاهد ، وتخاطبه ·

ــ ولعل الخاصة الثانية هى « واقعية التعبير » ·· فلكل حجمه ـ حسب أهميته ودرجته ـ ولكل وضعه الذى تفرضه مكانته ، كما أن هناك صور الأحداث وألوان النشاط التى صورت تصويرا واقعيا ، والزخارف التى قدمت اللون الطبيعى وغير ذلك كله ·

ــ ثم انها العقلية الفنية المنظمة المرتبة ، التى تحرص على القواعد الفنية العامة المكتسبة عبر القـــرون ، وتظهر أثر للتقاليد التى ورثتها من جيل الى جيل ··

ــ وهى كذلك الدقــة فى اختيار الجانب ، والحجم ، والخط ، واللون وحجم الكتابة ٠٠ وتهذيب السطح وخلط الألوان ٠٠ واختيار الخلفية، وتحقيق النسب المختلفة ، واختيار الأوضاع المناسبة ، وما اليها ٠٠

ونكتفى بهذه الملامح الفنية ، اضافة الى ما سبق من سطور تناولتها ٠٠

٤ ــ ٠٠ وكانت العناية باعداد المادة ، او السطح ٠٠ اعدادها للرسم، أو النقش ، أو التصوير أو النحت أو الكتابة والتدوين ، أو بعض هذه معا ، أو هذه كلها فى أحوال عديدة ، كانت هذه خاصة عملية وظيفية أخرى ، مهمة جدا ، ادت الى حسن اختيار المادة الخام ، والصبر على اعداد سطحها ، ودقة هذا الاعداد ــ وهو عمليةليست بسيطة ــ ومنثم،كانهذا الاعداد المتميز، بمناسبة الخطوة الأولى المهمــة ، التى ســاعدت كثيرا على بروز جانب « الوضوح » ٠٠ ودقة التفاصيل ، وثبات الخطوط والألوان لأطــول فترة ممكنة ٠ ٠ومن الواضح أن هذا الاعداد الفنى للسطح ، كان يختلف من سطح لآخر ، من مادة لأخرى ، تبعا لحجمها ونوعيتها ، ولما هو مطلوب كتابته او حفره أو نحته أو تصويره فوقها ، وكانت عناية الفنان المصرى القديم بهذه الخطوة ، أحد أسباب جمال الشكل ، وطـول بقائه ، واضحا ، معبـرا ، حتى وقتنا هذا ٠٠

٥ ــ أن هذه الوسائل او الأوعية الاتصالية على اختلافها ٠٠ تعطى فكرة طيبة جدا عن **المقدرة الابتكارية المصرية فى مجال الشكل** ، أو « الفورم » ٠٠ فمعظم الأشكال الهندسية المعروفة ٠٠ كانت هذه هى بداية المعرفة بها ٠ ٠ وبما لم يتحقق ــ وهو زعم خاص لى ــ لحضارة قديمة أخرى غير الحضارة المصرية ونظرة وحدة الى اشكال هذه الأوعية والوسائل ، لتؤكد لنا جانب ابتكارها ، واختلافها ، وتعددها لا سيما الاشــكال الاساسية « الهندسية والزخرفية » ٠٠ وتلك التى تتفرع عنها ، وهى هنـــا اشكال : « **المربــع ــ المستطيل ــ الدائرة ــ المثلث** » ٠٠ والتى تفرعت عنهــــا ، وابتكرت منها الأشكال العديدة الأخرى ، التىيندر وجود مثلها ، أو غيرها ، بل وقد تشابكت هذه مع بعضها ، ومع عدد من أصول الزخارف المصرية الأخرى الموجودة بالبيئة لا سيما النباتات المهمة ، كاللوتس والقمح ، وحتى ما يمثل النجوم وأمواج البحر وغيرها ، وجدت منذ الحضارات الأولى ٠٠ حضارات ماقبل التاريخ ، كما كانت هناك الاشكال البيضاوية ، ونصف البيضاوية وشــبه

المنحرفة وغيرها ٠ ٠ولا يعنى ذلك أنالفنان المصرى كان سجينا لهذه الاشكال، بل كان حرا تماما فى ابتكار غيرها ، مما تجود به موهبته ٠

٦ ــ كذلك فقد كان الطابع العام الغالبعلى معظم النقوش ــ بأنواعها ــ هو طابع التناسب والتناسق العام ، بين وحدتها وصورها وخطوطها المختلفة ٠٠ فـ « الهارمونية » يمكن ملاحظتها بسهولة ، وهى تكاد تسيطر على معظم هذه الأوعية ، ويلى ذلك استخدام **التوازن الكامل أحيانا ، والناقص فى أحيان أخرى** ، عندما تتعدد الرؤى والمشاهد على اللوحة الواحدة ٠٠ وكذا عندما تتعدد الأحداث التى تصورها ، والاشخاص ومناصبهم ومهامهم ٠٠ وهكذا ٠٠

ونكتفى بهذا القدر من الخصائص الشكلية وننتقل الى جانب آخر هو :

(ب) خصائص من زاوية المضمون :

واذا كانت الخصائص السابقة تجذب العين أولا ، فان الخصائص اللاحقة تجذب العقل أولا ٠ ٠واذا كانت الخصائص السابقة ، تهتم بالمظهر، فان اللاحقة تهتم بالمحتوى ٠٠ وهكذا يكمل كل منهما الآخر ، لنتساءل ٠٠ هل كان لهذه الانماط الاتصالية الاعلامية كلها ، ما أشرنا اليه منها ، ومالم نشر اليه ، هل كان لها ما يمكن أن نتوقف عنده ، لنقول أنه كان علما عليها ٠٠ بوحداتها المختلفة ؟ ٠٠

الحق ، أنه يمكننا أن نضع أيدينا على عدد لا بأس به ، مما يمكن أن يتصل بهذه الوسائل نفسها أقوى اتصال وأوضحه ٠ ٠بحيث يصبح من خصائص مضمونها ، بما فيه من فكر ، ومادة ، وعن هذه وتلك نقول :

١ ــ **التنوع** : ذلك انك تشهد هذه الوسائل كلها، وكأنك تشهد « مجلة عامة مصورة » أو « صحيفة اسبوعية مصورة » لها تميزها القائم على تعدد المجالات والاهتمامات وتنوعها ، والمادة والصورة والرسوم التى تضرب فى أكثر من مجال ، وبنصيب وافر أيضا ، وحيث يمكننا القول ، أن التنوع ، هو أبرز صفات وخصائص مضمون أو محتوى الرسالة الاتصالية الاعلامية المصرية القديمة ، لا سيما تلك التى تعود الى عصور القوة ، والتماسك ، والوحدة ٠

٢ - ٠٠ومع ذلك كله - مع قيام هذا التنوع - الا أنه لابد من الاشارة الى غلبة بعض ألوان الاعلام، والمادة الاعلامية ، على غيرها ، وسبقها على هذا الغير ، ومن ثم استحقاقها لاحتـــلال أبرز المساحات من هذه الوسائل والأوعية ، أو هذه الصفحات المختلفة ٠٠

— فهو اعلام فى جملته مهتم أولا ، قبل أن يكون عاما ، وقبل أن يكون متخصصا ٠

— والمادة الدينية ، وتليها العسكرية ، ثم التربوية كان لها السبق على غيرها ٠

— ثم تختلط ألوان الاعلام الأخرى تالية لهذه السابقة فى الأهمية ٠٠ حيث تقابلنا المادة الخاصة برواية حياة الأفراد وتلك المتخصصة الزراعية ، والطبية وما الى ذلك كله ٠

٣ - ٠٠ على أن التخصص فى مجال الاعلام عامة ، والاعلام الصحفى المطبوع خاصة ، وفنون التحرير على وجه التحـــديد - كتخصص دقيق - يدهشه حقا ٠ ويأخذ به أن يمتد هذا التنوع ليقفز فوق حدود المادة عامة أو المحتوى عامة ، ويتجه الى أن **يمثل بذور أو جذور أو « الارهاصات الأولى » المتقدمة لمعظم فنون التحرير الصحفى ، التى تعرفها صحف اليوم ومجلاته ٠٠** بل ان الدارس والمتابع المدقق لبعض ألوان هذه المادة ، من زاوية التحرير أيضا ليدهشه أن بعضها - وان كان قليلا - يتقدم أكثر من خطوة واحدة على طريق الاستخدام القديم لهذه الفنون ٠٠ تلك التى توصل اليها العقل الكاتب المحرر المبتكر المصرى وصحيح أنه لم يعرفها كما نعرفها نحن اليوم ، بأشكالها الفنية المتكاملة وأنماط وأساليب تحريرها ، بل ولم يعرف اسمها الحالى ، فقد كانت دون ذلك كله قرونا وقرون٠٠ لكنه مع ذلك كله، كانت له علامات موهبته التى امتدت الى هذه الفنون أيضا ٠ ٠لا سيما المادة الاخبارية والتقريرية التسجيلية ، والتوجيهية الارشـــادية عامة ومهتمة ومتخصصـــة ، مباشرة وغير مباشرة ٠٠

ومن ثم فان الدارس والمتابع لهذه المادة من جانب ، ولتاريخ هذه الفنون من جانب آخر لا يسعه الا ملاحظة معرفة الكاتب المصرى القديم بمقدماتها

الضارية فى أعماق التربة الاعلامية المصرية ٠٠ وأخص بالذكر هنا جـــذور هذه الفنون كلها :

— الموضوعات الاخبارية العامة ٠
— التقارير المصورة وتحقيقات الرحلات ٠
— التقارير الاخبارية والمصورة العسكرية ٠
— بعض ألوان الاحاديث الصحفية ٠
— بعض ألوان الماجريات لا سيما القضائية ٠
— بعض ألوان المقالات التوجيهية والتفسيرية والتحريرية ٠
— الكارتون والكاريكاتير ٠٠

٤ ـ وقد اختصت الرسالة الاتصالية الاعلامية المصرية القديمة ، بعدد من الخصائص الأخرى ، تلك التى تتصــــل بالمضمون نفسه ، فى مجموعه وبجزئياته المختلفة أيضا ، وان تميزت بها ـ أو بخاصـــة منها ـ رسالة ، وتميزت الثانية بخاصة أخرى ، والثالثة بخاصـــة مخالفة ، وعموما فان مجموع هذه الخصائص ، يضع أيدينا على أنه كان من أبرزها :

— أنها فى كثير من أحوالها الدينية والتوجيهية والتربوية ، كانت تختلط بالأساطير المصرية القديمة ، تلك التى تناقلتها العصور عصرا بعـــد عصر ، والأجيال ، جيلا بعد جيل ، بحيث أصبحت فى النهاية ، وكأنها من « الفولكلور » الشعبى المصرى ، ومن ثم وجدناها تتسلل فى بعض الاحيان الى مثيلات هذه الرسائل ، وتخترقها ، وبشدة أيضا فى أحيان أخرى ومن الطبيعى أن تكون فى مقدمة هذه الأساطير تلك المتصلة بايزيس وأوزوريس ، وبخلق الأرض والسماء ، وآلهة البر والبحر وغيرها ٠

— واختلطت الرسالة كذلك ـ مضمونا ـ ببعض ألوان الأدب ٠٠ خاصة الأدب القصصى ويليه الأدب التهذيبى أو التوجيهى ، حتى أننا لا نبعد عن الحقيقة كثيرا عندما تستخدم تعبير « الاعلام فى أطر أدبيـــة » ٠٠ أو « الأدب الاعلامى » ٠٠ ودليلنا على ذلك أن بعض ألوان القصص المصرى القديم كانت لها أصولها التى وقعت بالفعل ، لا سيما قصص بردية «ويستكار» ٠٠ وقصـــة الواحى أو الفلاح الفصيح وقصة فتح جوبى وكوارث أونامون ٠٠ وحيث نلمح فيها زاوية موضوعية اخبارية لا بأس بها ٠٠ كما أشرنا فى

كلمات سابقة الى ذلك الارتباط القوى بين الأدب التهذيبى ، وفن المقـــال ، لا سيما مقالات الدعوة والتوجيه والارشـــاد والخواطر والتأملات والتى نعتبرها الآن لونا من ألوان « الأدب الاعلامى » أو « الأدب الصحفى المطبوع» ٠٠ وبالمثل يمكن أن يقال عن سير الملوك والوزراء والرحالة والمغامرين ، فهى أدب سيرة ذاتية لمن شاء أن يعتبرها كذلك ، وهى نوع من أنواع الاحاديث ، ذات الأطر التحريرية الخاصة ، لمن شاء أن يعتبرها كذلك أيضا ٠ وقد أشرنا بالنسبة لهذه القصص ، الى قول مترجمها ــ جوستاف لوفيفر ــ والذى جاء فيه ذكره عن قصتى سنوحى وكوارث أونامون انهما « ليستا الا سرد مرتب لأحداث وقعت فعلا ٠٠ فهى قصص ذات أصل تاريخى »(٢٦) ٠٠ ونضيف ٠٠ ذات أصل حدثى ، يبدو من خلال القراءة الدقيقـــة لها ، ثم أليس الأدب التهذيبى والمواعظ سواء بسواء ٠٠ وكلاهما له جانبه الاعلامى ٠٠ كخطبة ، وموعظة ولون مقالى مكتوب ٠ ٠وهكذا ٠٠

٥ ــ ٠٠ وصحيح أن جانب الاعلام الذى يعتمد على نشر المعـلومات الصادقة ، والحقائق الواضحة ، كان هو الجانب الغالب ، حين أراد الآمرون بالاتصال والقائمون عليه أن يكون هذا واقع رســـائلهم لا سيما تلك التى تناولت بعض الأمور المتفق عليها ، كالمسائل العلمية طبية وصيدلية وفلسفية وهندسية وتحنيطية وزراعية وما اليها ٠٠ بل ان الأمر امتد الى أبعد من ذلك فقد رأينا واقعية التصوير ودقته فى أحاديث بعض الرجال والمغامرين انفسهم مما يؤكد أن هذا الجانب كان فى أذهانهم ٠ ٠لكن ذلك لم يمنع من أن تتسلل الى العديد من رسائلهم بعض أساليب الدعاية القائمة على عكس الاتجاه السابق ــ الصدق ــ ومن ثم رأينا العديد من صيغ المبالغة ، بل والكذب أحيانا وهو يغلف بعض رسائلهم لا سيما التى تتناول الهتهم الكبرى أو الصغرى ، أو صلات عدد من الفراعنة بهؤلاء ، أو مغامرات هؤلاء فى ساحة القتال ٠٠ وكثيرا ما تحدثت عن فرار جنود فرعون ، وثباته هو وحده ٠٠ حتى انتهى الأمر بهزيمته للاعداء وفرارهم أمامه ٠٠ نعم الجميع يفرون أمامه رهبا ٠

ــ **امنحتب الثانى ورمسيس الثانى وغيرهما** (*) ــ وقد أشار الى

(*) كثيرة هى الاحاديث التى نسبت الى أولهما انتصارات تسللت المبالغة اليها، حتى بالنسبة لبعضها الذى وقع خارج البلاد ٠٠ فمرة تهاجمه جماعة وهو يتفقد جيشه فيصدهم وحيدا ويهزمهم بل ويفتك بهم جميعا مع قائدهم ٠٠ ومرة يقوم وحده بحفر

ذلك بعض المؤرخين ، من قدامى وجدد ·· لكن باستطاعتنا القول أن جانب الاعلام الصادق ، كان هو الاكثر ذيوعا والاكثر انتشارا ··

٦ ـ أن معظم المضامين التى حملتها الرسائل الاتصالية الاعـــلامية المصرية القديمة ، قد حفلت كذلك بكثير من الجـــوانب الايجابية الأخـــرى بصرف النظر عن هــــذه المبالغات ـ وكان من بينهـــا ـ الايجابيات ـ على سبيل المثال لا الحصر :

ــــ حسن اختيار الموضوع الذى يتناوله الحديث ، أو العرض أو القصـــة ·

ــــ الحيوية فى الوصف ، والبراعة فيه أيضا ·

ــــ العديد من التفاصيل المهمة ، ونصف المهمة ، بل والتافهة أحيانا ·· على سبيل اكتمال تقديم الصورة ·

ــــ التنظيم الذى لا بأس به للافكار ، وسرد ما يتصل بها فكرة أثر فكرة ، وزاوية وراء زاوية ·

ــــ الدعم الدائم ، وفى أحوال كثيرة جدا ، بالمادة المصورة ، التى توضح المادة التحريرية ، أو تشرحها ، أو تضيف اليها جديدا ·

(هـ) ·· وخصائص أخرى :

كذلك فقد كانت هناك بعض المعالم والملامح والخصائص « العامة » التى تتصل بالاعلام المصرى القديم كله ، وليس بنمط واحد من أنماطه ، أو فن من فنونه ، أو صانع من صناعه ، ولعل هذه كلها ، يمكن استنتاجها من خلال الصفحات والسطور الماضية فى مجموعها ، ومن أبرزها هنا : (وبعضها أشرنا اليه سابقا) ··

=

حفرتين كبيرتين حول معسكر للاسرى ويجلس وحده بعيدا عن جيشه يحرس أكثر من ٣٠٠ أسير !!

وأما عن مبالغات رمسيس الثانى ، فهى كثيرة ، وتزخر بها كتب التاريخ ، ومع ذلك ، فاكثر منها ما جاء من رواية صحيحة زخرت بها الاوعية الاتصالية المختلفة ··

١ ـ انه باستثناء ما كان يدور فى الاحتفالات والمناسبات المهمة ، دينية وعسكرية وفنية ومدنية ، وكذا باستثناء ما كان يدور فى عدد من اللقاءات (طقوس تعيين الملوك ـ الخطب ـ المقابلات ـ أخبار الكهان ـ المسرح ـ خوفو والسحرة ـ المراثى ـ الترانيم الدينية ٠٠٠الخ)٠٠ باستثناء ذلك فقد كان الاعلام المصرى القديم اعلاما تدوينيا كتابيا فى معظم الأحوال ـ وهو الجد الأول للاعلام الطباعى الصحفى بانواعه ـ ٠٠ أما أبرز أسباب ذلك فكانت :

ـــ لأن المخطوط أبقى على الزمن ، وأرسخ قدما من غيره وقد كانوا ينظرون دائما الى الأمام ٠٠ الى المستقبل القريب والبعيد معا ٠

ـــ لأن ادوات ووسائل وأوعية الاعلام المخطوط ـ التدوينى ـ تلك التى تحملها أو تحفظها كانت متوافرة بكثرة ظاهرة فى الأرض المصرية لاسيما بعد أن عرفوا البردى واستخداماته الكتابية ٠٠ بينما لم تكن وسائل التسجيل الصوتى والمسجلات قد عرفت ، أو بدا انها يمكن أن تعـــرف فى المستقبل القريب ، أو البعيد أيضا ٠

ـــ اكتساب خبرة ومهارة فى التعامل مع وسائل وأوعية الاتصال المطبوع ، كانت تنمو وتتطور مع الأيام ٠

ـــ فكرة الخلود ، ولبها هو الحياة الأخرى ، حيث المادة المدونة فى خدمة هذه الحياة بما فيها ، ومن فيها ٠

ـــ منزلة الكتابة ، وأهميتها الدينية ، وما تبعها من منزلة الكتاب والمتعلمين عموما ٠٠ وازدياد هذه المنزلة بمرور الوقت واتســـاع جوانب جوانب الحياة المصرية ٠

ـــ ادراكهم لبعض الأفكار التى تمجد العمل المدون ، وتشير الى اهميته ، ومنها فكرة أن المسموع لا يتأكد الا بالمخطوط ، وعدم الاعتماد على السمع وحده ، كما لاحظوا أن ما كان يورث سماعا كبعض القصص والسير، كان يدخله الأساطير ، والاضافات الخيالية العديدة ، من عصر الى عصر ، ومن جيل الى جيل ٠

٢ ـ الطواعية الشديدة للكتابة المصرية القديمة لتصوير جوانب العمل الاتصالى الاعلامى المختلفة ،فعلى الرغم من صعوبة الهيروغليفية ، وعدم امكان تحقيقها لعامـــل السرعة ، مما اســـفر عن معرفة الهيراطيقية ، ثم الديموطيقية ـ وهم تطوير وظيفى معاصر لها ـ ·· الا أن هذه اللغة ـ وهى لغة الاعلام المصرى القديم الاولى ـ قد حققت أهم ما يمكن تحقيقه من سرد وعرض ووصف وبأساليب مختلفة ، بل لقد استطاعت أن « تستوعب » معظم الأغراض الكتابية ، وحفظت لنا هذا الرصيد الضخم من المادة التى تتناول الحياة المصرية القديمة ، بما فيها ومن فيها ، بل كانت ايجابية تماما ، عندما تكتب من اليمين الى اليسار ومن اليسار الى اليمن ومن أعلى الى أسفل ·· فى مرونة كاملة وطواعية عجيبة وذلك كله فضلا عن جمالهــــا ، ورقتها ، وجانب الذوق الفنى فيها ··

وجميعها تقف فى صف ايجابيتها ·· كلغة الاعلام الاولى ، تماما كما هى وعلى حد زعمهم « اللغة المقدسة » ·

(د) اعلام مصر القديمة ، الوجه الآخر :

·· لكن الاعلام المصرى القديم ، بأطره واساليبه المتعددة ، بصوره ومشاهده المختلفة بأنماطه وفنونه الكثيرة ، بالآمرين به ، والمخططين له ، والقائمين عليه وبصناعه ومنفذيه ·· هذا الاعلام ، بانواعه ، لم يكن كل هذه الصور الايجابية ، المشرقة ، التى تسير دائما فى الاتجاه الصحيح ، أو تكون « انموذجية » أبدا ، وانما ، كان كغيره من ألوان النشاط الانسانى الأخرى ، تقفز اليه ، وتصطدم به بعض « المثالب » ·· وتأخذ منه ، وتنال أحيانا ، بعض المعوقات ، بل وتوجد بثوبه الأبيض ، بعض البقع الرمادية ، وربما بعض الرقع أيضا ··

اريد أن أقول ، أننا تحدثنا كثيرا عن ايجابيات الاعلام المصرى ، أو عن جوانبه الايجابية وبقى أن نتوقف قليلا عند جوانبه الأخرى ، التى تمثل اللون الرمادى ، أو الرقع ، أو الثغرات ·· لكننا قبل أن نتحـدث عنها نقول ·· كنقاط نظام فقط :

ـــ أنه سبق أن ألمحنا اليها فى سطور سابقة ·

ـــ أننا نتناولها هنا باختصار شديد جدا ٠٠

ـــ أنها لا تمثل غير أقل القليل ، السلبى ، بالنسبة لكم كبير وهائل ، مستمر وممتد ، من العوامل أو العناصر أو النقاط الايجابية ٠

ـــ أنها كذلك من طبائع الأشياء ٠٠ فمن الطبيعى جدا ، أن تتسلل الى الأعمال الكبرى بعض الأخطاء الصغيرة ، التى لا يلتفت اليها القائمون بها ، لاتجاههم دائما الى الأمام والى الأمام فقط ٠٠ فضلا عن أننا ننظر اليها بمنظار اليوم فى معظم الأحوال وأعمها ٠

ولو كان الاعلام المصرى ، صرخة فى واد ، أو ترفا فنيا أو كتابيا ، أو نشاطا غير ملحوظ ، ولا معتنى به ، أو صفحات فارغة بيضاء لاحس فيها ولا حياة ، أو بركة ماء راكد ، لما كان هناك مثلها ٠٠ ومنها على سبيل المثال لا الحصر :

١ ـ ولعل أولى السلبيات أو الثغرات التى يمكن أن تشير بأصبع النقد نحو الاعلام المصرى القديم ٠٠ **تلك السيطرة العجيبة وشبه الكاملة للاعلام الملكى** ٠٠ وصحيح أن الملكية فى مصر القديمة كانت لها سـطوتها ونفوذها الأكثر من نفوذ وسطوة ملكيات أخرى كثيرة وصحيح أيضا أنه كان لها ما يبررها فى عرف المصرى القديم ٠٠ لكنا نثبت هنا أنه كان لها هذا الوجه الآخر السلبى المؤثر على مسار الاعلام المصرى شكلا ومضمونا ٠ ٠ويكفى أنها :

ـــ أثرت على اعلام النبلاء وامراء وحكام الأقاليم والوزراء ، فراح هؤلاء يقلدون أعمال ملوكهم ومن ثم أصبح الاعلام المصرى اعلاما سلطويا فى معظمه ٠

ـــ تسلل الكثير من أشكال المبالغة الى هذا الاعلام الملكى الأميرى ٠

ـــ ساهم فى فكرة « الوهية » الملك ٠٠ واعطاء بعض الأشخاص الآخرين ، ممن يدورون فى فلكه أهمية قد لا يستحقها نفر منهم ٠

ـــ سيطر على صفحات كثيرة جدا ، كان من الممكن أن تشغلها بعض المواد الأخرى الأكثر نفعا ، وجدارة ، على المستوى العام ٠

ـــ حجب كثيرا مما كان يمكن أن يقال فى موضوعات أخرى غير سلطوية ، وبالنسبة لفئات أخرى من غير ذات الدم الأزرق ٠

٠٠ وصحيح أنه كان الاعلام الخصب ، والنامى ، والمميز ، لكن ـ على الجانب الآخر ـ فقد كانت له هذه الظلال كلها ٠

٢ ـ ويتصل بجوانب السلب هذه ، والتى تشير أولا الى الاعلام الملكى، أن عددا من الملوك ابتداء من « سمخت » ، « قعى » منذ أيام الاسرة الاولى نفســـها !!

ـــ أما أنهم كانوا يستولون لأنفسهم على أعمال غيرهم ، خاصــة عندما لم تكن الظروف تسعفهم للقيام بأعمال مماثلة ، أو كانوا من أعدائهم أو أعداء آبائهم أو أجدادهم ٠

ـــ أو يحذفون اسمه من السجلات لخروجه على عبادة اله معين أو بسبب موقف عدائى ٠

ـــ واما أنهم كانوا يحطمون هذه الأعمال ، ويحرقونها ٠

ـــ أو فهو طمس أسماء أصـــحابها وأبرز الكتابات المتصـــلة بهم وبشخصياتهم وخاتمهم الملكى ، وحتى أعمالهم الكبيرة ، وصورهم أيضا ٠

لقد فعلت ذلك كثرة منهم منذ الأسرة الأولى نفسها ٠ ٠وامتد ذلك حتى نهاية عصر الأسرات وكان ما فعله تحتمس الثالث بأدوات ووسائل وأوعية الملكة حتشـــبسوت ـ وهى رائدة اعلامية يندر وجود مثال لها ـ يعتبـــر « أنموذجا » لمثل هذه الاعمال السلبية ٠٠ حيث « صب جام غضبه على كل ما أقامته فحطم تماثيلها وكان العمال يوقدون النار حول تلك التماثيل ويصبون عليها الماء فتتناثر أجزاؤها الى آلاف القطع الصغيرة ٠٠ الخ » (٢٧) ٠٠ وبالمثل فعل حور محب وآى وبعض الرعامسة وغيرهم ٠٠ ولو لم يفعل هؤلاء مثل ذلك ، لكان عندنا الشىء الكثير من هذه الصفحات على اختلافها ٠

٣ ـ ٠٠ واذا كانت صفة الوضوح هى الصفة الغالبة على الرسائل الاتصالية الاعلامية المصرية واذا كنا نقول أن وسائلهم وأوعيتهم تقدم لنا ـ فى وضوح ايضا ـ معظم صور ومشاهد حياتهم ٠٠ الا أن ذلك لم يمنع من وجود الكثير الذى لا نعرف عنه الا القليل ، وربما النادر ، بل والغامض والمبهم أحيانا ٠٠ وصحيح أن بعض الابحاث الجديدة قد تلقى بأضواء كاشفة

حول هذه المسائل لكن المعرفة بها - على الأقل حتى الآن - تعتبر غامضة ، ومن ذلك مثلا :

— التضارب فى أسماء بعض الملوك ، وهل هم لملك واحد ، أو لأكثر من ملك (مينا - نارمر - عحا)٠

— غموض المادة الاعلامية والتاريخية المتصلة بفترة الاتحاد الأول٠

— قلة المعلومات الخاصة بحروب الشمال والجنوب فى هذه الأوقات أيضا ٠

— المادة الحقيقية المتصلة بانشاء بعض المدن التى لعبت دورا تاريخيا واتصاليا كبيرا ٠٠ معا ، ذلك مثل « ثنى ومنف وأبيدوس » ٠

— الأسباب التى دعت الى سقوط بعض الأسر كالأولى والثالثة والرابعة وتغيرها ، فهى أيضا غير مثبتة فى سطور هذه الصفحات ٠

— صلات بعض الملوك بمن جاء قبلهم ، حيث تبدو هذه غامضة فى أحيان عديدة : « نهاية الأسرتين الثانية والثالثة وعصور الضعف عامة » ٠

— الاختلاف على مدة بقاء بعض الملوك على العرش : « برى اب سن - زوسر - رع ددف - منقرع » وغيرهم ٠

— الاختلاف أحيانا على أعداد ملوك الأسرة الواحدة ، بينما لا يوجد ما يحسم الأمر تماما ٠

— القول النهائى بشأن بناء بعض الأهرام (ميدوم) ٠

— بعض أخبار وحقائق النزاع بين أفراد العائلات الملكية والأسر الكبيرة ٠

— ما يتصل ببناء الأهرامات ، خاصة هرم خوفو ، لا سيما طريقة البناء كاملة ٠

— قصص مصاهرة بعض ملوك مصر لعدد من العائلات الليبية وعائلات بلاد ما بين النهرين وغيرها ٠

٤ - أكبر جوانب النقص - فى رأينا - هذه التى ارتبطت بجانب التعريف الواجب والمنشود بالشعب المصرى أو الطبقات الشعبية المصرية ٠٠

على اختلافها وتعددها ، وصحيح أن ماقدمته هذه الصــفحات عن الحرف والحرفيين ، والزراعة والزراعيين يعتبر جانبا طيبا ، لكنه أيضا يعوزه الاكتمال وان كان أفضل مما قدم عن غيرهم ، لا سيما تلك الموضوعات التى تتصل بمجالات اهتمام هذه الطبقات ، اكتساب الرزق ، عاداتها وتقاليدها ، جدها ولهوها ، أحزانها وأفراحها فذلك كله يعتبر قليلا ·· اذا قيس بما قدم عن الطبقات الأخرى ، أو عن الطبقات العليا بصفة عامة ·

٥ ـ على أن الاسراف فى المديح ، والمبالغة فيه وهو ما أشرنا اليه سابقا ·· وما كنا نخافه أيضا قد انتقل من الطبقات العليا ·· الملوك والنبلاء والأمراء ومن اليهم ·· الى غيرهم حتى وجدناه يسرى فى كتابات الكثيرين عن أنفسهم ، عن حق وعن غير حق ، ودون أن يقدم بعضهم الدليل القائم على صدق ما يتمتع به من مواهب ، والأغرب من ذلك كله ، أن تمتد هذه «النعرة»، أو « النغمة » حتى الى كتابات بعض من اعتبروا من بين كتاب التوجيهات ، أو « الحكماء » أنفسهم ، من تلك التى كان ينبغى أن تتصف بالتواضع الشديد، تواضع العلماء والحكماء ، بل وسرت هذه الى كتابات بعض « العلميين » أيضا !! وهذا هو المعلم المهندس الشهير « سنموت » ·· مثلا ، يكتب عن نفسه قائلا : « ابتدعت أمورا من تلقاء نفسى فيما نفذته لم توجد من قبل فى كتابات الأقدمين » ·· ومثل هذا قال غيره مما نشير اليه فى موضعه ·· ترى ، هل هو القول المأثور : « الناس على دين ملوكهم » ·· حتى من اشتهر منهم بالعلم والفكر ، فى هذه الأوقات أيضا ؟ !

٦ ـ ومن رأينا كذلك ، أن طمس المعالم ، واخفاء الملامح ، والغــاء الذكريات ، وتهشيم كل الصفحات التى تعود الى أيام الاحتلال الهكسوس ، حتى أنه لم يعرف عنه غير القليل والقليل جدا ، ومن مصادر نادرة ، يمثل « ثغرة » أخرى فى تاريخ الاعلام المصرى القديم ، وصحيح أن الدافع كان وطنيا بالدرجة الأولى ، وكان يهدف الى نسيان كل ما يذكرهم بهذا العهـد البغيض أو الى الغائه تماما من الذاكرة المصرية ، ومع ذلك ، فقــد كان حماسهم طاغيا ، بحيث لم يترك لنا ما يمكننا من التعرف على هذه الفترة ، او ما يخبرنا بها بكل ما فيها ، ومن فيها اللهم الا القليل النادر الذى استقينا منه مادتنا التاريخية والاعلامية ·· معا ، ولو تركت بعض « آثارهم » التى تمثل أوعية هذه الفترة الهامة ، بما تحمله من نصوص ، لعرفنا أضعاف مانعرف ·· ولما كانت تمثل احدى فترات « الفقر » الاعلامى الشديد ·

٧ - كذلك فان الدور الكبير والأساسى الذى لعبه « الكهنة » وبخاصة كهنة الآلهة الكبرى ، والمعابد الكبرى ، والذى لم يقتصر على الاعلام الدينى وحده ، لا سيما عندما كان هؤلاء يتطلعون الى لعب دور سياسى ، تشرئب أعناقهم اليه - وهم ما حدث فى أوقات كثيرة أشرنا الى بعضها عند تناولنا للاطار التاريخى - هذا الدور كانت له انعكاساته ، وأحيانا القوية والمؤثرة، على الاعلام غير الدينى ·· حتى السياسى والعسكرى ، وغيرهما ·· وصحيح أن هذه الانعكاسات ، كانت ايجابية أو مؤثرة بالايجاب فى أحيـان كثيرة - أشرنا اليها عند تناولنا للاعلام الدينى - لكنها فى بعض الأحيان الأخرى ، راحت تترك بعض البصمات المؤثرة سلبا على واقع هذا الاعلام ·· ومن بينها مثـلا :

— محاولات اقناع الناس بأن استيلاء الكهنة على الحكم شيئا مقدرا (كهنة الشمس وبردية وستكار) ·

— الاسراف فى الحديث عن السحر كواقع قائم وقوى أيضا ، حتى فى مجالات علمية كثيرة ، أو فى مجالات تتصل بالاعلام العلمى المتخصص لاسيما الطبى (كان بعض الكهنة يقومون بالاشتغال بالطب القائم على السحر والشـــعوذة) ·

— وجود جانب اعلامى كبير ، لكنه بقى حتى الآن خافيا ، حيث كان يعتبر من الأسرار التى لا ينبغى أن يعرفها غيرهم ·· وصحيح أن هذا الجانب يتبع اعلامهم « المتخصص » ·· غير المعروض على مسمع الشعب ، أو الذى يقع تحت بصره ، لكنه - على كل حال - كانت له تأثيراته الشعبية بأساليب غير مباشرة ، عندما كان يتسلل عبر علاقات الكهنة بغيرهم ممن هم من غير المرتبطين بالكهنوت ، وخلال المناسبات والأعياد المهمة ، والمشكلات التى تقع بين الآلهة واتباعهم ·· ومن ثم فقد كان الافصاح عنه فى صالح هذا الاعلام الدينى نفسه بطرقه وأساليبه المختلفة ·

— وأحسب أن الكهنة كانوا وراء بعض ألوان الخيال المسرف أو الجامح الذى ارتبط باعلامهم أولا ، ثم انتقلت عدواه الى غيره من ألوان الاعلام الأخرى ، طالما راحوا يصورون آلهتهم ، وقد ملكت كل شىء ، وجاءت بالمعجزات والخـــوارق ·· والله يعلم أن معظمها من أفعالهم ، بل وألوان

سحرهم ، و « دجلهم » أيضا ، دون أن نتجاهل الدور الأخلاقى الكبير الذى أداه بعضهم ٠٠

ـــ ويرتبط بذلك ما أشرنا اليه فى كلمات سابقة ، من اختلاط الاعلام المصرى القديم بجانب الأسطورة ٠ ٠لا سيما ذات الأصل والجذور والنشأة الدينية ، وكذا تلك التى ابتدعها هـــؤلاء لتبرير بعض المواقف السياسية ، الخاصة بملك أو آخر من ملوك مصر القديمة ٠٠ هنا تبتدع الأســـطورة ، وتتسلل الى ألوان الاعلام الأخرى ، بل تصير « تراثا » دينيا وأدبيا واعلاميا معا ، وربما انتقلت بعد ذلك ـ بفعل الاتصال الحضارى أو العســـكرى أو التجارى ـ الى ديانات وآداب وصور اعلام الأمم الأخرى (اليونان والرومان فى أغلب الأحوال بالنسبة للاساطير المصرية) ٠

٨ ـ كذلك فان وضع « **الكاتب** » المصرى ، على الرغـــم من أهميته « الكبرى » الا أنه يعتبر بالنسبة للمتابع والدارس لاعلام هذه الأقوات يعتبر وضعا « قلقا » ٠٠ بل ويعتبر وضعا محيرا أيضا وذلك لعدة أسباب من بينها:

ـــ أن عمله يتشابك مع أعمال كثيرين من العاملين بالمجتمع المصرى القديم ٠٠ فالمعلم والمحاسب والمفتش وموظف السجلات وموظف المخزن ٠٠ وغيرهم ، كل هؤلاء من طبقة الكتاب ٠

ـــ واحيانا ، كل من يقرأ ويكتب **فهو كاتب** ٠

ـــ ويبدو أن الجميع ـ بسبب أهمية عمله وارتباطه بأعمال المعبودات والهة الكتابة والفن ـ كانوا من الطامعين فى اضفاء صفاته عليهم ، حتى الفراعنة ، وهم الملوك ، وأبناء الآلهة أو الآلهة ـ من منظورهم الخاص ـ حتى هؤلاء اتخذوا لهم لقب الكاتب ، طمعا فيه أو لمزيد من الأبهة والعظمة ٠

ـــ بل ولم يسمحوا لمعظم الكتاب ، بثبت توقيعاتهم على مادتهم التى حملتها الاوعية الاتصالية المختلفة ٠٠ اللهم الا فى أحوال نادرة ٠

٠٠ ومن ثم فقد بقى وضعه « قلقا » كما قلنا ، محيرا أيضا ، وصار هو « تائها » فوق الصفحات ، تضل توقيعاته طريقها الى النصوص ، أو تجبر على ذلك ، ومن ثم أيضا ، فقد بقى الكاتب المصرى ، وهو من أبرز صناع

الحضارة المصرية ، ومن أهم صناع الحضارة العالمية ، بقى دوره فى أكثر الأحوال وأعمها دورا مجهولا ٠٠ بقى كمعظم « سكرتيرى التحرير » الآن ، على الرغم من جدارة عملهم ، واستحقاقه ،ورأى الفراعنة ـ اللهم الا قليلا منهم ـ أن يظلوا هم الأبطال وحدهم ٠٠ وأن تتركز حولهم جميع الأضواء ٠٠ فلم نعرف من الكتاب الا هذه القلة القليلة التى أشرنا اليها ٠

ويا له من وضع تاريخى اعلامى « مجحف » !!

●● مصادر الباب السادس ومراجعه :

(١ ـ ٢) نخبة من العلماء : « تاريخ الحضارة المصرية ، العصر الفرعونى » من مقال بقلم د. بول غليونجى ، ص ٥٣٢ .

(٣ ـ ٤ ـ ٥ ـ ٦ ـ ٧) أحمد سويلم العمرى : « مجال الرأى العام والاعلام » صفحات متفرقة .

(٨) حسنين عبد القادر : « الرأى العام والدعاية وحرية الصحافة » ص ١٥ ، نقلا عن دوب Doob

(٩) المصدر السابق ، ص ١٧ ، نقلا عن فلويد البورت F. Allport

(١٠ ـ ١١ ـ ١٢) المصدر السابق ، ص ٢١ .

(١٣) السيد عليوه : « استراتيجية الاعلام العربى » ص ٢٠ نقلا عن فيلاند .

(١٤) المصدر السابق ، ص ٢٠ ، نقلا عن بنتشلى .

(١٥) المصدر السابق ، ص ٢٠ ، ٢١ .

(١٦) سمير محمد حسين : « الاعلام والاتصال بالجماهير والرأى العام » ص ٣٢٨ نقلا عن : جيمس برايس .

(١٧) ابراهيم امام : « الاعلام والاتصال بالجماهير » ص ٢٠٥ .

(١٨) محمد عبد القادر حاتم : « الرأى العام » ص ٤٩ .

(١٩) أحمد فخرى : « مصر الفرعونية » ص ١٢٩ .

(٢٠) أحمد بدوى ، محمد جمال الدين مختار : « تاريخ التربية والتعليم فى مصر» ج ١ ص ٧٥ .

(٢١) المصدر السابق ، ص ١٢ .

(٢٢) عبد القادر حمزة : « على هامش التاريخ المصرى القديم » المجلد الثانى ص٦٦

(٢٣) محمد بدران : « قصة الحضارة » مترجم عن ول ديورانت مجلد ١ ، ج ٢ ، ص ١١٧ .

(٢٤) المصدر السابق ص ٥٢ .

(٢٥) المصدر السابق ص ٥٤ .

(٢٦) على حافظ : « روايات وقصص مصرية من العصر الفرعونى » مترجم عن ج لوفيفر ص ٤ .

(٢٧) أحمد فخرى : « مصر الفرعونية » ص ٢٧٦ .

ملاحـــق الكتـــاب

أولا ـ أجزاء مختارة من مادة تحريرية اعلامية مصرية قديمة ٠

ثانيا ـ الصور واللوحات ٠

ثالثا ـ ثبت بأهم المراجـــع ٠

رابعا ـ للمزيد من المعلومات حول بعض ألوان المادة الاعلامية المشار اليهـــا ٠

خامسا ـ فهرست الموضوعات ٠

أولا ـ أجـزاء مختـارة

من مادة تحريرية اعلامية مصرية قديمـة

٠٠ وقبل أن نقدم هذه النماذج ٠٠ نلقى بأكثر من نقطة ضوء عليهـا للمزيد من الوضوح والفهم ٠٠ وهذه النقاط تقول باختصار شديد :

١ ـ أن البعض قد ينظر اليها على أنها مادة تاريخية ، والبعض الآخر على أنها مادة أدبية وهكذا ٠٠ وهو لا يمنع فى رأينا وكما قلنا من أن ننظـر اليها من زاوية اعلامية ، ومن خلال منظور اعلامى ، لنرى أنها تستحق أن تكون اعلاما أيضا الى جانب كونها تاريخا وأدبا ٠٠

٢ ـ أننا قدمناها من خلال أطرها النوعية الثلاثة ، الاعلام العام والمهتم والمتخصص ، وان غلب عليها طابع « الاعلام العسكرى » لأنه الأكثر وجودا فوق الصفحات المصرية القديمة الى جانب الاعلام الدينى والتربوى وغيرهما ٠

٣ ـ أنه يمكن تقسيم السطور التالية ، الى « مادة مباشرة » ٠٠ منقولة عن هذه الصفحات كما هى ٠٠ ـ باستثناء الترجمة ـ ومادة غير مبـاشرة ، أى كما يعرضها بعض أساتذة التاريخ المصرى القديم وعلماء المصريات من أهل العلم والثقة معـا ٠

٤ ـ ان بعضها يعتمد « الاعلام الضمنى » ٠٠ أو « الجوانى » مما يمكن للاعلامى أن يضع يده عليه ويفصل بينه وبين غيره ٠

٥ ـ ٠٠ ويمكن اضافة بعض النصوص التى ذكرت من قبل ، خـلال صفحات الكتاب ، لا سيما حكم « بتاح حتب » وهى من أصول المقال ، ورسالة « حتشبسوت » على مسلتها وما تشير اليه من حاسة اعلامية ٠٠ وغيرهما ٠

٦ ـ أن هذه الأجزاء ، هى قليل من كثير ، نقدمه على سبيل المثـال لا الحصـر ٠

٧ ـ وأنها جميعا من « جذور الاعلام » ومقدماته الأولى الضـــاربة فى أعماق التربة المصرية والتى تعكس الاهتمامات المصرية والروح والعادات والتقاليد وصور البيئة فى هذه الأوقات ، وذلك كله فضلا عن الصور السائدة، فكرا وتعبيرا واستشهادا ٠٠ وما الى ذلك كله ٠

٨ ـ اننا ـ خلال هذه الملاحق ـ سوف نحيل القارئ بعونه تعالى الى بعض المراجع التى تقدم له مزيدا من التفاصيل حول نقطة أو أخرى ، أو زاوية أو ثانية من تلك التى وردت بين سطورنا ٠٠ عندما نجد أهمية فى ذلك ٠٠

٩ ـ وللصديق الذى اطلع على مسودات هذا الكتاب ومن ثم أرســـل يقول : هل أطلق المصريون القدماء على هذه المواد وغيرها المسميات الحديثة مثل : الخبر ، التقرير ، التحقيق ، المقال ، الصور ، الكاريكاتير ٠٠ وغيرها؟

له ولغيره أقول : أن بعض التعبيرات « التقليدية » قد أطلقت ٠ ٠ كالموعظة والقول ـ وهو من نفس مصدر المقال ـ والنشيد ، والحكايات والقصة ٠٠ وقد ترددت هذه فى كتب علماء المصريات ٠٠ كما عرفوا أيضا كيف يكون فى مقدمة الكلام ما يشير اليه والى طابعه ـ العنوان ـ أما هذه المســميات والتعبيرات الحديثة ، والتى لم تعرف بعضها صحف كثيرة ، صدرت حتى السنوات الأولى من قرننا الحالى ٠٠ فأشك أنها كانت تعرفها ، أو ـ عـلى الأقل ـ أنها كانت تقوم بنفس معانيها أو مدلولاتها الاعلامية الحــالية ٠٠ وحتى اذا ثبت أنها عرفتها ، وذلك مثل : « التقرير ـ التحقيق ـ الماجرية ـ الموضوع الاخبارى » ٠٠ أو استخدمت ما يقابلها « اعلاميا » ـ مصر القديمة هنا ـ وان كان من الممكن جدا أن يكون هناك ما يقابلها حياتيا وعلميا ووظيفيا مما نترك لعلماء المصريات والتاريخ المصرى القديم واللغة المصرية ٠٠ اطلاعنا عليه ٠٠ أقول ، لا أشك فى أن « القاموس اللغوى » المصرى القديم كان يعرف أمثالها ، وربما أكثر من مترادف لها ، حتى وان استخدمت فى مجالات أخرى ٠٠ أو فى حقول قريبة من الحقل الاعلامى نفسه ٠

أقول ذلك كله ٠٠ ليكون دليلا الى هذه السطور القادمة ٠

انمـــوذج رقـم (١)

أخبـــار قصـــيرة

● الملك « نفر اركارع » الأسرة الخامسة : د٠ أحمد فخرى ٠

● « ذهب الملك مع أبنائه ليشاهد العمل فى احدى المنشئات الملكية فى يوم من الأيام وكان وزيره يسير الى جواره ويشرح له ما تقع عليه عيناه ٠ وسر الملك ومن معه مما رأوا وأثنى عليه كثيرا ، وبينما كان الملك يتحدث اليه سقط « واش بتاح » مغميا عليه ٠ وعندما رأى أولاد الملك وأفراد عائلته ما حدث أصابهم الهلع وأمر « نفر ار كارع » أن ينقلوه فى الحال الى القصر وأخرج جلالته صندوقا مملوءا بالقراطيس الطبية لعله يجد فيها علاجا له ، ولكنه لم يستطع مساعدته واعتكف فى مقصورته ليصلى لأجله ٠ وعندما أعلنوا للملك وفاته حزن وعاد الى حجرته ليرفع صلواته الى الاله رع ثم أمر بأن يصنع له تابوت من خشب الأبنوس المطعم كما أمر أن يكون تحنيطه أمامه وقد ذكر ابنه الأكبر ، الذى غمره الملك باحسانه وأسند اليه بعض الوظائف الكبرى ، تفاصيل هذه القصة على لوحة أقامها فى القبر الذى شيده له فى ســـــقارة » ٠

● وكان «رع ور» يسير الىجوار سيده فى يوم احتفال رسمى بافتتاح عيد خاص وحدث أن الملك كان يحرك عصاه فضربت دون قصد منه ساق رع ور فلما أدرك ما فعله استاء استياءا شديدا وقال بأنه أحب شخص لديه واعتذر عما بدر منه ، ولم يكتف الملك بذلك بل أراد أن يجعل هذه الحقيقة معروفة للناس جميعا وأن تنقش على لوحة حجرية ، وقد عثر على هـــذه اللوحة فى قبر ذلك الموظف » ٠

● « ملك الوجه القبلى ، والوجه البحرى : مرى ــ ان رع محبوب خنوم رب الشلال ، السنة الخامسة ، الشهر الثانى من فصل الصيف ، اليوم الثامن والعشرون ، لقد أتى الملك بنفسه وعاد وقد وقف على ظهر الجبـــل ، وقبل أمراء وارتشة وواواة الأرض بين يديه وامتدحوه كثيرا »

نقش على صخر بأحد شوارع أسوان ــ الأسرة الخامسة

● أتانى كاتب الوزير وهو ولده سنب ودعانى باسم والده فذهبت معه ووجدت الوزير محافظ العاصمة عنخو فى ديوانه ، فأصدر الى أمرا قائلا ! تقرر أن تتولى ترميم معبد أبيدوس وسوف يصحبك الفنانون لانجـاز هذه المهمة ويصحبك كهنة مخزن القرابين بالمنطقة ٠

« الأسرة ١٣ ـ الملك جنجر الأول ـ الكاهن أمينى سب »

● اذن الفرعون بالاستجابة الى دعاء العدو ، وبسط يديه من أجل السلام ، وقفل راجعا مع جنوده فى أمان الى أرض مصر ٠

« الأسرة ١٩ ـ رمسيس الثانى »

● عبر الملك سبك حتب النهر الى القصر الشمالى القائم وسط المياه وكان ذلك فى الشهر الرابع فى السنة الرابعة من حكمه خـلال أيام النسىء٠

« من منشورات معبد الكرنك ، الأسرة ١٣ ـ سبك حتب »

● وجد جلالتى سورا من اللبن توشك الأرض أن تخفيه ، فأمـرت بازالته ووسعت هذا المعبد وطهرته وأزلت عنه أكوام الرديم التى تراكمت حول جانبيه ، والتى ارتفعت نحو الهيكل ، ودككت الأرض حيث كان يوجد السور لكى أشيد فوقها هذه التحفة لأطهر هذا المعبد لأبى أمون فى الكرنك وجعلته شيئا جـديدا ٠

« من منشورات معبد الكرنك ـ تحتمس الثالث »

● فى السنة الثانية تحت حكم جلالة حوريس الحى حدث شىء عظيم لجلالته : أتى رجل ليعلن جلالته قائلا : هناك ماشية برية فى الصحراء فى ناحية شتب ٠٠ فأبحر جلالته فى القارب الملكى خع أم ماعت فى المساء وبعد رحلة موفقة وصل فى سلام الى ناحية شتب عند الفجر واستقل جلالته مركبة وجيوشه تتبعه وقواد الجيش كله وجنده وأطفال الناحية أمروا أن يراقبوا الماشية البرية ٠

وأمر جلالته أن تحاط هذه الماشية بسور وحفرة وأن تحصى كل هـــذه

الماشية البرية وبيانها ١٧٠ ·· بيان ما صاده جلالته فى ذلك اليوم ٥٦ من الماشية البرية ··

« من أخبار امنحتب الثالث - نقش على قاعدة جعل - المتحف البريطـــانى »

● صعد الملك الى السماء واتحد مع الاله رع ، واندمجت أعضـــاؤه الطاهرة مع الذى خلقها ، فلما جاء اليوم الثانى وأشرقت الشمس وأضـــاءت السماء ، جلس على عرش أبيه الملك عاخبرورع واتخذ لنفسه الألقـــاب الملكيـــة »

« خبر موت تحتمس الثالث واعتلاء امنحوتب الثانى العـرش ، نص على جدران مقبرة القائد أمون أم حب »

● قام جلالته بتجديد كل معابد الآلهة ، من أحراش الدلتا وحتى منطقة توسيتى فى الجنوب ·· لقد قام بتعمير أماكن الآلهة التى كانت قــد تحولت الى خرائب فى هذه الأرض وأعادها الى ما كانت عليه فى العصور القـــديمة ·

« حور محب - من مرسوم التتويج »

● انه فى السنة السادسة من حكم الفرعون ، اليوم السادس عشر من الشهر الحادى عشر زار الوزير نفررنبت جبانة طيبة ليتفقد أحـــوال العمـــال فيهـــا ·

« رمسيس الرابع - استراكون بمتحف القاهرة »

● السنة الثالثة ، الشهر الأول من الفصل الثالث ، اليوم السادس والعشرون ، ذهب قائد العربة رعمسيس بن مدير البيت مرى زدت لأخـــذ الأحجار من المكان الصحيح مع مدير الأعمال الكاهن الاول لآمون رع ·· ملك الآلهة رعمسيس نخت ·

« لوحة صخرية - خبر احدى حملات رمسيس ٤ »
« بقيادة رعمسيس نخت »

أنمـــوذج رقــم (٢)

- جزء من تقرير اخبارى مهتم (عسكرى)
حملة تحتمس الثالث الأولى على غربى آسيا : معبد الكرنك
المصدر : أحمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم ص ٢٣٧ وما بعــــدها ٠

- يقـدم المترجم لها قائلا :

« وها هى ترجمة جزء من النقش الخاص بحملته الأولى التى بدأهـا فى العام الثانى والعشرين ، الشهر الرابع من الفصل الثانى ، اليوم الخـامس والعشرين (١) ، من حصن ثارو ـ مدينة القنطرة الحالية ٠ يروى تحوتمس تفصيلات سيره الى غزة ثم تقدمه نحو الشمال ، وما وافقه به مخابرات الجيش والمؤتمر الحربى الذى عقده ثم مفاجآته للعدو من طريق غير مطروق بين الجبال ، ثم هجومه على مجدو ، وقد اخترت الجزء الخاص بما استولى عليه من غنائم ، وهى تبدأ من السطر ٩٤ من نص معبد الكرنك لأنها توضح لنا محصولات البلاد السورية وتقدمها الحضارى فى القـــرن الخـــامس عشر ق ٠ م ٠ » ٠٠

النص :

« والآن أتى أمراء هذا البلد الأجنبى ، وهم على بطونهم ليقبلوا الأرض أمام عظمة جلالته ، وليستجدوا النفس لخياشيمهم ، لأن ذراعه كان قـــويا جدا ، وذلك لأن قوة أمون كانت فوق كل بلد أجنبى ٠ (جاء) جميع الأمراء الذين سحقتهم قوة جلالته يحملون جزيتهم من الفضة والذهب واللازورد والفيروز ، ويحملون الحبوب والنبيذ والماشية ، كبيرة وصغيرة ، لأجل جيش جلالته ، ومنهم جماعة ذهبت حاملة الجزية نحو الجنوب (٢) ٠ ثم عين جلالته أمراء جددا لكل مدينة ٠٠

---

(١) يوافق يوم ٦ ابريل ١٤٦٨ ق٠م فى رأى المترجم ٠

(٢) أى ذهبت متجهة الى مصر تحمل الجزية ٠

(بيان بالغنائم التى أخذها جيش جلالته من مدينة) مجـدو :

٣٤٠ أسيرا ، ٨٣ يدا (١) ـ ٢٠٤١ حصانا و ١٩١ و ٦ من فحول الخيل و ٠٠٠ مهرا ـ عربة واحدة محلاة بالذهب وهيكلها من الذهب ، وهى خاصة بذلك العدو ـ وعربة واحدة حسنة الصنع ومحلاة بالذهب تخص أمير (مجدو) ٠٠٠٠ و ٨٩٢ عـربة تخص جيشه التعس ـ المجموع : ٩٢٤ ـ ١ غـــلالة زرد حســـنة الصـــنع من البرونز تخص أمير مجـدو ـ و ٢٠٠ غلالة زرد مصنوعة من الجلد تخص جيشه التعس ـ ٥٠٢ قوسا ـ و ٧ أعمدة من خشب ال ـ مرو مغطاة بالفضة وهى خاصة بخيمة ذلك العدو ٠

واستولى جيش جلالته (ماشية) ٠٠٠ ـ ٣٨٧ ٠٠٠ ـ ١٩٢٩ بقرة ـ ٢٠٠٠ عنزا ، ٢٠٥٠٠ من الغنم ٠

كشف بما استولى عليه الملك من أشياء مملوكة لذلك العدو ، الـذى كان فى (مدن) ينعم ونوجس وهرنكرو مع ما تملكه تلك المدن التى قبـلت الخضوع له ٠٠٠ ـ ٠٠٠ ـ ٣٨ محاربا من الماريانو (٢) من بينهم ـ ٨٤ ابنا لذلك العدو ، ومن الأمراء الذين كانوا معه ـ و ٥ ماريانو كانوا معهم ـ ١٧٩٦ رقيقا من الذكور والاناث وأولادهم ـ و ١٠٣ شخصا عفا عنهم لأنهم هربوا من ذلك العدو بسبب ما أصابهم من جوع ـ المجموع ٢٥٠٣ ـ وذلك عدا الأوانى المصنوعة من الأحجار الغالية والذهب ٠ أوانى مختلفة (١٠٠) ٠٠ اناء كبير من النوع المسمى « أكونو » صناعة سورية ، جرار وطاسات وأطباق وأوانى شراب مختلفة ، وقدور كبيرة (٠٠٠) و ١٧ سكينا ـ وهى كلها ١٧٨٤ دبن (٣) ـ أقراص من الذهب كانت معدة لتصنع ، وكمية كبيرة من أقراص الفضة ـ (المجموع) ٩٦٦ «دبن» و ١ قدرى» (٤) ـ تمثال من الفضة على هيئة ٠٠٠ (وتمثال) ٠٠٠ ورأسه من الذهب ـ ثلاث عصى لهـا أيدى على شكل رأس انسان ـ ٦ محفات خاصة بذلك العدو ، وهى من العـــاج

---

(١) أى ثلاثة وثمانون شخصا قتلهم جنود تحوتمس أثناء الدفاع عن المدينة وقطعو اليد اليمنى من كل منهم ، وقدموها الى الملك لاثبات ذلك ٠

(٢) الماريانو ٠٠ من طبقة القادة الضباط ٠

(٣ ـ ٤) وحدات لوزن الذهب والفضة ٠

والأبنوس وخشب الخروب محلاة بالذهب ـ و ٦ كراسى توضع عليها الأرجل تابعة لها ـ ٦ طاولات كبيرة من العاج وخشب الخروب ـ سرير خاص بذلك العدو مصنوع من خشب الخروب محلى بالذهب ، وجميع أنواع الأحجار الغالية على هيئة كركر ومحلى كله بالذهب ـ وتمثال لذلك العدو كان معه ، وهو من الأبنوس المحلى بالذهب ورأسه من اللازورد ـ أوانى من البـرونز وملابس كثيرة لذلك العـدو ٠

وقسمت الحقول الى قطع زراعية وزعت على مفتشى القصر ، له الحياة والصحة والسعادة ، لكى يجمعوا المحصول ـ بيان بالمحصول الذى استولى عليه جلالته من حقول مجدو : ٢٠٧ر٣٠٠ (+ ٠٠ ؟) غرارة من القمـح وذلك عدا ما قطعه جيش جلالته ليكون علفا ٠٠ »

+ جـزء من موضوع اخبـارى :

حملته الثامنة على بلاد ما بين النهرين ، المصدر نفسه ص ٢٤٠

يبدأ المترجم بقـوله :

« لم تكن الحملة الأولى الا بداية لستة عشر حملة حربية فى مدى عشرين عاما ، وقـد وصـل فى حملته الثامنة الى الفرات وعبره ، وخضعت له بلاد ما بين النهرين ، وها هو جـزء من النص المصرى الخاص بهذه الحملة، كما ورد فى لوحة جبل برقل (١) » ٠

النص :

« عندما قصد جلالتى الى سهول آسيا أمرت ببناء سفن كثيرة من خشب الأرز على جبال « أرض الاله » على مقربة من « سيدة جبيل » (أى فى لبنان) ووضعوها على عربات تجرها الثيران ، وسار أمام جلالتى لكى تعبر ذلك

---

(١) اقامها تحتمس الثالث فى العام السابع والاربعين من حكمه وذلك عند سفح جبل برقل فى مدينة نبتا على مقربة من الشلال الرابع ٠

النهر الكبير الذى يقع بين هذه البلاد وبين بلاد نهارنيا (١) انه ملك بحـــق يفخر الناس بمدى قوة ذراعيه فى القتال ، ذلك الذى عبر المنحنى العظيـم (أى الفرات) وهو يطارد الذى هاجمه ، وسار على رأس جيشه باحثا عـن العدو التعس فى بلاد الميتانى عندما هرب أمام جلالتى الى بلد آخر ، الى مكان بعيد نظرا لخوفه ٠

وأقام جلالتى بعد ذلك فوق جبل نهارينا هذا لوحتى التى قطعت من ذلك الجبل فى الناحية الغربية من المنحنى العظيم (الفرات) ٠٠

وعندما تقدمت جنوبا نحو مصر بعد أن أعملت السيف فى نهـــارينا صار الخوف عظيما فى أفواه البدو ، فأغلقوا أبوابهم بسبب ذلك ولم يجرءوا على الخروج منها الى الأرض الفضاء خوفا من الثور (اشارة الى الملك) ٠

وها هى حادثة انتصار آخر منحه لى (الاله) رع ، اذ كرر لأجلى عملا بطوليا عند مورد مياه مدينة « نى » عندما جعلنى ألتقى بجموع من الفيلة ، وحاربهم جلالتى وكان عدد القطيع ١٢٠ ، ولم يتيسر مطلقا مثل ذلك منـذ أيام الاله لأى ملك حمـــل التاج الأبيض ٠ انى قلت ذلك دون أى فخر فى قولى أو مبالغة فى ذلك ٠

وفى كل عام يقطعون لى من بلاد « زاهى » أشجارا فخمة من أرز لبنان يحضرونها الى القصر ، له الحياة والسعادة والصحة ، يأتى الخشب الى مصر لأجلى ، يحضرون ٠٠ (خشبا) جديدا من « نجاوو » (بلد فى فينيقيا على الأرجح) ، أفضل أخشاب « أرض الاله » ليأتى الى مقر البلاط دون أن يظل خلال الموسم هناك فى كل عام وفى كل السنين ٠

وعندما يأتى جيشى الذى يكون حامية مدينة « أولا زا » (مدينة غيـر معروفة الموضع على الشاطىء الفينيقى) (يحضرون الجزية) وهى أخشاب الأرز التى حصلت عليها بانتصارات جلالتى بفضل توجيهات أبى (الاله آمون رع) الذى منحنى جميع البلاد الأجنبية ، ولم أعط شيئا منه الى الأسيويين لأنه الخشب الذى يحبه ٠٠» ٠

---

(١) يقول الخبراء ان صناعة السفن فى فينيقيا ونقلها الى الفرات يعتبر من الاعمال العسكرية الفريدة والتى تشهد بمقدرته وكفاءة آلته الحربية ٠

أنموذج رقم (٣)

● تقرير اخبارى مختصر : « تقرير رحلات »
مقبرة حارخوف : المقابر الشمالية الصخرية بقبة الهوا بأسوان
المصدر : د٠ حسن صبحى البكرى + د٠ أحمد فخرى :

عاش حارخوف فى عهد الملكين « مر ـ أن ـ رع » و « بيوبى » الثانى٠ وتتكون مقبرته من قاعة ذات أربعة أعمدة مربعة ، ومن ممر منحدر يؤدى الى غرفة الدفن ٠ والى يمين مدخل الممر بابان وهميان ٠ محفوران فى الصخر ، والى يساره باب وهمى صغير أمامه مائدة قربان منحوتة فى الصخر أيضا والى يسار هذا الممر ممر آخر ينحدر الى حجرة دفن أخرى ٠

وأهمية هذه المقبرة ترجع الى نقوشها التاريخية التى على جانبى المدخل٠ وهنا يظهر حارخوف (الى اليسار) متجها يمينا ، ومستندا الى عصا ، وأمامه ابنه يمسك بمبخرة يحرق البخور فيها ، ويرى (الى اليمين) واقفا وحده متجها يسارا ٠

وفوق مدخل المقبرة نقشت صيغ القربان التى كانت تتلى للالهين أنوبس، وأوريريس من أجل روح المتوفى ٠ وقد وردت فيها ألقابه (التى تظهر ثانية الى يمين المدخل) :

« الأمير الوراثى ، حاكم الجنوب ، وحامل خاتم ملك الوجه البحرى ، والصديق الوحيد ، والكاهن المرتل ، والمشرف على الأدلاء » ٠

وفوق المدخل (السطور ٥ ـ ٨) : « لقد أعطيت الجوعان خبـزا ، والعريان كساء ، وأوصلت البر من لم يكن له زورق ٠ أيها الأحياء ، يا من أنتم على (وجه ؟ الأرض ، ويامن قد تمرون على هذا القبر سواء (أأبحرتم) شمالا أم (أبحرتم) جنوبا ، ويامن ستتلون (صيغة القربان قائلين : فليمنح) ألف (رغيف) خبز ، وألف (جرة) جعة لصاحب هذا القبر ـ اننى سـوف أتدخل من أجلهم فى الجبانة (أى العالم السفلى) ٠٠٠ واذا ما دخـل أى انسان هذا القبـر دنسا فسألوى رقبته (كما تلوى) رقبة الطائر ٠ وسوف يحاكم على هذا بمعرفة الاله العظيم ٠

« اننى ذلك الذى كان يقول (الأشياء) الطيبة ، ويكرر (الكلمات) الحبيبة • وما كنت لأقول شيئا سيئا لشخص قوى ضد أية (فئة من) قومه ، لأنى وددت أن أكون بخير لدى الاله العظيم • وما كنت لأفصل بين أخ وأخ حتى يحرم ولد (من) عقــار أبيه » •

وعلى يمين المدخل (السطور ١ ـ ٣) : مقدمة قصيرة تشمل القابه أيضا ، وتصف بطولته فى القاء الرعب فى قلوب أهل البلاد الأجنبية ، وتشيد باخلاصه لمليكه • ثم يصف رحلته الأولى (وهى احدى رحلات أربع قام بهـا فى البلاد الجنوبية) فى هذا الموضع من المقبرة • وهى الى يمين المدخــل (السطور ٤ ـ ٥) •

الرحلة الى بلاد « يام » (قرب مدينة عمارة شمال جزيرة ساى) :

« ان جلالة « مر ـ ان ـ رع » ، سيدى ، قد أرسلنى مع والدى الصديق الوحيد ، والمرتل « ايرى » الى (بلاد) « يام » لنكشف الطريق الى هذا البلد الأجنبى • وقد قمت بذلك فى مدة سبعة أشهر (فحسب) • وقد أحضرت كل (أنواع) الهدايا من هناك ••• وقد امتدحت على ذلك كثيرا جدا » •

الرحلة الثانية الى بلاد « يام » أيضا (الى يمين المدخل ، الســطور ٥ ـ ٩) •

بعثنى جلالته مرة ثانية وكنت وحدى • وقد خرجت فى طريق الفنتينة ، ونزلت من « ايرتشة » ، و « معخر » ، و «تررس» و «ايرتشتش» • وكانت مهمة (استغرقت) ثمانية أشهر • وعندما نزلت (أى عدت) جلبت خيرات هذا البلد الأجنبى بكميات عظيمة جدا • ولم يحدث قط أن شيئا مماثلا قـد جلب من هذا البلد من قبل • وقد نزلت من دار حاكم « ستو » ، و « ايرتشة » بعد أن اكتشفت (مجاهل) هذه البلاد الأجنبية (يعنى منطقة صخور الشلال الثـــانى) •

« وما كان ليفعل (ذلك) من قبل أى صديق ، أو أى مشرف على الأدلاء رحل الى بلاد « يام » قبلى » •

الرحلة الثالثة الى بلاد « يام » (الى يمين المدخل ، السطور ١٠ ـ ١٤، والى يسار المدخل ، السطور (١ ـ ١٠) ٠

« وبعثنى جلالته مرة ثالثة الى بلاد « يام » ، فخرجت من ممفيس (؟) عن طريق الواحات (الخارجة ؟) ، وقد وجدت حاكم «يام» وقد كان يسير الى بلاد « تشمحو» (لوبيا) ليؤدب بلاد «تشمحو» حتى الركن الغربى من السماء وخرجت فى أعقابه حتى بلاد «تشمحو» وهدأت من سورته الى أن حمد كل آلهة مليـــكى ٠

(على الجانب الأيسر من المدخل الحاقا بوصف الرحلة الثالثة) « ٠٠ لأخبر جـــلالة » « مر ـ ان رع » ســـيدى ، عن حاكم « يام » ، ولمـا هدأت من سورة حاكم « يام » حتى «ايرتشة» ، وفيما وراء «ستو» وجدت حاكم «ايرتشة» ، و « ستو » ، و «واواة» ٠٠٠ وذلت (أى عدت) بثلاثمائة حمار محملة بالبخور ، وخشب الأبنوس ، وزيت « حكنو » ، وحبوب (؟)، وجلود الفهد ، و ٠٠٠ ، وسن الفيل ، وعصى الصيد ، وكل المحصولات الطيبـــة الى الغـــاية ٠

« ولما رأى حاكم «ايرتشة» ، و «ستو» ، و «واواة» قوة جنود « يـام » وكثرتهم (أولئك الجنود) الذين نزلوا معى الى البلاط ، وكذا الجنود الذين أرسلوا معى ـ لما رأى ذلك ـ أحضر هذا الحاكم ، وأعطانى ثيرانا ، وماشية صغيرة ، وقادنى فى دروب « ايرتشة» ٠ فقد كنت أبرع ، وأشد يقظة من أى صديق أو مشرف على الأدلاء قد بعث الى « يام » من قبل ٠ ثم عندما شرع هذا الخادم (يعنى نفسه) هنـاك يبحر شمالا نحو البلاط ، أرسل الأميـر الوراثى،والصديق الوحيد ، ورئيس الحمام « خونى » نحو الجنوب ، ومعـه سفينة محملة بنبيذ البلح (العراقى) ، والفطير ، والخبز ، والجعة ٠٠ الأمير الوراثى ، وحامل خاتم الوجه البحرى ، والصديق الوحيد ، والكاهن المرتل، وحامل الخاتم الالهى ، وكاتم أسرار المراسيم ، المبجل : حارخوف » ٠

أرسل حارخوف ينبىء الملك بحصوله على ذلك القزم فتلقى رسالة من الملك كتبها بخط يده وقد اعتز بها حرخوف ونقل نصها الحرفى على جانب مدخل قبره ، وانى أقدمه هنا مترجما ترجمة حرفية لاعطاء فكرة عن صيغة

خطابات ذلك العهد • ولكن يجب ألا ننسى أنه خطاب من طفل صغير حديث السـن :

« الختم الملكى نفسه ، فى السنة الثانية الشهر الثالث من فصل الصيف اليوم الخامس عشر •

رسالة ملكية الى الصديق الأوحد ، الكاهن المرتل ، ورئيس الحملة حرخوف : فهمت نص خطابك هذا الذى بعثت به الى الملك فى القصر لتحيطه علما بأنك عدت سالما من بلاد ايام مع حملتى التى كانت معك ، وذكرت فى رسالتك أنك أحضرت جميع الهدايا الكثيرة الجميلة التى قدمتها الالهة حتحور سيدة بلاد « اماوو » الى ذات ملك الوجهين القبلى والبحرى الملك نفر كارع (ببى الثانى) عاش خالدا الى الأبد • وذكرت فى رسالتك هذه أنك أحضرت قزما لأجل رقصة الاله من أرض الارواح ، وهو شبيه بالقزم الذى أحضره قائد السفينة « باور دد » من بلاد بونت • فى عهد الملك «اسيسى» • وقلت لجلالتى : « لم يحدث أبدا أن جاء بمثله أى شخص آخر ذهب الى بلاد ايام من قبل » • لقد أحسنت حقا بعمل ما يحبه سيدك ويشكرك عليه ، انك تصبح وتمسى فى تحقيق كل ما يحبه ويريده ويأمر به مولاك ، وسيكافئك جلالته كثيرا وسيمنحك ما سيعتز به ابن ابنك الى الأبد وسيقول كل من يسمع بما فعله جلالتى من أجلك : هل هناك مثيل لما عمل لأجل الصديق الأوحد حرخـوف عندما سافر الى بلاد ايام فأظهر يقظة فى تنفيذ ما يأمر به ويحبه ويمدحه مـولاه ؟

تعال الى الشمال • تعال سريعا الى القصر ، وأحضر معك هـذا القزم الذى جئت به من أرض الأرواح حيا سالما وفى صحة جيدة ليرقص للالـه ، ويدخل السرور آلاف المرات على قلب ملك الوجهين القبلى والبحرى الملك نفر كارع عاش الى الأبـد •

فاذا ما نزل معك الى السفينة فعين أشخاصا أذكياء على جانبهـا لملاحظته حتى لا يقع فى المـاء • واذا نام فى الليل فعين رجالا أذكياء ليحرسوه فى حجرته ، وفتش (عليهم) عشر مرات كل ليلة لأن جلالتى يحب أن يرى هذا القزم أكثر من هدايا المناجم وهدايا بلاد بونت ، فاذا وصلت الى القصر ومعك هذا القزم حيا سالما وفى صحة جيدة فان جلالتى سيعمل لأجلك أشياء

كثيرة أكثـر مما عمل لأجل قائد السفينة « باور دد » فى أيام الملك «اسيسى» لأن رغبة جلالتى هى رؤية هذا القزم ٠

وقد أعطيت الأوامر لحاكم المدينة الجديدة ، الرفيق المشرف على الكهنة ليأمر باعداد ما يلزم من مأكل وشراب فى كل استراحة ملحقة بالمخـازن وفى جميع المعابد بلا استثناء » ٠

مكافأة حارخوف : « ٠٠ بأن فعلت ما يحبه ، وما يمتدحه سيدك ، حقا انك تمضى النهار ، وتقضى الليل مؤديا ما يرغب سيدك فيه ، وما يحب ، وما يأمر به ٠ان جلالته سيجعل من ألقابك الشرفية الكثيرة الممتازة زينة لابن ابنك الى الأبد لدرجة سيقول معها كل انسان عندما يسمع ما فعله جلالتى : هل هناك شىء مماثل لما عمل للصديق الوحيد : حارخوف عندما نزل (أى عاد) من بلاد « يام » ؟ وذلك بسبب اليقظة التى أظهرها لعمل (كل) ما يرغب سيده فيه ، وما يمتدحه وما يأمره به ٠

أنمـوذج رقم (٤)

● موضوع اخبارى مختصر ٠٠ العودة بجثمان مخو :

مقبرة سابنى ـ سبنى الأول ـ أسوان
أحد حكام الجنوب ـ الأسرة السادسة (بيبى ٢)
المصدر : د٠ حسن صبحى البكـرى ٠

عاش سبنى فى عهد الملك « بيوبى » الثانى ٠ وذهب ذات يوم عـلى رأس حملة الى بلاد النوبة ليأتى بجثمان أبيه « مخو » ٠ وكانت القبائل النوبية قد قتلته ٠ وكان سبنى على دراية كبيرة بطرق القوافل ٠ أخذ يبحث عن جثة أبيه حتى وجدها ٠

خبر وفاة « مخو » : « وعندئذ جاء ضابط السفينة « انيوتف » ومدير ٠٠٠ « بهكسى » ليخبرا أن الصديق الوحيد ، والكاهن المرتل « مخو » قد مات٠ فأخذت جنودا من ضيعتى معى ، ومائة حمار تحمل عطورا ، وشهدا ،

وملابس ، وزيتا ، و ٠٠ لاقدمها هدايا فى هــذه الاقطار ، وسرت نحو بلاد « النحسى » (أى السود » هذه ٠

رسالة « سبنى » للملك : « ٠٠٠ وقد بعثت أناسا كانوا عند باب (الجنوب ولعله يعنى الفنتينــــة) ٠ وكتبت رســـائل لافيـــد بأنى رحلت لاحضـــر والدى من « واواة » ، و « وتشتش » ٠

بعثة « سبنى » : ولقد هدأت الاحوال فى هذه الاقطار الاجنبية ٠٠٠ وفى الاقطار ٠٠٠ التى تسمى «متشر» ٠ ثم وضعت جثمان هذا الصديق الوحيد على ظهر حمار ، وجعلت جنود ضيعتى يحملونه ٠ وصنعت له تابوتا ٠٠ وأحضرت ٠٠٠ لاجل أن أنقله من هذه الاقطار (الاجنبية) ٠ ولم أرسل قط ٠٠ أو أية قافلة زنجية ٠٠٠ وقد مدحت كثيرا من أجل ذلك ٠

عودة « سبنى » : ثم نزلت (أى عدت) الى «واواة» ، و «وتشك» ٠ وبعثت التابع الملكى « ايرى » مع اثنين من (فلاحى) ضيعتى ٠٠ يحمـــلون البخور ، والكساء ٠٠ لافيد ٠٠ انى احضرت جثة أبى ، وكل أنواع الهدايا من هذه الاقطـــــار ٠

تحنيط جثة « مخو » : « ٠٠٠ جاء « ايرى » من البلاط ليحنط النبيل ، حامل خاتم الوجه البحرى ، الصديق الوحيد ، والكاهن المرتل : « مخو » هذا ٠ وقد أحضر ٠٠ محنطين ، والكاهن المرتل الرئيس ، والنادبات ، وكل قربان « البيت ابيض » (أى بيت التحنيط) ٠ وأحضر زيت الشعائر من البيت الأبيض المزدوج ، والأشياء السرية من بيت التطهير المزدوج ٠٠ وكل مستلزمات الدفن التى تصرف من البلاط ٠٠

رسالة الملك تبلغ « سبنى » : « وعندما وصل « ايرى » أحضر لى (معه) مرسوما يثنى على من أجل ذلك ٠ وقد ذكر فى هذا المرسوم : سوف أعمـــل لك كل الأشياء الممتازة مكافأة (لك) على هذا العمــــل العظيم لأنك أحضرت والدك ٠٠ لم يحدث مثل هذا قط من قبل ٠

دفن « مخو » : « ودفنت أبى هذا فى قبره من الجبانة ، ولم يدفن أحد (هكذا قط) ٠

مكافأة «سبنى» : « ثم أبحرت شمالا نحو «الحائط» (أى ممفيس) حاملا هدايا هذه الأقطار (الأجنبية) مما كان أبى قد جلبه ٠٠ والخادم (يعنى نفسه) قد أثنى عليه هناك فى البلاط ، ووجه الخادم هناك الى الملك مديحا لأن الخادم كان هناك ذا حظوة عظيمة عند الملك ٠٠ وقد أعطيت صندوقا من خشب الخرنوب ٠٠ وكذلك منحت ذهب الجدارة ، وكذلك أعطيت مؤنا، ولحما، وطيـــرا ٠٠ »

أنموذج رقـم (٥)

● **المادة : أجزاء وفقرات من مذكرات وجذور مقـــالات اعترافات ويوميات لملوك وأمراء وحكام :**

المصدر : عبد العزيز صالح « الشرق الأدنى القديم » ص ٢٢١
العصر : الأسرة ١٩

سيتى الاول : « ما أتعس الطريق الذى يعوزه الماء ، وكيف يكون حال المسافرين فيه اذا أرادوا أن يتقوا جفاف حلوقهم ؟ ومن ذا الذى يرو ظمأهم ومواطنهم بعيدة والصحراء مديدة ، فيالتعاسة من يظمأ فى البرية ، هلم الى عقلى حتى أفكر فى راحتهم وأكفل لهم ما يصون حياتهم ويجعلهم يترحمون على السنين المقبلة وعسانى أعمل عملا يشكرنى عليه أهل الأجيال القـادمة أنا الشفوق الذى يعنينى الرخاء » ٠

سيتى الاول : « أجاب الرب دعائى وأفاض الماء من أجلى على الهضاب فى طريق كان موحشا منذ عهود الأرباب ، فأصبح رخاء فى عهدى ، وأرجو أن تنمو فيه حشائش تفيد الرعاة ، ولا ريب فى أنه اذا نشط الملك سـعدت بلاده ، وقد أوحى الرب الى أن أشيد هاهنا قرية يتوسطها معبد ، فالبلد الذى يتضمن معبدا بلد مبـارك » ٠

المصدر : عبد العزيز صـــالح : « الشرق الأدنى القديم » حـ ١ ص ٢١١ / ٢١٥

العصر : الأسرة ١٨ (عهد تحتمس الثالث وامنحتب الثالث)

المحرر : أصحاب الاعترافات أنفسهم :

١ ـ **رخمى رع** : « ها أنذا أتحدث بنفسى وأعلنها حتى يسمعها أولو الألباب ٠ لقد سموت بالعدالة حتى عنان السماء وجعلت بهاءها يعم الأرض باتساعها فاستقرت فى خياشيم الناس كنسمة الشمال التى تطرد عكوسات البدن ٠٠ وأبيت المنكر ولم أفعله ، وجعلت النمام يلقى على أم رأسه ولم أضح بحق من أجل مكافأة ، ولم أصم أذنى عن صفر اليدين ، ولم أقبل رشوة انسان، وعلمت الجاهل ما ينبغى أن يفعله » ٠

٢ ـ **انتف** : « سيطر على ضميرى ودفعنى الى أن أفعل ما فعلت ، وهو وازع جليل ، لم أتعد وحيه ، وخشيت أن أخالف صورته ، فنعمت به كثيرا وأصبحت كاملا بما دفعنى الى عمله ، وذا مقام بفضل توجيهه ، فهو الذى قال الناس عنه انه معجزة الأرباب ، ذلك الكائن فى كل جسد هو الوازع ، وهو الهادى الى خير طريق لبلوغ الكمال » ٠

٣ ـ **امنحوتب بن حابو** : « تعمقت فى الاقوال القدسية واطلعت على أعمال تحوتى الباهرة ، وتزودت بكل أسرارها ، وكشفت عن كل فصولها ، واعتاد الناس أن يستشيرونى فى كل أمورها ٠٠ »

● ومن بينها أيضا « اعترافات القادة » وكبار الجند ٠٠ « صحافة عسكرية »

٤ ـ **أحمس بن ابانا** : « حين بلغ الفرعون نهر ينا ٠٠ كنت فى مقدمة جيشنا ، وشهد جلالته مدى جرائتى ، وقدت اليه ذات مرة عربة حربية بخيلها وبمن فيها من أسرى وقدمتهم اليه فكافأنى بالذهب ضعفا » ٠

٥ ـ **سيرنبوة** : حاكم جنوبى فى عهد سنوسرت الأول : الأسرة ١٢

المصدر : د٠ حسن صبحى البكرى ، كيف نشاهد آثار أسوان ؟

١ ـ « الامير الوراثى ، والحاكم ، وحامل خاتم ملك الوجه البحرى ،

والصديق الوحيد ، رئيس كهان (الالهة) « ساتس » سيدة الفنتينة ، والمبجل من « أنوبس » : سيرنبوة ، ومن أنجبته « ست تشنى » ٠

٢ — يقول : أيا من تعيشون على الارض ، ومن ستمرون على هـــذا القبر ، شمالا أو جنوبا ، طالما كان آلهتكم يحبونكم ، فعليكم أن تمدحوا الهكم من أجل قربان جنازى لروح (٣) الامير المبجل سيرنبوة ٠

« (وهو) يقول : كنت انسانا يملأ (أى يرضى) قلب الملك وكنت فم (؟) «نخن» فى معبد «ساتس» ورئيس (؟) « النخبيين » فى معبد « بر نسر » ، والرئيس الاعلى للكهان الجنازيين (؟) ، وحامل خاتم ملك الوجه البحرى ، والصديق الوحيد ، وكاتم سر (٤) الملك فى الجيش ٠ يسمع ما يسمعه الانسان وحده ، والذى تأتى اليه الارضان (أى يأتى كل انسان اليه) ٠٠ فى مكان صرع الاعداء ، ويدخل قلب (؟) الملك (أى ينال ثقته) ٠٠

« (٥) الذى يختم (اسمه) على جميع سلع البلاد الاجنبية (التى) فى المساكن الملكية الخاصة ، والذى يخبر بخيرات بلاد « رمزا » بوصفها جزية من أمراء الصحارى ٠ ويقضى الليل (؟) فى داخل المعبد يوم العيد العظيم ، ويتسلم الهدايا (٦) التى تتكون من النفائس التى يقدمها الملك فى قصره ، المبتهج (؟) فى الزورق المقدس أمام الاله ٠٠ ، والمشرف الكبير على الســفن فى بيت الملك ، (٧) ويدير بيتى المال ، ويشرف على بلاد « توستى » (أى النوبة) وذلك الذى يشرف على (كل) من يبحر ، وعلى (كل) من يرسى : الامير ، ورئيس الكهان سيرنبوة ٠

« (وهو) يقول : لقد صنعت قبرى بحظوة (من) الملك « خبر — كا — رع » ٠ (٨) ولقد أكرمنى الملك فى البلاد ، وكذلك كنت مميزا على أمراء الأقاليم ٠ ولقد (حافظت على) التقاليد القديمة ٠ وبلغت السماء فى لحظة عين (أى رقيت) ٠ وعينت صناعا للعمل فى مقبرتى : (٩) وقد امتدحنى جلالته من أجل ذلك كثيرا جدا ٠ وغالبا (ما كان ذلك) فى حضرة رجال البلاط ، وسيدة البلاد ٠ وجهز بأثاث من بيت الملك ، وزين بكل ما يلزم ، وملىء

بالزخارف ، وزود بقربان الخبز ، وجهز بكل ما كان (١٠) صالحا له • ولم يكن شيء لينقصنى مما يلزمنى ، وكان بيت المال (المكان) الذى طلبت (منه) هذه الأشياء لى (؟) • وسمح لى جلالته (١١) أن أعيش كما أشتهى مثل أى موظف من موظفى ديوانه • لقد كنت انسانا خدوما بجانب سيده ، وانسانا ميـزته مهـــارته •

« (وهو) يقول : كنت انسانا مستقيما فى (١٢) الحضرة الملكيـة ، خاليا من المين • وكنت ذكيا عندما كان يبعثنى (فى مهمة) • ولقد كنت ثانى اثنين ، وثالث (١٣) ثلاثة فى هذه البلاد • وكنت أتعبد كثيرا جدا ، وأنا أفيض بالثناء حتى يعوز الهواء حلقى • وهللت عندما رفعت الى السماء (١٤) ، واختـرق رأسى (جســم) الجـــوزاء • وسحجت أجســام النجوم وهللت ، ولمعت كالنجم ، ورقصت كالكواكب ، وكانت مدينتى فى عيد (١٥) ، واغتبط جنودى لما سمعوا ، ورقصت ••• وكان المسنون يختلطون بالأطفال (١٦) ، وكان الشيوخ ، والأطفال فى بلهنية ، والآلهة الذين فى الفنتينة قد أطالوا من أجلى مدة بقاء جلالته (باعتباره) ملكا ، فقد ولدوا جلالته من جديد من أجلى (١٧) حتى يكرر من أجلى ملايين الأعياد « الثلاثينية » ، وقد منحوه الأبدية بوصفه ملكا حتى يتكيء على عروش حور من جديد (؟) كما أحب أيضا • وكنت (١٨) خادمه القريب الى قلبه ، يؤدى ما يحبه سيده : الأمير، ورئيس الكهان سيرنبوة •

« (وهو) يقول : لقد حضرت من مدينتى (١٩) ، ونزلت الى اقليمى ، وعملت ما كان (الهى) يمتدح ، وما كان جميع آلهتى يحبون •• »

انموذج رقــم (٦)

● المادة : جزء من جـــذور الخطب والمرافعات « ماجـــريات » ـ باعتبار أن الواحى هو صاحب قضية يدافع عنها (أنظر ص ٤٧ من كتابنا « ماجريات الصحف » ••

الزمن : الأسرة العـاشرة

المصدر : جوســــتاف لوفيفر « روايات وقصص مصرية من العصر الفرعونى » من الشكاوى الثانية والثالثة والرابعة (١) :

« ان الاصلاح قد يصلح فى ساعة أما الفساد فقد يمكث طويلا (٢) ، وتعود الحسنة الى حيث كانت بالأمس (٣) ـ وتلك هى الحكمة : « عامل بالحسنى من أحسن حتى يظل محسنا ، ومثل ذلك أن تشكر لأحد عمله وأن تتقى الرمية قبل أن ترمى ـ وأن توكل بعملك لعامل (لمختص) مختص (٤) ٠

ــــ آه ٠٠ لو أتت لحظة يتسرب فيها التلف والخسارة الى أعنابك (٥) وتنقص فيها طيورك ويهلك صيد مائك ـ فقد انقلب البصير أعمى ٠

وقد صــــار السميع أصم ٠
وفقد السبيل هادى الطريق ٠٠ (٦)
أما أنت فانك قوى شديد ٠
وان ساعـدك لأخــاذ ٠
وان قلبك لجــارف ٠
قد اتخـذت الشفقة جانبك ٠
وما أشقى الذى تهلك ٠

« وأنت شبيه برسول الاله التمساح (٧) انك تفوق ســيدة الطــاعون بأســا (٨) ٠

---

(١) هى الشهيرة بقصة « الفلاح الفصيح » ٠
(٢) هو مثل كل سائرا عند قدماء المصريين ٠
(٣) اذكرها لهم بالحمد ٠
(٤) مقارنات تهدف الى توضيح المثل المذكور ٠
(٥) يحاول تهديده بما يمكن أن يكون فى علم الغيب ٠
(٦) يقول د٠ فخرى ٠٠ توجد كلمة غامضة بعد الطريق ٠
(٧) رسل الشر التى يبعث بها المعبود التمساح ٠
(٨) المقصود بها « سخمت » ٠

« واذا لم يكن لك فى الأمر شىء فليس لها فى الأمر شىء » ٠

« واذا لم يكن عليها من سبيل فما عليك من سبيل » ٠

« واذا لم تعمل أنت فما تعمل هى » ٠

من كان صاحب مال فقد يكون سمحا ٠

أما مرتكب السوء فما يكون ذلك الا وأن يكون قاسيا ٠

طبيعى أن يسرق المحروم — وأن يسلب المال من المسىء ٠

اذ قد يكون جزءا من الجسد سببا فى هلاك صاحبه (١) ٠

لا تقل كذبا واحذر كبار أشرافك انما يفسد القضاة سلة فاكهة (٢) ٠

والكذب مرعاهم الخصيب وهو بذلك أيسر ما تهوى قلوبهم ٠

وأنت يا أعلم الناس أفتبقى جاهلا بأمرى ؟

وأنت يا من تجنب الناس كل قحط فى الماء ٠٠ ألا فانظر ان لى طريقا ليس فيه سفينة ٠

وأنت الذى تنتشل الغـــريق وتنقذ الهـــالك ٠

٠٠٠ أنقـــــذنى ٠

الشـــكوى الثـــالثة

ثم جاء رجل الواحة يضرع اليه مرة ثالثة ٠

وقال : يا كبير الأمناء يا شريفى

انك أنت رع سيد السماء ومعك بطانتك ٠ ان بقاء الناس جميعا مرجعه اليك ٠٠ وأنت فيهم فيض عميم ٠

وأنت حابى الذى تخضر به المراعى وترد الأرض المجهدة خصيبا

ادفع السارق ٠

واحم المســـكين ٠

ولا تكن تيارا جارفا على من استجار بك ٠

---

(١) كاللسان مثلا الذى يكون سببا فى انقاذ الانسان أو هلاكه ٠

(٢) عندما تقدم كرشوة مثلا ٠

اتق دنو الآخرة (١) ٠
أحبب أن تعيش طويلا بحكمة المثل الجارى ٠
« ما الحكم بالعدل الا النفس الذى يخرج من الصدر » ٠
اذا عاقبت من يستحق العقاب فلن يتسامى الى استقامتك أحد ٠
أو هل يختل ميزان اليد أو يميل ميزان القبان من ناحية دون أخرى ؟
اذا حابى الاله « توت » جاز لك أن ترتكب السوء ٠
كن ثانى (٢) هؤلاء الثلاثة فان حابى هؤلاء الثلاثة جاز لك أيضا أن تحـــابى ٠
لا تجعـل السيئة مكان الحسنة ٠
ولا تضع شيئا مكان شىء آخر (٣) ٠

ان خطابى ينمو أسرع من نبات السيبمبت (٤) وأكثر مما يتنسم رائحته وأنت فى حل من أن تجيبنى - ولكنك كمثل من يسقى النبات حتى يكسو الأرض ٠

[ثلاث مرات ٠٠٠ عسى أن يعمل] ٠
فاذا صيرت الدفة تبعا لاتجاه الشراع حملك التيـــار الى الحـــكم العـــدل ٠
واحذر أن يذهب بك حبل الدفة الى عكس ما تريد ٠
فانما تتزن أمور البلاد بالعدل ٠
لا تقل كذبا ٠٠ فانك كبير ٠
ولا تكن هينا ٠٠ فأنت عظيم ٠
ولا تكذب ٠٠ فأنت الميزان ٠
ولا تضيع المعيار ٠٠ فانك الاستقامة ٠
وأنت جزء لا يتجزأ من الميزان ٠
٠٠٠ وان مال ملت

---

(١) بمعنى المثول أمام المحكمة التى أشرنا اليها سابقا ٠
(٢) يقصد المساواة بين الاول والثانى والثالث ٠
(٣) يقول د٠ فخرى أن النص نفسه يوجد فى حكم بتاح حتب ٠
(٤) نبات ينمو بسرعة وله رائحة كريهة ، يريد امتداد الظلم وتطاوله ٠

لا تمض عوجا حين تكون الدفة فى يديك وشد حبل الدفة ٠

لا تأخذ حين تعاقب من أخذ ٠

وليس بكبير حقا ذلك الذى يدين بكبره للجشع ٠

انما مثل لسانك (١) كقائمة الميزان وقلبك كموازينها ومثل شفتيك ككفتيها فان وليت وجهك شطر الظالمين فمن عسى أن يرد الضلال والفجور ؟

أما أنت فانك كالغسال (٢) الشقى ذا القلب الجشع الذى يضر بصاحبه فى سبيل زبون من زبائنه ٠

أما أنت فانك كصاحب السفينة الذى لا يحمل الا من يعطيه أجـــر الركـــوب ٠

وأنت عادل لا وجود لعدله ٠

وأما انت ٠٠ فكخازن لا يعطى المعدم عن طواعية (٣) ٠

وأنت تعيش بين الناس بغريزة الصقر الذى يفترس ضعاف الطير ٠

انك كالطباخ متاعه أن يذبح الطير دون أن يؤاخذ بما ذبح منها ٠

انك كالراعى ٠٠ (٤) ٠ لا تعد أنعـــامك : اذ أجدك توافق على أن يعيث التمساح النهم فى أنعامك هلاكا فى حين لا يوجد فى الأرض جميعـا مأوى قـريب ٠

أنت الذى يجب أن تسمع قد صمت أذناك فما لك لا تسمع ٠

أجل اننى اليوم قد دفعت عدونا ٠٠ وقد انسحب التمساح (٥) فمـاذا كانت نتيجة هذا ؟

---

(١) حرفيا : كثقل الميزان الموضوع فى نهاية القائمة ٠

(٢) تشبيه كان سائدا ٠

(٣) أمين مخزن الطعام الذى لا يهتم كثيرا بالزبون الفقير ٠

(٤) أى الذى لايبعد الشر عن قطيعه ٠

(٥) رمز للعدوان أو الشر أو السطو ٠

ستجد سر الحق وسيزهق الكذب تماما ٠

لا تتصرف فى غدك قبل أوانه فما يعلم أحد ما يخبىء الغد من بلاء ٠

وهكذا قال الواحى هذه الخطبة لكبير الأمناء رينسى بن ميرو عند مدخل مكاتبه ٠

وحينئذ أمر الوالى رجلين من رجاله المسلحين بالسياط أن يلهبوا أطرافه ولما فعلوا ، قال الواحى :

وكذلك يضل بن ميرو مرة أخرى ٠
قد عمى وجهه عما يرى ٠
وصمت أذناه عما يسمع ٠
ولا يلقى بالا لشىء مما قلت ٠

انك كمدينة لا حاكم لها وجماعة لا سيد لها وسفينة لا رئيس فيها وعصبة لا قائد لها ٠

انك كحامى المدينة الذى يسرق وأنت الحاكم الذى ينهب ٠

وأمير سلط على عصابات الاجرام فأمسى مثلا أعلى وقدوة لهذه العصابات ٠

الشكوى الرابعة

ثم جاء الواحى يستجير مرة رابعة فلقى الأمير خارجا لدى باب معبد « أرسافيس » (١) فقال له :

أيها الحميد فليحمدك « أرسافيس » تبرح معبده ٠

قد ضاع الخير ٠ وما من أحد الآن يباهى بأنه داس الكذب ـ اذا كانت

---

(١) اسم لمعبود له رأس الجدى ومقره نينسو ٠

السفينة قد راحت ففيم نعبر النهر ولابد من العبور (١) ولو كرها · ـ فهل ترى أن نخوض النهر على نعالنا ، وهل ذلك عبور جميل ؟

أو أن يسمح لرجل أن ينهض دفاعا عن حقه ·
كلا ·· من ذا الذى ينام الى الضحى (٢) ·
ـ كلا ·· لا سبيل لأن نسير ليلا أو أن نمشى نهارا ·

★ ★ ★

كلا ·· انه لا ينفع أحدا أن يقول لك :

« ان الشفقة قد اتخذت جانبك ، وكم يرثى لسكين أهلكته أنت ·

فأنت كالصياد المستمتع بعمله الفاعل لما يريد ، فيلقى الخطاطيف فى جوف أفراس البحر ·

وينفذ نصاله فى جوف ثيران الوحش ·

ويداهم الأسماك ويقبض فى حبائله على الطير ·

والمتعجل فى القول لا يخلو أن يكون مخطئا ـ وخفاف الأحلام لا ضابط لعواطفهم حين يكون الأمر أمر عاطفة (٣) ·

كن رحيما ·· محسنا ونقب عن الحقيقة ·

اختر ما تختار عن بينة حتى يرضى من يدخل عليك (فى سكون) ·

ان الخلق المندفع لا يستطيع العمل بالفضيلة ·

ولم يخلق رجل غاضب (٤) التمس أحد معونته ·

واذا أبصرت العين فرح القلب (٥) ·

فلا تكن ظالما ـ حتى لا تدور عليك الدوائر يوما ·

فان أهملت أمرا ساء هذا الأمر (٦) أن الذى يأكل هو الذى يستسيغ حلاوة الأكل ·

---

(١) أى العبور سيرا ـ على سبيل السخرية ·

(٢) يقصد كيف يمكنه النوم وقد ضاع حقه ·

(٣) حرفيا : قلب متثاقل ·

(٤) حرفيا : سريع الغضب ·

(٥) يقصد ايصال الشكاية لغير المتحيز ·

(٦) حرفيا أصبح الامر أمرين ·· أى أصبح السوء مزدوجا ·

والذى يوجه اليه حديث هو الذى يجيب .

والذى ينام هو الذى يرى الأحلام .

أما القاضى الذى يستحق العقاب .. فهو مثل من يفعل الشر .

أيها المجنون انظر فقد أخذت .

أيها الجاهل اسمع فقد سئلت .

وأنت يا من تفرغ الماء قد استطعنا أن ندركك .

أيها السارى حذار أن تنحرف بك السفينة .

يا واهب الحياة لا تدعنا نهلك .

أيها المهلك لا تدعنا نموت .

أيها الظل لا تكن حرورا كالشمس .

أيها المأوى لا تجعل التمساح يبلغ فريسته ومأربه .

هذه هى المرة الرابعة التى أستجير بك فهل أقضى فى ذلك عمرى ؟ »

أنمـوذج رقـم (٧)

- **المادة : جزء من تقرير رحلات : ونامون**

المصدر : د. أحمد فخرى ، دراسات فى تاريخ الشرق القديم ، ص ٩٢

« فى اليوم الذى وصلت فيه الى « صان الحجر » مقر « سمندس » و « تنت آمون » (الملك الذى كان يحكم القسم الشمالى من مصر وزوجته) أبلغتهما رسالة « أمون رع » ملك الآلهة » وبقيت فى صان الحجر حتى الشهر الرابع من أشهر الصيف حتى مهد لى « سمندس » و « تنت أمون » السفر على مركب بقيادة القائد « منحيت » (الاسم سورى) . وفى أول يوم من الشـهر نزلت الى بحر سوريا الكبير (يقصد البحر الأبيض المتوسط) . وعنـدما وصلنا الى « در » احدى مدن « زكار » قدم لىَ أميرها « بدار » خمسـين رغيفا ، وقدرا من النبيذ وفخذ ثور ولكن أحد رجال السفينة فر وسرق معـه الآتى بيانه :

ذهب ـ أوانى زنتها ٥ دبن

فضة ـ ٤ أوانى زنتهـــا ٢٠ دبن ٠

فضة ـ داخل كيس زنتها ١١ دبن ٠

فيكون مجموعها ٥ دبن ذهب و ٢١ دبن فضة (١) ٠ وفى الصـــباح ذاته نهضت وذهبت الى حيث يجلس الأمير وقلت له « لقد سرقت فى مينائك وأنت أمير هذا البلد وقاضيه فابحث عن نقودى ٠ انها فى الحقيقة تخص أمون رع ملك الآلهة وسيد الممالك ، انها تخص « سمندس » وتخص « حريحور » سيدى كما تخص كبار رجال مصر ٠ انها تخصك أيضا وتخص « أورت » و « مكمير » و « زكر بعل » أمير « جبيل » (٢) فأجابنى « هل أنت آت لـكى تتشاجر أم آت لتتفاهم ؟ انى لا أفهم شيئا مما تقول ، ولو كان أحد رجـــال امارتى هو الذى صعد الى ظهر سفينتك وسرق نقودك لدفعت لك من خـزانتى قيمة ما ضاع منك حتى أعثر عليه ، ولكن اللص الذى سرقك هو رجـل من رجالك وتابع لسفينتك فازاء ذلك ابق معى بضعة أيام حتى أبحث عنه » ٠ وعلى ذلك بقيت تسعة أيام راسيا فى مينائه ثم ذهبت اليه وقلت له « انك لم تجد نقودى وسأرحل مع القائد والراحلين ٠٠٠ » (لسوء الحظ أن جـزءا من الملف البردى تحطم من تأثير القدم وفقد الكثير من كلماته ولكن مما بقى منها تستطيع أن تفهم أنه قد اشتد الجدل بين الاثنين وفى احدى الجمل يذكر « ون أمون » أن الأمير قال له « يجب ألا تفوه بكلمة » ثم يقص بعد ذلك أنه غادر تلك الميناء ووصل الى ميناء «صور» وواصل رحلته الى « زكر بعل » أميـر « جبيل » ولكن حدث أن قابل أثناء السفر بعض أفراد من قبيلة « زكار » فهاجمهم انتقاما منهم لأن اللص كان ينتمى اليهم واستولى على ما معهم وكان يبلغ ٣٠ دبن من الفضة فلما شكا هؤلاء ما أصابهم الى الأمير أجاب « ون أمون » « انها نقودكم حقيقة ولكنى سأبقيها وديعة عندى حتى تردوا لى نقـــودى » ٠

لم يكن بعد ذلك مناص من نشوب العداوة بينه وبين رجال شعب «زكار»

---

(١) الدبن حوالى ٩١ جراما ٠

(٢) لان كل أمير مصرى من هؤلاء دفع جانبا من النقود ٠

ولقد فضل الأمير « زكر بعل » الا يجلب على نفسه عداوة قوم أقوياء ولذلك آثر أن يتنكر للكاهن « ون أمون » مرضاة لهم فأمرهم بمغادرة البلاد ولكن « ون أمون » كان يريد الخشب وفى الوقت ذاته يخشى على نفسه اذا هو غادر الميناء أن يفتك به أعداؤه • بعد ذلك يستقيم النص المصرى ويستمر « ون أمون » فى سرد قصته : « وقضيت تسعة عشر يوما فى مينائه وكان يرسل لى يوميا من يقول لى غادر مينائى ، وقد حدث أثناء تقديمه القرابين لبعض آلهته أن أخذت أحد أشراف بلاده نوبة عصبية فنطق أثناء غيبوبته قائلا « احضروا الاله هنا ، احضرى الرسول الذى اتى معه • ان امون هو الذى أرسله وقدر عليه المجىء » وقضى الشاب ليلته يقول ذلك • وحدث أن سفينة كانت ذاهبة الى مصر وكنت منتظرا الى أن يرخى الليل سدوله حتى أتمكن من نقل تمثال الاله دون أن تقع عليه عين انسان • وحضر الى رئيس الميناء قائلا « ابق حتى الصباح حسب ارادة الأمير » فقلت له « ألست أنت الذى كنت تجىء الى كل صباح قائلا غادر مينائى الآن تقول لى ابق ؟ ربما يجعل الأمير المركب التى وجدتها ترحل ثم يطلب منى بعد ذلك أن أغادر بلده ، فذهب وقال ذلك للامير فأرسل الى قائد المركب يأمره أن ينتظر حتى الصباح بأمر الأمير • فلما حل الصباح أرسل فى طلبى فتركت الاله (فى مخبئه) حيث كان على شاطىء البحر وذهبت الى الأمير فوجدته جالسا فى حجرته العليا وظهره الى الشباك وأمواج بحر سوريا الكبير تتلاطم وراء قفاه فابتدرته قائلا « رحمة أمون ! » فأجابنى « كم مضى عليك من الزمن منذ غادرت مقر أمون ؟ » فأجبته « خمسة شهور كاملة حتى الآن ، فقال لى « هل أنت صادق فى قولك ؟ أين اذن خطاب الكاهن الأكبر الذى أرسله معك ؟ » • فرددت قائلا أعطيته الى « سمندس » و « تنت أمون » فثار ثائره وقال « انظر ! ليس لديك كتب أو خطابات ، أين اذن السفينة التى أعطاها لك « سمندس ؟ » وأين بحارتها السوريون ؟ انه لم يسلمك الى قائد السفينة لكى تقتل ويلقى بك الى البحر ، من أين أمكنهم الحصول على الاله ؟ وقل لى أنت من أين حصلوا عليك ؟ » كان هذا هو قوله لى ، أما أنا فأجبته « ولكنها سفينة مصرية وبحارتها مصريون ، تلك التى يسيرها « سمندس » انه ليس لديه بحارة سوريون » فأجابنى « ولكنه يوجد عشرون سفينة هنا فى مينائى على

« خبر » (١) مع سمندس · وفى صيدا التى اجتزتها يوجد خمسون سفينة على «خبر» مع « بركات ايل (٢) وتذهب الى حيث يقيم » ·

فصمت فى هذه اللحظة الرهيبة ولكنه عاد قائلا « لأى غرض أتيت الى هنا ؟ » فقلت له « أتيت فى طلب الخشب لسفينة أمون رع ملك الآلهة · لقد اعتاد أبوك أن يفعل ذلك ، وكذلك كان يفعل جدك ، وستفعل أنت أيضـــا »· فلما قلت له ذلك أجابنى « لقد فعلوا ذلك حقيقة فاذا أعطيتنى شيئا فعلت أنا أيضا · لقد كان أهلى حقيقة يلبون هذا الطلب ولكن فرعون كان يرسل ستة سفن محملة من خيرات مصر وكانوا يفرغونها فى مخازنهم ، فعليك أنت باحضار شىء لى » ، وأمر باحضار دفاتر القيد اليومى ، وأمر أن تقرأ بصوت مرتفع أمامى ووجدنا أنها كانت ألف دبن من كل نوع من أنواع الفضة ، تلك التى قيدت فى دفتره » ·

ويواصل ونامون :

« وأضفت قائلا « ادع كاتبك الى لكى أوفده الى « سمندس » و « تنت أمون » سيادة أرض أمون الشمالية حتى يرسلوا لك ما تريده · وسأكتب اليهم قائلا « أرسلوا ما طلبه حتى أصل الى الجنوب وأرد لكم ما أخذته » · فاخذ كتابى وسلمه الى رسوله وأمر بالبحث عن الأخشاب اللازمة ومجموعها سبع كتل لكى تحمل الى مصر · وانتظرت عودة رسوله · فلما رجع من مصر الى سوريا فى أول أشهر الشتاء أحضر ما أرسله سمندس وتنت أمون الى وهـــو كالآتى :

ذهب : أربعة أباريق واناء من نوع « كاكمنت »

فضـــة : خمسة أباريق ·

ملابس من الكتان الملكى ـ ١٠ قطـــع

كتان من نسيج الصعيد ـ ١٠ لفـــات

---

(١) اى على اتصال معه ·

(٢) يقول د· فخرى : ربما كان هذا تاجرا سوريا مقيما بمصر ·

ملفات بردى - ٥٠٠ ملف

جلود ثيران - ٥٠٠ جلد

عـــدس - ٢٠ جـــوال

ســـمك - ٢٠ ســـلة

وأما ما أرسلاه الى شخصيا فهو:

ملابس كتان من نسيج الصعيد - ٥ قطع

كتان من نسيج الصـــعيد - ٥ لفـــات

عـــدس - ١ جـــوال

ســـمك - ٥ ســلات

وقد سر قلب الأمير وأمر فى الحال بتخصيص ثلاثمائة رجل وثلاثمـــائة ثور وعلى رأسهم الملاحظون لكى يقطعوا الأشجار ، وقد قطعوها وبقيت طيلة الشتاء وفى الشهر الثالث من شهور الصيف جروها الى شاطىء البحر ٠

وخرج الأمير ووقف بجوارها وأرسل من يدعونى قائلا « تعال » ، فلما أحضرونى اليه اقتربت منه حتى وقع ظل مظلته على فتقدم « بنامون » ساقيه ووقف بيننا قائلا : « لقد وقع عليك ظل فرعون سيدك » (١) ٠ فغضب الأمير من ذلك وصاح به « اتركه وشأنه » ٠ فقربونى منه وقال يخاطبنى : « أنظر ! ان المهمة التى كان يقوم بها آبائى فيما مضى قد قمت بها رغم أنى لم آخـــذ ما كانوا يأخذون ٠ لقد وصلت آخر قطعة من الخشب وتجده كله هناك فنفذ رغبتى الآن ٠ أحملها لأنها صارت لك ولا تخف من البحر ، فاذا خفت منه فلا تنس الخوف من غضبى ٠ انى تسامحت معك ولم افعل بل ما فعلوه مع رسل « خعمواس » عندما قضوا سبعة عشر عاما فى هذه البلاد حتى ماتوا ٠ وصاح بساقيه قائلا : « خذه وأره مقابرهم حيث يرقدون » (٢) ٠ فأجبته :

---

(١) كان الساقى مصريا وأراد أن يحيى التقاليد المصرية بعدم اقتراب الرعية من الجالس على العرش ٠

(٢) يشير الى رسل سابقين أرسلهم أحد الرعامسة من قبل وينكر د٠ أحمـــد فخرى المعرفة بها ٠

« لا ترينيها ! فأما خعمواس فلم يكن الا انسانا ، ورسله مجال مثله ، وأنا لست واحدا منهم ، ومع ذلك تقول اذهب والق نظرة على زملائك · أليس الأجدر بك أن تفرح وأن تأمر بلوحة يكتب فيها « أن أمون رع ملك الآلهة ارسل الى رسوله « أمون سيد الطريق » مع « ون أمون » رسوله الانسانى فى طلب الخشب اللازم لسفينة أمون رع العظيمة · لقد قطعته وأعددته وحملتــه بواسطة سفنى وبحارتى حتى وصلت الى مصر لأحصل لنفسى من أمون على عشرة آلاف سنة زيادة عن عمرى المقرر لى · وهكذا سيكون » فاذا جاء يوما ما فى مستقبل الأيام رسول من مصر يعرف القراءة وقرأ اسمك على اللوحة فستنتعش روحك ويصلك ماء الشرب فى العالم الآخر كالآلهة الذين يقيمون هناك » · فقال لى : « هذه بينة كبيرة على ما قصصته على » (المعنى الـذى يقصده الأمير غامض ولكن من اجابة الكاهن يتضح أنه لا يهمه أمر الدين كثيرا) · فأجبته « عندما أصل الى مقام كاهن أمون الأكبر ويرى ما قمت به فستصلك أشياء أخرى ، وهذا رد على ما جاء على لسانك ، وطلبته » ·

أنمـــوذج رقـــم (٨)

- المادة : جزء من تقرير الرحلة : « جذور تحقيق الرحلات »
- رحلة حتشبسوت الى بلاد « بونت »
- عرض لجيمس بيكى « الآثار المصرية فى وادى النيل »

نعود الآن الى الفناء الأوسط ، ونلتف حول نهاية المنحدر لنصل الى الايوان الجنوبى ، وهو الذى يوجد على جدرانه المناظر المشهورة لرحلة بونت، وكما قال برستيد تعتبر « بلا شك أمتع مجموعة من المناظر فى مصر » ، ولا يرجع تفوقها على غيرها الى قيمتها الفنية فحسب ، فهناك مناظر أخـــرى من كل من الدولتين القديمة والوسطى تضارع على الأقل ان لم تتفوق على على هذه المناظر ، ولكن ذلك لا يرجع فقط الى قيمتها الفنية ، وهى قيمـــة عظيمة ، بل أيضا تلك الحيوية التى صورت بها حوادث الرحلة والنزول فى بلد غريب ، فضلا عن أن هذه المناظر تصور أرض بونت باسهاب لم يحــدث فى أى مستندات مصرية أخرى · كل هذا يرينا كيف أن ملاحظة برسـتيد لها كل مبرراتها ، فهذه المناظر كما يلاحظ برستيد هى « المصدر الوحيــد

القديم لمعلوماتنا عن أرض بونت » ـ هذه الأرض التى كان المصريون ينظرون اليها باحترام ، وبفكرة غامضة بعض الشىء بأن أجدادهم قد حضروا منهـا ، ويبدو أنها هى شاطىء الصومال عند النهاية الجنوبية من البحر الأحمر٠ وكان من عادة المصريين أن يطلقوا عليها « أرض الاله » أو « الأرض المقدسة » ولم تذكر أبدا بالاحتقار الذى كانوا يذكرون به « بلاد كوش الخسيسة » أو «رتنو التعسة » (١) ، ويتحدث أمون عنها فى الدير البحرى « بأنها الموطن المجيد لأرض الاله ، انها حقا موضع سرورى ، فلقد صنعتها لنفسى لتدخل السرور الى قلبى » ٠

وتحدثنا الملكة فى نصها المفصل بأنها أرسلت البعثة الى بونت بوحى من الاله : « ان أمرا سمع من العرش المعظم وهاتفا من الاله نفسه بأن طرق بلاد بونت لابد أن تكشف ، وأن جبالها حيث تنبت أشجار المر فوق مسطحاتها يجب أن تخترق » ، وليس من شك أن هذه البعثة قد سبقتها بعثات أخـــرى الى بلاد بونت ، فلقد أرسل ساحورع من الأسرة الخامسة بعثة كما أرسـل أسيسى من نفس الأسرة بعثة أخرى أحضرت قزما راقصا ، وفى الأسرة السادسة قتل أحد موظفى بيبى الثانى بيد البدو بينما كان يشرف على بنـاء احدى السفن للرحلة ، وتمت رحلة أخرى ابان حكم الملك نفسه ، وفى الدولة الوسطى قاد « هنو » بعثة للملك منتوحتب الثالث ، وكذلك أرسلت بعثـات اخرى أيام حكم أمنمحات الثانى وسنوسرت الثانى من الأسرة الثانية عشرة ، ولكن ليس من بين هذه المغامرات ما وصل الينا بمثل هذا التفصيل الكامل من حيث تعدد المناظر الذى نراه فى رحلة حتشبسوت البحرية ٠ بالاضافة الى ذلك فان الرحلات الى بونت كانت قد توقفت منذ عهد الدولة الوسطى ، اذ يقول أمون فى نص حتشبسوت « لم يطأ انسان أرض المر التى لا يعرفها أحد ، فلقد تناقلتها الأفواه منذ عهد القدماء » ، ولهذا فلقد كانت لبعثة الملكـــة صفة الجدة بالنسبة لها ولشعبها ، أو على الأقل كانت تجديدا للمغـــامرات القديمة ٠

وتبدأ المناظر من الزاوية الجنوبية من الايوان بالمنظر الســفلى على

---

(١) كوش النوبة العليا الجنوبية ورتنو هى فلسطين وجنوب سوريا ٠

الجدار الغربى حيث ترى بجلاء تفاصيل سفن البعثة المصرية الصغيرة التى كانت متجهة الى بونت ، أو على وشك الوصول اليها ، ولو أن النقش يوحى الاحتمال الأول ، بينما يؤيد المنظر نفسه الاحتمال الثانى ، على أن الأمر ليس بذى بال ، فالنقش يبدأ بتلك الكلمات « الابحار فى البحـــر ، وبدء الطـــريق الطيب الى أرض الاله ، والسفر فى سلام الى بلاد بونت بواسطة جيش سيد الأرضين (حتشبسوت) » ، وفى الصف الأسفل للحائط الجنوبى يرى الزائر منظرا يمثل المبعوث المصرى نحسى (الزنجى) ــ وقد وصل الى الشاطىء مع ضابط وثمانية من الجنود المدججين بالسلاح ــ واقفا أمام كومة صغيرة من البضائع التجارية التى تتكون من عقود من حبات الخرز وبلطة وخنجر وبعض الأساور وصندوق خشبى ، وهى مجموعة مختارة استطاعت المدنيــة أن تخدع بها السكان الأبرياء بأفريقيا منذ البداية ٠

وفى اتجاه تلك المجموعة يقف زعيم بونت « باريحو » رافعا يديه بالتحية أو للدهشة وخلفه تقف زوجته « آتى » التى تستلفت النظر بجسمها الضخم ، ويحتفظ المتحف المصرى فى الوقت الحاضر بالكتلة التى صورت عليها (رقم ٤٥٢ بالقاعة ١٢ بالطابق السفلى الى الشمال) مع الكتلة الممثل عليها الحمار الذى كان عليه أن يحمل هذا الحمل الثقيل لزوجة الزعيم (رقم ٤٥٢) ، وقد سرقت هاتان الكتلتان من الحائط ثم استعيدتا فيما بعد (١) ٠ وخلف الزعيم وزوجته ترى مساكن أهالى البلاد على هيئة أكواخ مقامة على أعمدة ــ خلف الأشجار ــ يصعد اليها بسلالم ويرى فى هذا المنظر أيضا الماشية وهى ترعى، وكلب يقعد على ساقيه الخلفيتين ، ويتطلع فى تكاسل فوق منكبيه بينما يسير كلب آخر بجانب سيده الزنجى ، ويلاحظ أن الأهالى من أجناس مختلفة ، فبعضهم ــ مثل زعيمهم باريحو ــ خمرى اللون ممشوق القوام ، بينما يحتفظ الآخرون بأصلهم ومميزاتهم الزنجية ٠ وتحدثنا الكتابة عن دهشة أهـــالى بونت عند مشاهدتهم للمصريين : « أنهم يقولون وهم يلتمسون الأمان : لماذا أتيتم هنا الى هذه الأرض التى لا يعرفها المصريون ؟ هل نزلتم من السماء . أم أبحرتم على المياه فوق بحر بلاد الاله ؟ هل اجتزتم طريق الشمس ؟ أجل ،

---

(١) سرقت أحجار أخرى أمكن استعادة بعضها ووضــعت بالمتحف المصرى واستعيد عنها فى الموقع الاصلى بقوالب من الجبس ٠

هل لنا أن نسأل عما اذا كان لدى ملك مصر طريقة نستطيع بها أن نعيش من نسمة الحياة التى يعطيها ؟ » ٠

وفوق هذا المنظر ما يوضح سير الأعمال التجارية ، فالمصريون قد نصبوا خيمتهم التى تذكر الكتابة أنهم يوشكون عى استقبال شيوخ البلاد ، حيث يقدم اليهم الخبز والبيرة والنبيذ واللحم والفاكهة حسب أوامر القصر ويظهر باريحو وزوجته الضخمة مرة ثانية ، ومن ورائهما مناظر بلاد بونت كما صورت فيما سبق ، أما المناظر الموجودة على الصفين العلويين واللذين يفصلهما عن الصفوف السفلية شريط من الماء ، فانها تمثل أشجار البخور التى كانت من الأهداف الرئيسية للرحلة ، وهى تنقل بجذورها فى سلال من الطين بواسطة البحارة المصريين ٠ والآن نعود الى الصف الثانى من الجدار الغربى بالقرب من الزاوية ، حيث نرى السفن ، وهى محملة للعودة، فالرجال يسيرون على السقالات وهم يحملون أشجارا فى السلال ، وحزما من كل نوع ، بينما ملئت السفن بحمولات كثيرة ، ومجموعات كبيرة من القردة تجلس القرفصاء على سطح السفينة ، أو تسير فى حذر على السلك الذى يصل بين مقدمة السفينة ومؤخرتها ، ليمنع الاهتزاز فى السفينة المصرية ، وفى أعلى نرى ممثلى بونت الذين قدموا لرؤية عجائب مصر مع بحارة آخرين يحملون أشجار البخور ، والكتابة تذكر لنا أن هذا المنظر يمثل «شحن المراكب بكل عجائب بلاد بونت» ٠ والى اليمين من هذا المنظر نجد منظرا آخر يمثل ثلاث سفن ناشرة أشرعتها فى طريقها الى مصر « تبحر وتصل بسلام وتسافر الى طيبة بقلب مرح » ، ومما يجدر ملاحظته أن مقدمة السفينة ومؤخرتها قد ثبتتا بحبال قوية ربطت حولهما كما هو الحال فى سفينة القديس بولس ، وعلى حد قول القائلين « اننا نستعمل الحبال لتطويق السفينة من أسفلها » ، وفوق هذين المنظرين نرى منظرا يمثل أهل بونت الذين قاموا بالرحلة وهم يحنون رؤوسهم ويقدمون جزية بونت التى يحملها مصريون ورجال آخرون من بونت ، ونلاحظ أن كلا من الزنوج وأهالى بونت الصميمين ممثلون بين الأشخاص الذين يحنون رؤوسهم ٠

ويأتى بعدئذ منظر كبير وسط الجدار الغربى فيه ترى الملكة (الى اليسار) وقد شوه شكلها ، تقدم للاله أمون الحاصلات التى أحضرتها

البعثة ، وهى ممثلة فى صفين الى اليمين ، ففى الصف الأسفل ثلاثة أنواع من أشجار البخور من بين واحد وثلاثين نوعا أحضرت من هنـــاك ، وفى الصف الأعلى فهود وزرافة وذهب وجلود فهود وماشية وأقواس ، وبعدئذ يأتى صف مزدوج من المناظر يمثل الأسفل منها كيل الأكوام الكبيرة من البخور بمكاييل (فوق هذه الأكوام صف مكون من سبع أشجار أخرى من البخـور مزروعة فى اصص) بينما يمثل الأعلى ــ وهو مشوه كثيرا ــ منظر وزن حلقات الذهب بواسطة سنج بشكل ثيران ، بينما تمسك الالهةسشات بقائمة الحساب ، فهى كما يقول النقش : « تسجل بالكتابة ، وتحسب بالأعـداد ، وتجمع الملايين ومئات الآلاف وعشرات الآلاف والآلاف والمئات ــ تســـتقبل عجائب البلاد الجنوبية التى أحضرت لأمون ، رب طيبة والمســـيطر على الكرنك » ٠

وفى المنظر الكبير صفان يشغلان بقية الجدار الغربى حيث نجد الملكة وقد محى شكلها ، تبلغ آمون الجالس على العرش ، وقد محى شكله أيضا ، النبأ الرسمى بنجاح بعثتها ، ويرد عليها الاله مباركا حتشبسوت ، مشجعا اياها على تبادل التجارة مع بلاد بونت التى انتعشت لحسن الحظ ، ويشغل النقش الطويل المسافة التى تفصل بين الملكة والاله ، ووراء هذا المنظر منظر آخر فيه يقدم تحتمس الثالث (وهو ممثل فى موضع ثانوى كما هى العادة) البخور لمركب آمون ، وقد محا اخناتون المركب ولرافقيه من الكهنة ، غيـر أن صورة تحتمس بقيت بشكلها المميز حيث يبدو وأنفه الكبير الذى عرفناه فى تمثاله المصنوع من حجر الشست الأخضر ليتناسب مع شخصيته الطاغية ، وفوقه يرفرف عقاب الكاب وباشق ادفو ، وأخيرا نجد على الجدار الخلفى الذى يكون الجانب الجنوبى من المنحدر الصاعد منظرا تعلن فيه الملكـــة نتائج بعثتها الى بعض ممثلى رجال القصر ، والشخص الأوسط من الأشخاص الثلاثة الواقفين أمامهم هو سنموت العظيم أظهر معاونى الملكة ٠

أنمـــوذج رقـــم (٩)

المادة : جزء من جذور تحقيق عسكرى : الأسرة ٢٥
لوحة معبد : « جبل برقل » ٠٠ المتحف المصرى
المصدر : وولتر امرى : « مصر وبلاد النوبة » ص ٢١٨ وما بعدها
من ترجمة : ج ٠ هـ ٠ برستيد

مقـــدمة ٠٠ يقول « امرى » عن موضوع هذا التقرير :

« اختفت آثار القوة المصرية التى كانت قد بقيت منذ آخر الأسرة الواحدة والعشرين تماما وأصبحت المقاومة أمام تقدم كوش غير ذات قيمة ٠ وكانت الأسرة المتنافسة فى مصر السفلى تحارب لتكتسب السلطة المفردة ومن ثم فقد كان من المستحيل أن توحد الصفوف لمواجهة الكوشيين حتى أنه عندما اعتلى « بعنخى » العرش كان الجزء الجنوبى للبلاد حتى « هراقليوبوليس » فى الشمال تحت اشراف « نباتا » الى حد كبير ٠ ثم جاء محرر مصرى هو « تفنخت » وكان أميرا من أمراء الدلتا ، استطاع توحيد مصر السفلى تحت حكمه واتخذ لنفسه لقب الفرعون ثم توجه نحو الجنـــوب وواصـــل حتى « هراقليوبوليس » وحاصرها وكان هذا الحصار هو بداية النضـــال الذى انتهى بانتصار كوش وتأسيس الأسرة الخامسة والعشرين ٠ ولقد ســجلت هذه الحوادث على لوحة جرانيتية وضعها «بعنخى» فى معبد « جبل برقـل »

تسجل اللوحة التاريخ : « السنة الواحدة والعشرين لملك مصر العليـا والسفلى « مرى ــ أمون » « بعنخى » وهو تاريخ اقامته اللوحـــة فى « نباتا » بعد وقوع الحوادث التى خلدت عليها ٠ ثم بعد ذلك نجد مقدمته تتكون من الفخر التقليدى لبسالة الملك ، وأخيرا تبدأ الملحمة :

« جاء أحدهم ليقول لجلالته : هذا حاكم الغرب ، الأمير العظيم فى « نتر » (منطقة وسط الدلتا) تفنخت ٠٠ انه استولى على الغرب كله من الأراضى الخلفية حتى « اثت ــ تاوى » قادما نحو الجنوب على رأس جيش كبير بينما اتحدت الأرضين وراءه وجثا امراء المدن المسورة وحكامها كالكلاب عند قدميه ٠ لم تغلق الحصون أبوابها فى أقاليم الجنوب ٠ « مراتوم »

(ميدوم) « برسخم ـ خبر رع » (ربما اللاهون عند مدخل الفيــوم) معبد سبك (كروكوديلوبوليس عاصمة الفيوم) « برمجل » (البهنسة) « ثكنش » • وكل مدن الغرب لقد فتحوا الأبواب خوفا منه • ثم اتجـــه شرقا ففتحوا له أيضا : « حات بنو » (الحيبة) « توجى » « حاتستنى » ، « برنب تبح » (اطفيح) • أنظر انه يحاصر « هراقليوبوليس » وقد استولى عليها ومنع الدخول اليها أو الخروج منها محاربا كل يوم • لقد عاين المنطقة كلها وعرف كل أمير مكانه وحدد لكل رجل تابع لأمير وحاكم مدينة محصنة مكانه » •

« هؤلاء الأمراء وقواد الجيش الذين كانوا فى مدنهم كانوا يبعثــون كل يوم لجلالته قائلين : « هل ستبقى صامتا ناسيا أقاليم الجنــوب ؟ بينما « تفنخت » يتقـــدم فى غزوه دون أن يجـد من يوقفه • ان « نملوث » ، أمير « حت ـ وعرت » خرب حائط « نفروس » وحطم مدينته خوفا من أن يســتولى عليها (تفنخت) ليحاصر مدينــة أخــرى • أنظـر أنه يذهب ليلحق «بتفنخت» بعد أن خرج عن طاعة جــــلالته (بعنخى) وانه ينتظـر مــع «« بعنخى » كأحد أتباعه فى اقليم « أوكسرنخوس » ويقدم له بقدر ما يرغب كل ما يعثر عليه (من هدايا) » •

ان خبر تقهقر تابعة « نمولت » الذى كان ملكا محليا « لهرموبوليس » (الأشمونين) قد حرك « بعنخى » اذ ظهر أن قوة « تفنخت » كانت تتحـرك بشكل خطير نحو الجنوب الى طيبة وتستكمل الملحمة :

« ثم بعث جلالته الى الأمراء وقواد الجيش الذين كانوا فى مصر •• اسرعوا الى ميدان المعـركة ، وحاربوا ، وحاصروا هرموبولس وأهلها ، واستولوا على ماشيتها وسفنها التى على النهر • لا تسمحوا لفلاحيها أن يذهبوا الى الحقول ، لا تسمحوا للفلاح أن يحرث الأرض ، أغلقوا حدود اقليم الأرنب (الاقليم الذى كانت هرموبوليس عاصمته) قاتلوا ضــــدها يوميا » • ففعلوا هذا •

وبعد أن اتخذ هذه الاجراءات السريعة مع جنوده فى مصر ، أعطى الملك أوامره لجيشه فى النوبة أن يتقدم الى مصر ، آمرا :

« لا يعوقنكم شيء ، نهارا أو ليلا ، كما لو كنتم فى لعبة الشـــطرنج ، واثبت فى مكانك فى المعركة واضغط عليه (العدو) من بعيد · ان قـال للمشاة وراكبى العجلات الحربية الذين ينتمون الى مدينة أخرى «انجدونى» فامكث حتى تأتى فرقته لتقاتل كما يقول · ولكن اذا كان حلفاؤه مدينـــة اخرى فاجعل احدهم يهرع اليهم ، لتقاتل أولا هؤلاء الامراء الذين انضـموا اليه من الليبيين والجنود المفضلين · وقل : « اننـا لا نعرف بماذا كان يصرخ ليجعلهم يخضعون · جهز أحسن ما فى اسطبلك منَ جيـــاد الحرب وارسم خط القتـــال · انك تعرف ان أمون هو الاله الذى بعثنا » ·

لقد أبحروا شمالا فى النهر ·· ووجدوا سفنا عديدة قادمة نحـو الجنوب محملة بالقادة والجنود والبحارة والرجال البواسل من الأراضى الشمالية قد جهزوا بأسلحة حربية ليحاربوا ضد جيش جلالته · ثم حدثت بينهم مجزرة كبرى .لا نعرف عدد قتلاها · وأسرت جنودهم وسفنهم وأحضروا احياء حيث كان الملك (نباتا) » ·

وتقدمت القـــوات النـــوبية بعد هذا الانتصار البحـــرى نحـــو « هرقليوبوليس » التى كانت لا تزال محاصرة من « تفنخت » وحلفائه وسجلت قائمتهم التى ذيلت بهذه الملاحظة أن « كل أمير من حكام المدن المحصنة فى الغرب وفى الشرق والجزر التى فى المنتصف كان يجمعهم عقل واحد كتابعين للقـائد الأكبر فى الغـــرب ، وحـاكم المـدن المحصـــنة فى الشـــمال ، كاهن « نيت » سيدة « سايس » ، وكاهن سم للاله «بتاح» ، « تفنخت » ولم تـكن سياسة بعنخى فى لوحتـــه أن يســـتهين بقـــوة المعارضة فيقلل من شأن عمله العظيم فى غزو مصر ·

وكان الجزء الأول من المعركة التى استغرقت يومين لغزو «هرقليوبوليس» على شاطىء البحر وانتهت بانتصـــار النوبيين وانسـحاب جيش « تفنخت » الى الضفة الغربية · وقد استمرت المعركة الى اليوم التالى :

« عندما أضيئت الأرض فى الصـــباح البـاكر عبر جيش جـــلالته ليحاربهم · والتحـم الجيشان وقتـــل عدد كبير من النـــاس وجيـــاد

لا حصر لهـا ٠ وكانت الهزيمة أكيـدة لمن نجـا من القتـل فاتجهوا نحو الشمال هربا من عنف القتـال وضراوته ٠

ان الملك « نملوت » (النمرود) الخائن ، عندما علم أن عاصـمته « هرموبوليس » مهـددة وبعد أن عـلم بالمصيبة التى حلت « بهرقليوبوليس » قد لجأ الى جيوش « تفنخت » المنسحبة واتجه نحو الجنوب ونجح فى ان يتفادى العدو ويدخل « هرقليوبوليس » ٠ وعنـدما سـمع القـائد النـوبى بوجـوده حـاصر المنطقـة باحـكام وبـدأ الحصـار الطـويل ، لكن بعنخى غضـب عنـدما وصلت اليـه أخبـار تقـدم الحـرب ، فقد اعتبر أن العمل لم ينته بعـد :

« هل سمحوا لجزء من الجيش الشمالى أن يبقى ؟ أو سمحوا لمـن هرب منم أن يذهب ليقص معاركه ؟ دون ن يتسببوا فى موتهم أو فى ابادتهم عن آخرهم ؟ اننى أقسم : كما يحبنى رع ! وكما يفضلنى آمون : انى سأذهب بنفسى شمالا حتى أدمر ما صنعه (تفنخت) وحتى أجعله يتراجع عن القتـال الى الأبد » ٠

ولقد قرر « بعنخى » أن يتولى القيـادة ، ولكن أنبـاء فوزه العسكرى المتتالى لم تجعله يهدأ وخاصـة بعـد أن استولى على « اكسرويخوس » (البهنسة) « وتنتهن » (طنـه) « وحات ـ بنـو » (الحيبـه) ٠ ووصل الملك الى « طيبة » ٠ وبعد احتفاله بعيد راس سنة آمون أبحر شمالا الى المدينـة المحـاصرة « هرموبوليس » (الأشمونين) ٠ ويقال لنا :

« ان جلالته خرج من قمرة السفينة ليجد عربته مجهزة والجيـاد معدة ثم ذهب جلالته غاضبا كالفهد ليؤنب جنـوده قائلا : « هل يعنى ثباتكم فى القتال أن تبطئوا فى انجاز أعمالى ؟ هل السـنة أقبلت عـلى آخرها عندما خاف منى الشماليون ؟ ان ضربة قوية عنيفة سـتقرعهم » وأقام لنفسه معسكرا على الجانب الجنوبى الغربى « لهرموبوليس » وحاصرها تماما وشـيد جسرا يحيط بالجدار وبنوا برجا ليرفع حـاملى الأقـواس عندما يصوبون سهامهم ، وقاذفى الأحجار عندما يقذفون الأحجـار ، وكان يقتل أناس منهم كل يوم » ٠

ان احكام الحصار وعنف الهجوم المستمر قد اتى بنتيجة سريعة ويقال لنا ان : « هرموبوليس » فقدت رائحتها الذكية المعتادة وأصبحت قذارتها تزكم الأنوف » وفى بداية الاستسلام ، جاء رسل للملك ومعهم هدايا من بينها تاج الملك المهزوم « نملوت » وجاءت زوجته وبناته الى نساء « بعنخى » يتوسلن اليهن أن يتوسطن له ولقد نجحن فى ذلك اذ أن « نملوت » لم يقتل عندما استسلم · ودخل الغازى النوبى الى « هرموبوليس » منتصرا واتجه نحو قصر « نملوت » وهناك قبل ولاء حريم عدوه ولم يعجبه جمالهن اذ يقال لنا : « لم ينظر اليهن جلالته » · ثم زار اسطبلات القصر وحزن عندما وجد الجياد وقد تعذبت من الجوع أثناء الحصار · « فبعنخى » كان يحب الجياد حبا شديدا ويرى البعض أن «بعنخى» هو الذى بدأ عادة دفن الجياد حول المقابر الملكية فى « كورو » ·

وضمت كل ممتلكات « نملوت » الى الخزينة الملكية ووهبت صومعته الى معبد آمون فى طيبة · وعومل « بفنف ـ دى ـ باست » حاكم « هراقليوبوليس » الذى بقى تابعا مخلصا ودافع عن مدينته بنجاح ضد أعداء « بعنخى » معاملة مختلفة وعندما وصل الى الملك حاملا الجزية أشار الى نجدة مدينته كالآتى : « لقد قبض على العالم السفلى وأغرقنى فى الظلام الذى يضيء عليه النوم الآن · لمأجد صديقا ثابتا فى يوم القتال العصيب · ولكنك أيها الملك يا قدير قد طردت الظلام من حولى » ولا نعرف كيف كوفىء « بفنف ـ دى ـ باست » ولكنه غالبا لم ينس ولاءه · بينما كانت الجيوش النوبية تتقدم فى اتجاه رأس الدلتا استسلمت المدن واحدة بعد أخرى دون قتال · اذ أن نداء الفرعون كان كافيا : « انظر ، هناك طريقان أمامكَ اختر ما تشاء · افتح وستعيش ، اغلق وستموت · اننى لن أمر من مدينة مغلقة » وكانت المقاومة قليلة حتى وصل الى « منف » ، تلك المدينة المتكبرة التى كانت عاصمة مصر تحت حكم الفراعنة الأول · وكانت قد تجاهلت نداء الاستسلام « ان أهل « منف » سيكونون فى أمان تام « ولن يبكى طفل » ، وأغلقت المدينة أبوابها · وفى المدينة العتيقة التى كانت رمزا لمصر الموحدة ، وقعت المعركة الأخيرة حيث شعر « تفنخت » أنه قوى ويمكنه أن يقاتل · ولقد سجل النص ما يلى :

« انظـر أن ر سايس » هذا (تفتحت) قد وصـل الى «ممفيس » فى المساء وهاجم بالمشاة والبحرية وبكل ما هو جيد فى جيشه وعددهم ثمـانية آلاف من الرجال مهاجما بهمة : « انظر أن منف مملوءة بجيوش من أحسن جنود الشمال ، وتفيض الصوامع بكل أصناف الشعير والقمح والحبـوب ، وكل أسلحة الحـرب · أنها (منف) محصنة بجدار · ولقد شـيدت شرفة عظمى بمهارة · ان النهر يتدفق فى الجانب الشرقى ، ومن ثم ليست هناك فرصة للهجوم من تلك الناحية · وهناك مراع تملؤها الماشية ، والمخـازن مزودة بكل شىء ، فضة وذهب ونحاس وملابس وبخور وعسل وزيت ·

وهكذا اطمأن الملك الى قـوة المدينة ومحمياتها وقدرتها على تحمل الحصار ومن ثم يستطرد فيقـول :

« اننى سأذهب وسأعطى شيئا لرؤساء الشـمال وسأفتح لهـم أقاليمهم (أى أعطى لهم استقلالهم) ولن تمر الا بضعة أيام حتى اعـود · « وامتطى حصانا ولم يطلب عجلته الحربية وذهب شمالا خاشيا جلالته » ·

ويستمر النص :

« وعندما طلع النهار فى الصباح الباكر ، وصل جـلالته الى «منف» وعندما حط شمال المدينة وجد أن الماء قد وصل الى السور والسفن راسية عند سور « منف » · ورأى جلالته أنها كانت قـوية وأن الجـدار كان مقوى بحاجز وان الشرفات بها رجال اشداء · ولم يجـد طريقة للهجوم · وقال كل رجل فى جيش جلالته رأيه بنـاء على قـانون الحـرب · ولقـد قـال كل رجـل « فلنحـاصرها أن فرقها متعـددة » وقـال آخـرون « فلنشق طريقا اليهـا · فلنرفـع الأرض على جـدرانها · ولنربط برجا ونرفـع الصوارى ونجعـل العارضة جسرا اليهـا · سنقسمها عـلى هذه الطريقة من كل جهة من الأرض العالية ومن الشـمال حتى ترفع الأرض على جدرانها وحتى نجد طريقا لاقدامنا » ·

وقرر « بعنخى » أن يقتحـم المدينـة وبدأ بالاستيلاء على المينـاء وكل سفنه كاملة ، بحيث نفذت فكرة استعمال الصوارى والعوارض كجسور

توصل الى أعلى الجدران · وهى طريقة هجـوم استعملها الفينيقيون عندما استولوا على قسطنطينية سنة ١٢٠٣ م وبهـــذا الهجوم كان يجب تنظيـــم السفن أولا ، ويقال ن : « جلالته صف بنفسه السفن ثم أمر جلالته جيشه قائلا « الى الأمام ضدها ! اصعدوا الجـدران ! ·· ادخلوا المنازل التى على النهر · اذا وصل أحدكم على الجدار فلا يتردد أمامه حتى لا تصده الفـرق المعـــادية » ·

ويشير الى أنهم بعد أن استولوا على الجنوب ووصلوا حتى الشـــمال فانه سيكون مذلا لهم أن يطردوا من على أبواب « منف وأجبروا عـلى أن يواجهـوا الحصـــار ·

وعلى أية حال فالهجوم كان ظافرا :

« ثم أخذت منف كما لو كان فيضا قد أغرقها وقتل عدد كبير من الناس هناك وأسر عدد آخر وأخذوا الى حيث كان جلالته » ·

ومن الواضح أن المدينة تركت للنهب والسلب ولكن فى اليوم التـالى أعاد الملك النظام فيها فبعث القواد داخل المدينة ليحموا المعابد وثبت الكهنة فى مناصبهم المختلفة · ونظفت المدينة بالنطرون والبخور · ثم ذهب «بعنخى» الى معبد « بتاح » حيث اعترف به الاله ·

وعندما وصلت أخبار سقوط المدينة الى أقاليم هـــذه المنطقـــة فتحت أبواب مدنهم وهرب حكامها وخضع أمراء كثيـــرون من الأراضى الشمالية للنوبيين وقدموا الجزية لهم وأخيرا توجه « بعنخى » الى « هليوبوليس » والى معبد « رع » حيث اعترف به كملك · ولكن « تفنخت » ما زال يقـــاوم · فعسكر مع بقية قواده فى مدينة تعرف بـ « مسد » حيث قضى على ســـفنه وزاده بالنار عندما أدرك أن الحالة ميئوس منها وبعثت فرق ضد هـــذا الحصن الأخير وأخيرا سمع « بعنخى » بانشراح أن « قتلنا كل رجـل وجدناه هناك » · وعلى أية حال لم يكن « تفنخت » من بين الأموات لأنه التجأ الى احدى جزر أحراش الدلتا · ومن هناك بعث برسالة استسلام طالبا أن يبعث اليه نائبا عن الملك ليشهد يمين الطاعة والولاء للظـافر · وقبـل « بعنخى »

التماس الرحمة وبعث رئيس الكهنة « بدى ـ أمون ـ نستاوى » وقائد الجيش « بورمى » ليشهدا يمين الطاعة وقيل :

« أنه قدم (تفنخت) له (بعنخى) فضة وذهبا وملابس وأحجارا نفيسة ثم ذهب الى المعبد ، ليتعبد للاله ، ويطهر نفسه بيمين مقدسة ، قائلا : لن أعصى أوامر الملك ولن أخالف ما يقوله ولن أقوم بعمل عدائى ضد امير من غير معرفتك . اننى سأفعل كل ما يريده الملك ولن أخالف ما يأمر به «فرضى جلالته حينئذ» .

سنرى فيما بعد كيف حفظ هذه اليمين وعلى أية حال فالنص يوضح أن « بعنخى » كان راضيا وقد أصبح فعلا ـ باستسلام آخر الامراء والملوك الصغار فى الدلتا ـ أصبح فرعونا على كل وادى النيل من الحدود الجنوبية لكوش حتى ساحل البحر الأبيض . وينتهى النص كالآتى :

« ثم حملت السفن بالفضة والذهب والنحاس والملابس وكل شىء صلب من البلاد الشمالية وكل محاصيل سوريا وكل الأخشاب الطيبة من أراضى الاله . وأبحر جلالته جنوبا مسرور القلب بينما عم الفرح الشرق والغرب وابتهج الشاطئان فغنوا طربا وهم يقولون : « أيها العظيم ، أيها الحاكم ، أيها العظيم « بعنخى » أيها الحاكم ، أيها القوى انك تأتى بعد أن ظفرت بالسيطرة على الشمال . انك تجعل من الثيران اناثا . ما أسعد قلب السيدة التى حملتك والرجل الذى أنجبك أن كل من فى الوادى يشكرون تلك البقرة التى ولدت ثورا . انك الى الأبد وبأسك يدوم يا حاكم طيبة المحبوب » .

النمـــوذج رقـم (١٠)

● من جذور المقال ـ للكاهن « خع خبر رع سنب »

المصدر : « ج٠هـ٠ برستد : فجر الضمير ص ١٩٢ »

« ليتنى كنت أعرف صيغا للكلام لا يعلمها أحد وأمثالا غير معـروفة أو حتى أحاديث جديدة لم تذكر (يعنى من قبل) خالية من التكرار ، لا ذلك الكلام الذى جرت به الألسن من زمن بعيد مضى ، وهو ما تكلم به الأجداد ٠٠

انى أقول ذلك بحسب ما قد رأيت ، مبتدئا بأقدم الناس حتى وصـلت الى أولئك الذين سيأتون بعد ٠٠

ان العدالة قد نبـذت وأخذ الظلم مكانه فى وسط قاعة المجلس ، وخطط الآلهة قد انتهكت حريتها وأهملت نظمها ، والبلاد صارت فى هم ، والحزن عم كل مكان ، وصارت المدن والأقاليم فى عويل ، وكل الناس صاروا عـلى السواء يرزحون تحت عبء الظلم ٠ أما الاحترام فان أجله قد انتهى ٠٠

وعندما أريد أن أتحدث عن كل ذلك تنوء أعضاء جسمى بحمله ، وانى فى بؤس من أجل قلبى المحزون ، وانه لألم أن أهدىء روعى من جهته ٠ ولو كان قلب آخر لانثنى (ولكن) القلب الشجاع فى الملمات يكون رفيقا لسيده؛ ليت لى قلبا يتحمل الألم ٠ فعندئذ كنت أركن اليه ٠٠ فتعال اذن يا قلبى لأتكلم اليك ، ولتجيبنى عن كلامى ولتفسر لى ما هو كائن فى الأرض ٠٠ انى أفكر فيما حدث ٠ ان المصائب تقع اليوم ، ومصائب الغد لم تأت بعد ، وكل الناس لاهون عن ذلك ، مع أن كل البلاد فى اضطراب عظيم ٠ وليس انســـــان خاليا من الشر ، فان جميع الناس على السواء يأتونه ، والقلوب بالحـــزن مفعمة ، فالآمر والمأمور صارا سواسية ، وقلب كل منهما راض بما حصل ، والناس عليه (يعنى الشر) يستيقظون فى صباح كل يوم ولكن القـــلوب لا تنبذه ، ولا تزال اليـــوم على ما فعلته فى ذلك بالأمس ٠ فلا يوجد انسان عاقل يدرك ، ولا انسان يدفعه الغضب الى الكلام ، والناس تستيقظ فى الصباح كل يوم لتتألم ٠ ان مرضى ثقيل وطويل ٠ والرجل الفقير ليس له حول ولا قوة

لينجو ممن هو أشد منه بأسا ٠ وانه لمؤلم أن يستمر الانسان ساكتا على الأشياء التى يسمعها ، ولكن مؤلم أن يجيب الانسان الرجل الجاهل » ٠

نقطة ضوء : يعلق ج ٠ هـ ٠ برستد عالم المصريات الأشهر على هـذه الكلمات قائلا :

ففى ذلك المقال نجد انسانا قد تحركت نفسه من أعماقها بما شاهده من فساد بنى قومه ، فهو يتأمل هذا المجتمع بصفة كونه وحدة كاملة ، ومع أنه كان دائما يشير الى بؤسه فيما ذهب اليه ، فان شقاءه لم يكن هو العبء الرئيسى الذى يقصده بكلامه ، بل كان كل همه منصرفا الى المجتمع الذى كان مكبلا بالخمود غير قادر على ادراك شقائه ، وحتى لو كان شاعرا به بأية حال فانه لم يكن لديه الكفاية التى تمكنه من اصلاح ذاته ٠ وان كثيرا من تأملاته ، الخليقة بأن نجد لها المقام اللائق بها بين أقوال الناقدين الاجتماعيين فى عصرنا هذا ممن امتازوا بحاسيتهم الخلقية ، فمن الواضح اذن أن الانسان قد وصل وقتئذ الى عصر استيقظ فيه القوم لأول مرة فى تاريخ البشر وشعروا باحساس عميق بما أصاب المجتمع البشرى من الانحطاط الخلقى ٠

●● من جذور المقال أيضا : للحكيم آنى ، المصدر السابق ص ٣٥٤

« لا تنم فى الليل وأنت خائف من الغد ، لأننا لا ندرى عندما ينبثق الفجر ماذا يكون عليه الحال فى الغد ، فالانسان لا يعلم ما سيكون عليه فى الغد ، الله فى كماله والانسان فى عجزه ، والكلمات التى يتكلمها الناس تختلف فى اتجاهها ، على حين أن أعمال الله غير مختلفة الاتجاه ، لا تقولن لست أحمل خطيئة ولا تجهدن نفسك فى اثارة النزاع ، أما الخطيئة فأمرها عند الله وهو الذى يختمها باصبعه ، وليس فى يد الله انسانا كاملا ، ولا يقف العجز حائلا أمامك ، فاذا أجهد الانسان نفسه ليصل الى الكمال ، فانه فى لحظة يهدمه بنفسه ٠٠ كن رزينا فى عقلك وثبت قلبك » ٠

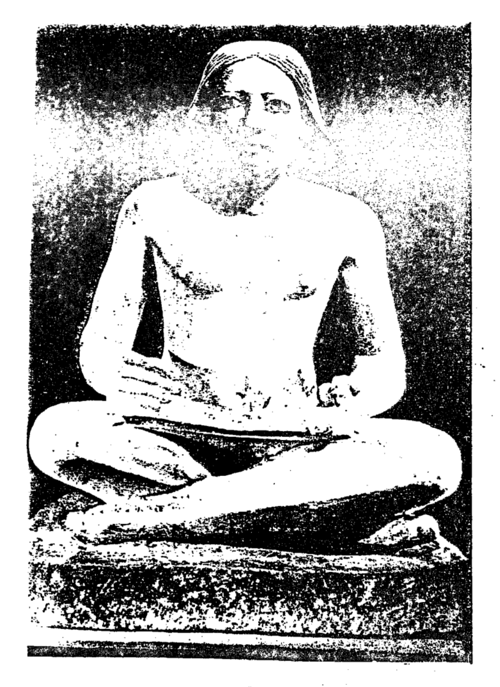
ثانيا ـ الصـــور واللوحات



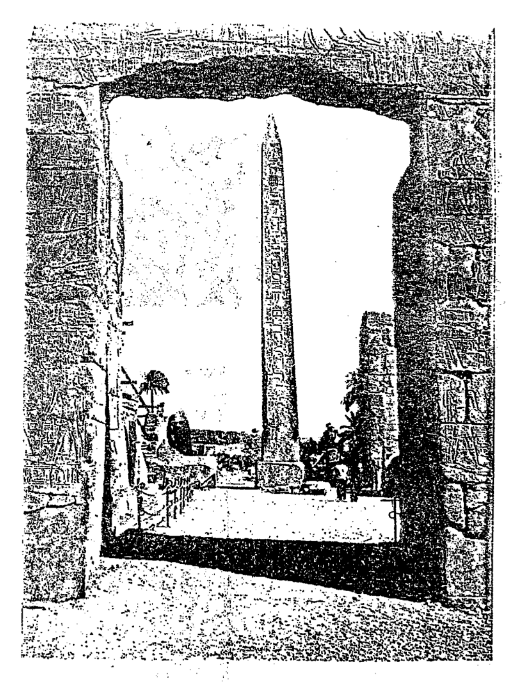
(١) الوجه الأول للوحة الملك نارمر ويظهر الملك يضرب عدوه بدبوس
من اقدم الصور الاخبارية فى التاريخ



(٢) الوجه الثانى للوحة الملك نارمر ورسوم إخبارية عديدة



(٣) الوضع التقليدى للكاتب المصرى ، أوائل الأسرة الخامسة



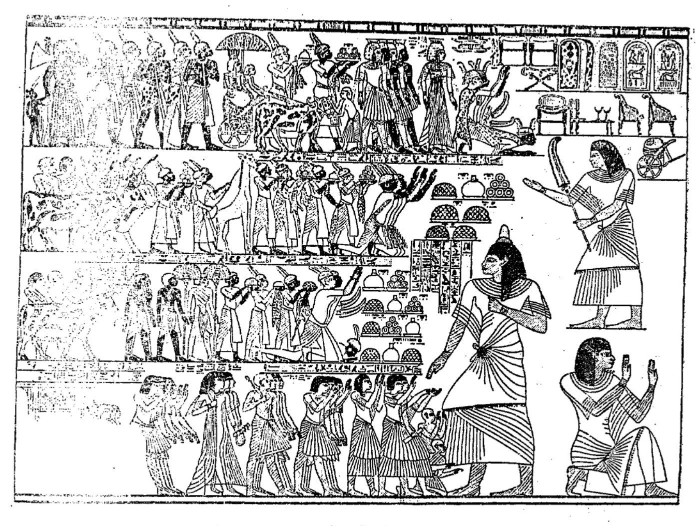
(٤) مسلة تحتمس الأول بالكرنك وكتابات اخبارية



(٥) الملك سيتى الأول على مركبته يحارب الليبيين ٠٠ جزء من
تترير عسكرى محـور



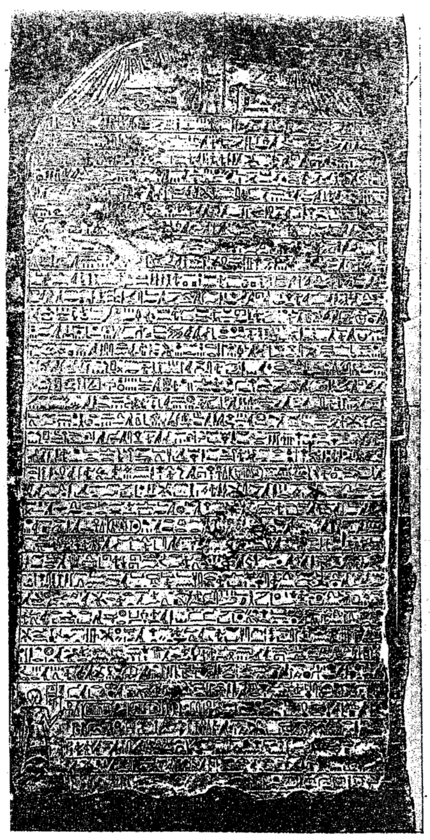
(٦) ورمسيس الثانى ايضا يحارب الليبيين
لوحة على جدران معبد ابى سمبل الكبير



(٧) « حوى » حاكم السودان فى عهد توت عنخ آمون
وتقرير عن احتفالات وعروض مختلفة



(٨) امنحوتب بن حابو ـ الأسرة ١٨ ـ
فى وضع الكاتب التقليدى ٠٠ متحف الأقصر



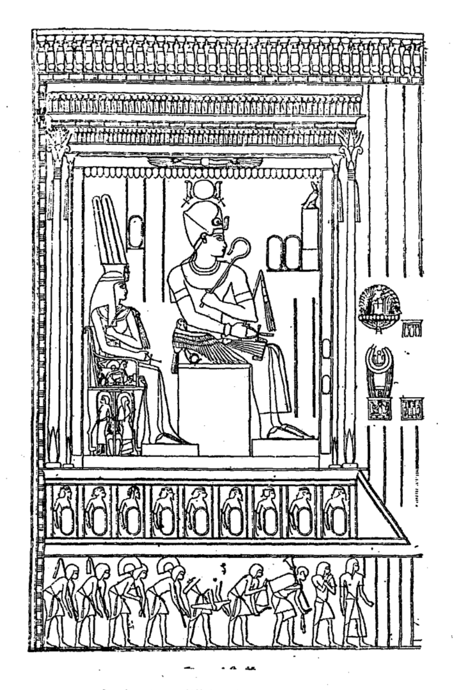
(٩) لوحة كاموزا بالكرنك



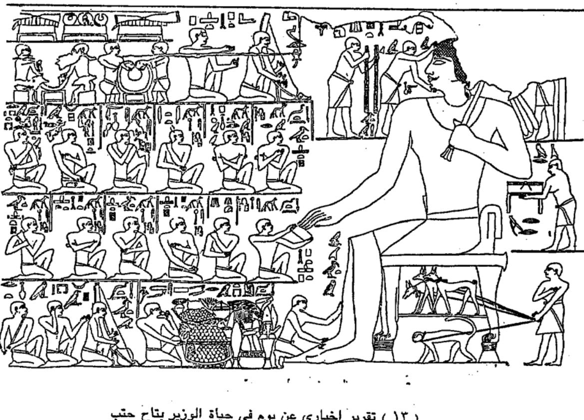
(١٠) الكرنك أيضا .. جزء من موضوع اخبارى منقوش
على رأس مسلة حتشبسوت وآمون رع يتوجها



(١١) من الاعلام الدينى ٠٠ كيف كانت صلوات اخناتون وعائلته



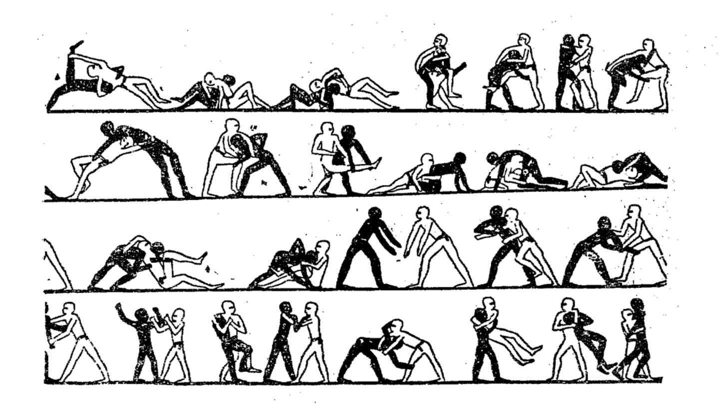
(١٢) من تقرير الاحتفال بالعيد الثلاثيني « قبر خريوف »



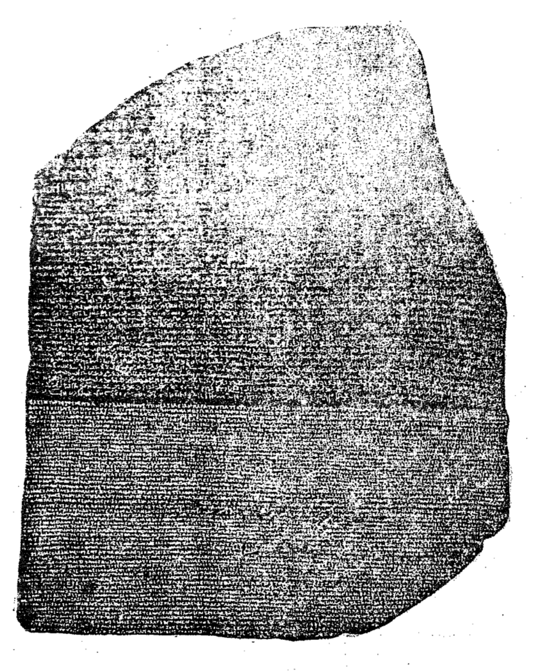
(١٣) تقرير اخبارى عن يوم فى حياة الوزير بتاح حتب



(١٤) معبد دندرة ودور تاريخى فى الاعلام العلمى
المتخصص فى مجال الفلك



(١٥) من الاعلام الرياضي : رسوم تمثل مختلف
أوضاع المصارعة « مقابر بني حسن »



(١٦) حجر رشيد ونقرا عليه نص مرسوم دينى أقره اجتماع الكهنة فى منف بالكتابات الثلاث الهيروغليفية والديموطيقية واليونانية



(١٧) من الكاريكاتير المصرى القديم ·· قطة ترعى بطا !!

ثالثـــا

أهم مراجع الكتاب ومصادره

●● المراجـــع العـــربية

(أ) معـــاجم وقواميس

ودوائر معـــــارف

١ ـ ابراهيم بيومى مدكور وآخرون : « معجم العلوم الاجتمـــاعية » هيئة الكتـــاب ، القاهرة ٠

٢ ـ أحمد بن محمد على المقرى الفيومى : « المصباح المنير فى غــــريب الشرح الكبير » المطبعة الأميرية ، مصر ٠

٣ ـ أحمد حسين : موسوعة تاريخ مصر » دار الشعب ، القاهرة ٠

٤ ـ أحمد رضا : « معجم متن اللغة » م٠ الحياة ، القاهرة ٠

٥ ـ أحمد زكى بدوى : « معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية » م٠ لبنان، بيـــروت ٠

٦ ـ أحمد عطية الله : « دائرة المعارف الحديثة » م٠ الأنجلو ، القاهرة ٠

٧ ـ ادارة الترجمة بوزارة المعارف : « تاريخ العالم » مترجم عن سير ج ١٠ ٠ هامرتين ، القـــاهرة ٠

٨ ـ جمال الدين بن مكرم الأنصارى بن منظور : « لسان العرب » دار صـــادر ، بيـــروت ٠

٩ ـ حسين سعيد وآخرون : « الموسوعة الثقافية » م٠ فرانكلين ، القاهرة٠

١٠ ـ عاطف غيث وآخرون : «قاموس علم الاجتماع» هيئة الكتاب ، القاهرة٠

١١ ـ فريد داغر وفؤاد بوريحان : « تاريخ الحضارات فى العالم » مترجم عن ا٠ ايمار ، ج٠ أوبوايه ، منشورات عويدات ، بيروت ٠

١٢ ـ مجد الدين محمد بن يعقـــــوب الفيروزابادى : « القاموس المحيط » مصطفى البابى الحلبى ، القاهرة ٠

١٣ ـ محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى : «مختار الصحاح» وزارة المعارف ، مصر ٠

١٤ ـ محمد بن يزيد المبرد : « الكامل فى اللغة والأدب » م ٠ المعرفة، بيروت

١٥ ـ محمد عبد القادر وزكى اســكندر : « الموسوعة الأثرية العالمية » هيئة الكتـــاب ، القاهرة ٠

١٦ ـ محمد فريد وجدى : « دائرة معارف القرن العشرين » دار المعــرفة ، القـــاهرة ٠

(ب) كتب عــربية ومعــربة

١٧ ـ ابراهيم العفيفى : « وفاء النيل » الدار القومية ، القاهرة ٠

١٨ ـ ابراهيم امام : « فن العلاقات العامة والاعلام » م ٠ الأنجـــلو ، القـــاهرة ٠

١٩ ـ ابراهيم امام : « وسائل الاعلام والمجتمع الحديث » مترجم عن و ٠ ريفرز وآخرين ، د٠ المعــرفة ، القاهرة ٠

٢٠ ـ ابراهيم امام : « الاعلام والاتصال بالجماهير » م ٠ الأنجلو ، القاهرة

٢١ ـ ابراهيم رزقانة وآخرون : « حضارة مصر والشرق القديم » م ٠ مصر، القـــاهرة ٠

٢٢ ـ ابراهيم زكى خورشيد : «الماضى يبعث حيا» م عن : ادنا مجوير ، م ٠ النهضة المصرية ، الاقهرة ٠

٢٣ ـ ابراهيم عبده : « تاريخ الصحافة والطباعة فى مصر خلال الحمــلة الفرنسية » سجل العرب ، القاهرة

٢٤ ـ احسان النص : « الخطابة العربية فى عصرها الذهبى » دار المعارف، القاهرة ، ط ٢

٢٥ ـ أحمد أمين وزكى نجيب محمود : « قصة الأدب فى العالم » م ٠ النهضة المصرية ، القاهرة ٠

٢٦ ـ أحمد بدوى : « فى موكب الشمس » م ٠ لجنة التـــأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ٠

٢٧ ـ أحمد بدوى وجمال الدين مختار : « تاريخ التربية والتعليم فى مصر » هيئة الكتاب ، القاهرة ٠

٢٨ ـ أحمد حسين الصاوى : « قصة الكتابة والطباعة » مترجم عن ف ٠ روجرز ، م ٠ الأنجلو ، القـــاهرة ٠

٢٩ ـ أحمد حمدى محمود : « ما هو التاريخ ؟ » مترجم عن ادوارد كار ، وزارة التربية والتعليم ، مصر ٠

٣٠ ـ أحمد سويلم العمرى : « مجال الرأى العام والاعلام » هيئة الكتاب ، القـــاهرة ٠

٣١ ـ أحمد فخـرى : « مصر الفرعونية » م٠ الأنجلو ، القاهرة ٠

٣٢ ـ أحمد فخرى : « الأهرامات المصرية » م ٠ الأنجلو ، القاهرة ٠

٣٣ ـ أحمد فخرى : « الحضارة المصرية » مترجم عن ج٠ ويلسون ، م ٠ النهضة العربية ، القاهرة ٠

٣٤ ـ أحمد فخرى : « انتصار الحضارة » مترجم عن ج٠ هـ٠ برستد ، م٠ الأنجلو ، القاهرة ٠

٣٥ ـ أحمد فخرى : « دراسات فى تاريخ الشرق القديم » م ٠ الأنجلو ، القـــاهرة ٠

٣٦ ـ أحمد فخـرى : « بين آثار العـــالم العربى » م ٠ الأنجـلو ، القاهرة٠

٣٧ ـ أحمد قدرى : « الديانة المصرية القديمة » مترجم عن ياروسلاف تشرنى، و ٠ الثقافة ، مصر ٠

٣٨ ـ أحمد كامل : « الاعلام العربى المعاصر » م ٠ المكتبة ، العين ، د ٠ الامارات العربية المتحدة ٠

٣٩ ـ أحمـد محمد الحوفى : فن الخطابة » د ٠ الفكر العربى ، القاهرة ٠

٤٠ ـ أحمد محمد عيسى : « التنقيب عن الماضى » مترجم عن ا ٠ فريدمان ، د ٠ التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ٠

٤١ ـ أحمد محمود صابون : « مصر القديمة وقصة توحيد الوجهين » هيئة الكتـاب ، القـــاهرة ٠

٤٢ ـ السيد عليوه : « استراتيجية الاعلام العربى » الكاتب العـــربى ، القـــاهرة ٠

٤٣ ـ أمين سلامة : « الحياة اليومية عند قدماء المصريين » هيئة الكتـاب ، القـــاهرة ٠

٤٤ ـ انطون ذكرى : « الأدب والدين عند قدماء المصريين » القاهرة ٠

٤٥ ـ أنور محمود عبد الواحد : « قصة الورق » د٠ الكاتب العربى ، القاهرة ٠

٤٦ ـ أنيس صايغ : « فن الصحافة » مترجم عن ا ٠ كوبلنتز ، دار الثقافة ، بيروت ٠

٤٧ ـ ايريس حبيب المصرى : « حكمة اخناتون » مترجم عن ا٠ا٠ جرانتام، و ٠ الثقافة ، القاهرة ٠

٤٨ ـ تحفة حندوسة : « مصر وبلاد النوبة » مترجم عن ، و ٠ امرى ، الهيئة المصرية للتأليف والنشر ، القاهرة ٠

٤٩ ـ ثروت عكاشة : « المسرح المصرى القديم » مترجم عن ا٠ دريوتون ، د٠ الكاتب العربى ، القاهرة ٠

٥٠ ـ جلال الدين الحمامصى : « من الخبر الى الموضوع الصحفى » د٠ المعارف ، القاهرة ٠

٥١ ـ حسن رجب : « البردى » دار المعارف ، القاهرة ٠

٥٢ ـ حسنين عبد القادر : « الرأى العام والدعاية وحرية الصحافة » ٠

٥٣ ـ حسنين عبد القادر : « الصحافة كمصدر للتاريخ » د٠ الفكر العربى، القاهرة ٠

٥٤ ـ حسين مؤنس : « مصر ورسالتها » ، القاهرة

٥٥ ـ خليل صابات : « تاريخ الكتاب » عن ا ٠ دى جروليه ، م ٠ نهضة مصر ، القاهرة ٠

٥٦ ـ درينى خشبة : « فن الكاتب المسرحى » مترجم عن ر٠ب٠ بسفيد الابن، نهضة مصر ، القاهرة ٠

٥٧ ـ زكى نجيب محمود : « قصة الحضارة » مترجم عن ول ديورانت ، ادارة الثقافة جامعة الدول العربية ، القاهرة ٠

٥٨ ـ زينب الكردى : « كهان مصر القديمة » مترجم عن س ٠ سونيرون ، هيئة الكتاب ، القاهرة ٠

٥٩ ـ سامية أحمد أسعد : « فن المسرح » مترجم عن ا٠ أصلان ، م الأنجلو، المصرية ، القاهرة ٠

٦٠ ـ سعد زهران : « مصر الفرعونية » مترجم عن ج · يويوت ، و · الثقافة، القـــاهرة ·

٦١ ـ سليم حسن : « مصر القديمة » مطبعة ج · فؤاد ، الجيزة ، مصر

٦٢ ـ سليم حسن : «فجر الضمير» مترجم عن ج·هـ· برستيد، م· مصر ، القـــاهرة

٦٣ ـ سمير محمد حسين : « الاعلام والاتصال بالجماهير والرأى العام » عالم الكتب ، القاهرة ·

٦٤ ـ سيد توفيق : « تاريخ الفن فى الشرق الأدنى القديم » د · النهضـــة العـــربية ، القـــاهرة ·

٦٥ ـ شوقى الجمل : « علم التاريخ » م · الأنجلو المصرية ، القاهرة ·

٦٦ ـ صلاح عز الدين وآخرون : « الاتصال بالجماهير » مترجم عن ا · بارنو ، م · مصر ، القاهرة ·

٦٧ ـ عبد الجليل شلبى : « الخطابة واعـــداد الخطيب » دار الشروق ، القـــاهرة ·

٦٨ ـ عبد الحميد زايد : « الشرق الخـــالد » د · النهضـــة العـــربية ، القـــاهرة ·

٦٩ ـ عبد الحميد العبادى : « قصة الحضارة » مترجم عن ول ديورانت ، ج· الدول العربية ، القاهرة ·

٧٠ ـ عبد الحميد توفيق زكى : « المسرح الغنائى فى ٧ آلاف سنة » هيئـــة الكتـــاب ، القـــاهرة ·

٧١ ـ عبد الرازق يسرى : «الرومان» مترجم عن د·هـ· باور ، و · الثقافة، القـــاهرة ·

٧٢ ـ عبد الرحمن بدوى : « فلسفة الحضارة » مترجم عن ا · شفيسر ، و· الثقافة ، مصر ·

٧٣ ـ عبد الرحمن بن خلدون : « مقـــدمة بن خلدون » دار الشـــعب ، القـــاهرة ·

٧٤ ـ عبد العاطى جلال : « الصحافة فى العالم » مترجم عن ب · دينوايية و · الثقافة ، مصر ·

٧٥ ـ عبد العاطى جلال : فى رحاب المعبود توت » مترجم عن : سامى جبرة ، هيئة الكتاب ، القاهرة ٠

٧٦ ـ عبد العزيز توفيق جاويد ، « معالمتاريخ الانسانية » مترجم عن هـ ٠ ج ويلم ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ٠

٧٧ ـ عبد العزيز شرف : « اللغة الاعلامية » المركز الثقافى الجامعى ، القـــاهرة ٠

٧٨ ـ عبد العزيز صالح : « التربية والتعليم فى مصر القديمة » الدار القومية القـــاهرة ٠

٧٩ ـ عبد العزيز صالح : « الأسرة فى المجتمع المصرى القـــديم » و ٠ الثقافة ، مصر ٠

٨٠ ـ عبد العزيز صالح : « الشرق الأدنى القديم » م ٠ الانجلو ، القاهرة٠

٨١ ـ عبد القادر حمزة : « على هامش التاريخ المصرى القديم » دار الكتب المصرية ، القاهرة ٠

٨٢ ـ عبد المحسن الخشاب : « التياترو القديم » م ٠ أحمد على مخيمر ، القـــاهرة ٠

٨٣ ـ عبد المحسن بكير : « قواعد اللغة المصرية فى عصرها الذهبى » هيئة الكتاب ، القـــاهرة ٠

٨٤ ـ على حافظ : « روايات وقصص مصرية من العصر الفرعونى » مترجم عن ج٠ لوفيفر ، م ٠ مصر ، القاهرة ٠

٨٥ ـ على حسن : « الموجز فى علم الآثار » د٠ النهضة العربية ، القاهرة٠

٨٦ ـ على عبد الواحد وافى : « نشأة اللغة عند الانسان والطفل » ، القاهرة

٨٧ ـ على فخرى : « هبة النيل » مترجم عن ا ٠ ميدوكروفت ، دار احيـــاء الكتب العربية ، القاهرة ٠

٨٨ ـ عمر الدسوقى : « المسرحية » دار الفكر العـــربى ، القاهرة ٠

٨٩ ـ كريم زكى حسام الدين : « المحظورات اللغوية » م ٠ الأنجلو المصرية، القـــاهرة ٠

٩٠ ـ كمال مصطفى : « الصحافة والآدب فى مائة يوم » م ٠ الأنوار ، القـــاهرة ٠

٩١ - لبيب حبشى وشفيق فريد : « الآثار المصرية فى وادى النيل » مترجم عن ج بيكى ، م ٠ جامعة القاهرة ، الجيزة ٠

٩٢ - لويس شيخو اليسوعى : « علم الخطابة » مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ٠

٩٣ - محمد أبو زهرة : « الخطابة » مطبعة العلم ، القاهرة ٠

٩٤ - محمد أنور شكرى : « الفن المصرى القديم » المؤسسة العامة للتأليف، القاهرة ٠

٩٥ - محمد بدران : « قصة الحضارة » مترجم عن ى ٠ ديورانت ، م لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ٠

٩٦ - محمد جمال الدين مختار : « الرقص المصرى القديم » مترجم عن ١٠ لكسوفا ، وزارة الثقافة ، القاهرة ٠

٩٧ - محمد حماد : « التصوير فى التراث المصرى القديم » م ٠ الاستقلال، القاهرة ٠

٩٨ - محمد شفيق غربال وآخرون : « تاريخ الحضارة المصرية » م ٠ النهضة المصرية ، القاهرة ٠

٩٩ - محمد شفيق غربال : « تكوين مصر » م ٠ النهضة المصرية ، القاهرة٠

١٠٠ - محمد صقر خفاجة : « هيردوت يتحدث عن مصر » مترجم عن هيرودوت ، هيئة الكتاب ، مصر ٠

١٠١ - محمد عبد الحميد : « الصحافة العسكرية فى مصر » م ٠ الأهرام ، القاهرة ٠

١٠٢ - محمد عبد الرحيم عنبر : « المسرحية بين النظرية والتطبيق » الدار القومية ، القاهرة ٠

١٠٣ - محمد عبد القادر حاتم : « الرأى العام وتأثره بالاعلام والدعاية » م ٠ لبنان ، بيروت ٠

١٠٤ - محمد عبد القادر محمد : « آثار الأقصر » هيئة الكتاب ، القاهرة ٠

١٠٥ - محمد على كمال الدين : « الشرق الأوسط فى موكب الحضارة » م٠ النهضة المصرية ، القاهرة ٠

١٠٦ ـ محمد يوسف الديب ومصطفى كمال الجمال : « الفخـــار » ش ٠ العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ٠

١٠٧ ـ محمود أدهم : « فن الخبر » دار الشعب ، القاهرة ٠

١٠٨ ـ محمود أدهم : « التحقيق الصحفى » دار الثقافة ، القاهرة ٠

١٠٩ ـ محمود أدهم : « المدخل فى فن الحديث الصحفى » دار الثقافة ، القـــاهرة ٠

١١٠ ـ محمود أدهم : « ماجريات الصحف » ٠

١١١ ـ محمود أدهم : « هم والصحافة » دار الشعب ، القاهرة ٠

١١٢ ـ محمود أدهم : « المقال الصحفى » م ٠ الأنجلو ، القاهرة ٠

١١٣ ـ محمود أدهم : « الصورة الصحفية وسيلة اتصال » الدار البيضاء ، القـــاهرة ٠

١١٤ ـ محمود الغندور : « الاعلام » مترجم عن فـ ٠ ترو ، المنشـــورات العربية ، بيروت ٠

١١٥ ـ محمود عودة : « أساليب الاتصال والتغير الاجتماعى » د ٠ النهضة العـــربية ، بيروت ٠

١١٦ ـ محمود محمد الجوهرى : «الصحافة والحرب» م ٠ الأعلى للفنـــون والآداب ، القاهرة ٠

١١٧ ـ محمود نجيب أبو الليل : « الصحافة الفرنسية فى مصر » م ٠ سجل العرب ، القــاهرة ٠

١١٨ ـ مختار السويفى ومحمد العزب موسى : « المؤسسة العسكرية المصرية فى عصر الامبراطورية » مترجم عن أحمد قدرى و٠ الثقافة، القاهرة

١١٩ ـ نجيب ميخائيل ابراهيم : « مصر الفراعنة » مترجم عن ا ٠ جاردنر ، القــاهرة

١٢٠ ـ نجيب ميخائيل ابراهيم : « الحياة اليومية فى مصر القديمة » مترجم عن ا ٠ شورتر ، م الأنجلو ، القاهرة ٠

١٢١ ـ نعيم أديب فضل : « صناعة الورق » هيئة الكتاب ، القاهرة ٠

١٢٢ ـ وديع فلسطين : مقدمة الى وسائل الاتصال » مترجم عن ا ٠ واكين ٠ م ٠ الأهرام ، القاهرة ٠

١٢٣ - وليم نظير : « الثروة البنائية عند قدماء المصريين » الهيئة المصرية للتأليف والنشر ، القاهرة .

١٢٤ - يوسف مرزوق : « مدخل الى علم الاتصال » م . الانجلو المصرية ، القـــاهرة .

(جـ) صحف ومجـــلات

الأهرام - رسالة اليونسكو - الفيصل - المقتطف - المنهل - الهلال .

●● أهم المراجع غير العربية

1. A. Ridgwey : "Every man's Encyclopedia" V. 7, London.
2. Ahuja, B.N. : "Theory and Practice of Journalism, Delhi, 1984.
3. Baikie, J., : "Egyp. Antiquities in the Nile V. London, 1932.
4. Breasted, J.H. : "A History of the Ancient Egyptians New York, 1908.
5. Breasted, J.H. : "Development of Rel. and Thought in A.E., London, 1912.
6. Carter, H. : "The tomp of Tut-Ankh-Amon, London, 1923.
7. Collingwood, R.G. : "The Idea of History" Oxford, 1928.
8. Emery E. & Others : "Introduction to Mass Comm." U.S.A., 1965.
9. Encyclopedia Britannica. V. 12, London, 1961.
10. Frankfort, H. : "The Birth of Civil. In the Near East London, 1954.
11. Frankfort, H. : "Ancient Egyp. Religion" New York, 1948.
12. Fling, F.M. : "The writing of History", London, 1928.
13. Gardiner, A. : "Egyptian Grammar" Oxford, 1927.
14. Gray, J. "Near Eastern Nythology" London, 1982.

15. Lucas, .A : "Ancient Egyp. Materials and Industries, London, 1949.

16. Parker, R. : "The Calendars of Anc. Egypt." Chicago, 1950.

17. Winlock, K.E. : "The Rise and Fall o fthe Middle Kingdom in Thebes, New York, 1947.

رابعا ـ للمزيد من المعلومات عن المادة الاعلامية المشـــار اليهـا وغيرها ..

رجاء العودة الى : « نماذج فقط »

١ ـ فى الاعلام الدينى اقرأ من فضلك :

— أحمد قدرى : « الديانة المصرية القديمة » .. مرجع سابق مترجم .
— أنطون ذكرى : « الأدب والدين عند قدماء المصريين » مرجع سابق .
— ايريس حبيب المصرى « حكمة اخناتون » مرجع سابق مترجم .
— زينب الكردى : « كهان مصر القديمة » مرجع سابق مترجم .
— سامى جبرة : « فى رحاب المعبود توت » مرجع سابق ترجمة عبد العاطى جـــلال .
— سليم حسن : « فجر الضمير » مرجع سابق مترجم .
— سليم حسن : « ديانة قدماء المصريين » .. معــرب

Erman : "La Religion Egyptienne"

Foucart, G. : "Histoire des Religions".

Naville : "La Religion des anciens Egyptiennes".

٢ ـ فى الاعلام العسكرى يمكن العودة الى :

— أحمد قدرى : « المؤسسة العسكرية المصرية فى عصر الامبراطورية » مرجع سابق ، ترجمة مختار السويفى ومحمد العزب موسى .
— تحفة حندوسة : « مصر وبلاد النوبة » مرجع سابق مترجم .
— سليم حسن : « مصر القديمة » لاسيما الأجـــزاء الرابع والخامس والسادس
— مركز تسجيل الآثار : « الجيش المصرى القديم »

— Bierbrier, M.L., "The Late New Kingdom in Egypt".

— Winlock : "The Rise and Fall of the Middle Kingdom".

٣ ـ فى الاعلام التربوى والارشادى والتوجيهى يمكن العودة الى :

— أحمد بدوى : « فى موكب الشمس » م ٠ س

— أحمد بدوى وجمال الدين مختار : « تاريخ التربية والتعليم فى مصر » م ٠ س ٠

— أنطون ذكرى : « الأدب والدين عند قدماء المصريين » م ٠ س

— سليم حسن : « مصر القديمة »

— سليم حسن : « الأدب المصرى القديم أو أدب الفراعنة »

— سليم حسن : « فجر الضمير » مرجع سابق مترجم ٠

— شفيق شحاته : « تاريخ القانون الخاص فى مصر » جـ ١ : القـــانون المصرى القديم ٠

— عبد العزيز صالح : التربية والتعليم فى مصر القديمة » م ٠ س

— عبد القادر حمزة : « على هامش التاريخ المصرى القديم » م٠س

— عمر مصطفى : « أصول تاريخ القانون »

— Cerny, J., "Paper and Books in Anc. Egypt."

— Erman, A., "L'Egypte des Pharaons".

٤ ـ فى الاعلام الفنى والنصوص الاعلامية اقرأ من فضلك :

— أحمد فخرى : « الأهرامات المصرية » م٠س

— ثروت عكاشة : « المسرح المصرى القديم » مرجع سابق مترجم

— سليم حسن : « مصر القديمة » لا سيما الجزء الخامس

— سليم حسن : « الأدب المصرى القديم أو أدب الفراعنة »

— سيد توفيق : « تاريخ الفن فى الشرق الأدنى القديم » م ٠ س

— على حافظ : « روايات وقصص مصرية » م٠س ٠ مترجم

— محرم كمـــال : « تاريخ الفن المصرى القديم »

— محمد أنور شكرى : الفن المصرى القديم » م٠س٠

— محمد حماد : « التصوير فى التراث المصرى القديم » م٠س

— Aldred, C. "Art in Anc. Egypt."

— Edwards, I.E.S. "The Pyramids of Egypt".

— James, T.G.H. : "Egyptian Painting".

— Lucas, A. : "Ancient Egyptian Materials and Industries".

وغيـــرها

فهرس الكتـــاب

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

تصـــــويب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٠	١٦	الفكر	الفكرى
٢٢	٧	يتداخل	يتداخل مع
٢٣	١٠	عندما لابد	عند مالابد
٣٣	٧	الآخر	الأخرى
٢٨	١٠	تسجيلا	تسجيليا
٣٨	٢٤	ثم يلى	ثم مايلى
٤٢	٨	تنموة	تنموية
٤٤	١	عن	عند
٦٤	١١	نقول	تقول
٦٤	٢٠	اعلام	اعلاما
٦٦	٨	اللحضارة	لحضارة
٧١	٢	(١٨)	(٦٨)
٧٢	الأخير	فالآثار	مالآثار
٨٢	٢٧	سألتهم	سألتم
٨٣	الأخير	المسهتدفة	المستهدفة
٨٤	١٢	١ ـ	(ب)
٩٣	١٦	( )	(هـ)
١٦٧	٣	أفكاره	أفكار
١٦٧	١٧	وأنه	وأن.
١٧٢	٢٠	٢ ـ	٣ ـ
١٨١	١٥	هعاهد	معاهد
١٨٤	١٣	حكام	وحكام
١٩١	٢١	عن	عن
١٩٢	٢٠	آخر	آخره
١٩٢	٢٢	له	لك
١٩٣	٢١	العتبير	التعبير
٢٠٣	١٣	الاعلامهم	اعلامهم
٢٠٧	٨	تستخذ	نتخذ
٢١٧	١٣	الموادة	المادة
٢٢٢	٢	التلميذة	التلمذة
٢٣٨	١٣	الجهور	الجمهور
٢٥١	الأخير	لتحدث	نتحدث
٢٦٣	١٩	الآلة	الآلهة
٢٦٣	٢١	الآلة	الآلهة
٢٧٤	٣	المعقتدات	المعتقدات

الصفحة	السطر	الخطأ	
٢٧٥	٢٣	بأن	الى أن
٢٧٩	١٨	الرسائل	الوسائل
٢٧٩	٢٠	وسائل	رسائل
٢٨١	٧	أن	أنها
٢٨٢	٢١	بنين	بنبن
٢٩٥	١١	هيراكبنوليس	هيراكونبوليس
٣١٩	١٢	اثنين	اثنتين
٣٢٠	٧	أسند	أسندت
٣٢١	١٧	ونتقل	وننتقل
٣٧٩	١٩	وارداوزية	واردوازية
٣٨٥	٢	وبالذلت	وبالذات
٣٨٦	١٦	الدباية	البداية
٣٩٤	٥	بنين	بنبن
٣٩٤	٢٣	٢	٣
٣٩٩	٨	الوسائط	والوسائط
٣٩٩	٢١	المشاهم	المشاهد
٤٠٠	٢٥	ماقبر	مقابر
٤٠٤	٢	الكاريكابير	الكاريكاتير
٤٠٤	٢٢	تلك	تلك التى
٤١٦	٢٧	الكساد	الكساء
٤٢٠	٣	بيما	بينما
٤٢٥	١٠	بيكر	بيكى
٤٢٧	١٣	الحاقدون	الحاقدين
٤٦١	١٩	جوده	وجوده
٤٦٩	٢٢	(٩١)	(٩٧)
٤٩٠	٤	(٧٦ ـ ٩٧)	(٩٦ ـ ٩٧)
٥١٥	٢٠	٣)	(٢٣)
٥٣٩	الأخير	الولجب	الواجب
٥٤٠	٢١	الهكسوس	الهكسوسى
٥٤١	الأخير	والغوارق	والخوارق

رقم الايداع ٩٤٤٨ / ١٩٩٠

I. S. B. 977 - 00 - 0973 - 5

●● مؤلفات الدكتور محمود أدهم
فى الاعلام الصحفى

١ ـ فن الخبـــر .
٢ ـ مقدمة فى التحرير الاخبارى .
٣ ـ التحقيق الصـــحفى .
٤ ـ دراسات فى التحرير الاخبارى .
٥ ـ المدخل فى فن الحديث الصحفى .
٦ ـ فن تحرير التحقيق الصحفى .
٧ ـ المقـــال الصـــــحفى .
٨ ـ هم والصـــــحافة .
٩ ـ دراســـات فى فن الحديث الصحفى .
١٠ ـ المقابلات الاعلامية .
١١ ـ الفكرة الاعـــلامية .
١٢ ـ جريدة الأهرام وفن التحقيق الصحفى .
١٣ ـ المؤتمرات الصحفية .
١٤ ـ التعريف بالمجلة .
١٥ ـ التحقيق الأنموذجى وصحافة الغد .
١٦ ـ ماجريات الصـــحف .
١٧ ـ الصورة الصحفية وسيلة اتصال .
١٨ ـ أسماء على الصفحات .
١٩ ـ أدب الجاحظ من زاوية صحفية .
٢٠ ـ الصورة الصحفية : المصادر والمؤثرات .
٢١ ـ فى عالم المجـــلة .
٢٢ ـ الأسس الفنية للتحرير الصحفى .
٢٣ ـ الموضوع الاخبارى .
٢٤ ـ الصورة الاخبارية .
٢٥ ـ عباس العقاد صحفيا .

تطلب من المكتبات الكبرى بالقاهرة
ومن المؤلف ت ٢٤٢٣٤٢٨ القاهرة
ص٠ب ٥٠٤٦ هليوبوليس غرب